

سلسلة الصف

الفتوحات الإسلامية

للسيخ الأكبر

محمد بن عبد الرحمن بن محمد الطار كاني

محيي الدين بن العربي

(الجزء الثاني، الأسفل (4-6))

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوري



عاصمة الثقافة الإسلامية
CAPITAL OF ISLAMIC CULTURE
وزارة الثقافة - الجمهورية اليمنية

سلسلة الصفا

الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

(الجزء الثاني، الأسفار 4-6)

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

رموز مستخدمة في التحقيق

آيات قرآنية	﴿ 》
حديث شريف	« »
إضافات أدخلت على الأصل	()
نسخة قونية*	ق
نسخة السلجانية	س
نسخة القاهرة	هـ

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تنويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيّناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنّية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنّية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

السفر الرابع من الفتوحات المكيّة²

1 ق: الثالث والعشرون.

2 العنوان ص 1ب. ويليه بقلم الأصل: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي". يليه بقلم آخر: "رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحاق القنوي عنه". يليه بقلم آخر: "وقف هذا الكتاب مع سائر تاملات صاحب الشيخ الإمام العالم الراشخ صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحاق بن محمد - رضي الله عنه وعن سلفه - على النار الكتب المنشأة عند قبره ليتنفع به سائر المسلمين هناك خاصة، وشرط أن لا يخرج منها برهن ولا بغيره. تجل الله منه وأثابه الجنة بمته وهضله". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1746 وطابع دفعة برقم 1848، وإشارة إلى عدد أوراق السفر: 318 صحيفة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دروساً لمن يتفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

وما كان معروفاً من قبل القطب

والأما من قبل المناجاة المحمدية

منزله العكبر والامام منزله ما لجل علاته

بملكها واحد فعال عمره السبتر والاقامة

يعلم ما لونه اصفران ايضاً الحر منه شانه

خفيه ما لونه نواير الله يا لثلاثه

توجه الله بالعباد ما عالم الامر يا الباقه

اعلم اول الله بروح منه

اربع مائة من الميزان لاني صلوات الله عليهم اربعه

محمد وارهم واسما على راسهم عليهم السلام ومن اولها

انوارهم الخمس والخمس منه كما يرسل الله كما لثلاثه

عليه وسلم وان كان من عذرها ولا كدر من منه شرب

معلوم على قدر مرتبته من الامامه

ما علم ان الانكاب والصالحين اذا سموا باسمه معلومه

لا يدعون هتالة الا ما يعود به الالاسم الذي يتولاهم

في منزلة ما اهل الجنة في الآداب واهل النار في العقاب
 وكما علمت في ذلك المادى زياده في النور وارض السور
 نظام القصة وتخرج من النور الطهار اهل النار ما اهل
 اهل الجنة من زياده في النور وهو حبل عرق ما في يوم عشرين
 الحيلة المناسبة للجنة والجنة والجنة والجنة
 والجنة حارة وجبه ومحاذ لثا الهم من النفس العبر عنه
 بالروح الحيواني الزم به حياء السن هو سطره اهل الجنة
 بها الحياء عليهم واما الكمال في خمس الحوار هو بيت
 الاوساخ فان فيه مجمع لوساخ السن وهو ما يحبه الشجر
 من الهم القاسر معكم اهل النار داخلونه وهو من النور والنور
 حوران تاتي كجبه البرد واليسر وخصم على صورة الخامس
 والكمال في النور لغير اهل النار اشرف من سبعة فيماء الكمال
 من البرية لا موت اهل النار وما فيه من اوساخ السن ومن
 الهم القاسر الموح لا يحزن ولا يتعجز فيورثهم اكله سفعا
 وارض ما يدرط اهل الجنة الجنة فاعلم منها مخرج من الله يقول
 الحق وهو صمد السمل
 الذي السفر الى ارج لانه الجسر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباء

الحادي والاربعون في معرفة

اهل النبل وانما ان كبتهم

وتباينهم في مراتبهم واسرار

الكل اسم

الا ان اهل النبل اهل تنزل

واهل نقارنج واهل تنديل

فمرحبا عند نحو المقام بآية

ومن نازل ببحر اللؤلؤ باسفل

عظم النزاء والنزاع بالاعنى

وحدود الترتيب والتلقي بمخزل

فان ولد فيسمع اسم غير عصبه

صرفت فقر حلوا باخر منزل

وار ولد فيهم انهم شرفيتية

صرفت فليسرا بالبنى ولا التولى

منهم لاهم ليسراهم ونفيسهم

ولا لهم مقبل مشر زل

فيا يسألونه، من قبول توبة وإجابة دعوة ومغفرة حوبة، وغير ذلك، فنوم الناس راحة لهم.

وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حِجَابٌ فَلَيْكِي. وَنَزُولُهُ إِلَيْهِمْ رَحْمَةً بِهِمْ، وَتَجَلَّى مِنْ سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ فَيَقُولُ: «كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي فِذَا جِئْتُهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي. أَلَيْسَ كُلُّ مَحَبٍّ يَطْلُبُ الْخُلُوعَ بِحَبِيْبِهِ، هَا أَنَا ذَا قَدْ تَجَلَّيْتُ لِعِبَادِي: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيبُ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ»، حَتَّى يَنْصَدِعَ الْفَجْرُ.

فَاهْلُ اللَّيْلِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِهَذِهِ الْحِظَّةِ فِي هَذِهِ الْخُلُوعِ، وَهَذِهِ الْمَسَامَرَةُ، فِي مُحَارِبِهِمْ. فَهُمْ قَائِمُونَ يَتْلُونَ كَلَامَهُ، وَيَفْتَحُونَ أَسْمَاعَهُمْ لِمَا يَقُولُ لَهُمْ فِي كَلَامِهِ. إِذَا قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يُصْغَوْنَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ النَّاسُ، مَا تَرِيدُ مِنَّا يَا رَبَّنَا. فِي نَدَائِكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِمْ، بِتِلَاوَتِهِمْ كَلَامَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ¹﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا. يَقُولُ لَهُمْ: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ²﴾³ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا؛ خَاطَبْتُنَا فَسَمِعْنَا وَفَهَّمْتَنَا فَفَهَّمْنَا، فَيَا رَبَّنَا؛ وَفَقْنَا وَاسْتَعْمَلْنَا فِيمَا طَلَبْتَهُ مِنَّا مِنْ عِبَادَتِكَ وَتَقْوَاكَ؛ إِذْ لَا حَوْلَ لَنَا وَقُوَّةَ إِلَّا بِكَ، وَمَنْ نَحْنُ حَتَّى تَنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ عُلُوِّ جَلَالِكَ، وَتُنَادِيَنَا وَتَسْأَلَنَا وَتَطْلُبَ مِنَّا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ؛ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْهَيْئَةُ الدُّنْيَا﴾⁴ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا؛ أَسَمِعْتَنَا فَسَمِعْنَا، وَأَعْلَمْتَنَا فَعَلِمْنَا، فَاعْصَمْنَا وَتَعَطَّفَ عَلَيْنَا. فَالْمَنْصُورُ مِنْ نَصْرَتِهِ، وَالْمُوَيَّدُ مِنْ أَيْدِيهِ، وَالْمُخْلُوعُ مِنْ خُدَّتِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ: لَبَّيْكَ يَا رَبِّ؛ ﴿مَا غُرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾⁵ فَيَقُولُ: كَرَمِكَ يَا رَبِّ؛ فَيَقُولُ: صَدَقْتُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا؛ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁶ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁷

1 [الحج : 1]

2 ص 3ب

3 [البقرة : 21، 22]

4 [البقرة : 33]

5 [الأنعام : 6]

6 [آل عمران : 102]

7 [الأحزاب : 70]

يقولون: وأي قول لنا إلا ما نقولنا، وهل لخلق حول أو قوة إلا بك؟ فاجمل نطقنا ذكرك وقولنا تلاوة كتابك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيقولون: لبيك ربنا. فيقول تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾¹ فيقولون: ربنا، أغرىتنا بأنفسنا، لَمَا جعلتها حلاً لإيمانك، فقلت: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾² وقلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾³ والآيات ليست مطلوبة إلا لما تدلّ عليه، وأنت⁴ مدلولها، فكانت تقول في قولك: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾⁵ أي الزمونا وثابروا علينا، وألظوا بنا. ثم قلت: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾⁶ أي حار وتلف، حين طلبنا بفكره، فأراد أن يُدخلنا تحت حكم نظره وعقله. ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ بما عرفتمكم به مني في كتابي، وعلى لسان رسولي، فعرفتموني بما وصفت لكم به نفسي، فما عرفتموني إلا بي، فلم تضلّوا، فكانت لكم هدايتي وتقريري نورا تمشون به على صراطنا المستقيم. فلا يزال أهل الليل هكذا مع الله، في كلّ آية يقرؤونها في صلاتهم، وفي كلّ ذكر يذكرونه به، حتى ينصدع الفجر.

قال محمد بن عبد الجبار الثّقري⁷، وكان من أهل الليل: أوقفني الحق في موقف العلم؛ وذكر الله ما قال له الحق في موقفه ذلك، فكان من جملة ما قال له في ذلك الموقف: يا عبدي؛ الليل لي لا للقرآن يتلى، الليل لي لا للمحمدة والنساء.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾⁸ فاجمل الليل لي كما هو لي، فإنّ في الليل نزولي. فلا أراك في النهار في معاشك، فإذا جاء الليل؛ وطلبك ونزلت إليك، وجدتك نائماً في راحتك، وفي عالم حياتك. وما ثمّ إلا ليل ونهار. فلا في النهار وجدتك، وقد جعلته لك، ولم أنزل فيه إليك، وسلّمته لك. وجعلتُ الليل لي، فنزلتُ إليك فيه لأنّاجيك وأسامرك⁹، وأقضي- حوائجك، فوجدتك قد نمت عني، وأسأت الأدب معي، مع دعواك في محبتي وإيثار جنابي. فقم بين يديّ وسلني حتى أعطيك مسألتك.

1 [الثّالثة : 105]

2 [النّاريات : 21]

3 [صلى : 53]

4 ص 4

5 [الثّالثة : 105]

6 [الثّالثة : 105]

7 الثّقري: (... 354 هـ = ... 965 م) محمد بن عبد الجبار بن الحسن الثّقري، أبو عبد الله: عالم بالدين، متصوف. نسبته إلى بلدة (فر) بين الكوفة والبصرة. من كتبه (المواقف - ط) و (المخاطبات - ط) كلاهما في التصوف (2). (الأعلام للزركلي - (6 / 184))

8 [المزمل : 7]

9 ص 4

وما طلبتك لتتلو القرآن، فتقف مع معانيه، فإن معانيه تفرق عني. فأية تمشي بك في جنتي، وما أعددت لأوليائي فيها. فأين أنا إذا كنت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام، كأنهن الباقوت والمرجان، ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾¹ تسقى ﴿مِنْ رَجِيْقٍ مَخْثُومٍ﴾² ﴿مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾³.

وآية توقفك مع ملائكتي وهم يدخلون عليك من كل باب: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾⁴.

وآية تستشرف بك على جحيم، فتعان ما أعددت فيها لمن عصاني وأشرك بي، من ﴿سُجُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظُلٍّ مِنْ نَحْمُومٍ. لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾⁵ وترى الحطمة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ. نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِيةِ. إِنِّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدةٌ﴾⁶ أي مسلسلة ﴿فِي عَمِدٍ مُّمدَّدةٍ﴾⁷.

أين أنا يا عبدي- إذا تلوت هذه الآية، وأنت بخاطرك وهمتك في الجنة تارة، وفي جحيم تارة، ثم تلو آية، فتمشي بك في القارة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ فِيهِ﴾⁸ ﴿النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المنقوشِ﴾⁹، يوم ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ⁹ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ خَلٍ خَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾¹⁰ وترى في ذلك اليوم من هذه الآية: ﴿يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أُخْبِهِ. وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِيهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾¹¹ وترى العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك، وفي ذلك اليوم تعرضون، فأين أنا والليل لي؟.

فهذا يا عبدي؛ في النهار معاشك، وفي الليل فيما تعطيه تلاوتك من جنة ونار وغرض. فأنت بين آخرة ودنيا وبرزخ، فما تركت لي وقتا تخلو بي فيه لا لنفسك بل لي؟ الليل لي يا عبدي- لا للمحمدة والثناء. تتلوا آية أولئك ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾¹² فتشاهدكم في تلاوتك، وتذكّر في مقاماتهم وأحوالهم، وما أعطيت ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ

1 [الرحمن : 54]

2 [المطففين : 25]

3 [المطففين : 27]

4 [الرعد : 24]

5 [الواقعة : 42 - 44]

6 [المسرة : 5 - 8]

7 [المسرة : 9]

8 [القارعة : 3 - 5]

9 ص 5

10 [الحج : 2]

11 [عبس : 34 - 37]

12 [النساء : 69]

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ¹. فوقفْتُ بالثناء والحمدة مع كلِّ طائفة أثبتت عليهم في كتابي، فأين أنا وأين خلوتك بي؟

ما عرفني ولا عرف مقدار قولي: "الليل لي" وما عرف لماذا نزلت إليك بالليل، إلا العارف الحقُّ، الذي لقيه بعض إخوانه، فقال له: يا أخي؛ اذكرني في خلوتك برئك. فأجابه ذلك² العبد. فقال: إذا ذكرتك فلستُ معه في خلوة. فمثل ذلك عرف قدر نزولي إلى السماء الدنيا بالليل، ولماذا نزلتُ ولمن طلبتُ. فأنا أتلو كتابي عليه بلسانه، وهو يسمع. فتلك مسامرتي، وذلك العبد هو الملتذُّ بكلامي، فإذا وقف مع معانيه، فقد خرج عني بفكره وتأمله.

فالذي ينبغي له: أن يصني إليّ، ويخلي سمعه لكلامي، حتى أكون أنا في تلك التلاوة كما تلوْتُ عليه وأسمعه. أكون أنا الذي أشرح له كلامي، وأترجم له عن معناه. فتلك مسامرتي معه. فيأخذ العلم مني لا من فكره واعتباره.

فلا ييالي بذكر جنة ولا نار، ولا حساب ولا عرض، ولا دنيا ولا آخرة، فإنه ما نظرها بعقله، ولا بحث عن الآية بفكره، وإنما ألقى السمع لما أقوله له وهو شهيد: حاضر معي، أتولّى تعليمه بنفسي فأقول له: يا عبي؛ أردتُ بهذه الآية كذا وكذا، وهذه الآية الأخرى كذا وكذا، هكذا إلى أن ينصدع الفجر. فيحصل من العلوم على يقين ما لم يكن عنده، فإنه متى سمع القرآن، ومتى سمع شرحه وتفسير معانيه، وما أردتُ بذلك الكلام، وبتلك الآية والسورة. فيكون حسن الأدب معي في استماعه وإصاخته.

فإن طالبته بالمسامرة في ذلك، فيجيبني بحضور ومشاهدة؛ يعرض عليّ جميع ما كلمته به، وعلمته إياه. فإن كان أخذه على الاستيفاء وإلا فنَجبر له ما نقصه³ من ذلك، فيكون لي؛ لا له ولا لخلق.

فمثل هذا العبد هو لي، والليل بيني وبينه. فإذا انصدع الفجر استويْتُ على عرشي، أدبر الأمر أفضل الآيات، ويمشي عبي إلى معاشه، وإلى محادثة إخوانه، وقد فتحتُ بيني وبينه، باباً في خلقي، ينظر إليّ منه، وأنظر إليه منه، والخلق لا يشعرون؛ فأحدثه على ألسنتهم، وهم لا يعرفون، ويأخذ مني على بصيرة وهم لا يعلمون؛ فيحسبون أنه يكلمهم وما يكلم سواي، ويظنون أنه يجيبهم وما يجيب إلا إليّ، كما قال بعض أصحاب هذه الصفة:

يَا مُؤْنِسِي بِاللَّيْلِ إِنْ هَجَّ الْوَزَى وَمُخَدِّثِي مِنْ بَيْنِهِمْ يَهْأَرِي

وإذا قد أثبت لك عن أهل الليل؛ كيف ينبغي أن يكونوا في ليلهم. فإن كث منهم فقد علمتكَ الأدب

1 |الأحزاب : 35|

2 |ص 5|

3 |ص 6|

الخاص بأهل الله، وكيف ينبغي لهم أن يكونوا مع الله. واعلم أنه تختلف طبقاتهم في ذلك: فالزاهد حاله مع الله في ليله من مقام زهده، والمتوكل، حاله مع الله من مقام توكله، وكذلك صاحب كل مقام، ولكل مقام لسان، هو الترجمان الإلهي. فهم متباينون في المراتب بحسب الأحوال والمقامات. وأقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجردة عن المواد المحسوسة والخيالية؛ فهم واقفون مع الحق بالحق¹ على الحق، من غير حد ولا نهاية، ووجود ضد.

ومن أهل الليل من يكون صاحب عروج وارتقاء ودنو، فيتلقاه الحق في الطريق، وهو نازل إلى السماء الدنيا، فيتدلى إليه فيضع كفه عليه. وكل همة من كل صاحب معراج، يتلقاها الحق في ذلك النزول حيث وجدها. فمن المهم من يلقاها الحق في السماء الدنيا، ومنها من يلقاها في الثانية وفيما بينهما، وفي الثالثة وفيما بينهما، وفي الرابعة وفيما بينهما، وفي الخامسة وفيما بينهما، وفي السادسة وفيما بينهما، وفي السابعة وفيما بينهما، وفي الكرسي وفيما بينهما، وفي العرش في أول النزول - وفيما بينهما؛ وهو مستوى الرحمن؛ فيعطي لتلك الهمة من المعاني والمعارف والأسرار، بحسب المنزل الذي لقيته فيه، ثم تنزل معه إلى السماء الدنيا.

فتقف المهم بين يديه، ويستشرف الحق على من بقي من المهم، من أهل الليل في محاريهم؛ ما عرجت، فيلقي إليهم الحق تعالى - بحسب ما يسألونه في صلاتهم ودعائهم، وهم في بيوتهم وفي محاريهم، فتسمع تلك المهم، التي لقيته في طريقها، ما يكون منه ^{عجلاً} إلى أولئك العبيد، فيستفيدون علوما لم تكن عندهم. فإنه قد يخطر لهؤلاء الذين ما صعدت همهم من السؤال للحق في المعارف والأسرار، ما لم يكن في قوة هذه² المهم أن تسألها، لقصورها عنها. فإذا سمعوا الجواب من الحق الذي يجيب به أولئك القوم الذين في محاريهم، وما اخترقت همهم سماء ولا فلكا، فيحصل لهم من العلم بالله بقدر ما سأل عنه أولئك الأقوام.

وتم هم آخر، ارتقت فوق العرش إلى مرتبة النفس، فقد تجد الحق هناك وجود تنزيه، ما هو وجودها له مثل وجودها له في عالم المساحة والمقدار؛ فيشاهدون مقاما أنزه، ومنزلا أقدس، وبينية لا يحدها التقدير، ولا يأخذها التصوير. فبينيتها بينية تميز علوم ومراتب فهوم.

ومن المهم من يلقاها في العقل الأول، ومن المهم من تلقاه في المقربين من الأرواح المهيمة، ومن المهم من تلقاه في العماء، ومن المهم من تلقاه في الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم ^{عليه السلام} فإذا لقيته هذه المهم في هذه المراتب؛ أعطاه على قدر تعطشها، من المقام الذي بعثها على الترقى إلى هذه المراتب، وينزلون معه

1 ص 6

2 ص 7

إلى السماء الدنيا. وعلى الحقيقة هو ينزلهم إلى السماء الدنيا، وينزل معهم. فيستفيدون من العلوم التي فيها الحق لتلك المهم، التي ما تعدت العرش. هكذا كل ليلة.

ثم تنزل هذه¹ المهم، وقد عرفت ما أكرما به الحق، فاجتمعت بالهمم التي ما برحت من مكانها، فوجدتهم على طبقات: فمنهم² من وُجد عندهم من العلوم التي لم تتقيد بترق، وكان الحق أقرب إليها من جبل الوريد، حين كان مع أولئك في العماء وفي السماء الدنيا وما بينهما، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾³ فهو مع كل همة حيث كانت. ويجدون هما أرضية قد تقدست عن الأينية، وعن مراتب العقول، فلم تتقيد بخضرة، فتتال من العلوم التي تليق بهذه الصفة التي وهبهم الحق منها، ما حصلوا عليه من المعارف، ما يهت أولئك المهم، وهي من علوم الإطلاق، الخارجة عن الحصر الأيني الفلكي، وعن الحصر-الروحاني العقلي. فهم مع كونهم في ظلمة الطبيعة، على نور أضاءت به تلك الظلمة، لوجود المشاهدة.

وهؤلاء هم الذين يعرفون أن إدراك الأشياء المرئية، إنما هو من اجتماع نور البصر- مع نور الجسم المستنير، شمساً كان أو سراجاً أو ما كان، فتظهر المبصرات. فلو قُيدَ الجسم المستنير ما ظهر شيء، ولو قُيدَ البصر ما أضاء شيء، مما يدركه البصر مع النور الخارج أصلاً.

ألا ترى صاحب الكشف، إذا أظلم الليل، وانقلب عليه باب بيته، ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر، وقد تساوى في عدم الكشف للمبصرات، فيكون أحدهم ممن يكشف له في أوقات؛ فيتجلى له⁴ نور، يجمع ذلك النور مع نور البصر، فيدرك ما في ذلك البيت المظلم، بما أراد الله أن يكشف له منه، كله أو بعضه، يراه مثل ما يراه بالنهار أو بالسراج، ورفيقه الذي هو معه لا يرى إلا الظلمة، غير ذلك لا يراه؟ فإن ذلك النور ما تجلى له، حتى يجمع بنور بصره، فينفّر حجاب الظلمة.

فلو لم يكن الأمر كما ذكرناه، لكان صاحب هذا الكشف مثل صاحبه لا يدرك شيئاً، أو يكون رفيقه مثله يدرك الأشياء، فيكون إما من أهل الكشف مثله، أو يدركه بنور العلم. فإن المكاشف يدركه بنور الخيال كما يدركه النائم- ورفيقه إلى جانبه مستيقظ لا يرى شيئاً. كذلك صاحب الكشف. ولو سألت صاحب الكشف: هل ترى ظلمة في حال كشفك؟ لقال: لا، بل يقول أنا رب البقعة، حتى قلت إن الشمس ما غابت، فأدركت المبصرات كما أدركها نهاراً.

وهذه المسألة: ما رأيت أحداً تبه عليها، إلا إن كان وما وصل إلي. فالكون كله في أصله مظلم، فلا

1 ناجة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 7ب

3 [الحديد : 4]

4 ص 8

يُرى إِلَّا بالنورين، فإنه يحدث هذا الأمر.

ونظيره الذي يؤيده؛ إيجاد العالم. فإنه من حيث ذاته عدم، ولا يكتسب الوجود إلا من كونه قابلا - وذلك لإمكانه- واقتدار الحق المخصص المرجح وجوده على عدمه. فلو¹ زال القبول من الممكن، لكان كالحال لا يقبل الإيجاد. وقد اشترك الحال والممكن قبل الترجيح بالوجود، في عدم. كما أنه مع قبوله، لو لم يكن اقتدار الحق، ما وُجد عين هذا المعدوم، الذي هو الممكن. فلم تظهر الأعيان المعدومة بالوجود إلا بكونها قابلة؛ وهو مثل نور البصر. وكون الحق قادرا، وهو مثل نور الجسم النير.

فظهرت الأعيان كما ظهرت المبصرات بالنورين. فكما أن الممكن لا يزال قابلا، والحق مقتدرا ومريدا، فينحفظ على الممكن إبقاء الوجود. إذ له من ذاته العدم. كذلك الباصر؛ لا يزال نور بصره في بصره، و(لا تزال) الشمس متجلية في نورها، فتحفظ الإبصار المتعلق بالمبصرات، وهي من ذاتها أعني المبصرات- غير منورة، بل هي مظلمة. فاعقل إن كنت تعقل؛ فهذا الأمر أصل ضلال العقلاء، وهم لا يشعرون، لَمَّا لم يعقلوه. وهو سر من أسرار الله تعالى-، حمله أهل النظر.

ومن هذه المسألة يتبين لك قدم الحق وحدث الخلق، لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام، وعلى غير الوجه الذي تعقله الحكماء باللقب لا بالحقيقة؛ فإن الحكماء على الحقيقة هم أهل الله: الرسل والأنبياء والأولياء. إلا أن الحكماء باللقب: أقرب إلى العلم من غيرهم، حيث لم يعقلوا² الله إلا إلها. وأهل الكلام من النظائر ليسوا³ كذلك.

فاقطلب أهل الليل؛ من يكون الليل في حقهم كالنهار، كشفا وشغلا. قال تعالى: ﴿وَأَن تَكُم لَتَمُرُّوْنَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾⁴ أي تعلمون منهم في الصباح، ما تعلمون منهم في الليل. إذ كان ليلا عند غيرهم، ممن ليس له مقام الكشف بالليل، كما لصاحب النور؛ فالليل والصباح عنده سواء. فهذا معنى قوله: ﴿أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾. فإن ادّعت لك نفسك أنك من أهل الليل؛ فانظر هل لها قدم وكشف فيما ذكرت لك، فهو المحك والمعيار. ولكل ليل في القرآن، أمور وعلوم لا يعرفها إلا أهل الليل خاصة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 8

2 ص 9

3 ق: يس.

4 [الصفحات : 137، 138]

5 [الأحزاب : 4]

الباب الثاني والأربعون في معرفة الفتوة والفتيان، ومنازلهم وطبقاتهم، وأسرار أقطابهم

وَفَتَيَانِ صَدَقَ لَا مَلَالَةَ عِنْدَهُمْ	لَهُمْ قَدَمٌ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَمَكْرَمَةٌ
مُقَسَّمَةٌ أَحْوَالُهُمْ فِي جَلِيسِهِمْ	فَهُمْ بَيْنَ تَوْقِيرِ الْقَوْمِ وَمَرْحَةٍ
وَأِنْ ¹ جَاءَ كَفَرُوا آتَرُوهُ بِإِيرِهِمْ	وَلَا تَلْحُقُ الْفَتَيَانُ فِي ذَلِكَ مَنَظَرَةٌ
لَهُمْ مِنْ خَفَايَا ² الْعِلْمِ كُلِّ شَعِيرَةٍ	وَمَا هُوَ مَوْسُومٌ لَدَيْهِمْ بِمَنَسِئَةٍ
كَتَجَلٍ قِيسِي وَالَّذِي كَانَ قَبْلَهُ	وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَمُنُّ بِاللَّهِ أَغْلَمَهُ
بِذَلِكَ حَازُوا السَّبْقَ فِي كُلِّ حَلَبَةٍ	فَلَيْسَ يَجْتَنِبُونَ السَّفِيَةَ بِلَفْظٍ مَهْ
بِمَيِّمَةٍ خُصُّوا تَعَالَى مَقَامُهَا	وَلَيْسَ لَهَا ضِدٌّ يُسَمَّى بِمَشَامَةٍ
فَكَلَّمَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ كَرِيمَةٌ	وَأِنْ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ أَكْرَمَهُ
إِذَا خَلَعَ الْمَوْلَى عَلَى أَهْلِهِ تَرَى	مَلَائِسَهُمْ بَيْنَ الْمَلَائِسِ مُعْلَمَةٌ

اعلم أنَّ للفتوة مقام القوة، وما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء. وخلق الإنسان أقوى من الهواء إذا كان مؤمناً، كذا ورد في الخبر النبوي عن الله تعالى - مع الملائكة، «لَمَّا³ خلق الأرض وجعلت تميد»، الحديث بكلامه وفي آخره: «يا رب؛ فهل خلقت شيئاً أشد من الريح؟ قال: نعم؛ المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شماله».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁴ فنعت الرزاق بالقوة، لوجود الكفران بالمنعم من المرزوقين. فهو يرزقهم مع كفرهم به، ولا يمنع عنهم الرزق والإنعام والإحسان بكفرهم، مع أنَّ الكفر بالنعم⁵ سبب مانع، يمنع النعمة. فلا يرزق الكافر مع وجود الكفر منه لما رزقه، إلّا من له القوة. فلهذا نعت به "ذي القوة المتين" فإنَّ المتانة في القوة تضاعفها، فما اكتفى سبحانه - بالقوة، حتى وصف نفسه بأنه المتين فيها. إذ كانت القوة لها طبقات في التمكن من القوي، فوصف نفسه بالمتانة، وهذه صفة أهل الفتوة.

1 ص وب

2 أضاف في الهامش: خفي، مع إبقاء خفايا في ق وإشارة التصويب عليها.

3 ص 10

4 [الناريات : 58]

5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

فإنَّ الفتوة ليس فيها شيء من الضعف؛ إذ هي حالة بين الطفولة والكهولة؛ وهو عمرُ الإنسان من زمان بلوغه إلى تمام الأربعين من ولادته، يقول الله تعالى- في هذا المقام: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾¹ وذلك حال الفتوة، وفيها يسقى فتى. وما قرن معها شيئاً من الضعف، ثم قال ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾² يعني ضعف الكهولة إلى آخر العمر، ﴿وَشَيْبَةً﴾³ يعني وقاراً، أي سكونا، لضعفه عن الحركة. فإنَّ الوقار من الوقر وهو الثقل. فقرن مع هذا الضعف الثاني، الشيبة التي هي الوقار. فإنَّ الطفل وإن كان ضعيفاً، فإنه متحرك جداً. واختلف في حركته؛ هل هي من الطبيعة أو من الروح؟ روي أنَّ إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال: "يا رب؛ ما هذا؟" قال: "الوقار" قال: "المهّم زدي وقاراً".

فهذا حال الفتوة ومقامها، وأصحابها يُسمّون الفتيان. وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها. ولا يمكن لأحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق، ما لم يعلم الحال التي يصرّفها فيها، ويظهر بها. فالفتيان أهل علم وافر. وقد أفردنا لها باباً في داخل هذا الكتاب، حين تكلمنا على المقامات والأحوال. فمن ادّعى الفتوة، وليس عنده علم بما ذكرناه، فدعواه كاذبة. وهو سريع الفضيحة. فلا ينبغي أن يسقى فتى، إلا من علم مقادير الأكوان، ومقدار الحضرة الإلهية. فيعامل كلّ موجود على قدره من المعاملة، ويقدم من ينبغي أن يقدم، ويؤخر ما ينبغي أن يؤخر.

وتفاصيل هذا المقام، وحكم الطائفة فيه، استوفيناه في رسالة "الأخلاق" التي كتبنا بها للفخر محمد بن⁵ عمر بن خطيب الرّي رحمه الله- فلنذكر منها في هذا الباب الأصل الذي⁶ ينبغي أن يعول عليه. وذلك أنّه ليس في وسع الإنسان أن يسع العالم بمكارم أخلاقه، إذ كان العالم كلّ واقفاً مع غرضه أو إرادته، لا مع ما ينبغي. فلما اختلفت الأغراض والإرادات، وطلب كلّ صاحب غرض أو إرادة، من الفتى أن يعامله بحسب غرضه وإرادته، والأغراض متضادة، فيكون غرض زيد في عمرو أن يعادي خالداً؛ ويكون غرض خالد في عمرو أن يعادي زيدا⁷، أو غرضه أن يواليه ويحبّه ويودّه. فإن تقى مع زيد⁸ عادي خالداً، وذمه خالد، وأتى عليه زيد بالفتوة وكريم الخلق. وإن لم يعاد خالداً ووالاه وأحبّه، أثنى عليه خالد وذمه زيد.

1 (الروم : 54)

2 (الروم : 54)

3 ص 10 ب

4 من س فقط

5 "محمد بن" ثابتة في الهامش بخط آخر، وهي ثابتة في س، هـ.

6 ص 11

7 "عمرو أن يعادي زيدا" هي في الأصل: "زيد أن يعادي عمرو"

8 ق: عمرو

فلما رأينا أنَّ الأمر على هذا الحدّ، وأنّه لا يعمّ ولم يتمكّن عقلا ولا عادة، أن يقوم الإنسان في هذه الدنيا أو حيث كان، في مقام يرضي المتضادين، انبغى للفتى أن يترك هوى نفسه، ويرجع إلى خالقه الذي هو مولاه وسيّده، ويقول: أنا عبد، وينبغي للعبد أن يكون بحكم سيّده، لا بحكم نفسه، ولا بحكم غير سيّده؛ يتبع مرضيه، ويقف عند حدوده ومراسمه، ولا يكن ممن جعل مع سيّده شريكا في عبوديته، فيكون مع سيّده بحسب ما يحدّ له، ويتصرّف فيما يرسم له، ولا ييالي: وافق أغراض العالم أو خالفهم، فإن وافق ما¹ وافق منها، فذلك راجع إلى سيّده.

فخرج له توقيع من ديوان سيّده، على يدي رسولٍ قام الدليل له والعلم، بأنّه خرج إليه من عند سيّده، وأنّ ذلك التوقيع توقيع سيّده، فقام له إجلالا، وأخذ توقيع سيّده، ومع التوقيع مشافهة؛ فشافه العبيد بما أمره السيّد أن يشافهم به. وذلك هو الشرع المقرّر. والتوقيع هو الكتاب المنزل، المسّعى قرآنا. والرسول هو جبريل عليه السلام. وحاجب الباب، الذي يصل إليه الرسول الملّكي من عند الله بالتوقيع والمشافهة، هو النبيّ المبشّر - محمد صلى الله عليه وآله - أو أيّ نبيّ كان من الأنبياء في زمان بعثتهم. فلزم العبيد مراسم سيّدهم، التي ضمنها توقيعهم، والتي جاءت بها المشافهة، فلم يكن لهم في نفوسهم ملك ولا تدبير.

فمن وقف عند حدود سيّده وامتلأ مراسمه، ولم يخالفه في شيء مما جاء به، على حدّ ما رسم له من غير زيادة بقياس أو رأي، ولا نقصان بتأويل - فعامل جسّته من الناس بما أمر أن يعاملهم به، من مؤمن وكافر وعاص ومنافق. وما تمّ إلّا هؤلاء الأصناف الأربعة. وكلّ صنف من هؤلاء على طبقات: فالمؤمن منه طائع وعاص، ووليّ ونبيّ ورسول وملك وحيوان ونبات ومعدن. والكافر منه مشرك وغير مشرك. والمنافق منه ينقص² في الظاهر عن ذكّ الكافر، فإنّ المنافق له التّرك الأسفل من النار، والكافر له الأعلى والأسفل، وأمّا العاصي فينتقص في الظاهر عن درجة المؤمن المطيع بقدر معصيته. فهذا الواقف عند مراسم سيّده هو الفتى.

فكلّ إنسان لا بدّ أن يكون جليسا، لأكبر منه أو أصغر منه أو مكافئا له؛ إمّا في السنّ وإمّا في الرتبة أو فيها. فالفتى من وقرّ الكبير في العلم أو في السنّ، والفتى من رم الصغير في العلم أو في السنّ، والفتى من آثر المكافئ في السنّ أو في العلم.

ولست أعني بقولي: "في العلم" إلّا المرتبة خاصّة. فأتينا بالعلم لشرفه، فإنّ الملك قد يكون صغيرا في السنّ، صغيرا في العلم، ويكون شخص من رعيّته كبيرا في السنّ كبيرا في العلم. فإن عرف الملك قدر ما

رسم له الحق في شرعه، من توقير الكبير وشرف العلم، عامله المليك بذلك، وإن لم يفعل فيكون المليك سيء الملكة.

فينبغي للفتى أن يعرف شرف المرتبة، التي هي السلطنة. وأنه نائب الله في عبادته وخليفته في بلاده. فيعامل من أقامه الله فيها، وإن لم يُجرِ الحق على يديه بما ينبغي للمرتبة، من السمع والطاعة في المنشط والمكروه، على حد ما رسم له سيده، وما هو¹ عليه، مما أقام الله ذلك السلطان فيه، من الأخلاق الحمودة أو المذمومة، في الجور والعدل. فينبغي² للفتى أن يوفي للسلطان حقه الذي أوجبه الله له عليه، ولا يطلب منه حقه الذي جعله الله له قبل السلطان، بما له أن يسأله فيه إن منعه منه، فتوة عليه ورحمة به وتعتظا لمزلاته؛ إذ كان له أن يطلبه به يوم القيامة.

فالفتى من لا خصم له، لأنه فيما عليه يؤديه، وفيما له يتركه؛ فليس له خصم. والفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة، ومعنى هذا أن الله - تعالى - سمعه يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾³ وهذه الحركة الصادرة من الفتى مما بينهما، وكذلك حركة كل متحرك خلقه الله بين السماء والأرض فما هي عبث، فإن الخالق حكيم. فالفتى من يتحرك أو يسكن لحكمة في نفسه. ومن كان هذا حاله في حركاته، فلا تكون حركته عبثا؛ لا في يده، ولا في رجله، ولا شتمه، ولا أكله، ولا لمسه، ولا سمعه، ولا بصره، ولا باطنه؛ فيعلم كل نفس فيه، وما ينبغي له، وما حكم سيده فيه. ومثل هذا لا يكون عبثا. وإذا كانت الحركة من غيره فلا ينظرها عبثا، فإن الله خلقها أي قدرها، وإذا قدرها فما تكون عبثا ولا باطلا؛ فيكون حاضرا مع هذا عند وقوعها في العالم. فإن فتح له بالعلم في الحكمة فيها، فنبخ على بخ، وهو صاحب عناية. وإن لم يفتح له في العلم بالحكمة فيها، فيكفيه حضوره⁴ في نفسه أنها حركة مقدرة، منسوبة إلى الله، وأن لله فيها سرا يعلمه الله، فيؤديه هذا القدر من العلم، إلى الأدب الإلهي.

وهذا لا يكون إلا للفتيان، أصحاب القوة، الحاكين على طبائع النفوس والعادات. ولا يكون في هذا المقام من هذه الطائفة إلا الملامية؛ فإن الله قد ولّاهم على نفوسهم، وأيدهم بروح منه عليها؛ فلهم التصريف التام والكلمة الماضية، والحكم الغالب. فهم السلاطين في صور العبيد، يعرفهم الملأ الأعلى. فليس أحد مما سوى الإنس والجان إلا ويقول بفضل، إلا بعض الثقلين، فإن الحسد يمنهم من ذلك.

فطبقات الفتيان هو ما ذكرناه؛ من يعلم منهم علم الله في الحركات، ومن لا يعلم علم الله في ذلك على

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 12 ب

3 [ص: 27]

4 ص 13

التمين، وإن علم أن ثم أمرا لم يطلعه الله عليه. وأما منزلتهم؛ فهو الذي قلنا في أول الباب، في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾¹ وينظر إلى هذا الإيجاد من الحقائق الإلهية، الآية الأخرى وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾².

فهم يعاملون الخلق بالإحسان إليهم مع إساءتهم لهم، كإعطاء الله الرزق للمرزوقين الكافرين بالله وبينبغي؛ فلهم القوة العظمى على نفوسهم، حيث لم يقلبهم هواهم، ولا ما جُبِلَت النفس عليه³ من حبّ النشاء والشكر والاعتراف.

قال تعالى - حاكيا: ﴿سَمِعْنَا قَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾⁴ فأطلق الله على ألسنتهم فتوة إبراهيم بلسانهم، لما كانت الفتوة بهذه المثابة، لأنه قام في الله حق القيام. ولما أحاطهم على الكبير من الأصنام، على نية طلب السلامة منهم فإنه قال لهم: ﴿فَأَسْأَلُوكُمْ إِن كَانُوا يَنْطَلِقُونَ﴾⁵ يريد توبيخهم، ولهذا رجعوا إلى أنفسهم وهو قوله تعالى: - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾⁶ في كل حال، وإنما سُمي ذلك كذبا لإضافة الفعل في عالم الألفاظ إلى كبيرهم، والكبير (هو) الله على الحقيقة، والله هو الفاعل، المكسر. للأصنام بيد إبراهيم، فإنه يده التي يطش بها، كذا أخبر عن نفسه، فكسر هذه الأصنام التي زعموا أنها آلهة لهم.

ألا ترى المشركين يقولون فيهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁷ فاعترفوا أن ثم إلهًا كبيرا أكبر من هؤلاء، كما هو ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁸ و﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁹.

فهذا الذي قال إبراهيم صحيح في عقد إبراهيم ~~عليه السلام~~، وإنما أخطأ المشركون حيث لم يفهموا عن إبراهيم ما أراد بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾¹⁰ فكان قصد إبراهيم بكبيرهم؛ الله تعالى، وإقامة الحجة عليهم وهو موجود الاعتقادين، وكونهم آلهة؛ ذلك على زعمهم، والوقف عليه¹¹ حسن عندنا تام.

1 [الروم : 54]

2 [الناريا ت : 58]

3 ص 13 ب

4 [الأنبياء : 60]

5 [الأنبياء : 63]

6 [الأنعام : 83]

7 [الزمر : 3]

8 [المؤمنون : 14]

9 [الأعراف : 151]

10 [الأنبياء : 63]

11 عليه أي عند لفظ: "كبيرهم".

وابتدا إبراهيم بقوله: ﴿هَذَا﴾ قولي"، فالخبر محذوف يدلّ عليه مساق القصة¹ ﴿فَأَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾² فهم يخبرونكم، ولو نطقت الأصنام في ذلك الوقت، لنسبت الفعل إلى الله، لا إلى إبراهيم. فإنه مقرر عند أهل الكشف من أهل طريقنا، أنّ الجماد والنبات والحيوان قد فطّرهم الله على معرفته وتسييحه بحمده، فلا يرون فاعلا إلا الله. ومن كان هذا في فطرته، كيف ينسب الفعل لغير الله؟.

فكان إبراهيم على بينة من ربه في الأصنام؛ أنّهم لو نطقوا لأضافوا الفعل إلى الله. لأنّه ما قال لهم: "سلوهم" إلا في معرض الدلالة، سواء نطقوا أو سكتوا، فإن لم ينطقوا يقول لهم: "لِمَ تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكم من الله شيئا" ولا عن نفسه، ولو نطقوا، لقالوا: "إِنَّ اللَّهَ قَطَعْنَا قِطْعًا"، لا يمكن في الدلالة أن تقول الأصنام غير هذا.

فإنّها لو قالت: "الصنم الكبير فعل ذلك بنا" لكذب، ويكون تقريراً من الله لكفرهم، ورداً على إبراهيم عليه السلام فإنّ الكبير ما قطعهم جزاء. ولو قالوا في إبراهيم أنّه قطعنا، لصدّقوا في الإضافة إلى إبراهيم، ولم تلزم الدلالة بنطقهم على وحدانية الله ببقاء الكبير، فيبطل كون إبراهيم قصد الدلالة فلم تقع، ولم يصدق: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾³ فكانت له الدلالة في نطقهم لو نطقوا كما قررنا، وفي عدم نطقهم لو لم ينطقوا.

ومثل هذا ينبغي أن يكون قصد الأنبياء⁴ عليهم السلام، فهم العلماء صلوات الله عليهم - ولهذا ﴿وَجَعَلُوا إِلَىٰ أَشْهُمَ وَقَالُوا إِنَّا أَنكُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾⁵ فقال الله لمثل هؤلاء: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ﴾⁶.

فكان من فتوّته أن باع نفسه في حقّ أحديّة خالقه لا في حقّ خالقه، لأنّ الشريك ما ينفي وجود الخالق، وإنما يتوجّه على نفي الأحديّة، فلا يقوم في هذا المقام إلا من له القطبيّة في الفتوة، بحيث يدور عليه مقاماً.

ومن الفتوة قوله تعالى:- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاهُ﴾⁷ فأطلق عليه باللسان العبراني، معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى، وكان في خدمة موسى عليه السلام وكان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب؛ فإنه

1 ص 14، وربما كانت: القضية

2 [الأنبياء: 63]

3 [الأصنام: 83]

4 ص 14 ب

5 [الأنبياء: 64 65]

6 [الصفّات: 95]

7 [الكهف: 60]

الشارع في تلك الأمة ورسولها، ولكل أمة باب خاص إلهي، شارعهم هو حاجب ذلك الباب، الذي منه يدخلون على الله تعالى. - ومحمد ﷺ هو حاجب الحجاب، لعموم رسالته، دون سائر الأنبياء عليهم السلام. - فهم خجبتهم ﷺ من آدم عليه السلام إلى آخر نبي ورسول.

وإنما قلنا: "إنهم حجبته" لقوله ﷺ: «آدمُ فمن دونه تحت لوائي» فهم توابه في عالم الخلق، وهو روح مجرد، عارف بذلك قبل نشأة جسمه. قيل له: «متى كُتِّ نبيًا؟ فقال: كُتِّ نبيًا وآدم بين الماء والطين» أي لم يوجد آدم بعد، إلى أن وصل زمان ظهور جسده¹ المطهر ﷺ فلم يبقَ حكمٌ لنايب من توابه، من سائر الحجاب الإلهيين؛ وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام، - إلا عنث وجوهم لقيومية مقامه. إذ كان حاجب الحجاب؛ فقرر من شرعهم ما شاءه، بإذن سيده ومرسله، ورفع من شرعهم ما أمر برفعه ونسخه. فرما قال من لا علم له بهذا الأمر: "إن موسى عليه السلام كان مستقلًا مثل محمد بشرعه"، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني» وصدق ﷺ.

فالتقى أبدا في منزل التسخير كما قال عليه السلام: «خادمُ القوم سيدهم» فمن كانت خدمته سيادته، كان عبدا محضا خالصا. ويفضل الفتيان بعضهم على بعض بحسب المتفنى عليه من المنزلة عند الله بوجه، ومن الضعف بوجه. فأعلام من تفنى على الأضعف، من ذلك الوجه، وأعلام أيضا من تفنى على الأعلى عند الله، من ذلك الوجه الآخر. فالمتفنى على الأضعف كصاحب السفرة، وهو الشخص الذي أمره شيخه أن يقرب السفرة إلى الأضياف، فأبطأ عليهم من أجل الثمل الذي كان فيها، فلم ير من الفتوة أن ينفض الثمل من السفرة. فإن من الفتوة أن يصرفها في الحيوان. فوقف إلى أن خرجت الثمل من السفرة من ذاتها، من غير أن يكون لهذا الشخص في² إخراج الثمل تعمل قهري. فإن الفتيان لم القوة وليس لهم القهر، إلا على نفوسهم خاصة. ومن لا قوة له لا فتوة له، كما أنه من لا قدرة له لا حلم له. فقال له الشيخ: لقد دقت.

فهذه مراعاة الأضعف، لكنه ما تفنى مع الأضياف، حيث أبطأ عن المبادرة إلى كرامتهم. فلهذا ربطنا في أول الباب، أنه لا يتمكن لأحد إرسال المكرم في العموم، لاختلاف الأغراض. فينظر الفتى في حق الشخصين المختلفي الأغراض، اللذين إذا أرضى الواحد منها أسخط الآخر، وصورة نظره في حق الشخصين، أيهما أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع. فالذي هو أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع صرف الفتوة معه، فإن اتسع الوقت إلى أن يتفنى مع الآخر بوجه يرضي الله ففعل أيضا، وإن لم يتسع فقد وفى المقام حقه، وكان من الفتيان بلا شك. وإن كان في رقبته الفعل بالهمة، والفعل بالحرص؛ فعل الفتوة مع الواحد حسا، ومع الآخر بالهمة.

دخل رجل على شيخنا أبي العباس العربي، وأنا عنده، فتفاوضا في إيصال معروف، فقال الرجل: يا سيدنا "الأقربون أولى بالمعروف" فقال الشيخ من غير توقّف: "إلى الله".

وأخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الكريم التميمي الفاسي، قال يخبر عن أبي عبد الله الدقّاق، وكان بمدينة فاس، وتذكروا¹ الفعل بالهَمْزة، فقال أبو عبد الله الدقّاق: "فرثٌ بواحدة ما لي فيها شريك: ما اغتبتُ أحدا قطّ، ولا اغتیبَ بحضرتي أحدَ قطّ" فهذا من الفعل بالهَمْزة حيث تفتّى على من عادته أن يفتاب، فيكتسب الأوزار، أن لا يقدر على الغيبة في مجلسه بحضوره، من غير أن يكون من الشيخ نهي له عن ذلك. وفتّى أيضا على الذي يُذكر بما يكره بحضوره، بأنّه لا يذكر فيه بما يكره. وكان سيّد وقته في هذا الباب. خرّج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آتفا في كتاب: "المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد".

فقد علمت، على الحقيقة، أنّ الفتى من بذل وسعه واستطاعته في معاملة الخلق على الوجه الذي يرضي الحقّ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

الباب الثالث والأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين، وعامة ذلك المقام

أَنَا خَتَمُ الْوَلَايَةِ دُونَ شَكِّ	لِيُوزِّي الْهَاشِمِيُّ مَعَ الْمَسِيحِ
كَمَا أَنِّي أَبُو بَكْرٍ عَتِيقٌ	أَجَاهِدُ كُلَّ ذِي جَنْسٍ وَرُوحٍ
بِأَرْزَاحٍ مُتَقَفِّةٍ طُؤَالٍ	وَتَرْجَمَةٍ بِقُزَّانٍ فَصِيحٍ
أَشَدُّ عَلَى كَثِيبَةِ كُلِّ عَقْلٍ	تُثَارِعُنِي عَلَى الْوُخْيِ الصَّرِيحِ
لِي الْوَزْعُ الَّذِي يَنْسُو اغْتِيلَاءَ	عَلَى الْأُخُؤَالِ بِالنَّبَا الصَّحِيحِ
وَسَاعِدُنِي عَلَيْهِ رِجَالُ صِدْقٍ	مِنَ الْوَرَعِينَ مِنْ أَهْلِ الثُّجُوحِ
يُؤَالُونَ الْوُجُوبَ وَكُلُّ نَذْبٍ	وَيَنْسُتُونَ سُلْطَنَةَ الْمُبِيحِ

الكلام على الوزع وأهله، وتركه، يرد في داخل الكتاب في ذكر المقامات والأحوال منه إن شاء الله تعالى، والذي يتعلق بهذا الباب الكلام على معرفة طائفة من أقطابه وعموم مقامه. فاعلم أن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، كان من عامة هذا المقام وأبا يزيد البسطامي وشيخنا أبا² مدين، في زماننا كانا من خاصته. فأعلى (ورع) أقطاب الورعين اجتناب الاشتراك في إطلاق اللفظ؛ إذ كان الوزع اجتناب المحرمات، وكل ما فيه شبهة من جانب المحرم، فيجتنب لذلك الشبهة، وهو المعبر عنه بالشبهات، أي الشيء الذي له شبهة بما جاء النص الصريح بتحريمه؛ من كتاب أو سنة أو إجماع بالحال الذي يوجب له هذا الاسم؛ مثل أكل لحم الخنزير لمن ليس له حال الاضطرار فهو عليه حرام. فلهمنا قلنا بالحال الذي يوجب له هذا الاسم. كما أن المضطر ليس بمخاطب بالتحريم. فأكل لحم الخنزير في حق من حاله الاضطرار هو له حلال بلا خلاف.

ولما كان التحريم معناه المنع من الالتباس به؛ ورأوا أن لذلك أحوالا، وأنه ما تم في الوضع شيء محرم لعينه، ولهذا قيده الشارع بالأحوال، وقد انسحب عليه التحريم للحال. فما هو محرم لعينه أولى بالاجتناب؛ فلا بد من اجتنابه ولا بد؛ باطنا، علما. وقد يحل هذا المحرم لعينه، ظاهرا لحال ما يلزمه. وهذا هو التحريم الذي لا يحل أبدا، من حيث معناه. ولا يصح أن نحى آية شرعية تحله. وهو الانصاف بأوصاف الحق - تعالى - التي بها يكون إليها.

فواجب شرعا وغنلا؛ اجتناب هذه الأسماء الإلهية مَفْعَى. فإن¹ أطلقْتَ لفظاً، فينبغي أن لا تُطلق لفظاً على أحد، إلا تلاوة. فيكون الذي يطلقها تالياً حاكياً كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾² فسماه عزيزاً رءوفاً رحيماً، فنسبته بتسمية الله إياه، ونعتقد أنه ﷺ في نفسه مع ربه، عبدٌ ذليلٌ خاشعٌ أَوَّاهٌ منيبٌ.

فإطلاق الألفاظ التي تُطلق على الحق من الوجه الصحيح الذي يليق بالجناب الإلهي، لا ينبغي أن تُطلق على أحد من خلق الله إلا حيث أطلقها الحق، لا غير. وإن أباح ذلك فالورع ما هو مع المباح، ولا سيما في هذه المسألة خاصة. فلا يطلقها، مع كون ذلك قد أبيض له. فإذا أطلقها على من أطلقها عليه الحق أو الرسول ﷺ فيكون هذا المطلق تالياً أو مترجماً ناقلاً عن رسول الله ﷺ في ذلك الإطلاق.

ثم من الورع عند هؤلاء الرجال؛ أن ينزلوا إلى ما اختصت به الأنبياء والرسل، من الإطلاق. فيتورعوا أن يطلقوا عليهم أو على أحد ممن ليس بنبي ولا رسول اللفظ الذي اختصوا به. فيطلقون على الرسل الذين ليسوا برسول الله لفظ الورثة، والمترجمين؛ فيقولون: "وَصَلَ³ من السلطان الفلاني إلى السلطان الفلاني ترجمانٌ يقول كذا وكذا". فلم يطلقوا على المرسل ولا على المرسل إليه اسم الملك، وزعاً وأدبا مع الله، وأطلقوا عليه اسم السلطان. فإن الملك من أسماء الله. فاجتنبوا هذا اللفظ أدبا وحرمة وورعاً، وقالوا: "السلطان" إذ كان هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله.

وأطلقوا على الرسول الذي جاء من عنده اسم: "الترجمان"، ولم يطلقوا عليه اسم "الرسول"، لأنه قد أطلق على رُسُلِ الله فجعلوه من خصائص النبوة والرسالة الإلهية، أدبا مع رسل الله عليهم السلام. وإن كان هذا اللفظ قد أبيض لهم، ولم يهتوا عنه، ولكن لم يوجب عليهم. فكان لزوم الأدب أولى مع من عرفنا الله أنه أعظم من منزلة عنده، وهذا لا يعرفه إلا الأدباء الورعون.

ثم إن هؤلاء مرتبة أخرى في الورع؛ وهي أنهم ﷺ يجتنبون كل أمر تقع فيه المزاحمة بين الأكوان، ويطلبون طريقاً لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم، ولا من مقامهم. فلا يزاخمون أحداً في شيء مما يتحققون به في نفوسهم، ويتصفون به. ويجتنبون من الله أن يدعوا به في الدنيا والآخرة. وهو ما يكونون عليه من الأخلاق⁴ الإلهية. فيكونون مع تحقُّقهم بمعانيها وظهور أحكامها على ظواهرهم من الرحمة بعباد الله، والتلطُّف بهم، والإحسان إليهم، والتوكل على الله، والقيام بحدود الله، يظهرون في العالم أن جميع ما يرى عليهم أن ذلك فعل الله لا يفعلهم، ويد الله لا ييدهم، وأن المُنْتَى عليه بذلك الفعل، إنما ينبغي أن يتعلق

1 ص 17

2 [النوبة : 128]

3 ص 18

4 ص 18 ب

ذلك الثناء بفاعله، وفاعله هو الله ﷻ لا نحن.

فيتبرؤون من أفعالهم الحسنة غاية التبري، ومن الأوصاف المستحسنة كذلك. وكلّ وصف مذموم شرعا وغرفا يضيفونه إلى أنفسهم، أدبا مع الله تعالى، وورعا شافيا. كما قال الحضر- في العيب: ﴿فَأَزِدْتُ¹﴾ وفي الخير: ﴿فَأَزَادَ رَبُّكَ²﴾ وكما قال الحليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ³﴾ ولم يقل: مرضني. وكما قل تعالى- في معرض التعليم لنا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ⁴﴾ هذا وإن كان الحق في هذا الخبر يحكي قولهم، ولكن فيه تنبيه في التعليم. وكما قال عليه السلام في دعائه، وهو مما يؤيد ما ذهبنا إليه في التنبيه، في هذه الآية فقال: «والخير كله بيدك» فأكد بـ"كل" وهي كلمة تقتضي الإحاطة في اللسان. وقال: «والشر ليس إليك» وإن كان لم يؤكد، واكتفى بالألف واللام، ونفى إضافة الشر- أدبا مع الله وحقيقة.

وهذه المسألة من أغمض المسائل الإلهية، عند أهل الله خاصة. وأمّا أهل النظر، فقد اعتمدت كل طائفة منهم على ما اقتضاه دليلها، في زعمها. وهؤلاء الرجال الغالب عليهم، فهم مقاصد الشرع. فجزوا معه على مقصده، وذلك من بركة الورع والاحترام الذي احترموه به الجنب الإلهي حقيقة لا مجازا. فتح الله لهم بأديهم عين الفهم: في كتبه، وفيما جاءت به رسله مما لا تستقل العقول بإدراكه، وما تستقل. لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم. ففهموا من ذلك كله بهذه العناية ما لم يفهم من لم يتصف بهذه الصفة، ولم يكن له هذا المقام.

ولما كان هذا حال الورعين سلكوا في أمورهم وحركاتهم مسائل العامة، فلم يظهر عليهم ما يميزون به عنهم، واستتروا بالأسباب الموضوعة في العالم، التي لا يقع الثناء بها على من تلبس بها. فلم ينطلق على هؤلاء الرجال في العموم اسم صلاح يخرجهم عن صلاح العامة، ولا توكل ولا زهد ولا ورع ولا شيء مما يقع عليه اسم ثناء خاص، يخرجون به عن العامة، ويشار إليهم فيه، مع أنهم أهل وزع وتوكل وزهد وخلق حسن وقناعة وسخاء وإيثار. فأمثال هذا كله اجتنب رجال الله من هؤلاء الطبقة، فسئوا ورعين في اصطلاح أهل الله، لأنّ الورع الاجتناب.

وتدبر ما أحسن قول من أوتي جوامع الكلم ﷺ كيف قال في هذا المقام، يعلم رجاله كيف يكونون فيه:

1 [الكهف : 79]

2 [الكهف : 82]

3 [الشعراء : 80]

4 [النساء : 79]

5 ص 19

6 ص 19 ب

«دع ما يربيك إلى ما لا يربيك» وقال: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» فأحلمهم على قلوبهم، لما علم ما فيها من سر الله، الخاوية عليه، في تحصيل هذا المقام. ففي القلوب عصمة إلهية لا يشعر بها إلا أهل المراقبة، وفيه ستر لهم. فإن هؤلاء الرجال، لو سألوا، وعُرف منهم البحث والتفتيش في مثل هذا عند الناس، وعند العلماء الذين سئلوا في ذلك بالضرورة، كان يشار إليهم، ويُعتقد فيهم الدين الخالص؛ كبشر الخافي وغيره، وهو من أقطاب هذا المقام، عُرف به وسُلم له.

حكي أن أخت بشر الخافي سألت أحد أئمة الدين هو أحمد بن حنبل¹ في الغزل الذي تنزله لضوء مشاعل الظاهرية إذا مرّوا بها ليلاً، وهي على سطحها؟ فقرئت بهذا السؤال أنها من أهل الورع. ولو عملت على حديث «استفت قلبك» لعلمت أنها² ما سألت حتى رآها، فكانت تدع ذلك الغزل، أو لا تنزل بعد ذلك، ويترك الغزل أفتاها الإمام المستول، وهو أحمد بن حنبل، وأثنى عليها بذلك، حتى نُقل إلينا وسُطر في الكتب.

فأعطانا الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الأغيار، خالصا لله مخلصا لا يعلمه إلا الله ثم صاحبه. وهو قوله: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾³. فكل دين وقع فيه ضرب من الاشتراك المهود أو المذموم، فما هو بالدين الخالص الذي لله، إن كان الذي وقع به الاشتراك محمودا، كمسألة أخت بشر الخافي. وإن وقع الاشتراك بالمذموم، فليس بدين أصلا، فإنه ليس ثم دين إلهي يتعلّق به لسان ذم.

فلما رأى رجال هذا المقام، مراعاة النبي ﷺ ما يحصل في قلب العبد بما قاله وما أحال به الإنسان على نفسه باجتنابه طلبا للستر، تعملوا في تحصيل ذلك، وسلّكوا عليه، وعلموا أن النجاة المطلوبة من الشارع لنا، إنما هي في ستر المقام. فأعطاهم العمل على هذا والتحقيق به، الحقيقة الإلهية التي استندوا إليها في ذلك؛ وهو اجتنابه التجلي سبحانه- لعموم عباده في الدنيا، فاقتدوا برّهم في احتجابه عن خلقه.

فعلم هؤلاء الرجال، أن هذه البار دار ستر، وأن الله ما اكتفى في التعريف بالدين، حتى نَقَّه بالخالص. فطلبوا طريقا لا يشوبهم فيها شيء من الاشتراك، حتى يعاملوا الموطن بما يستحقّه: أدبا وحكمة وشرعا واقتداء. فاستتروا عن الخلق، بجن الورع الذي لا يشعر به، وهو ظاهر الدين، والعلم المهود. فإنهم لو سلّكوا غير المهود في الظاهر في العموم من الدين لتميّزوا، وجاء الأمر على خلاف ما قصده، فكانت أسماؤهم أسماء العامة.

1 "هو أحمد بن حنبل" ثابتة في الهامش مع إشارة الصواب.

2 ص 30

3 [الزمر : 3]

4 ص 20 ب

فهؤلاء الرجال يحمدهم الله، وتحمدُهم الأسماء الإلهية القدسية، وتحمدُهم الملائكة، وتحمدُهم الأنبياء والرسل، ويحمدهم الحيوان والنبات والجماد وكل شيء يسبح بحمد الله. وأمّا الثقلان فيجهلونهم، إلّا أهل التعريف الإلهي؛ فذبتهم يحمدهم ولا يُظهرونهم. وأمّا غير أهل التعريف الإلهي من الثقلين؛ فهم فيهم مثل ما هم في حق العامة، يذكرونهم بحسب أغراضهم فيهم لا غير. فلهم المقام الجهول في العامة.

وأما ثناء الله عليهم؛ فلتعلمهم استخلاصهم الله، فخلصوا له دينه، فأنثى عليهم حيث لم يملكهم كون، ولا حكم على عبوديتهم رب غير الله. وأمّا ثناء الأسماء الإلهية عليهم؛ فكونهم تلقوها وعلّموا¹ تأثيرها وما أثروا بها في كون من الأكوان، فيذكرون بذلك الأمر الذي هو لتلك الاسم الإلهي، فيكون حجاباً على ذلك الاسم. فلما لم يفعلوا ذلك وأضافوا الأثر الصادر على أيديهم للاسم الإلهي، الذي هو صاحب الأثر على الحقيقة، حمدتهم الأسماء الإلهية بأجمعها.

وأما ثناء الملائكة؛ فلا تهم ما زاحمهم فيما نسبوه إلى أنفسهم، بالنسبة لا بالفعل في قولهم: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾² فقال هؤلاء الرجال: "لا حول ولا قوة إلّا بك" فلم يدعوا في شيء مما هم عليه من تعظيم الله، ونسبوا ذلك إلى الله، فأثنت عليهم الملائكة. فإنها مع هذه الحال لم تجرح الملائكة، وتذبذب معها، حيث لم تتعرض للطعن عليها، بما صدر منها في حق أيها آدم عليه السلام واعتذرت عن الملائكة، لإيثارهم جناب الحق، وإصابتهم العلم. فإنه وقع ما قالوه في بني آدم، لا شك: من الفساد وسفك الدماء، ولهذا سِرُّ معلوم.

وأما ثناء الأنبياء والرسل عليهم السلام- فكونهم سلّموا لهم ما ادّعوه أنه لهم، من النبوة والرسالة، وآمنوا بهم، وما توقّفوا مع كونهم على أحوالهم، من أجزاء النبوة قد اتصفوا بها. ولكن مع هذا لم يتسّموا بأنبياء ولا برسل، وأخلصوا في اتباع آثارهم³ قدما بقدم، كما روي عن الإمام أحمد بن حنبل المتبع المقتدي سيّد وقته، في تركه أكل البطيخ لأنه ما ثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله ﷺ فدلّ ذلك على قوة اتباعه كيفيات أحوال الرسول ﷺ في حركاته وسكناته، وجميع أفعاله وأحواله. وإنما عُرف هذا منه لأنه كان في مقام الوراثة في التبليغ والإرشاد، بالقول والعمل والحال. لأن ذلك أمكن في نفس السامع. فهو وأمثاله حفاظ الشريعة على هذه الأمة.

وأما ثناء الحيوان والنبات والجماد عليهم؛ فإن هؤلاء الأصناف عرفوا الحركات التي تسقى عبثاً، من التي لا تسقى عبثاً. فكل من تحرك فيهم بحركة تكون عبثاً عند المتحرك بها لا عند المهرك (لها)، يعلم

1 ص 21
2 [البقرة : 30]
3 ص 21 ب

الناظر منهم المشاهد لتلك الحركة العبيّة، أنّه صاحب غفلة عن الله. ورأت هذه الطائفة أنّها لا تتحرّك في حيوان ولا نبات ولا جهاد بحركة تكون عبثاً. ويلحق بهذا الباب صيد الملوك، ومن لا حاجة له بذلك إلّا الفرجة واللّهو واللعب. فأقضى من ذكرناه من هؤلاء الأصناف على هذه الطائفة.

فالله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا¹﴾² بإمّالكم، حيث لم يؤاخذكم سريعاً بما رددتم من ذلك ﴿عَفْوًا﴾ حيث ستر عنكم تسبيح هؤلاء فلم تفقهوه. وقال - تعالى - في حال من مات مموتاً عند الله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾³ فوصف السماء والأرض بالبكاء على أهل الله. ولا يشكّ مؤمن في كلّ شيء أنّه مسبّح، وكلّ مسبّح حيّ عقلاً. وورد أنّ العصفور يأتي يوم القيامة فيقول: يا ربّ؛ سل هنا، لم قتلتني عبثاً؟ وكذلك من يقطع شجرة لغير منفعة، أو ينقل حجراً لغير فائدة تعود على أحد من خلق الله.

فلما أعطى الله هذه المعارف لهؤلاء الأصناف، لذلك وصفها بالثناء على هؤلاء الرجال، وعرفت ذلك منهم كشفاً جسيماً، مثل ما كان للصحابه سماع تسبيح الحصا وتسبيح الطعام، لأنّهم ليس بينهم وبين الحركة العبيّة دخول، بل يجتنبون ذلك جملة واحدة. ولما حمل أكثر الثقلين هذه العلوم، لذلك لا يعرفون مراتب هؤلاء الرجال؛ فلا يمدحونهم ولا يتعرّضون إليهم. ولهذا أخبر تعالى - أنّ كلّ شيء في العالم يسجد لله - تعالى - من غير تبعّض إلّا الناس فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾⁴ ولم يقصّ ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ فبعض.

فإن فهمت⁵ ما ذكرناه لك من صفة أصحاب هذا المقام، وسلكت طريقهم كث من المفلحين الفاترين ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

انتهى الجزء الثاني والعشرون⁷، يتلوه في الجزء الثالث والعشرين⁸.

1 ع 22

2 [الإسراء : 44]

3 [الدخان : 29]

4 [الحج : 18]

5 ع 22ب

6 [الأحزاب : 4]

7 ق: الثالث والعشرون

8 ق: "الرابع والعشرون". وفي الهامش هلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة للظهير محمود علي، وكتبه ابن العربي". يليه: "بلغ".

بسم الله الرحمن الرحيم¹

الباب الرابع والأربعون
في البهاليل، وأتمتهم في البهيلة

فَلَا تُكْشِهَا حُلَّةَ الْآجِلِ	إِذَا كُنْتَ فِي طَاعَةٍ رَاغِبًا
مَعَ الْوَقْتِ يَجْزُونَ كَالْعَاقِلِ	وَكُنْ كَالْبَهَالِيلِ فِي خَالِهِمْ
وَلَا تُضَيِّرَنَّ إِلَى قَابِلِ	وَحَوْصِلْ مِنَ السُّنْبِلِ ² الْحَاصِلِ
لِيُخْضَلَ مَا لَيْسَ بِالْحَاصِلِ	فَحَوْصَلَةُ الرِّزْقِ قَدْ هُبَيْتُ
يُفْشِكَ الَّذِي هُوَ فِي الْعَاجِلِ	وَلَا تُبَكِّينَ عَلَى فَائِتِ
وَلَا "السَّيْنِ" وَارْحَلْ مَعَ الرَّاجِلِ	و"سَوْفَ" فَلَا تُلْغِفْ حُكْمَهَا
وَمُتْ، حَصَلَتْ عَلَى طَائِلِ	عَسَاكَ إِذَا كُنْتَ ذَا عَزْمَةٍ
تُخْطِطُ فِي شَرِّكَ الْحَاطِلِ	وَقُلْ ³ لِذِي لَمْ يَزَلْ وَاتِّبَا
تُرِنْدُ قِيَا خَيْبَةِ السَّائِلِ	وَمَا ظَفِرْتَ كَفُّكُمْ بِالَّذِي
كَفَعْلِي الْفَتَى الْحَذِرِ الْوَاجِلِ	فَلَوْ كَانَ فَعْلُكَ فِي أَمْرِهِ
يُجَلِّي لَكَ الْحَقُّ كَالْبَاطِلِ	لَمَيِّرْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّذِي

يقول الله تعالى:- ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾⁴ وذلك أنَّ الله قوما كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الأعمال التي كلّفهم الحقُّ تعالى- في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ التصرف فيها شرعا، وشرعها لهم. ولم يكن لهم علم بأنَّ الله تعالى- الحقُّ فجأت لمن خلا به في سرّه، وأطاعه في أمره، وهيناً قلبه لنوره، من حيث لا يشعر. ففجأه الحقُّ على غفلة منه بذلك، وعدم علم، واستعداد لهائل أمرٍ. فذهب بعقله في الذاهبين، وأبقى تعالى- ذلك الأمر الذي فجأه، مشهودا له؛ فقام فيه ومضى معه.

فبقي في عالم شهادته بروحه الحيواني، يأكل⁵ ويشرب ويتصرف في ضروراته الحيوانية، تصرف الحيوان

1 البسطة ص 23

2 صملة الحروف المعجمة ويمكن قراءتها: السبل

3 ص 23 ب

4 [الحج : 2]

5 ص 24

المنطور على العلم بمنافعه المحسوسة ومضارّه، من غير تدبير ولا زوّة، ولا فكر، ينطق بالحكمة ولا علم له بها، -ولا يقصد تفعلك بها- لتتعض وتذكر أنّ الأمور ليست بيدك، وأنتك عندّ مصرّف بتصرف حكيم. سقط التكليف عن هؤلاء؛ إذ ليس لهم عقول يقبلون بها، ولا يفقهون بها. ﴿تَزَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. خُذِ الْعَفْوَ¹ أي القليل مما يجري الله على ألسنتهم من الحكم والمواعظ.

وهؤلاء هم الذين يسمّون عقلاء المجانين. يريدون بذلك أنّ جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمر كوني؛ من غذاء أو جوع وغير ذلك، وإنما كان عن تجلّ إلهي لقلوبهم، وفجأة من فجأت الحق، فجأتهم فذهبت بمقتولهم. فمقتولهم محبوسة عنده؛ منعمة بشهوده، عاكفة في حضرته، منتزهة في جماله. فهم أصحاب عقول بلا عقول، وعرفوا في الظاهر بالمجانين؛ أي المستورين عن تدبير عقولهم. فلهذا سُمّوا عقلاء المجانين.

قيل لأبي السعود بن الشبل البغدادي، عاقل زمانه: "ما تقول في عقلاء المجانين من أهل الله؟" فقال ﷺ: "هم ملاح، والعقلاء منهم أملح". قيل له: "فماذا نعرف مجانين الحق من غيرهم؟" فقال: "مجانين الحق تظهر عليهم² آثار القدرة. والعقلاء يُشْهَدُ الحقّ بشهودهم" أخبرني بذلك عنه صاحبه أبو البدر التياشي - رحمه الله - وكان ثقة ضابطا عارفا بما ينقل، لا يجعل فاء مكان واو. فقال الشيخ: "مَنْ شاهد ما شاهدوا، وأبقي عليه عقله؛ فذلك أحسن وأمكن، فإنّه قد أقيم وأعطي من القوة، قريبا مما أُعْطِيَتِ الرسل".

وإن تغيّروا في وقت الفجآت، فقد علمنا أنّ رسول الله ﷺ لَمَّا فَجِئَهُ الْوَحْيُ، جُبِثَ³ منه رعبا. فأقْبَى خديجة ترجف بوادره فقال: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» وذلك مِنْ تَجَلَّى مَلَكٍ، فكيف به بتجلّي ملك؟! ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾⁴. وكان رسول الله ﷺ إذا جاءه الوحي، ونزل الروح الأمين به على قلبه؛ أخذ عن حسّه، وسُجِّي، ورغاكما يرغو البعير، حتى ينفصل عنه، وقد وَغَى ما جاءه به. فيلقيه على الحاضرين، ويبلغه للسامعين.

فواجده ﷺ من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة من نزول ملك ووارد، في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه. ولكن كان منتظرا مستعدّا لتلك الهول، ومع هذا يؤخّذ عن نفسه. فلولا أنّه رسولّ مطلوب بتبليغ الرسالة وسياسة الأمة، لذهب الله بمقول الرسل لعظيم ما يشاهدونه، فكأنهم الله القويّ المتين من القوة، بحيث يتمكنون من قبول ما⁵ يرد عليهم من الحق، ويوصلونه إلى الناس، ويعملون به.

[الأعراف: 198، 199]

2 ص 24

3 جث الرجل، إذا أفزع، فهو مجزؤث، أي مذعور. [الصالح]

4 [الأعراف: 143]

5 ص 25

فاعلم أنّ الناس في هذا المقام على إحدى ثلاث مراتب؛ منهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها، فيحكم الوارد عليه، فيغلب عليه الحال، فيكون بحكمه يصرفه الحال، ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال. فإن استمرّ عليه إلى آخر عمره، فنلك المسمّى في هذه الطريقة بالجنون. كأبي عقّال المغربي.

ومنهم من يُفسد عقله هناك، ويبقى عليه عقل حيوانيته، فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا رويّة. فهؤلاء يسمّون عقلاء الجانين، لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات. وأمّا مثل أبي عقّال فجنون مأخوذ عنه بالكلّيّة. ولهذا ما أكل وما شرب من حين أخذ إلى أن مات. وذلك في مدّة أربع سنين بمكة. فهو مجنون؛ أي مستور، مطلق عن عالم حسّه.

ومنهم من لا يدوم له حكم ذلك الوارد، فينزول عنه الحال، فيرجع إلى الناس بعقله، فيدبّر أمره ويعقل ما يقول ويقال له، ويتصرف عن تدبير ورويّة، مثل كلّ إنسان؛ وذلك هو النبيّ، وأصحاب الأحوال من الأولياء.

ومنهم من يكون وارده وتجليه مساويا لقوته؛ فلا يرى عليه أثر من ذلك حاكم، لكن يُشعر عندما يُصر أنّ ثمّ أمرا ما طرأ عليه؛ شعورا خفيا، فإنّه لا بدّ لهذا أن يصني إليه شيء إلى ذلك الوارد. حتى يأخذ عنه ما جاء به من عند الحقّ. فخالفه كحال جليسه الذي يكون معك في حديث، فيأتي شخص آخر في أمر من عند الملك إليه؛ فيترك الحديث معك، ويصني إلى ما يقول له ذلك الشخص، فإذا أوصّل إليه ما عنده، رجع إليك، فحادثك. فلو لم تبصره عينك، ورأيت يصني إلى أمر، شعرت أنّ ثمّ أمرا شغله عنك في ذلك. كرجل يحدثك، فأخذته فكرة في أمر، فصرف حسّه إليه في خياله، فجحدت عينه ونظّره، وأنت تحدّثه؛ فتتظر إليه غير قابل حديثك، فتشعر أنّ باطنه متفكّر في أمر آخر، خلاف ما أنت عليه.

ومنهم من تكون قوّته أقوى من الوارد، فإذا أتاه الوارد وهو معك في حديث لم تشعر به، وهو يأخذ من الوارد ما يلقي إليه، ويأخذ عنك ما تحدّثه به أو يحدثك به.

وما ثمّ أمر رابع في واردات الحقّ، على قلوب أهل هذه الطريقة. وهي مسألة غلط فيها بعض أهل الطريق، في الفرق بين النبيّ والوليّ. فقالوا: الأنبياء يصرفون الأحوال، والأولياء تصرفهم الأحوال. فالأنبياء مالكون أحوالهم، والأولياء مملوكون لأحوالهم. والأمر إنّما هو كما فصلناه لك. وقد يتّكّل لماذا يُردّ الرسول،

وَيُحْفَظُ عَلَيْهِ عَقْلُهُ، مَعَ كَوْنِهِ يُوْخِذُ -وَلَا يَدَّ- عَنْ حَسَنِهِ، فِي وَقْتِ وَارِدِ الْحَقِّ عَلَى قَلْبِهِ بِالْوَحْيِ الْمُنْزَلِ. فَانْهَمِ
ذَلِكَ وَتَحَقَّقْهُ.

وَقَدْ لَقِينَا جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَعَاشَرْنَا هُمْ، وَاقْتَبَسْنَا مِنْ¹ فَوَائِدِهِمْ. وَلَقَدْ كُنْتُ وَاقِفًا عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَالنَّاسُ قَدْ
اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: "أَطِيعُوا اللَّهَ يَا مَسَاكِينُ؛ فَإِنَّكُمْ مِنْ طِينِ خُلُقْتُمْ، وَأَخَافُ
عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْبُخَ النَّارُ هَذِهِ الْأَوَانِي، فَتَرُدَّاهَا² فُخَارًا. هَلْ رَأَيْتُمْ قَطْرَ آيَةٍ مِنْ طِينٍ، تَكُونُ فُخَارًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ
تَطْبُخَهَا نَارًا؟".

يَا مَسَاكِينُ؛ لَا يَفَرِّتُكُمْ إِبْلِيسُ، بِكَوْنِهِ يَدْخُلُ النَّارَ مَعَكُمْ، وَتَقُولُونَ: اللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾
وَمَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ³؟ إِبْلِيسُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نَارٍ، فَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ، وَأَنْتُمْ مِنْ طِينٍ تَتَحَكَّمُ النَّارُ فِي
مَفَاصِلِكُمْ.

يَا مَسَاكِينُ؛ انْظُرُوا إِلَى إِشَارَةِ الْحَقِّ فِي خُطَابِهِ لِإِبْلِيسَ، بِقَوْلِهِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ وَهَذَا: قَفٌّ، وَلَا
تَقْرَأْ مَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ: ﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾⁴ فَمَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ، وَجَاءَ
إِلَى دَارِهِ، وَاجْتَمَعَ بِأَهْلِهِ، مَا هُوَ مِثْلُ الْغَرِيبِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ، فَهُوَ رَجَعَ إِلَى مَا بِهِ افْتَخَرَ، قَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾⁵ فَسُرُورُهُ: رَجُوعُهُ إِلَى أَصْلِهِ. وَأَنْتُمْ يَا مَنَاجِسُ؛ تَتَفَخَّرُونَ⁶ بِالنَّارِ طِينَتُكُمْ. فَلَا تَسْمَعُوا مِنْ
إِبْلِيسَ وَلَا تَطِيعُوا، وَاهْرَبُوا إِلَى مَحَلِّ النُّورِ تَسْعُدُوا.

يَا مَسَاكِينُ؛ أَنْتُمْ عَمِيٌّ مَا تَبْصُرُونَ الَّذِي أَبْصَرَهُ أَنَا، تَقُولُونَ: سَقَفَ هَذَا الْمَسْجِدِ مَا يُمْسِكُهُ إِلَّا هَذِهِ
الْأَسْطُوَانَاتُ. أَنْتُمْ تَبْصُرُونَهَا اسْطُوَانَاتٍ مِنْ رَخَامٍ، وَأَنَا أَبْصَرْتُ رِجَالًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَعْبُدُونَهُ. بِالرِّجَالِ تَقُومُ
السَّمَاوَاتُ، فَكَيْفَ هَذَا الْمَسْجِدُ؟ مَا أَدْرِي: إِمَّا أَنَا هُوَ الْأَعْمَى لَا أَبْصُرُ الْاسْطُوَانَاتِ حِجَارَةً⁸، وَإِمَّا أَنْتُمْ هُمْ
الْعَمِيُّ لَا تَبْصُرُونَ هَذِهِ الْاسْطُوَانَاتِ رِجَالًا. وَاللَّهُ يَا إِخْوَتِي- مَا أَدْرِي، لَا وَاللَّهِ، أَنْتُمْ هُمْ الْعَمِيُّ".

ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِي دُونَ الْجَمَاعَةِ. فَقَالَ: يَا شَابُّ؛ أَلَسْتُ أَقُولُ الْحَقَّ؟ قُلْتُ: بَلَى. ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ،
فَجَعَلَ يَضْحَكُ. وَقَالَ: "يَا نَاسُ؛ الْأُسْتَاةُ الْمُنْتَبِهَةُ تُصَفِّرُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ. وَهَذَا الشَّابُّ مُنْتَبِهٌ مِثْلِي. هَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ

1 ص 26

2 ق: فَرَدَّهَا.

3 [ص: 85]

4 [الرَّحْمَنُ: 15]

5 [الْأَعْرَافُ: 12]

6 ق: تَفَخَّرَ

7 ص 26 ب

8 ثَابِتَةٌ فِي الْهَامِشِ بِهَمْزٍ الْأَصْلِ.

جلسه يجلس إلى جانبي، ويصدقني. أتم الساعة تحسبونه عقلا، وأنا مجنون. هو أجنُّ منِّي بكثير. وإنما أتم كما أعماكم الله عن رؤية هذه الاسطوانات رجالا، أعماكم أيضا عن جنون هذا الشاب. ثم أخذ بيدي. وقال لي: قم امش بنا عن هؤلاء. فخرجت معه. فلما فارق الناس ترك يدي من يده وانصرف عني.

وهو من أكبر من لقيته من المعتوهين. كنت إذا سألته ما الذي ذهب بعقلك؟ يقول لي: أنت هو المجنون حقًا، ولو كان لي عقل؛ كنت تقول لي: ما الذي ذهب بعقلك؟! أين عقلي حتى يخاطبك؟ قد أخذه معه. ما أدري ما يفعل به، وتركني هنا في جملة البواب: أكل وأشرب، وهو يدبرني. قلت له: فمن يركبك إذا كنت دابة؟ قال: أنا دابة وحشية لا أركب. ففهمت أنه يريد خروجه عن عالم الإنس، وأنه في مفاوز المعرفة، فلا حكم للإنس عليه.

وكذلك كان¹ محفوظا من أذى الصبيان وغيرهم، كثير السكوت مبهوتا، دائم الاعتبار، يلزم المسجد، ويصلي في أوقات. فرما كنت أسأله عندما أراه يصلي، أقول له: أراك تصلي؟! يقول لي: لا والله، إنما أراه يتيمني ويقعدني، ما أدري ما يريد بي. أقول له: فهل تنوي في صلاتك هذه، أداء ما افترض الله عليك؟ فيقول لي: أيش تكون النية؟ أقول له: القصد بهذه الأعمال القرية إليه. فيضحك ويقول: أنا أقول له: أراه يتيمني ويقعدني، فكيف أنوي القرية إلى من هو معي، وأنا أشهده ولا يغيب عني، هذا كلام الجانين، ما عندكم عقول.

ثم لتعلم أن هؤلاء البهاليل؛ كهلول وسعدون من المتقدمين، وأبي وهب الفاضل وأمثالهم، منهم المسرور ومنهم المحزون، وهم في ذلك بحسب الوارد الأول الذي ذهب بعقولهم. فإن كان وارد قهر قبضهم؛ كيعقوب الكوراني؛ كان بالجسر. الأبيض، رأيتُه وكان على هذا القدم، وكذلك مسعود الحبشي؛ رأيتُه بدمشق ممتزجا بين القبض والبسط، الغالب عليه البهت. وإن كان وارد لطف بنظهم.

رأيت من هذا الصنف جماعة كأبي الحجاج الفليري وأبي الحسن علي السلاوي. والناس لا يعرفون ما ذهب بعقولهم، شغلهم² ما تجلّى لهم عن تدبير نفوسهم، فسخر الله لهم الخلق؛ فهم مشتغلون بمصالحهم عن طيب نفس، فأشهى ما إلى الناس أن يأكل واحد من هؤلاء عنده، أو يقبل منه ثوبا، تسخيرا إلهيًا. فجمع الله لهم بين الراحة؛ حيث يأكلون ما يشتهون، ولا يخاسبون ولا يسألون.

وجعل لهم القبول في قلوب الخلق، والمحبة والعطف عليهم، واستراحوا من التكليف، ولهم عند الله

﴿أَجْرٌ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾¹ في مدّة أعمارهم، التي ذهبت بغير عمل. لأنّه سبحانه- هو الذي أخذهم إليه؛ لحفظ عليهم نتائج الأعمال، التي لو لم يذهب بقولهم لعملوها؛ من الخير. كن بات نائمًا على وضوء، وفي نفسه أن يقوم من الليل يصلي، فيأخذ الله بروحه فينام حتى يصبح، فإنّ الله يكتب له أجر من قام ليله، لأنّه الذي حبسه عنده، في حال نومه. فالحاطب بالتكليف منهم، وهو روحهم، غائب في شهود الحق، الذي ظهر سلطانه فيهم. فإلهم أذن واعية لحفظ السماع من خارج وتعلّل ما جاء به.

ولقد ذقت هذا المقام، ومرّ عليّ وقتٌ أوّدي فيه الصلوات الخمس، إمامًا بالجماعة، على ما قيل لي، بإتمام الركوع والسجود، وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال. وأنا في هذا كلّه لا علم لي بذلك؛ لا بالجماعة ولا² بالخلّ ولا بالحال ولا بشيء من عالم الحسّ، لشهود غلب عليّ، غبت فيه عني وعن غيري، وأخبرت أنّي كنت إذا دخل وقت الصلاة، أقيم الصلاة وأصلي بالناس. فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم له بذلك. فعلمت أنّ الله حفظ عليّ وقتي، ولم يُجر عليّ لسان ذنب، كما فعل بالشبلي في ولّيه، لكنّه كان الشبلي يردّ في أوقات الصلوات على ما روي عنه. فلا أدري هل كان يعقل ردّه، أو كان مثل ما كنت فيه، فإنّ الراوي ما فضل. فلما قيل للجنيد عنه. قال: "الحمد لله الذي لم يُجر عليه لسان ذنب".

إلا أنّي كنت في أوقاتٍ في حال غيبي، أشاهد ذاتي في النور الأعمّ، والتجلّي الأعظم بالعرش العظيم، يُصلى بها. وأنا غريّ عن الحركة، بمعزل عن نفسي. وأشاهدها بين يديه، راکعة وساجدة. وأنا أعلم أنّي أنا ذلك الراكع والساجد، كروية النائم، واليد في ناصيتي. وكنت أتعجب من ذلك. وأعلم أنّ ذلك ليس غري، ولا هو أنا. ومن هناك عرفتُ المكلف والتكليف والمكلف -اسم فاعل واسم مفعول.

فقد أبنت لك حالة المأخوذین عنهم، من المجانين الإلهيّین، إيانة ذائق بشهود حاصل. ﴿وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 [الكهف : 30]

2 ص 28

3 [الأحراب : 4]

الباب¹ الخامس والأربعون

في معرفة من عاد بعد ما وصل، ومن جعله يعود

وَجُودُكَ عَنْ تَذِيرِ أَمْرِ مُحَقِّقٍ	وَتَفْصِيلِ آيَاتِ لَوْ أَنَّكَ تَقِيلُ
فَبِأَيِّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّ ذَاتَكُمْ	بِرَبِّ يَرَى الْأَشْيَاءَ تَقْلُو وَتَسْفُلُ
فَبِأَيِّ كُنْتُمْ ذَا عَقْلٍ وَفَهْمٍ وَفُطْنَةٍ	عَلِمْتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ بِالْأُمْسِ تَجْهَلُ
وَذَلِكَ أَنْ تَذِيرِي بِأَنَّكَ قَابِلٌ	لِقُرْبٍ وَنَعْدٍ بِالَّذِي أَنْتَ تَقْمَلُ
خُفِّ رَّبِّ تَذِيرٍ وَتَفْصِيلٍ مُجْمَلٍ	فَذَلِكَ الَّذِي بِالْعَبْدِ أَوَّلَى وَأَجْمَلُ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُكَ الْيَوْمَ ذَائِبًا	لَعَلَّ بِشَارَاتِ بِسَفْدِكَ تَخْضَلُ
فَبِأَيِّ جَلَالِ الْحَقِّ يَغْظُمُ قَدْرُهُ	وَفِي الْخَلْقِ يَنْضِي مَا يَنْشَأُ وَيَقْصِلُ
إِذَا ² أَخَذَ الْمَوْلَى قُلُوبَ عِبَادِهِ	إِلَيْهِ وَيَنْضِي مَا يَنْشَأُ وَيَقِيلُ
فَمِنْ شَاءَ أَبْقَاهُ لَدَيْهِ مُكْرَمًا	وَرَدَّ الَّذِي قَدْ شَاءَ لِمَا كَانَ يَأْمُلُ
وَذَلِكَ نَبِيٌّ أَوْ رَسُولٌ وَوَارِثٌ	وَمَا تَمَّ إِلَّا هَؤُلَاءِ فَأَجْمَلُوا
وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا وَاحِدًا وَهُوَ وَارِثٌ	وَالْإِثْنَانِ قَدْ رَاحَا فَمَا لَكَ تَقِيلُ
فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ الْوَلِيَّ بِرَاحَةٍ	لِيَنْفِطَهُ فِيهَا الَّذِي هُوَ أَنْفَضُ

قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» و«إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَا وَرَّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ» وَلَمَّا كَانَتْ حَالَتُهُ ﷺ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَفَقَهُ لِعِبَادَتِهِ بِمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، يَتَحَنَّنُ فِيهِ عَنَّا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ - بِهِ ﷺ إِلَى أَنْ فَجَّهَ الْحَقُّ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالرَّسَالَةِ، وَعَرَفَهُ بِنُبُوَّتِهِ. فَلَمَّا تَهَرَّثَ عِنْدَهُ³؛ أَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَبِسِرَاجِهَا مُنِيرًا⁴، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ ﷻ عَلَى بَصِيرَةٍ.

فالوارث الكامل من الأولياء منّا، مَنْ انقطع إلى الله بشريعة رسول الله ﷺ إلى أَنْ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ فِي قَلْبِهِ، فِي فَهْمٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِتَجَلٍّ إِلَهِيٍّ فِي بَاطِنِهِ، فَرَزَقَهُ الْفَهْمَ فِي كِتَابِهِ ﷻ

1 ص 28 ب

2 ص 29

3 ص 29 ب

4 [الأحزاب : 45، 46]

وجعله من الهدّئين في هذه الأُمة. فقام له هذا مقام الملك الذي جاء إلى رسول الله ﷺ، ثم رَدَّه الله إلى الخلق، يُرشدُهم إلى صلاح قلوبهم مع الله، ويفرّق لهم بين الخواطر الحمودة والمذمومة، ويبين لهم مقاصد الشرع، وما ثبت من الأحكام عن رسول الله ﷺ وما لم يثبت، بإعلام من الله؛ آتاه رحمة من عنده، وعلمه من لئنه علما. فيرقيّ همهم إلى طلب الأنفس بالمقام الأقدس، ويرغّبهم فيما عند الله، كما فعل رسول الله ﷺ في تبليغ رسالته.

غير أنّ الوارث لا يحدث شريعة، ولا ينسخ حكما مقررا، لكن يبين. فإنّه على بينة من ربه، وبصيرة في علمه ﴿وَيُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُمْ﴾¹ بصدق اتّباعه. وهو الذي أشركه الله - تعالى - مع رسوله ﷺ في الصفة التي يدعو بها إلى الله فأخبر² وقال: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾³ وهم الورثة. فهم يدعون إلى الله على بصيرة. وكذلك شركهم مع الأنبياء - عليهم السلام - في الحقنة، وما ابتلوا به، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾⁴ وهم الورثة. فشرّك بينهم في البلاء، كما شرّك بينهم في الدعوة إلى الله.

فكان شيخنا أبو مدين رحمه الله كثيرا ما يقول: "من علامات صدق المرید في إرادته، فراره عن الخلق". وهذه حالة الرسول ﷺ في خروجه وانقطاعه عن الناس في غار حراء، للتحنّث. ثم يقول: "ومن علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحقّ" فما زال رسول الله ﷺ يتحنّث في انقطاعه حتى فجّنه الحقّ. ثم قال: "ومن علامات صدق وجوده للحقّ، رجوعه إلى الخلق" يريد حالة بغّثه ﷺ بالرسالة إلى الناس، ويعني في حقّ الورثة بالإرشاد، وحفظ الشريعة عليهم.

فأراد الشيخ بهذا، صفة الكمال في الورث النبويّ، فإنّ لله عبادا، إذا فجّنه الحقّ أخذهم إليه، ولم يردّهم إلى العالم، وشغلهم به. وقد وقع هذا كثيرا. ولكنّ كمال الورث النبويّ الرساليّ (هو) في الرجوع إلى الخلق. فإنّ اعتراضك هنا قول أبي سليمان الناريّ: لو وصلوا ما رجعوا. إنّما⁵ ذلك فمن رجع إلى شهواته الطبيعية ولذاته وما تاب منه إلى الله. وأمّا الرجوع إلى الله - تعالى - بالإرشاد، فلا. يقول: لو لاح لهم بارقة من الحقيقة، ما رجعوا إلى ما تابوا إلى الله منه، ولو رأوا وجه الحقّ فيه. فإنّ موطن التكليف والأدب يمنعهم من ذلك.

1 [هود : 17]

2 ص 30

3 [يوسف : 108]

4 [آل عمران : 21]

5 ص 30 ب

وأما قول الآخر من أكابر الرجال، لَمَّا قِيلَ لَهُ: فلان يزعم أَنَّهُ وصل. فقال: إلى سقر. فَإِنَّهُ يريد بهذا أَنَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ محدود، يوصل إليه، وهو القاتل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾¹ أو تَمَّ أمر إذا وصل إليه، سقطت عنه الأعمال المشروعة، وأَنَّهُ غير مخاطب بها، مع وجود عقل التكليف عنده. وإنَّ ذلك الوصول أعطاه ذلك. فهو هذا الذي قال فيه الشيخ: "إلى سقر" أي هذا لا يصح. بل الوصول إلى الله، يقطع كل ما دونه، حتى يكون الإنسان يأخذ عن ربّه. فهذا لا تمنعه الطائفة، بلا خلاف.

وكان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي يقول: "بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كزود، ونحن في أسفل العقبة، من جهة الطبيعة. فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى نصل إلى أعلاها، فإذا استشرفنا على ما وراءها من هناك لم نرجع. فإنَّ وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه". وهو قول أبي سليمان الداراني: "لو وصلوا ما رجعوا" يريد: إلى رأس العقبة.

فمن رجع من الناس، إنما رجع من قبل الوصول إلى رأس العقبة والإشراف على² ما وراءها. فالسبب الموجب للرجوع مع هذا إنما هو طلب الكمال. ولكن لا ينزل بل يدعوهم من مقامه ذلك، وهو قوله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ فيشهد، فيُعَرَف المدعو على شهود محقق. والذي لم يَرِدْ، ما له وجه إلى العالم، فيبقى هناك واقفا. وهو أيضا المستقى بالواقف. فَإِنَّهُ ما وراء تلك العقبة تكليف. ولا ينحدر منها إلا من مات. إلا أَنَّهُ منهم - أعني من الواقفين - من يكون مستهلكا فيما يشاهده هناك. وقد وُجد منهم جماعة. وقد دامت هذه الحالة على أبي يزيد البسطامي. وهذا كان حال أبي عقاب المغربي وغيره.

واعلم أَنَّهُ بعد ما أعلمتك ما معنى الوصول إلى الله؛ فاعلم أَنَّ الواصلين على مراتب: منهم من يكون وصوله إلى اسم ذاتي لا يدلّ إلا على الله تعالى. من حيث هو دليل على الذات، كالأسماء الأعلام عندنا، لا يدلّ على معنى آخر مع ذلك يُعقل. فهذا يكون حاله الاستهلاك، كالملائكة المهيمين في جلال الله تعالى. والملائكة الكروبيين، فلا يعرفون سيّوَاهُ، ولا يعرفهم سيّوَاهُ سبحانه. ومنهم من يصل إلى الله من حيث الاسم الذي أوصله إلى الله، أو من حيث الاسم الذي يتجلى له من الله ويأخذه من الاسم الذي أوصله إليه سبحانه.

ثمَّ إنَّ هذين الرجلين المذكورين، أو الشخصين، فَإِنَّهُ قد يكون منهم النساء، إذا وصلوا. فإن كان وصولهم من³ حيث الاسم الذي أوصلهم، فشاهدوه فكان لهم عين يقين؛ فلا يخلو ذلك الاسم إمّا أن

[1] الحديد: 4

2 ص 31

3 ص 31 ب

يطلب صفة فعل كخالقي وبارئ، أو صفة صفة كالشكور والحسيب، أو صفة تنزيه كالغني، فيكون بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم؛ ومن ثم يكون مشربته وذوقه ورثته ووجوده لا يتعداه. فيكون الغالب عليه عندنا في حاله، ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي، فنضيفه إليه وبه تدعوه، فتقول: عبد الشكور، وعبد الباري، وعبد الغني، وعبد الجليل، وعبد الرزاق.

وإن كان وصولهم إلى اسم غير الاسم الذي أوصلهم، فإنه يأتي بعلم غريب لا يعطيه حاله، بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم. فيتكلم بفرائب العلم في ذلك المقام. وقد يكون في ذلك العلم ما ينكره عليه من لا علم له بطريق القوم، ويرى الناس أن علته فوق حاله. وهو عندنا أعلى من الذي وصل إلى مشاهدة الاسم الذي أوصله، فإن هذا لا يأتي بعلم غريب لا يناسب حاله. فيرى الناس أن علته تحت حاله ودونه. يقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله: "العارف فوق ما يقول، والعالم تحت ما يقول". فهذا قد حصرنا لك مراتب الواصلين؛ فمنهم من يعود ومنهم من لا يعود.

ثم إنَّ الراجعين على قسمين: منهم من يرجع اختياراً كأبي مدين. ومنهم¹ من يرجع اضطراراً مجبوراً. كأبي يزيد لما خلع عليه الحق، الصفات التي بها ينبغي أن يكون وارثاً، ورائة إرشاد وهداية. خطأ خطوة من عنده، فغشي عليه. فإذا النداء: "رتوا عليّ حبيبي، فلا صبر له عني". فمثل هذا لا يرغب في الخروج إلى الناس، وهو صاحب حال.

وأما العالي من الرجال؛ وهم الأكابر. وهم الذين ورثوا من رسول الله ﷺ عبوديته، فإن أمروا بالتبليغ، فيحتلون في ستر مقامهم عن أعين الناس، ليظهروا عند الناس بما لا يُعلمون، في العادة، أنهم من أهل الاختصاص الإلهي. فيجمعون بين الدعوة إلى الله، وبين ستر المقام. فيدعونهم بقراءة الحديث، وكتب الرقائق، وحكايات كلام المشايخ، حتى لا تعرفهم العامة إلا أنهم ثقلة، لا أنهم يتكلمون عن أحوالهم، من مقام القرية. هذا إذا كانوا مأمورين ولا بد. وإن لم يكونوا مأمورين بذلك، فهم مع العامة، التي لم تنزل مستورة الحال، لا يُعتقد فيهم خير ولا شر.

ثم إنَّ من الرجال الواصلين، من لا يكشف لهم عن العلم بالأسماء الإلهية التي تدبرهم، ولكن لهم ظفر إلى الأعمال المشروعة التي يسلكون بها، وهي ثمانية: يد ورجل وبطن ولسان وسمع وبصر وفرج وقلب، ما ثم غير ذلك. فهؤلاء يفتح لهم عند وصولهم في عالم المناسبات؛ فينظرون فيما يفتح² لهم عند الوصول إلى الباب الذي قرعوه. فعندما يفتح لهم يعرفون فيما يتجلى لهم من الغيب أي باب ذلك الباب الذي فتح لهم.

فإن كان المشهود لم يطلب اليد، بمناسبة تظهر لهم، كان صاحب يد. وإن كان يطلب بمناسبة البصر؛ كان صاحب بصر. وهكذا جميع الأعضاء. ومن ذلك الجنس تكون كراماته إن كان ولياً، ومعجزاته إن كان نبياً. ومن ذلك الجنس تكون منازلهم ومعارفهم. كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ: «فمن يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يركع ركعتين لا يحدث نفسه فيها بشيء؛ فتحت له الثمانية الأبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء» كذلك هذا الشخص يفتح له من أعمال أعضائه، إذا كملت طهارته وصفاً سره، أي شيء كان، مما تعطيه أعمال أعضائه المكلفة. وقد بينا هذه المراتب العملية على الأعضاء في كتاب "مواقع النجوم".

ثم إن الله سبحانه يمدهم من الأنوار بما يناسبهم، وهي ثمانية من حضرة النور: فمنهم من يكون إمداده من نور البرق، وهو المشهد الناقى. وهو على ضربين: حُلْبٌ وغير حُلْب. فإن لم ينتج مثل صفات التنزيه، فهو البرق الحُلْب، وإن أنتج ولا ينتج إلا أمراً واحداً، لأنه ليس لله صفة نفسية سيوى واحدة، هي عين ذاته لا يصح أن تكون اثنان، فإن اتفق أن¹ يحصل له من هذا النور البرقي، في بعض كشف تعريف إلهي، لا يكون برق حُلْب.

ومنهم من يكون إمداده من حضرة النور: نور الشمس. ومنهم من يكون إمداده من نور البدر. ومنهم من يكون إمداده من نور القمر. ومنهم من يكون إمداده من نور الهلال. ومنهم من يكون إمداده من نور السراج. ومنهم من يكون إمداده من نور النجوم. ومنهم من يكون إمداده من نور النار. وما ثم نور أكثر. وقد ذكرنا مراتب هذه الأنوار في "مواقع النجوم" أيضاً، فيكون إدراكهم على قدر مراتب أنوارهم، فتتميز المراتب بتميز الأنوار، وتميز الرجال بتميز المراتب.

ومن الرجال الواصلين من ليس لهم معرفة بهذا المقام، ولا بالأسماء الإلهية. ولكن لهم وصول إلى حقائق الأنبياء ولطائفهم. فإذا وصلوا فتح لهم باب من لطائف الأنبياء، على قدر ما كانوا عليه من الأعمال في وقت الفتح. فمنهم من تتجلى له حقيقة موسى عليه السلام، فيكون موسوي المشهد، ومنهم من تتجلى له لطيفة عيسى. وهكذا سائر الرسل. فينسب إلى ذلك الرسول بالوراثه، ولكن من حيث شريعة محمد ﷺ المقررة من شرع ذلك النبي الذي تجلى له.

فيجد هذا الواصل، أنه كان محققاً في عمله، الموجب لفتح من جهة ظاهره أو باطنه، شرع² نبوي متقدم. مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾³ فإن ذلك من شرع موسى. وقرره الشارع لنا، فمن

1 ص 33
2 ص 33 ب
3 [طه : 14]

خرج عنه وقت الصلاة بنوم أو نسيان. فهؤلاء يأخذون من لطائف الأنبياء عليهم السلام. ولقينا منهم جماعة. وليس لهؤلاء في الأنوار، ولا في الأعضاء، ولا في الأسماء الإلهية، ذوق ولا شرب ولا شرب.

ومن الواصلين أيضا إلى الله تعالى، الوصول الذي بيّناه، من يجمع الله له الجميع. ومنهم من يكون له من ذلك مرتبتان وأكثر، على قدر رزقه الذي قسمه الله له منه. وكل إنسان من هؤلاء، إذا زُدد إلى الخلق بالإرشاد والهداية، لا يتعدى ذوقه في أي مرتبة كان. **هُوَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ عَيْدِي السَّبِيلُ**¹.

1 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "بلغ". يليه بخط الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة الظهير محمود علي، وكتبه ابن العربي".

الباب السادس والأربعون في معرفة العلم القليل، ومن حصله من الصالحين

والكثرة في المعلوم لا في ذاته	العلم بالأشياء علم واحد
مُتَعَدِّدٌ في ذاته وصفاته	والأشعري يزعم أنه
ولوا أنه من فكره وهباته	إن ¹ الحقيقة قد أثبت ما قاله
مُتَوَحِّدٌ في عينه وسماته	الحق أنبلج لا خفاء بأنه

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾² فكان شيخنا أبو مدين يقول إذا سمع من يتلو هذه الآية: "القليل أعطيناه ما هو لنا، بل هو معار عندنا. والكثير منه لم نصل إليه، فنحن الجاهلون على الدوام". وقال من هذا الباب خضير لموسى عليه السلام لما رأى الطائر الذي وقع على حرف السفينة وقر في البحر بمنقاره: «أتدري ما يقول هذا الطائر في نقره في الماء؟ قال موسى عليه السلام لا أدري. قال: يا موسى؛ يقول هذا الطائر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله، إلا ما نقص من هذا البحر منقاري».

والمراد المعلومات بذلك، لا العلم. فإن العلم لو تعدد أدى أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى، وهو محال. فإن المعلومات لا نهاية لها. فلو كان لكل معلوم علم، لزم ما قلناه. ومعلوم أن الله يعلم ما لا يتناهى، فعلمه واحد. فلا بد أن يكون العلم عيناً واحدة، لأنه لا يتعلق بالمعلوم، حتى يكون³ موجوداً. وما هو ذلك العلم؟ هل هو ذات العالم، أو أمر زائد؟ في ذلك خلاف بين النظائر، في علم الحق سبحانه. ومعلوم أن علم الله متعلق بما لا يتناهى، فبطل أن يكون لكل معلوم علم. وسواء زعمت أن العلم عين ذات العالم، أو صفة زائدة على ذاته، إلا أن تكون ممن يقول في الصفات إنها ينسب.

فإن كنت ممن يقول إن العلم نسبة خاصة، فالنسب لا تتصف بالوجود، نعم ولا بالعدم، كالأحوال. فيمكن على هذا أن يكون لكل معلوم علم. وقد علمنا أن المعلومات لا تنهاى، فالنسب لا تنهاى. ولا يلزم من ذلك محال، كحدوث التعلقات عند ابن الخطيب (الرازي)، والاسترسال عند إمام الحرمين.

وبعد أن فهمت ما قررناه في هذه المسألة؛ فقل بعد ذلك ما شئت، من نسبة الكثرة للعلم، والقلّة. فما

1 ص 34
2 [الإسراء: 85]
3 ص 34 ب

وصف الله العلم بالقلة، إلا العلم الذي أعطى الله عباده، وهو قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ أي أعطيتم، فجعله هبة. وقال في حق عبده خضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾¹ وقال: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾² فهذا كله يدل على أنه نسب. لأن الواحد في ذاته لا يتصف بالقلة ولا بالكثرة، لأنه لا يتعدد.

وبهذا نقول: إن الواحد ليس بعدد، وإن كان العدد منه ينشأ. ألا ترى أن العالم، وإن استند إلى³ الله، ولم يلزم أن يكون الله من العالم؛ كذلك الواحد وإن نشأ منه العدد، فإنه لا يكون بهذا من العدد. فالوحدة للواحد نعت نفسي لا يقبل العدد، وإن أضيف إليه. فإن كان العلم نسبة، فإطلاق القلة والكثرة عليه، إطلاق حقيقي. وإن كان غير ذلك، فإطلاق القلة والكثرة عليه إطلاق مجازي. وكلام العرب مبني على الحقيقة والمجاز عند الناس. وإن كنا قد خالفناهم في هذه المسألة، بالنظر إلى القرآن؛ فإننا ننفي أن يكون في القرآن مجاز، بل (موضع ذلك) في كلام العرب. وليس هذا موضع شرح هذه المسألة.

والذي يتعلق بهذا الباب؛ علم الوهب لا علم الكسب. فإنه لو أراد الله العلم المكتسب، لم يقل: ﴿أُوتِيتُمْ﴾ بل كان يقول: "أوتيتم الطريق إلى تحصيله، لا هو" وكان يقول في خضر: "وعلمناه طريق اكتساب العلوم". لم يقل شيئاً من هذا. ونحن نعلم أن ثم علماً اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا، وثم علماً لم نكتسبه بشيء من عندنا، بل هبة من الله ﷻ أنزله في قلوبنا وعلى أسرارنا، فوجدناه من غير سبب ظاهر.

وهي مسألة دقيقة؛ فإن أكثر الناس يتخيلون، أن العلوم الحاصلة عن التقوى، علوم وهب. وليست كذلك. وإنما هي علوم مكتسبة بالتقوى. فإن التقوى جعله الله طريقاً إلى حصول هذا العلم، فقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾⁴ وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾⁵. كما جعل الفكر الصحيح سبباً لحصول العلم، لكن بترتيب المقدمات. كما جعل البصر سبباً لحصول العلم بالمبصرات. والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب، بل من لئنه سبحانه.

فاعلم ذلك، حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية. فإن الوهاب هو الذي تكون أعطياته على هذا الحد. بخلاف الاسم الإلهي الكريم والجواد والسخي؛ فإنه من لا يعرف حقائق الأمور، لا يعرف

1 [الكهف : 65]

2 [الرحمن : 2]

3 ص 35

4 تاجه في الهامش بقلم الأصل.

5 ص 35 ب

6 [الأخلاق : 29]

7 [البقرة : 282]

حقائق الأسماء الإلهية. ومن لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية، لا يعرف تنزيل الشئاء على الوجه اللائق به. فلهذا نبهتكم لتنتبه ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾¹.

فالنبوتات كلها علوم وهبته، لأن النبوة ليست مكتسبة. فالشرائع كلها من علوم الوهب، عند أهل الإسلام الذين هم أهله. وأريد بالاكْتساب في العلوم ما يكون للعبء فيه تعمل. كما أن الوهب ما ليس للعبء فيه تعمل. وإنما قلنا هذا من أجل الاستعدادات، التي جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبي والكسبي. فإنه لا بد من الاستعداد. فإن وجد بعض الاستعدادات، مما يتعمل الإنسان في تحصيلها، كان العلم الحاصل عنها مكتسباً. كـ «من عمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم» وأشباه ذلك.

فالشرائع كلها علوم وهبته. ومن حصل علوم وهب، بما ليس بشرع، جماعة قليلة من الأولياء، منهم الخضر على التعيين. فإنه قال: ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾². والذي عُرِفناه من الأنبياء عليهم السلام- آدم وإلياس وزكريا ويحيى وعيسى وإدريس وإسماعيل. وإن كان قد حصله جميع الأنبياء عليهم السلام- ولكن ما ذكرنا منهم إلا من حصل لنا التعريف به، وسُموا لنا من الوجه الذي تأخذ عن الله تعالى- منه. فلهذا سَمَّينا هؤلاء، ولم نذكر غيرهم.

فأما قوله تعالى:- ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾³ فليس بنقص في الوهب. ولكن له وجهان: وجه يطلبه ﴿أَوْتِيتُمْ﴾ وجه يطلبه ﴿قَلِيلًا﴾ من الاستقلال. أي ما أعطيت من العلم إلا ما تستقلون بحمله. وما لا تطيقونه ما أعطيناكموه؛ فإنكم ما تستقلون به. فيدخل في هذا العطاء؛ علوم النظر. فإنها علوم تستقل العقول بإدراكها.

واختلف أصحابنا في العلم المحدث؛ هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا؟ فمن منع أن تُعرف ذات الله، منع من ذلك. ومن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله. ولكن ما نقل إلينا أنه حصل لأحد في الدنيا. وما أدري في الآخرة ما يكون. فإننا قد علمنا أن محمداً ﷺ قد علم «علم الأولين والآخرين» وقد قال ﷺ⁴ عن نفسه؛ إنه يحمد الله غداً يوم القيامة بمحامد عندما يطلب من الله ﷻ فتح باب الشفاعة، أخبر أن الله تعالى- يعلمه إياها في ذلك الوقت، لا يعلمها الآن. فلو علمها غيره، لم يصدق قوله: «علمت علم الأولين والآخرين» وهو ﷺ الصادق في قوله.

1 [الأسماء : 35]

2 ص 36

3 [النساء : 40]

4 [الإسراء : 85]

5 ص 36 ب

فصل من هذا، أن أحدا لم يتعلّق علمه بما لا يتناهى. ولهذا ما تكلم الناس إلا في إمكانه، هل يمكن أم لا؟ وما كلّ ممكن واقع. ووقوع الممكنات من المسائل المثقّة. وكيف يكون ثمّ ممكن، ولا يقع؟ وهو المعقول عندنا في كلّ وقت. فإنّ ترجيح أحد الممكنين، أو السكّات، يمنع من وقوع ما ليس بمرجّح في الحال. فإن كان الذي لم يقع في الوجود من الممكنات مرجّحا عدّم وقوعه في الوجود، فيكون عدمه مرجّحا. فقد وقع الممكن فإنّه لا يلزم فيه من حيث الإمكان، إلا اتّصافه بكونه مرجّحا، سواء ترجّح عدّمه أو وجوده. وإذا كان كذلك، فقد وقع كلّ ممكن، بلا شكّ، وإن لم تنهأ الممكنات، فإنّ الترجيح ينسحب عليها.

وهي مسألة دقيقة. فإنّ الممكنات وإن كانت لا تنهاى، وهي معدومة. فإنّها عندنا مشهودة للحقّ وتحت من كونه يرى، فإنّا لا نعلل الرؤية بالوجود، وإنما نعلل الرؤية للأشياء، بكون المرقّي مستعدّا لقبول تعلّق الرؤية به، سواء كان معدوما أو موجودا. وكلّ ممكن مستعدّ للرؤية. فالممكنات وإن لم تنهأ، فهي مرتّبة لله ﷻ لا من حيث نسبة العلم، بل من نسبة أخرى، تستقّى رؤية، كانت ما كانت. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَفْلَحْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾² ولم يقل هنا: "ألم يعلم بأنّ الله يعلم" وقال: ﴿تَجَرَّيْ بِأَعْيُنِنَا﴾³ أي بحيث نراها، وقال أيضا لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾⁴ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

اتهى الجزء الرابع والعشرون، يتلوه الجزء الخامس والعشرون.⁶

1 ص 37

2 [العلق : 14]

3 [النمر : 14]

4 [طه : 46]

5 [الأحزاب : 4]

6 "اتهى..... والعشرون" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، وتحتها: "بلغ".

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع والأربعون

في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية، ومقاماتها،
وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته ليحنّ إليها مع علوّ مقامه،
وما السرّ الذي يتجلّى له حتى يدعوّه إلى ذلك

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَقَّ بِالْأَوَّلِ انْصَفَ	أَتَيْتُ إِلَى بَحْرِ الْبِدَايَةِ أَغْتَرِفُ
بِلَذَّةِ ظِلْمَانَ لِشَرْبِ شَرِيَّةٍ	فَيُنْشِدُنِي فِي غَايَةِ الْحَالِ أَغْتَرِفُ
فِيهَا يَرُدُّهَا مِنْ شَرِيَّةٍ مُسْتَلْذَةِ	عَلَى كَيْدِ حِرَاءٍ فَاعْمَلْ لَهَا وَقِفُ
فَإِنَّ لِدَاكِ الشَّرْبَ فِي الثَّلَبِ لَذَّةٌ	تَرَى رَهْبًا فِي الْوَقْتِ بِالْعَجَبِ يَنْصَفُ
وَلَا يَخْجُبُهُ عَجْبُهُ عَنْ شُهُودِهِ	وَلَا مَا يَرَى فِيهِ مِنَ الزُّهْرِ وَالصَّلَفِ
فَإِنَّ لَهُ فَيَنْتَمِ نَقْدَمَ أَسْوَةٍ	فَمَا خَلَفَ إِلَّا وَمِثْلَ لَهَا سَلَفِ
وِرَاثَةٍ مُخْتَارٍ وَنَقْتُ مُحَقَّقٍ	بِأَسْمَاءِ حَقِّ الْحَقِيقَةِ مُكْتَبِفِ
وَلِإِنْ نَهَايَاتِ الرِّجَالِ بِدَايَةٌ	لِقَوْمٍ أَتَوْا مِنْ بَعْدِهِمْ مَا لَهُمْ خَلَفِ
كَثَلِ رَسُولِ اللَّهِ فِي طَوْرِهِ فَمَا	أَهُ خَلَفَ بَلْ عِنْدَهُ الْأَمْرُ قَدْ وَقِفِ

اعلم أنّ العالم لما كان أكرّبي الشكل، لهذا حنّ الإنسان في نهايته إلى بدايته. فكان خروجنا من العدم إلى الوجود به سبحانه - وإليه نرجع، كما قال ﷻ: ﴿وَالْيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾³ وقال: ﴿وَالْقَوْمَا يُؤْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾⁴ وقال: ﴿وَالْيَهُ الْمَصِيرُ﴾⁵ ﴿وَالْيَهُ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁶ ألا تراك إذا بدأت وضع دائرة، فإنك عندما تبتدئ بها لا تزال تديرها، إلى أن تنتهي إلى أولها، حينئذ تكون دائرة؟ ولو لم يكن الأمر كذلك، لكنا إذا خرجنا من عنده خطأ مستقيماً لم نرجع إليه، ولم يكن يصدق قوله، وهو الصادق: ﴿وَالْيَهُ

1 ص 37 ب

2 ص 38

3 [هود : 123]

4 [البقرة : 281]

5 [المائدة : 18]

6 [النّون : 22]

تَرْجَعُونَ¹.

وكلُّ أمر، وكلُّ موجود، فهو دائرة يعود إلى ما كان منه بُدْؤُهُ. وأنَّ الله تعالى - قد عيَّن لكلَّ موجود مرتبته في علمه. فمن الموجودات مَنْ خُلِقَتْ في مراتبها، ووقَّفت ولم تبحر. فلم يكن لها بداية ولا نهاية. بل يقال وُجِدت، فإنَّ البَدْء ما تُعَقَّل حقيقته إلَّا بظهور ما يكون بعده، بما ينتقل إليه. وهذا ما انتقل. فعين بدنه، هو عين وجوده لا غير. ومن الموجودات ما كان وجودها أولًا في مراتبها، ثم نزل بها إلى عالم طبيعتها. وهي الأجسام المولدة من العناصر، ولاكلها، بل أجسام الثقلين.

وأقام الله لها في تلك المرتبة المعينة لها، التي أنزلت منها، على غير علم منها بها، داعيًا يدعو كلَّ شخص إليها، فلا يزال يرتقي بالأعمال الصالحة، حتى يصل إليها، أو يطلبها بالأعمال التي لا يرتضيها الحق. فداعي الحق إذا قام بقلب العبد، إنما يدعو من² مقامه، الذي تكون غايته إليه، إذا سَلَكَ. ولَمَّا كان كلُّ وارد ملنودًا لذيدًا، فإنه جديد غريب لطيف. لهذا يُحَنُّ إليه دائمًا. ومن ذلك حبُّ الأوطان، قال ابن الرومي³:

وَحَبَّبَ أَوْطَانُ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَارَبَّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عُهْدَ الصَّبَا فِيهَا فَحَثُّوا لِذَلِكَ

ولَمَّا لم يتمكن للتائب أن يَرُدَّ عليه وارِدُ التوبة، إلَّا حتى ينتبه من سِنَّة الغفلة، فيعرف ما هو فيه من الأعمال، التي مآلها إلى هلاكه وعَظَمِهِ. خاف ورأى أنَّه في أسْرِ هواه، وأنه مقتولٌ بسيف أعماله القبيحة، فقال له حاجب الباب: قد رسم المليك أنَّك إذا أقلمت عن هذه المخالفات ورجعت إليه ووقفت عند حدوده ومراسمه، أنَّه يعطيك الأمان من عقابه ويحسن إليك. ويكون من جملة إحسانه أن كلَّ قبيح أتيتُهُ تُرَدُّ صورته حسنة.

ثم أعطاه التوقيع الإلهي. فإذا فيه مكتوب: بِإِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ⁴ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

[البقرة: 245]

2 ص 38

3 ابن الرومي: (221 - 283 هـ / 836 - 896 م) علي بن العباس بن جريج أو جورجيس، الرومي. شاعر كبير، من طبقة بشار واخشي، روي الأصل، كان جده من موالى بني العباس. ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسمومًا قيل: دس له السم القاسم بن عبيد الله - وزير المعتضد - وكان ابن الرومي قد هجاء. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحدًا من رئيس أو مرووس إلَّا وعاد إليه فهجاء، ولذلك قلت فأنته من قول الشعر وتعاماه الرؤساء وكان سببًا لوفاته. وقال أيضًا: وأخطأ محمد بن داود فيما رواه لمخضال (الوسطي) من أشعار ابن الرومي التي ليس في طاقة مخضال ولا أحد من شعراء زمانه أن يقول مثلها إلَّا ابن الرومي. [الموسوعة الشعرية]

4 مكتوب في الهامش: "من هنا سمع أحمد بن موسى التركماني".

5 ص 39

ولَمَّا قَرَأَ وَحِشِيَّ. هذا التوقيع، قال: وَمَنْ لِي بِأَنْ أُؤَفَّقَ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي اشْتَرَطَهُ عَلَيْنَا فِي التَّبْدِيلِ؟ فَجَاءَ فِي الْجَوَابِ تَوْقِيعٌ آخَرُ فِيهِ مَكْتُوبٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^٢ فَقَالَ وَحِشِيَّ: مَا أَدْرِي هَلْ أَنَا مِمَّنْ شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ أَمْ لَا. فَجَاءَ فِي الْجَوَابِ تَوْقِيعٌ ثَالِثٌ فِيهِ مَكْتُوبٌ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^٣ فَلَمَّا قَرَأَ وَحِشِيَّ هَذَا التَّوْقِيعَ قَالَ: الْآنَ. فَأَسْلَمَ.

رَجَعْنَا إِلَى التَّوْقِيعِ الْأَوَّلِ، فَنَقُولُ: فَلَمَّا قَرَأَ هَذَا التَّوْقِيعَ الصَّادِقَ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^٤ قَالَ لَهُ حَاجِبُ الْبَابِ وَهُوَ الشَّارِعُ: «إِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَمَانُ عَقِيبَ ذَلِكَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ، وَجَدَ لِلْأَمَانِ حَلَاوَةً وَلَذَّةً، لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ^٥:

أَخْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْحَافِظِ الْوَجَلِي

فَعِنْدَمَا تَحْصُلُ لَهُ طَعْمُ هَذِهِ اللَّذَّةِ، وَشَرَعَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَطَهَّرَ مَحَلَّهُ، وَاسْتَعَدَّ لِمَجَالَسَةِ الْمَلِكِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: «أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي» وَتَقَوُّتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ سُبْحَانَهُ- وَعِلْمُ مَا يَسْتَحِقُّهُ جَلَالُهُ، وَعِلْمُ قَدْرِ مَنْ عَصَاهُ، اسْتِحْيَا كُلَّ الْحَيَاءِ، وَذَهَبَتْ لَذَّةُ الَّتِي وَجَدَهَا عِنْدَ وُرُودِ وَارِدِ تَوْبَتِهِ عَلَيْهِ، وَاطَّلَعَ وَرَأَى الْحُضْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ، تَطَالِبُهُ بِالْأَدَبِ وَالشُّكْرِ، عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ النِّعَمِ؛ فَيَكْثُرُ هُمُّهُ وَغَمُّهُ، وَتَنْتَفِي لَذَّتُهُ.

وَلِهَذَا تَرَى الْعُلَمَاءَ بِاللَّهِ، لَا يَرُونَ فِي نَوْمِهِمْ مَا يَرَاهُ الْمُرِيدُونَ أَصْحَابُ الْبِدَايَاتِ مِنَ الْأَنْوَارِ. فَإِنَّ الْمُبْتَدِئَ يَسْتَحْضِرُ مُسْتَحْسِنَاتِ أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، فَيَرَى ثَنَائِهَا. وَالْعَالِمُونَ يَنَامُونَ عَلَى رُؤْيَا تَقْصِيرٍ وَتَقْصِيرٍ، لَمَّا يَسْتَحِقُّهُ الْجَنَابُ الْعَالِي. فَلَا يَرَى (أَحَدُهُمْ) فِي النَّوْمِ إِلَّا مَا يَبْقَى، مِنْ ظُلُمَاتٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ، وَكُلَّ أَمْرٍ مَخُوفٍ. فَإِنَّ النَّوْمَ تَابِعٌ لِلْحَسَنِ. وَلَمَّا كَانَتْ النَّفْسُ بَطْلَمَهَا تَحَبُّ الْأُمُورِ الْمَلْنُوذَةِ، وَقَدْ فَقَدَتْ لَذَّةَ التَّوْبَةِ، فِي حَالِ مَعْرِفَتِهَا وَنَهَائِهَا، لَنَافِعِ حَتَّى إِلَى بَدَايَتِهَا، مِنْ أَجْلِ مَا اقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْمَوْطِنِ مِنَ اللَّذَّةِ، مَعَ عُلُوِّ مَقَامِهِ. وَيَكُونُ هَذَا الْحَنَانُ، اسْتِرَاحَةً لِهَمِّهِ وَغَمِّهِ، الَّذِي أَعْطَتْهُ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ. فَهُوَ مِثْلُ الَّذِي يَلْتَذُّ بِالْأَمَانِيِّ. فَهَذَا

1 [الفرقان : 68 - 70]

2 [النساء : 48]

3 [الزمر : 53]

4 [صلت : 42]

5 القائل هو الواواء البغدادي (ت 385هـ) شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، وفي معانيه رقة، وله ديوان شعر، والبيت هو: وزائر راع وجهه البين منظره أحلى من الأمن عند الحافظ الوجلي [الموسوعة الشعرية]

سبب حنين أصحاب النهايات إلى ¹ بدايتهم.

وأما المنازل السفلية؛ فهي ما تعطيه الأعمال البدئية من المقامات العلوية: كالصلاة والجهاد والصوم وكل عمل جسدي، وما تعطيه أيضا الأعمال النفسية: وهي الرياضات من تحمّل الأذى والصبر عليه والرضا بالتلّيل من ملذّذات النفوس، والقناعة بالموجود وإن لم تكن به الكفاية، وحبس النفس عن الشكوى. فإنّ كلّ عمل من هذه الأعمال الرياضية والجاهدات، لها نتائج مخصوصة؛ لكلّ عمل حال ومقام. وقد أبان عن بعض ذلك الشارح، لِيُسْتَدَلَّ بما ذكره، على ما سكت عنه، من حيث اختلاف النتائج لاختلاف الصفات. وتعريفنا بأنّ التّوافل من كلّ عبادة مفروضة، صفتها من صفة فريضتها. ولهذا تكمل له منها، إذا كانت فريضته ناقصة.

ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أَوَّلُ ما يُنْتَظَرُ فيه من عمل العبد، الصلاة. فيقول الله: انظروا في صلاة عبدي، أتمّها أم نَقَصَها؟ فإن كانت تامة كُتِبَتْ له تامة. وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوُّع؟ فإن كان له تطوُّع، قال: أكلوا لعبدي فريضته من تطوُّعه. ثمّ تؤخذ الأعمال على ذاك» وأما الحديث الآخر² في صفات العبادات، فإنّه ورد في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كلّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

فجعل النور للصلاة، والبرهان للصدقة، وهي الزكاة، والضياء للصوم والحجّ، وهو المعبر عنه بالصبر لما فيها من المشقة والجوع والعطش، وما يتعلّق بأفعال الحجّ. وجعل «لا إله إلا الله» في خبر آخر «لا يزيها شيء». ونوافل كلّ فريضة من هذه الفرائض من جنسها، فصفتها كصفتها. ثمّ أدخل في قوله: «كلّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها» وهو الذي باعها من الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾³. «أو موبقها» وهو الذي اشترى الصلّاة بالهتدي والقذاب بالمغفرة⁴ فعمّ بقوله: «كلّ الناس يغدو فبائع نفسه» جميع أحكام الشريعة: نافلتها وفريضتها، مباحها ومكروهها.

فما من عبادة شرّعها الله تعالى لعباده، إلا وهي مرتبطة باسم إلهي أو حقيقة إلهية، من ذلك الاسم يعطيه الله في عبادته تلك ما يعطيه في الدنيا في قلبه؛ من منازله وعلومه ومعارفه، وفي أحواله من كراماته

1 ص 40

2 ص 40 ب

3 [التوبة : 111]

4 [البقرة : 175]

5 ص 41

وآياته، وفي آخرته في جنّاته: في درجاته، وفي رؤية خالقه في الكتيب، في جنّة عدن خاصّة في مراتبه. وقد قال الله ﷻ في المصلى: إنه يناجيه، وهو نور. فيناجيه الله تعالى- من اسمه النور، لا من اسم آخر. فكما أن النور ينقّر كل ظلمة، كذلك الصلاة تقطع كل شغل. بخلاف سائر الأعمال، فإنّها لا تتمّ ترك كل ما سواها، مثل الصلاة.

فلهذا كانت نورا. يبشّره الله بذلك أنّه إذا ناجاه من اسمه النور انفراد به، وأزال كل كون بشهوده عند مناجاته. ثم شرعها في المناجاة سرّاً وجمهاً، ليجمع له فيها بين الذكرين: ذكر السرّ- وهو الذكر في نفسه، وذكر العلانية وهو الذكر في الملاء. العبد في صلاته يذكر الله في ملاء الملائكة، ومن حضر من الموجودات السامعين. وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة. قال الله تعالى- في الخبر الثابت عنه: «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه» قد يريد بذلك الملائكة، المقربين، الكروبيين خاصّة، الذين اختصهم لحضرته. فلهذا الفضل شرع لهم في الصلاة الجهر بالقراءة والسرّ.

فكلّ عبد صلى ولم يُزلّ عنه صلاته كلّ شيء دونها، فما صلى. وما هي نور في حقّه. وكلّ من أسرّ القراءة في نفسه، ولم يشاهد ذكر الله له¹ في نفسه، فما أسرّ. فإنّه وإن أسرّ في الظاهر، وأحضر في نفسه ما أحضره من الأكوان: من أهل وولد وأصحاب، من عالم الدنيا وعالم الآخرة، وأحضر- الملائكة في خاطره، فما أسرّ في قراءته. ولا كان ممن ذكر الله في نفسه. لعدم المناسبة. فإنّ الله إذا ذكر العبد في نفسه، لم يطلع أحد من المخلوقين على ما في نفس الباري، من ذكره عبده. كذلك ينبغي أن يكون العبد فيما أسرّ؛ فإنّه ما يناجي في صلاته إلّا ربه، في حال قراءته وتسيّحاته ودعائه. وكذلك إذا ذكره في ملاء؛ في ظاهره وفي باطنه. فأمّا في ظاهره فبين، وأمّا في باطنه؛ فما يُخَصِّرُ معه في نفسه من المخلوقين، وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة والتسيّحات والدعاء.

ثمّ إنّّه ليس في العبادات ما² يُلجق العبد بمقامات المقربين وهو أعلى مقام أولياء الله، من ملك ورسول ونبيّ ووليّ ومؤمن، إلّا الصلاة. قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾³ فإنّ الله في هذه الحالة، يباهي به المقربين من ملائكته، وذلك أنّه يقول لهم:

"يا ملائكتي؛ أنا قرّبتكم ابتداءً، وجعلتكم من خواصّ ملائكتي. وهذا عبيدي، جعلت بينه وبين مقام القرية حجاباً كثيرة، وموانع عظيمة، من أغراض نفسيّة وشهوات حسنيّة، وتدبير أهل ومال وولد وخدم

1 ص 41
2 ق: "من" وصححت بقلم الأصل.
3 [الملق: 19]

وأصحاب وأهوال¹ عظام، فقطع كل ذلك وجاهد، حتى سجد واقترب؛ فكان من المقرين. فانظروا ما خصصكم به يا ملائكتي- من شرف المقام، حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع، ولا كلفتمك مشاقها. فاعرفوا قدر هذا العبد، وراعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي".

فيقول الملائكة: "يا ربنا؛ لو كنا ممن يتنعم بالجنان، وتكون محلًا لإقامتنا، ألسنت كنت تعين لنا فيه منازل تقتضيها أعمالنا؟ ربنا؛ نحن نسألك أن تهبها لهذا العبد" فيعطيه الله ما سأله فيه الملائكة.

فانظر ما أشرف الصلاة. وأفضل ما فيها، ذكر الله من الأقوال، والسجود من الأفعال. ومن أقوالها: "سمع الله لمن حمده" فإنه من أفضل أحوال العبد في الصلاة للنيابة عن الحق، فإن الله قال على لسان عبده: "سمع الله لمن حمده". يقول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾² الظاهر، للتحريم والتحليل الذي فيها ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني فيها من أفعالها.

وينبغي للمحقق أنه لا يذكر الله إلا بالأذكار الواردة في القرآن، حتى يكون في ذكره تاليا، فيجمع بين الذكر والتلاوة معًا في لفظ واحد. فيحصل على أجر التالين والناكرين. أعني الفضيلة. فيكون فتحه في ذلك، من ذلك القبيل. وعلمه وسره وحاله ومقامه ومنزله. وإذا³ ذكره من غير أن يقصد الذكر الوارد في القرآن، فهو ذاك لا غير. فينقصه من الفضيلة على قدر ما نقصه من القصد. ولو كان ذلك الذكر من القرآن غير أنه لم يقصده.

وقد ثبت أن «الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى» فينبغي لك إذا قلت: "لا إله إلا الله" أن تقصد بذلك التهليل الوارد في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁴ وكذلك التسييح والتكبير والتحميد. وأنت تعلم أن أنفاس الإنسان نفيسة، والنفس إذا مضى- لا يعود. فينبغي لك أن تخرجه في الأنفس والأعز. فهذا قد نبهك على نسبة النورية من الصلاة.

وأما اقتران البرهان بالصدقة؛ فهو أن الله تعالى- جبيل الإنسان على الشح، وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾⁵ يعني في أصل نشأته ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾⁶ وقال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ﴾⁷ فنسب الشح لنفس الإنسان. وأصل ذلك أنه استفاد وجوده من الله، فنظر على الاستفادة

1 ص 42

2 [المكوت : 45]

3 ص 42

4 [محمد : 19]

5 [المارج : 19]

6 [المارج : 20، 21]

7 [الغشر : 9]

لا على الإفادة. فما تعطي حقيقته أن يتصدق. فإذا تصدق كانت صدقته برهانا على أنه قد وفق شئ نفسه، الذي جبله الله عليه، فلذلك قال: «الصدقة برهان».

ولما كانت الشمس¹ ضياء يكشف به كل ما تبسط عليه لمن كان له بصر، فإن الكشف إنما يكون بضياء النور لا بالنور. فإن النور ما له سوى تغير الظلمة، وبالبضياء يقع الكشف. وإن النور حجاب كما هي الظلمة حجاب. قال رسول الله ﷺ في حق ربه تعالى: «حجابه النور» وقال: «إن الله سبعين حجابا من نور وظلمة» أو «سبعين ألفا» وقيل له ﷺ: «أرايت ربك؟ فقال ﷺ: نور أنى أراه» فجعل الصبر، الذي هو الصوم، والحج ضياء، أي يكشف به إذا كنت متلبسا به، ما تعطيه حقيقة الضوء من إدراك الأشياء.

قال رسول الله ﷺ عن ربه تعالى- أنه قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» وقال ﷺ لرجل: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وقال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»². فالصوم صفة صمدانية. وهو التنزه عن التذني، وحقيقة الخلق التذني. فلما أراد العبد أن يتصف بما ليس من حقيقته أن يتصف به، وكان اتصافه به شرعا لقوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»³ قال الله له: "الصوم لي لا لك" أي أنا هو الذي لا ينبغي لي أن أطعم وأشرب، وإذا كان بهذه المثابة وكان سبب دخولك⁴ فيه كوني شرعته لك، فأنا أجزي به.

كأنه يقول: "فأنا جزاؤه". لأن صفة التنزه عن الطعام والشراب تطلبني. وقد تلبست بها، وما هي حقيقتك، وما هي لك. وأنت متصف بها في حال صومك. فهي تدخلك علي. فإن الصبر حبس النفس، وقد حبستها بأمري، عما تعطيه حقيقتها من الطعام والشراب. فلماذا قال: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره» وتلك الفرحة لروحه الحيواني لا غير «وفرحة عند لقاء ربه» وتلك الفرحة لنفسه الناطقة، لطيفته الربانية. فأورثه الصوم لقاء الله، وهو المشاهدة.

فكان الصوم أتم من الصلاة؛ لأنه أنتج لقاء الله ومشاهدته. والصلاة مناجاة لا مشاهدة. والحجاب يصحبا. فإن الله يقول: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»⁵ وكذلك «كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى»⁶ ولذلك طلب الرؤية. فقرن الكلام بالحجاب والمناجاة مكلمة. يقول الله: «قسمت الصلاة بيني

1 ص 43

2 [الشورى : 11]

3 [البقرة : 183]

4 ص 43

5 [الشورى : 51]

6 [النساء : 164]

وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لبي ولعبي ما سأل. يقول العبد: ﴿الْحَفْذُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹
يقول الله: حمدني عبدي». والصوم لا ينقسم فهو لله لا للعبد، بل للعبد أجره من حيث ما هو لله.

وهنا سرٌّ شريف؛ فقلنا إنَّ المشاهدة والمناجاة لا يجتمعان، فإنَّ المشاهدة للبهت، والكلام للفهم. فأنَّت¹
في حال الكلام مع ما يُتكلَّم به لا مع المتكلَّم، أي شيء كان. فافهم القرآن تفهم القرآن. فهذا قد حصل لك
الفرق بين الصلاة والصوم والصدقة. وأمَّا قولنا: "إنَّ الله جزاء الصائم" للقائه ربّه في الفرح به الذي قرنه
به. فبسرٍّ ذلك في قوله في سورة يوسف: ﴿مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهَؤُلاَئِكَ جَزَاؤُهُ﴾².

وأمَّا الحجّ؛ فلما فيه من الصبر، وهو حبس الإنسان نفسه عن النكاح، ولبس المحيط والضفيرة، كما
حبس الإنسان نفسه عن الطعام في الصوم³ والشراب والنكاح. ولَمَّا لم يعمّ الحجّ مَسْكَ الإنسان نفسه عن
الطعام والشراب، إلّا عن النكاح والغيبة، لذلك تأخّر في القواعد التي بُني الإسلام عليها، فكان حكمه حكم
الصائم والمصلّي حال صومه وصلاته في التنزّه عن مباشرة السكّن وذلك التنزّه، يقول الله: "هو لي لا
لك" حيث كان.

ولَمَّا كان النكاح سببا لظهور المولّدات من ذلك أعطاه الله، إذ تركه من أجله، بدله "كن" في الآخرة،
ولأوليائه في الدنيا "بسم الله" لمن أراد الله أن يظهر على يده أثرا. فيقول العبد في الآخرة للشيء يريد:
"كن" فيكون ذلك الشيء، وليس قوله إلّا من كونه حاجّا أو صائما. ولهذا شرك بين الحجّ والصوم في لفظة
الصبر، فقال: «والصبر ضياء» هذا⁴ وإن لم يكن فيه صوم واجب. فإن ترك الطعام فيه لشغله بالدعاء في
ذلك اليوم من الظهر، وهو الستّة في ذلك اليوم في ذلك الموضع للحاجّ خاصّة، فالمشتغل فيه لا شك أن
الجوع جوع العادة- يلزمه.

والطائفة تسمي الجوع في الموات الأربعة: الموت الأبيض، وهو مناسب للضياء. فإنَّ لأهل الله أربع
موات: موت أبيض وهو الجوع، وموت أحمر وهو مخالفة النفس في هواها. وموت أخضر- وهو طرح
الرقاع في اللباس، بعضها على بعض. وموت أسود: وهو تحمّل أذى الخلق، بل مطلق الأذى.

وإنما سَمَّيْتُ لبس المرقعات موتا أخضر، لأنَّ حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه والأزهار،
فَشَبَّه اختلاف الرقاع. وأمّا الموت الأسود لاحتِمال الأذى، فإنَّ في ذلك غم النفس، والغم ظلمة النفس،

1 ص 44

2 يوسف : 75

3 "في الصوم" تابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 44

والظلمة تشبه في الألوان السواد. والموت الأحمر مخالفة النفس شبيهة بحمرة الدم؛ فإنه من خالف هواه فقد ذبح نفسه.

وستأتي إن شاء الله - في هذا الكتاب، أبواب مفردات في شهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج، وهي قواعد الإسلام التي بني عليها. ومن أراد أن يعرف من أسرار الصلاة شيئا، وما تنتج كل صلاة من المعارف، وما لها من¹ الأرواح النبوية والحركات الفلكية، فليُنظر في كتابنا المسّعى بـ "التنزيلات الموصليّة" وهذا القدر في هذا الباب كافٍ في المقصود، فلنذكر بعض أسرار من المعارف، كما ترجمنا عليه، بطريق الإيجاز.

. . .

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

سَرِّ إِلَهِي: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ)

قالت الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾² وهكذا كل موجود ما عدا الثقلين. وإن كان الثقلان أيضا مخلوقين في مقامهما. غير أن الثقلين لما في علم الله مقامات معينة مقدرة عنده غيّبت عنها، إليها ينتهي كل شخص منها بانتهاه أنفاسه. فأخر نفس هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه. ولهذا دُعُوا إلى السلوك فسلكوا: "عُلُوا" بإجابة الدعوة المشروعة، و"سفلوا" بإجابة الأمر الإرادي من حيث لا يعلمون، إلا بعد وقوع المراد.

فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوكه إلى المقام المعلوم، الذي خلق له. ومنهم شقي وسعيد. وكل موجود سواهما فمخلوق في مقامه، فلم ينزل عنه. فلم يؤمر بسلوك إليه لأنه فيه؛ من ملك وحيوان ونبات ومعدن. فهو سعيد عند الله، لا شقاء يناله.

فقد دخل الثقلان في قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ عند الله، ولا يتمكن لمخلوق من العالم، أن يكون له علم بمقامه إلا بتعريف إلهي، لا بكونه فيه. فإن كل ما سوى الله ممكن، ومن شأن الممكن أن لا يقبل مقاما معينا لذاته، وإنما ذلك لمرجح بحسب ما سبق في علمه به. والمعلوم هو الذي أعطاه العلم به، ولا يعلم هو ما يكون عليه. وهنا هو سر القدر المتحكم في الخلق. إذ كان علم المرجح لا يقبل التغيير، لاستحالة عدم القديم، وعلمه بتعيين المقامات قديم. فلذلك لا ينعدم.

1 ع 45

2 [الصفات : 164]

3 ص 5 هـ

وهذه المسألة من أغمض المسائل العقلية. و(هذا) مما يدلّك على أنّ علمه سبحانه- بالأشياء ليس زائداً على ذاته، بل ذاته هي المتعلقة من كونها علماً بالمعلومات، على ما هي المعلومات عليه. خلافاً لبعض النظائر. فإنّ ذلك يؤدّي إلى نقص الذات عن درجة الكمال، ويؤدّي إلى أن تكون الذات قد حكم عليها أمر زائد، أوجب لها ذلك الزائد حكماً يقتضيه، ويطل كونه الذات تفعل ما تشاء وتختار **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**¹.

فتحقّق هذه المسألة، وتقرّع إليها، فإنّها غامضة جدّاً في مسائل الحيرة، لا يهندي إليها عقل على الحقيقة، من حيث فكره، بل يكشف إلهي نبوي.

ثمّ نرجع ونقول: إنّ جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف، فقالت بطريق القوة والفكر الفاسد²: "إنّ الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقاً". ولم تقيّد صنفاً، ولا مرتبة من المراتب التي تقع بها الفضلية، لمن هو فيها على غيره. ثمّ علّلت فقالت: "إنّ لبني آدم الترقّي مع الأنفاس، وليس للملائكة هذا؛ فإنّها خلقت في مقامها". وما علمت الجماعة القائلة بهذا، هذه الحقيقة التي نبّهنا عليها. والترقيّ الصحيح لنا وللملائكة ولغيرهم، وهو لازم للكلّ، دنيا وبرزخاً وآخرة. هذا لكلّ متّصف بالموت في العلم.

ألا ترى الملائكة مع كونها لها مقامات معلومة لا تتعدّاها، وما حرّمت مزيد العلم. فإنّ الله قد عزّفنا أنّه علّمهم الأسماء على لسان آدم **عَلَّمَ** فزادهم علماً إلهياً، لم يكن عندهم بالأسماء الإلهية؛ فسبّحوه وقّدسوه بها. فساوئنا الملائكة في الترقّي بالعلم لا بالعمل. كما لا نترقي نحن بأعمال الآخرة لزوال التكليف. فنحن وإياهم على السواء في ذلك في الآخرة.

فما ارتقينا نحن في الدنيا، إلى المقام الذي قبضنا عليه -وهو المقام الذي خلّق فيه غيرنا ابتداء- لشرفنا على غيرنا. وإنما كان ذلك لئيلونا لا غير. فلم يفهم القائلون بذلك، ما أَرَادَهُ اللهُ مع وجود النصوص في القرآن، مثل قوله: **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**³ ولا يقال: "كونهم خلّقوا على الصورة، أدّى إلى ذلك الابتلاء". فإنّ الجانّ شاركونا في هذه المرتبة، وليس لهم حظّ في الصورة، فاعلم. والله الموفق.⁵

. . .

1 [آل عمران : 6]

2 ص 46

3 ص 46

4 [هود : 7]

5 مكتوب في الهامش: "بلغ".

وَضَلَّ

سِرُّ إِلَهِي: (نَهَايَةُ الدَّائِرَةِ مُجَاوِرَةٌ لِبِدَايَتِهَا)

نَهَايَةُ الدَّائِرَةِ مُجَاوِرَةٌ لِبِدَايَتِهَا. وَهِيَ تَطْلُبُ النِّقْطَةَ لِنَاتِهَا، وَالنِّقْطَةُ لَا تَطْلُبُهَا. فَصَحَّ نَهَايَةُ أَهْلِ التَّرَقِّيِّ مِنَ الْعَالَمِ، وَصَحَّ افْتِقَارُ الْعَالَمِ إِلَى اللَّهِ، وَغْنَى اللَّهِ عَنِ¹ الْعَالَمِ. وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي وَجُودِ عَالَمٍ آخَرَ مِثْلَهُ، لَا أَكْمَلَ مِنْهُ إِلَى مَا لَا يَنْتَاهِي. فَإِنَّ مُحِيطَ الدَّائِرَةِ نَقْطَةً مُتَجَاوِرَةً، فِي أَحْيَازٍ مُتَجَاوِرَةٍ، لَيْسَ بَيْنَ حَيْزَيْنِ حَيْزٍ ثَالِثٌ. وَلَا بَيْنَ النِّقْطَتَيْنِ الْمَفْرُوضَتَيْنِ أَوْ الْمَوْجُودَتَيْنِ فِيهَا نَقْطَةٌ ثَالِثَةٌ. لِأَنَّهُ لَا حَيْزَ بَيْنَهُمَا. فَكُلَّ نَقْطَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَنْهَا مُحِيطٌ، وَذَلِكَ الْحِيطُ الْآخَرُ؛ حَكَمَهُ حَكَمُ الْحِيطِ الْأَوَّلِ، إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ.

وَالنِّهَايَةُ فِي الْعَالَمِ حَاصِلَةٌ، وَالْغَايَةُ مِنَ الْعَالَمِ غَيْرُ حَاصِلَةٍ. فَلَا تَزَالُ الْآخِرَةُ دَائِمَةً التَّكْوِينِ، عَنِ الْعَالَمِ. فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْجَنَانِ لِلشَّيْءِ بِرِيدُونَهُ: "كُنْ" فَيَكُونُ. فَلَا يَتَوَهَّمُونَ أَمْرًا مَّا، وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ خَاطِرٌ فِي تَكْوِينِ أَمْرٍ مَّا، إِلَّا وَيَتَكَوَّنُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ لَا يَخْطُرُ لَهُمْ خَاطِرُ خَوْفٍ مِنْ عَذَابٍ أَكْبَرَ مِمَّا هُمْ فِيهِ، إِلَّا تَكُونُ فِيهِمْ أَوْ لَهُمْ، ذَلِكَ الْعَذَابُ، وَهُوَ عَيْنُ حَصُولِ الْخَاطِرِ.

فَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ² تَتَنَصَّيْ تَكْوِينِ الْعَالَمِ عَنِ الْعَالَمِ، بِـ"كُنْ" حَسًّا. وَبِمَجْرَدِ حَصُولِ الْخَاطِرِ وَالْهَمِّ وَالْإِرَادَةِ وَالتَّمَنِّيِّ وَالشَّهْوَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مُحْسُوسٌ. وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أَعْنِي مِنَ الْفِعْلِ بِالْهَمَّةِ - لِكُلِّ أَحَدٍ. وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا لِغَيْرِ الْوَلِيِّ، كصاحب العين والغزاليَّة³ بإفريقية، وَلَكِنْ مَا يَكُونُ بِسُرْعَةٍ تَكْوِينِ الشَّيْءِ بِالْهَمَّةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَهَذَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا نَادِرٌ شَاذٌ، كَمُضِيبِ الْبَانِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلْجَمِيعِ.

فَصَدَقَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ: "لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبَدَعُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ" لِأَنَّهُ لَيْسَ أَكْلٌ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ. فَلَوْ كَانَ، لَكَانَ فِي الْعَالَمِ مَا هُوَ أَكْلٌ مِنَ الصُّورَةِ، الَّتِي هِيَ الْحُضْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ.

1 "الله عن" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

2 ص 47

3 ورد ذكرهم في الباب 192 والباب 229 من هذا الكتاب ووصفهم بأن لهم همة الإبرادة وأنهم "يقتلون بالهمة، وينزلون ويتحكمون لقوة همتهم".

وَضَلَّ

سرّ إلهي: (كلّ خطّ يخرج من النقطة إلى المحيط مساوٍ لصاحبه)

كلّ خطّ يخرج من النقطة إلى المحيط مساوٍ لصاحبه، وينتهي إلى نقطة من المحيط. والنقطة في ذاتها ما تعددت ولا تزيّدت، مع كثرة الخطوط الخارجة منها إلى المحيط. وهي تقابل كلّ نقطة من المحيط بذاتها. إذ لو كان ما تقابل به نقطة من المحيط غير ما تقابل به نقطة أخرى لانقسمت، ولم يصحّ أن تكون واحدة وهي واحدة. لما قابلت النقط كلّها على كثرتها، إلّا بذاتها. فقد ظهرت الكثرة عن الواحد العين¹، ولم يتكثّر هو في ذاته. فبطل قول من قال: "إنّه لا يصدر عن الواحد إلّا واحد".

فذلك الخطّ الخارج من النقطة إلى النقطة الواحدة من المحيط، هو الوجه الحاصل الذي لكلّ موجود من خالقه سبحانه - وهو قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾² فالإرادة هنا: هو ذلك الخطّ الذي فرضناه خارجاً من نقطة الدائرة إلى المحيط، وهو التوجّه الإلهي الذي³ عيّن تلك النقطة في المحيط بالإيجاد. لأنّ ذلك المحيط هو عين دائرة الممكنات.

والنقطة التي في الوسط، المعيّنة لنقطة الدائرة المحيطة، هي الواجب الوجود لنفسه.

وتلك الدائرة المفروضة (هي) دائرة أجناس الممكنات، وهي محصورة في جوهر متخيّر، وجوهر غير متخيّر، وأكوان وألوان. والذي لا ينحصر (هو) وجود الأنواع والأشخاص، وهو ما يحدث من كلّ نقطة من كلّ دائرة من الدوائر، فإنّه يحدث فيها دوائر الأنواع، وعن دوائر الأنواع دوائر أنواع وأشخاص، فاعلم ذلك.

والأصل، النقطة الأولى لهذا كلّ، وذلك الخطّ المتصل من النقطة إلى النقطة المعيّنة من محيطها، يمتدّ منها إلى ما يتولّد عنها من النقط في نصف الدائرة الخارجة عنها، وعن⁴ ذلك النصف تخرج دوائر كاملة. وعلة ذلك: الامتياز بين الواجب الوجود لنفسه، وبين الممكن.

فلا يمكن أن يظهر عن الممكن، الذي هو دائرة الأجناس، دائرة كاملة. فإنّها كانت تدخل بالمشاركة فيها وقع به الامتياز، وذلك محال. فتكوّن دائرة كاملة من الأجناس مُحال، ليتبيّن نقص الممكن عن كمال الواجب الوجود لنفسه. وصورة الأمر فيها هكذا:

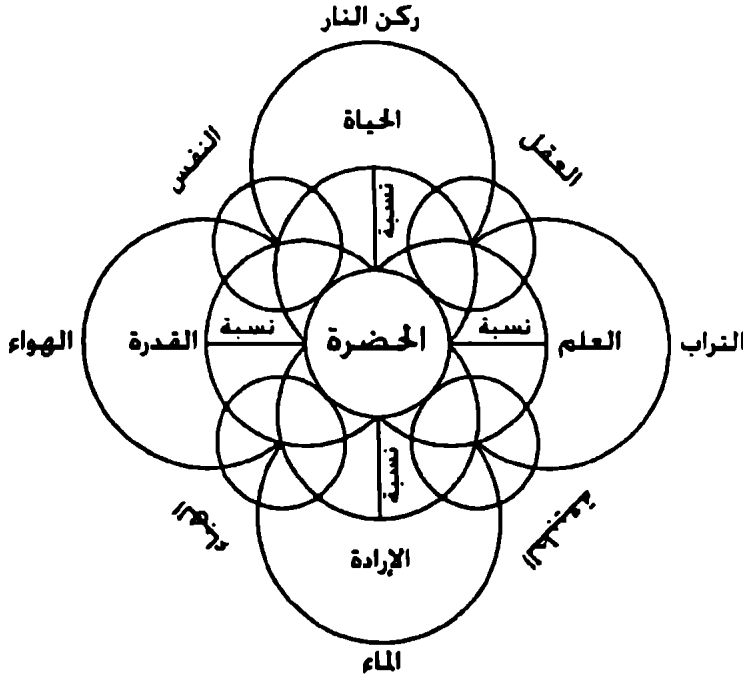
1 ص 47 هـ

2 [النحل: 40]

3 كتب في الهامش بقلم آخر مقابلاً: "إلى" وعليها حرف ظ، (أي ظن).

4 ص 48

صورة شكل الأجناس والأنواع من غير قصد للحصر، إذ للأنواع أنواع، حتى ينتهي إلى النوع الأخير، كما ينتهي إلى جنس الأجناس



واعلم¹ أنّ لنفوس الثقلين ونفوس الحيوان قوتين: قوة علمية وقوة عملية عند أهل الكشف. وقد ظهر ذلك في العموم من الحيوان كالنحل والعنكب والطيور التي تتخذ الأوكار، وغيرهم من الحيوانات. ولنفوس الثقلين دون سائر الحيوان قوة ثالثة ليست للحيوان ولا للنفس الكلية، وهي القوة المفكرة فيكتسب بعض العلوم من الفكر هذا النوع الإنساني، ويشارك سائر العالم في أخذ العلوم من الفيض الإلهي. وبعض علومها كالحيوان بالفطرة، كتلقي الطفل ثدي أمه للرضاعة وقبوله للبن.

وليس لغير الإنسان اكتساب علوم تبقى معه من طريق فكر. فالفكر من الإنسان بمنزلة الحقيقة الإلهية المنصوص عليها بقوله تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾² وقوله تعالى- في الخبر الصحيح عنه: «ما ترددت في شيء أنا فاعله» وليس للعقل الأول هذه الحقيقة، ولا للنفس الكلية. فهذا أيضا مما اختص به الإنسان من الصورة التي لم يُخلَقْ غيره عليها.

1 ص 48
2 [الربيع : 2]

ونحن نعلم أن الإنسان الكامل، موجود على الصورة. ونحن نقطع أنه ما أوجد الله غير الإنسان على ذلك، فإنه ما ورد وقوع ذلك، ولا عدم وقوعه، لا على لسان نبي ولا في كتاب منزل. وإن¹ غلط في ذلك جماعة، فإنهم لم يستندوا فيه إلى تعريف إلهي. وإنما يحتجّون بالخبر، وليس في الخبر ما يدلّ على أن غير الإنسان الكامل ما خلق على الصورة، ويمكن صحة ذلك ويمكن عدم صحته.

وَضَلَّ

سرّ إلهي: (الطبيعة بين النفس والهباء)

الطبيعة بين النفس والهباء؛ وهو رأي الإمام أبي حامد، ولا يمكن أن تكون مرتبتها إلا هنالك. فكلّ جسم قبل الهباء، إلى آخر موجود من الأجسام، فهو طبيعي. وكلّ ما تولّد من الأجسام الطبيعيّة من الأمور والقوى والأرواح الجريّة والملائكة والأنوار، فللطبيعة فيها حكم إلهي، قد جعله الله تعالى - وقدره. حكم الطبيعة من الهباء إلى ما دونه. وحكم النفس الكليّة من الطبيعة، فما دونها. وما فوق النفس فلا حكم للطبيعة ولا للنفس فيه.

وفما ذكرناه خلاف كثير بين أصحاب النظر من غير طريقنا من الحكماء، فإنّ المتكلّم لا حظ له في هذا العلم، من كونه متكلّمًا بخلاف الحكم، فإنّ الحكم عبارة عن جمع العلم الإلهي والطبيعي والرياضي والمنطقي، وما ثمّ إلا هذه الأربع المراتب من العلوم.

وتختلف الطريق في تحصيلها، بين الفكر والوهب²، وهو الفيض الإلهي. وعليه طريقة أصحابنا، ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرّق إليه من الفساد، والصحة فيه مظنونة. فلا يوثق بما يعطيه. وأعني بأصحابنا، أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات، لا العبّاد ولا الزهّاد، ولا مطلق الصوفيّة؛ إلا أهل الحقائق والتحقيق منهم. ولهذا يقال في علوم النبوة والولاية؛ إنّها وراء طور العقل، ليس للعقل فيها دخول بفكر، لكن له القبول خاصّة عند السليم العقل، الذي لم تغلب عليه شبهة خياليّة فكريّة، يكون من ذلك فساد نظره. وعلوم الأسرار كثيرة، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 49

2 ص 49 هـ

3 [الأحزاب : 4]. وكتب في الهامش: "بلغ" يليه: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي". يليه: "سمع من أول الكتاب إلى هنا على مصنفه الإمام محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي أياه الله بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وصر الله بن أبي العز بن الصغار، وأبو المعالي عبد العزيز بن الجباب، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناء عبد الواحد، وأحمد، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ومحمد بن بروهش المعظمي، ويوسف بن الحسن النابلسي، ومحمد بن نصر الله، ويعقوب بن معاذ الوري، وأبو بكر بن محمد البلخي، وعيسى بن إسحق الهلباني، وعبد الله بن محمد الأنلسي، وعمران بن محمد، ومحمد بن علي المطرر، وأحمد بن عبد الرحيم بن يان، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي

الباب الثامن والأربعون في معرفة إنما كان كذا لكذا؛ وهو إثبات العلة والسبب

إِنَّمَا كَانَ هَكَذَا لِكَذَا عِلْمٌ مِّنْ حَازَ رِثَّةَ الْحِكْمِ
لَا تَعْلَلُ وَجُودَ خَالِقِنَا فَيَكُنْ سَبْرُكَ إِلَى الْقَدَمِ
وَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي مَا لَهُ أَوَّلٌ فِي الْحُدُوثِ وَالْقَدَمِ

أَوَّلُ² مسألة من هذا الباب: (ما السبب الموجب لوجود العالم) ما السبب الموجب لوجود العالم، حتى يقال فيه: إنما وجد العالم لكذا؟ وذلك الأمر المتوقف عليه صحة وجوده؛ إما أن تكون علة فتطلب معلولها لذاتها. وإذا كان هذا فهل يصح أن يكون للمعلول علتان، فما زاد، أو لا يصح؟ وذلك في النظر العقلي لا في الوضعيات. وإذا تعددت العلل؛ فهل تعددها يرجع إلى أعيان وجودية؟ أو هل هي نسبت لأمر واحد؟.

وتم أمور يتوقف صحة وجودها على شرط يتقدمها، أو شروط. ويجمع ذلك كله³ اسم السبب. وللعلّة حكم، وللعلّة حكم. فهل العالم في افتقاره إلى السبب الموجب لوجوده؛ افتقار المعلول إلى العلة؟ أو افتقار المشروط إلى الشرط؟ وأيّها كان لم يكن الآخر. فإنّ العلة تطلب المعلول لذاتها، والشرط لا يطلب المشروط لذاته. فالعلم مشروط بالحياة، ولا يلزم من وجود الحياة وجود العلم. وليس كون العالم عالماً كذلك: فإنّ العلم علة، في كون العالم عالماً. فلو ارتفع العلم ارتفع كونه عالماً.

فهو من هذا الوجه يشبه الشرط. إذ لو ارتفعت الحياة ارتفع العلم. ولو ارتفع كونه عالماً، ارتفع العلم. فتميّز عن الشرط. إذ لو ارتفع العلم، لم يلزم ارتفاع الحياة. فهاتان مرتبتان معقولتان، قد تميّزتا. تسقى الواحدة علة، وتسقى الأخرى شرطاً.

الفرج التكريتي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابنهما المصنف، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وأحمد بن أبي اليجاء، وأبو بكر بن يونس الخلال، وابنه إبراهيم، ومحمد بن علي الخلاطي، ويعني بن إسماعيل الملقب، وعلي بن أبي الفخائم الفسالي، وحسين بن محمد الموصل، وأحمد بن محمد بن سليمان الحريري، وكاتب الأسماء إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتلاثين وستة. وسمع من أول الجزء الرابع والعشرين إلى هنا محمد بن جمعة البلسني، وابنه محمد، ومن موضع اسمه إلى هنا أحمد بن موسى التركاني وسمع وثبت.

1 الشبر: التجربة. وشبر الشيء شبراً: غززه وغثره. واشبر لي ما عنده أي أغلته. والشبر: استخراج كنه الأمر. والشبر: مضى شبر الخرخ يشبره ويشبره شبراً نظر مقارنه وقامته ليتعرف غززه، وشبرته: نهايته. وفي حديث الفار: قال له أبو بكر: لا تدخله حتى أشبره قبلك أي أختبره وأغثره وأنظر هل فيه أحد أو شيء يؤذي. [لسان العرب]، وفي س: سبرنا، ه: سيركم

2 ص 50

3 ق: "كلها" وصححها بقلم الأصل في الهامش مع إشارة التصويب.

فهل نسبة العالم في¹ وجوده إلى الحق نسبة المعلول، أو نسبة المشروط؟ محال أن تكون نسبة سرروط على المذهبين. فإنا لا نقول في المشروط يكون ولا بدّ. وإنما نقول: إذا كان؛ فلا بدّ من وجود شرطه المصحح لوجوده، ونقول في العالم على مذهب المتكلم الأشعري: إنه لا بدّ من كونه، لأنّ العلم سبق بكونه، ومحال وقوع خلاف المعلوم. وهذا لا يقال في المشروط.

وعلى مذهب المخالف، وهم الحكماء، فلا بدّ من كونه؛ لأنّ الله اقتضى وجود العالم لذاته. فلا بدّ من كونه، ما دام موصوفا بذاته. بخلاف الشرط. فلا فرق إذن بين المتكلم الأشعري والحكيم، في وجوب وجود العالم بالغير. فلننسّم تعلق العلم بكون العالم أزلا: علّة، كما يسمّي الحكيم الذات: علّة، ولا فرق.

ولا يلزم مساواة المعلول علته في جميع المراتب. فالعلّة متقدّمة على معلولها بالمرتبة، بلا شكّ. سواء كان ذلك سبق العلم، أو ذات الحقّ. ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه، وبين الممكن بونّ زمنيّ، ولا تقدير زمنيّ. لأنّ كلامنا في أوّل موجود ممكن. والزمان من جملة الممكنات. فإن كان أمرا وجوديا، فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات. وإن لم يكن أمرا وجوديا، وكان نسبة. فحدثت النسبة بحدوث الموجود المعلول، حدوثا عقليا، لا حدوثا وجوديا. وإذا لم يعقل بين الحقّ والخلق، بونّ زمنيّ فلم يبق إلّا الرتبة. فلا² يصحّ أن يكون أبدا، الخلق في رتبة الحقّ. كما لا يصحّ أن يكون المعلول في رتبة العلّة، من حيث ما هو معلول عنها.

فالذي هرب منه المتكلم في زعمه، وشنع به على الحكيم، القائل بالعلّة. يلزمه في سبق العلم، بكون المعلوم. لأنّ سبق العلم يطلب كون المعلوم لذاته ولا بدّ، ولا يعقل بينها بونّ مقدّر. فهذا قد نبهناك على بعض ما ينبغي في هذه المسألة.

فالعالم لم يبرح في رتبة إمكانه، سواء كان معدوما أو موجودا. والحقّ تعالى- لم يبرح في مرتبة وجوب وجوده لنفسه، سواء كان العالم أو لم يكن. فلو دخل العالم في الوجوب النفسي، لزم قدم العالم، ومساوقته في هذه الرتبة، لواجب الوجود لنفسه، وهو الله. ولم يدخل، بل بقي على إمكانه، وافتقاره إلى موجد وسببه، وهو الله تعالى-. فلم يبق معقول البينية، بين الحقّ والخلق، إلّا التميّز بالصفة النفسية. فهذا يفرّق بين الحقّ والخلق فافهم.

وأما قولنا: هل يكون في العقل للأمر المعلول علّتان؟ فلا يصحّ أن يكون للمعلول العقليّ علّتان. بل إن كان معلولا فنحن علّة واحدة. لأنّه لا فائدة للعلّة إلّا أن يكون لها أثر في المعلول. وأما إن اتفق أن يكون

من شرط المعلول، أن يكون على صفة بها يقبل أن يكون معلولا لهذه العلة، ولا يمكن أن يكون هذا علةً لتلك المعلول نفسه، إلا أن يكون ذلك المعلول بتلك الصفة النفسية، فلا¹ بدّ منها.

ولا يلزم من هذا أن تكون تلك الصفة النفسية علةً له، فإنها صفة نفسية. والشيء لا يكون علةً لنفسه، فإنه يؤدي إلى أن تكون العلة عين المعلول، فيكون الشيء متقدّماً على نفسه بالرتبة، وهذا محال. فكون الشيء علةً لنفسه محال. فإن العالم لو لم يكن في نفسه على صفة يقبل الاتصاف بالوجود والعدم على السواء، لم يصحّ أن يكون معلولا لعلته المرجّحة له أحد الجانبين، بالنظر إلى نفسه. فإن المحال لا يقبل صفة الوجود. فلا يكون الحقّ علةً له. فبطل أن يكون كونه ممكناً علةً له، وبطل أن يكون للشيء علّة. فإن الأثر للعلّة في المعلول، إنما كان وجوده، فما حكم العلة الأخرى فيه؟ إن كان وجوده، فقد حصل من إحداها، فلم يبق للآخر أثر.

فإن قيل باجتماعها، كان المعلول عن ذلك الاجتماع، فكان عنها. قلنا: فكل واحد منها إذا انفرد لا يكون علةً، ولا يصحّ عليه اسم العلّية، وقد صحّ. فبطل أن يكون كونه علةً، متوقفاً على أمر آخر. فإن قال: وما المانع أن تكون العلة بالاجتماع؟ قلنا: إنما يكون الشيء علةً لنفسه لهذا المعلول عنه لا لغيره، فيكون معلولا لتلك الغير، لأنّ ذلك الغير كشيء العلّية، وكلّ مكتسب لا يكون صفة نفسية.

ولو قلنا باجتماعها كان علةً؛ فلا يخلو ذلك الاجتماع أن يكون أمراً زائداً على نفس كلّ واحد منها، أو هو عينها. لا² جاز أن يكون عينها. فإننا نقول عين كلّ واحد منها، ولا اجتماع. فلا بدّ أن يكون زائداً. فذلك الزائد لا بدّ أن يكون وجوداً أو عدماً، أو لا وجوداً ولا عدماً، أو وجوداً وعدماً معاً. فهذا القسم الرابع محال بالبدئية، ومحال أن يكون وجوداً، للتسلسل اللازم له بما يلزمه من ملزومه، أو التّوهم؛ فيكون علةً لمن هو معلول له، وهذا محال. ومحال أن يكون عدماً، لأنّ العدم نقيّ محض، ولا يتّصف النقيّ المحض بالأثر. ومحال أن يكون لا وجود ولا عدم كالنّسب، إذ لا حقيقة للنّسب في الوجود، فإنها أمور إضافية تحدث. ولا يكون ما يحدث علةً، لما هو عنه حادث. فبطل أن يكون للشيء علّةان في العقل.

وأما في الوضعيات فقد يعتبر الشرعُ أموراً تكون بالجمع، سبباً في ترتب الحكم، هذا لا يُنع.

فإذ وقد علمت هذا، فهو أدلّ دليل على توحيد الله تعالى، (أي) كونه علةً في وجود العالم. غير أنّ إطلاق هذا اللفظ عليه لم يرد به الشرع، فلا نطلقه عليه، ولا ندعوه به. فهذا توحيد ذاتي، ينتهي معه

الشريك بلا شك. قال الله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾¹ ومعنى هذا لم يوجد، يعني العالَم الغلوي وهو السماء، والسفلي وهو الأرض، فحققت هذه المسألة في ذهنك، فإنها نافعة في شئ الشريك، ونفي التحديد عن الله تعالى، فلا حد لئانته ولا شريك له في ملكه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾²

إِنَّمَا عَلَّمُوا الْبَنِي	عَلَّمُوهُ بِكُونِهِ
هُوَ مَعْلُومٌ عَلَيْهِ	لَيْسَ مَعْلُومٌ غَيْبِهِ
فَانْظُرُوا مَا نَصُصْتُه	فَهُوَ مِنْ بَرٍّ يَنْبَغِيهِ ⁴
فَصَلِّ الْأَمْرَ نَفْسَهُ	عَنْ سِوَاهُ يَنْبَغِيهِ ⁵
فِي بَرٍّ مُحَقَّقٍ	إِنِّي بَرٌّ غُزْنِيهِ
فَلْيَسْتِ الرِّدَاءُ مِنْ	طَلَبِي عَيْنَ صَوْنِهِ

* * *

مسألة أخرى: إنما كان كذا لكننا: (إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية)

إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية. فإن الرتبة الإلهية تطلب لئانها أن يكون في العالم بلاء وعافية، ولا يلزم من ذلك دوام شيء من ذلك، إلا أن يشاء الله، فقد كان ولا عالم. وهو مستق بهذه الأسماء، فالأمر في هذا مثل الشرط والمشروط، ما هو مثل العلة والمعلول. فلا يصح المشروط ما لم يصح وجود الشرط، وقد يكون الشرط وإن لم يقع المشروط.

فلما رأينا البلاء والعافية قلنا: لا بد لهما من شرط، وهو كون الحق إلها يستق بالبلبي والمعذب والمنعم. وكما أن كل ممكن قابل لأحد الحكمين، أعني الضدين، هو قابل أيضاً لانتفاء أحد الضدين. فالعالم كله ممكن. فجاز أن ينتفي عنه⁴ أحد الحكمين. فلا يلزم الخلود في النار الآخرة في العذاب، ولا في النعم، بل ذلك كله ممكن.

فإن ورد الخبر الإلهي الذي يفيد العلم، بالنص الذي لا يحتمل التأويل، بخلود العالم في أحد الحكمين، أو بوقوع كل حكم في جزء من العالم معين، وخلود ذلك الجزء فيه إلى ما لا ينتهاى، قبلناه وقلنا به. وما ورد من الشارع أن العالم الذي هو في جهنم، الذين هم أهلها ولا يخرجون منها، أن بقاءهم فيها لوجود

1 [الأنبياء : 22]

2 ص 52

3 [آل عمران : 6]

4 بجائيا في الهامش: "الوصل" يشير إلى معنى "بينه" هنا.

5 بجائيا في الهامش: "الفراق" يشير إلى معنى "بينه" هنا.

6 ص 53

العذاب. فكما ارتفع حكم العذاب عن ممكنٍ ما، وهم أهل الجنة، كذلك يجوز، أن يرفع عن أهل النار وجود العذاب، مع كونهم في النار لقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾¹ وقال: «سبقت رحمتي غضبي».

ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط، فيكون الله إليها بجميع أسمائه. ولا عذاب في العالم ولا ألم لأنه ليس ارتفاعه عن ممكنٍ ما، بأولى من ارتفاعه عن جميع الممكنات. فلم يسق بأيدينا من طريق العقل، دليل على وجود العذاب دائماً ولا غيره، فليس إلا النصوص المتواترة، أو الكشف الذي لا تدخله شبهة، فليس للعقل زؤه، إذا ورد من الصادق، النص الصريح أو الكشف الواضح.

. . .

مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما صحت الصورة لآدم لحلقه باليدين)

إنما² صحت الصورة لآدم لحلقه باليدين؛ فاجتمع فيه حقائق العالم بأسره، والعالم يطلب الأسماء الإلهية، فقد اجتمع فيه الأسماء الإلهية. ولهذا خُص آدم عليه السلام بعلم الأسماء كلها، التي لها توجه إلى العالم. ولم يكن ذلك العلم أعطاه الله للملائكة، وهم العالم الأعلى الأشرف. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾³ لم يقل: "بعضها". وقال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾⁴ ولم يقل: "عرضها" فدل على أنه عرض المستعنيين، لا الأسماء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم غيبك» فإن كان هذا الدعاء، دعا به قبل نزول سورة البقرة عليه، فلا معارضة بين الخبر والآية، عند من يقول بأن الأسماء هنا هي الأسماء الإلهية، فإنه صلى الله عليه وآله لم يكن له علم بما خص الله به آدم على الملائكة، كما قال صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكُنْ لِي آتِجٌ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾⁵.

وإن كان دعا به بعد نزول سورة البقرة، فيكون قوله: ﴿كُلَّهَا﴾ يريد الأسماء الإلهية التي تطلب الآثار في العالم، وما يُعْبَدُ به (الحق) من أسماء التنزيه والتقدیس. وكذلك⁶ قوله صلى الله عليه وآله في حديث الشفاعة: «فأحمد ربِّي بحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن» مع قوله في حديث الضرية: «فعلمت علم الأولين والآخرين» ومن علم الأولين علم الأسماء التي علمها الله آدم، وربما يكون من علم الآخرين علم هذه الحامد، التي يحمد بها ربه يوم القيامة.

. . .

1 [البقرة : 167]

2 ص 53 ب

3 [البقرة : 31]

4 [الأحقاف : 9]

5 ص 54

مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما كانت الخلافة لآدم ﷺ لكون الله تعالى - خلقه على صورته) إنما كانت الخلافة لآدم ﷺ دون غيره من أجناس العالم، لكون الله تعالى - خلقه على صورته. فالخليفة لا بد أن يظهر فيما استُخلف عليه بصورة مستخلفه، وإلا فليس بخليفة له فيهم. فأعطاه الأمر والنهي وسماه بالخليفة، وجعل البيعة له بالسمع والطاعة، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وأمر الله - سبحانه - عباده بالطاعة لله ولرسوله، والطاعة لأولي الأمر منهم، فجمع رسول الله ﷺ بين الرسالة والخلافة كداود عليه السلام، فإن الله نص على خلافته عن الله بقوله تعالى: ﴿فَأَخَکُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾¹ وأَجْمَلَ خلافة آدم عليه السلام.

وما كلُّ رسولٍ خليفةٌ. فمن أمر ونهى، وعاقب وعفا، وأمر الله بطاعته، وجمعت له هذه الصفات؛ كان خليفةً. ومن بلغ أمر الله ونهيه، ولم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى، أن يأمر وينهى؛ فهو رسولٌ يبلغ رسالات ربه. وبهذا بان لك الفرقان بين الخليفة والرسول.

ولهذا جاء بالأنف واللام في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾³ وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾⁴ أي فيما أمركم به على لسان رسوله ﷺ مما قال فيه ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾⁵ وهو كل أمر جاء في كتاب الله تعالى، ثم قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾⁶ ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ﷺ فلو كان يعني بذلك ما بلغ إلينا من أمر الله تعالى - لم تكن ثم فائدة زائدة، فلا بد أن يوليه رتبة الأمر والنهي، فيأمر وينهى، فنحن مأمورون بطاعة رسول الله ﷺ عن الله بأمره.

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁷ وطاعتنا له فيما أمر به ﷺ ونهى عنه، مما لم يقل هو من عند الله. فيكون قرآنا، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁸ فأضاف النهي إليه ﷺ فأتى بالأنف واللام في الرسول، يريد بهما التعريف والعهد، أي⁹ الرسول الذي استخلفناه عنا، فجعلنا له أن يأمر وينهى، زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا.

1 [ص: 36]

2 ص 40

3 [النساء: 80]

4 [النساء: 59]

5 [البقرة: 67]

6 [النساء: 59]

7 [النساء: 80]

8 [أنعام: 7]

9 ص 55

ثم قال تعالى- في الآية عينها: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹ أي إذا ولي عليكم خليفة عن رسولي، أو وليتموه من عندكم كما شرع لكم، فاسمعوا له وأطيعوا، ولو كان عبدا حبشيا، مجذع الأطراف، فإن في طاعتكم إياه طاعة رسول الله ﷺ. ولهذا لم يستأنف في أولي الأمر ﴿أطيعوا﴾ واكتفى بقوله: ﴿أطيعوا الرسول﴾² ولم يكتف بقوله: ﴿أطيعوا الله﴾ عن قوله: ﴿أطيعوا الرسول﴾ ففصل لكونه تعالى:- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³ واستأنف القول بقوله: ﴿وَأطيعوا الرسول﴾.

فهذا دليل على أنه تعالى- قد شرع له ﷺ أن يأمر وينهي. وليس لأولي الأمر أن يشرعوا شريعة، إنما لهم الأمر والنهي فيما هو مباح لهم ولنا، فإذا أمرونا بمباح، أو نهونا عن مباح، وأطعناهم في ذلك؛ أجزنا في ذلك أجز من أطاع الله، فيما أوجبه عليه من أمر ونهي. وهذا من كرم الله بنا، ولا يشعر بذلك أهل الغفلة منا.

* * *

مسألة أخرى من هذا الباب: (القرية مع السجود)

إنما أُمِرَت الملائكة والخلق أجمعون بالسجود، وجعل معه القرية، فقال⁴: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾⁵ وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من الله في سجوده» ليعلموا أن الحق في نسبة الفوق إليه من قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عَيْنَادِهِ﴾⁶ و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾⁷ كنسبة التحت إليه. فإن السجود طلب السفل بوجهه، كما أن القيام يطلب الفوق، إذا رفع وجهه بالدعاء وبديه.

وقد جعل الله السجود حالة القرب من الله. فلم يقيدته سبحانه- الفوق عن التحت، ولا التحت عن الفوق، فإنه خالق الفوق والتحت. كما لم يقيدته الاستواء على العرش، عن النزول إلى السماء الدنيا. ولم يقيدته النزول إلى السماء الدنيا عن الاستواء على العرش. كما لم يقيدته سبحانه- الاستواء والنزول عن أن يكون معنا أين ما كنا. كما قال تعالى:- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁸ بالمعنى الذي يليق به، وعلى الوجه الذي أراده.

[النساء : 59] 1

[النساء : 59] 2

[الشورى : 21] 3

ص 55 ب 4

[العلق : 19] 5

[الأنعام : 18] 6

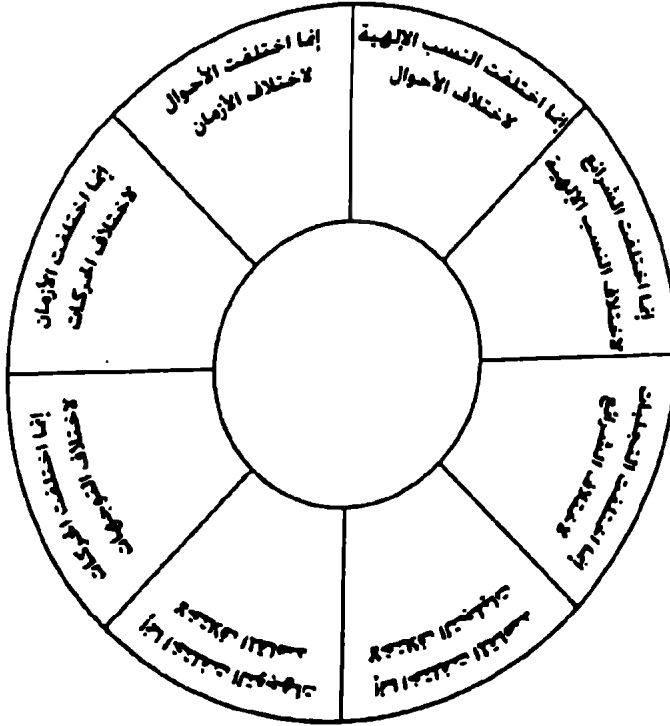
[الحل : 50] 7

[الحديد : 4] 8

كما قال أيضاً: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي» كما قال عنه هود عليه السلام: ﴿مِمَّا مِنْ ذَابَّةٍ إِنْ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾¹ وقال تعالى- أيضاً في حق الميت: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾² فنسب القرب إليه من الميت، وقال أيضاً ﷺ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ خَبَلِ الْوَرِيدِ﴾³ يعني إلى الإنسان مع قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ﴾⁴.

* * *

مسألة⁵ دورية من هذا الباب وهذه صورتها:



1 [هود : 56]

2 [الراضة : 85]

3 [أن : 16]

4 [النورى : 11]

5 ص 56

إنما قلنا: "اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية" لأنه¹ لو كانت النسبة الإلهية لتحليل أمر ما في الشرع، كالنسبة لتحريم ذلك الأمر عينه في الشرع، لَمَا صحَّ تغيير الحكم، وقد ثبت تغيير الحكم. ولَمَّا صحَّ أيضاً قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾² وقد صحَّ أَنَّ لكلَّ أمة شرعة ومنهاجا، جاءها بذلك نبيا ورسولها، فنسخ وأثبت. فعملنا بالقطع أَنَّ نسبته تعالى - فيما شرعه إلى محمد ﷺ خلاف نسبته إلى نبي آخر. وإلا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه، وهي الموجبة للتشريع الخاص، لكان الشرع واحدا من كل وجه.

فإن قيل: فلم اختلفت النسب الإلهية؟ قلنا: لاختلاف الأحوال، فمن حاله المرض يدعو: يا معافي، ويا شافي. ومن حاله الجوع يقول: يا رزاق. ومن حاله الفرق يقول: يا مغيث. فاختلفت النسب لاختلاف الأحوال وهو قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾³ و﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾⁴ وقوله ﷺ لَمَّا وصف ربه - تعالى: «بيده الميزان يخفض ويرفع» فلهذا الوزن قيل فيه: "الخافض الرفع" فظهرت هذه النسب، فهكذا في اختلاف أحوال الخلق.

وقولنا: إنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان؛ فإنَّ اختلاف أحوال الخلق سببها اختلاف الأزمان عليها: فحالها⁵ في زمان الربيع يخالف حالها في زمان الصيف، وحالها في زمان الصيف يخالف حالها في زمان الخريف، وحالها في زمان الخريف يخالف حالها في زمان الشتاء، وحالها في زمان الشتاء يخالف حالها في زمان الربيع. يقول بعض العلماء بما تفعله الأزمان في الأجسام الطبيعية: "تعرضوا لهواء زمان الربيع؛ فإنه يفعل في أبدانكم ما يفعل في أشجاركم، وتحفظوا من هواء زمان الخريف؛ فإنه يفعل في أبدانكم كما يفعل في أشجاركم".

وقد نص الله تعالى - على أننا من جملة نبات الأرض فقال: ﴿وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁶ أراد فتنبئ نباتا، لأنَّ مصدر "أنبتكم" إنما هو "إنباتا". كما قال في نسبة التكوين إلى نفس المأمور به فقال تعالى: ﴿إِنَّا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁷ فجعل التكوين إليه، كذلك نسب ظهور النبات إلى النبات فانهم. فلذلك قلنا: إنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان.

1 ص 56 ب

2 [المائدة : 48]

3 [الرحمن : 29]

4 [الرحمن : 31]

5 ص 57

6 [نوح : 17]

7 [التحل : 40]

وأما قولنا: "إنما اختلفت الأزمان لاختلاف الحركات" فأعني بالحركات الحركات الفلكية، فإنه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمان¹ الليل والنهار، وتعينت السنون والشهور والفصول. وهذه المعبر عنها بالأزمان.

وقولنا²: "اختلفت الحركات لاختلاف التوجّهات" أريد بذلك توجّه الحقّ عليها بالإيجاد لقوله تعالى:- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴿فَلَوْ كَانَ التَّوَجُّهُ وَاحِدًا عَلَيْهَا، لَمَّا اختلفت الحركات، وهي مختلفة. فدلّ أنّ التوجّه الذي حرّك القمر في فلكه، ما هو التوجّه الذي حرّك الشمس، ولا غيرها من الكواكب والأفلاك. ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت السرعة أو الإبطاء في الكلّ على السواء، قال تعالى:- ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³ فلكلّ حركة توجّه إلهي؛ أي تعلق خاص من كونه مريداً.

وقولنا: "وإنما اختلفت التوجّهات لاختلاف المقاصد" فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجّه، عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجّه، لم يميّز أمر عن أمر. والآثار بلا شكّ مختلفة. فالتوجّهات مختلفة لاختلاف المقاصد؛ فتوجّهه بالرضا عن زيد، غير توجّهه بالفضب على عمرو، فإنه قصد تعذيب عمرو، وقصد تنعيم زيد. فاختلفت المقاصد.

وقولنا: "إنما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات" فإنّ التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجود، لم⁴ يصحّ أن يكون لها سوى قصد واحد، وقد ثبت اختلاف القصد. فلا بدّ أن يكون لكلّ قصد خاصّ، تجلّ خاصّ. ما هو عين التجلي الآخر. فإنّ الاتساع الإلهي يعطي أن لا يتكرر شيء في الوجود، وهو الذي عولت عليه الطائفة، والناس ﴿فِي لَبِيسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁵.

يقول الشيخ أبو طالب المكي، صاحب "قوت القلوب"، وغيره من رجال الله ﷻ: "إنّ الله - سبحانه - ما تجلّى قطّ في صورة واحدة لشخصين، ولا في صورة واحدة مرتين". ولهذا اختلفت الآثار في العالم، وكى عنها بالرضا والغضب.

وقولنا: "إنما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع" فإنّ كلّ شريعة طريق موصلة إليه سبحانه، وهي مختلفة. فلا بدّ أن تختلف التجليات كما تختلف المطايا. ألا تراه ﷻ إذا تجلّى لهذه الأمة في القيامة، وفيها مناقبها، وقد اختلف نظرم في الشريعة فصار كلّ مجتهد، على شرع خاصّ، هو طريقه إلى الله، ولهذا

1 ناجة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 57

3 [الأنبياء : 33]

4 ص 58

5 [لق : 15]

اختلفت المذاهب -وكلُّ شرعٍ- في شريعة واحدة، والله قد قرّر ذلك على لسان رسوله ﷺ عندنا،
فاختلفت التجلّيات بلا شك.

فإنَّ كلّ طائفة قد اعتقدت في الله أمراً ما، إن تجلّى لها في خلافه أنكرته¹، فإذا تحوّل لها في العلامة
التي قد قرّرت تلك الطائفة مع الله في نفسها، أقرت به. فإذا تجلّى للأشعري في صورة اعتقاد من يخالفه
في عقده في الله، وتجلّى للمخالف في صورة اعتقاد الأشعري مثلاً، أنكره كلّ واحد من الطائفتين، كما
ورد. وهكذا (الأمر) في جميع الطوائف.

فإذا تجلّى لكل طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى، وهي العلامة التي ذكرها مسلم، في صحيحه عن
رسول الله ﷺ أقروا له بأنّه ربهم، وهو هو، لم يكن غيره. فاختلفت التجلّيات لاختلاف الشرائع.

وقولنا: "إنما اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية" قد تقدّم ودار الثور. فكل شيء أخذته من
هذه المسائل صلح أن يكون أولاً وآخرًا ووسطاً. وهكذا كلّ أمر دوري، يقبل كلّ جزء منه بالفرض؛
الأولى والأخيرة وما بينهما. وقد ذكرنا مثل هذا الشكل الدوري في "التدبيرات الإلهية" مضاهياً لقول
المتقدّم إذ قال: "العالم بستان سياج الدولة؛ الدولة سلطان تحجبه الشئ؛ الشئ سياسة يسوسها الملك؛
الملك راع يعضده الجيش؛ الجيش أعوان يكفلهم المال؛ المال رزق يجمعه الرعية؛ الرعية عبيد تعبدهم
العدل؛ العدل مألوف فيه صلاح العالم؛ العالم بستان. ودار الثور.

ويكني هذا القدر من الإيمان إلى العلل والأسباب مخافة التطويل، فإنّ هذا الباب واسع جداً، إذ كان
العالم كلّ مرتبطاً بعضه ببعض: أسباب ومسببات، وعلل ومعلولات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي
السَّبِيلَ﴾³.

انتهى الجزء الخامس والعشرون، يتلوه الجزء السادس والعشرون.⁴

1 ص 58 ب

2 ص 59

3 [الأحزاب: 4]

4 "انتهى الجزء... والعشرون" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والأربعون

في معرفة قوله ﷺ: «إِنِّي لأجد نَفْسَ الرحمن من قِبَلِ اليمين» ومعرفة هذا المنزل ورجاله

نَفْسُ الرَّحْمَنِ لَيْسَ لَهُ	فِي سِوَى الرَّحْمَنِ مُسْتَنْدٌ
حُكْمُهُ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ	مَا لَهَا رُكْنٌ وَلَا سَنَدٌ
يَمْنُ الْأَكْوَانِ مَنْزِلُهُ	وَهُوَ لَا رُوحٌ وَلَا جَسَدٌ
مَا لَهُ حَدٌّ يَحِيطُهُ	وَهُوَ الْمَطْلُوبُ وَالصَّنَدُ
فَيَبِينُ الْخَلْقُ يَطْلُبُهُ	ثُمَّ لَمْ يَطْفَرْ بِهِ أَحَدٌ
أَحَدٌ مَا مِثْلُهُ أَحَدٌ	يَكْمَالِ التَّغَتِّ مُنْفَرِدٌ

اعلم يا وليّ- أَنَّ الله عبادا من حيث اسمه الرحمن وهو قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾² يقول تعالى:- ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾³ والله عباد يأتي إليهم الرحمن من اسمه الربّ، فَإِنَّ الله يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁴ فكما له من الاسم الله، الأسماء الحسنَى. كذلك له من الاسم الرحمن الأسماء الحسنَى.

قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ رُتْبًا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾⁵ فتمّ إتيان عام مثل هذا، وهو الإتيان للفصل والقضاء، وتمّ إتيان خاصّ بالرحمة لمن اعتنى به من عباده.

قال رسول الله ﷺ: لَمَّا اشْتَدَّ كَرِهُهُ مِنَ الْمَنَازِعِينَ: «إِنِّي لأجد نَفْسَ الرحمن من قِبَلِ اليمين» وهو ما مشى إلى اليمين لكن النفس أدركه من قِبَلِ اليمين. وما أدركه حتى أتاه، فجاء بالتنفيس من الشدة والضيق الذي كان فيه بالأنصار رضي الله عن جميعهم-. فتقدّم إليه النفس في باطنه وقلبه، مبشّرا بما يظهره الله من

1 ص 59 ب

2 [الفرقان : 63]

3 [مريم : 85]

4 [الإسراء : 110]

5 [الفجر : 22]

نصرة¹ الدين، وإقامته على أيدي الأنصار.

ولقد جرى لنا في حديث الأنصار، ما نذكره إن شاء الله -. وذلك أنه عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل والأدب والدين، يقال له: يحيى بن الأخفش²، من أهل مراكش، كان أبوه يدرس العربية بها. فكتب إلي يوماً من منزله بدمشق، وأنا بها، يقول لي في كتابه: يا ولي؛ رأيتُ رسول الله ﷺ البارحة بجامع دمشق، وقد نزل بمقصورة الخطابة، إلى جانب خزانة المصحف، المنسوب إلى عثمان ؓ، والناس يهرعون إليه ويدخلون عليه يباعونه.

فبقيت واقفاً حتى خف الناس، فدخلت عليه وأخذت يده. فقال لي: هل تعرف محمداً؟ قلت له: يا رسول الله؛ من محمد؟ فقال له: ابن العربي. قال: فقلت له: نعم أعرفه. فقال له رسول الله ﷺ: «إنا قد أمرناه بأمر؛ فقل له: يقول لك رسول الله: انهض لما أمرت به. واصحبه أنت، فإنك تنتفع بصحبته. وقل له: يقول لك رسول الله: امتدح الأنصار، ولتعتن منهم سعد بن عباد، ولا بد».

ثم استدعى بحسان بن ثابت³. فقال له رسول الله ﷺ: «يا حسان؛ حفظه بيتا يوصله إلى محمد بن العربي، يبني عليه وينسج على منواله في العروض والروى». فقال حسان: يا يحيى؛ خذ إليك. وأنشدني بيتا، وهو:

شَوْفَ الشَّهَادُ بِمَقْلَبِي وَمَزَارِي فَعَلَى التَّمَوِّعِ مَعُولِي وَمُشَارِي

وما زال يردده عليّ حتى حفظته. ثم قال لي رسول الله ﷺ: إذا مدح الأنصار، فاكتبه بخط بيتين، واحمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسمونها قبر السُّت، فستجد عندها شخصاً اسمه حامد، فادفع إليه المديح.

فلما أخبرني بذلك هذا الرائي سقّاه الله - عملت القصيدة من وقتي من غير فكرة ولا روية ولا تثبُّط، ودفعت القصيدة إليه، فكتب إليّ: إنه لما جاء قبر الست، وصل إليه بعد العشاء الآخرة، قال فرايت

1 ص 60

2 رشحها في ق. س: الأخفش

3 حسان بن ثابت: (؟ - 54 هـ / ؟ - 673 م) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي صلى الله عليه وسلم - وأحد المصنفين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مناعه في الفسانين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمر قبل وفاته لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم - مشهراً لعله أصابته. توفي في المدينة. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بطلاة: كان شاعر الأصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر المؤمنين في الإسلام. وقال المنبر في الكامل: أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يملكون سنة في نسق كلهم شاعر وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

4 ص 60

رجلا عند القبر. فقال لي ابتداء: أنت يحيى الذي جاء من عند فلان؟ وسمتاني. قال: فقلت له: نعم. قال فآين القصيد الذي مدح به الأنصار، عن أمر رسول الله ﷺ؟ فقلت: هو ذا عندي. فناولته إياه. فقرب من الشمعة، ليقرا القصيد، فلم أره يغير ذلك الخط. فقلت له: تأمرني أنشدك إياها؟ قال: نعم.

فأنشدته إياها، وهذا نص القصيدة:

فَقَرُّ الْكَلَامِ وَنَشْأَةُ الْأَشْعَارِ
فَعَلَى الثَّمُوعِ مَعُولِي وَمُشَارِي

قَالَ ابْنُ ثَابِتٍ الَّذِي فَخَّرَتْ بِهِ
شُعْبَةُ الشَّهَادِ بِمُقَاتِلِي وَمَزَارِي
وَكَانَتْ¹ أُمِّي تَنْسَبُ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ:

هِيَ مِنْ حُرُوفِ الرَّدِّ وَالتَّكْرَارِ
فِي مَذْحِ قَوْمِ سَادَةِ أَبْرَارِ
فَإِذَا مَدَّخْتُهُمْ مَدَّخْتُ نِجَارِي²
أَنْوَارُهُ فِي زَايِسِ كُلِّ مَنْارِ
الْمُضْطَلَقِ الْمُخْتَارِ مِنْ مُخْتَارِ
فَأَزُوا مِنْ حِينَدَةِ الْأَقَارِ
وَلِذَاكَ مَا صَحَّبُوهُ بِالْإِشَارِ
يَأْتِيهِ مِنْ يَمَنِ مَعَ الْأَقْدَارِ
يَوْمَ السَّقِيفَةِ جُمْلَةُ الْأَنْصَارِ
تَزَلَّتْ بِدِينِ اللَّهِ وَالْأَخْبَارِ
دِينَ الْهِنْدَى بِالْفَسْكَرِ الْجَرَارِ
وَهُمْ نَرَى يَوْمَ الْوُرُودِ فَخَارِي
فِي مَذْجِهِمْ مَا كُنْتُ بِالْمُكْتَارِ
لَجِئْتُ بِهِمْ أَغْدَاؤُهُ بِبَارِ
أَسَادُ غَابِ فِي الْوَعَى بِهَارِ

فَلَبَّذَا جَعَلْتُ رَوِيَهُ الرِّاءَ الَّتِي
فَأَقُولُ مُبْتَدِئًا لِبَطَاةِ أَحْمَدِ
إِنِّي أَمْرُو مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْصَارِ
بِسُيُوفِهِمْ قَامَ الْهِنْدَى وَهُمْ عَلَتْ
قَامُوا بِنَصْرِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ
صَحِبُوا النَّبِيَّ بِنِيَّةِ وَعَزَائِمِ
بَاعُوا نَفْسَهُمْ لِنُصْرَةِ دِينِهِ
عَنْهُمْ كَتَى الْمُخْتَارُ بِالنَّفْسِ الَّذِي
سَعَدَتْ³ سَلِيلُ عِبَادَةِ فَخَرَتْ بِهِ
لِلَّهِ أَسَادُ كُلِّ كَرِيهَةِ
عَزُّوا بِدِينِ اللَّهِ فِي إِعْزَازِهِمْ
فَبِهِمْ عَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَشْهَدِي
لَوْ أَنَّنِي صُغْتُ الْكَلَامَ فَلَايِنَا
كَرِشُ النَّبِيِّ وَعَيْنَةُ لِرَسُولِهِ
رُهْبَانُ لَيْلٍ يَشْرُوْنَ كَلَامَهُ

وقصة الرؤيا طويلة، فاقصرت من ذلك على ما نحتاج إليه في هذا الباب من ذكر الأنصار.

1 ص 61

2 التجار: الأصل والحسب.

3 ص 61

ثم نرجع فنقول: فما جاءت الأنصار إلا بعد أن نفس الله عن نيته بما بشره به، فلقيته الأنصار¹ في حال أسع وانسراح وسرور، وتلقاها ﷺ تلقى القنبي برته، فكان معها والمهاجرين عوناً على إقامة دين الله كما أمرهم الله. قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَفْضُ وَيَنْسُطُ﴾². فإله الأسماء الحسنى، ولها آثار وتحكم في خلقه وهي المتوجهة من الله تعالى- على إيجاد الممكنات وما تحوي عليه من المعاني التي لا نهاية لها.

والله من حيث ذاته ﴿عَنِّي غِي الْعَالَمِينَ﴾³ وإنما عرفنا الله تعالى- أنه ﴿عَنِّي غِي الْعَالَمِينَ﴾ ليعلمنا أنه سبحانه- ما أوجدنا إلا لنا لا لنفسه، وما خلقنا لعبادته إلا ليعود ثواب ذلك العمل وفضله إلينا. ولذلك ما خص بهذا الخطاب إلا الثقلين، فقال تعالى:- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾⁴ ولا نملك أن كل ما خلق من الملائكة وغيرهم من العالم، ما خلقهم إلا مسبحين بحمده، وما خص بهذه الصفة غير الثقلين، أعني صفة العبادة، وهي الذلة. فما خلقهم حين خلقهم أذلاء. وإنما خلقهم ليذلوا. وخلق ما سواهم أذلاء في أصل خلقهم. فما جعل العلة، في سبب الثقلين، الذلة كما جعلها فينا.

وذلك أنه ما تكبر أحد من خلق الله على أمر الله غير الثقلين. ولا عصي- الله أحد من خلق الله سبب الثقلين. فأمر إبليس فعصى، ونهى آدم⁵ أن يقرب الشجرة، فكان من أمره ما قال الله لنا في كتابه ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾⁶. وأما الملائكة فقد شهد لهم الله بأنهم ﴿لَا يَقْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقْلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁷ رداً على من تكلم بما لا ينبغي في حق الملكين يابل من المفسرين بما لا يليق بهم ولا يعطيه ظاهر الآية. لكن الإنسان يجترئ على الله تعالى-، فيقول فيه ما لا يليق بجلاله فكيف لا يقول في الملائكة. فكما كذب الإنسان ربه في أمور، فيكون هذا القائل قد كذب ربه في قوله في حق الملائكة: ﴿لَا يَقْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾.

وفي صحيح الخبر عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ يقول الله ﷻ: «كذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك» الحديث. ف«لا أحد أصر على أذى من الله»، كذا ورد أيضاً في الخبر، وهو سبحانه- يرزقهم ويحسن إليهم، وهم في حق هذه الصفة.

فاعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون سائر الموجودات، أن سائر المخلوقات، توجه على

1 ص 62

2 [البقرة : 245]

3 [آل عمران : 97]

4 [الناريا : 56]

5 ص 62

6 [طه : 121]

7 [التحریم : 6]

إيجادهم من الأسماء الإلهية: أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة، فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي، وتعرّف إليهم حين أوجدهم بهذه الأسماء، فلم يتمكن لمن خُلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه، ولا أن¹ يجد في نفسه طعماً للكبرياء، على أحد من خُلق الله، فكيف على من خُلِقَهُ.

وقد أشهده أنّه في قبضته وتحت قهره، وشهدوا كشفاً نواصيهم، ونواصي كلّ دابةً بيده في القرآن العزيز ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ثم قال متّماً: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾² والأخذ بالناصية عند العرب إذلالٌ. هذا هو المقرر عُرفاً عندنا. فمن كان حاله في شهود نظره إلى ربه؛ أخذ النواصي بيده، ويرى ناصيته من جملة النواصي، كيف يتصوّر منه عزٌّ أو كبرياء على خالقه مع هذا الكشف؟.

وأما الثقلان؛ فخلّتهم بأسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الإلهي، فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزّاً ولا كبرياء، ورأوا نفوسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف وتنزل. ولم يُبدِ الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمته في خروجهم إلى الدنيا شيئاً يشغلهم عن نفوسهم. ألا تراه في الأخذ الذي عرض لهم من ظهورهم حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ هل قال منهم أحد: نعم؟! لا والله، بل ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾³.

فأقروا له بالربوبية لأنهم في قبضة الأخذ محصورون. فلو شهدوا أنّ نواصيهم بيد الله، شهادة عين أو إيماناً كشهادة عين، كشهادة الأخذ، ما غصوا الله طرفه عين، وكانوا مثل سائر المخلوقات ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾⁴.

فلما ظهوروا عن هذه الأسماء الرحمانية⁵، قالوا: يا ربنا؛ إلمّا خلقتنا؟ قال: لتعبدون؛ أي لتكونوا أذلاء بين يديّ. فلم يروا صفّة قهر ولا جناب عزّة تُذلُّهم، ولا ستماً وقد قال لهم: لتذلّوا إليّ، فأضاف فعل الإذلال إليهم. فزادوا بذلك كبراً، فلو قال لهم: ما خلقتكم إلّا لأذلّكم، لفرقوا وخافوا، فإنّها كلمة قهر، فكانوا يبادرون إلى الذلّة من نفوسهم خوفاً من هذه الكلمة، كما قال للسّموات والأرض: ﴿إِنِّي طَوَّعْتُ لَكُمْ كُرْهًا﴾⁶ فلو لم يقل: ﴿كُرْهًا﴾ فإنّها كلمة قهر حيث ما أتت.

فلهذا قلنا: "ما أوجد كلّ ما عدا الثقلين ولا خاطبهم إلّا بصفة القهر والجبروت" فلما قال للثقلين عن

1 ص 63

2 [هود : 56]

3 [الأعراف : 172]

4 [الأنبياء : 20]

5 ص 63

6 [هصلت : 11]

السبب الذي لأجله أوجدهم وخلقهم، نظروا إلى الأسماء التي وُجدوا عنها، فما رأوا اسماً إلهياً منها يقتضي أخذهم وعقوبتهم، إن عصوا أمره ونهيه، أو تكبروا على أمره: فلم يطيعوه وغصّوه فـ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾¹ وهو أوّل الناس، وعصى إبليس ربه، فسرت الخالفة من هذين الأصلين في جميع الثقلين.

يقول النبي ﷺ عن آدم لَمَّا نسي وحمد ما وهبه لداود من عمره: «فنسي- آدم فَنَسِيَ ذُرِّيَّتَهُ، وحمد آدم فجحدت ذُرِّيَّتَهُ، إِلَّا من رحم ربك فعصمه» ولكن من التكبر على الله، لا من تكبر² بعضهم على بعض وعلى سائر المخلوقين. فما عَصِمَ أَحَدٌ من ذلك ابتداءً، فَإِنَّ الله قد شاء أن³ ﴿يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾⁴.

ولكن إذا اعتنى الله بعبده، ففي الحالة الثانية يريزه التوفيق والعناية، فيلزم ما خلق له من العبادة، فيلحق بسائر المخلوقات، وهو عزيز الوجود. وأين العبد الذي هو في نفسه مع أنفاسه عبد لله دائماً؟ فلا يَزِلُّ أَحَدٌ من الثقلين إِلَّا عن قهرٍ يجده؛ فهو في ذلّه مجبور. فإذا وجد ذلك، حينئذ يلتفت إلى الأسماء التي عنها وُجد -وهي أسماء الرحمة- فيطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج الذي ما اعتاده، فيحنّ إلى جنتها، ويعرف أن لها قوّة وسلطاناً، فتتنفّس عنه ما يجده من ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ» فأشار إلى الاسم الذي خلق به الثقلين، وقرن معه جملة القوّة، فقال: «مِنْ قَبْلِ الْيَمِينِ» والقَبْلُ الناحية والجهة، واليمين من اليمين، وهو القوّة. قال الشاعر⁵:

إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَزَابُهُ بِالْيَمِينِ

أراد بالقوّة. فَإِنَّ الْيَمِينَ محلّ القوّة، ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾⁶ وكذلك كان لَمَّا نظر إليه الاسم الرحمن الذي عنه وُجد (النبي محمد)، كان النصر على أيدي الأنصار.

وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ﴾⁷ فَإِنَّ الْمُتَّقِيَ هو الخَيْرُ الخائف الزَّجِلُ، ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرؤوف ويتقيه، وإنما مشهود المتقي: السريع الحساب، الشديد العقاب، المتكبر، الجبار. فينتفي ويخاف، فيؤمنه الله تعالى، بأن يحشره إلى الرحمن. فيؤمن سطوة الجبار القهار، ولهذا قال تعالى-

1 [طه : 121]

2 ق: "على" وصححت في الهامش بخط آخر: "من تكبر".

3 ص 64

4 [الزخرف : 32]

5 سبق تعريفه بالسفر 2

6 [الزمر : 67]

7 [مریم : 85]

8 ص 64 كعب

فينا¹: "إِنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ"، لَأَنَّهُ بِالرَّحْمَةِ أَوْجَدَنَا، لم يوجدنا بصفة القهر، وكذلك تأخّرت المعصية، فتأخّر الغضب عن الرحمة في الثقلين، فالله يجعل حكمها في الآخرة كذلك، ولو كانت بعد حين.

ألا ترى الله تعالى- إذا ذكر أسماءه لنا يتدبّر بأسماء الرحمة، ويؤخّر أسماء الكبرياء، لأنّا لا نعرفه. فإذا قدّم لنا أسماء الرحمة عرفناها، وخنّنا إليها. عند ذلك يتبعها أسماء الكبرياء لنأخذها بحكم التبعية، فقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾² فهذا نعتٌ يعمّ الجميع، وليس واحدٌ به بأوّل من الآخر، ثمّ ابتداءً فقال: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ فعرّفنا الرحمن، ﴿الرَّحِيمُ﴾³ لأنّا عنه وُجِدنا، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ابتداءً ليجعله فصلاً بين ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وبين ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ فقال: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ وهذا كلّ من نعوت الرحمن، ثمّ جاء وقال: ﴿الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾⁴ فقبلنا هذه النعوت، وبعد أن آتسنا بأسماء اللطف والحنان، وأسماء الاشتراك التي لها وجهٌ إلى الرحمة، ووجهٌ إلى الكبرياء، وهو الله والمليك.

فلما جاء بأسماء العظمة، والحل⁵ قد تأتّى بترادف الأسماء الكثيرة الموجبة للرحمة، قبلنا أسماء العظمة لأنّا رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها، حيث كانت نعوتها لها، فقبلناها ضمناً تبعاً لأسمائها. ثمّ إنّه لمّا علم (الله) الخلق؛ أنّ صاحب القلب والعلم بالله ومواقع خطابه، إذا سمع مثل أسماء العظمة، لا بدّ أن تؤثر فيه أثر خوف وقبض، نعتها بعد ذلك، وأردفها بأسماء لا تختصّ بالرحمة على الإطلاق، ولا تغزى عن العظمة على الإطلاق، فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁶، وهذا كلّ تعليم من الله عبادة وتزكّي إليهم.

فما نزل أصحاب هذا الباب، هي هذه الأسماء المذكورة وحضراتها، ولهذا قدّم سبحانه- في كتابه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة، إذ كانت السور تحوي على أمور مخوفة، تطلب أسماء العظمة والاعتدال، فقدّم أسماء الرحمة تأنيساً وبشرى، ولهذا قالوا في "سورة التوبة" إنّها و"الأفعال" سورة واحدة، حيث لم يفصل بينهما بالبسملة، وفي ذلك خلاف منقول بين علماء هذا الشأن من الصحابة.

ولمّا علم الله تعالى- ما يجري من الخلاف في هذه الأمة في حذف البسملة من "سورة براءة"، فمن

1 تابة في الهامش بقلم الأصل.

2 [الحشر : 22]

3 [الحشر : 22]

4 [الحشر : 23]

5 ص 65

6 [الحشر : 24]

ذهب إلى أنها سورة مستقلة، وكان القرآن عنده مائة وثلاث عشرة سورة، فيحتاج إلى¹ مائة وثلاث عشرة بسملة، أظهر لهم في سورة النمل بسملة، ليكمل العدد، وجاء بها كما جاء بها في أوائل السور بعينها، فإن لغة سليمان عليه السلام لم تكن عربية، وإنما كانت لغة أخرى. فما كتب هذا اللفظ في كتابه، وإنما كتب لفظه بلغة يقتضي معناها باللسان العربي، إذا عُبِّرَ عنها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأتى بها محذوفة الألف، كما جاءت في أوائل السور، ليُعْلَمَ أَنَّ المقصود بها هو المقصود بها في أوائل السور، ولم يعمل ذلك في ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْزَاهَا﴾² و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾³ فأثبت الألف هناك ليفرق ما بين اسم البسملة وغيرها.

ولهذا تتضمن سورة التوبة من صفات الرحمة والتنزل الإلهي كثيراً؛ فإن فيها شراء الله نفوس المؤمنين منهم ﴿بِأَنَّهُمْ الْجَنَّةُ﴾⁴ وأي تنزل أعظم من أن يشتري السيد ملكه من عبده، وهل يكون في الرحمة أبلغ من هذا. فلا بد أن تكون "التوبة" و"الأنفال" سورة واحدة، أو تكون بسملة النمل السليمانية لسورة التوبة.

ثم انظر في اسمها سورة التوبة؛ والتوبة تطلب الرحمة، ما تطلب التبري. وإن ابتداء ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ختم بآية، لم يأت بها، ولا وجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين. فإن كنت تعقل غلثت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ...﴾⁵ ﴿وَمِنْهُمْ...﴾⁶ وذلك كله رحمة بنا، لنحذر الوقوع فيه والاختصاص بتلك الصفات، فإن القرآن علينا نزل.

فلم تتضمن سورة من القرآن في حقنا، رحمة أعظم من هذه السورة، لأنه كثر من الأمور التي ينبغي أن يتقياها المؤمن ويحتملها. فلو لم يعرفنا الحق تعالى- بها، ربما وقعنا فيها ولا نشعر، فهي سورة رحمة للمؤمنين.

وإذ وقد عرفناك بمنزله، فاعلم أن رجاله؛ هم كل من كان حاله من أهل الله حال من أحاطت به الأسماء الجبروتية، من جميع عالمه العلوي والسفلي، فيقع منه اللجأ والتضرع إلى أسماء الرحمة، فيتجلى له الاسم الرحمن الذي ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁷، والذي به ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁸ فيهبه الاقتدار الإلهي،

1 ص 65 ب

2 [هود : 41]

3 [العلق : 1]

4 [التوبة : 111]

5 ص 66

6 [التوبة : 49]

7 [التوبة : 58]

8 [طه : 8]

9 [طه : 5]

فيمحو به آثار الأسماء القهرية، فيسمع له الجلال، فيشرح الصدر، ويجري النفس، ويسري فيه روح الحياة،
ونأتي إليه وفود الأسماء الرحمانية، والحقائق الإلهية بالتماني والبشائر.

فمن كانت هذه حالته ويعرفها ذوقاً من نفسه، وهو من رجال هذا المقام؛ فلا يغالط نفسه. وكل إنسان
أعلم بحاله، ولا ينفك أن تنزل نفسك عند الناس منزلة ليست لك في نفس الأمر، وقد نصحتك وأبنت
لك عن طريق القوم؛ فلا تكن من الجاهلين بما¹ عرّفناك به ﴿وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾² ﴿إِنَّ اللَّهَ
لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾³ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 66ج

2 [الحجر : 99]

3 [آل عمران : 5]

4 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش مكتوب بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير البين محمود، غلّي. كتبه ابن العربي".

الباب المحسون في معرفة رجال الحيرة والعجز

مَنْ قَالَ يَقْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ	وَلَمْ يَحْزَ كَانَ بِرَهَانًا بِأَنْ جَمَلًا
لَا يَقْلَمُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهَ فَاتَّبِعُوا	فَلَيْتَ حَاضِرَكُمْ بِمِثْلِ الَّذِي غَفَلًا
الْعَجْزُ عَنْ ذِكْرِ الْإِدْرَاكِ مَعْرِفَةٌ	كَذَا هُوَ الْحُكْمُ فِيهِ عِنْدَ مَنْ غَفَلًا
هُوَ الْإِلَهُ فَلَا تَخْصِي مَحَامِدُهُ	هُوَ النَّزِيهُ فَلَا تَقْصِرْ لَهُ مِثْلًا

اعلم -أيديك الله بروح منه- أنَّ سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته تعالى وجلّ- بأحد الطريقتين: إمّا بطريق الأدلة العقلية، وإمّا بطريق تُسَمَّى المشاهدة. فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة. والدليل السمعي¹ قد أوماً إليها وما صرّح. والدليل العقلي قد منع من إدراك حقيقة ذاته، من طريق الصفة الشبوتية النفسية التي هو سبحانه- في نفسه عليها. وما أدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير، وسَمَّى هذا معرفة.

والشارع قد نُسب إلى نفسه أموراً، وصف نفسه بها، تحيلها الأدلة العقلية إلا بتأويل بعيد؛ يمكن أن يكون مقصوداً للشارع ويمكن أن لا يكون. وقد لزمه الإيمان والتصديق بما وُصف به نفسه، لقيام الأدلة عنده بصدق هذه الأخبار عنه أنّه أخبر بها عن نفسه في كتبه أو على السنة رسله. فتعارض هذه الأمور، مع طلبه معرفة ذاته تعالى-، أو الجمع بين الدليلين المتعارضين، أوقعهم في الحيرة.

فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل، واستقصوها غاية الاستقصاء، إلى أن أدام ذلك النظر إلى العجز والحيرة فيه من نبي أو صديق. قال ﷺ: «اللهم زدني فيك تحيراً» فإنه كلما زاده الحق علماً به، زاده ذلك العلم حيرة، ولا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود. فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب.

قال النبي ﷺ بعد ما بذل حمده في الثناء على خالقه بما أوحى به إليه: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقال أبو بكر الصديق² ﷺ في هذا المقام وكان من رجاله: "العجز عن ذكرك الإدراك

1 ع 67

2 ع 67

إدراك" أي إذا علمت أن ثم من لا يعلم: ذلك هو العلم بالله تعالى-. فكان الليل على العلم به: عَدَمَ العلم به.

والله قد أمرنا بالعلم بتوحيده، وما أمرنا بالعلم بذاته. بل نهى عن ذلك بقوله: ﴿وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ تَنْفُسَهُ﴾¹ ونهى رسول الله ﷺ عن التفكر في ذات الله تعالى- إذ من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² كيف يؤصل إلى معرفة ذاته. فقال الله تعالى- آمرا بالعلم بتوحيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾³. فالمعرفة به من كونه إلهًا: والمعرفة بما ينبغي للإله أن يكون عليه من الصفات، التي يمتاز بها عن ليس بإله، وعن المألوه. (تلك) هي الأمور بها شرعا، فلا يعرف الله إلا الله.

فقامت الأدلة العقلية القاطعة على أنه إله واحد، عند أهل النظر وأهل الكشف. فلا إله إلا هو. ثم بعد هذا الليل العقلي على توحيده، والعلم الضروري العقلي بوجوده، رأينا أهل طريق الله تعالى؛ من رسول ونبي وولي قد جاءوا بأمر من المعرفة بنعوت الإله في طريقهم، أحالتها الأدلة العقلية، وجاءت بصحتها الألفاظ النبوية، والأخبار الإلهية. فبحث أهل الطريق عن هذه المعاني ليحصلوا منها على أمر يتميزون به⁴ عن أهل النظر الذين وقفوا حيث بلغث بهم أفكارهم، مع تحققهم صدق الأخبار. فقالوا: نعلم أن ثم طورا آخر، وراء طور إدراك العقل الذي يستقل به، وهو للأنبياء؛ وكبار الأولياء به يقبلون هذه الأمور الواردة عليهم في الجنب الإلهي.

فعملت هذه الطائفة في تحصيل ذلك بطريق الخلوات والأذكار المشروعة، لصفاء القلوب وطهارتها من دُئس الفكر، إذ كان المفكر لا يفكر إلا في المحدثات، لا في ذات الحق، وما ينبغي أن يكون عليه في نفسه، الذي هو مسمى الله. ولم يجد صفة إثبات نفسية. فأخذ ينظر في كل صفة يمكن أن يقبلها المحدث الممكن، يسلبها عن الله، لئلا يلزمه حكم تلك الصفة، كما لزمتم الممكن الحادث، مثل ما فعل بعض النظائر من المتكلمين في أمور اثبتوها وطردوها شاهدا وغائبا.

ويستحيل على ذات الحق أن تجتمع مع الممكن في صفة. فإن كل صفة يتصف بها الممكن يزول وجودها بزوال الموصوف بها، أو تزول هي مع بقاء الممكن، كصفات المعاني، والأولى كصفات النفس. ثم إن كل صفة منها ممكنة، فإذا طردوها شاهدا وغائبا؛ فقد وصفوا واجب الوجود لنفسه، بما هو ممكن

1 [آل عمران : 28]

2 [الشورى : 11]

3 [محمد : 19]

4 ع 68

لنفسه. والواجب الوجود لنفسه لا يقبل ما¹ يمكن أن يكون، ويمكن أن لا يكون. فإذا بطل الاتصاف به من حيث حقيقة ذلك الوصف لم يبق إلا الاشتراك في اللفظ، إذ قد بطل الاشتراك في الحد والحقيقة. فلا يجمع صفة الحق وصفة العبد حدًا واحد أصلاً. فإذا بطل طرد ما قالوه، وطردوه شاهداً وغائباً.

فلم يكن قولنا في الله: "إنه عالم"، على حد ما نقول في الممكن الحادث: "إنه عالم"، من طريق حد العلم وحقيقته. فإن نسبة العلم إلى الله تخالف نسبة العلم إلى الخلق الممكن. ولو كان عين العلم القديم هو عين العلم الحادث لجمعها حد واحد، ذاتي -عني العلمين- واستحال عليه ما يستحيل على مثله من حيث ذاته، ووجدنا الأمر على خلاف ذلك.

فتتمثل هذه الطاقة في تحصيل شيء مما وردت به الأخبار الإلهية من جانب الحق، وشرع في صقالة قلوبها بالأذكار، وتلاوة القرآن، وشرع المحل من النظر في الممكنات، والحضور والمراقبة، مع طهارة النظار بالوقوف عند الحدود المشروعة؛ من غص البصر -عن الأمور التي نهى أن ينظر إليها من العورات، وغيرها، وإرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار والاستبصار. وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه وقلبه، وما² ثم في ظاهره سوى هذه السبعة والقلب ثامنها. ويزيل التفكير عن نفسه جملة واحدة؛ فإنه مفرق ليهته، ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه، عسى الله أن يفتح له الباب إليه، ويعلم ما لم يكن يعلم، بما علمته الرسل وأهل الله، بما لم تستقل العقول بإدراكه وإحالاته.

فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب؛ حصل له تجلٍ إلهي، أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه. فينسب إلى الله منه أمراً، لم يكن قبل ذلك يجزأ على نسبته إلى الله -سبحانه- ولا يصفه به إلا قدر ما جاءت به الأنباء الإلهية، فيأخذها تقليداً. والآن يأخذ ذلك كشفاً، موافقاً مؤيداً عنده لما نطق به الكتب المنزلة، وجاء على السنة الرسل -عليهم السلام-. فكان يطلقها إيماناً حاكياً من غير تحقيق لمعانيها، ولا يزيد عليها. والآن يطلق في نفسه، عليه تعالى ذلك علماً محققاً من أجل ذلك الأمر الذي تجلّى له، فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر، ويعرف معنى ما يطلقه، وما حقيقة ذلك.

فيتخيّل في أول تجلٍ، أنه قد بلغ المقصود، وحاز الأمر، وأنه ليس وراء ذلك شيء يطلب سوى دوام ذلك، فيقوم له تجلٍ آخر بحكم آخر، ما هو ذلك الأول³، والتجلي واحد، لا يشك فيه. فيكون حكمه فيه حكم الأول، ثم تتوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه، فيعلم عند ذلك أن الأمر ما له نهاية، يوقف

1 ص 68

2 ص 69

3 ص 69

عندها. ويعلم أَنَّ الإتيّة الإلهيّة ما أدركها، وأنَّ الهويّة لا يصحّ أن تتجلّى له، وأنها روح كلّ تجلٍّ. فيزيد خيرة، لكن فيها لذة. وهي أعظم من حيرة أصحاب الأفكار بما لا يتقارب.

فإنَّ أصحاب الأفكار ما يرحوا بأفكارهم في الأكوان، فلمهم أن يحاروا ويعجزوا. وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهود إلّا فيه. فهو مشهودهم، والأمر بهذه المثابة. فكانت حيرتهم باختلاف التجليات، أشدّ من حيرة النظّار في معارضات الدلالات عليه. فقوله ﷺ، أو قول من يقول من هذا المقام: «زدني فيك تحيّرًا» طلبٌ لتوالي التجليات عليه. فهذا (هو) الفرق بين حيرة أهل الله، وحيرة أهل النظر. فصاحب العقل يُنشد:

وفي كلّ شيءٍ له آيَةٌ تدلُّ على أنّه واحدٌ
وصاحبُ التجلّي يُنشد قولنا في ذلك:

وفي كلّ شيءٍ له آيَةٌ تدلُّ على أنّه عينُهُ
فبينها ما بين كلمتيها.

لما في الوجود إلّا الله، ولا يعرف الله¹ إلّا الله. ومن هذه الحقيقة قال من قال: "أنا الله" كأبي يزيد و"سبحاني" كغيره من رجال الله المتقدّمين. وهي من بعض تخریجات أقوالهم ﷺ. فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين؛ فقد وصل.

غير أنّ أصحابنا اليوم يجدون غاية الألم حيث لا يقدرّون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه، كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام، فما أعظم تلك التجليات.

وإنما منعمهم أن يُطلقوا عليه، ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام، - غدَمُ إنصاف السامعين من الفقهاء وأولي الأمر؛ لما يسارعون إليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام - في جنب الله، وتركوا معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾² كما قال له ﷺ ربه ﷻ عند ذكّره الأنبياء والرسل عليهم السلام: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَتَدْرِكُ﴾³.

فأعلق الفقهاء هذا الباب، من أجل المدّعين الكاذبين في دعواهم، ونغم ما فعلوا، وما على الصادقين في هذا من ضرر. لأنّ الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب. وفي ما ورد عن رسول الله ﷺ في

1 ص 70
2 [الأحزاب : 21]
3 [الأنعام : 90]

ذلك كناية لهم فيوردونها، يستريحون إليها: من تعجب وفرح وضحك وتبشيش ونزول¹ ومعية ومحبة وشوق، وما أشبه ذلك، مما لو انفرد بالعبارة عنه الولي كُفّر وربما قُتل.

وأكثر علماء الرسوم، عديموا علم ذلك ذوقاً وشراباً. فأنكروا مثل هذا من العارفين، حسداً من عند أنفسهم؛ إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى، ما أطلقه على نفسه، ولا أطلقته رسالته عليهم السلام - عليه. ومنعهم الحسد أن يعلموا أن ذلك ردٌّ على كتاب الله، وتحجيراً على رحمة الله، أن تُقال بعض عباد الله، وأكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار، تقليداً لهم - لا بل بحمد الله - أقلّ العامة.

وأما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق، لشغلهم بما دفعوا إليه. فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا إليه، إلا القليل منهم؛ فإنهم اتهموا علماء الرسوم في ذلك، لما رأوه من انكبابهم على حطام الدنيا - وهم في غنى عنه - وحبّ الجاه والرياسة، وتمشية أغراض الملوك فيما لا يجوز. وبقي العلماء بالله تحت ذلّ العجز والحصر معهم؛ كرسول كذبه قومه، وما آمن به واحد منهم. ولم يزل رسول الله ﷺ يُعزّس حتى نزل: ﴿وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ﴾².

فانظر ما يقاسيه في نفسه العالم بالله. فسبحان من أعمى بصائرهم حيث أسلموا وسلّموا³، وآمنوا بما به كفروا. فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق، لا ممن عرف الحق بالرجال. ﴿وَالْخَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ عِنْدَ السَّبِيلِ﴾⁵.

1 ص 70 تب

2 [المائدة : 67]

3 ص 71

4 [الصفات : 182]

5 [الأحزاب : 4]

الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن

يا مَنْ تَحَقَّقَ بِالنَّفْسِ إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْقَبَسِ
وَكَذَا الْهَيَاتُ مِنَ الْعُلُومِ لَأَتَى الْمُحَقِّقَ فِي الْبَلَسِ
لِلَّهِ قَوْمٌ مَا لَهُمْ فِي نَفْسٍ نَفْسُهُمْ نَفْسُ
وَهُمُ الَّذِينَ هُمْ هُمْ أَهْلُ الْمَشَاهِدِ فِي الْغَلَسِ
فَهُمُ الْخَلَائِفُ فِي الْغُيُوبِ وَفِي الشَّهَادَةِ كَالْعَسَسِ
أَعْلَى الْإِلَهِ مَقَامُهُمْ فِي سُورَةِ تَكْوِيْنِ "عَبَسَ"
فِيهَا لَطَائِفُ سِرِّهِمْ فَابْحَثْ وَلَا تَكُ تَخْتَلِسُ
مَنْ كَانَ ذَا عِلْمٍ بِهَا فِي حَالِهِ لَمْ يَنْتَسِسْ

اعلم أيُّدكَ الله بروح القدس - أنَّ رجال هذا الباب؛ هم الزُّهَّاد الذين كان الورعُ سببَ زهدهم. وذلك أنَّ القومَ تورَّعوا في المكاسب على أشدِّ ما يكون من عزائم الشريعة. فكلَّ ما حاك له في نفوسهم شيء، تركوه عملاً على قوله ﷺ: «دع ما يربِّيك إلى ما لا يربِّيك» وقوله: «استغفرتَ قلبك» وقال بعضهم: "ما رأيت أسهل عليَّ من الورع: كلَّ ما حاك له في نفسي شيء تركته". إلى أن جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال من الحرام، في المطاعم وغيرها، إلى أن ارتقوا عن العلامات، إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورع فيه، فيستعملونه. فيظنُّ من لا علم له بذلك أنَّه أتى حراماً وليس كذلك. فاتَّسع عليهم ذلك الضيق والحرَج - وقد ذقنا هذا من نفوسنا - وزال عنهم ما كانوا يجدونه في نفوسهم من البحث والتفتيش عن ذلك.

وهذه العلامة، وهذا الحال التي ارتقوا إليها، لا تكون أبداً إلا من نفسِ الرحمن. رحمتهم بذلك "الرحمن" لِمَا رآهم فيه من التعب والضيق والحرَج، وهمة الناس في مكاسبهم، وما يؤدِّيه إلى هذا الفعل من سوء الظنِّ بعباد الله. فنفسُ الرحمن عنهم، بما جعل لهم من العلامات في الشيء، وفي حقِّ قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه الذي ذكرناه: فيأكلون طيباً ويستعملون طيباً؛ فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات،

واستراحوا إذ كانوا على يَتَّة من ربهم، في مطاعهم ومشاربهم.

وأَذاهم التحقُّق بالورع إلى الزهد في الكسب، إذ كان مبنى اكتسابهم الورع، لياكلوا مما يعلمون أن ذلك حلال لهم استعماله. ثم عملوا على ذلك الورع في المنطق من أجل الفية والكلام فيما يخوض الإنسان فيه من الفضول، فرأوا أن السبب الموجب لذلك، مجالسة الناس ومعاشرتهم. وربما قدروا على منسك نفوسهم عن الكلام بما لا ينبغي.

لكن بعضهم أو أكثرهم عجز أن يمنع الناس بحضوره عن الكلام بالفضول وما لا يعينهم، فأَذاهم أيضا هذا الحرج إلى الزهد في الناس، فأثروا العزلة والانتطاع عن الناس باتخاذ الخلوات، وغلق بابهم عن قُصد الناس إليهم. وآخرون بالسياحة في الجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية. فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الأنس به، أعطاهم ذلك نفس الرحمن؛ فاستمغهم أذكار الأحجار، وخرير المياه، وهبوب الرياح، ومناطق الطير، وتسبيح كل أمة من المخلوقات، ومحادثهم معه وسلامهم عليه، فأَيس بهم من وحشته، وعاد في جماعة وخلق:

ما لهم كلام إلا في تسبيح أو تعظيم أو ذكر آلاءِ إلهية، أو تعريف بما ينبغي، وهو جليس لهم. ويسمع جوارحه، وكل جزء فيه، يكلمه بما أنعم الله عليه به، فتغمره النعم، فيزيد في العبادة. ومنهم من ينفس عنه بالأنس بالوحوش رأينا ذلك- فتفقدوا عليه وتروح مستأنسة به وتكلمه بما يزيده حرصا على عبادة ربه.

ومنهم من يجالسه الروحانيين من الجان؛ ولكن هو دون الجماعة في الرتبة، إذا لم يكن له حال يسوى هذا. لأنهم (أي الروحانيون من الجان) قريب من الإنس في الفضول، والكيس من الناس من يهرب منهم، كما يهرب من الناس. فإن مجالستهم رديئة جدا، قليل أن تُنتج خيرا. لأن أصلهم نار، والنار كثير الحركة، ومن كثرت حركته، كان الفضول أسرع إليه في كل شيء. فهم أشد فتنة على جليستهم من الناس؛ فإنهم قد اجتمعوا مع الناس، في كشف عورات الناس، التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها.

غير أن الإنس لا تؤثر مجالسة الإنسان إياهم تكبرا، ومجالسة الجن ليست كذلك. فإنهم بالطبع يؤثرون في جليستهم التكبر على الناس، وعلى كل عبد لله. وكل عبد لله رأى لنفسه شفوفا على غيره تكبرا، فإنه يمتته الله في نفسه من حيث لا يشعر. وهنا من المكر الخفي. وعين مقت الله إياه، هو ما يجده من

التكبر على¹ مَنْ ليس له مثل هذا، ويتخيّل أنّه في الحاصل وهو في الفائت.

ثمّ اعلم أنّ الجانّ هم أجهل العالم الطبيعيّ بالله، ويتخيّل جليسه بما يخبرونه به من حوادث الأكوان، وما يجري في العالم ممّا يحصل لهم في استراق السمع من الملأ الأعلى، فيظنّ جليسه أنّ ذلك من كرامة الله به. وهيات لما ظنّوا. ولهذا ما ترى أحداً قطعاً جالسهم، فحصل عنده منهم علمٌ بالله جملة واحدة. غاية الرجل الذي تعتني به أرواح الجنّ أن يمنحوه من علم خواصّ النبات والأحجار والأسماء والحروف، وهو علم السيمياء، فلم يكتسب منهم إلّا العلم الذي ذمّته ألسنة الشرائع. ومن ادّعى صحبتهم، وهو صادق في دعواه، فاسألوه عن مسألة في العلم الإلهي، ما تجد عنده من ذلك ذوقاً أصلاً.

فرجالٌ الله يفرون من صحبتهم، أشدّ فراراً منهم من الناس، فإنّه لا بدّ أن تُحصّل صحبتهم في نفس مَنْ يصحبهم، تكبراً على الغير بالطبع، وازدراء بمن ليس له في صحبتهم قَدَم. وقد رأينا جماعة ممن صحبوهم حقيقة، وظهرت لهم براهين على صحّة ما ادّعوه من صحبتهم، وكانوا أهل جدّ واجتهاد وعبادة، ولكن لم يكن عندهم من جهمتهم شُمة من العلم بالله، ورأينا فيهم عزّة² وتكبراً، فما زلنا بهم، حتى حلّنا بينهم وبين صحبتهم، لإنصافهم وطلبهم الأنفس. كما، أيضاً، رأينا ضدّ ذلك منهم. فما أفلح، ولا يفلح مَنْ هذه صفته إذا كان صادقاً، وأمّا الكاذب فلا نشتغل به.

ومنهم مَنْ نفّس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة، ونعم الجلساء هم. هم أنوارٌ خالصة لا فضول عندهم، وعندهم العلم الإلهي الذي لا مِرّة فيه؛ فتري جليسه في مزيد علم بالله دائماً مع الأنفاس. فمن ادّعى مجالسة الملأ الأعلى، ولم يستفد في نفسه علماً برّته، فليس بصحيح الدّعوى، وإنّما هو صاحب خيال فاسد.

ومنهم من ينفّس الرحمن عنه بأنّس بالله في باطنه، وتجلّيات دائمة معنويّات، فلا يزال في كلّ نفس، صاحب علم بحالٍ جديد بالله وأنس جديد.

ومنهم من ينفّس الرحمن عنه ذلك الضيق، بمشاهدته عالم الحيال، يستصحبه ذلك دائماً، كما تستصحب الرؤيا النائم، فيخاطب ويخاطب، ولا يزال في صور دائماً في لّنة وفي نكاح، إن جاءت شهوة جماع. ولا تكليف عليه مادام في تلك الحال؛ لغيبته عن إحساسه في الشاهد، فينكح ويلتذّ. ويولّد له في عالم الحيال أولاداً، فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه، ومنهم من³ يخرج ولده إلى عالم الشهادة، وهو خيال

1 ص 73

2 ص 73 ب

3 ص 74

على أصله، مشهود للحس. وهذا من الأسرار الإلهية العجيبة، ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال.

وما من طبقة ذكرناها، إلا وقد رأينا منهم جماعة من رجال ونساء، بأشيلية وتلمسان وبمكة وبمواضع كثيرة، وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه. وأمّا نحن فلا نحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدّعيه، فإنّ الله قد جعل لكلّ صنف علامة يعرف بها، فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها، من حيث لا يشعر. وكم رأينا ممن يدّعي ذلك كاذبا أو صاحب خيال فاسد. فإن علمنا منه أنّه يرجع نصحناء، وإن رأيناه عاشقا لحاله محجوبا بخياله الفاسد، تركناه.

وأصدق من رأينا في هذا الباب من النساء: فاطمة بنت ابن المثنى بأشيلية، خدمتها وهي بنت خمس وتسعين سنة، وشمس أمّ الفقراء بمرشانة، وأمّ الزهراء بأشيلية أيضا، وكلّهم بمكة تدعى ست غزالة. ومن الرجال: أبو العباس بن المنذر من أهل أشيلية وأبو الحجاج الشبرّلي من قرية بشرف أشيلية تسمى شبرّيل ويوسف بن صخر بقرطبة.

وهذا قد أعرينا لك عن أحوال رجال هذا الباب، وما أنتج لهم الزهد في الناس، وما وجدوه من نفس الرحمن لذلك. وعلى هذا الحدّ تكون أعمال¹ الجوارح كلّها؛ يجمعها ترك الفضول، في كلّ عضو، بما يستحقّه ظاهرا وباطنا. فأولها الجوارح وأعلاها في الباطن الفكر؛ فلا يتفكر فيما لا يعنيه، فإنّ ذلك يؤدّيه إلى الهوس والأمانى، وعدم المسابقة بحضور النية في أداء العبادات. فإنّ الإنسان لا يخلو فكره في أحد أمرين: إمّا فيما عنده من الدنيا، وإمّا فيما ليس عنده منها. فإن فكّر فيما عنده فليس له دواء عند الطائفة، إلا الخروج عنه، والزهد فيه. صرح بذلك أبو حامد²، وغيره. وإن فكّر فيما ليس عنده، فهو عند الطائفة عديم العقل، أخرج لا دواء له، إلا المداومة على الذّكر، ومجالسة أهل الله، الذين الغالب على ظواهرهم المراقبة والحياء من الله. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 47ب

2 انقصد به أبو حامد الغزالي.

3 [الأحزاب : 4]

الباب الثاني والخمسون .
في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف
إلى عالم الشهادة إذا أبصره

كُلُّ مَنْ خَافَ عَلَى هَيْكَلِهِ لَمْ يَزِ الْحَقُّ جَهَارًا عَلَنًا
فَتَرَاهُ عِنْدَمَا يَنْشُدُهُ رَاجِعًا لِلْكَوْنِ يَتَغَيُّ الْبَدَنُ
وَتَرَى الشُّجْعَانَ قَدْ نَمَّ طَلَبُنَا لِلَّذِي يُخْذَرُ مِنْهُ الْجَبَنُ

اعلم أيديك الله بروح منه- أن النفوس الإنسانية قد جبلها الله على الجزع في أصل نشأتها، فالشجاعة والإقدام له أمرٌ عرضي، والجزع في الإنسان أقوى منه في الحيوانات، إلا الصرصر. تقول العرب: "أجبن من صرصر". وسبب قوته في الإنسان: العقل والفكر الذي ميزه الله بهما على سائر الحيوان. وما يشجع الإنسان إلا القوة الوهمية. كما أنه، أيضاً، بهذه القوة يزيد جُبْنًا وَجَزَعًا في مواضع مخصوصة، فإنَّ الوهم سلطانٌ قويٌّ. وسبب ذلك أنَّ اللطيفة الإنسانية متولدة بين الروح الإلهي، الذي هو النفس الرحماني، وبين الجسم المسمى المعدل من الأركان المعدلة من الطبيعة التي جعلها الله مقهورة تحت النفس الكلية، كما جعل الأركان مقهورة تحت حكم سلطان الأفلاك.

ثم إنَّ الجسم الحيواني مقهورٌ تحت سلطان الأركان؛ التي هي العناصر؛ فهو مقهورٌ لمقهورٍ عن مقهورٍ، وهو النفس عن مقهورٍ، وهو العقل. فهو في الدرجة الخامسة من القهر من وجهٍ، فهو أضعف الضعفاء. قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِيفٍ﴾ فالضعف أصله¹، ثم جعل له قوة عارضة وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ يَدَيْهِ ضَعِيفٌ قُوَّةً﴾ ثم رده إلى أصله من الضعف، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ يَدَيْهِ قُوَّةً ضَعِيفًا﴾ وهذا الضعف الأخير إنما أعدّه لإقامة النشأة الآخرة عليه، كما قامت نشأة الدنيا على الضعف ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾².

ولما كان هذا ليلازم ذاته النلة والافتقار، وطلب المعونة والحاجة إلى خالقه، ومع هذا كله يذهل عن

1 ص 75

2 ص 75

3 الطروم . 154

4 (الرواية : 62)

أصله، وبقيته بما عرض له من التّوّة، فيدّعي ويقول: أنا، وبمّتي نفسه بمقابلة الأهوال العظام، فإذا قرصه برغوث؛ أظهر الجزع لوجود الألم، وبادر لإزالة ذلك الضرر، ولم يقرّ به قرار، حتى يجده فيقتله. وما عسى أن يكون البرغوث، حتى يعتني به هذا الاعتناء، ويزلزله عن مضجعه ولا يأخذه نوم؟! فأين تلك الدّعوى والإقدام على الأهوال العظام، وقد فضّخته قرصه برغوث أو بعوضة؟! هذا أصله ذلك؛ ليعلم أن إقدامه على الأهوال العظام، إنما هو بغيره لا بنفسه؛ وهو ما يؤيّد الله به من ذلك، كما قال: ﴿وَأَيُّذْنَاهُ﴾¹ أي قويناه. ولهذا شرّع ﴿وَأَيُّذْنَاهُ﴾² في كلّ ركعة، "ولا حول ولا قوّة إلا بالله".

ولمّا علم الإنسان أنه لولا جود الله ﷻ لم يظهر له عين في الوجود، وأن أصله ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾³ قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾⁴ فللوجود لذة وحلاوة، وهو الخير. ولنوّم العدم العينيّ ألم شديد عظيم في النفوس. لا يعرف قدر ذلك إلا العلماء. ولكن كلّ نفس تجزع من العدم، أن تلحق به كما هو حالها. فبها رأت أمرا تنوّم فيه أنّه يُلجّتها بعدم عينها، أو بما يقاربه، هربت منه وارتاعت وخافت على عينها. وبما كانت أيضا عن الروح الإلهي الذي هو نفس الرحمن. ولهذا كنى عنه بالنفخ لمناسبة النفس، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾⁵ وكذا جعل عيسى ينفخ في صورة طينية كهيئة الطير.

فما ظهرت الأرواح إلا من الأقباس، غير أنّ للمحلّ الذي تمرّ به أثرا فيها، بلا شك. ألا ترى الرّيح إذا مرّت على شيء شئ، جاءت ريح منتنة إلى مشمّك؟ وإذا مرّت بشيء عطر، جاءت بريح طيبة؟ لذلك اختلفت أرواح الناس: فروح طيبة لجسد طيب؛ ما أشركت قط، ولا كانت محلاً لسفساف الأخلاق، كأرواح الأنبياء والأولياء والملائكة. وروح خبيث لجسد خبيث، لم ترل مشرّكة، محلاً لسفساف الأخلاق. وذلك إنّما كان لغلبة بعض الطبائع - أعني الأخلاق - على بعض في أصل نشأة الجسد، التي هي سبب طيب الروح ووجود مكارم الأخلاق وسفسافها - وخبث الروح.

فصحة الأرواح وعافيتها: مكارم⁷ أخلاقها، التي اكتسبتها من نشأة بدنها العنصريّ، فجاءت بكلّ طيب ومليح. ومَرَضُ الأرواح: سفساف الأخلاق ومذمومها التي اكتسبتها أيضا من نشأة بدنها العنصريّ؛ فجاءت بكلّ خبيث وقبيح. ألا ترى الشمس إذا أفاضت نورها على جسم الزجاج الأخضر، ظهر النور في الحافظ

1 [البقرة : 87]

2 [الفاتحة : 5]

3 [الإنسان : 1]

4 ص 76

5 [إبراهيم : 9]

6 [الأنعام : 29]

7 ص 76

أو في الجسم الذي تطرح الشعاع عليه أخضر؟ وإن كان الزجاج أحمر طرح الشعاع أحمر في رأي العين، فانصغ في الناظر بلون الملّ؟ وذلك للطافته يقبل الأشياء بسرعة.

ولما كان الهواء من أقوى الأشياء وكان الروح نفساً وهو شبيه بالهواء- كانت القوة له. فكان أصل نشأة الأرواح من هذه القوة، واكتسبت الضعف من المزاج الطبيعي البدني، فإنه ما ظهر لها عين إلا بعد أثر المزاج الطبيعي فيها، فخرجت ضعيفة لأنها إلى الجسم أقرب، في ظهور عينها. فإذا قُبلت القوة، فإنما تبطل من أصلها الذي هو النفس الرحاني، المعبر عنه بالروح المنفوخ منه، المضاف إلى الله. فهي قابلة للقوة، كما هي قابلة للضعف. وكلاهما بحكم الأصل وهي إلى البدن أقرب لأنها أحدث عهداً به، فغلب ضعفها على قوتها.

فلو تجرّدت عن المادة ظهرت قوتها الأصلية، التي لها من النفخ الإلهي، ولم¹ يكن شيء أشدّ تكبراً منها. فالرما الله الصورة الطبيعية دائماً: في الدنيا وفي البرزخ، في النوم وبعد الموت. فلا ترى نفسها أبداً مجردة عن المادة. وفي الآخرة لا تزال في أجسادها، يبعثها الله من صور البرزخ في الأجساد التي أنشأها لها يوم القيامة، وبها تدخل الجنة والنار، ذلك ليلزما الضعف الطبيعي، فلا تزال فقيرة أبداً.

ألا تراها في أوقات غفلتها عن نفسها، كيف يكون منها التهجم والإقدام على المقام الإلهي، فتدعي الربوبية كفرعون، وتقول في غلبة ذلك الحال عليها: "أنا الله" و"سبحاني" كما قال ذلك بعض العارفين، وذلك لغلبة الحال عليه. ولهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول ولا نبي ولا ولي كامل، في علمه وحضوره ولزومه باب المقام الذي له، وأدبه ومراعاة المادة التي هو فيها وبها ظهر.

فهو زذم، ملآن بضعفه وفقره، مع شهوده أصله، علماً وحالاً وكشفاً، وعلمه بأصله ومقام خلافته من وجه آخر، لو كان حالاً له لادّعى الألوهة. فإنّ الأمر الخارج في النفخ من النافخ له من حكمه بقدر ذلك؛ فلو ادّعى ما ادّعى محلاً، وبذلك القدر الذي فيه من القوة الإلهية التي أظهرها النفخ، توجه عليه التكليف، فإنه عين المكلف، وأضيفت الأفعال إليه وقيل له: قل: ﴿وَلَيْكَ² نُسْتَعِينُ﴾³ "ولا حول ولا قوة إلا بالله" فإنه أصلك الذي إليه ترجع.

فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العباد من وجه، بدليل شرعي. وصدق المخالف في إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى، من وجه، بدليل شرعي أيضاً وعقلي. وقالت بالكسب في أفعال العباد للعباد

1 ص 77

2 ص 77ب

3 [الملاحه : 5]

بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾¹ وقال في المصوّرين على لسان رسوله ﷺ: «أين من ذهب يخلق كخلقي» فأضاف الخلق إلى العباد.

وقال في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾² فنسب الخلق إليه عليه السلام وهو إيجاد صورة الطائر في الطين، ثم أمره أن ينفخ فيه، فقامت تلك الصورة التي صورها عيسى عليه السلام طائرا حيا، وقوله: ﴿يَبْأُذُنَ اللَّهِ﴾³ يعني الأمر الذي أمره الله به من خلقه صورة الطائر والنفخ وإبراء الأكمه والأبرص وإحيائه الميت. فأخبر أن عيسى عليه السلام لم ينبعث إلى ذلك من نفسه، وإنما كان عن أمر الله، ليكون ذلك. وإحياء الموتى من آياته على ما بدّعه، فلولا أن الإنسان من حيث حقيقته، من ذلك النفس الرحاني، ما صحّ ولا ثبت أن يكون عن نفخه ﴿طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾⁴.

ولما كانت حقيقة الإنسان هكذا⁵، خوفاً لله بما ذكر من صفة المتكبرين ومآلهم واسوداد وجوههم، كل ذلك دواء للأرواح، لتقف مع ضعف مزاجها⁶ الأقرب في ظهور عيناها. فالإنسان ابن أمه حقيقة بلا شك. فالروح ابن طبيعة بدنه، وهي أمه التي أرضعته، ونشأ في بطنها، وتغذى بدما. فحكمه حكمها، فلا يستغني عن غذاء في بقاء هيكله.

تتميم: (المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة)

فلما كان الغالب هذا على الإنسان، رجعنا إلى المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة، عندما يرى ما يبوءه في كشفه مثل صاحبنا أحمد العضاد الحريري رحمه الله - فإنه كان إذا أخذ سريع الرجوع إلى حسنه، باهتزاز واضطراب. فكنت أعثبه وأقول له في ذلك، فيقول: "أخاف وأجبن، من عدم عيني، لما أراه". ولو علم المسكين أنه لو فارق المواد؛ رجع النفس إلى مستقره، وهو عينه، ورجع كل شيء إلى أصله، ولكن لو كان ذلك لانعدمت الفائدة في حق العبد فيما يظهر، وليس الأمر كذلك، ولنلك قلنا: "وهو عينه" أي عين العبد.

فالبقاء الذي أراده الحق، أوّل به بوجود هذا الهيكل؛ العنصري في الدنيا، الطبيعي في الآخرة. والذي يثبت هنالك أعني عند الوارد - إنما يثبت إذا دخل عبدا، كما أن الذي لا يثبت، إنما دخل وفي نفسه شيء من الروبوتية، تخاف من زوالها هناك، فهرب إلى الوجود، الذي ظهر في ربانيتها. ولهذا تكون

1 [البقرة : 286]

2 [المائدة : 110]

3 [آل عمران : 49]

4 [الأنعام : 38]

5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

6 ص 78

فأندته قليلة. والثابت يدخل عبدا قابلا¹، بهمة محترقة إلى أصله، ليهبه من عوارفه ما عودده، فإذا خرج خرج نورا يُستضاء به.

فمثل الداخل إلى ذلك الجناح العالي ربوبيته، مثل من يدخل بسراج موقود. ومثل الذي يدخل بعبوديته، مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها، أو بقبضة حشيش فيها نار غير مشتعلة، فإذا دخلا بهذه المثابة، هبَّ عليها نفس من الرحمن، فطفئَ لذلك الهبوب السراج، واشتعل الحشيش. فخرج صاحب السراج في ظلمة، وخرج صاحب الحشيش في نور يُستضاء به. فانظر ما أعطاه الاستعداد.

فكلُّ هاربٍ من هناك، إنما يخاف على سراجِه أن ينطفئ، فهو يخاف على ربوبيته أن تزول، فيفتر إلى محلِّ ظهورها، ولكن ما يخرج إلَّا وقد طفق سراجُه. ولو خرج به موقدا كما دخل، ولم يؤثر فيه ذلك الهبوب؛ لادَّعى الربوبية حقًّا، ولكن من عصمة الله له كان ذلك. ومن دخل عبدا لا يخاف، وإذا اشتعلت فتيلته هنالك غرف من أشعلها، ورأى المنَّة له سبحانه في ذلك، فخرج عبدا منورا كما قال - تعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾² يعني عبدا. فكان في خروجه إلى أمته ﴿دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾³ كما دخل عبدا ذليلا، عارفا بما دخل، وعلى من دخل.

فمن وفقه الله تعالى -، ولزم عبوديته في جميع أحواله، وإن عرف أصله، فبرَّج الأصل الأقرب إليه، جنب أمه. فبته⁴ ابن أمه بلا شك. ألا ترى إلى الشَّقة، في تلقين الميت عند حصوله في قبره، يقال له: يا عبد الله؛ ويا ابن أمه الله؛ فينسب إلى أمه سترًا من الله عليها. فأضيف إلى أمه لأنها أحقَّ به لظهور نشته ووجود عينه، فهو لأبيه ابن فراش، وهو ابن لأُمِّه حقيقة، فافهم ما أعطيناك من المعرفة بك، في هذا الباب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ج 78

2 [الإسراء : 1]

3 [الأحزاب : 46]

4 ج 79

5 [الأحزاب : 4]

الباب الثالث والخمسون

في معرفة ما يلقي المريد على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ

إِذَا لَمْ تَلَقْ أَسْتَاذًا فَكُنْ فِي نَفْسِكَ مَنْ لَازِمًا
وَقَطِّعْ نَفْسَهُ وَاللَّيْلَ أَفْلَاذًا فَالْأَفْلَاذُ
وَتَسْبِيحًا وَقُرْآنًا فَاشْهَدْ بِمَنْ خَاضِيَ
وَأَضَعْفَهُ وَأَخْيَاهُ فَلَمَّا لَمْ يَثُلْ: مَاذَا؟
فَكَانَ لَهُ اللَّيْلُ يَتَغَيَّرُ بِتَلْمِيزٍ وَأَسْتَاذًا
وَجَاءَتْهُ مَعَارِفُهُ زُرَافَاتٍ وَأَفْئَادًا
فَهَذَا قَدْ أَبْنَتْ لَهُ فَلَا يَثُلُكَ عَنْ هَذَا

اعلم¹ أيديك الله ونورك - أنه أول ما يجب على الداخل في هذه الطريقة الإلهية المشروعة، طلب الأستاذ حتى يجده. ويعمل في هذه المدة، التي يطلب فيها الأستاذ، الأعمال التي أذكرها له، وهي أن يلزم نفسه تسعة أشياء؛ فإنها بسائط الأعداد، فيكون له في التوحيد إذا عمل عليها - قدم راسخة، ولهذا جعل الله الأفلاك تسعة أفلاك. فانظر ما ظهر من الحكمة الإلهية في حركات هذه التسعة، فاجعل منها أربعة في ظاهرك وخمسة في باطنك.

فالتالي في ظاهرك: الجوع والسهر والصمت والعزلة. فاثان فاعلان؛ وهما الجوع والعزلة. واثان منفعلان، وهما: السهر والصمت. وأعني بالصمت: ترك كلام الناس، والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان، إلا فيما أوجب الله عليه، مثل قراءة أم القرآن، أو ما تيسر - من القرآن في الصلاة، والتكبير فيها، وما شرع من التسبيح والأذكار والدعاء، والشهادة والصلاة على رسول الله ﷺ إلى أن تسلم منها، فتفرغ إذكر القلب بصمت اللسان. فالجوع يتضمن السهر، والصمت يتضمن العزلة.

وأما الخمسة الباطنة، فهي: الصدق والتوكل² والصبر والعزيمة واليقين. فهذه التسعة أمهات الخير

1 ص 79 ب

2 ص 80

تتضمن الخير كله. والطريقة مجموعة فيها، فالزما حتى تجد الشيخ.

* * *

وَضَلَّ شَارِحَ

وأنا أذكر لك من شأن كل واحدة من هذه الحاصل، ما يحرضك على العمل بها والبؤوب عليها، والله ينفعنا وإياك ويجعلنا من أهل عنايته. ولنبتدئ بالظاهرة أولاً، ولنقل:

أما العزلة: وهي رأس الأربعة المعبرة التي ذكرناها عند الطائفة. أخبرني أخي في الله تعالى - عبد المجيد بن سلمة، خطيب مرشاة الزيتون، من أعمال أشبيلية، من بلاد الأندلس، وكان من أهل الجد والاجتهاد في العبادة، فأخبرني سنة ست وثمانين وخمسمائة، قال:

كنت بمنزلي بمرشاة، ليلة من الليالي، فقممت إلى حزبي من الليل، فبينما أنا واقف في مصلاي، وباب الدار وباب البيت، علي مغلق، وإذا بشخص قد دخل علي وسلم، وما أدري كيف دخل، فجذعت منه، وأوجزت في صلاتي، فلما سلمت، قال لي:

يا عبد المجيد؛ من أنس بالله لم يجزع. ثم نفذ الثوب الذي كان تحتي أصلي عليه ورمى به، ونسبط تحتي حصيراً صغيراً، كان عنده. وقال¹ لي: صل على هذا، قال: ثم أخذني وخرج بي من الدار، ثم من البلد، ومشى بي في أرض لا أعرفها، وما كنت أدري أين أنا من أرض الله؟ فذكرنا الله تعالى - في تلك الأماكن، ثم زدني إلى بيتي حيث كنت.

قال: فقلت له: يا أخي؛ بماذا يكون الأبدال أبدالاً؟ فقال لي: بالأربعة التي ذكرها أبو طالب² في "القول" ثم سماها لي: الجوع والسهر والصمت والعزلة. قلنا: ثم قال لي عبد المجيد: هذا هو الحصور. فصلت عليه. وهذا الرجل كان من أكابرهم يقال له: معاذ بن أشرس.

فأما العزلة: فهي أن يعتزل المرء كل صفة مذمومة، وكل خلق دنيء. هذه عزلته في حاله. وأما في قلبه؛ فهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله؛ من أهل ومال وولد وصاحب، وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره، ولا يكن له هم إلا واحد وهو تعلقه بالله.

وأما في حسبه: فعزلته في ابتداء حاله؛ الانقطاع عن الناس وعن المألوفات: إقاماً في بيته، وإقاماً بالسياحة في أرض الله. فإن كان في مدينة، فبحيث لا يُشرف. وإن لم يكن في مدينة فيلزم السواحل

1 ص 80

2 انقصود أبو طالب المكي، صاحب "قول القلوب".

والجبل والأماكن البعيدة من الناس. فإن أنسَّت به الوحوش وتألَّفت به، ونطقها الله في حقِّه؛ فكلمته أولم تكلمه، فليعتزل عن¹ الوحوش والحيوانات، ويرغب إلى الله تعالى- في أن لا يشغله بسوأة، وليشابر على الذكر الحفي. وإن كان من حفاظ القرآن فيكون له منه حزب في كل ليلة يقوم به في صلاته لئلا ينساه، ولا يكثر الأوراد ولا الحركات، وليردَّ اشتغاله إلى قلبه، دائماً هكذا يكون دأبه ودينه.

وأما الصمت: فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات، التي لَزِمَتْهُ في سياحته أو في موضع عزلته. وإن ظهر له أحدٌ من الجنِّ أو من الملائكة الأعلى فيغمض عينه عنهم، ولا يشغل نفسه بالحديث معهم، وإن كلموه. فإن تفرَّض عليه الجواب، أجاب بقدر أداء الفرض، بغير مزيد. وإن لم يتفرَّض عليه سكَّت عنهم واشتغل بنفسه. فإنَّهم إذا رأوه على هذه الحالة، اجتنبوه، ولم يتعرَّضوا له، واحتجبوا عنه. فإنَّهم قد علموا أنَّه مَنْ شغل مشغولاً بالله عن شغله به عاقبه الله أشدَّ عقوبة.

وأما صمته في نفسه عن حديث نفسه؛ فلا يحدث نفسه بشيء مما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع إليه، فإنَّه تضييع للوقت فيما ليس بحاصل، فإنَّه من الأماني. وإذا عوَّد نفسه بحديث نفسه حال بينه وبين ذكر الله في قلبه، فإنَّ القلب لا يتسع للحديث والذكر معاً، فيفوته السبب المطلوب منه في عزله وصمته، وهو ذكر الله تعالى-² الذي تجلِّي به مرآة قلبه، فيحصل له تجلِّي ربه.

وأما الجوع: فهو التقليل من الطعام، فلا يتناول منه إلَّا قدر ما يقيم صُلْبُه لعبادة ربه، في صلاة فريضة. فإنَّ التنفُّل في الصلاة قاعداً بما يجده من الضعف لقلة الغذاء أنفع وأفضل وأقوى في تحصيل مراده من الله، من القوة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائماً، فإنَّ الشبع داعٍ إلى الفضول، فإنَّ البطن إذا شبع طغيت الجوارح، وتصرَّفت في الفضول من الحركة والنظر والسماع والكلام. وهذه كلها قواطع له عن المقصود.

وأما السهر: فإنَّ الجوع يؤلِّفه لقلة الرطوبة والأبخرة الجالبة للنوم، ولا سبباً شرب الماء فإنَّه نوم كله، وشبهته كاذبة. وفائدة السهر؛ التيقُّظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائماً، فإنَّه إذا نام انتقل إلى عالم البرزخ، بحسب ما نام عليه، لا يزيد. فيفوته خير كثير مما لا يعلمه إلَّا في حال السهر، وأتته إذا التزم ذلك سرى السهر إلى عين القلب، وانجلى عين البصيرة، بملازمة الذكر، فيرى من الخير ما شاء الله تعالى-.

وفي حصول هذه الأربعة، التي هي أساس المعرفة لأهل الله، وقد اعتنى بها الحارث بن أسد الهاسمي

أكثر من غيره، وهي: معرفة الله ومعرفة النفس¹ ومعرفة الدنيا ومعرفة الشيطان. وقد ذكر بعضهم؛ معرفة
النهى بدلا من معرفة الله، وأنشدوا في ذلك:

إِنِّي بَلَيْسْتُ بِأَنْزِعِ عِزِّمِينِي بِالتَّبَلِّ مِنْ قَوَّسٍ لَهَا تَوَيَّرُ
إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالنَّهْيُ يَا رَبِّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

وقال الآخر:

إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالنَّهْيُ كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

وأما الخمسة الباطنة: فإنه حدثني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي،
قالت: رأيت في منامي شخصا كان يتعاهدني في وقائي، وما رأيت له شخصا قط في عالم الحس. فقال لها:
تقصدين الطريق؟. قالت: فقلت له: أي والله أقصد الطريق، ولكن لا أدري بماذا. قالت؛ فقال لي:
بخمسة، وهي: التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق. فعرضت رؤياها علي، فقلت لها: هذا مذهب
القوم. وسيتاتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى- في داخل الكتاب، فإن لها أبوابا تخصها. وكذلك الأربعة
التي ذكرناها لها أيضا أبواب تخصها في الفصل الثاني من فصول هذا الكتاب. **هُوَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ
يَهْدِي السَّبِيلَ**².

انتهى الجزء السادس والعشرون، يتلوه في الجزء السابع والعشرين.

الجزء السابع والعشرون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الرابع والخمسون في معرفة الإشارات

عَلَّمَ الْإِشَارَةَ تَقْرِيْبَ وَإِتْقَادُ وَسَيَّرَهَا فِينِكَ تَأْوِيْبَ وَإِسْتِئَاذُ³
فَانْجَحْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ صَيَّرَهُ لِمَنْ يَقُومُ بِهِ إِنْكَ وَالْحَادُ
تَثْبِيْهُ عِصْمَةٍ مَنْ قَالَ الْإِلَهَ لَهُ "كُنْ" فَاسْتَوَى كَاتِبًا وَالْقَوْمُ أَشْهَادُ

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح منه- أن الإشارة عند أهل طريق الله، تؤذن بالبعد أو حضور الغير. قال بعض الشيوخ⁴ في "محاسن المجالس": الإشارة نداء على رأس البعد، ونوْحُ بعين العلة. يريد أن ذلك تصرّيح بحصول المرض؛ فإن العلة مرض، وهو قولنا: "أو حضور الغير". ولا يريد بالعلة، هنا، السبب، ولا العلة التي اصطلاح عليها العقلاء من أهل النظر. وصورة المرض فيها أن المشير غاب عنه وجه الحق في ذلك الغير، ومن غاب عنه وجه الحق في الأشياء، تمكنت منه الدعوى؛ والدعوى عين المرض. وقد ثبت عند المحققين: أنه ما في الوجود إلا الله. ونحن، وإن كنا موجودين، فبما كان وجودنا به.

ومن كان وجوده بغيره؛ فهو في حكم العدم. والإشارة قد ثبتت، وظهر حكمها. فلا بد من بيان ما هو المراد بها.

فاعلم أن الله ﷻ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ؛ خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَطْوَارًا: لَمَّا الْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ، وَمَتَا الْمُنْصَفَ وَالْمُعَانَدَ، وَمَتَا الْقَاهِرَ وَمَتَا الْمَقْهُورَ، وَمَتَا الْحَاكِمَ وَمَتَا الْمَحْكُومَ، وَمَتَا الْمُتَحَكِّمَ وَمَتَا الْمُتَحَكَّمُ فِيهِ، وَمَتَا الرَّئِيسَ وَالْمَرْهُوسَ، وَمَتَا الْأَمِيرَ وَالْمَأْمُورَ، وَمَتَا الْمَلِكَ وَالسُّوْقَةَ، وَمَتَا الْحَاسِدَ وَالْمُخْسُودَ. وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله، المختصين بخدمته، العارفين به، من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسراره في

1 العنوان ص 82

2 البسطة ص 83

3 التأويب هنا هو التأخر ببطء. والإستاد هنا هو التقدم بسرعة.

4 هو أبو العباس بن العزيف الصنهاجي

5 ص 83

خلقه، وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه. فهم لهذه الطاقة مثل الفراغة للرسول عليهم السلام¹.

ولما كان الأمر في الوجود الواقع، على ما سبق به العلم القديم، كما ذكرناه. عدل أصحابنا إلى الإشارات، كما عدلت مريم عليها السلام- من أجل أهل الإفك والإلحاد، إلى الإشارة. فكلامهم ﷺ في شرح كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾² إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً³ لمعانيه النافعة، وزد ذلك كله إلى نفوسهم، مع تقريرهم إياه في العموم، وفيما نزل فيه. كما يعلمه أهل اللسان، الذي نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعم به سبحانه- عندهم الوجهين، كما قال تعالى:- ﴿سُتْرِهِمْ آيَاتًا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَفْسِهِمْ﴾⁴ يعني الآيات المنزلة في الآفاق وفي أنفسهم.

فكل آية منزلة، لها وجهان: وجه يروونه في نفوسهم ووجه آخر يروونه فيما خرج عنهم. فيستوون ما يروونه في نفوسهم: إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك ولا يقولون في ذلك: "إنه تفسير"، وقاية بشرهم، وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه. وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق. واقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإن الله كان قادراً على تخصيص ما تأوله أهل الله في كتابه، ومع ذلك فما فعل. بل أدرج في⁵ تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده، حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم.

ولو كان علماء الرسوم ينصفون، لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم، فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك، ويعلو بعضهم على بعض في الكلام، في معنى تلك الآية، ويقرئ القاصر بنضل غير⁶ القاصر فيها، وكلهم في مجرى واحد، ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك، ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم. وذلك لأنهم يعتقدون فيهم، أنهم ليسوا بعلماء، وأن العلم لا يخلص إلا بالتعلم المعتاد في العرف⁷، وصدقوا؛ فإن أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم، وهو الإعلام الرحماني الرباني. قال تعالى:- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁸ فإنه القائل: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا

1 لفظ "السلام" ثابت في الهامش بقلم آخر وبجانبه حرف ظ.

2 [صلى: 42]

3 ص 84

4 [صلى: 53]

5 تاج في الهامش مع إشارة التصويب.

6 ص 84

7 "المعتاد في العرف" مكتوبة في الهامش بقلم الأصل.

8 [العلق: 1-5]

تَعْلَمُونَ¹ وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ²﴾ فهو سبحانه - معلم الإنسان.

فلا نشك أن أهل الله هم ورثة الرسل عليهم³ السلام. والله يقول في حق الرسول: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ⁴﴾ وقال في حق عيسى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ⁵﴾ وقال في حق خضر- صاحب موسى عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا⁶﴾ فصدق علماء الرسوم عندنا، فيما قالوا: إن العلم لا يكون إلا بالتعلم. وأخطؤوا في اعتقادهم أن الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول، يقول الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ⁷﴾ وهي العلم، وجاء به (مَنْ) وهي نكرة.

ولكن علماء الرسوم، لما آثروا الدنيا على الآخرة، وآثروا جانب الخلق على جانب الحق، وتعودوا أخذ العلم⁸ من الكتب، ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم، ورأوا في زعمهم، أنهم من أهل الله، بما علموا وامتنازوا به عن العامة، حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن الله عبادة، تولى الله تعليمهم في سرائرهم، بما أنزله في كتبه وعلى السنة رساله، وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم، الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن.

فإن الذين قالوا: إن الله لا يعلم الجزئيات. ما أرادوا في العلم عنه بها، وإنما قصدوا بذلك أنه تعالى - لا يتجدد له علم بشيء، بل علمها مندرجة في علمه بالكلّيات، فأثبتوا له العلم سبحانه - مع كونهم غير مؤمنين، وقصدوا تنزيهه سبحانه - في ذلك، وإن أخطؤوا في التعبير عن ذلك. فتولى الله بعنايته ببعض عباده، تعليمهم بنفسه بإلهامه وإفهامه إياهم ﴿فَأَلَّهَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا⁹﴾ في أثر قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا¹⁰﴾ فبين لها الفجور من التقوى، إلهاما من الله لها، لتجنب الفجور وتعمل بالتقوى.

كما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه، كان تنزيل الفهم من الله على قلوب بعض المؤمنين به. فالأنبياء - عليهم السلام - ما قالت على الله ما لم يقل لها، ولا أخرجت ذلك من نفوسها، ولا من أفكارها، ولا تعلّث فيه، بل جاءت به من عند الله كما قال تعالى: ﴿نُزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ¹¹﴾ وقال¹ فيه إنه ﴿لَا

1 [النحل : 78]

2 [الرحمن : 3، 4]

3 ق: عليه

4 [النساء : 113]

5 [آل عمران : 48]

6 [الكهف : 65]

7 [البقرة : 269]

8 ص 85

9 [الشمس : 8]

10 [الشمس : 7]

11 [فصلت : 42]

يُؤَيِّهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ^٢. وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله، لا من فكر الإنسان، وزَوَيْتُهُ، وعلماء الرسوم يعلمون ذلك، فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم. فيكون شرحه أيضاً تزيلاً من عند الله، على قلوب أهل الله، كما كان الأصل.

وكذا قال علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الباب: "ما هو إلا فهم يؤتيه الله من شاء من عباده في هذا القرآن" فجعل ذلك عطاء من الله، يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله، فأهل الله أولى به من غيرهم.

فلما رأى أهل الله، أن الله قد جعل البوالة في الحياة الدنيا، لأهل الظاهر من علماء الرسوم، وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتنون به، وألحقهم بالذين ﴿يَقْلُمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^٣. وهم في إنكارهم على أهل الله ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^٤ سلم أهل الله لهم أحوالهم، لأنهم علموا من أين تكلموا، وصانوا عنهم أنفسهم، بتسميتهم الحقائق إشارات، فإن علماء الرسوم لا يتكرونها، فإذا كان في غد يوم القيامة، يكون الأمر في الكل؛ كما قال القائل^٥:

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْقُبُورُ أَقْرَسَ تَحْتَكْ أَمْ جَمَارٌ
كما^٦ يميز الحق من أهل الله، من المدعي في الأهلية، غدا يوم القيامة. قال بعضهم^٧:

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي خُلُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى بِمَنْ تَبَاكَى

أين عالم الرسوم، من قول علي بن أبي طالب عليه السلام حين أخبر عن نفسه "أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقراً؟" (هل) هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله في القرآن؟. فاسم الفقيه أولى بهذه الطاقة، من صاحب علم الرسوم. فإن الله يقول فيهم: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^٨ فأقامهم مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار. وهو الذي يدعو إلى الله على

1 ع 85

2 [صنعت: 42]

3 [المروم: 7]

4 [الكهف: 104]

5 القائل هو مدح الزمان المصنفي (358-398هـ) أحد أئمة الكتاب صاحب المقامات الشهيرة وله ديوان شعر.

6 ع 86

7 هكذا شبه إجماع (في الموسوعة الشعرية) أن هذا البيت للعتبي (303-354هـ) مع تغيير لفظ "اشتبكت" بـ "اشتبهت" من قصيدة طوية مطلعها:

فما لك من يضر عن نداك فلا عليك إذن ألا نداك
كما أن البيت جاء في قصيدة لأبي بكر الشبلي (247-334هـ) مع تغيير لفظ "اشتبكت" بـ "انكبت" في قصيدة مطلعها:
أروح وقد خمت على فؤادي بمحك أن يحل به سواك

8 [البقرة: 122]

بصيرة، كما يدعو رسول الله ﷺ على بصيرة، لا على غلبة ظنٍّ، كما يحكم عالم الرسوم. فشتان بين من هو فيما يفتي به، ويقول على بصيرة منه، في دعائه إلى الله، وهو على يقنة من ربه، وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه.

ثم إن من شأن عالم الرسوم، في الذب عن نفسه، أنه يجهل من يقول: "فهمني ربّي" ويرى أنه أفضل منه، وأنه صاحب العلم إذ يقول من هو من أهل الله¹: إن الله ألقى في سري مراده، بهذا الحكم في هذه الآية. أو يقول: رأيت رسول الله ﷺ في واقعتي، فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه، وبحكمه عنده. قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله في هذا المقام وصحته، يخاطب علماء الرسوم: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربّي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قال: مات. عن فلان. وأين هو؟ قالوا: مات."

وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله - إذا قيل له: "قال فلان عن فلان عن فلان". يقول: "ما نريد ناكل قديداً، هاتوا اتوني بلحم طري" يرفع هم أصحابه "هذا قول فلان، أي شيء قلت أنت؟ ما خصك الله به من عطاياده، من علمه اللدني؟" أي حدثوا عن ربكم، وتركوا فلانا وفلانا. فإن أولئك أكلوه لحماً طرياً. والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد.

والفيض الإلهي والمبشرات ما سُدَّ بابها، وهي من أجزاء النبوة. والطريق واضحة، والباب مفتوح، والعمل مشروع، والله يهول لتلقي من أتى إليه يسعى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ²﴾ وهو معهم أينما كانوا؛ فمن كان معك بهذه المثابة من القرب، مع³ دعواك العلم بذلك، والإيمان به، لم تترك الأخذ عنه، والحديث معه؟ وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه، فتكون حديث عهد بربك؟! يكون المطر فوق ربتك حيث برز إليه رسول الله ﷺ بنفسه حين نزل، وحسر - عن رأسه حتى أصابه الماء، ف قيل له في ذلك، فقال: «إنه حديث عهد بربه» تعلماً لنا وتنبهاً.

ثم لتعلم، أن أصحابنا ما اصطَلَحوا على ما جاعوا به في شرح كتاب الله، بالإشارة دون غيرها من الألفاظ، إلا بتعليم إلهي، جملة علماء الرسوم. وذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير، لا من جهة المشار إليه. وإذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة، أجروها عند السائل من علماء الرسوم، مجرى القائل. مثال ذلك: الإنسان يكون في أمر ضاق به صدره، وهو مفكر فيه، فينادي رجلاً رجلاً آخر

1 ع 86
2 [المجادلة: 7]
3 ص 87

اسمه فرح، فيقول: يا فرح. فيسمعه هذا الشخص الذي ضاق صدره، فيستبشر ويقول: جاء فرح الله -
إن شاء الله-. يعني من هذا الضيق الذي هو فيه، وينشرح صدره.

كما فعل رسول الله ﷺ في مصالحة المشركين، لَمَّا صَدَّوه عن البيت، فجاء رجل من المشركين اسمه
سهيل، فقال رسول الله ﷺ: «سَهِّلْ الأَمْرَ» أخذه فألا. فكان كما تفاعل به رسول الله ﷺ فانتنظم الأمر على
يد سهيل. وما كان أبوه قَصْدَ ذلك حين سَمَّاه به، وإنما جعله له اسماً علماً يُعرف به مِن غيره، وإن كان ما
قصد أبوه تحسين اسم ابنه إلا لحير.

ولَمَّا رأى أهل الله، أَنَّهُ قد اعتبر الإشارة، استعملوها فيما بينهم، ولكنَّهُم يَتَنَوَّعُ معناها ومحلُّها ووقتها،
فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم، إِلَّا عند مجالسة مَنْ² ليس من جنسهم، أو لأمر يقوم في نفوسهم.
واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سِوَاهُمْ إِلَّا منهم. وسلكوا طريقةً فيها، لا يعرفها غيرُهم، كما سلكتِ
العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات، ليفهم بعضهم عن بعض. فإذا خَلَوْا بأبناء جنسهم، تكلَّموا
بما هو الأمر عليه، بالنص الصريح. وإذا حضر معهم من ليس منهم، تكلَّموا بينهم بالألفاظ التي اصطَلَحوا
عليها، فلا يعرف الأجنبيُّ الجليش، ما هم فيه ولا ما يقولون.

ومن أعجب الأشياء في هذه الطريقة -ولا يوجد إِلَّا فيها- أَنَّهُ ما من طائفة تحمل علماً، من المنطقيين
والنحاة وأهل الهندسة والحساب والتعاليم والمتكلمين والفلاسفة، إِلَّا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل
فيهم³، إِلَّا بتوقيف من الشيخ أو من أهله، لا بدَّ من ذلك، إِلَّا أهل هذه الطريقة خاصَّة: إذا دخلها المریدُ
الصادق، وبهذا يُعرف صِدْقُهُ عندهم، وما عنده خبر بما اصطَلَحوا عليه.

فإذا فتح الله له عينَ فهمه، وأخذ عن ربه في أوَّل ذوقه، وما يكون عنده خبر بما اصطَلَحوا عليه، ولم
يعلم أَنَّ قوماً من أهل الله اصطَلَحوا على ألفاظ مخصوصة. فإذا قعد معهم وتكلَّموا باصطلاحهم على تلك
الألفاظ التي لا يعرفها سِوَاهُمْ، أو من أخذها عنهم، فَنَهَمَ هذا المریدُ الصادق، جميع ما يتكلَّمون به، حتى
كَانَتْه الواضع لتلك الاصطلاح، ويشاركهم في الكلام بها معهم، ولا يَسْتَفْرِغُ ذلك من نفسه، بل يجد علم
ذلك ضرورياً، لا يقدر على دفعه، وكأنَّه ما زال يعلمه، ولا يدري كيف حصل له. والدخيل من غير هذه
الطائفة لا يجد ذلك إِلَّا بموقِّف.

فهذا معنى الإشارة عند القوم، ولا يتكلَّمون بها إِلَّا عند حضور الغير، أو في تواليفهم ومصنَّعاتهم لا

1 ص 88

2 دأبه في الياش ظم الأصل.

3 ص 88

غير. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ عِنْدَ السَّبِيلِ﴾¹.

1 [الأحزاب : 4]. وكتب في الهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه كُتبه على النشي". يليه السماع التالي: "سمع من البلاغ عند الطليقة إلى هنا على مصنفه الإمام العالم محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي قُرَأة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشي الأثمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأزدي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وضرب الله بن أبي العز الصغار، ومحمد بن يرقش المعظمي، وأبو بكر محمد البلخي، وإسماعيل بن سركين التوري، ويعقوب بن معاذ الوزني، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وعمران بن محمد بن عمران، وعلي بن عبد العزيز بن تميم، ومحمد بن علي المطرزي، وعلي بن محمود بن أبي الرجا، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف-، وعبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ أبوه، وإبراهيم بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وأحمد بن عبد الرحيم، وعبد الرحمن بن سالم بن أبي النجا الحموي، ومحمد بن علي الخلاطي، وإسماعيل بن يحيى الملقبي، وعيسى بن إسحق الهذلي، وأحمد بن أبي البيهقي بن أبي المعالي الدمشقي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأبو بكر بن يونس الخلال، وابنه إبراهيم، ويوسف بن الحسن النابلسي، وكتب السماع: إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في سادس عشر جمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستة مئذ المصنف بدمشق. وسمع من موضع اسمه إلى هنا محمد بن يوسف البرزالي، وابنه أحمد."

الباب الخامس والخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية

لَوْ أَنَّ اللَّهَ يُفْهِنُنَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْجَحْمِ
رَأَيْتُ الْأَمْرَ يَقْلُو عَنْ مَجَالِ الْفِكْرِ وَالْهَمِ
يَدِقُّ فَلَيْسَ تُظْهِرُهُ إِلَيْكَ جَوَامِعُ الْكَلَمِ

الخواطر أربعة، لا خامس لها: خاطر رباني، وخواطر ملكي، وخواطر نفسي، وخواطر شيطاني، ولا خامس هناك. وقد ذكرنا معرفة الخواطر في هذا الكتاب، وفي بعض كتبنا. فلنذكر في هذا الباب الخاطر الشيطاني خاصة.

اعلم أَنَّ الشياطين قسان: قسم معنوي وقسم جسدي. ثم القسم الحسي من ذلك على قسمين: شيطاني إنسي وشيطاني جنّي. يقول الله ﷻ: ﴿شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾¹ فجعلهم أهل افتراء على الله. وحدث فيما بينها في الإنسان، شيطان معنوي. وذلك أَنَّ شيطان الإنسان والجن، إذا ألقى مَنْ ألقى منهم في قلب الإنسان أمرا ما يبعده عن الله به، فقد يلقي أمرا خاصا، وهو خصوص مسألة بعينها، وقد يلقي أمرا عاما ويتركه. فإن كان أمرا عاما، فتح له في ذلك طريقا إلى أمور لا يظن لها الجنّي ولا الإنسي، تنفقه فيه النفس³، وتستنبط من تلك الشبه أموراً، إذا تكلم بها تعلم إبليس الفواية.

فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي اتقاه إليه أولاً شيطان الإنسان أو شيطان الجنّ تُنسَى الشياطين المعنوية. لأنّ كلّ واحد من شياطين الإنسان والجنّ يجهلون ذلك، وما قصدوه على التعمين. وإنما أرادوا بالقصد الأول فتح هذا الباب عليه. لأنهم علموا أنّ في قوته وفطنته، أن يدقق النظر فيه، فينتدح له من المعاني الهلّكة، ما لا يقدر على ردّها بعد ذلك. وسبب ذلك الأصل الأول؛ فإنّه اتخذها أصلاً صحيحاً وعول عليه، فلا يزال التنفّقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الأصل.

وعلى هذا جرى أهل البدع والأهواء. فإنّ الشياطين ألقت إليهم أصلاً صحيحاً لا يشكّون فيه، ثم

1 من 88

2 الأقدم: 112

3 من 89

طرات عنهم التليسات من عدم الفهم، حتى ضلّوا. فَيُنَسَّبُ ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل. ولو علموا إن الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلّم منه.

وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة، ولا سيما في الإمامية منهم. فدخلت عليهم شياطين الجنّ أولاً، بحبّ أهل البيت، واستفراغ الحبّ¹ فيهم، ورأوا أنّ ذلك من أسنى القربات إلى الله، وكذلك هو، لو وقفوا ولا يزيدون عليه. إلّا أنّهم تعدّوا من حبّ أهل البيت إلى طريقين: منهم من تعدّى إلى بغض الصحابة وسبهم، حيث لم يقدّمهم، وتخلّطوا أنّ أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنياوية، فكان منهم ما قد عُرف واستفاض.

وطائفة زادت إلى سبّ الصحابة، القدح في رسول الله ﷺ، وفي جبريل الطيّب، وفي الله عزّ وجلّ، حيث لم ينصّوا على رتبهم، وتقديمهم في الخلافة للناس، حتى أنشد بعضهم:

مَا كَانَ مِنْ بَعَثَ الْأَمِينِ أَمِينًا

وهذا كلّ واقع من أصل صحيح، وهو حبّ أهل البيت، أنتج في نظرهم فاسدا. فضلّوا وأضلّوا. فانظر ما أدّى إليه الغلو في الدين: أخرجهم عن الحدّ، فانعكس أمرهم إلى الضدّ، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾².

وطائفة ألقت إليهم الشياطين أصلا صحيحا لا يشكّون فيه، أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» ثم تركهم بعد ما حبّبت إليهم العمل على هذا. فجعل بعض الناس لحرصه على الخير، يتفقّه لكونه يريد تحصيل أجور من عمل بها، فإذا سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً، يخاف³ إذا نسبها إلى نفسه لا تُقبل منه، فيضع لأجل قبولها حديثا عن رسول الله ﷺ في ذلك، ويتأوّل أنّ ذلك داخل في حكم قوله: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً» فأجاز الكذب على رسول الله ﷺ وأن يقول عليه ﷺ ما لم يقله، ولا فاد به لسانه. ويرى أنّ ذلك خير، فإنّ الأصول تعضده.

فإذا أخطر له الملك قوله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وأخطر له أيضا قوله ﷺ: «لَيْسَ كَذِبٌ عَلَيَّ كَكُذْبٍ عَلَى أَحَدٍ؛ إِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» يتأوّل ذلك كلّه بملقاء الشيطان في خاطره. فيقول له: إنما ذلك إذا دعا إلى ضلالة، وأنا ما سننتُ إلّا خيرا. فهو

1 ع 89 هـ

2 (المائدة : 77)

3 ع 90 هـ

مأجور بالضرورة، من كونه سنّ سنة حسنة، ومأزور من كونه كذب على رسول الله ﷺ وقال عنه إنه صرح بما لم يقله ﷺ.

وكذلك إن كان من أهل الخلوات والرياضات، واستعجل الرئاسة من قبل أن يفتح الله عليه بابا من أبواب عبوديته، فيلزم طريق الصدق، ولا يقف مع رسول الله ﷺ مثل ما وقف الأول، وأنه يجري إلى الاقتراء على الله، فينسب ذلك الذي سنّه إلى الله تعالى، ويتأول أنه "لا فاعل إلا الله" وأنه¹ تعالى- المنطلق عباده، ويصير من وقته لذلك أشعريا مجبورا. ويقول هذا كله خير، فإني ما قصدت إلا أن أعضد تلك السنة الحسنة، فلم أر أشد في تقويتها من أني أسندها إلى الله تعالى-، كما هي في نفس الأمر، خلق الله تعالى- أجراها الله على لساني.

هناك يحدّث به نفسه، لا يقول ذلك لأحد. فإذا كان مع الناس يريهم أنّ ذلك جاءه من عند الله. كما يجيء لأولياء الله على تلك الطريق؛ فإذا أخطر له الملك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾² يتأول ذلك مع نفسه، ويقول: ما أنا مخاطب بهذه الآية، وإنما خوطب بها أهل الدعوى، الذين ينسبون الفعل إلى أنفسهم، فإنه قال: "افتري" فنسب فعل الاقتراء إلى هذا القائل. وأنا أقول: إنّ الأفعال كلها لله تعالى- لا إليّ، فهو الذي قال على لساني. ألا ترى النبي ﷺ قال في الصلاة: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فنكلك هنا. ثم قال: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ فأضاف القول إليه، وكذلك قوله: ﴿إِلَيَّ﴾ ومن أنا حتى أقول: ﴿إِلَيَّ﴾ إذ الله هو المتكلم وهو السميع، ثم قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وما أقول أنا ذلك، بل الإبزال كله من الله. فإذا تفقّه في نفسه في هذا كله، افتري على الله كذبا، وزُيّن له سوء عمله فراه³ حسنا⁴.

فهذا أصل صحيح لهاتين الطائفتين، قد إلقاه الشيطان إليهما وتركه عندهما، وبقي يتفقّه في ذلك فقها نفسيا. فإن لم يكن الإنسان على بصيرة وتمييز من خواطره، حتى يفرّق بين إلقاء الشيطان، وإن كان خيرا، وبين إلقاء الملك والنفس، ويميّز بينهما ميّزا صحيحا، وألا فلا يفعل؛ فإنه لا يفلح أبدا؛ فإنّ الشيطان لا يأتي إلى كلّ طائفة إلا بما هو الغالب عليها. وليس غرضه من الصالحين إلا أن يجهلوه في الأخذ عنه، فإذا جهلوه ونسبوا ذلك إلى الله، ولم يعرفوا على أيّ طريق وصل إليهم، كأنه قنع منهم بهذا القدر من

الجهل، وعرف أنهم تحت سلطانه، فلا يزال يستدرجه في خيريته حتى يتمكن منه في تصديق خواطره، وأنها من الله، فيسلخه من دينه، كما تنسلخ الحية من جلدها. ألا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحية، كذلك هذا الأمر.

جاء إبليس إلى عيسى - عليه السلام - في صورة شخص شيخ في ظاهر الحس، لأن الشيطان ليس له باطن الأنبياء عليهم السلام - من سبيل؛ فخواطر الأنبياء عليهم السلام - كلها إمّا ربّانية، أو ملكيّة، أو نفسيّة، لا حظّ للشيطان في قلوبهم. ومن يحفظ من الأولياء في علم الله يكون هذه المثابة في العصمة مما يلقي، لا في العصمة من وصوله إليه¹. فالوليّ المعنى به على علامة من الله، فيما يلقي إليه الشيطان. وسبب ذلك أنّه ليس بمشرّع، والأنبياء مشرّعون؛ فلذلك عصمت بواطنهم. فقال لعيسى - عليه السلام - يا عيسى؛ قل: "لا إله إلا الله". ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر، فقال عيسى - عليه السلام - أقولها لا لقولك "لا إله إلا الله"، فرجع خاسئاً.

ومن هنا تعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به. وأنّ السعادة في الإيمان وهو أن تقول ما تعلمه، وما قلته لتقول رسولك الأول، الذي هو موسى عليه السلام لتقول هذا الرسول الثاني الذي هو محمد ﷺ لا لعلّك ولا لتقول الأول. فينشد يشهد لك بالإيمان، ومآلك السعادة. وإذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت أنّك قلت ذلك لقوله، كنت منافقاً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا² يُرِيدُ أَهْلَ الْكِتَابِ حَيْثُ قَالُوا مَا قَالُوهُ، لِأَمْرِ نَبِيِّهِمْ عِيسَى أَوْ مُوسَى، أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْقَذَةِ. وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا³ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ⁴، أَي قُولُوا: "لا إله إلا الله" لتقول محمد ﷺ: "لا لعلكم بذلك، ولا لإيمانكم بنبيكم الأول، فتجمعوا بين الإيمانين، فيكون لكم أجران".

فيتقنع الشيطان من الإنسان أن يلبس عليه بهذا القدر، فلا يفرّق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو من عند الله - ولا بين طريق الملك والنفس⁵ والشيطان. فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك.

وبما تعرف به الخواطر الشيطانية وإن كانت في الطاعة - بعدم الثبوت على الأمر الواحد، وسرعة الاستبدال من خاطر بأمر ما إلى خاطر بأمر آخر، فإنّه حريص، وهو مخلوق من لهب النار. ولهيب النار

1 ص 91 ج

2 من هنا يختلف قلم الكتّاب حتى نهاية ص 92 ج.

3 [النساء : 136]

4 [النساء : 136]

5 ص 92 ج

سريع الحركة. فأصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة، في أصل نشأته، فهو بحكم أصله. والإنسان له الثبوت، فإنه من التراب فله البرد واليبس، فهو ثابت في شغله، وللكل الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلزلها الملك أو الشيطان.

ومتعلق أصل الخواطر الشيطانية إنما هو المخطور، فعلا كان أو تركاً، ثم يليه المكروه، فعلا كان أو تركاً. فالأول في العامة والثاني في العباد من العامة. وقد يتعلق بالمباح في حق المبتي من أهل طريق الله. ويأتي بالمندوب في حق المتوسطين من أهل الله، أصحاب السماع. فإنه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها. فإنه عالم بمواقع المكر والاستدراج.

ويأتي العارفين بالواجبات، فلا يزال بهم، حتى ينووا مع الله فعل أمر ما من الطاعات، وهو في نفس الأمر عهد يعده مع الله، فإذا استوثق منه في ذلك، وعزم، وما بقي إلا الفعل، أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعاً. فيرى العارف أن يقطع زمانه بالأولى، فيترك الأولى ويشرع في¹ الثاني، فيفرح إبليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه. والعارف لا خبر له بذلك. فلو عرف، من أول، أن ذلك من الشيطان، عرف كيف يرده وكيف يأخذه، كما فعل عيسى عليه السلام. وكل متمكن من أهل الله، من ورثة الأنبياء، فيراها مع كونها حسنة؛ هي خواطر شيطانية.

وكذا جاء للمنافق من أهل الكتاب، قال له: ألم تعلم أن نبيك قد بشر- بهذا الرجل، وقد علمت أنه هو، والنبوة تجمعهما؟ فقل له: إنك رسول الله، لقول نبيك لا لقوله، ولا فرق بينهما. فيقول المنافق عند ذلك: إنك رسول الله. فأكذبهم الله، فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ على ما قرر معهم الشيطان، فقال الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾² في أنهم قالوا ذلك لقولك لا في قولهم إنك رسول الله، ولو أراد ذلك كان نفيًا لرسالته ﷺ.

فقد أعلمتك بمداخل الشيطان إلى نفوس العالم لتحذره، وتسأل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها. وقد أعطاك الله في العاقبة ميزان الشريعة، وميز لك بين فرائضه ومندوباته ومباحه ومحظوره ومكروهه، ونص على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله. فإذا خطر لك خاطر في محظور أو مكروه، فتعلم أنه من الشيطان بلا شك. وإذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلا شك. فحاطر الشيطان بالمحظور والمكروه اجتنبه³، فعلا كان أو تركاً، والمباح أنت تخير فيه، فإن غلب عليك طلب الأرباح،

1 ص 92

2 (المؤمنون: 1)

3 ص 93

فاجتنب المباح واشتغل بالواجب أو المندوب.

غير أنك إذا تصرف في المباح، فتصرف فيه على حضور أنه مباح، وأن الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرف فيه، فتكون مأجورا في مباحك، لا من حيث كونه مباحا، إلا من حيث إيمانك به، أنه شرع من عند الله. فإن الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله ﷺ. فإن الحكم هو عين الشرع، وقد سُدَّ ذلك الباب. فالمباح مباح لا يكون واجبا ولا محظورا أبدا، وكذلك كل واحد من الأحكام.

وإن خطر لك خاطر في فرض، فقم إليه بلا شك، فإنه من الملأ. وإذا خطر لك خاطر في مندوب، فاحفظ أول الخاطر فإنه قد يكون من إبليس - فثبت عليه. فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى، فلا تعدل عن الأول واثبت عليه، واحفظ الثاني، وافعل الأول ولا بد. فإذا فرغت منه اشرع في الثاني، فافعله أيضا، فإن الشيطان يرجع خاسئا بلا شك، حيث لم يتفق له مقصوده.

وهذا البواء يذهب مرض الشيطان من نفسك، وتكون عمري المقام، ما يلقاك الشيطان في فج إلا سلك فج غير فجك، إذا عاملته بمثل هذا¹. فحافظ على ما نهيتك عليه فإن الله قد أثنى على الذين ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾² ويكفي هذا القدر، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 93

2 [المؤمنون : 61]

3 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش مكتوب بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهر الدين محمود، علي. وكتب ابن العربي".

الباب السادس والخمسون في معرفة الاستقراء، وصحته من سقمه

يَلَاذِمُهُ الْقَوِيُّ مِنَ الرِّجَالِ	لِلْإِسْتِقْرَاءِ حَدٌّ فِي الْمَعَانِي
فُضُوْرَتُهُ كَنَزَلَةِ الظَّلَالِ	لَهُ حُكْمٌ وَلَا يَخْطِئُكَ عِلْمُنَا
وَأَيْنَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِ الْمَقَالِ	مُزَاوَجَةُ التَّلِيلِ يَقُومُ فِيهَا
لَمُخْطِئِكَ التَّرْوَلُ إِلَى سِفَالِ	مُنَازَلَةُ الظُّنُونِ وَإِنْ مِنْهَا
فَمَا عَيْنُ الْفَزَالَةِ كَالْفَزَالِ	فَلَا تَحْكُمُ بِالْإِسْتِقْرَاءِ قَطْلًا
فَمَا حُكْمُ التَّضْمُرِ كَالْهَزَالِ	وَإِنْ ظَهَرَتْ بِالْإِسْتِقْرَاءِ غُلُومٌ

خرج¹ مسلم في صحيحه أن الله يقول: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين» فسئى نفسه فقال: أرحم الراحمين. وقال إنه ﴿خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾² وقال في الصحيح «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيرا».

فإذا استقرأننا الوجود (راينا) أن الكرام الأصول لا يصدر منهم إلا مكارم الأخلاق: من الإحسان للمحسن، والتجاوز عن المسيء والعفو عن الزلة، وإقالة العثرة، وقبول المعذرة، والصفح عن الجاني، وأمثال هذا مما هو من مكارم الأخلاق، واستقرأننا ذلك فوجدناه لا يخطئ، يقول شاعر العرب في ذلك:

إِنَّ الْجِيَادَ عَلَى أَغْرَاقِهَا تَجْرِي

والحقّ أولى بصفة مكارم الأخلاق من المخلوقين، فهنا تكون صحة الاستقراء في الإلهيات.

وأما سنم الاستقراء فلا يصح في العقائد، فإنّ مبناها على الأدلة الواضحة. فإنّه لو استقرأننا كلّ من ظهرت منه صنعة وجدناه جسما، ويقول: "إنّ العالم صنعة الحقّ وفعله، وقد تتبنا الصناعات فما وجدنا صانعا إلا ذا جسم، فالحقّ جسم". تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. "وتتبنا الأدلة في المحدثات، فما وجدنا عالما لنفسه، وإنما التليل يعطي أن لا يكون عالم إلا بصفة زائدة على ذاته، تُسَمَّى علما، وحكمها فممن قامت به

أن يكون عالم¹. وقد علمنا أن الحق عالم، فلا بد أن يكون له علم، ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته، قائمة به².

كلا، بل هو الله العالم الحي القادر القاهر الخبير، كل ذلك لنفسه لا بأمر زائد على ذاته؛ إذ لو كان ذلك بأمر زائد على نفسه، وهي صفات كمال، لا يكون كمال الذات إلا بها، فيكون كماله بزائد على ذاته، وتنصف ذاته بالنقص، إذا لم يقم به هذا الزائد. فهذا من الاستقراء، وهذا الذي دعا المتكلمين: أن يقولوا في صفات الحق: "لا هي هو، ولا هي غيره". وفيما ذكرناه ضرب من الاستقراء، الذي لا يليق بالجانب العالي.

ثم إنّه لما استشعر القائلون بالزائد، سلكوا في العبارة عن ذلك مسلكا آخر، فقالوا: ما عقلمناه بالاستقراء، وإنما قلنا: أعطى الدليل أنه لا يكون عالم² إلا من قام به العلم، ولا بد أن يكون أمرا زائدا على ذات العالم، لأنه من صفات المعاني، يقدّر رفعه مع بقاء الذات، فلما أعطى الدليل ذلك، طردناه شاهدا وغائبا، يعني في الحق والخلق. وهذا هزّب منهم وعُدول عن عين الصواب. ثم إنهم أكدوا ذلك بقولهم ما ذكرناه عنهم: أن صفاته لا هي هو ولا هي غيره، وحذّوا الغيبرين بحدّ يمنعه غيرهم، وإذا سألتهم: هل هي أمر زائد؟ اعترفوا بأنها أمر زائد، وهذا هو عين الاستقراء.

فلهذا قلنا: إن الاستقراء في العلم بالله لا يصحّ، وإن الاستقراء على الحقيقة لا³ يفيد علما. وإنما أثبتناه في مكارم الأخلاق شرعا وعرفا لا عقلا. فإنّ العقل يدلّ عليه سبحانه- أنّه ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾⁴ لا يقاس بالخلق، ولا يقاس الخلق عليه. وإنما الأدلة الشرعية أتت بأمر تقرر عندنا منها؛ أنّه يعامل عباده بالإحسان وعلى قدر ظنهم به قال تعالى:- ﴿وَنَبِّأْ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾⁵ في الطرفين، للوازم قترها الشارع.

قال رسول الله ﷺ في شأن النائم عن الصلاة إذا استيقظ، أو الناسي إذا تذكر، وقد خرج وقت الصلاة، فيصلّيها؛ هل يثبتها دائما في كلّ يوم، في ذلك الوقت؟، فلما سئل رسول الله ﷺ عن ذلك، قال رسول الله ﷺ: «ما كان الله لينهاكم عن الربا يأخذه منكم» فبين أنّه سبحانه- ما يخذل خلقا من مكارم الأخلاق إلا والحق تعالى- أولى به، أن يعامل به خلقه، ولا يذمّ شيئا من سفساف الأخلاق إلا وكان

1 ص 94

2 ق: "علما" وصححت في الهامش بقلم الأصل.

3 ص 95

4 [هود: 107]

5 [الزمر: 47]

لجَنَابِ الإِلَهِيّ أَهْدَ مِنْهُ. فَنَحْنُ مِثْلُ هَذَا الْفَنِّ يَسُوعُ الاسْتِقْرَاءُ، بِهَذِهِ الدَّلَالَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ. فَقَدْ أَبْنَتْ لَكَ صَحَّةَ الاسْتِقْرَاءِ مِنْ سَقَمِهِ فِي الْمَعَامِلَاتِ.

وَأَمَّا الاسْتِقْرَاءُ فِي التَّجَلِّيَّاتِ، فَرَأَيْنَا أَنَّ الْهَيُولِيَّ الصَّنَاعِيَّةَ تَقْبَلُ بَعْضَ الصُّوَرِ لَا كُلَّهَا. فَوَجَدْنَا الْخَشَبَ يَقْبَلُ صُورَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَنْبَرِ وَالتَّخْتِ وَالْبَابِ، وَلَمْ تَرُدْ يَقْبَلُ صُورَةَ الْقَمِيصِ¹ وَلَا الرِّدَاءِ وَلَا السَّرْلُوِيلَ. وَرَأَيْنَا الشَّقَّةَ تَقْبَلُ ذَلِكَ، وَلَا تَقْبَلُ صُورَةَ السَّكِينِ وَالسَّيْفِ. ثُمَّ رَأَيْنَا الْمَاءَ يَقْبَلُ صُورَةَ لَوْنِ الْأَوْعِيَةِ وَمَا يَتَجَلَّى فِيهَا مِنَ التَّلَوِّنَاتِ، فَيَتَّصِفُ بِالزَّرْقَةِ وَالْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ. سَمِعْنَا الْجَنِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَارِفِ، فَقَالَ: "لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنُ إِنَانِهِ".

ثُمَّ اسْتَقْرَأْنَا عَالَمَ الْأَرْكَانِ كُلَّهَا وَالْأَفْلَاقِ، فَوَجَدْنَا كُلَّ رُكْنٍ مِنْهَا، وَكُلَّ فَلَكٍ يَقْبَلُ صُورًا مَخْصُوصَةً، وَبَعْضُهَا أَكْثَرُ قَبُولًا مِنْ بَعْضٍ. ثُمَّ نَظَرْنَا فِي الْهَيُولِيَّ الْكُلِّ فَوَجَدْنَاهَا تَقْبَلُ² جَمِيعَ صُورِ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْكَالِ، فَنَظَرْنَا فِي الْأُمُورِ فَرَأَيْنَاهَا، كُلُّهَا لَطْفَتْ قَبِلَتْ الصُّورَ الْكَثِيرَةَ فَنَظَرْنَا فِي الْأَرْوَاحِ، فَوَجَدْنَاهَا أَقْبَلُ لِلتَّشَكُّلِ فِي الصُّورِ مِنْ سَائِرِ مَا ذَكَرْنَاهُ، ثُمَّ نَظَرْنَا فِي الْخَيَالِ فَوَجَدْنَاهُ يَقْبَلُ مَا لَهُ صُورَةٌ، وَيَصُورُ مَا لَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ، فَكَانَ أَوْسَعُ مِنَ الْأَرْوَاحِ فِي التَّنَوُّعِ فِي الصُّورِ.

ثُمَّ جِئْنَا إِلَى الْغَيْبِ فِي التَّجَلِّيَّاتِ، فَوَجَدْنَا الْأَمْرَ أَوْسَعُ تَمَّا ذَكَرْنَاهُ، وَرَأَيْنَاهُ قَدْ جَعَلَ ذَلِكَ أَسْمَاءً؛ وَكُلَّ اسْمٍ مِنْهَا يَقْبَلُ صُورًا لَا نِهَايَةَ لَهَا فِي التَّجَلِّيَّاتِ. وَعَلِمْنَا أَنَّ الْحَقَّ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَا تَدْرِكُهُ الْأَنْبَاضُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَنْبَاضَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ³ فَجَاءَ فِي عَدَمِ الْإِدْرَاكِ بِالْأَسْمِ اللَّطِيفِ، إِذْ كَانَتْ اللَّطَافَةُ مِمَّا يَنْبُو الْجَسَدَ عَنْ إِدْرَاكِهَا، فَتُغْفَلُ وَلَا تُشْهَدُ. فَتَسْمَى فِي وَصْفِهِ الَّذِي تَرَاهُ أَنْ يَدْرِكُ فِيهِ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ⁴ أَيْ تَلَطَّفَ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَهْدِثَاتِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ يُعَلِّمُ وَيُعْقِلُ، أَنَّ تَمَّ أَمْرًا يُسْتَقْدَ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِالْأَسْمِ الْخَبِيرِ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، وَفَعِيلٌ يَرُدُّ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، كَقِتْلٍ بِمَعْنَى مَقْتُولٍ، وَجَرِيحٍ بِمَعْنَى مَجْرُوحٍ. وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا وَالْأَوْجَهُ. وَقَدْ يَرُدُّ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ؛ كَقَلَمٍ بِمَعْنَى عَالِمٍ، وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا هُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَلَكِنَّهُ يَبْعَدُ. فَإِنَّ دَلَالََةَ مَسَاقِ الْآيَةِ لَا يَعْطِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ مَسَاقَهَا فِي إِدْرَاكِ الْأَبْصَارِ، لَا فِي إِدْرَاكِ الْبَصَائِرِ. فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ نَدَبَنَا إِلَى التَّوَصُّلِ بِالْعِلْمِ بِهِ، فَقُلْ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁵ وَلَا يَعْلَمُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي الْأَدَلَّةِ، فَيُؤَدِّبُنَا النَّظَرَ فِيهَا إِلَى الْعِلْمِ بِهِ، عَلَى قَدَرِ مَا تَعْطِينَا الْقُوَّةَ فِي ذَلِكَ. فَلِهَذَا رَجَّحْنَا "خَبِيرٌ" هُنَا بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ وَيُعْقِلُ، وَلَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

1 ص 95

2 تَابَعَهُ فِي الْوَسْطِ هَلُمُ الْأَصْلِ.

3 الْأَهَمُّ : 103

4 ص 96

5 [مُحَمَّدٌ : 19]

فهذا التدرج مما يتعلق بهذا الباب من الاستقراء. وأما كونه لا يفيد العلم في هذا الموطن، فإنه ما من أصل ذكرناه يقبل صوراً ما إلا يجوز، بل يقع. وقد وقع أنه يتكرر في تلك الصور مرات عديدة. وهذا قد ورد في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل مراراً على صورة دحية الكلبي. ولما لم يصح عندنا في التجلي الإلهي، أن يتكرر تجلٍ إلهي لشخص واحد مرتين، ولا يظهر في صورة واحدة لشخصين، علمنا أن الاستقراء لا يفيد علماً، فإن جناب التجلي لا يقبل التكرار، فخرج عن حكم الاستقراء، من وجه عدم التكرار، ولحق به من حيث التحول في الصور. وقد ورد التحول في حديث مسلم في حديث الشفاعة، من كتاب الإيمان. فلا تعول على الاستقراء في شيء من الأشياء، لا في الأحوال، ولا في المقامات، ولا في المنازل، ولا في المنازلات. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 69ج

2 [الأحزاب : 4]

الباب السابع والخمسون
في معرفة تحصيل علم الإلهام
بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس

يَكُونُ فِي غَيْرِ مَا يَرْضَاهُ وَاهِبُهُ	لَا تَخْشَى بِالْإِلَهَامِ تَجِدُهُ نَقْدًا
فَإِنَّهَا تَمُرُّ بِجَنِينِهِ كَأَسْبُهُ	وَأَجْعَلْ شَرِيقَتَكَ الْمَثْلَى مُضْحَكَةً
تُقَلِّبِي طَرَائِفُهُ تُزِيدِي مَذَاهِبُهُ	إِنَّهُ الْإِنْسَانُ وَالْحَسَنَى مَعًا فَنَكَمًا
حُكْمًا إِذَا جُمِلَتْ فِينَا مَكَاسِبُهُ	فَاخْذِرْهُ ^١ إِنَّهُ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ
فَبِإِنَّ وَسْوَاسِ إِبْلِيسَ يُضَاجِبُهُ	لَا تَحْلُبِينَ مِنَ الْإِلَهَامِ صُورَتَهُ
وَأِنْ تَمَيَّزَ فَلَا مَفْغَى يُقَارِبُهُ	فِي شَكْلِهِ وَعَلَى تَرْتِيبِ صُورَتِهِ

قال الله تعالى: ﴿وَتَقْبِضَ وَمَا سَوَّاهَا﴾. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا^٢ من قوله أيضا: ﴿كُلًّا نَبْدُ هَؤُلَاءِ﴾ وهؤلاء من غطاء ربك وما كان غطاء ربك مَحْظُورًا^٣ فجعل النفس محلًا قابلاً لما تلهمه من الفجور والتقوى، فتميز الفجور فتجنبه، والتقوى فتسلك طريقه. ومن وجه آخر تطلبه الآية، وهو أنه بما ألهمها عزها أن يكون لها في الفجور والتقوى كسب أو تعمل، وإنما هي محلٌّ لظهور الفعل، فُجُورًا كان أو تقوى شرعاً، فهي بـزخ وسط بين هذين الحكيمين.

ولم ينسب سبحانه - إلى نفسه خاطر المباح ولا إلهامه فيها به، وسبب ذلك أن المباح ذاتي لها، فنفس ما خلق عينها ظهر عين المباح، فهو من صفاتها النفسية، التي لا تُعقل النفس إلا به. فهو على الحقيقة - أعني^٤ خاطر المباح - نعت خاص كالضحك للإنسان، وإن لم يكن من الفصول المقومة، فهو حدٌّ لازمٌ رسمي. فإنه من خاصة النفس دفع المضار واستجلاب المنافع وهذا لا يوجد في أقسام أحكام الشرع إلا في قسم المباح خاصة، فإنه الذي يستوي فعله وتركه؛ فلا أجر فيه ولا وزر شرعاً، وهو قوله: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ من التسوية وهو الاعتدال في الشيء - ﴿فَنَسْوَكَ فَقَدْ لَكَ﴾^٥ يمتن بذلك على الإنسان. وما في

١ م ٩٦

٢ النفس : ١٨، ٦

٣ الإسراء : ٢٠

٤ م ٩٧

٥ الأنعام : ١٦

أقسام أحكام الشريعة قسم يقتضي العدل ويعطي الاعتدال إلا قسم المباح، فهي تطلبه بذاتها وخاصيتها، فلذلك لم يصفها بأنها ملهمة فيه.

وما ذكر سبحانه- من الملهم لها بالفجور والتقوى، فأضمر الفاعل. فالظاهر أن الضمير المضمر يعود على المضمر في ﴿سَوَّاهَا﴾ وهو الله تعالى- ومن نظر في قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْمَلَكِ فِي الْإِنْسَانِ لَمَّةً، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً» يعني بالطاعة وهي التقوى، والمعصية وهي الفجور، فيكون الضمير في الملهما للملك في التقوى، وللشيطان في الفجور، ولم يجمعهما في ضمير واحد، ليعتد المناسبة بينهما، وكلُّ بقضاء الله وقدره.

ولا يصح أن يقال في هذا الموضع: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُلْهِمُ بِالتَّقْوَى" ¹، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الْمُلْهِمُ بِالْفَجْرِ" لما في هذا من الجبل وسوء الأدب، لما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين، والفجور أغلب من التقوى. وأيضاً لقوله تعالى:- ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ² فإنه في تلك الآية ظاهر الاسم؛ والسبب فيها ما هي شرعا فتكون فجوراً- وإنما هي مما يسوء ولا يوافق غرضه. وهو في الظاهر قولهم، فإنهم كانوا يتطهرون به ﷺ -عني الكافرين- فأمره سبحانه- أن يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَتَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ³ أي ما يحدث فيهم من الكوائن، يقول الله عنهم إنهم يقولون: ﴿إِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ⁴ أي ما يسوءهم ﴿مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ⁵ وهو قوله: ﴿طَائِفٌ مِّنْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ⁶.

فالفاعل في ﴿أَلْهَمَهَا﴾ ⁷ مضمر؛ فإن كان الله هنا في الضمير هو الملهم بالتقوى، والشيطان هو الملهم بالفجور، فقد جمع الله والشيطان ضميراً واحداً. وهذا غاية في سوء الأدب مع الله. وما أحسن ما جاء بالواو للعاطفة في قوله: ﴿وَتَقَوَّاهَا﴾ فتعالى الله الملك القدوس أن يجمع مع المطرود من رحمة الله في ضمير مع احتمال الأمر في ذلك. وقد قال رسول الله ﷺ: «بنس الخطيب أنت» لَمَّا ⁸ سمعه قد جمع بين الله - تعالى- ورسوله ﷺ في ضمير واحد؛ فقال: "ومن يعصها". وما قال ذلك رسول الله ﷺ إذ جمع بين الله

1 ص 98

2 [النساء : 79]

3 [النساء : 78]

4 [النساء : 78]

5 [النساء : 78]

6 [البخل : 47]

7 [الشمس : 8]

8 ص 98

وبين نفسه¹ في ضمير واحد إلا بوحى من الله وهو قوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾² وقال: ﴿وَمَا يَنْطَلِقُ غَيْرَ الْهَوَىٰ﴾³.

وغن يلزمنا ملازمة الأدب، فيما لم يؤمر به ولا نهيئنا عنه، كما فعل رسول الله ﷺ في قوله: «بنس الخطيب أنت». وكذلك لا يترجح أن تنسب الإلهام بالفجور إلى الله. فلم يبق بعد هذا الاستقصاء أن يكون الضمير في ﴿أَلْتَهْمَا﴾ بالفجور إلا الشيطان، وبالواو بالتقوى إلا الملك. فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بمخلوق. وفي قول رسول الله ﷺ: «بنس الخطيب» كفاية لمن أبان الله بصيرته.

فقد أعلنك برتبة نفسك، وأنها ليست بأمانة بالسوء من حيث ذاتها، وإنما ينسب إليها ذلك، من حيث أنها قبلة لإلهام الشيطان بالفجور، ولجهلها بالحكم المشروع في ذلك، كنفس أمرت صاحبها بارتكاب أمر لم تعلم تحريمه في الشرع، أو قامت عندها شبهة بإباحة ذلك، فيراه من مذهبه التحريم فيقول: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁴ كشرب النبيذ بين مَحْلَلِهِ وَمُحَرَّمِهِ، ونكاح الربيبة التي⁵ لم يجتمع فيها الشرطان، ومثل هذا في الشريعة كثير. وكلا المذهبين شرع مقرر صحيح، إذا كانا عن اجتهاد، مع أن أحدهما خطأ دليل الشارع الذي حكم به في تلك المسألة، أو لو حكم فيها. والاجتهادان مأجوران. وقد يكون في المسألة أحد المجتهدين مصيباً، وقد يكون كل واحد منها مخطئاً. فإن الحكم في تلك المسألة شرعاً ليس بمنحصر.

ثم إن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁶ فما هو حكم الله عليها بذلك، وإنما الله حكى ما قلته امرأة العزيز في مجلس العزيز، وهل أصابت في هذه الإضافة أو لم تصب، هذا حكم آخر مسكوت عنه، بل الذي هو لها أنها لؤامة نفسها، إذا قبلت من الشيطان ما يأمرها به. فهذا الإخبار عن النفس أنها "أمارة بالسوء" ما هو حكم الله عليها ولا من قول يوسف عليه السلام فبطل التمسك بهذه الآية لما دلّ عليه الظاهر. والليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به.

وأما قوله تعالى: ﴿كَلَّا نُبَدُّ هَوَاءً وَهَوَاءً مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فهو إبانة عن حقيقة صحيحة بما هو الأمر عليه في نفسه، من أنه "لا حول ولا قوة إلا بالله" وقوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَخْظُورًا﴾⁷ أي ممنوعاً يقول: إن الله يعطي على الدوام، والمحال قبل⁷ على قدر حقائق استعداداتها. كما

1 وفي الهامش: به. وكتب "صح" لوق كل من: نفسه، وتنبه ليشير إلى صواب كل منها.

2 [البقرة: 80]

3 [الحج: 3]

4 [يوسف: 53]

5 ص 99

6 [الأنعام: 20]

7 ص 99

تقول: إِنَّ الشمس تبسطُ أنوارها على الموجودات، وما تبخل بنورها على أحد، وتقبل المحال ذلك النور على قدر استعدادها.

وكلُّ مخلٍّ يضيف الأثر إلى الشمس ويفعل عن استعدادها، فالشخص المبرود يلتدُّ بجرارتها، والجسم المحرور يتألم بجرارتها، والنور من حيث ذاته واحد، وكلُّ واحد من الشخصين يتألم بما به ينعم صاحبه، فلو كان ذلك للنور وحده، لأعطى حقيقة واحدة، وكذلك أعطى ما في قوته. غير أنه للقابل حُكم في ذلك ولا بدَّ. فإنَّ النتيجة لا تكون إلَّا عن مقدمتين، فيسود (نور الشمس) وجه القصار الذي (به) يبيض الثوب، فإنَّ استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبييض، ووجه القصار تعطي الشمس فيه السواد. وكذلك النفخة الواحدة من الناخ، وهي الهواء، تطفئ السراج، وتشعل النار الذي في الحشيش، والهواء في نفسه واحد.

فترد الآية من كتاب الله واحدة العين على الأسماع؛ فسامع يفهم منها أمرا واحدا، وسامع آخر لا يفهم منها ذلك الأمر، ويفهم منها أمرا آخر، وآخر يفهم منها أمورا كثيرة. ولهذا يستشهد كلُّ واحد من الناظرين فيها بها، لاختلاف استعداد الأفهام. وهكذا في التجليات الإلهية: فالمتجلى من حيث هو في نفسه واحد العين، واختلفت التجليات -عني صورها- بحسب استعدادات المتجلى لهم، وكذلك في العطايا الإلهية سواء.

فإذا فهمت هذا علمت أنَّ عطاء الله ليس بممنوع، إلَّا أنك تحبُّ أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك، وتنسب المنع إليه فيما طلبته منه، ولم تجعل بالك إلى الاستعداد؛ فقد يستعدُّ الشخص للسؤال، وما عنده استعداد لقبول ما سأل فيه، لو أُعطيه بدلا من المنع، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾² ويصدق في ذلك. ولكنك تنفل عن ترتب الحكمة الإلهية في العالم وما تعطيه حقائق الأشياء، والكل من عند الله؛ فمنع عطاء، وعطاؤه منع، ولكن بقي لك أن تعلم بكذا ومن كذا.

فقد عزفتك بالنفس، وأنها احرَّكة للجوارح بما يغلب عليها؛ إمَّا من ذاتها أو مما تقبله من الملك أو الشيطان فيما يلهمها به. فعلم الإلهام هو أن تعلم أنَّ الله أهلك بما أوقره في نفسك. ولكن بقي عليك أن تنظر على يدي مَنْ أهلك، وعلى أيِّ طريق جاءك ذلك الإلهام؛ من ملك أو شيطان. وما يخرج عن قبيل الأمر والنهي المشروع؛ فهو العلم اللدني، ما هو الإلهام. فالعلم بالطاعة الإلهامي، والعلم بنتائج الطاعة لدني. ففرِّق ما بين العلم اللدني والإلهام.

1 عن 100

2 [البقرة : 20]

فالإلهام¹ عارض طارئ يزول ويحيى غيره، والعلم اللدني ثابت، لا يبرح. فنه ما يكون في أصل الخلقة والجبلة، كعلم الحيوانات والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارهم. فهو علم ضروري لا إلهام. وأما قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾² فإنه يريد في أصل نشأتها؛ فطرها الله على ذلك. والإلهام هو ما يُلهمه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك. والعلم اللدني الذي لا يكون في أصل الخلقة. فهو العلم الذي تنتجه الأعمال، فيرحم الله بعض عباده، بأن يوفقه لعمل صالح فيعمل به، فيورثه الله من ذلك علما من لدنه لم يكن يعلمه قبل ذلك. ولا يلزم من العلم اللدني أن يكون في مادة، والإلهام لا يكون إلا في مواد. والعلم يصيب ولا بدّ، والإلهام قد يصيب وقد يخطئ؛ فالمصيب منه يستقى علم الإلهام، وما يخطئ منه يستقى إلهاما لا علما، أي لا علم إلهام. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 100 ب

2 [النحل : 68]

3 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن والخمسون

في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين¹
ومعرفة علم إلهي فاض على القلب ففترق² خواطره وشتتها

إذا أعظاك بالإلهام علما	تحققه فأنث به سويد
كثلي النحل مخلب المغاني	قوي في مباتيه شديد
تثقي طيبا عن طيب أضل	وأنت لعالها أبدا شويذ
وفي الأشجار والشم الرواسي	لها من فغليها قضر مشيد
فلا تعجزك الغلياء نخل	وأنت السيد التذب الجليذ
فيمك القصد جبرا واختيارا	كما لك في منازك القصور
فحقق والتبس علما وجيدا ³	كذلك إنك الخلق الوجيد ⁴

اعلم أيديك الله بروح منه- أن الله ﷻ أمرنا بالعلم بوحديته في ألوهته، غير أن⁵ النفوس لما سمعت ذلك منه، مع كونها قد نظرت بفكرها، ودلت على وجود الحق بالأدلة العقلية، بل بضرورة العقل يعلم وجود الباري تعالى-، ثم دلت على توحيد هذا الموجود الذي خلقها، وأنه من المحال أن يوجد واجبا الوجود لنفسه، ولا ينبغي أن يكون إلا واحدا. ثم استدلوا على ما ينبغي أن يكون عليه من هو واجب الوجود لنفسه، من النسب التي ظهر عنه بها ما ظهر من الممكنات ودل على إمكان الرسالة. ثم جاء الرسول وأظهر من الدلائل على صدقه أنه رسول من الله إلينا، فعرفنا بالأدلة العقلية أنه رسول الله، فلم نشك، وقام لنا الدليل العقلي على صدق ما يخبر به، فيما ينسب إليه. وراه قد أتى في إخباره عنه تعالى-، ينسب وأمور كان الدليل العقلي يحيلها ويرمي بها، فتوقف العقل واتهم معرفته وقدح في دليله هذا الإنباء الإلهي بما نسبته لنفسه ولا يقدر على تكذيب الخبر.

1 كانت في ق: "المستزئين"، وصححت هنا وفي داخل الباب، وفقا لما جاء في الفهرسة الرئيسية في السفر الأول، وكذلك في س، هـ.

2 ص 101

3 ق: كتب مقابله في الهامش: "جدينا" من دون إشارة التصويب أو الإدخال.

4 ق: كتب فوقه: "الجديد" من دون إشارة التصويب أو الإدخال.

5 ص 101 ب

ثمَّ كان من بعض ما قال له هذا الشارع: «إعرف ربك» وهذا العاقل لو لم يعلم ربه، الذي هو الأصل المعول عليه، ما صدّق هذا الرسول. فلا بدّ أن يكون العلم الذي طلب منه الرسول أن يعلم به ربه، غير العلم الذي أعطاه دليله، وهو أن يتعمّل في تحصيل علم من الله بالله، يقبل به على بصيرة، هذه الأمور التي نُسبها الله إلى نفسه، ووصف نفسه¹ بها التي أحالها العقل بدليله، فاقترح له بتصديقه الرسول: أنْ ثمَّ وراء العقل، وما يعطيه بفكره أمرا آخر، يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه الأدلّة العقلية، بل تخيله قولاً واحداً.

فإذا علمه بهذه القوّة، التي عرف أنّها وراء طور العقل، هل يبقى له الحكم فيما كان² يحيله العقل من حيث فكره أوّلاً على ما كان عليه أم لا يبقى؟ فإن لم يبق له الحكم بأنّ ذلك محال، فلا بدّ أن يعثر على الوجه الذي وقع له منه الغلط، بلا شكّ. وإنّ ذلك الذي اتّخذ دليلاً على إحالة ذلك على الله، لم يكن دليلاً في نفس الأمر. وإذا كان هذا؛ فما ذلك الأمر ممّا هو وراء طور العقل؟

فإنّ العقل قد يصيب وقد يخطئ. وإن بقي للعقل بعد كشفه وتحقيقه لصحة هذا الأمر الذي نُسبه الله لنفسه، ووصف به نفسه، وقبّلته عقول الأنبياء، وقبّلته عقل هذا المكاشف، بلا شكّ ولا ريب، ومع هذا فإنّه يحكم على الله بأنّ ذلك الأمر محال عقلاً، من حيث فكره، لا من حيث قبوله. حينئذ يصحّ أن يكون ذلك المقام وراء طور العقل، من جهة أخذه عن الفكر لا من جهة أخذه عن الله.

وهذا من أعجب الأمور عندنا أن يكون الإنسان يقلّد فكره ونظره، وهو محدث مثله، وقوّة من قوَى الإنسان التي خلقها الله فيه، وجعل تلك القوّة خديمة للعقل، يقلّدها العقل فيما تعطيه هذه القوّة، ويعلم أنّها لا تتمدّى مرتبتها³، وأنّها تعجز في نفسها، عن أن يكون لها حكم قوّة أخرى؛ مثل القوّة الحافظة والمصوّرة والمتخيّلة، والقوى التي هي الحواسّ؛ من لمس وطعم وشمّ وسمع وبصر. ومع هذا القصور كلّه يقلّدها العقل في معرفة ربه، ولا يقلّد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط.

وكلّ صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط، بلا شكّ. إلّا من نَوّز الله بصيرته فعرف أنّ الله قد لمّا أعطى كلّ شيء خلقه⁴، فأعطى السمع خلقه فلا يتعدّى إدراكه، وجعل العقل فقيراً إليه يستمدّ منه معرفة الأصوات وتقطيع الحروف وتغيير الألفاظ وتنوع اللغات؛ فيفرّق بين صوت الطير وهبوب الرياح

1 ص 102

2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

3 ص 102 ب

4 [طه : 50]

وصرير البذب وخير الماء وصياح الإنسان وبعار الشاة وثأج الكباش وخوار البقر ورغاء الإبل وما أشبه هذه الأصوات كلها. وليس في قوة العقل من حيث ذاته إدراك شيء من هذا ما لم يوصله إليه السمع.

وكذلك القوة البصرية جعل الله العقل فقيراً إليها فيما توصله إليه من المبصرات، فلا يعرف الحضرة ولا الصفرة ولا الزرقة ولا البياض ولا السواد، ولا ما بينهما من الألوان، ما لم يُعلم البصر. على العقلي بها، وهكذا جميع¹ القوى المعروفة بالحواس.

ثم إن الخيال فقير إلى هذه الحواس، فلا يتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى. ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى لا يبقى في الخيال منها شيء، فهو فقير إلى الحواس وإلى القوة الحافظة.

ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع، تحول بينها وبين الخيال، فيفوت الخيال أمور كثيرة من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف، لوجود المانع. فافتقر إلى القوة المذكورة، فتذكره ما غاب عنه، فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك.

ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال، افتقرت إلى القوة المصورة، لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور، صورة دليل على أمر ما، وبرهان تستند فيه إلى المحسوسات أو الضرورات، وهي أمور مركوزة في الجبلة. فإذا تصوّر الفكر ذلك الدليل، حينئذ يأخذه العقل منه فيحكم به على المدلول. وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط، فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت.

فانظر يا أخي - ما أفقر العقل، حيث لا يعرف شيئاً مما ذكرناه، إلا بوساطة هذه القوى، وفيها من العلل ما فيها. فإذا اتفق للعقل أن يحصل شيئاً من هذه الأمور بهذه الطرق، ثم أخبره الله بأمر ما توقف في قبوله، وقال إن الفكر يردّه. فما أجمل هذا العقل بقدر ربه، كيف قلّد فكره وجرح ربه.

فقد علمنا² أن العقل ما عنده شيء من حيث نفسه، وأنّ الذي يكتسبه من العلوم إنما هو من كونه عنده صفة القبول.

فإذا كان بهذه المثابة، فقبوله من ربه لما يخبر به عن نفسه تعالى -، أولى من قبوله من فكره. وقد عرّف أنّ فكره مقلّد لخياله، وأنّ خياله مقلّد لحواسه. ومع تقليده فهو غير قويّ على إمساك ما عنده، ما لم تساعد على ذلك القوة الحافظة والمذكّرة.

1 ص 103

2 ص 103 ب

ومع هذه المعرفة، بأنّ القوى لا تتمدى خلقها، وما تعطيه حقيقتها، وأنّه بالنظر إلى ذاته لا علم عنده إلاّ الضروريات التي فطر عليها، لا يقبل قول من يقول له: إنّ ثمّ قوّة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوّة المفكرة، نالها أهل الله من الملائكة والأنبياء والأولياء، ونطقت بها الكتب المنزلة، فأقبل منها هذه الأخبار الإلهيّة، فتقليد الحقّ أولى. وقد رأيت عقول الأنبياء على كثرتهم والأولياء قد قبّلتها وآمنت بها وصدّقتها، ورأت أنّ تقليدها ربّها في معرفة نفسه أولى من تقليد أفكارها؛ فمالك أيّها العاقل المنكر لها- لا تقبلها ممن جاء بها، ولا سيّما عقول تقول: إنّها في محلّ الإيمان بالله ورسله وكتبه؟.

ولمّا رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى- أنّ الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عزّفته بأدلتها النظرية، علمت أنّ ثمّ علما آخر بالله لا تصل إليه من¹ طريق الفكر، فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات وقطّع العلائق والافتراء والجلوس مع الله بتفريغ الحلق وتقدس القلب عن شوائب الأفكار- إذ كان متعلّق الأفكار الأكوان- واتّخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسول، وسمعت أنّ الحقّ ﷻ ينزل إلى عباده ويستعطفهم، فعلمت أنّ الطريق إليه من جمته، أقرب إليه من الطريق من فكرها، ولا سيّما أهل الإيمان وقد سمعت قوله تعالى:- «من أتاني يسئني هرولة»، وإنّ قلبه وسع جلال الله وعظمته.

فتوجّه إليه بكلّه، وانقطع من كلّ ما يأخذه عنه من هذه القوى. فعند هذا التوجّه أفاض الله عليه من نوره علما إلهيا، عزّفه بأنّ الله تعالى- من طريق المشاهدة والتجليّ، لا يقبله كون ولا يرده، ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن يَعْلَمُ﴾ يشير إلى العلم بالله من حيث المشاهدة ﴿لَذِكْرِي لَئِن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾² ولم يقل غير ذلك.

فإنّ القلب معلوم بالتقلب في الأحوال دائما، فهو لا يبقى على حالة واحدة. فكذلك التجلّيات الإلهيّة. فمن لم يشهد التجلّيات بقلبه ينكرها (بعقله)، فإنّ العقل يقيّد، وغيره من القوى إلّا القلب فإنّه لا يتقيّد، وهو سريع التقلب، في كلّ حال. ولنا قال الشارع: «إنّ القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبّله كيف يشاء» فهو يتقلّب بتقلّب التجلّيات، والعقل ليس كذلك. فالقلب هو³ القوّة التي وراء طور العقل. فلو أراد الحقّ في هذه الآية بالقلب أنّه العقل، ما قال: ﴿لَئِن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، فإنّ كلّ إنسان له عقل. وما كلّ إنسان يعطى هذه القوّة التي وراء طور العقل، المسماة قلبا في هذه الآية، فلذلك قال: ﴿لَئِن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.

فالتقلب في القلب، نظير التحوّل الإلهيّ في الصور. فلا تكون معرفة الحقّ من الحقّ إلّا بالقلب، لا

بالعقل. ثم يقبلها العقل من القلب، كما يقبل من الفكر. فلا يسعه سبحانه- إلا أن يقبَل ما عندك؛ ومعنى قلب ما عندك هو أنك علقت المعرفة به ﷻ وضبطت عندك في علمك أمراً ما، وأعلى أمر ضبطته في علمك به، أنه لا ينضبط سبحانه- ولا يتقيد ولا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء، فلا ينضبط مضبوط لتمييزه عما ينضبط، فقد انضبط ما لا ينضبط، مثل قولك: "العجز عن درك الإدراك إدراك" والحق إنما وسعه القلب.

ومعنى ذلك أن لا يحكم على الحق تعالى- بأنه لا يقبل ولا لا يقبل، فإن ذات الحق وإنته مجهولة عند الكون، ولا سيما وقد أخبر ﷺ عن نفسه بالنقيضين في الكتاب والسته؛ فشبه في موضع ونزه في موضع. بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ وشبه بقواه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾². فتفرقت خواطر التشبيه وتشتت خواطر التنزيه. فإن المنزه على الحقيقة: قد قيده، وحصره في تنزيهه، وأخلى عنه التشبيه. والمشبّه أيضاً قيده وحصره في التشبيه، وأخلى عنه التنزيه. والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين، فلا ينزه تنزيها يخرج عن التشبيه، ولا يشبه تشبيها يخرج عن التنزيه. فلا تطلق ولا تقيد، لتمييزه عن التقييد ولو تميز تقيد في إطلاقه، ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو، فهو المقيّد بما قيّد به نفسه من صفات الجلال، وهو المطلق بما سمي به نفسه من أسماء الكمال، وهو الواحد الحق الجلي الخفي لا إله إلا هو العلي العظيم.

وَضَلَّ

(أسرار أهل الإلهام المستدلّين)

وأما أسرار أهل الإلهام المستدلّين، فلا تتجاوز سدرة المنتهى، فإن إليها تنتهي أعمال بني آدم، ونهاية كلّ أمر إلى ما منه بدأ. فإن قال لك عارفٌ ممن لا علم له بهذا الأمر: إن الكرسيّ موضع القدمين. فقل له: ذلك عالم الخلق والأمر. والتكليف إنما انقسم من السدرة، فإنه قطع أربع مراتب، والسدرة هي المرتبة الخامسة، فنزل (الحكم الشرعيّ) من قلم (=عقل كلّيّ) إلى لوح (=نفس كلّيّة) إلى عرش (=طبيعة كلّيّة) إلى كرسيّ (=هيوليّ، هباء، مادة كلّيّة) إلى سدرة (=جسم كلّيّ).

فظهر الواجب من القلم، والمنسوب من اللوح، والمختلّ من العرش، والمكروه من الكرسيّ، والمباح من السدرة. والمباح قسم النفس، وإليها تنتهي نفوس عالم السعادة. ولأصولها وهي الزقوم- تنتهي نفوس أهل الشقاء، وقد بيّناها في كتاب "التنزيلات الموصليّة" في باب يوم الاثنين.

[1] الشورى : 11

[2] الشورى : 11

3 ص 105

وإذا ظهرت قسمة الأحكام من السدرة. فإذا¹ صعدت الأعمال التي لا تخلو من أحد هذه الأحكام، لا بد أن تكون نهايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت، إذ لا تُعرف² من كونها منقسمة إلى السدرة، ثم يكون من العقل الذي هو القلم نظر إلى الأعمال المفروضة، فيبديها بحسب ما يرى فيها، ويكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوب إليها، فيبديها بحسب ما يرى فيها. ويكون من العرش نظر إلى المخطورات وهو مستوى الرحمن فلا ينظرها إلا بعين الرحمة ولهذا يكون مال أصحابها إلى الرحمة. ويكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة فينظر إليها بحسب ما يرى فيها، وهو تحت حيطه العرش، والعرش مستوى الرحمن، والكرسي موضع القدمين، فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال. ولهذا يؤثر تاركها ولا يؤاخذ فاعلها.

فكتاب الأبرار في عليين؛ ويدخل فيهم العصاة أهل الكبائر والصغائر. وأما كتاب الفجار ففي سبعين، وفيه أصول السدرة التي هي شجرة الزقوم، فهناك تنتهي أعمال الفجار في أسفل سافلين. فإن رحمهم الرحمن من عرش الرحامة بالنظرة التي ذكرناها، جعل لهم نعيمًا في منزلهم، فلا يموتون فيه ولا يحبون. فهم في نعيم النار دائمون مؤبدون، كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها في حال نومه من السرور. وربما يكون في فراشه مريضًا ذا بؤس وفقر، ويرى نفسه في المنام ذا سلطان ونعمة³ وملك.

فإن نظرت إلى النائم، من حيث ما يراه في منامه ويلتذ به، قلت إنه في نعيم وصدقته، وإن نظرت إليه من حيث ما تراه في فراشه الخشن ومرضه وبؤسه وفقره وكلومه، قلت إنه في عذاب. هكذا يكون⁴ أهل النار، فلا يثوث فيها ولا ينجي⁵ أي لا يستيقظ أبدا من نومته. فتلك الرحمة التي يرحم الله بها أهل النار، الذين هم أهلها، وأمثالها كالحرور منهم يتنعم بالزهرير، والمقرور منهم يجعل في الحرور. وقد يكون عذابهم توهم وقوع العذاب بهم، وذلك كله بعد قوله: ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾⁶. ذلك زمان عذابهم وأخذهم بجرائمهم، قبل أن تلحقهم الرحمة التي سبقت الغضب الإلهي.

فإذا أطلع أهل الجنان، في هذه الحالة على أهل النار، ورأوا منازلهم في النار، وما أعد الله فيها، وما هي عليه من قبح المنظر قالوا: معذبون. وإذا كوشفوا على الحسن المعنوي الإلهي في خلق ذلك المسعى قُبْحًا، ورأوا ما هم فيه في نومتهم، وعلموا أحوال أمرتهم، قالوا: منعمون. فسبحان القادر على ما يشاء

1 ص 105 ب

2 ق: "ظنير" وصححت في الهامش بلم الأصل.

3 ص 106

4 ق، س: "يكونون" والترجيح من هـ

5 [طه: 74]

6 [الرغزف: 75]

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾¹ فقد فهمت قول الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْضَى﴾² وقول رسول³ الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ» ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [آل عمران : 6]

2 [طه : 74]

3 ص 106 ب

4 [الأحزاب : 4]

الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود والمقدر

مُحَقَّقٌ فَهَوَ بِالْأَوْهَامِ مَغْلُومٌ	إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا حَقَّقْتَ حَاصِلَهُ
وَالْغَيْثُ، مِنْهَا وَمِنْهُ، فِيهِ مَغْلُومٌ	مِثْلُ الطَّبِيعَةِ فِي التَّأْثِيرِ قُوَّتُهُ
عَيْنٌ عَلَيْهِ يَكُونُ مِنْهُ تَحْكِيمٌ	بِهِ تَعَيَّنَتِ الْأَشْيَاءُ وَلَيْسَ لَهُ
لَنَا نَقُولُ بِأَنَّ الدَّهْرَ مَوْهُومٌ	الْعَقْلُ يَفْجَرُ عَنْ إِذْكَ صُورَتِهِ
وَجُودُهُ فَلَهُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمٌ	لَوْلَا التَّنَزُّهُ مَا سَمِيَ الْإِلَهِ بِهِ
فُحْكَمُهُ أَرْزِي وَهُوَ مَحْكُومٌ	أَضَلُّ الزَّمَانِ إِذَا أَنْصَفَتْ مِنْ أَرْزِي
فِي غَيْرِ جَنْسٍ يَوْهَمُ فِيهِ تَجَسُّيمٌ	مِثْلُ ¹ الْخَلَاءِ؛ امْتِنَادًا مَا لَهُ طَرَفٌ

اعلم أولاً أنَّ الله تعالى - هو الأول الذي لا أولية لشيء قبله، ولا أولية لشيء يكون قائماً به أو غير قائم به معه. فهو الواحد سبحانه - في أوليته، فلا شيء واجب الوجود لنفسه إلا هو، فهو الغني بذاته على الإطلاق عن العالمين قال تعالى: ﴿اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾² بالدليل العقلي والشرعي.

فوجود العالم لا يخلو إما أن يكون وجوده عن الله لنفسه سبحانه، أو لأمر زائد ما هو نفسه. إذ لو كان نفسه لم يكن زائداً، ولو كان نفسه أيضاً لكان مركباً في نفسه، وكانت الأولية لذلك الأمر الزائد. وقد فرضنا أنه لا أولية لشيء معه ولا قبله.

فإذا لم يكن ذلك الأمر الزائد نفسه، فلا يخلو إما أن يكون وجوداً، أو لا وجوداً. محال أن يكون لا وجود؛ فإنَّ لا وجود لا يصلح أن يكون له أثر إيجاد، فيما هو موصوف بأن لا وجود، وهو العالم. فليس أحدهما بأولى بتأثير الإيجاد من الآخر، إذ كلاهما أن لا وجود. فإنَّ لا وجود لا أثر له، لأنه عدم.

ومحال أن يكون وجوداً. فإنه لا يخلو عند ذلك، إما أن يكون وجوده لنفسه، أو لا يكون. محال أن يكون وجوده لنفسه، فإنه قد قام الدليل على إحالة أن يكون في الوجود اثناً³ واجباً الوجود لأنفسها. فلم يبق إلا أن يكون (العالم) وجوده بغيره، ولا معنى لإمكان العالم، إلا أنَّ وجوده بغيره. فهو العالم إذن، أو

1 عن 107
2 [آل عمران: 97]
3 عن 107 ب

من العالم.

ولو كان وجود العالم عن الله لنسبة مّا، لولاها ما وجد العالم، تُسمى تلك النسبة إرادة أو مشيئة أو علما أو ما شئت، مما يطلبه وجود الممكن؛ فيكون الحق تعالى - بلا شك، لا يفعل شيئا إلا بتلك النسبة، ولا معنى للافتقار إلا هذا. وهو محال على الله، فإن الله له الفنى على الإطلاق، فهو كما قال: ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

فإن قيل: إن المراد بالنسبة عين ذاته. قلنا: فالشيء لا يكون مفتقرا إلى نفسه، فإنه غني لنفسه فيكون الشيء الواحد فقيرا من حيث ما هو غني، كل ذلك لنفسه وهو محال. وقد نفينا الأمر الزائد. فاقضى ذلك أن يكون وجود العالم من حيث ما هو موجود بغيره، مرتبطا بالواجب الوجود لنفسه، وأن عين الممكن، محل تأثير الواجب الوجود لنفسه بالإيجاد، ولا يُعقل إلا هكذا.

فشيئته وإرادته وعلمه وقدرته (هـ) ذاته. تعالى الله أن يتكبر في ذاته علوا كبيرا. بل له الوحدة المطلقة وهو الواحد الذي أخذ. الله الضمد. لم يلد ولم يولد فيكون مقدّمة ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيكون نتيجة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾¹ فيكون به وجود العالم نتيجة عن مقدمتين عن الحق والكفء، تعالى الله.

وهذا وصف نفسه سبحانه - في كتابه لما سئل النبي ﷺ عن صفة ربه فنزلت سورة الإخلاص، تخلّصت من الاشتراك مع غيره تعالى الله في تلك النعوت المقدّسة والأوصاف. فما من شيء نفاه في هذه السورة، ولا أثبتته، إلا وذلك المنفي أو المثبت مقالة في الله لبعض الناس.

وبعد أن بيّنا لك ما ينبغي أن يكون عليه من نحن مفتقرون إليه وهو الله - سبحانه -، فلنبين ما يؤمننا عليه.

فاعلم أنّ نسبة الأزل إلى الله نسبة الزمان إلينا، ونسبة الأزل نعت سلمي لا عين له. فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود فيكون الزمان للممكن نسبة متوهمة الوجود لا موجودة، لأن كل شيء يفرضه يصح عنه السؤال، متى. ومتى: سؤال عن زمان. فلا بد أن يكون الزمان أمرا متوهما لا وجودا. ولهذا أطلقه الحق على نفسه في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾³ و﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾⁴ وفي السنة تقرير قول السائل: «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟» ولو كان الزمان أمرا وجوديا في نفسه ما صحّ تنزيهه

1 | الإخلاص : 1 - 4 |

2 | ص 108

3 | الأحزاب : 40 |

4 | الروم : 4 |

الحق عن التقيد إذ كان حكم الزمان يقيد. فعرفنا أن هذه الصيغ ما تحتها أمر وجودي.

ثم نقول: إن لفظة الزمان، اختلف الناس في معقولها ومدلولها. فالحكماء تطلقه بإزاء أمور مختلفة، وأكثرهم¹ على أنه مدة متوهمه تقطعها حركات الأفلاك. والمتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر، وهو مقارنة حادث لحادث، يسأل عنه بمتى؟

والعرب تطلقه وتريد به الليل والنهار، وهو مطلوبنا في هذا الباب. والليل والنهار فصلان² اليوم: فمن طلوع الشمس إلى غروبها يسمى نهارا، ومن غروب الشمس إلى طلوعها يسمى ليلا. وهذه العين المفصلة تسمى يوما؛ وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى، وما في الوجود العيني إلا وجود المتحرك لا غير. وما هو عين الزمان. فرجع محصول ذلك إلى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له.

وإذا تقرر هذا، فاليوم المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود، وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور وتسمى أياما. وتقدر بهذا اليوم الأصغر المعتاد الذي فصله الليل والنهار. فالزمان المقدر هو ما زاد على هذا اليوم الأصغر الذي تقدر به سائر الأيام الكبار، فيقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾³، وقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁴.

وقال ~~القرطبي~~ في أيام الدجال: «يوم كسنة ويوم كشهري ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم». فقد يكون هذا لشدة الهول، ورفع الإشكال ظاهرا، تمام الحديث في قول عائشة: فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم؟ قال⁵: «يقدر لها» فلولا أن الأمر في حركات الأفلاك على ما هو عليه باق، ما اختلف؛ ما صح أن يقدر لتلك بالساعات التي يعمل صورتها أهل هذا العلم، فيعلمون بها الأوقات في أيام الغيم، إذ لا ظهور للشمس.

فيكون في أول خروج الدجال، تكثر الغيوم وتتوالى، بحيث أن يستوي في رأي العين وجود الليل والنهار. وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان، فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء. والحركات كما هي، فتظهر الحركات في الصنائع العملية التي عملها أهل صنعة العلماء بالهيئة، ومجاري النجوم. فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلوات بلا شك.

1 ص 108 ب

2 ق: فصل.

3 [السجدة : 5]

4 [المعارج : 4]

5 ص 109

ولو كان ذلك اليوم، الذي هو كسنة، يوما واحدا، لم يلزمنا أن نقدر للصلوات، فإننا ننتظر زوال الشمس. فما لم تزل لا نصلي الظهر المشروع، ولو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة، لم يكلفنا الله غير ذلك. فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير، عرفنا أن حركات الأفلاك على بابها لم يختل نظامها.

فقد أعلمتك ما هو الزمان، وما معنى نسبة الوجود إليه ونسبة التقدير. فالأيام كثيرة، ومنها كبير وصغير، فأصغرها الزمن الفرد، وعليه يخرج ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾¹. فسعى الزمن الفرد يوما، لأن الشأن يحدث فيه، فهو أصغر الأزمان² وأدقها. ولا حدّ لأكبرها، يوقف عنده. وبينها أيام متوسطة؛ أولها اليوم المعلوم في القُرف، وتصله الساعات، والساعات تفصلها النج، والنج تفصله الدقائق، هكذا إلى ما لا يتناهى، عند بعض الناس. فإنهم يفصلون الدقائق إلى ثوان. فلما دخلها حكم العدد، كان حكمها العدد، والعدد لا يتناهى، فالتفصيل في ذلك لا ينتهي.

وبعض الناس يقولون بالتناهي في ذلك، وينظرونه من حيث المعداد. وهم الذين يثبتون أن للزمان عينا موجودة، وكلّ ما دخل في الوجود، فهو متناهٍ بلا شك. والمخالف يقول: المعداد من كونه يُقدّر، ما دخل في الوجود، فلا يوصف بالتناهي. فإنّ العدد لا يتّصف بالتناهي. وبهذا يحتج منكر الجوهر الفرد. وأنّ الجسم ينقسم إلى مالا نهاية له في العقل، وهي مسألة خلاف بين أهل النظر، حدثت من عدم الإنصاف والبحث عن مدلول الألفاظ. وقد ورد في الخبر الصحيح أن من أساء الله؛ الدهر. ومعقولية الدهر معلومة، نذكر ذلك لمن شاء الله - في هذا الكتاب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

انتهى الجزء السابع والعشرون يتلوه في الجزء الثامن والعشرين⁴. بسم الله الرحمن الرحيم الباب الستون في معرفة العناصر وسلطان العالم العلوي على العالم السفلي.

1 [الرحمن : 29]

2 ص 109 ب

3 [الأحزاب : 4]

4 "يتلوه... والعشرون" في الهامش بقلم الأصل.

الجزء الثامن والعشرون من الفتح المكي¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الستون

في معرفة العناصر، وسلطان العالم العلوي³ على العالم السفلي، وفي أيّ دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى؟ وأية روحانية لنا؟

وَفِي الْبَنَاتِ لِعَالَمِ الْأَفْلَاكِ	إِنَّ الْعَنَاصِرَ أَمَهَاتُ أَرْبَعٌ
فِي عَالَمِ الْأَرْكَانِ وَالْأَمْلاكِ	غَنَاهَا ثَوَلَدُنَا فَكَانَ وُجُودُنَا
مِنْ حُكْمِ سُئُلَةٍ بَلَا إِشْرَاكِ	جَعَلَ إِلَهُهُ غِذَاءَنَا بِسَنَائِلِ
سَبْعَ بِقَوْلِ لَيْسَ مِنْ أَفَّاكِ	وَكَذَلِكَ ضَاعَفَ أَجْرَنَا بِسَنَائِلِ
بِتَكْوِيرِ الْأَصْوَاءِ وَالْأَخْلَاكِ	وَرَمَانَتَا سَبْعَ مِنَ الْأَلْفِ
مِنْ سَبْعَةٍ لَيْسُوا مِنَ الْأَمْلاكِ	فَانْظُرْ ⁴ بِفَيْتِكَ سَبْعَةً فِي سَبْعَةٍ
وَاضْرِبْ بِسَيْفِ صَارِمٍ بَنَّاكِ	وَانْظُرْ بِفَيْتِكَ فِي تَنَاسُبِ حُكْمِهَا

أراد بالأملاك -الأول من الملائكة- جمع ملك. وأراد بالأملاك -الثاني- من الملوك جمع ملك. يقول: هم مسخرون والمسخر لا يستحق اسم الملك. والسبعة المذكورة هي السبعة الداروي، في السبعة الأفلاك، الموجودة من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة وهي للحركة التي فوق السماوات، وهي حركة اليوم للفلك الأقصى.

اعلم أنّ كلّ شيء من الأكوان لا بدّ أن يكون استناده إلى حقائق إلهية. فكلّ علم مدرج في العلم الإلهي، ومنه تفرعت العلوم كلّها. وهي منحصرة في أربع مراتب؛ وكلّ مرتبة تنقسم إلى أنواع معلومة، محصورة عند العلماء وهو: العلم المنطقي والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي.

والعالم يطلب من الحقائق الإلهية أربع نسب: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. إذا ثبتت هذه الأربع

1 العنوان ص 110 ب، أما ص 110 فيضاً.

2 البسطة ص 111

3 ثابتة في الهامش فلم الأصل.

4 ص 111 ب

النسب للواجب الوجود، صحَّ أنه الموجد للعالم بلا شك. فالحياة¹ والعلم أصلان في النسب والإرادة، والقدرة دونهما. والأصل: الحياة. فإنها الشرط في وجود العلم. والعلم له عموم التعلُّق؛ فإنه يتعلَّق بالواجب الوجود وبالممكن وبالحال. والإرادة دونه في التعلُّق؛ فإنه لا تعلُّق لها إلا بالممكن في ترجيحه بإحدى الحالتين من الوجود والعدم. فكأنَّ الإرادة تطلبها الحياة، فهي كالمنفعلة عنها؛ فإنها أعمُّ تعلُّقاً من القدرة. والقدرة أخصُّ تعلُّقاً؛ فإنها تتعلَّق بإيجاد الممكن لا بإعدامه، فكأنَّها كالمنفعلة عن العلم لأنها من الإرادة بمنزلة العلم من الحياة.

فلما تميَّزت المراتب في هذه النسب الإلهية، تميَّز الفاعل عن المنفعَل، خرج العالم على هذه الصورة، فاعلاً ومنفعلاً. فالعالم بالنسبة إلى الله، من حيث الجملة، منفعَل محدَّث. وبالنظر إلى نفسه فله فاعل (منه) منفعَل.

فأوجد الله سبحانه - العقل الأول من نسبة الحياة، وأوجد النفس من نسبة العلم. فكان العقل شرطاً في وجود النفس، كالحياة شرط في وجود العلم. وكان المنفعَلان عن العقل والنفس الهباء والجسم الكل. فهذه الأربعة أصلُ ظهور الصور في العالم.

غير أنَّ بين النفس والهباء مرتبة الطبيعة، وهي على أربع حقائق، منها: اثنان فاعلان واثنان منفعَلان، وكلُّها في رتبة الانفعال، بالنظر إلى مَنْ صدرت عنه؛ فكانت الحرارة والبرودة² والرطوبة واليبوسة. فاليبوسة منفعلة عن الحرارة، والرطوبة منفعلة عن البرودة. فالحرارة من العقل، والعقل عن الحياة. ولأنَّ طَبْعَ الحياة في الأجسام العنصرية الحرارة، والبرودة من النفس، والنفس من العلم ولهذا يوصف العلم إذا استقرَّ ببرد اليقين وبالثلج. ومنه قوله ﷺ حين وجد برد الأنامل بين يديه، فعلم أنَّ الأولين والآخرين.

ولما انفعَلت اليبوسة والرطوبة عن الحرارة والبرودة، طلبت الإرادة اليبوسة لأنها في مرتبتها، وطلبت القدرة الرطوبة لأنها في مرتبتها. ولما كانت القدرة ما لها تعلُّق إلا بالإيجاد خاصة، كان الأحقُّ بها طبع الحياة وهي الحرارة والرطوبة في الأجسام - وظهرت الصور والأشكال في الهباء والجسم الكل؛ فظهرت السماء والأرض مرتوقة غير متميَّزة.

ثم إنَّ الله تعالى - توجه إلى فتح هذا الرق، ليميز أعيانها، وكان الأصل الماء في وجودها. ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾³ ولحياته وُصِفَ بالتسييح. فنظم الله أولاً هذه الطبائع الأربع نظماً

1 ص 112

2 ص 112 ب

3 [الأنبياء : 30]

مخصوصاً: فضّم الحرارة إلى اليبوسة فكانت النار البسيطة المعقولة، فظهر حكمها في جسم العرش، الذي هو الفلك الأقصى والجسم الكلّ، في ثلاثة أماكن منها؛ المكان الواحد سمّاه حَمَلًا، والمكان الثاني وهو¹ الخامس من الأمكنة المقدّرة فيه سمّاه أسداً، والمكان الثالث وهو التاسع من الأمكنة المقدّرة فيه سمّاه قوساً.

ثمّ ضمّ البرودة إلى اليبوسة، وأظهر سلطانها في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك، وهو التراب البسيط المعقول. فسَمّى المكان الواحد ثوراً، والآخر سنبله، والثالث جدّيّاً. ثمّ ضمّ الحرارة إلى الرطوبة، فكان الهواء البسيط، وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة، من هذا الفلك الأقصى، سَمّى المكان الواحد الجوزاء، والآخر الميزان، والثالث البالي. ثمّ ضمّ البرودة إلى الرطوبة فكان الماء البسيط وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من الفلك الأقصى، سَمّى المكان الواحد السرطان، وسَمّى الآخر بالعقرب، وسَمّى الثالث بالحوث. فهذا تقسيم فلك البروج على اثني عشر قسماً مفروضة، تُعَيّنُها الكواكبُ الثمانية والعشرون، وذلك بتقدير العزيز العليم.

فلَمّا أحكم صنعتهما وترتيبها وأدارها، فظهر الوجود مرتوقاً، فأراد الحقُّ فتحه؛ ففصل بين السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿كَانَتْ رَتْماً فَفُتَّتْهُمَا﴾² أي مَيَزَ بعضها عن بعض. فأخذت السماء علواً دخاناً، فحدث فيما بين السماء والأرض ركان من المركّبات؛ الركن الواحد الماء المركّب مما يلي الأرض، لأنّه بارد رطب، فلم يكن له قوّة الصعود، فبقي على الأرض تُمسكه بما³ فيها من اليبوسة عليها. والآخر النار، وهي أكرة الأثير مما يلي السماء، لأنّه حارّ يابس فلم يكن له طبع النزول إلى الأرض، فبقي مما يلي السماء من أجل حرارته واليبوسة تُمسكه هناك.

وحدث ما بين النار والماء ركن الهواء، من حرارة النار ورطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنار، فإنّ هزل الرطوبة يمنعه أن يكون بحيث النار، وإن طلبت الرطوبة (أن) تنزله إلى أن يكون بحيث الماء؛ تمنعه الحرارة من النزول. فلَمّا تمانعا لم يبق إلّا أن يكون (الهواء) بين الماء والنار؛ لأنّها يتجاذبان على السواء، فذلك المسمّى هواء. فقد بان لك مراتب العناصر وماهيّتها، ومن أين ظهرت، وأصل الطبيعة.

ولَمّا دارت الأفلاك، ومحضت الأركان بما حملته مما ألقت فيها في هذا النكاح المعنويّ، وظهرت المولّدات من كلّ ركن بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الركن، فظهرت أمّ العالم، وظهرت الحركة المنكوسة والحركة الأفقية. فلَمّا انتهى الحكم إلى السنبله ظهرت النشأة الإنسانيّة بتقدير العزيز العليم. فأنشأ الله ﷻ الإنسان من حيث جسمه خلقاً سوياً، وأعطاه الحركة المستقيمة، وجعل الله لها من الولاية في العالم

1 ص 113
2 [الأنبياء : 30]
3 ص 113 ب

وينتقل الحكم إلى الميزان، وهو زمان القيامة. وفيه يضع الله الموازين القسط ليوم¹ القيامة فلا تظلم نفس شيئا. ولما لم يكن الحكم له بما أودع الله فيه من العدل في الدنيا، شرع الموازين، فلم يعمل بها إلا القليل من الناس، وهم النبيون خاصة، ومن كان محفوظا من الأولياء. ولما كانت القيامة محل سلطان الميزان، لم تظلم نفس شيئا قال الله تعالى: ﴿وَوَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ يَوْمَ الْعَمَلِ﴾ (أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)².

ولما كان للعنبراء السبعة من الأعداد، كانت لها السبعة والسبعون والسبعمئة من الأعداد، في تضاعف الأجور وضرب الأمثال في الصدقات، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾³ إلى سبعة آلاف، إلى سبعين ألفا، إلى سبعمئة ألف، إلى ما لا نهاية له، ولكن من حساب السبعة.

وإنما كانت الفروض المقدرة في الفلك الأطلس اثنا عشر فرضا؛ لأنّ منتهى أسماء العدد إلى اثني عشر. اسما. وهو من الواحد إلى العشرة إلى المائة، وهو الحادي⁴ عشر. إلى الألف، وهو الثاني عشر. وليس وراءه مرتبة أخرى، ويكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصة.

ويدخل الناس الجنة والنار، وذلك في أول الحادية، إحدى⁵ عشرة درجة من الجوزاء. وتستقر كل طاقة في دارها، ولا يبقى في النار من يخرج بشفاعته، ولا بعناية إلهية. ويذبح الموت بين الجنة والنار. ويرجع الحكم في أهل الجنة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودع الله في حركات الفلك الأقصى؛ وبه يقع التكوين في الجنة بحسب ما تعطيه نشأة الدار الآخرة. فإنّ الحكم أبدا في القوابل، فإنّ الحركة واحدة، وآثارها تختلف بحسب القوابل. وسبب ذلك حتى لا يستقل أحد من الخلق، بفعل ولا بأمر دون مشاركة. فيتميز بذلك فعل الله الذي يفعل، لا بمشاركته من فعل المخلوق. فالمخلوق أبدا في محل الافتقار والعجز، والله الغني العزيز.

ويكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودع الله تعالى في حركات الفلك الأقصى، وفي الكواكب الثابتة، وفي سباحة الداروي السبعة المطموسة الأنوار، فهي كواكب لكنها ليست

1 ص 114

2 [الأنبياء : 47]

3 [البقرة : 261]

4 الحادي أحد

5 ص 114 ب

بثواب. فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة، فيقرب حكم النار من حكم الدنيا، فليس بعذاب خالص، ولا بنعيم خالص. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾¹ فلم يَخْلُصْهُ إِلَى أَحَدِ الْوَحْمِينَ، وكذلك قال ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ».

وقد قَدَّمْنَا فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا، صُورَةَ² النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ. وَسَبَبَ ذَلِكَ، أَنَّهُ بَقِيَ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَفْلَاكِ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ مِنَ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، وَتَغَيَّرَ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ مَا تَغَيَّرَ مِنْ صُورِ الْأَفْلَاكِ بِالتَّبْدِيلِ، وَمِنْ الْكَوَاكِبِ بِالطُّمَسِ وَالِانْتِشَارِ، فَاخْتَلَفَ حُكْمُهَا بِزِيَادَةِ وَقْصٍ، لِأَنَّ التَّغْيِيرَ وَقَعَ فِي الصُّورِ لَا فِي النَّوَاتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - لَمَّا تَسَعَى بِالْمَلِكِ؛ رَتَّبَ الْعَالَمَ تَرْتِيبَ الْمَمْلَكَةِ؛ فَجَعَلَ لَهُ خَوَاصَّ مِنْ عِبَادِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُهِتَمَّةُ، جُلَسَاءُ الْحَقِّ تَعَالَى - بِالذِّكْرِ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾³، ثُمَّ اتَّخَذَ حَاجِبًا مِنَ الْكَرُوبِيِّينَ؛ وَاحِدًا أَعْطَاهُ عِلْمَهُ فِي خَلْقِهِ، وَهُوَ عِلْمُ مَفْصُلٍ فِي إِبْجَالٍ، فَعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ - كَانَ فِيهِ مَجْلَى لَهُ، وَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَلِكُ: "نُون" فَلَا يَزَالُ مَعْتَكِفًا فِي حَضْرَةِ عِلْمِهِ ﷻ وَهُوَ رَأْسُ الدِّيَوَانِ الْإِلَهِيِّ، وَالْحَقُّ مِنْ كَوْنِهِ عَلِيمًا لَا يَحْتَجِبُ عَنْهُ.

ثُمَّ عَيَّنَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَلَكًا آخَرَ دُونَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ، سَمَّاهُ الْقَلَمَ. وَجَعَلَ مَنْزِلَتَهُ دُونَ النَّوْنِ، وَاتَّخَذَهُ كَاتِبًا، فَعِلْمُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - مِنْ عِلْمِهِ مَا شَاءَ فِي خَلْقِهِ، بِوَسَاطَةِ النَّوْنِ، وَلَكِنْ مِنَ الْعِلْمِ الْإِبْجَالِيِّ. وَمِمَّا يَحْوِي عَلَيْهِ الْعِلْمُ الْإِبْجَالِيُّ، عِلْمُ التَّفْصِيلِ. وَهُوَ مِنْ بَعْضِ عُلُومِ الْإِبْجَالِ. لِأَنَّ الْعُلُومَ لَهَا مَرَاتِبٌ مِنْ جَمَلَتِهَا عِلْمُ التَّفْصِيلِ، فَمَا عِنْدَ الْقَلَمِ الْإِلَهِيِّ مِنْ مَرَاتِبِ الْعُلُومِ الْجَمَلَةِ إِلَّا عِلْمُ التَّفْصِيلِ مَطْلَقًا وَبَعْضُ الْعُلُومِ⁴ الْمَفْصَلَةِ لَا غَيْرَ.

وَاتَّخَذَ (اللَّهُ) هَذَا الْمَلِكُ كَاتِبَ دِيْوَانِهِ، وَتَجَلَّى لَهُ مِنْ اسْمِهِ الْقَادِرُ. فَأَمَدَّهُ مِنْ هَذَا التَّجَلِّيِ الْإِلَهِيِّ، وَجَعَلَ نَظْرَةً إِلَى جَمْعَةِ عَالَمِ التَّدْوِينِ وَالتَّسْطِيرِ؛ فَخَلَقَ لَهُ لَوْحًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِيهِ جَمِيعَ مَا شَاءَ سُبْحَانَهُ - أَنْ يَجْرِيهِ فِي خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَاصَّةً، وَأَنْزَلَهُ مِنْهُ مَنْزِلَةً التَّلْمِيزِ مِنَ الْأُسْتَاذِ، فَتَوَجَّهَتْ عَلَيْهِ هُنَا الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ، فَخَصَّصَتْ لَهُ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْعُلُومِ الْمَفْصَلَةِ، فَلَهُ تَجَلِّيَانِ مِنَ الْحَقِّ بِلَا وَاسْطَةٍ، وَلَيْسَ لِلنَّوْنِ سِوَى تَجَلٍّ وَاحِدٍ، فِي مَقَامِ أَشْرَفٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ تَعَدُّدُ التَّجَلِّيَّاتِ وَلَا كَثَرَتُهَا عَلَى الْأَشْرَفِيَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَشْرَفُ مَنْ لَهُ الْمَقَامُ الْأَعْمَى.

[طه : 74]

2 ص 115

3 [الأنبياء : 19، 20]

4 ص 115 ب

فَأَمَرَ اللَّهُ النُّونَ أَنْ يُمَدِّ الْقَلَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ عِلْماً مِنْ عُلُومِ الْإِجْمَالِ، تَحْتَ كُلِّ عِلْمٍ تَفَاصِيلُ، وَلَكِنْ مَعِيْنَةٌ مَنْحَصَرَةٌ، لَمْ يَعْطِهِ غَيْرَهَا. يَتَضَمَّنُ كُلُّ عِلْمٍ إِجْمَالِيٍّ مِنْ تِلْكَ الْعُلُومِ، ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ عِلْماً مِنْ عُلُومِ التَّفْصِيلِ. فَإِذَا ضُرِبَتْ ثَلَاثِمِائَةٌ وَسِتِّينَ فِي مِثْلِهَا فَمَا خَرَجَ لَكَ فَهُوَ مَقْدَارُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى - فِي خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَاصَّةً، لَيْسَ عِنْدَ اللُّوحِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي كَتَبَهُ فِيهِ هَذَا الْقَلَمُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ. وَلِهَذَا الْحَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةُ جَعَلَ اللَّهُ الْفَلَكَ الْأَقْصَى ثَلَاثِمِائَةً¹ وَسِتِّينَ دَرَجَةً، وَكُلَّ دَرَجَةٍ بِمِجْمَلَةٍ لَمَّا تُحَوِّي عَلَيْهِ مِنْ تَفْصِيلِ الدَّقَائِقِ وَالنَّوَانِي وَالتَّوَالِثِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - مِمَّا يَظْهَرُ فِي خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسَمَّى هَذَا الْقَلَمَ: الْكَاتِبَ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ أَنْ يُوَلَّى عَلَى عَالَمِ الْخَلْقِ اثْنِي عَشَرَ وَالِيًّا، يَكُونُ مَقَرُّهُمْ فِي الْفَلَكَ الْأَقْصَى مَتًّا، فِي بَرُوجٍ. فَتَقَسَّمَ الْفَلَكَ الْأَقْصَى اثْنِي عَشَرَ قِسْمًا، جَعَلَ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا بَرَجًا لِسَكْنَى هَؤُلَاءِ الْوَلَاءِ، مِثْلُ أَرْبَاعِ سَوْرِ الْمَدِينَةِ. فَأَنْزَلَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَتَزَلُّوا فِيهَا؛ كُلُّ وَالٍ عَلَى تَحْتٍ فِي بَرَجِهِ. وَرَفَعَ اللَّهُ الْحِجَابَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، فَرَأَوْا فِيهِ مَسْطَرًّا أَسْمَاءَهُمْ وَمَرَاتِبَهُمْ، وَمَا شَاءَ الْحَقُّ أَنْ يَجْعِلَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَارْتَقَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي ثَوْبِهِمْ، وَعِلْمُوهُ عِلْماً مَحْفُوظًا لَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.

ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْوَلَاءِ حَاجِبَيْنِ، يَنْفُذَانِ أَوْامِرَهُمْ إِلَى نَوَابِيهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَ كُلِّ حَاجِبَيْنِ سَفِيرًا يَمْشِي بَيْنَهُمَا بِمَا يُلْقِي إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَعَيَّنَ اللَّهُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ حِجَابًا لَهُؤُلَاءِ الْوَلَاءِ فِي الْفَلَكَ الثَّانِي مَنَازِلَ يَسْكُونُهَا، وَأَنْزَلَهُمُ إِلَيْهَا، وَهِيَ الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ مَنَزَلَةً، الَّتِي تَسْمَى الْمَنَازِلَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَ نَازِهِ مَنَازِلَ²﴾³ يَعْنِي فِي سَيْرِهِ، يَنْزِلُ كُلُّ لَيْلَةٍ مَنَزَلَةً مِنْهَا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يَدُورُ دَوْرَةً أُخْرَى ﴿لَتَقْلُمُوا﴾⁴ بِسَيْرِهِ وَسِيرِ الشَّمْسِ فِيهَا وَالْخُنُسِ ﴿عَدَدَ السَّنِينَ وَالْجِسَابِ﴾⁵ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلَهُ الْحَقُّ لَنَا تَفْصِيلًا، فَأَسْكَنَ فِي هَذِهِ الْمَنَازِلِ هَذِهِ الْمَلَائِكَةَ، وَهُمْ حِجَابُ أَوْلَئِكَ الْوَلَاءِ الَّذِينَ فِي الْفَلَكَ الْأَقْصَى.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - أَمَرَ هَؤُلَاءِ الْوَلَاءِ، أَنْ يَجْعَلُوا نَوَابِيًا لَهُمْ، وَنَقَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فِي كُلِّ سَمَاءٍ نَقِيبًا، كَالْحَاجِبِ لَهُمْ، يَنْظُرُ فِي مَصَالِحِ الْعَالَمِ الْعَنْصَرِيِّ، بِمَا يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ الْوَلَاءِ وَيَأْمُرُونَهُمْ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْخَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁵ فَجَعَلَ اللَّهُ أَجْسَادَ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ النَقَبَاءِ، أَجْسَادًا نَبْرَةً مُسْتَدِيرَةً، وَنَفَخَ فِيهَا أَرْوَاحَهَا، وَأَنْزَلَهَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فِي كُلِّ سَمَاءٍ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: قَدْ جَعَلْتُكُمْ

1 ص 116

2 ص 116 ب

3 [يس : 39]

4 [يونس : 5]

5 [فصلت : 12]

تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر واليا بوساطة الحجاب الذين هم ثمانية وعشرون، كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ.

ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء، فلما يسبح فيه، هو له كالجواد للراكب. وهكذا الحجاب لم أفلاك يسبحون فيها، إذ كان لم التصرف في حوادث العالم والاستشراف عليه، ولهم سدة وأعوان يزيدون¹ على الألف، وأعطاهم الله مراكب سماها أفلاكاً، فهم أيضاً يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة، فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلاً من ملك السماوات والأرض. فيدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة، والكل مسخرون في حقاً، إذ كنا المقصود من العالم، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾² وأنزل الله في التوراة: "يا ابن آدم؛ خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي".

وهكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كل يوم على أحوال أهل ملكه، يقول تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾³ لأنه يسأله من في السماوات والأرض بلسان حال ولسان مقال: ﴿وَلَا يَتُودُّهُ﴾ حفظ العالم ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁴ فما له شغل إلا بها. يقول تعالى: ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾⁵ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ يَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾⁶.

ولولا وجود الملك ما سعى النبلك ملكاً، فحفظه لملكه حفظه لبقاء اسم الملك عليه. وإن كان كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾⁷ فما جاء باسم الملك. فإن أساء الإضافة لا تكون إلا بالمضاف. فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيتيه، ولا يمشي بالعدل فيهم، ولا يعاملهم بالإحسان الذي يليق بهم؛ فقد عزل نفسه في⁸ نفس الأمر.

يقول الفقهاء: "إن الحاكم إذا فسق أو جار فقد انعزل شرعاً" ولكن عندنا: انعزل شرعاً فيما فسق فيه خاصة، لأنه ما حكم بما شرع له أن يحكم به. فقد أثبتهم رسول الله ﷺ ولاة مع جورهم فقال عليه السلام: «فإن عدلوا فلکم ولهم وإن جاروا فلکم وعليهم» ونهى أن تُخرج يدا من طاعة⁹، وما خص بذلك

1 ص 117

2 [الحجرات: 13]

3 [الرحمن: 29]

4 [البقرة: 255]

5 [السجدة: 5]

6 [الرعد: 2]

7 [آل عمران: 97]

8 ص 117 ب

9 "وهي... طاعة" تاجة في الهامش فلم الأصل.

وأيّ من وال. فلذلك زدنا "في عزله شرعا" إنما ذلك فيما فسق فيه.

فالمالك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج بما حُدَّ له من الأحكام في رعاياه وفي نفسه، فإنّه وال على نفسه «كلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيته» فالإنسان راع على نفسه فما زاد. ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» الحديث. فمن لم يَفِّ لمن بايعه بما بايعه عليه، فقد عزل نفسه وليس بمالك، وإن كان حاكما. فما كلّ حاكم يكون سلطانا؛ فإنَّ السلطان من تكون له الحجة لا عليه.

ولهذا جعل الله الأفلاك تدور علينا كلّ يوم دورة لتتطرّ الولاة ما تدعو حاجة الخلق إليهم، فيستدّون الحلال وينفّذون أحكام الله من كونه مريدا في خلقه لا من كونه آمرا. فينفّذون أحكامه التي أمرهم سبحانه- أن يُنفّذوها فيهم وهو القضاء والقدر في أزمان مختلفة- ف«كلّ شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس» ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْتَظَرٌ﴾¹ في اللوح المحفوظ، فما فيه إلّا ما يقع. ولا يُنفّذ هؤلاء الولاة في العالم إلّا ما فيه، والله على كلّ شيء رقيب.

ومع هذا كلّهُ فإنَّ الله له مع كلّ واحد من المملّكة² أمر خاصّ في نفسه، يعلمه الولاة والحجّاب والنقباء. فهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه، ذلك ليعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾³ وأنّه رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾⁴ و﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾⁵.

ولمّا جعل الله زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة، وأقعد من أقعد منهم في برجه، ومسكنه الذي فيه تحت مُلكه، وأنزل من أنزل من الحجّاب والنقباء إلى منازلهم في مساكنهم، وجعل في كلّ سماء ملائكة مسخرة تحت أيدي هؤلاء الولاة، وجعل تسخيرهم على طبقات: فمنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحقِّ إلينا، ومنا إلى الحقِّ في كلّ صباح ومساء، وما يقولون إلّا خيرا في حقنا. ومنهم المستغفرون لمن في الأرض، ومنهم المستغفرون للمؤمنين، لغلبة الغيرة الإلهية عليهم، كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض. ومنهم الموكّلون بإيصال الشرائع، ومنهم أيضا الموكّلون باللّغات، ومنهم الموكّلون بالإلهام، وهم الموصولون العلوم إلى القلوب. ومنهم الموكّلون بالأرحام، ومنهم الموكّلون⁶ بتصوير ما يكوّن الله في الأرحام، ومنهم الموكّلون بنبخ الأرواح، ومنهم الموكّلون بالأرزاق، ومنهم الموكّلون بالأمطار؛ ولذلك

1 ص 118

2 [القدر : 53]

3 ق: "الملائكة" وصححت في الهامش: "المملّكة".

4 [الطلاق : 12]

5 [الرعد : 33]

6 [فصلت : 54]

7 ص 118 ب

قالوا: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾¹.

وما من حادث يُحدث الله في العالم، إِلَّا وقد وُكِّلَ الله بإجرائه ملائكة، ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة. كما منهم أيضا الصافات، والزاجرات، والتاليات، والمقنسات، والمرسلات، والناشرات، والنازعات، والناشطات، والسابقات، والسابحات، والمُلقيات، والمدبرات. ومع هذا فما يزالون تحت سلطان هؤلاء الولاة، إِلَّا الأرواح المهتمة بهم خصائص الله، ومن دونهم فإنهم ينفقون أوامر الله في خلقه. ثم إِنَّ العامة ما تشاهد إِلَّا منازلهم، والخاصة يشهدونهم في منازلهم، كما، أيضا، تشاهد العامة أجرام الكواكب ولا تشاهد أعيان الحجاب ولا النقاء.

وجعل الله في العالم العنصري خلقا من جنسهم؛ فمنهم² الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور العالم. وجعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاة في الأرض من أهلها، بينهم وبين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات ورفاق تمتد إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل، مطهرة من الشوائب، مقدسة عن العيوب. فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين³ منهم بحسب استعداداتهم: فمن كان استعداده قويا حسنا، قبل ذلك الأمر على صورته طاهرا مطهرا، فكان والي غنل وإمام فضل. ومن كان استعداده ردينا، قبل ذلك الأمر الطاهر، وردّه إلى شكله من الرداءة والفسح، فكان والي جور ونائب ظلم وبخل؛ فلا يلوم إِلَّا نفسه.

فقد أبنت لك سلطنة العالم العلوي على العالم السفلي، وكيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب. وما ذكرنا من ذلك إِلَّا الأمهات لا غير، يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْخَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁴ وقال: ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْزَ بَيْنَهُمْ﴾⁵ ويكني هذا القدر من هذا الباب، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

وفي كتاب "التنزلات الموصليّة" ذكرنا حديث هؤلاء الولاة والنواب والحجاب، وما ولّاهم الله عليه من التأثير في العالم العنصري الروحاني، من ذلك ما تعرضنا لما تعطيه من الطبيعة والأمور البدئية، وتكلّمنا فيها على كلّ ما ذكرناه مفصّلا في باب يوم الأحد، وهو باب الإمام. وبيّنا ما بيد كلّ نائب من النسبة النقاء في باب يوم الأحد وسائر الأيام إلى يوم السبت، وبيّنا مقامات أرواح الأنبياء عليهم

1 (الصفات : 164)

2 تاج في الهامش بقلم الأصل.

1193

4 (صلى : 12)

5 (الطلاق : 12)

6 (الأحزاب : 4)

السلام- في ذلك، وجعلنا هذه الألقاب الروحانية لأرواح الأنبياء عليهم السلام-، وبيننا مراتبهم¹ في الرؤية والحجاب يوم القيامة، وما يتكلمون به في أتباعهم من أهل السعادة والشقاء، وذلك منه في باب يوم الاثنين بلسان آدم وترجمة القمر، وجاء بديعا في شأنه. والله المؤيد والموفق لا رب غيره.

الباب الحادي والستون في معرفة جحّم، وأعظم المخلوقات فيها عذابا، ومعرفة بعض العالم العلويّ

إِنَّ السَّمَاءَ تُدَوِّ زَنْفًا مِثْلَ مَا	كَانَتْ وَأَنْجُمُهَا يَزُولُ ضِيَاؤُهَا
هَذَا لِيُنْصِفَكَ الْمَيِّتُ بِأَرْضِهَا	وَعَلَيْهِ قَامَ عِمَادُهَا وَبَنَازُهَا
فَأَشَدُّ خُلُقِي إِلَهِي آلامًا بِهَا	مَنْ كَانَ مِنْهَا خَلْقُهُ، فَسَمَاؤُهَا
تَكْشُوهُ حُلَّةُ نَارِهِ مِنْ نُورِهَا	فَلِذَاكَ يَقْطَعُ فِي الثُّغُوبِ بِلَاؤُهَا

اعلم عصمتنا الله وإياك - أن جحّم من أعظم المخلوقات، وهي ¹ سجن الله في الآخرة، يُسَجَّنُ فيه المعتلّة والمشركون، وهي لهاتين الطائفتين دار مقامه، والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَحَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ² ثم يخرج بالشفاعة من ذكرنا، وبالامتنان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه.

وسُمِّيَتْ جحّم جحّم، لِئَنفِدَ قَعْرُهَا. يقال: بئرٌ جَحْمٌ؛ إذا كانت بعيدة القعر. وهي تحوي على حرور وزمهرير؛ ففيها البرد على أقصى درجاته، والحرور على أقصى درجاته. وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين.

واختلف الناس في خلقها؛ هل خُلِقَتْ بَعْدُ أم لم تُخْلَقْ؟ والخلاف مشهور فيها. وكلُّ واحد من الطائفتين يَحْتَجُّ فيما ذهب إليه بما يراه حجة عنده، وكذلك اختلفوا في الجنة. وأمّا عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف؛ فيها مخلوقتان غير مخلوقتين.

فأمّا قولنا: مخلوقة؛ فمكرجل أراد أن يبني دارا، فأقام حيطانها كلّها، الحاوية عليها خاصة. فيقال قد بني دارا، فإذا دخلها لم ير إلا سورا، دائرا على فضاء وساحة. ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها، من بيوت وغرف وسرايب وممالك ومخازن، وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن، أن ³ يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها.

1 ص 120
2 [الإسراء : 8]
3 ص 120 ب

وهي دائر، حرورها هواء محترق، لا جبر لها سوى بني آدم، والأشجار المثمرة آلهة. والجنُّ لَهَا. قال - تعالى -: ﴿وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾¹ وقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾² وقال تعالى -: ﴿فَكُنْجِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾³ وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن والإنس الذين يدخلونها.

وأوجدها الله بطالع الثور، ولذلك كان خَلْقُهَا في الصورة، صورة الجاموس، سواء. هذا الذي يعول عليه عندنا، وبهذه الصورة رآها أبو الحكم بن بَرْجَان في كشفه. وقد تُمَثَّل لبعض الناس من أهل الكشف، في صورة حيّة، فيتمخّل أنّ تلك الصورة هي التي خلقها الله عليها، كأبي القاسم بن قسيّ وأمثاله.

ولمّا خلقها الله تعالى كان زحل في الثور، وكانت الشمس والأحمر في القوس، وكان سائر البراري في الجدي، وخلقها الله تعالى - من تجلّي قواه في حديث مسلم: «جمعْتُ فلم تطعمني، وظمَنْتُ فلم تسقي، ومرضْتُ فلم تَدْنِي» وهذا أعظم نزول نزله الحقّ إلى عباده في اللطف بهم. فمن هذه الحقيقة خُلِقَتْ جَهَنَّمَ، أعادنا الله وإياكم منها. فلذلك تجرّث على الجبارة وقصمت المتكبرين.

وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدونها، الداخلون فيها، فإن صفة الغضب الإلهي. ولا يكون ذلك إلّا عند دخول الخلق فيها من الجنّ والإنس متى دخلوها. وأمّا إذا لم يكن فيها أحد من أهلها، فلا ألم فيها في نفسها، ولا في نفس ملائكتها، بل هي ومن فيها من زبائنها في رحمة الله، منغمسون ملتئنون يسبحون لا يفترّون، يقول تعالى -: ﴿وَلَا تَطْلُقُوا فِيهِ فَيَجْلُ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾⁴ أي ينزل بكم غضبي. فأضاف الغضب إليه، وإذا نزل بهم كانوا محلّاً له. وجمعتم إنا هي مكان لهم، وهم النازلون فيها، وهم محلّ الغضب، وهو النازل بهم. فإنّ الغضب هنا، هو عين الألم.

فمن لا معرفة له ممن يدّعي طريقثنا، ويهد أن يأخذ الأمر بالتمثيل والقوة والمناسبة في الصفات، فيقول: إنّ جَهَنَّمَ مخلوقة من القهر الإلهي، وإنّ الاسم القاهر هو ربّها، والمتجلّي لها. ولو كان الأمر كما قاله، لَشَقَلَهَا ذلك بنفسها، عمّا وُجِدَتْ له من التسلّط على الجبارة، ولم يتمكن لها أن تقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾⁵ ولا أن تقول: «أكل بعضي بعضاً». فنزول الحقّ برحمته إليها التي ﴿وَيَسِفْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁶ وحنانه، وسّع لها

1 [البقرة : 24]

2 [الأنبياء : 98]

3 [الشعراء : 94، 95]

4 ص 121

5 طه : 81

6 أن : 30

7 [الأعراف : 156]

الجال في الدعوى، والتسلط على مَنْ تجبر على من أحسن إليها هذا الإحسان. وجميع ما فعله بالكفار من باب شكر المنعم، حيث أنعم عليها. فما تعرف منه سبحانه- إلا النعمة المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها. فالناس غالطون في¹ شأن خلقها.

ومن أعجب ما روينا عن رسول الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ كان قاعدا مع أصحابه في المسجد، نسمعوا هذه عظمة، فارتاعوا. فقال رسول الله ﷺ: أتعرفون ما هذه الهدة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: خبز ألقى من أعلى جهنم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة».

لما فرغ من كلامه ﷺ إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات، وكان عمره سبعين سنة. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر»؛ فلم علماء الصحابة، أن هذا الحجر هو ذاك المنافق، وأنه منذ خلقه الله يهوي في نار جهنم، وبلغ عمره سبعين سنة، فلما مات حصل في قعرها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي النَّارِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾² فكان سماعهم تلك الهدة التي أسمعهم الله ليعتبروا. فانظر ما أعجب كلام النبوة!، وما ألطف تعريفه، وما أحسن إشارته، وما أعذب كلامه ﷺ.

ولقد سألت الله أن يمثل لي من شأنها ما شاء، فمثل لي حالة خصامم فيها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾³ وقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ. تَاللَّهِ إِنَّ كُتْلًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁴ لضلالتهم وآلهم⁵ ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾⁶ وهم أهل النار الذين هم أهلها، الذين يقول الله فيهم: ﴿وَمَا تَأْوِيلُ الْيَوْمِ أُخِيَّا الْمُجْرِمُونَ﴾⁷ يريد بالجرمين؛ أهل النار الذين يعمرونها، ولا يخرجون منها. يمتازون عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين، وسابق العناية الإلهية في الموحدتين.

فهذا مثل لي في وقت منها، لما شُبِّهَتْ خصامم فيها إلا كخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم، إذا استدل أحدهم. فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة التي أطلعني الله عليها، ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة، والوقوف عند الكتاب والسنة. ولقد عني الناس عن قوله ﷺ: «عند نبي لا ينبغي تنازع»، وحضور حديثه ﷺ كحضوره، لا ينبغي أن يكون عند إirاده تنازع، ولا يرفع السامع صوته عند

1 ص 121 ب

2 [النساء : 145]

3 [ص : 64]

4 [الشعراء : 96، 97]

5 ص 122

6 [الشعراء : 98، 99]

7 [يس : 59]

8 من س، ه فقط

سرد الحديث النبوي، فإن الله يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾¹ ولا فرق عند أهل الله بين صوت النبي، أو حكاية قواه.

فما لنا إلا التهيؤ لقبول ما يرد به الحديث من كلام النبوة من غير جدال، سواء كان ذلك الحديث جواباً عن سؤال أو ابتداء كلام؛ فالوقوف عند كلامه في المسألة أو في النازلة واجب². فمتى ما قيل: قال الله، أو قال رسول الله ﷺ ينبغي أن يُقبل ويتأدب السامع، ولا يرفع صوته على صوت الحديث إذا³ قال ما قال الله، أو سرد الحديث عن رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾⁴ وما تلاه إلا رسول الله ﷺ وما سَمِعَهُ السامع إلا منه. ثم إذا شاركه السامع في حال كلامه، فهو⁵ ليس بسامع، فإنه من الآداب التي آدب الله نبيه ﷺ قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾⁶ والله يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾⁷ وتوعد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان، فإنه يتخيل في رذّه وخصامه، أنه يذب عن دين الله. وهذا من مكر الله الذي قال فيه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁸ وقال: ﴿وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁹.

فالعاقل المؤمن الناصح نفسه، إذا سمع من يقول، قال الله تعالى، أو قال رسول الله ﷺ فليتنصت، ويضع ويتأدب ويستفهم ما قال الله أو ما قال رسوله ﷺ. يقول الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁰، فأوقع الترجي مع هذه الصفة، وما قطع بالرحمة. فكيف حال من خاصم ورفع صوته، ودأخل التالي وسارد الحديث النبوي في الكلام. وأرجو أن يكون الترجي الإلهي واجبا، كما يراه العلماء.

(رؤيا غيبية واكتشافات علمية):

ولما عاينت هذا الحل رأيت عجبا؛ وفي هذه الرؤية¹¹، رأيت اعتماد الماء على الهواء، وهو من أعجب

1 [الحجرات : 2]

2 من ه فقط

3 ع 122 ب

4 [التوبة : 6]

5 من ه فقط

6 [طه : 114]

7 [الحجرات : 2]

8 [الأعراف : 182]

9 [النمل : 50]

10 [الأعراف : 204]

11 ص 123

الأشياء في عمارة الأحياز. وأن جوهري لا يكونان في حيز واحد. وأن الحيز لمن شغله. وفي هذه الرؤية علمت إبطال التوالد، وأن الحرك للأشياء هو الله تعالى-. وأن السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة. وفي هذه الرؤية علمت أن الألف أقوى من الأكثف، فإن الهواء الطّف من الماء بلا شك، وقد منعه، ولم يقاومه الماء في القوة، ومنعه من النزول. فإني رأيت نفسي- في الهواء والماء فوق، ومنعه الهواء من النزول إلى الأرض. وفي هذه الرؤية علمت علوما جمّة كثيرة.

وفي هذه الرؤية، رأيت من دركات أهل النار، من كونها جهنم لا من كونها نارا، ما شاء الله أن يُطلعني منها. ورأيت فيها موضعا يستوى المظلمة، نزلت في درجه نحو خمسة أدرج، ورأيت ممالكها، ثم رُجّ بي في الماء علواً فاخترقته، وقد رأيت عجا. وعلمت في أحوال مخصصتهم، حيث يختصمون من الجحيم، وأن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال، وأن عذابهم في جهنم ما هو من جهنم، وإنما جهنم دار سكناهم وسجنهم، والله يخلق الآلام فيهم متى شاء، فعذابهم من الله وهم محلّ له.

وخلق الله لجهنم ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمُ جُزْءٌ﴾ من العالم ومن العذاب ﴿مُتَشَوِّمَةٌ﴾¹ وهذه الأبواب السبعة² مفتحة، وفيها باب ثامن مغلق لا يُفتح، وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى-. وعلى كل باب ملك من الملائكة؛ ملائكة السماوات السبع، عرفت أسماءهم هنالك، وذهبت عن جفطي إلا إسماعيل، فهو بقي على ذكرى.

وأما الكواكب كلّها، فهي في جهنم مظلمة الأجرام، عظيمة الخلق. وكذلك الشمس والقمر، والطلوع والغروب لها في جهنم دائما. فشمسها شارقة لا مشرقة، والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات، وما تغيّر فيها من الصور، في التبديل والانتثار، ولهذا قال تعالى:- ﴿لَئِنْ نَفَخْتُمْ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾³ والحالة مستمرة. ففي البرزخ يكون الغرض، وفي الدار الآخرة يكون الدخول.

فدوات الكواكب فيها صورتها صورة الكسوف عندنا سواء. غير أن وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزانها اليوم. فإن كسوفها ما ينجلي، وهو كسوف في ذاتها لا في أعيننا، والهواء فيها فيه تطيف، فيحول بين الأبصار وبين إدراك الأنوار كلّها. فتبصر- الأعيُن الكواكب المنتثرة، غير نيرة الأجرام. كما نعلم قطعا أن الشمس هنا في ذاتها نيرة، وأن الحجاب القمري هو الذي منع البصر- أن يدركها أو يدرك نور القمر أو ما كان مكسوفاً. ولهذا في زمان كسوف شيء منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من⁴

1 [الخر : 44]

2 ص 123 ب

3 [الخر : 46]

4 ص 124

ذلك، وفي موضع آخر لا يكون منه شيء.

فلَمَّا اختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن، علمنا قطعاً أنَّ ثَمَّ أمراً عارضاً عرض في الطريق، حال بين البصر وبينها، أو بين نورها، كالقمر يحول بينك وبين إدراك جرم الشمس، وظلُّ الأرض يحول بينك وبين نور القمر، لا بينك وبين جرمه، مثل ما حال القمر بينك وبين جرم الشمس، وذلك بحسب ما يكون منك وتكون منه. وهكذا سائر الكواكب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹ كما أنَّ أكثر الناس لا يؤمنون. فإنَّ ذلك الكسوف كلّه على اختلاف أنواعه خشوعٌ من المكسوف عن تجلُّ إلهي حصل له.

وخذْ جَهَنَّمَ، بعد الفراغ من الحساب، ودخول أهل الجنة الجنة من مُقَرَّر فَلَكَ الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين. فهذا كلّه يزيد في جَهَنَّمَ، مما هو الآن ليس مخلوقاً فيها، ولكن ذلك مُقَدَّدٌ حتى يظهر. إلاَّ الأماكن التي قد عتيها الله من الأرض فإنَّها ترجع إلى الجنة يوم القيامة، مثل الروضة التي بين منبر رسول الله ﷺ وبين قبره ﷺ، وكلّ مكان عتيه الشارع، وكلّ نهر، فإنَّ ذلك كلّه بصير إلى الجنة، وما بقي فيعود ناراً كلّه، وهو من جَهَنَّمَ.

ولهذا كان يقول عبد الله بن عمر، إذا رأى البحر، يقول: "يا بحرُ! متى تعود ناراً؟"، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾² أي³ أُجِّجَتْ ناراً، من سُجِّرَتْ التَّنَوَّرُ؛ إذا أَوْقَدَتْ. وكان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر، ويقول: التَّيِّمُ أعجب إليّ منه.

ولو كشف الله عن أبصار الخلق اليوم، لرأوه يتأجج ناراً. ولكن الله يظهر ما يشاء ويخفي ما يشاء، لنعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾⁴. وأكثر ما يجري هذا لأهل الوزع، فيرى الطعام الحرام صاحب الوزع، المحفوظ - خنزيراً، أو عذرة، والشراب خمرًا، لا يشكّ فيها يراد. ويراه جليسه قُرْصَةً خبز طيبة، ويرى الشراب ماءً عذبا.

فيا ليت شعري مَنْ هو صاحب الحسّ الصحيح من صاحب الخيال؟ هل الذي أدرك الحكم الشرعي صورة؟ أو هل الذي أدرك المحسوس في العادة على حاله؟

وهذا مما يقوِّي مذهب المعتزلة، في أنَّ القبيح قبيحٌ لنفسه، والحسن حسنٌ لنفسه، وأنَّ الإدراك

1 [غافر : 57]

2 [التكوير : 6]

3 ص 124 ب

4 [الطلاق : 12]

الصحيح إنما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمرًا. فلولا أنه قبيح لنفسه، ما صحّ هذا الكشف لصاحبه. ولو كان فعله عين تعلّق الخطاب بالحرمة والقبح، ما ظهر ذلك الطعام خنزيرًا، فإنّ الفعل ما وقع من المكلف فإنّ الله أظهر له صورته، وأنه قبيح حتى لا يُقدّم على أكله، وهذا بعينه يتصوّر فيمن يدركه طعاما على حاله في العادة، ولكن هذا أحقّ في الشرع.

فيعلم قطعاً أنّ النبي يراه طعاما على عادته، قد¹ حيل بينه وبين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح. ولو كان الشيء قبيحا بالتقييد الوضعي، لم يصدق قول الشارع في الإخبار عنه أنّه قبيح أو حسن. فإنّته خبر بالشيء على خلاف ما هو عليه. فإنّ الأحكام أخبارٌ بلا شكّ، عند كلّ عاقل عارف بالكلام. فإنّ الله أخبرنا أنّ هذا حرام وهذا حلال، ولنا قال تعالى- في ذمّ من قال عن الله ما لم يقل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾² فإنّته ألحق الحكم بالخبر، لأنّته خبر بلا شكّ.

إلا أنّه ليس في قوّة البشر- في أكثر الأشياء، إدراك قبح الأشياء ولا حُسْنِها. فإذا عرّفنا الحقّ بها عرفناها، ومنها ما يذكّر قُبْحَهُ عقلا، في عرّفنا مثل الكذب وكفر المنعم- وحُسْنُهُ عقلا: مثل الصدق وشكر المنعم.

وكون الإثم يتعلّق ببعض أنواع الصدق، والأجر يتعلّق ببعض أنواع الكذب، فذلك لله؛ يعطي الأجر على ما شاءه من قبح وحسن. ولا يدلّ ذلك على حسن الشيء ولا قبحه. الكذب في نجاة مؤمن من هلاكه يوجز عليه الإنسان، وإن كان الكذب قبيحا في ذاته. والصدق، كالغيبه يأثم بها الإنسان، وإن كان الصدق حسنا في ذاته. فذلك أمر شرعي يعطي فضله من شاء، ويمنعه من شاء، كما قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾³.

واعلم⁴ أنّ أشدّ الخلق عذابا في النار إبليس الذي سنّ الشرك، وكلّ مخالفة. وسبب ذلك أنّه مخلوق من النار، فعذابه بما خُلِقَ منه.

ألا ترى النَّفْسَ؛ به تكون حياة الجسم الحساس، فإذا مُنِعَ بالشَّقِّ أو الخنق خروج ذلك النَّفْسِ، انعكس راجعا إلى القلب، فأحرّقه من ساعته، فهلك لحينه. فبالنفس كانت حياته وبه كان هلاكه، وهلاكه

1 ص 125

2 [النحل : 116]

3 [البقرة : 105]

4 ص 125 ب

على الحقيقة بالنفس من كونه متنفساً لا من كونه ذا نفس، ولا من كونه متنفساً فقط بل من كونه يجذب بالقوة الجاذبة نفس الهواء البارد إلى قلبه، ويخرج بالقوة الدافعة النفس الحار المحرق من قلبه، فسبب هذه الأحوال بها تكون حياته.

فإن الذي يرى في النار هو متنفس، ولكن لا يخلو من أحد الوحيمين: إما أنه لا يتنفس في النار، فتكون حالته حالة المشنوق، الذي يخنق بالحبل، فيقتله نفسه. وإما أن يتنفس، فيجذب بالقوة الجاذبة هواء نارياً محرقاً، إذا وصل إلى قلبه أحرقه. فلهذا قلنا في سبب الحياة، هذه الأمور كلها.

فعداب إبليس في جهنم بما فيها من الزمير، فإنه يقابل النار الذي هو أصل نشأة إبليس، فيكون عذابه بالزمير، وبما هو نار مركبة. ففيه من ركن الهواء والماء والتراب. فلا بد أن يتعذب بالنار على قدر مخصوص. وعامة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه¹ في أصل خلقه. والنار ناران: نار جسيمة وهي المسلطة على إحساسه وحيوانته وظاهر جسمه وباطنه. ونار معنوية: وهي التي تطلع على الأفئدة، وبها يتعذب روحه المدبر لهيكله، الذي أمر فعصى. فخالفته عذبتة، وهي عين جملة بمن استكبر عليه.

فلا عذاب على الأرواح أشد من الجهل، فإنه عُتِبَ كله. ولهذا سمي "يوم التغابن" يريد يوم عذاب النفوس، فيقول: ﴿يَا خَسِرَاتٍ عَلَى مَا قَرَّبْتُمْ²﴾، وهو "يوم الحسرة" يقول: يوم الكشف، من خسرت عن الشيء إذا كشفت عنه، فكأنه يقول: يا ليتني خسرت عن هذا الأمر في الدنيا، فأكون على بصيرة من أمري، فيفتن في نفسه.

والتغابن يدرك في ذلك اليوم الكل: الطائع والمعاصي. فالطائع يقول: يا ليتني بذلت حمدي، ووقيت حق استطاعتي، وتدبرت كلام ربي، فعملت بمقتضاه. مع كونه سعيداً. والخالف يقول: يا ليتني لم أخالف ربي، فيما أمرني به ونهاني. فذلك يوم التغابن. وسيأتي هذا في باب يوم القيامة إن شاء الله.

ولما أعلمناك بمربة النفس والتنفس، إنما جئنا به لتعلم أن جهنم، لما اختص بالأم أهلها صفة الغضب الإلهي، واختص بوجودها التنزل الرحاني الإلهي، وجاء في الخبر الصحيح: «نفس الرحمن» مشعرا بصفة الغضب، فكان التنفس ملجأ³ صفة الغضب بمن حل به. ولهذا لما أتى: «نفس الرحمن من قبل اليمن» حل الغضب الإلهي بالكفار بالقتل والسيوف الذي أوقع بهم الأنصار، فنفس الله بذلك عن دينه ونيته ﷻ فإن ذا الغضب، إذا وجد على من يرسل غضبه، تنفس عنه ما يجده من ألم الغضب.

وأكل الصورة في محمد ﷺ فقام به على الكفار، لأجل زدهم كلمة الله، صفة الغضب. فنفس الرحمن

عنه بما أمره به من السيف، ونفس عنه بأصحابه وأنصاره، فوجد الراحة. فإنه وَجَدَ حيث يرسل غضبه. فانهم من هذا آلام أهل النار، والصورة الحجابية المحتدية على الغضب الإلهي على أعداء الله، وأن الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم، ونفس الله عن دينه وهو أمره وكلامه، وهو عينٌ عليه في خلقه، وعلمه ذاته، جلّ وتعالى. وقد بيتا لك أمر جمهم من حيث ما هي دار؛ فلنبتين لمن شاء الله- في الباب الذي يلي هذا الباب، مراتب أهل النار.

ثم اعلم أن الله قد جعل فيها مائة درك، في مقابلة درج الجنة. ولكل درك قومٌ مخصوصون، لهم من الغضب الإلهي الحال بهم، آلامٌ مخصوصة. وإن المتولي عذابهم من الولاة الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب: القائم، والإقليد، والحامد¹، والنائب²، والسادن، والجابر. فهؤلاء الأملاك من الولاة، هم الذين يرسلون عليهم العذاب، بإذن الله تعالى- ومالك هو الخازن. وأما بقية الولاة مع هؤلاء الذين ذكرناهم، وهم: الخائر، والسائق، والماتح، والعاذل، والدائم، والحافظ.

فإن جميعهم يكونون مع أهل الجنان، وخازن الجنان: رضوان. وإمدادهم³ إلى أهل النار مثل إمدادهم إلى أهل الجنة. فإنهم يمدونهم بحقائقهم. وحقائقهم لا تختلف. فتقبل كل طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ما تعطيه منشأهم، فيقع العذاب بما به يقع النعيم، من أجل المحل، كما قلنا في المبرود: إنه يتنعم بحر الشمس، والحرور يتعذب بحر الشمس. فنفس ما وقع به النعيم، به عينه وقع به الألم عند الآخر.

فإن الله ينشأ نشأة النعماء، كما قال تعالى- في حق الأبرار: ﴿تُغْفِرُ فِي وُجُوهِهِمْ فَضْرَةَ النِّعَمِ﴾⁴ أي هم في خلقهم على هذه الصفة، ونشأة أهل النار تخالف نشأة أهل الجنان. فإن نشأة الجنة إنما هو من الحق- سبحانه- على أيدي الولاة خاصة، ونشأة أهل النار على أيدي الولاة والحجاب والنقباء والسدنة على كثرتهم، فإنه لا يحصي عددهم إلا الله. ولكل ملك منهم في هذه النشأة الدنياوية ونشأة النار ونشأة أهلها حكم سخره الله في ذلك، فهم كالقطة في المملكة، وإنشاء الدار المبنية. وسيأتي لمن شاء الله- ذكر⁵ الجنة وما فيها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 ص 127

2 ق. س: الحروف المعجمة مصلة عنا قطة تحت الحرف قبل الأخير في ق، وقطة فوق الحرف الأخير في س. وما أثبتناه من هـ.

3 ق: "وموادهم" ومقابلها في الهامش علم الأصل: "وإمدادهم".

4 [المطففين: 24]

5 ص 127 ب

6 [الأحزاب: 4]

الباب الثاني والستون في مراتب أهل النار

<p>وَلَيْسَ فِيهَا اخْتِصَاصَاتٌ وَإِنْجَازٌ ^{fulfil}بُشْرَى وَإِنْ عَذَّبُوا فِيهَا بِمَا حَازُوا تَعَذَّبُوا فَلَهُمْ ذَلِكَ وَإِنْ جَازُوا وَعَزَّوْهُمَ مَا لَهُ حَدٌّ إِذَا جَازُوا مُحَقَّقٌ فِي عُلُومِ الزَّهَبِ، إِنْجَازٌ فِيهِ لَطَائِفُ آيَاتٍ وَإِنْجَازٌ يَا أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ الْيَوْمَ، فَاغْتِزَاوْا وَلْيُسْهِمُوا عِنْدَ أَهْلِ الْكَشْفِ أَخْزَاوْا² كَأَنَّهُمْ مِثْلَ مَا تَذَقَّلُوا: أَعْجَازٌ³ ^{trunk}</p>	<p>مَرَاتِبُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ تَمْتَّازُ يُوزَنُ "أَفْعَالٌ" قَدْ جَاءَ الْعَذَابُ لَهُ لَا يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ خَرَجُوا قَدْ لُتْهُمْ كَوْنُهُمْ فِي النَّارِ مَا يَرْحُوا ^{continue}فِي قَوْلِنَا، إِنْ تَأَمَّلْتُمْ لِيَّيْ تَنْظُرُ فِيهِ اخْتِصَاصٌ بَدِيعٌ لَفُظُهُ حَسَنٌ قَالَ الْجَلِيلُ لِأَهْلِ الْحَقِّ يَنْتَهَمُ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَزَاهُمْ فِي نَعِيمِهِمْ وَمِنْ جُسُومِهِمْ فِي النَّارِ تَحْسِينُهُمْ</p>
--	--

54:20

قولنا "بوزن أفعال" أريد قوله تعالى: ﴿لَا يَبَيِّنُ فِيهَا أَهْقَانًا﴾¹ وهو من أوزان جمع القلة، فإن أوزان جمع القلة أربعة: أفعل مثل أكلب، وأفعال مثل أحقاب، وفعلة مثل فتية، وأفعلة مثل أحمره. وجمع ذلك بعض الأدباء في بيت من الشعر فقال:

بِأَفْعَلٍ وَبِأَفْعَالٍ وَأَفْعَلَةٍ وَفِعْلَةٍ يَجْمَعُ الْأَذْنَى مِنَ الصَّدَبِ

يقول الله تعالى- من كرمه لإبليس، وعموم رحمته، حين قال له: ﴿أَزَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ يَأْخُزَنِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنْتَ كُنْتَ دُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا﴾. قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَأَنْتَ خَزَاوُكُمْ جَزَاءً مُؤَفَّوْرًا. وَاسْتَفْزَرَ مَنْ اسْتَطْلَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجَبِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَذَمُكُمْ⁴ فَمَا جَاءَ إِبْلِيسَ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى- فهو أمر إلهي يتضمّن وعيدا وتهديدا، وكان ابتلاء شديدا في حقنا، ليريه تعالى- أنّ في ذريته من ليس لإبليس عليه سلطان ولا قوّة.

1 ص 128

2 أخزاز من الحز: الحزير

3 إشارة إلى الآية الكريمة: كَأَنَّهُمْ أَفْجَارٌ نَحْلٍ مُنْتَمِرٍ [القمر: 20]

4 [الباء: 23]

5 [الإسراء: 62 - 64]

ثُمَّ إِنَّ الَّذِينَ خَذَلُوا اللَّهَ مِنَ الْعِبَادِ، جعلهم طائفتين: طائفة لا تضرهم الذنوب التي وقعت منهم، وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْذَرُكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾¹ فلا تمسهم النار بما تاب الله عليهم، واستغفار الملائكة الأعلی لهم، ودعائه لهذه الطائفة. وطائفة أخرى ﴿أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾² والذين أخذهم الله بذنوبهم، قسمهم بقسمين: قسم أخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين، وهم أهل الكبائر من المؤمنين، وبالعبادة الإلهية؛ وهم أهل التوحيد بالنظر العقلي. وقسم آخر أبقاهم الله في النار.

وهذا القسم، هم أهل النار الذين هم أهلها. وهم المجرمون خاصة، الذين يقول الله فيهم: ﴿وَأَمَّا أَتُومٌ﴾ أي المستحقون بأن يكونوا أهلًا لسكنى هذه النار، التي هي جحيم يعمرونها، ممن يخرج منها إلى الدار الآخرة، التي هي الجنة.

وهؤلاء المجرمون أربع طوائف، كلها في النار لا يخرجون منها: وهم المتكبرون على الله، كفرعون وأمثاله من ادعى الربوبية لنفسه، ونفاها عن الله فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³ وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁴ يريد أنه ما في السماء إله غيري، وكذلك نمرود، وغيره.

والطائفة الثانية: المشركون، وهم الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر، فقالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁵ وقالوا: ﴿أَجْزَلَ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾⁶.

والطائفة الثالثة المعطلة، وهم الذين نقوا الإله جملة واحدة، فلم يثبتوا إلهًا للعالم، ولا من العالم.

والطائفة الرابعة المنافقون، وهم الذين أظهروا الإسلام، من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاث⁷، للقهر الذي حكم عليهم، فخافوا على دماءهم وأموالهم وذراريهم، وهم في نفوسهم على ما هم عليه، من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث.

فهؤلاء أربعة أصناف، هم الذين هم أهل النار لا يخرجون منها، من جن وإنس. وإنما كانوا أربعة؛ لأن

1 ع 128 ب

2 [البقرة : 268]

3 [آل عمران : 11]

4 [يس : 59]

5 [التقصص : 38]

6 [النازعات : 24]

7 [الزمر : 3]

8 [ص : 15]

9 ص 129

10 ق: "الثلاثة" ثم صححت.

الله تعالى- ذكر عن إبليس، أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا. فيأتي للمشارك من بين يديه، ويأتي للمعطل من خلفه، ويأتي إلى المتكبر من عن يمينه، ويأتي إلى المنافق من عن شماله، وهو الجانب الأضعف، فإنه أضعف الطوائف. كما أن الشمال أضعف من اليمين. وجعل المتكبر من اليمين لأنه محل القوة، فتكبر لقوته التي أحسها من نفسه. وجاء للمشارك من بين يديه، فإنه رأى، إذ كان بين يديه، جهة غيبية، فأثبت وجود الله، ولم يقدر على إنكاره، فجعله إبليس يشرك مع الله في ألوهيته. وجاء للمعطل من خلفه؛ فإن الخلف ما هو محل النظر، فقال له: "ما ثم شيء" أي: ما في الوجود إلا.

ثم قال الله تعالى- في جهنم: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾¹ فهذه أربع² مراتب لهم، من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم؛ وهي منازل عذابهم. فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب التي دخل عليهم منها إبليس، في السبعة الأبواب، كان الخارج ثمانية وعشرين منزلاً. وكذلك جعل الله المنازل التي قدرها الله للإنسان المفرد، وهو القمر وغيره من السيارة الخس الكس تسير فيها وقزلها، لإيجاد الكائنات. فيكون عند هذا السير ما يتكوّن من الأفعال، في العالم المصري. فإن هذه السيارة قد انحصرت في أربع طبائع، مضروبة في ذواتها، وهن سبعة. فخرج منها منازلها الثمانية والعشرون. ذلك بتقدير العزيز العليم، كما قال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³.

وكان مما ظهر عن هذا التفسير الإلهي في هذه الثمانية والعشرين، وجود ثمانية وعشرين حرفاً، ألف الله الكلمات منها، وظهر الكفر في العالم والإيمان، بأن تكلم كل شخص بما في نفسه من إيمان وكفر وكذب وصدق، لتقوم الحجة لله على عباده ظاهراً بما تلفظوا به، ووكل بهم ملائكة يكتبون ما تلفظوا به، قال - تعالى:- ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾⁴ وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁵.

فجعل منازل النار ثمانية وعشرين منزلاً. وجمعت كلها مائة ذرك، من أعلاها إلى أسفلها؛ نظائر ذرح الجنة التي ينزل فيها السعداء. وفي كل ذرك⁶ من هذه البركات ثمانية وعشرون منزلاً. فإذا ضربت ثمانية وعشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفين وثمانمائة منزل، فهي الثمانية والعشرون مائة. فما برحت الثمانية والعشرون تصحبنا وهذه منازل النار.

فلكل طائفة من الأربع، سبعمائة نوع من العذاب. وهم أربع طوائف، فالجموع ثمان وعشرون مائة نوع

1 [الحجر : 44]

2 ص 139 ب

3 [الأنبياء : 33]

4 [الإططار : 11]

5 [اق : 18]

6 ص 130

من العذاب، كما لأهل الجنة سواء، من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم: ﴿كَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُتْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾¹ فالجموع سبعمائة. وهم أربع طوائف: رسل، وأنبياء، وأولياء، ومؤمنون. فلكل متصدق من هؤلاء الأربعة سبعمائة ضعف من النعيم في عملهم. فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي، وموازنته في خلقه في النارين - الجنة والنار - لإقامة العدل على السواء: في باب جزاء النعيم وجزاء العذاب!

فهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة وأهل النار، للتساوي في عدد الدرج والدرج. ويقع الامتياز بأمر آخر؛ وذلك أنّ النار امتازت عن الجنة، بأنّه ليس في النار دركات اختصاص إلهي، ولا عذاب اختصاص إلهي من الله. فإنّ الله ما عرّفنا قط أنّه اختص بنعمته من يشاء، كما أخبرنا أنّه يختص برحمته من يشاء² وبفضله. فالجنة في نعيمها مخالف³ لميزان عذاب أهل النار. فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير، وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم، وبغير أعمالهم، في جنّات الاختصاص.

فلأهل السعادة ثلاث جنّات: جنّة أعمال، وجنّة اختصاص، وجنّة ميراث. وذلك أنّه ما من شخص من الجنّ والإنس إلّا وله في الجنة موضع، وفي النار موضع، وذلك لإمكانه الأصلي. فإنّه قبل كونه؛ يمكن أن يكون له البقاء في العدم، أو يوجد. فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم وقبول العذاب. فالجنة تطلب الجميع، والجميع يطلبها. والنار تطلب الجميع والجميع يطلبها. فإنّ الله يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكَ أَجْمَعِينَ﴾⁴ أي أتمّ قابلون لذلك، ولكن حقت الكلمة، وسبق العلم ونفذت المشيئة. فلا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه.

فينزل أهل الجنة في الجنة على أعمالهم، ولم جنّات الميراث؛ وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة، ولم جنّات الاختصاص. يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾⁵ فهذه الجنة التي حصلّت لهم بطريق الورث من أهل النار الذين هم أهلها، إذ لم يكن في علم الله أن يدخلوها. ولم يقل في أهل النار: إنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار، وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه.

فما⁶ نزل من نزل في النار من أهلها إلّا بأعمالهم. ولهذا يبقى فيها أماكن خالية، وهي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها. فيخلق الله خلقا يعمرونها، على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا. وهو قوله ﷺ:

1 [البقرة : 261]

2 ق: أربعة.

3 [البقرة : 105]

4 ص 130 ب

5 [النحل : 9]

6 [إبراهيم : 63]

7 ص 131

«فيضع الجبائر فيها قدمه، فتقول: قطّ قطّ» أي حسبي حسبي.

فإنّه تعالى - يقول لها: ﴿هَلْ امْتَلَأْتَ وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾¹ فإنّه قال للجنة والنار: «لكلّ واحدة منكما ملوّه»، فما اشترط لها إلّا أن يملأها خلقا، وما اشترط عذاب من يملأها بهم، ولا نعيمهم. وإنّ الجنة أوسع من النار بلا شك، فإنّ ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾² فما ظنك بطولها. فهي للنار كحيط الدائرة، بما يحوي عليه. وفي "التنزلات الموصليّة" رسمناها وبيّناها على ما هي عليه، في نفسها في باب يوم الاثنين. والنار عرضها قدر الخطّ الذي يميّز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة. فأين هذا الضيق من تلك السعة؟.

وسبب هذا الاتساع؛ جنّات الاختصاص الإلهي. فورد في الخبر؛ أنّه يبقى أيضا في الجنة أماكن ما فيها أحد، فيخلق الله خلقا للنعيم، يعمرها بهم. وهو أن يضع الرحمن فيها قدمه. وليس ذلك إلّا في جنّات الاختصاص. ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾³ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁴. فمن كرمه أنّه تعالى - ما أنزل أهل النار إلّا على أعمالهم خاصّة.

وأما قوله تعالى -: ﴿وَرِزْقَانَهُمْ غَدَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾⁵ فذلك لطاقة مخصوصة، وهم "الأمّة المضلّون" يقول تعالى -: ﴿وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾⁶ وهم الذين أضلّوا العباد، وأدخلوا عليهم الشبهة المضلّة، فحادوا بها عن سواء السبيل، فضلّوا وأضلّوا. وقالوا لهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ يقول الله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁷ في هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم. والذين أضلّوهم يحملون أيضا خطاياهم، وخطايا هؤلاء مع خطاياهم. ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء.

يقول ﷺ: «مَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَلَهُ وَزَرُهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهَا دُونَ أَنْ يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا» فهو قوله: ﴿ثُمَّ ارْزَادُوا كُفْرًا﴾⁸ فهؤلاء قيل فيهم: ﴿وَرِزْقَانَهُمْ غَدَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾⁹ فما أنزلوا من النار إلّا منازل استحقاق. بخلاف الجنة؛ فإنّ أهل الجنة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفار في النار

1 [آق : 30]

2 [آل عمران : 133]

3 [غافر : 12]

4 [البقرة : 105]

5 ص 131 ب

6 [النحل : 88]

7 [العنكبوت : 13]

8 [العنكبوت : 12]

9 [آل عمران : 90]

10 [النحل : 88]

بأعمالهم، وأنزلوا أيضا منازل وراثة، ومنازل اختصاص. وليس ذلك في أهل النار.

ولا بد لأهل النار من فضل الله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل، فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار¹، لأنهم ليسوا بخارجين من النار أبدا، فلا يموتون فيها ولا يحيون. فتتخدر جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها. وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد، بين العذاب والعمل، نعيمًا خياليًا مثل ما يراه النائم، وجلده كما قال تعالى: ﴿كَلَّمْنَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾² هو كما قلنا خدرها، فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام، لأنه إذا انقضى زمان الإضجاع، خمدت النار في حقهم، فيكونون في النار «كالأمّة التي دخلتها وليست من أهلها، فأماهم الله فيها إماتة، فلا يحسبون بما تفعله النار في أبدانهم» الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه، وهذا من فضل الله ورحمته.

وأما أبواب جهنم؛ فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ما ذكر. ولكن من هؤلاء الأربع الطوائف الذين هم أهلها ومن خرج بالشفاعة أو العناية من دخلها، فقد جاء ببعض ما وصف الله به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك، وهي: باب الجحيم، وباب سقر، وباب السعير، وباب الحطمة، وباب لظى، وباب الحامية، وباب الهاوية.

وسُمّيت الأبواب بصفات ما وراءها، مما أعدت له. ووُصِف الداخلون فيها بما ذكر الله تعالى - في مثل قوله في لظى: ﴿إِنَّهَا تَذْبَعُ مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى. وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾³ وقال ما يقول أهل سقر: إذا قيل لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ. وَكُنَّا نَكْذِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾⁴. وقال في أهل الجحيم: ﴿إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ﴾⁵ يَبْذُرُونَ الَّذِينَ. وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَبِدٍ أَثِيمٍ⁶ فوصفهم بالإثم والاعتداء، ثم قال فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾⁷ وهكذا في الحطمة والسعير، وغير ذلك مما جاء به القرآن أو السنة.

فهذا قد ذكرنا الأمتهات والطبقات. وأما مناسبات الأعمال لهذه المنازل، فكثيرة جدًا، يطول الشرح فيها، ولو شرعنا في ذلك طال علينا المدى، فإنّ المجال رحب، ولكن الأعمال المذكورة، والعذاب عليها

1 ص 132

2 [النساء: 56]

3 ص 132 ب

4 [المارج: 17، 18]

5 [المدثر: 42 - 46]

6 "إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ" في ق: إنه يكذب.

7 [المطففين: 11، 12]

8 ق: فوصفه

9 [المطففين: 16، 17]

مذكور. فمتى وقفت على شيء من ذلك، وكنت على نور من ربك وبيتة، فإن الله يطلعك عليه بكرمه.

والذي شرطنا في هذا الباب وترجمنا عليه، إنما كان ذكر المراتب، وقد ذكرناها وبيتناها، ونبينا على مواضع يجول فيها نظر الناظر، من كتابي هذا، من الآيات التي استشهدنا بها في هذا الباب من أوله، من أمر الله إبليس بما ذكر له، فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي أمر يعود عليه منه، من حيث ما هو متمثل أم لا؟ وأشباه هذه التنبيهات¹، إن وقفت لذلك، عثرت على علوم جمة إلهية مما يختص بأهل الشقاء والنار، وهذا القدر في هذا الباب كافٍ، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ عِنْدَ السَّبِيلِ﴾².

1 ص 133

2 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود، علي. وكتب ابن العربي".

الباب الثالث والستون في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث

<p>مَرَاتِبَ بَرَزَخِيَّاتٍ لَهَا سُورٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلَيْهِ الْيَوْمُ فَاغْتَبَرُوا تُبْدِي الْعَجَائِبَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ تَقْبِدُ وَهِيَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَمْرٌ فَكَيْفَ يُخْرِجُ عَنْ أَحْكَامِهَا بَشَرًا! فِيهَا الدَّلَائِلُ وَالْإِعْجَازُ وَالْعَبْرُ وَلَا الشَّيْءُ غَرَضٌ فِينَا وَلَا وَطَرُ الشَّرْعُ جَاءَ بِهِ وَالْعَقْلُ وَالنَّظَرُ تَنفَكُّ عَنْ صُورٍ إِلَّا أَنْتَ صُورُ</p>	<p>بَيْنَ الْقِيَامَةِ وَالْثُبَا إِيذِي نَظَرِي تَحْوِي عَلَى حُكْمٍ مَا قَدْ كَانَ صَاحِبُهَا لَهَا عَلَى الْكُلِّ أَقْدَامٌ وَسُلْطَانَةٌ لَهَا مَجَالٌ رَجِيْبٌ فِي الْوُجُودِ بِلا تَقُولُ لِلْحَقِّ: "كُنْ" وَالْحَقُّ خَالِقُهَا فِيهَا الْعُلُومُ وَفِيهَا كُلُّ قَاصِمَةٍ لَوْلَا الْخَيَالُ لَكُنَّا الْيَوْمَ فِي عَدَمٍ "كَأَنَّ" سُلْطَانُهَا إِنْ كُنْتَ تَقْبِلُهَا مِنْ الْحُرُوفِ لَهَا كَأَفِّ الصَّفَاتِ فَمَا</p>
--	---

قولنا: "كَأَنَّ سُلْطَانُهَا" برفع سلطانها، أي "سلطان الخيال" هو عين "كَأَنَّ" وهو معنى قوله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» فهي (كَأَنَّ) خبرٌ وسُلْطَانُهَا مبتدأ، تقدير الكلام: سلطان حضرة الخيال من الألفاظ هو "كَأَنَّ".

اعلم أنَّ البرزخ عبارة عن أمرٍ فاصل بين أمرين، لا يكون متطرفاً أبداً. كالخط الفاصل بين الظل والشمس وكقوله تعالى- ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾² ومعنى لا يبغيان: أي لا يختلط أحدهما بالآخر، وإن عجز الحس عن الفصل بينهما، والعقل يقضي- أنَّ بينهما حاجزاً³ يفصل بينهما. فذلك الحاجز المعقول، هو البرزخ. فإن أدرك بالحس فهو أحد الأمرين؛ ما هو البرزخ. وكلُّ أمرين يفتقران- إذا تجاوزا- إلى برزخ، ليس هو عين أحدهما، وفيه قوَّة كلِّ واحد منهما.

ولمَّا كان البرزخُ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول؛ سُمِّيَ برزخاً اصطلاحاً. وهو معقول في نفسه، وليس (ذاك) إلَّا الخيال. فإنَّك إذا

1 ص 133 ب

2 الرحمن : 19، 20

3: حاجز

4 ص 134

أدركته روكت عاقلا- تعلم أنك أدركت شيئا وجوديا، وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل أنه ما ثم شيء، رأساً وأصلاً. فما هو هذا الذي أثبت له شيئته وجودية، ونفيتها عنه في حال إثباتك إياها؟.

فالخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت. كما يدرك الإنسان صورته في المرآة يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجوه، ويعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه، إنما يرى فيها من الدقة إذا كان جزم المرآة صغيراً، ويعلم أن صورته أكبر من التي رأى بما لا يتقارب. وإذا كان جزم المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر، ويقطع أن صورته أصغر مما رأى، ولا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته، ويعلم أنه ليس في المرآة صورته، ولا هي بينه وبين المرآة، ولا هو انعكاس شعاع البصر إلى الصورة المرتدة فيها من خارج، سواء كانت صورته أو غيرها. إذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها، وما هي عليه. وفي رؤيتها في السيف من الطول أو العرض يتبين لك ما ذكرنا، مع علمه أنه رأى صورته بلا شك، فليس بصادق ولا كاذب، في قوله: "إنه رأى صورته، ما رأى صورته".

فما تلك الصورة المرتدة؟ وأين محلها؟ وما شأنها؟ فهي منفية ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة. أظهر الله سبحانه- هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال، ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحار في درك حقيقة هذا -وهو من العالم، ولم يحصل عنده علم بحقيقته- فهو بخالفها أعجز، وأجمل، وأشد حيرة. وبنيته بذلك أن تجليات الحق له أرق وألطف معنى، من هذا الذي قد حارت العقول فيه، وعجزت عن إدراك حقيقته، إلى أن بلغ عجزها أن تقول: هل لهذا ماهية، أو لا ماهية له؟ فإنها لا تلحقه بالعدم المحض -وقد أدرك البصر شيئاً ما- ولا بالوجود المحض -وقد علمت أنه ما ثم شيء- ولا بالإمكان المحض.

وإلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها، تخاطبه ويخاطبها، أجساداً لا يشك فيها. والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه والميت بعد موته، كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً، ويرى الموت كبشا أملح يُذبح، والموت نسبة مفارقة عن اجتماع. فسبحان من يجهل فلا يعلم، ويعلم فلا يجهل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس، ومن الناس من يدركه بعين الخيال، وأعني في حال اليقظة. وأما في النوم فبعين الخيال قطعاً. فإذا أراد الإنسان أن يفرق في حال يقظته حيث كان، في الدنيا أو يوم القيامة، فلينظر إلى المتخيل وليقته بنظره، فإن اخلف عليه أكوام المنظور إليه، لاختلافه في

1 ص 134 ب

2 ص 135

3 آل عمران : 16

التكوينات، وهو لا ينكر أنه ذلك بعينه، ولا يقيد النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحراء في اختلاف الألوان عليها، فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحس فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس.

وقليل من ينظن إلى هذا من يدعي كشف الأرواح النارية والنورية، إذا تمثلت لعينه صوراً مدركة، لا يدري بما أدركها: هل بعين الخيال أو بعين الحس؟ وكلاهما أعني الإدراكين - بحاسة العين، فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال وبعين الحس، وهو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، وبين حاسة العين وعين الحس. وإذا أدركت العين المتخيل، ولم تغفل عنه، ورأته لا تختلف عليه التكوينات، ولا رأته في مواضع مختلفات معا في حال واحدة، والذات واحدة، لا يشك فيها، ولا انتقلت ولا تحولت في أكوام مختلفة¹، فيعلم أنها محسوسة لا متخيلة، وأنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال.

ومن هنا تعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى، وهو مُنزّه عن الصورة والمثال، وضبط الإدراك إياه وتقييده. ومن هنا تعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري يتجلى في أدنى صورة من التي رآه فيها، وفي تحوُّله في صورة يعرفونها، وقد كانوا أنكروه وتعوذوا منه. فتعلم بأيّ عين تراه. فقد أعلمتك أنّ الخيال يدرك نفسه. تريد بعين الخيال، أو يدرك بالبصر، وما الصحيح في ذلك حتى نعتمد عليه؟ ولنا في ذلك:

إِذَا تَجَلَّى خَبِيرِي بِأَيِّ عَيْنٍ أَرَاهُ
بِعَيْنِهِ لَا يَعْنِي فَمَا يَرَاهُ سِوَاهُ

تنزيها لمقامه، وتصديقا بكلامه، فإنه القائل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾² ولم يخص دارا من دار. بل أرسلها آية مطلقة ومساءلة معينة محققة، فلا يدركه سِوَاهُ. فبعينه سبحانه - أراه، في الخبر الصحيح: «كنت بصره النبي يصبر به».

فنيقظ لها الغافل النائم - عن مثل هذا واتبه، فلقد فتح عليك بابا من المعارف، لا تصل إليه الأفكار، لكن تصل إلى قبوله العقول: إما بالعناية الإلهية، أو بجلاء القلوب بالذكر والتلاوة. فيقبل العقل ما³ يعطيه التجلي، ويعلم أنّ ذلك خارج عن قوّة نفسه من حيث فكره، وأنّ فكره لا يعطيه ذلك أبدا. فيشكر الله تعالى - الذي أنشأ نشأة يقبل بها مثل هذا، وهي نشأة الرسل والأنبياء، وأهل العناية من

1 عن 135 ب
2 (الأعام : 103)
3 عن 136

الأولياء. وذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره. فنحقق بما أخى - بعد هذا من يتجلى لك من خلف هذا الباب، فهي مسألة عظيمة حارت فيها الألباب.

ثم إن الشارع وهو الصادق، سَمَّى هذا الباب الذي هو الحضرة البرزخية التي تنتقل إليها بعد الموت، ونشهد نفوسنا فيها بالصُّور والناقور. والصُّور هنا جمع صورة بالصاد - فَيُنْفَخ في الصُّور، ويُنْقَر في الناقور، وهو هو بعينه واختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال والصفات، واختلفت الصفات فاختلقت الأسماء، فصارت أَسْمَاؤه كـ"هو" يحار فيها مَنْ عادته (أن) يظلي الحقائق ولا يبري منها بشيء. فإنه لا يتحقق له أن النقر أصلٌ في وجود اسم الناقور، أو الناقور أصلٌ في وجود اسم النقر. كسألة النحوي: هل الفعل مشتقٌ من المصدر، أو المصدر مشتقٌ من الفعل. ثم فَارَزَ (الصوفي المحقق) مسألة النحويّ بشيء آخر، حتى لا يشبه مسألة النحويّ في الاشتقاق، بقوله: ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾¹ ولم يقل في المنفوخ فيه. فهل كونه صُوراً أصلٌ في² وجود النفخ؟، أو وجود نفخ أو هل النفخ أصل في وجود اسم الصُّور؟.

ولمَّا ذكر الله تعديل صورة الإنسان قال: ﴿وَوَقَّحْتُ فِيهِ﴾³ وقال في عيسى - ﷺ قبل خلق صورته: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾⁴ فظهرت الصورة، ف وقعت الحيرة: ما هو الأصل؟ هل الصورة (أصل) في وجود النفخ، أو النفخ (أصل) في وجود الصورة؟ فهذا من ذلك القيل، ولا سيما وجبريل عليه السلام في الوقت المذكور (كان) في حال التمثّل بالبشر، ومريم قد تخيلت أنه بشر. فهل أدركته بالبصر - الحسي، أو بعين الخيال؟ فتكون⁵ (عليها السلام) ممن أدرك الخيال بالخيال. وإذا كان هذا، فينفتح عليك ما هو أعظم، وهو: هل في قوّة الخيال أن يعطي صورة حسيّة حقيقيّة؟ (وعندئذ) فلا يكون للحس فضلٌ على الخيال، لأنّ الحس يعطي الصُّور للخيال، فكيف يكون المؤثر فيه مؤثراً فحين هو مؤثر فيه؟ فما هو مؤثر فيما هو مؤثر فيه. وهذا محال عقلا. فنفتن لهذه الكنوز، فإن كنت حصلت ما يكون في العالم أغنى منك، إلّا مَنْ يساويك في ذلك.

واعلم أنّ رسول الله ﷺ لمَّا سئل عن الصُّور؛ ما هو؟ فقال ﷺ: «هو قرنٌ من نور ألقمه إسرافيل» فأخبر أنّ شكله شكلُ القرن، فَوُصِف بالسعة والضيق، فإنّ القرن واسع ضيق. وهو عندنا على خلاف ما يتخيّله أهل النظر، في الفرق بين ما هو أعلى القرن وأسفله، ونذكره - إن شاء الله - بعد هذا في هذا

1 {المؤمنون : 101}

2 ص 136 ب

3 {الحجر : 29}

4 {الأنبياء : 91}

5 ق: "فتكن" وصححت في الهامش بقلم الأصل: فتكون.

6 ص 137

فاعلم أن سعة هذا القرن في غاية السعة، لا شيء من الأكوان أوسع منه، وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء، ويتصور العدم الحض، والمحال والواجب والإمكان، ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا، وفيه يقول النبي ﷺ أي من حضرة هذا: «اعبد الله كأنك تراه» «والله في قبلة المصلي» أي نخيله في قبلك، وأنت تواجهه لتراقبه وتستحي منه، وتلزم الأدب معه في صلاتك، فإنك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب.

فلولا أن الشارع علم أن عندك حقيقة تسمى الخيال، لها هذا الحكم، ما قال لك: "كأنك تراه" بصرك، فإن البليل العقلي يمنع من "كأن" فإنه يحيل بدليله التشبيه، والبصر- ما¹ أدرك شيئا سيوى الجدار. فعلمنا أن الشارع خاطبك، أن تتخيل أنك تواجه الحق في قبلك، المشروع لك استقبالها، والله يقول: ﴿فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَنَمُ وَجْهَ اللَّهِ﴾² ووجه الشيء حقيقته وعينه، فقد صور الخيال من تستحيل عليه بالليل العقلي الصورة والتصور، فلماذا كان واسعا.

وأما³ ما فيه (أي الخيال) من الضيق، فإنه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمرا من الأمور الحسنة والمعنوية والنسب والإضافة وجلال الله وذاته، إلا بالصورة. ولو رام أن يدرك شيئا من غير صورة، لم تعط حقيقته ذلك، لأنه عين الوهم، لا غيره. فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق، فإنه لا يجزئ المعاني عن المواد أصلا. ولهذا كان الحس أقرب شيء إليه، فإنه من الحس أخذ الصورة، وفي الصور الحسنة يجلي المعاني. فهذا من ضيقه. وإنما كان هذا حتى لا يتصف بعدم التقييد، وبإطلاق الوجود، وبالفعل لما يريد، إلا الله تعالى- وحده ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴.

فالخيال أوسع المعلومات، ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء، قد عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها. فيرى العلم في صورة لبن أو عسل وخمر ولؤلؤ، ويرى الإسلام في صورة قبة وعمد، ويرى القرآن في صورة سمن وعسل، ويرى الدين في صورة قيد، ويرى الحق في صورة إنسان، وفي صورة نور. فهو الواسع الضيق، والله واسع على الإطلاق، عليم بما أوجد الله عليه خلقه، كما قال تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾⁵ أي بين الأمور على ما هي عليه بإعطاء كل شيء

1 ق: لا

2 [البقرة: 115]

3 ص 137 ب

4 [النورى: 11]

5 [طه: 50]

خلقه.

وأما كون القرن من نور، فإنَّ النور سببُ الكشف والظهور، إذ لولا النور ما¹ أدرك البصر- شيئاً، فجعل الله هذا الخيال نوراً يدرك به تصوير كل شيء، أي أمر كان، كما ذكرناه. فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجوداً، فالخيال أحقُّ باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية. فنوره لا يشبه الأنوار، وبه تدرك التجليات، وهو نور عين الخيال، لا نور عين الحس، فافهم. فإنه ينفك معرفة كونه (أي الخيال) نوراً، فتعلم الإصابة فيه، ممن لا يعلم ذلك وهو الذي يقول هذا خيال فاسد، وذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النور الخيالي الذي أعطاه الله تعالى-. كما أنَّ هذا القائل يُخطئ الحس في بعض مدركاته، وإدراكه صحيح، والحكم لغيره (وهو الفكر) لا إليه. فالحكم خطأ لا الحس. كذلك الخيال؛ أدرك بنوره ما أدرك، وما له حكم، وإنما الحكم لغيره وهو العقل. فلا يُنسب إليه الخطأ، فإنه ما ثمَّ خيال فاسد قط، بل هو صحيح كله.

وأما أصحابنا ففعلوا في هذا "القرن" فأكثروا العقلاء جعل أضيقة المركز، وأعلاه (=أوسع) الفلك الأعلى، الذي لا فلك فوقه. وأنَّ الصُّور التي يحوي عليها (هي) صُور العالم، فجعلوا واسع القرن (هو) الأعلى، وضيقة (هو) الأسفل من العالم. وليس الأمر كما زعموا. بل لئلا كان الخيال كما قلنا، بصُور الحق فمن دونه من العالم حتى العدم، كان أعلاه الضيق² وأسفله الواسع، وهكذا خلقه الله. فأول ما خلق منه الضيق، وآخر ما خلق منه ما اتسع، وهو الذي يلي رأس الحيوان.

ولا شك أنَّ حضرة الأفعال والأكوان أوسع، ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم، إلا بقدر ما يعلمه من العالم.. ثمَّ إنه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله تعالى-، لا يزال يرقى من السعة إلى الضيق، قليلاً قليلاً، فتقلُّ علومه كلما رقى في العلم بذات الحق كشفاً، إلى أن لا يبقى له معلوم إلا الحق وحده، وهو أضيّق ما في القرن. فضيقه هو الأعلى على الحقيقة، وفيه الشرف التام.. وهو الأول الذي يظهر منه إذا أثبتَّه الله في رأس الحيوان، فلا يزال يصعد على صورته من الضيق، وأسفله يتسع، وهو لا يتغير عن حاله، فهو المخلوق الأول.

ألا ترى الحق سبحانه- أول ما خلق القلم، أو قل العقل، كما قال. فما خلق إلا واحداً، ثمَّ أنشأ المخلوق من ذلك الواحد، فأتسع العالم. وكذلك العدد: منشؤه من الواحد، ثمَّ الذي يقبل الثاني لا من الواحد الوجود، ثمَّ يقبل التضعيف والتركيب في المراتب، فيتسع اتساعاً عظيماً إلى ما لا يتناهى، فإذا انتهيت فيه

من الاتساع إلى حدٍّ ما من الآلاف، وغيرها، ثم تطلب الواحد الذي نشأ منه العدد، لا تزال في ذلك تثقل العدد، ويَزول عنك ذلك الاتساع الذي كَثَّ فيه¹، حتى تنتهي إلى الاثنين، التي بوجودها ظهر العدد، إذ كان الواحد أولاً لها. فالواحد أضيقُ الأشياء، وليس (هو) بالنظر إلى ذاته بعدد في نفسه، ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة، فلا يجمع بين اسمه وعينه أبداً، فاعلم ذلك.

والناس في وصف الشُّور بالقرن على خلاف ما ذكرناه. وبعد ما قرَّرنَاه، فلتعلم أنَّ الله سبحانه - إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية، حيث كانت، والعنصرية؛ أودعها صوراً جسدية في مجموع هذا القرن النوري. فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت، في البرزخ من الأمور، إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن، وبنورها. وهو إدراك حقيقي. ومن الشُّور هنالك ما هي مقيدة عن التصرف، ومنها ما هي مطلقة، كأرواح الأنبياء كلهم، وأرواح الشهداء. ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا، في هذه الدار. ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه، وهو الذي تصدق رؤياه أبداً. وكلُّ رؤيا صادقة ولا تخطئ. فإذا أخطأت الرؤيا، فالرؤيا ما أخطأت، ولكنَّ العابر الذي يعبرها هو المخطئ، حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة. ألا تراه ﷺ ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور: «أصببت بعضاً وأخطأت² بعضاً».

وكذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم (قد) ضُربت عنقه، فوق رأسه، فجعل الرأس يتدهده، وهو يكلمه، فذكر له رسول الله ﷺ: «أنَّ الشيطان يلعب به». فعلم رسول الله ﷺ صورة ما رآه وما قال له: "خيالك فاسد"، فإنه رأى حقاً، ولكن أخطأ في التأويل. فأخبره ﷺ بحقيقة ما رآه ذلك النائم. وكذلك قوم فرعون يُقرضون على النار في تلك الصور غدوة وعشيّة ولا يدخلونها، فإنهم محبوسون في ذلك القرن، وفي تلك الصورة، ويوم القيامة يدخلون أشدَّ العذاب، وهو العذاب المحسوس لا المتخيّل، الذي كان لهم في حال موتهم بالقرض.

فيدرك بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معاً. فيدرك المتخيّل الذي هو الإنسان بعين خياله وقتاً ما هو متخيّل، كقوله ﷺ: «مُثلت لي الجنة في غرض هذا الحائط» فأدرك ذلك بعين حسّه. وإنما قلنا: بعين حسّه، لأنّه تقدّم حين رأى الجنة ليأخذ قطعاً منها. وتأخّر حين رأى النار، وهو في صلاته. ونحن نعرف أنَّ عنده من القوّة بحيث أنّه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسّه، ما أثر في جسمه تقدُّماً

ولا تأخراً، فإننا نجد ذلك وما نحن¹ في قوته ولا في طبقته.

وكل إنسان في البرزخ مرهون بكسبه، محبوس في صور أعماله، إلى أن يُعْث يوم القيامة من تلك الصور، في النشأة الآخرة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

انتهى الجزء الثامن والعشرون، يتلوه في الجزء التاسع والعشرين.³

3 في الهامش: "بلغ قراءة". وفي أسفل الصفحة: "سمع من البلاغ عند طبقة السماع إلى هنا على مصنفه الإمام العالم الأواحد العارف محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النجاشي الأئمة: عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو بكر بن سلمان المحمدي الواعظ، وأبناء عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المنكوري، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصغار، ومحمد بن برحق المعظمي، وإساعيل بن سودكين النوري، وأبو بكر بن محمد البلخي، وأحمد بن محمد بن سلمان، ويعقوب بن معاذ الوري، وأحمد بن أبي الهيثم النعشقي، وعلي بن يوسف بن صدقة، وعلي بن أبي الفناهم بن الفضال، وبركة بن حسن بن مالك الهلالي، ومحمد بن علي المطرز، وعمران بن محمد بن عمران، وإبراهيم بن خضر النعشقي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود، وأحمد بن محمد التكريتي -الحفصيون-، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، ومحمد بن نصر بن هلال، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان النعشقي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويعيسى بن إساعيل الملقطي، ويعيسى بن إسحق الهلثاني، وأيوب بن إبراهيم بن حسن الأعزازي، وحسين بن محمد الموصلي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وعلي بن عبد العزيز بن محمد الحميري، وأحمد بن عبد الخالق بن عبد الله النعشقي، ويوسف بن الحسن النابلسي، وإبراهيم بن أبي بكر الحلال، وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافعة، وذلك في تاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستة بمزل المصنف بدمشق، والحمد لله وصلاته على محمد وآله وصحبه وسلم. وسمع مع الجماعة بالقراءة والتاريخ أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابنا المصنف، كتبه إبراهيم".

الجزء التاسع والعشرون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الرابع والستون

في معرفة القيامة، ومنازلها، وكيفية البعث

يَوْمَ الْمَآرِجِ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	يُطِيرُ عَنْ كُلِّ نَوْامٍ بِهِ وَسَنَةٍ
وَالْأَرْضُ، مِنْ حَذَرٍ عَلَيْهِ، سَاهِرَةٌ	لَا تَأْخُذُهَا، لِمَا يُقْضَى الْإِلَهِ، سَنَةٍ
فَكُنْ غَرِيماً وَلَا تَرْكُنْ لِطَائِفَةٍ	مِنْ الْخَوَارِجِ أَهْلِي الْأَلْسُنِ اللَّسَنَةِ
وإِنْ رَأَيْتَ امْرَأَةً يَتَسَعَّى لِنَفْسِهَا	فَخُذْ عَلَى يَدَيْهِ تَجَزَّى بِهِ حَسَنَةٍ
وَلْتَقْتَصِمِ حَنَرًا، بِالْكَهْفِ، مِنْ رَجُلٍ	تُرِيكَ بِنْتَهُ يَوْمًا كَيْثَلِ سَنَةٍ
فَدَمْدَمَ خَطْوَتُهُ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ	وَلَمْ يَزَلْ فِي هَوَاهُ خَالِعًا رَسَنَةٍ ³

اعلم أنه إنما سمي هذا اليوم يوم القيامة، لقيام الناس فيه من⁴ قبورهم لرب العالمين في النشأة الآخرة التي ذكرناها في البرزخ، في الباب الذي قبل هذا الباب. ولقيامهم أيضا إذا جاء الحق للفصل والقضاء ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾⁵ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁶ أي من أجل رب العالمين حين يأتي. وجاء بالاسم الرب إذ كان الرب المالك؛ فله صفة القهر، وله صفة الرحمة. ولم يأت بالاسم الرحمن لأنه لابد من الغضب في ذلك اليوم، كما سيرد في هذا الباب. ولا بد من الحساب والإتيان بجهنم والموازن. وهذه كلها ليست من صفات الرحمة المطلقة التي يطلبها الاسم الرحمن. غير أنه سبحانه- أنى باسم إلهي تكون الرحمة فيه أغلب، وهو الاسم الرب؛ فإنه من الإصلاح والتربية، فيتقوى ما في المالك والسيد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر، فتسبق رحمته غضبه، ويكثر التجاوز عن سيئات أكثر الناس.

فأول ما أبين وأقول، ما قال الله في ذلك اليوم، من امتداد الأرض وقبض السماء، وسقوطها على الأرض، ومجيء الملائكة، ومجيء الرب في ذلك اليوم، وأين يكون الخلق حين تمُدُّ الأرض وتبدل صورتها،

1 العوان ص 140 ب

2 السلسلة ص 141

3 الرسن: الحبل. والرسن: ما كان من الأرملة على الأف، والجمع أرسان وأرسن. [لسان العرب]

4 ص 141 ب

5 الفجر : 22

6 [المطففين : 6]

ونحيء جهنم وما يكون من شأنها؟ ثم أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة، وحديث الشفاعة.

اعلم يا أخي- أن الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده- إن شاء الله-، وأراد¹ الله أن يبدل الأرض غير الأرض، وتمد الأرض بإذن الله، ويكون الجسر- دون "الظلمة"، فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الأرض كيف يشاء، إما بالصورة وإما بأرض أخرى، ما ينم عليها، تُسعى الساهرة. فمدها- سبحانه- مد الأديم. يقول تعالى:- ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ²﴾ ويزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً، حتى ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا³﴾.

ثم إنه سبحانه- يقبض السماء إليه، فيطويها بيمينه ﴿كَطَيَّ السَّجْلَ لِلْكِتَابِ⁴﴾ ثم يرميها على الأرض التي مدها هاوية؛ وهو قوله: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ⁵﴾ ويرد الخلق إلى الأرض التي مدها، فيقفون منتظرين ما يصنع الله بهم، فإذا وهت السماء، نزلت ملائكتها على أرجائها، فيرى⁶ أهل الأرض خلقاً عظيماً، أضعاف ما هم عليه عدداً، فيتخيلون أن الله نزل فيهم لئلا يرون من عظم⁷ المملكة، بما لم يشاهدوه من قبل. فيقولون: أفیکم ربنا؟ فتقول الملائكة: سبحان ربنا، ليس فينا، وهو آت. فتصطف الملائكة صفاً مستديراً على نواحي الأرض، محيطين بالعالم: الإنس والجن. وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا.

ثم ينزل أهل السماء الثانية، بعد ما يقبضها الله أيضاً، ويرى⁸ بكوكبها في النار، وهو المستى: "كاتب"⁹. وهم أكثر عدداً من السماء الأولى. فتقول الخلائق: أفیکم ربنا؟ فتزع الملائكة من قولهم. فيقولون: سبحان ربنا، ليس هو فينا، وهو آت. فيفعلون فعل الأولين من الملائكة، يصطفون خلفهم صفاً ثانياً مستديراً.

ثم ينزل أهل السماء الثالثة، ويرى⁸ بكوكبها المستى: "زهرة" في النار، ويقبضها الله بيمينه. فتقول الخلائق: أفیکم ربنا؟ فتقول الملائكة: سبحان ربنا، ليس هو فينا، وهو آت. فلا يزال الأمر هكذا ساء بعد ساء، حتى ينزل أهل السماء السابعة، فيرون خلقاً أكثر من جميع من نزل. فتقول الخلائق: أفیکم ربنا؟

1 ص 142

2 [الإنشقاق : 3]

3 [طه : 107]

4 [الأنبياء : 104]

5 [الحاقة : 16]

6 ق. س: فيرون

7 رسمها في ق أقرب إلى: عظم

8 ص 142 ب

9 الكاتب: عطارد

فتقول الملائكة: سبحان ربنا، قد جاء ربنا، وإِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا¹.

فيأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة. وعلى المجنبة اليسرى جهنم. ويكون إتيانه إتيان الملك؛ فإنه يقول: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾² وهو ذلك اليوم. فسقي بالملك. ويصطف الملائكة عليهم السلام - سبعة صفوف، محيطة بالخلق. فإذا أبصر الناس جهنم، لها فوران وتقيظ على الجبابرة المتكبرين، فيفر³ الخلق بأجمعهم منها، لعظيم ما يرونه خوفا وفزعاً، وهو "الفزع الأكبر". إلا الطائفة التي ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾⁵ فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير أن النبيين تفرج على أممها، للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق، فيقولون في ذلك اليوم: "سَلِّمْ سَلِّمْ".

وكان الله قد أمر أن تُنْصَبَ لِلْآمِنِينَ من خلقه منابر من نور، متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف، فيجلسون عليها آمنين مبشرين، وذلك قبل مجيء الرب تعالى. فإذا فر الناس خوفاً من جهنم وفرقاً، لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم، يجدون الملائكة صفوفاً، لا يتجاوزونهم. فتطردهم الملائكة؛ وَزَعَةً الْمَلِكِ الْحَقِّ ﴿إِلَى الْمَحْشَرِ﴾. وتناديهم أنبياءهم: "ارجعوا ارجعوا". فينادي بعضهم بعضاً. فهو قول الله تعالى: ، فيما يقول رسول الله ﷺ: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾. يَوْمَ تُولَوْنَ مُذْهَبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ⁶ والرسول يقول: "اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ" ويخافون أشد الخوف على أممهم، والأم يخافون على أنفسهم، والمطهرون المحفوظون الذين ما تدنس بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضاً بالخالفات الشرعية، آمنون: يبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن، ليا هم النبيون عليه من الخوف على أممهم.

فينادي⁷ مناد من قبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون، أو لا أدري، هل ذلك نداء الحق - سبحانه - بنفسه، أو نداء عن أمره سبحانه، يقول في ذلك النداء: «يا أهل الموقف؛ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم» فإنه قال لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾⁸ تعلما له وتنبيها، ليقول: كرمك. ولقد سمعت شيخنا الشنخلة يقول يوماً، وهو يبكي: يا قوم؛ لا تفعلوا (ما لا يليق) بكرمه، أخرجنا ولم نكن شيئاً، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وامتق علينا ابتداء بالإيمان به وكتبه ورسله، ونحن لا نفعل. أفترأه يعذبنا بعد أن عقلنا وأمتنا، حاشى كرمه سبحانه - من ذلك. فابكاني بكاء فرح، وبكى الحاضرون.

1 [الإسراء : 108]

2 [الفاتحة : 4]

3 ق: فيفرون.

4 ص 143

5 [الأنبياء : 103]

6 [غافر : 32، 33]

7 ص 143 ب

8 [الإنفاطر : 6]

ثم نرجع ونقول: فيقول الحق في ذلك النداء: أين الذين كانت ﴿تَسْجَأُ جُؤْهُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾¹ فيؤتى بهم إلى الجنة. ثم يسمعون من قبل الحق نداء ثانيا لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه، أو نداء عن أمر الحق؟ :- أين الذين كانوا ﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ لِيُخْرِجَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ² وتلك الزيادة كما قلنا، من جنت الاختصاص³. فيؤمر بهم إلى الجنة. ثم يسمعون نداء ثالثا، لا أدري هل هو نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق: يا أهل الموقف؛ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾⁴ لِيُخْرِجِي اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ⁵ فيؤمر بهم إلى الجنة.

فبعد هذا النداء يخرج عُنُقُ من النار، فإذا أشرف على الخلائق، له عيمان ولسان فصيح، يقول: يا أهل الموقف؛ إِنِّي وَكَّلْتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ، كما كان النداء الأول ثلاث مرّات، لثلاث طوائف من أهل السعادة. وهذا كله قبل الحساب، والناس وقوف، قد أبلجهم العرق واشتدّ الخوف، وتصدّعت القلوب لهول المطلع. فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم:

إِنِّي وَكَّلْتُ بِكُلِّ "جَبَّارٍ عَنِيدٍ" فيلقطهم من بين الصفوف، كما يلقط الطائر حبّ السمسم. فإذا لم يترك أحدا منهم في الموقف، نادى نداء ثانيا: يا أهل الموقف؛ إِنِّي وَكَّلْتُ بِمَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فيلقطهم كما يلقط الطائر حبّ السمسم من بين الخلائق. فإذا لم يترك منهم أحدا. نادى ثالثة: يا أهل الموقف؛ إِنِّي وَكَّلْتُ بِمَنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَمَا خَلَقَ اللَّهُ. فيلقط أهل التصاوير، وهم الذين يصوّرون صورا في الكنائس، لِيُتَبَذَّ تلك الصور، والذين⁷ يصوّرون الأصنام، وهو قوله تعالى: ﴿أَتَقْبُلُونَ مَا تَكْتُمُونَ﴾⁸ فكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأحجار ليعبدوها من دون الله، فهؤلاء هم المصوّرون. فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير حبّ السمسم. فإذا أخذهم الله عن آخرهم، ويبقى الناس وفيهم المصوّرون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصدها أولئك من عباداتها، حتى يُسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها وليسوا بناحية، كما ورد في الخبر في المصوّرين. فيقفون ما شاء الله، ينتظرون ما يفعل الله بهم، والعرق قد أبلجهم.

[السجدة : 16]

[النور : 37، 38]

ص 144

[الأحزاب : 23]

[الأحزاب : 24]

6 "صورا في" من ه فقط

7 ص 144 ب

[الصافات : 95]

فَحَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْقَضَارُ بِمَكَّةَ، سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِينَ، تَجَاهَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ مِنَ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ، وَهُوَ يُونُسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ، مِنْ لَفْظِهِ، وَأَنَا أَسْمَعُ. قَالَ: ثَنَا (= حَدَّثَنَا) أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ يُوسُفَ الْأَرْمَوِيِّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الْعُرُوفِ بَابِنَ الْخِطَاطِ الْمَغْرِبِيِّ، قَالَ: قُرِئَ عَلَيَّ أَبِي سَهْلٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ إِسْحَاقَ الْعُكْبَرِيِّ، وَأَنَا أَسْمَعُ. قِيلَ لَهُ: حَدَّثَكُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ- أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّقَاشُ، فَقَالَ: نَعَمْ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الطَّيْرِيُّ الْبُزُورِيُّ، قَالَ¹: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ الرَّازِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ثَنَا سَلَمَةُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: أَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ سَلَامِ الطَّوِيلِ عَنْ غِيَاثِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ وَزَيْدِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:

كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَعِنْدَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عليه السلام وَحَوْلَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ فِي الْقِيَامَةِ لَخَمْسِينَ مَوْقِفًا، كُلُّ مَوْقِفٍ مِنْهَا أَلْفُ سَنَةٍ. فَأَوَّلُ مَوْقِفٍ إِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَقُومُونَ عَلَى أَبْوَابِ قُبُورِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ عَرَاةَ حَفَاةَ جِيَاعًا عَطَاشًا. فَمَنْ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ، مُؤْمِنًا بِنَبِيِّهِ، مُؤْمِنًا بِجَنَّتِهِ وَنَارِهِ، مُؤْمِنًا بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ، مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، مُصَدِّقًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؛ نَجَا وَفَارَ وَغَنِمَ وَسَعَدَ. وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا؛ بَقِيَ فِي جَوْعِهِ وَعَطَشِهِ وَغَمِّهِ وَكَرِهٍ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ.

ثُمَّ يَسَاقُونَ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَى الْمَحْشَرِ، فَيَقِفُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ أَلْفَ عَامٍ، فِي سَرَادِقَاتِ النَّيْرَانِ؛ فِي حَرِّ الشَّمْسِ. وَالنَّارِ عَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَالنَّارِ عَنْ شِئَانِهِمْ، وَالنَّارِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ²، وَالنَّارِ مِنْ خَلْفِهِمْ، وَالشَّمْسُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ، وَلَا ظِلٌّ إِلَّا ظِلُّ الْعَرْشِ. فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- شَاهِدًا لَهُ بِالْإِخْلَاصِ، مُقِرًّا بِنَبِيِّهِ ﷺ بَرِيئًا مِنَ الشُّرْكِ وَمِنَ السُّحْرِ، وَبَرِيئًا مِنْ إِهْرَاقِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، مُحِبًّا لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، مُبْغِضًا لِمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ اسْتَظَلَّ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَنَجَا مِنْ غَمِّهِ. وَمَنْ حَادَ عَنْ ذَلِكَ، وَوَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ تَغَيَّرَ قَلْبُهُ، أَوْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ؛ بَقِيَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي الْحَرِّ وَالْهَمِّ وَالْعَذَابِ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ.

ثُمَّ يَسَاقُ الْخَلْقُ إِلَى النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، فَيَقِيمُونَ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ أَلْفَ عَامٍ. فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ النِّفَاقِ، وَلَمْ يَشْكُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ، وَأَعْطَى الْحَقُّ مِنْ

نفسه، وقال الحق، وأنصف الناس من نفسه، وأطاع الله في السر والعلانية، ورضي بقضاء الله، وقنع بما أعطاه الله؛ خرج من الظلمة إلى النور، في مقدار طرفة العين، مبيضاً وجهه، قد نجا من الغموم كلها. ومن خالف في شيء منها؛ بقي في الغم والمهم ألف سنة، ثم خرج منها مسوداً وجهه، وهو في مشيئة الله يفعل به ما يشاء.

ثم يساق الخلق إلى سرادقات الحساب، وهي عشر- سرادقات: يقفون في كل سرادق منها ألف سنة. فيُسأل ابنُ آدم عند أول سرادق منها عن الحارم. فإن لم يكن وقع في شيء منها؛ جاز إلى السرادق الثاني. فيُسأل عن الأهواء؛ فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث. فيُسأل عن عقوق الوالدين؛ فإن لم يكن عاقاً جاز إلى السرادق الرابع. فيُسأل عن حقوق مَنْ فوض الله إليه أمورهم، وعن تعليمهم القرآن، وعن أمر دينهم وتأديبهم؛ فإن كان قد فعل جاز إلى السرادق الخامس. فيُسأل عما ملكت يمينه؛ فإن كان محسناً إليهم جاز إلى السرادق السادس. فيُسأل عن حقِّ قرابته؛ فإن كان قد أدى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع. فيُسأل عن صلة الرحم؛ فإن كان وصولاً لرحمه جاز إلى السرادق الثامن. فيُسأل عن الحسد؛ فإن كان لم يكن حاسداً جاز إلى السرادق التاسع. فيُسأل عن المكر؛ فإن لم يكن مكرراً جاز إلى السرادق العاشر. فيُسأل عن الخديعة؛ فإن لم يكن خدع أحداً نجا ونزل في ظلِّ عرش الله تعالى- قازة² عينه، فرجاً قلبه، ضاحكاً فوه. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الحصال، بقي في كل موقف منها ألف عام؛ جاتنا عطشاناً حزناً مغموماً مغموماً لا³ تنفعه شفاعة شافع.

ثم يُحشرون إلى أخذ كتبهم بأيامهم وشمالهم، فيُجسسون عند ذلك في خمسة عشر- موقفاً: كل موقف منها ألف سنة. فيُسألون في أول موقف منها عن الصدقات، وما فرض الله عليهم في أموالهم، فمن آذاهما كاملة جاز إلى الموقف الثاني. فيُسأل عن قول الحق والعمو عن الناس، فمن عفا عفا الله عنه، وجاز إلى الموقف الثالث. فيُسأل عن الأمر بالمعروف، فإن كان آمراً بالمعروف جاز إلى الموقف الرابع. فيُسأل عن النهي عن المنكر، فإن كان ناهياً عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس. فيُسأل عن حسن الخلق؛ فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس. فيُسأل عن الحب في الله والبغض في الله؛ فإن كان محباً في الله مبغضاً في الله جاز إلى الموقف السابع. فيُسأل عن مال الحرام؛ فإن لم يكن أخذ شيئاً جاز إلى الموقف الثامن. فيُسأل عن شرب الخمر؛ فإن لم يكن شرب من الخمر شيئاً جاز إلى الموقف التاسع. فيُسأل عن الفروج الحرام؛ فإن لم يكن آتاهما جاز إلى الموقف العاشر. فيُسأل عن قول الزور؛ فإن لم يكن قاله جاز

1 ص 146

2 ق: "مقرة" ومصححة في الهامش مع إشارة التصويب: "قازة".

3 ص 146 ب

4 ق: "قالها" ومصححت في الهامش مع حرف ط.

إلى الموقف الحادي عشر. فيُسأل عن الإيمان الكاذبة؛ فإن لم يكن حلفها جاز إلى الموقف الثاني عشر- فيُسأل عن أكل الربا¹ فإن لم يكن أكَّله جاز إلى الموقف الثالث عشر. فيُسأل عن قذف المحصنات؛ فإن لم يكن قَذَفَ المحصنات أو افترى على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر. فيُسأل عن شهادة الزور؛ فإن لم يكن شَهِدَها جاز إلى الموقف الخامس عشر. فيُسأل عن البهتان؛ فإن لم يكن بهت مسلماً، مَرَّ فنزل تحت لواء الحمد، وأُعطي كتابه بيمينه، ونجا من غمّ الكتاب وهَوْلِهِ، وحوسب حساباً يسيراً. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب، ثم خرج من الدنيا غير نائب من ذلك، بقي في كُلِّ موقف من هذه الخمسة عشر- موقفاً، ألف سنة في الغمّ والهزل والمُهم والحزن والجوع والعطش، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثم يُقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام، فمن كان سخيّاً قد قَدَّمَ ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته؛ قرأ كتابه وهُوّن عليه قراءته، وكسي من ثياب الجنة ويُوج من تيجان الجنة، وأُقعد تحت ظلّ عرش الرحمن، آمناً مطمئناً. وإن كان بخيلاً؛ لم يقدّم ماله ليوم فقره وفاقته، أُعطي كتابه بشماله، ويُطعّ له من مقطعات النيران، ويقام على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع والعطش والعري والمُهم والغمّ والحزن والفضيحة، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثم يُحشَر الناس² إلى الميزان، فيقومون عند الميزان ألف عام. فمن ربح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفه عين، ومن خُفَّ ميزانه من حسناته وهُزلت سيئاته؛ حبس عند الميزان ألف عام، في الغمّ والمُهم والحزن والعذاب والجوع والعطش حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يُدعى بالخلق إلى الموقف بين يدي الله في اثني عشر- موقفاً، كلّ موقف منها مقدار ألف عام³. فيُسأل في أوّل موقف عن عتق الرقاب؛ فإن كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار، وجاز إلى الموقف الثاني. فيُسأل عن القرآن وحَقّه وقراءته، فإن جاء بذلك تامّاً، جاز إلى الموقف الثالث. فيُسأل عن الجهاد، فإن كان جاهد في سبيل الله محتسباً، جاز إلى الموقف الرابع. فيُسأل عن القِيّة، فإن لم يكن اغتاب، جاز إلى الموقف الخامس. فيُسأل عن النعمة، فإن لم يكن نَمّاماً، جاز إلى الموقف السادس. فيُسأل عن الكذب، فإن لم يكن كَذّاباً جاز، إلى الموقف السابع.

فيُسأل عن طلب العلم، فإن كان طلب العلم وعمل به، جاز إلى الموقف الثامن. فيُسأل عن العُجب، فإن لم يكن معجباً بنفسه في دينه ودنياه، أو في شيء من عمله، جاز إلى الموقف التاسع. فيُسأل عن

1 ص 147

2 ص 147 ب

3 ق: "سنة" وصححت في الهامش بقلم الأصل.

التكبر؛ فإن لم يكن تكبر على أحد جاز إلى الموقف العاشر. فيُسأل عن القنوط من رحمة الله؛ فإن لم يكن قنط من رحمة¹ الله جاز إلى الموقف الحادي عشر. فيُسأل عن الأمن من مكر الله، فإن لم يكن أمن من مكر الله، جاز إلى الموقف الثاني عشر. فيُسأل عن حق جاره، فإن كان أدنى حق جاره، أقيم بين يدي الله تعالى-، قريرا (=قريرة) عينه، فرحا قلبه، مبيضاً وجهه، كاسيا ضاحكا مستبشرا، فيرحب به رؤيه وببشره برضاه عنه. فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد إلا الله. فإن لم يأت واحدة منهم تامة، ومات غير نائب، حُبس عند كل موقف ألف عام، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثم يؤمر بالخلاق إلى الصراط، فينتهون إلى الصراط، وقد ضُربت عليه الجسور على جحتم أدنى من الشعر، وأخذ من السيف. وقد غابت الجسور في جحتم مقدار أربعين ألف عام، ولهب جحتم بجانيها تلهب، وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف. وهي سبعة جسور يُحشَرُ العباد كلهم عليها، وعلى كل جسر- منها عقبة، مسيرة ثلاثة آلاف عام: ألف عام صعود، وألف عام استواء، وألف عام هبوط. وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَالَيْغُضَادِ﴾² يعني على تلك الجسور، وملانكة يرصدون الخلق عليها، لئسأل العبد عن الإيمان بالله، فإن جاء به مؤمنا مخلصا لا شك فيه ولا زيف، جاز إلى الجسر الثاني.

فيُسأل عن الصلاة، فإن جاء بها تامة، جاز إلى الجسر الثالث. فيُسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر الرابع.

فيُسأل عن الصيام فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر الخامس. فيُسأل عن حجة الإسلام فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر السادس. فيُسأل عن الطهر فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر- السابع. فيُسأل عن المظالم فإن كان لم يظلم أحدا جاز إلى الجنة. وإن كان قصر في واحدة منهم حُبس على كل جسر منها ألف سنة، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء». وذكر الحديث إلى آخره، وستأتي بقية الحديث لمن شاء الله- في باب الجنة، فإنه يختص بالجنة، ولم نذكر النشأة الأخرى التي يحشر فيها الإنسان، في باب البرزخ. لأنها نشأة محسوسة غير خيالية، والقيامة أمر محقق موجود حتمي، مثل ما هو الإنسان في الدنيا، فلذلك أخرنا ذكرها إلى هذا الباب.

. . .

1 ع 148
2 [النجر : 14]
3 ع 148 ب

وصل

(اختلاف الناس في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام)

اعلم أنَّ الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام، ولم تتعرض لمذهب مَنْ يحمل الإعادة والنشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة، فإنَّ ذلك على¹ خلاف ما هو الأمر عليه. لأنَّه جمل أنَّ ثَمَّ نشأتين: نشأة الأجسام ونشأة الأرواح، وهي النشأة المعنوية. فأثبتوا المعنوية ولم يثبتوا المحسوسة. ونحن² نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانية المعنوية، لا بما خالف فيه، وأنَّ عين موت الإنسان هو قيامته، لكن القيامة الصغرى. فإنَّ النبي ﷺ يقول: «من مات فقد قامت قيامته» وإنَّ الحشر؛ جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية. هذا كلُّه أقول به كما يقول المخالف، وإلى هنا ينتهي حديثه في القيامة.

ويختلف في ذلك بعينه من يقول بالتناضح، ومن لا يقول به. وكلُّهم عقلاء أصحاب نظر. ويحتجُّون في ذلك كلُّه بظواهر آيات من الكتاب وأخبار من السنة، إنَّ أوردناها وتكلَّمنا عليها، طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ما قالوه. وما منهم مَنْ نَحَلَّ نَحْلَةً في ذلك، إلَّا وله وجه حقٌّ صحيح، وإنَّ القائل به فهُم بعض مراد الشارع، وثَقُصَ عِلْمُ ما فُهِمَ غَيْرُهُ، من إثبات الحشر المحسوس، في الأجسام المحسوسة، والميزان المحسوس، والصراط المحسوس، والنار والجنة المحسوستين³، كلُّ ذلك حقٌّ وأعظم في القدرة.

وفي علم الطبيعة، بقاء الأجسام الطبيعية في الدارين إلى غير مدَّة متناهية، بل مستمرة الوجود، وإنَّ الناس ما عرفوا من أمر الطبيعة، إلَّا قدر ما أطلعهم الحقُّ عليه من ذلك، مما ظهر لهم في مُدَد حركات الأفلاك والكواكب⁴ السبعة، ولهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة وعشرين سنة، الذي اقتضاه هذا الحكم. فإذا زاد الإنسان على هذه المدَّة وقع في العمر الجهول، وإنَّ كان من الطبيعة ولم يخرج عنها، ولكن ليس في قوَّة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص. فكما زاد على العمر الطبيعي سنة وأكثر، جاز أن يزيد على ذلك آلاف من السنين، وجاز أن يمتدَّ عمره دائماً.

ولولا أنَّ الشرع عَرَفَ باقضاء مدَّة هذه الدار، وأنَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾⁵ وعَرَفَ بالإعادة، وعَرَفَ بالدار الآخرة، وعَرَفَ بأنَّ الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية؛ ما عرفنا ذلك، وما خرجنا في كلِّ حالٍ من موت، وإقامة، وبعث أخراوي ونشأة أخرى، وجنان ونعيم، ونار وعذاب، بأكل

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 149

3 ق: المحسوسات.

4 ص 149 ب

5 [آل عمران : 185]

محسوس، وشرب محسوس، ونكاح محسوس، ولباس على المجرى الطبيعي. فَعَلِمَ الله أَوْسَعُ وَأَتَمُّ، والجمع بين العقل والحسّ والمعقول والمحسوس، أعظم في القدرة وَأَتَمُّ في الكمال الإلهي. ليستمر له سبحانه- في كلّ صنف من الممكنات، حكم¹ عالم الغيب والشهادة، ويثبت حكم الاسم الظاهر والباطن، في كلّ صنف.

فإن فهمت فقد وَفَّقْتَ، وتعلم أَنَّ العلم الذي أطلع عليه النيتون والمؤمنون، من قِيلَ² الحقّ، أَمْ تَمَلَّقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجرّدة عن الفيض الإلهي. فالأوّلَى بكلّ ناصح نفسه الرجوع إلى ما قالته الأنبياء والرسل على الوجهين المعقول والمحسوس. إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبني (المعاد) المحسوس من ذلك والمعقول، فالإمكانُ باقي حكمه، والمرجّح موجود، فبإنا نحيل؟ وما أحسن قول القائل³:

زَعَمَ الْمُتَنَجِّمُ وَالطَّيْنِبُ كِلَاهُمَا لَا تَبْعَثُ الْأَجْسَامُ قُلْتَ إِلَيْنَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَنْسُتُ بِخَاسِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْنَا

فقوله: "فالخسار عليكما" يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاءتهم به الرسل عليهم السلام- وقوله: "فلمست بخاسر" فإني مؤمن أيضا بالأمر المعنوية المعقولة مثلكم، وزدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به. ولم يُردّ القائل به أنه يشكّ بقوله: "إن صحّ" وإنما ذلك على مذهبك أيها المخاطب- وهذا يستعمل مثله كثيرا. فتدبر كلاهما هذا، وألزم الإيمان نفسك، تريح وتسعد. إن شاء الله تعالى.

وبعد أن تقرّر هذا، فاعلم أَنَّ الخلاف الذي وقع بين⁴ المؤمنين القائلين في ذلك بالحسّ والمحسوس، إنما هو راجع إلى كيفية الإعادة. فمنهم من ذهب إلى أَنَّ الإعادة تكون في الناس مثل ما بدأهم: بنكاح وتناسل، وابتداء خلق من طين، ونشخ كما جرى من خلق آدم وحواء، وسائر البنين من نكاح واجتماع إلى آخر

1 ناجة في الهاشر مع إشارة التصويب.

2 ص 150

3 البيان لأبي الفلاء المخرمي (363 - 449 هـ / 973 - 1057 م) أحمد بن عبد الله بن سليمان، الضوحي المغربي. شاعر وفيلسوف، ولد ومات في مرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجذري صغيراً فمعي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ فاقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره 84 شاعراً يرقونه، وكان يلعب بالشطرنج والزرد، وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم، وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكان يلبس خشن الثياب، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: (الزوم ما لا يلزم- ط) ويعرف باللزوميات، و(سقط الزندط)، و(ضوء السقططخ) وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في معجم الأدباء. وقال ابن خنكان: ولكثير من الباحثين مصانيف في آراء المري وفلسفته. من مصانيفه كتاب (الأهك والنفسون) في الأدب ربو على مائة جزء. (تاج الحرة) في النساء وأخلاقهن وعظائهن، أربع مائة كراس، و(عبث الوليدط) شرح به وهد ديوان البحري، و(رسالة الملائكة ط) صغيرة، و(رسالة الغفران ط)، و(الفصول والقابات ط)، و(رسالة الصاهل والشاحج). [الموسوعة الشعرية]

4 ص 150 ب

مولود في العالم البشري الإنساني. وكلّ ذلك في زمان صغير ومدة قصيرة، على حسب ما يقدره الحق - تعالى-. هكذا زعم الشيخ أبو القاسم بن قسيّ في "خلع النعلين" له، في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا تَقْوَدُونَ﴾¹ فلا أدري: هل هو مذهبه؟ أو هل قصد شرح المتكلم به، وهو "خَلَفَ الله" الذي جاء بذلك الكلام، وكان من الأمتين.

ومنها من قال بالخبر المروي: «إِنَّ السَّمَاءَ تَمَطَّرُ مَطَرًا شَبَّهَ الْمَنِيَّ، تَمَخَّضَ بِهِ الْأَرْضُ، فَتَنَشَأُ مِنْهُ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ». وأما قوله تعالى- عندنا: ﴿كَأَنَّمَا تَقْوَدُونَ﴾ هو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾² وقوله: ﴿كَأَنَّمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا﴾³. وقد علمنا أَنَّ النشأة الأولى أوجدها الله - تعالى- على غير مثال سبق، فهكذا النشأة الآخرة يوجدها الله تعالى- على غير مثال سبق، مع كونها محسوسة بلا شك. وقد ذكر رسول الله ﷺ من صفة نشأة أهل الجنة والنار ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا، فعلمنا⁴ أَنَّ ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشأ عليه، وهو أعظم في القدرة.

وأما قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁵ فلا يقدح فيما قلنا، فإنه لو كانت النشأة الأولى عن اختراع: فُكِّر وتبَّه ونظَر إلى أن خلق أمرا، فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقا آخر، مما يقارب ذلك ويزيد عليه، أقرب للاختراع والاستحضار في حق من يستفيد الأمور بفكره. والله منزّه عن ذلك ومتعالٍ علوا كبيرا. فهو الذي يفيد العالم ولا يستفيد، ولا يتجدد له علم بشيء، بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهى بعلم كليّ. فعلم التفصيل في عين الإجمال، وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون.

فينشئ الله النشأة الآخرة، على عَجَبِ الذَّنْبِ، الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا، وهو أصلها. فعليه تُركَّب النشأة الآخرة. فأما "أبو حامد" فرأى⁷ أَنَّ الْعَجَبَ الْمَذْكُورَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ النَّفْسُ، وَعَلَيْهَا تَنَشَأُ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ. وقال غيره مثل أبي زيد الرقراقي: هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا، لا يتغير عليه، تنشأ النشأة الأخرى. وكلّ ذلك محتمل ولا يقدح في شيء من الأصول، بل كلّها توجيهات معقولة، يحتمل كلّ توجيه منها أن يكون مقصودا. والذي وقع لي به الكشف، الذي لا أشك فيه: أَنَّ الْمُرَادَ بِعَجَبِ الذَّنْبِ هُوَ مَا تَقُومُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ، وَهُوَ لَا يَتَلَىٰ أَيَّ لَا يَقْبَلُ الْبَلَىٰ.

1 [الأعراف : 29]

2 [الواقعة : 62]

3 [الأنبياء : 104]

4 ص 151

5 [الروم : 27]

6 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

7 ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

فإذا أنشأ الله¹ النشأة الآخرة، وسوّاهَا وعدلها، وإن كانت هي الجواهر بأعيانها، فإنّ النوات الخارجة إلى الوجود من العدم، لا تعدم أعيانها بعد وجودها، ولكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات. والامتزاجات التي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم. فإذا تهيأت هذه الصور كانت كالحشيش المحرق وهو الاستعداد لقبول الأرواح، كاستعداد الحشيش بالنار التي فيه، لقبول الاشتعال؛- والصور البرزخية كالشرج مشتعلة بالأرواح التي فيها: فينفخ إسرائيلي نفخة واحدة، فتمرّ تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها، وتمرّ النفخة التي تليها وهي الأخرى- إلى الصورة المستعدة للاشتعال وهي النشأة الأخرى- فتشتعل بأرواحها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾².

فتقوم تلك الصور، أحياء ناطقة بما ينطقها الله به، فمن ناطق بالحمد لله. ومن ناطق يقول: ﴿مَنْ بَشَنَّا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾³ ومن ناطق يقول: "سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" وكلّ ناطق ينطق بحسب علمه، وما كان عليه، ونسي- حاله في البرزخ. ويتخيّل أنّ ذلك الذي كان فيه مناماً، كما تخيّل المستيقظ. وقد كان، حين مات، وانتقل إلى البرزخ، كان كالمستيقظ هناك، وأنّ الحياة الدنيا كانت له كالمنام.

وفي⁴ الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنّه منام في منام، وأنّ اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة. وهو في ذلك الحال يقول: إنّ الإنسان في الدنيا كان في منام، ثمّ انتقل بالموت إلى البرزخ، فكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنّه استيقظ في النوم. ثمّ بعد ذلك في النشأة الآخرة، هي اليقظة التي لا نوم فيها، ولا نوم بعدها لأهل السعادة. لكن لأهل النار وفيها راحتهم، كما قدّمنا. وقال رسول الله ﷺ «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». فالدنيا بالنسبة إلى البرزخ نوم ومنام، فإنّ البرزخ أقرب إلى الأمر الحقّ، فهو أولى باليقظة. والبرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام، فاعلم ذلك.

فإذا قام الناس، ومُدّت الأرض، وانشقّت السماء، وانكدرت النجوم، وكثرت الشمس، وخسف القمر، وخبر الوحوش، وسجرت البحار، وزوّجت النفوس بأبدانها، ونزلت الملائكة على أرجائها، أعني أرجاء السماوات، وآتى ربنا ﴿فِي ظُلُلٍ مِنْ الْفَقَامِ﴾⁵ ونادى المنادي: يا أهل السعادة؛ فأخذ منهم الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم. وخرج العنق من النار، فقبض الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم. وماج الناس،

1 ص 151 ب

2 [الرمر : 68]

3 [يس : 52]

4 ص 152

5 [البقرة : 210]

واشتدّ الحز، وألجم الناس العرق، وعظم الخطب، وجلّ الأمر، وكان¹ البهت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾² وجيء بجهّم، وطال الوقوف بالناس، ولم يعلموا ما يريد الحقّ بهم، فقال رسول الله ﷺ:

«فيقول الناس بعضهم لبعض: تعالوا ننطلق إلى أيننا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه، فقد طال وقوفنا. فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك. فيقول آدم: إنّ الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر خطيئته، فيستحي من ربّه أن يسأله. فيأتون إلى نوح بمثل ذلك، فيقول لهم مثل ما قال آدم، ويذكر دعوته على قومه، وقوله: ﴿وَلَا يَلْبُثُوا إِلَّا فَأَجْزًا كَفَّارًا﴾³ فوضع المواخذة عليه قوله: ﴿وَلَا يَلْبُثُوا إِلَّا فَأَجْزًا كَفَّارًا﴾ لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء. ثم يأتون إلى إبراهيم عليه السلام بمثل ذلك، فيقولون له مثل مقاتلهم لمن تقدّم، فيقول كما قال من تقدّم، ويذكر كذباته الثلاث⁴. ثم يأتون إلى موسى وعيسى، ويقولون لكلّ واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم، فيجيبونهم مثل جواب آدم».

فيأتون إلى محمد ﷺ وهو سيّد الناس يوم القيامة، فيقولون له مثل ما قالوه للأنبياء عليهم السلام، فيقول محمد ﷺ: «أنا لها». وهو المقام الحمود الذي وعده الله به يوم القيامة. فيأتي ويسجد⁵ ويحمد الله بحمده يلهمه الله تعالى- إيّاها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك. ثم يشفع إلى ربّه أن يفتح باب الشفاعة للخلق. فيفتح الله ذلك الباب: فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين. فهذا يكون سيّد الناس يوم القيامة؛ فبذّة شفع عند الله أن تشفع الملائكة والرسل.

ومع هذا تأدّب ﷺ وقال: «أنا سيّد الناس» ولم يقل: سيّد الخلائق. فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع، وذلك أنّه ﷺ جُمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السلام- كلّهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام من اختصاصه بعلم الأسماء كلّها. فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع؛ من الملائكة والناس من آدم فمن دونه، في فتح باب الشفاعة، وإظهار ما له من الجاه عند الله؛ إذا كان القهر الإلهي والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع. وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام وأعظم في يوم اشتدّت الحاجة فيه، مع ما ذكر من الغضب الإلهي الذي تجلّى فيه الحقّ في ذلك اليوم، ولم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم. فدلّ بالجموع على عظيم قدره ﷺ، حيث⁶

1 ص 152 ب

2 [طه : 108]

3 [نوح : 27]

4 ق: الثلاثة

5 ص 153

6 ص 153 ب

أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلهية على مناجاة الحق، فيما سئل فيه.

فأجابه الحق سبحانه. فغلقت الموازين، ونشرت الصحف، ونصب الصراط، وبُدئ بالشفاعة. فأول ما شفعت الملائكة، ثم النبيون، ثم المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين. وهنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه؛ فإنه مقام عظيم. غير أن الحق يتجلى في ذلك اليوم فيقول: "لتتبع كل أمة ما كانت تعبد"، حتى تبقى هذه الأمة، وفيها منافقوها. فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور¹ التي كان تجلى لهم فيها قبل ذلك، فيقول: «أنا ربكم» فيقولون: «نعوذ بالله منك، هذا نحن منتظرون، حتى يأتينا ربنا» فيقول لهم جلّ وتعالى: «هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها؟» فيقولون: «نعم» فيتحوّل لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة، فيقولون: «أنت ربنا».

فيأمرهم بالسجود، فلا يبقى من كان يسجد لله إلا يسجد. ومن كان يسجد انقاء ورياء، جعل الله ظهره طبقة نحاس، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ... وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾² يعني في الدنيا. والساق التي كشفت لهم؛ عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة. تقول العرب: كشفت الحرب عن ساقها. إذا اشتدّت الحرب وعظم أمرها. وكذلك ﴿الْقَتَبِ السَّاقِ﴾³ بالساق أي دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة.

فإذا وقعت الشفاعة، ولم يبق في النار مؤمن شرعي أصلا، ولا من عمل عملا مشروعا من حيث ما هو مشروع بلسان نبي، ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر، إلا خرج بشفاعة النبيين والمؤمنين. وبقي أهل التوحيد الذين علموا التوحيد بالأدلة العقلية، ولم يشركوا بالله شيئا، ولا آمنوا إيمانا شرعيا، ولم يعملوا خيرا قط، من حيث ما اتبعوا فيه نبيا من الأنبياء، فلم يكن عندهم ذرة من إيمان لما دونها، فيخرجهم أرحم الراحمين، وما عملوا خيرا قط، يعني مشروعا من حيث ما هو مشروع، ولا خير أعظم من الإيمان، وما عملوه.

وهذا حديث عثمان بن عفان في الصحيح لمسلم بن الحجاج قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم» ولم يقل: يؤمن - «أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولا قال: "يقول" بل أفرد العلم. ففي هؤلاء تسبق عناية الله في النار، فإن النار بذاتها لا تقبل تخليد موحد لله، بأي وجه كان. وأتمّ وجوه الإيمان عن علم، فجمع

1 ق: الصورة ويبدو أثر مسح للتاء المربوطة.

2 القلم: 43-42

3 ص 154

4 القيامة: 29

فإن قلت: فإن إبليس يعلم أن الله واحد. قلنا: صدقت، ولكنه أول من سَنَّ الشرك. فعليه إثم المشركين، وإثمهم أنهم لا يخرجون من النار. هذا إذا ثبت أنه مات موحدًا، وما يدريك لعله مات مشركًا، لشبهة¹ طرأت عليه في نظره. وقد تقدّم الكلام على هذه المسألة، فيما مضى. من الأبواب. فإبليس ليس بخارج من النار، فאלله يعلم أي ذلك كان.

وهنا علوم كثيرة، وفيها طول يخرجنا، عن المقصود من الاختصار، إيرادها. ولكن مع هذا، فلا بد أن أذكر نبذة من كل موطن مشهور من مواطن القيامة: كالعرض، وأخذ الكتب، والموازن، والصراط، والأعراف، وذبح الموت، والمأذبة التي تكون في ميدان الجنة. فهذه سبعة مواطن لا غير، وهي أمهات للسبعة الأبواب التي للنار، والسبعة الأبواب التي للجنة. فإن الباب الثامن هو لجنّة الرؤية، وهو الباب المغلق الذي في النار، وهو باب الحجاب فلا يفتح أبداً، فإن أهل النار محجوبون عن ربهم.

الأول؛ وهو العرض:

اعلم أنه قد ورد في الخبر «أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿فَتُسْوَفُ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾² فقال: ذلك العرض يا عائشة؛ من نوقش الحساب عُدب» وهو مثل عرض الجيش، أعني عرض الأعمال: لأنها زكّ أهل الموقف، والله الملك: فيعرف المجرمون بسماهم، كما يعرف الأجناد هنا بزعمهم.

الثاني؛ الكتب:

قال تعالى: ﴿اتْرَافُ كِتَابُكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾³ وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِتَيْبَةٍ﴾⁴ وهو المؤمن السعيد ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالَةٍ﴾⁵ وهو المنافق. فإن الكافر لا كتاب له. فالمنافق سلب عنه "الإيمان"، وما أخذ منه "الإسلام" فقليل في المنافق: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾⁶ فيدخل فيه المعطل والمشرك والمتكبر على الله، ولم يتعرض للإسلام. فإن المنافق يتقاد ظاهراً ليحفظ ماله وأهله ودمه، ويكون في باطنه واحداً من هؤلاء الثلاثة.

1 ص 154 ب

2 [الإنشاق: 8]

3 ق: رنق وصححت في الهامش "رثك" مع لفظ: بيان. وهي كلمة ليست عربية ومعناها العلامة أو الرمز، شبيهة بالرأية.

4 [الإسراء: 14]

5 [الإنشاق: 7]

6 [الحاقة: 25]

7 ص 155

8 [الحاقة: 33]

وإنما قلنا: "إن هذه الآية تعم الثلاثة" فإن قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ معناه لا يصدق بالله، والذين لا يصدقون بالله هم طائفتان: طائفة لا تصدق بوجود الله؛ وهم المعطلة. وطائفة لا تصدق بتوحيد الله؛ وهم المشركون. وقوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ في هذه الآية؛ يدخل فيها المتكبر على الله: فإنه لو اعتقد عظمة الله، التي يستحقها من تسمى بالله، لم يتكبر عليه. وهؤلاء الثلاثة مع هذا المنافق الذي تميز عنهم بخصوص وصف؛ هم أهل النار، الذين هم أهلها.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾¹ فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا. فإذا كان يوم القيامة: قيل له: "خذه من وراء ظهرك". أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا²، فهو كتابهم المنزل عليهم، لا كتاب الأعمال. فإنه حين نبذه وراء ظهره ﴿ظُنُّوا أَن لَّنْ يَحْجُوزَ﴾³ أي يتقن، قال الشاعر⁴:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِاللَّغْيِ مُدْجَج

أي تيقنوا. ورد في الصحيح، يقول⁵ الله له يوم القيامة: «أظننت أنك ملاقي؟» وقال تعالى: ﴿وَذَبَّكَ ظَنُّكَ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ أَنزِلَكُمْ﴾⁶

الثالث: الموازن:

فوضع الموازن لوزن الأعمال، فيجعل فيها الكتب بما عملوا. وآخر ما يوضع في الميزان، قول الإنسان: "الحمد لله". ولهذا قال ﷺ: «الحمد لله تملأ الميزان» فإنه يلقى في الميزان جميع أعمال العباد من الخير⁷، إلا كلمة "لا إله إلا الله" فيبقى من بخلته تحميدة، فتجعل، فيمتلئ بها. فإن كفة ميزان كل أحد (هي) بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان، وكل ذكر وعمل يدخل الميزان، إلا "لا إله إلا الله" كما قلنا. وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده، فيجعل هذا الخير في موازنه. ولا يقابل "لا إله إلا الله" إلا الشرك، ولا يجمع توحيد وشرك في ميزان أحد. لأنه إن قال: "لا إله إلا الله" معتقدا لها فما أشرك، وإن أشرك فما

1 [الإنشاق: 10]

2 "في حياتك الدنيا" فاجبة في هامش ق بخط آخر مع إشارة الصواب.

3 [الإنشاق: 14]

4 الشاعر هو دريد بن الصقة: (؟ - 8 هـ / ؟ - 629 م) من هوازن. شجاع من الأبطال الشعراء المصنفين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وفادهم، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، أدرك الإسلام ولم يمسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين. وقد أصبحت هوازن معها تيمنا به وهو أعمى. والبيت هو:

فقلت لم ظنوا بالغي مدجج
سراهم في الفارسي المسرد

وهو من قصيدة يرثي فيها أخاه عبد الله، مطلعها:

أرث جديد الجبل من أم معبد
بعاقبة وأخلفت كل موعد (الموسوعة الشعرية)

5 ص 155ب

6 [أصل: 23]

7 "من الخير" فاجبة في الهامش.

اعتقد "لا إله إلا الله". فلما لم يصحّ الجمع بينهما، لم يكن لكلمة "لا إله إلا الله" من يعادلها في الكفة الأخرى، ولا يرجحها شيء. فلهذا لا تدخل الميزان.

وأما المشركون ﴿فَلَا تَقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾¹، أي لا قدر لهم، ولا يوزن لهم عمل. ولا من هو من أمثالهم: ممن كذب بقاء الله، وكفر بآياته. فإن أعمال خير المشرك محبوبة، فلا يكون لشرهم ما يوازنه ﴿فَلَا تَقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

وأما صاحب السجلات، فإنه شخص لم يعمل خيرا قط، إلا أنه تلفظ يوما بكلمة "لا إله إلا الله" مخلصا، فتوضع له في مقابلة التسعة والتسعين سجلا من أعمال الشر؛ كل سجل منها كما بين المغرب والمشرق. وذلك لأنه ما له عمل خير غيرها. فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات؛ فيتعجب من ذلك. ولا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح، شرها وخيرها: السمع، والبصر، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل. وأما الأعمال الباطنة³ فلا تدخل الميزان المحسوس. لكن يقام فيها العدل، وهو الميزان الحكيم المعنوي؛ فمحسوس لمحسوس، ومعنى لمعنى، يقابل كل شيء بمثله. فلهذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة.

الرابع؛ الصراط:

وهو الصراط المشروع الذي كان هنا معنى، يُنصب هنالك حسا محسوسا، يقول الله لنا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾⁴ ولما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية خط خطا خطأ، وخط عن جنبتيه خطوطا هكذا:



وهذا هو صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه. قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله⁵، فإذا قالوها غصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» أراد بقوله: بقوله: «وحسابهم على الله» أنه لا يعلم أنهم قالوها معتقدين لها إلا الله.

فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد، وله قدم على صراط الوجود. والمعطل لا قدم له على صراط

1 [الكهف: 105]

2 ص 156

3 ثابتة في النسخ علم الأصل.

4 [الأعام: 153]

5 ص 156 ب

الوجود. فالمشرك ما وحَّد الله هنا. فهو من الموقف إلى النار مع المعطلة. ومن هو من أهل النار الذين هم أهلها إلا المنافقين، فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة وما فيها من النعيم، فيطمعون. فذلك نصيبهم من نعيم الجنان. ثم يُصرفون إلى النار، وهذا من عدل الله فقولوا بأعمالهم.

والطائفة التي لا تغلخ في النار، إنما تُمسك وتُعذب على الصراط، والصراط على متن جحيم؛ غائب فيها. والكلايب التي فيه بها يمسكهم الله عليه. ولما كان الصراط في النار، وما تم طريق إلى الجنة إلا عليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا زَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾¹ ومن عرف معنى هذا القول، عرف مكان جحيم ما هو، ولو قاله النبي ﷺ لَمَا سئل عنه، لقلته. فما سكت عنه، وقال في الجواب: «في علم الله» إلا بأمر إلهي؛ فإنه ﴿مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾² وما هو من أمور الدنيا؛ فسكوتنا عنه هو³ الأدب.

وقد أتى في صفة الصراط، أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وكذا هو علم الشريعة في الدنيا، لا يعلم وجه الحق في المسألة عند الله، ولا من هو المصيب من المجتهدين بعينه. ولذلك تُبَدِّلنا بقلبات الظنون، بعد بذل الجهود في طلب الدليل، لا في المتواتر ولا في خبر الواحد الصحيح المعلوم. فإن المتواتر، وإن أفاد العلم، فإن العلم المستفاد من التواتر إنما هو عين هذا اللفظ، أو العلم أن رسول الله ﷺ قاله، أو عُمل. ومطلوبنا بالعلم؛ ما يفهم من ذلك القول والعمل، حتى نحكم في المسألة على القطع. وهذا لا يوصل إليه إلا بالنص الصريح المتواتر. وهذا لا يوجد إلا نادراً، مثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾⁴ في كونها عشرة خاصة. فحكمها بالشرع أحد من السيف وأدق من الشعر في الدنيا. فالمصيب للحكم واحد لا بعينه، والكل مصيب للأجر.

فالشرع هنا، هو الصراط المستقيم. ولا يزال (العبد) في كل ركعة من الصلاة يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁵. فهو أحد من السيف وأدق من الشعر. فظهوره في الآخرة محسوس، أتيقن وأوضح من ظهوره في الدنيا، إلا لمن دعا إلى الله على بصيرة، كالرسول وأتباعه؛ فالحقهم الله بدرجات⁶ الأنبياء في الدعاء إلى الله على بصيرة، أي على علم وكشف. وقد ورد في خبر: «أن الصراط يظهر يوم القيامة منه للأبصار على قدر نور المازن عليه». فيكون دقيقاً في حق قوم، وعريضاً في حق آخرين. يصدق هذا الخبر قوله تعالى:

1 [مريم : 71]

2 [النجم : 3]

3 ص 157

4 [البقرة : 196]

5 [الفاتحة : 6]

6 ص 157 ب

: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾¹ والسعي مشيٌّ، وما ثمَّ طريقٌ إلَّا الصراط. وإنما قال: ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ لأنَّ المؤمن في الآخرة لا شمال له، كما أنَّ أهل النار لا يمين لهم. هذا بعض أحوال ما يكون على الصراط.

وأما الكلابيب والخطاطيف والحسك كما ذكرنا، هي من صور أعمال بني آدم، تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط. فلا ينتهضون إلى الجنة ولا يقعون في النار، حتى تدركهم الشفاعة والعناية الإلهية، كما قررنا. فمن تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك، ومن أنظر معسراً أنظره الله، ومن عفا عفا الله عنه، ومن استقصى حقه هنا من عباده استقصى الله حقه منه هناك، ومن شدد على هذه الأمة شدد الله عليه، «وإنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم» فالتزموا مكارم الأخلاق، فإنَّ الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده؛ كان ما كان وكانوا ما كانوا.

الخامس: الأعراف:

وأما الأعراف فسورٌّ بين الجنة والنار، ﴿بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهو ما يلي الجنة منه ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾² وهو ما يلي النار منه، يكون عليه³ من تساوت كفتا ميزانه. فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة، وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد البارين. فإذا دُعوا إلى السجود، وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف، فيسجدون. فيرجح ميزان حسناتهم، فيدخلون الجنة. وقد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات، وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات، ويرون رحمة الله فيطمعون. وسبب طمعهم أيضاً، أنهم من أهل "لا إله إلا الله" ولا يرونها في ميزانهم. ويعلمون أنَّ الله ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾⁴. ولو جاءت ذرة لإحدى الكتفين لرحمت بها؛ لأنها في غاية الاعتدال. فيطمعون في كرم الله وعدله. وأنه لا بد أن يكون لكلمة "لا إله إلا الله" عنايةً بصاحبها، يظهر لها أثر عليهم.

يقول ﷺ فيهم: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجُلٌ يَفْرِقُونَ كُلًّا بِسِمَاتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾⁵ كما نادوا أيضاً ﴿إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁶ والظلم هنا (هو) الشرك لا غير.

السادس: دُح الموت:

الموت وإن كان نسبة، فإنَّ الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح، وينادى: يا أهل الجنة؛

1 [التحریم : 8]

2 [الحديد : 13]

3 ص 158

4 [النساء : 40]

5 [الأعراف : 46]

6 [الأعراف : 47]

فيشترتوتون. وينادي: يا أهل النار؛ فيشترتوتون. وليس في النار في ذلك الوقت إلا أهلها، الذين هم أهلها. يقال للفريقين: أتعرفون هذا؟ وهو بين الجنة والنار. فيقولون: هو الموت. ويأتي¹ يحيى عليه السلام ويده الشفرة، فيضجعه ويذبحه، وينادي مناد: يا أهل الجنة؛ خلوداً فلا موت، ويا أهل النار؛ خلوداً فلا موت، وذلك هو يوم الحسرة.

فأما أهل الجنة إذا رأوا الموت، سرُّوا برؤيته سروراً عظيماً، ويقولون له: بارك الله لنا فيك، لقد خلصتنا من نكد الدنيا، وكنت خيرَ وارد علينا، وخيرَ تحفة أهداها الحقُّ إلينا. فإنَّ النبي ﷺ يقول: «الموت تحفة المؤمن». وأما أهل النار، إذا أبحرهم يفترون منه، ويقولون له: لقد كنت شرَّ وارد علينا، خلَّت بيننا وبين ما كنا فيه من الخير والدعة. ثم يقولون له: عسى (أن) نتميتنا فنستريح مما نحن فيه.

وإنما سمي (ذبح الموت) يوم الحسرة، لأنَّه حسر للجميع، أي ظهر عن صفة الخلود الدائم للطاقتين. ثم تُغلق أبواب النار غلقاً لا تفتح بعده، وتنطبق النارُ على أهلها، ويدخل بعضها في بعض، ليضمَّضوا أضغاثُ أهلها فيها، ويرجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها، ويَرى الناسُ والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر، إذا كان تحتها النار العظيمة، تغلي كغلي الحميم، فتدور من فيها علواً وسفلاً ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾² بتبديل الجلود.

السابع: المأدبة:

وهي مأدبة الملك لأهل الجنة. وفي ذلك الوقت يجتمع أهل النار في³ مَنْدَبَةٍ. فأهل الجنة في المآدب، وأهل النار في المنادب. وطعامهم في تلك المأدبة "زيادة كبد النون". وأرض الميدان دَرَمَكَةٌ⁴ بيضاء مثل القرصة. ويُخْرَج من الثور الطحال لأهل النار. فيأكل أهل الجنة من زيادة كبد النون، وهو حيوان بحري مائي، فهو من عنصر الحياة المناسبة للجنة. والكبدُ بيتُ الدم، وهو بيت الحياة، والحياة حارة رطبة، وبخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن؛ فهو بشارة لأهل الجنة ببقاء الحياة عليهم.

وأما الطحال في جسم الحيوان، فهو بيت الأوساخ؛ فإنَّ فيه تجمع أوساخ البدن، وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد، فيعطى لأهل النار يأكلونه. وهو من الثور، والثور حيوان ترابي، طبعه البرد واليبس.

1 ص 158 ب

2 [الإسراء : 97]

3 ص 159

4 في الحديث: "تراب الجنة دَرَمَكَةٌ بيضاء مثلك". والدرَمَكَةُ: الذي ينزرك حتى يكون دقاقاً من كل شيء. الدقيق، والكحل، وغيرها. وكذلك: التراب الدقيق: دَرَمَكٌ. [تهذيب اللغة]

وجتمت على صورة الجاموس. والطحال من الثور لفداء أهل النار أشد مناسبة فيما في الطحال من الدمية لا يموت أهل النار، وما فيه من أوساخ البدن، ومن الدم الفاسد المولم لا يحيون ولا ينعمون، فيورثهم آكله سقما ومرضا. ثم يدخل أهل الجنة الجنة، فما هم منها بمخرجين. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَدِي السَّبِيلَ﴾¹.

انتهى السفر الرابع باتهاء الجزء، يتلوه² الجزء الثلاثون، والحمد لله رب العالمين.³

1 [الأحزاب : 4]

3 ص 159 ب

3 مكتوب وسط الصفحة: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الشيخ الإمام العالم العامل محيي الدين شيخ الطائفة أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي قراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: أبنا المصنف أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد، وأبو طاهر إسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخيه يوسف بن درباس بن يوسف الحميدي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الإربلي، ونصر الله بن أبي العز بن الصغار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وموسى بن زيد بن جابر، ومحمد بن يوسف البرزالي، ويعقوب بن معاذ الوري، ومحمد بن يرقش المعظمي، ومحمد بن صديق الازهري، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد التكريتي، وبركة بن حسن بن مالك الهلالي، وعلي بن عبد العزيز بن تميم الحميري، وعيسى بن إسحاق الهنباري، ويونس بن عثمان الدمشقي، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن محمد بن سليمان الحريري، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وعلي بن أحمد بن علي، وإبراهيم بن محمد القزلباشي، وعبد الله بن محمد اللخمي الأندلسي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وأحمد بن موسى التركماني، ومحمد بن أحمد بن زرافة، ومحمد بن علي الخلال، وأبو زكريا بن إسماعيل الخلال، وأحمد بن أبي النجاة الدمشقي، وحسين بن محمد الموصلي، وأحمد بن أبي طالب الدمشقي، وإبراهيم بن علي بن أحمد السنجاري، وإبراهيم بن أبي بكر الخلال، ومحمد بن محمد بن جمعة البلخي، وإبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وهذا خطه في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وصحافة بمنزل المصنف بدمشق حرست".

بنيه: "قرأت وأنا محمود بن عبيد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا الجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة الحق المدقق محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي في مجالس آخرها يوم الأحد ثاني شوال سنة ست وثلاثين وصحافة بمدينة السلام دمشق في منزله وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين".

وبقي ذلك بخط الشيخ الأكبر: "سمعت القراءة والسباع كما ذكر لمن ذكر علي. وكتب منشي محمد بن علي بن محمد بن العربي بخطه وتاريخه".

بنيه بخط الشيخ كذلك: "قرأت علي البنت أم دلال بنت شيخنا الزكي أحمد بن مسعود بن شقاد المقرئ الموصلية هذه الجملة. وكتب منشيها محمد بن علي بن محمد بن العربي بخطه، وأذنت لها أن تحدث بما عني، وذلك في العشرين من محرم سنة ست وثلاثين وصحافة". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1746

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
132ب	4	1	الفاتحة	62	245	2	البقرة
75ب	5	1	الفاتحة	117	255	2	البقرة
77ب	5	1	الفاتحة	114	261	2	البقرة
157	6	1	الفاتحة	130	261	2	البقرة
100	20	2	البقرة	128ب	268	2	البقرة
120ب	24	2	البقرة	84ب	269	2	البقرة
21	30	2	البقرة	38	281	2	البقرة
53ب	31	2	البقرة	35ب	282	2	البقرة
54ب	67	2	البقرة	77ب	286	2	البقرة
75ب	87	2	البقرة	3ب	22 ، 21	2	البقرة
125	105	2	البقرة	66ب	5	3	آل عمران
130	105	2	البقرة	45ب	6	3	آل عمران
131	105	2	البقرة	52ب	6	3	آل عمران
137	115	2	البقرة	106	6	3	آل عمران
53	167	2	البقرة	135	6	3	آل عمران
40ب	175	2	البقرة	128ب	11	3	آل عمران
43	183	2	البقرة	30	21	3	آل عمران
157	196	2	البقرة	67ب	28	3	آل عمران
152	210	2	البقرة	84ب	48	3	آل عمران
38	245	2	البقرة	77ب	49	3	آل عمران

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
54ب	80	4	النساء
54ب	80	4	النساء
98ب	80	4	النساء
84ب	113	4	النساء
91ب	136	4	النساء
91ب	136	4	النساء
121ب	145	4	النساء
43ب	164	4	النساء
38	18	5	المائدة
56ب	48	5	المائدة
70ب	67	5	المائدة
89ب	77	5	المائدة
3ب	105	5	المائدة
4	105	5	المائدة
4	105	5	المائدة
77ب	110	5	المائدة
55ب	18	6	الأنعام
35ب	35	6	الأنعام
77ب	38	6	الأنعام
13ب	83	6	الأنعام
14	83	6	الأنعام

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
131ب	90	3	آل عمران
62	97	3	آل عمران
107	97	3	آل عمران
117	97	3	آل عمران
3ب	102	3	آل عمران
131	133	3	آل عمران
149ب	185	3	آل عمران
36	40	4	النساء
158	40	4	النساء
39	48	4	النساء
132	56	4	النساء
54ب	59	4	النساء
54ب	59	4	النساء
55	59	4	النساء
55	59	4	النساء
5	69	4	النساء
98	78	4	النساء
98	78	4	النساء
98	78	4	النساء
18ب	79	4	النساء
98	79	4	النساء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
66	49	9	التوبة
66	58	9	التوبة
40ب	111	9	التوبة
65ب	111	9	التوبة
86	122	9	التوبة
17ب	128	9	التوبة
116ب	5	10	يونس
46ب	7	11	هود
29ب	17	11	هود
65ب	41	11	هود
55ب	56	11	هود
63	56	11	هود
95	107	11	هود
38	123	11	هود
98ب	53	12	يوسف
44	75	12	يوسف
30	108	12	يوسف
48ب	2	13	الرعد
117	2	13	الرعد
4ب	24	13	الرعد
118	33	13	الرعد

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
70	90	6	الأنعام
90ب	93	6	الأنعام
95ب	103	6	الأنعام
135ب	103	6	الأنعام
88ب	112	6	الأنعام
156	153	6	الأنعام
26	12	7	الأعراف
150ب	29	7	الأعراف
158	46	7	الأعراف
158	47	7	الأعراف
24ب	143	7	الأعراف
13ب	151	7	الأعراف
94	155	7	الأعراف
121	156	7	الأعراف
63	172	7	الأعراف
122ب	182	7	الأعراف
122ب	204	7	الأعراف
24	198،	7	الأعراف
	199		
45ب	29	8	الأنفال
122ب	6	9	التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
76	29	15	الحجر	36	85	17	الإسراء
136ب	29	15	الحجر	158ب	97	17	الإسراء
123	44	15	الحجر	142ب	108	17	الإسراء
129	44	15	الحجر	59ب	110	17	الإسراء
66ب	99	15	الحجر	128	64-62	17	الإسراء
130ب	9	16	النحل	27ب	30	18	الكهف
47ب	40	16	النحل	14ب	60	18	الكهف
57	40	16	النحل	34ب	65	18	الكهف
55ب	50	16	النحل	84ب	65	18	الكهف
100ب	68	16	النحل	18ب	79	18	الكهف
84ب	78	16	النحل	18ب	82	18	الكهف
131ب	88	16	النحل	85ب	104	18	الكهف
132	88	16	النحل	155ب	105	18	الكهف
125	116	16	النحل	76	9	19	مريم
78ب	1	17	الإسراء	130ب	63	19	مريم
120	8	17	الإسراء	156ب	71	19	مريم
154ب	14	17	الإسراء	59ب	85	19	مريم
97	20	17	الإسراء	64	85	19	مريم
99	20	17	الإسراء	66	5	20	طه
22	44	17	الإسراء	66	8	20	طه
34	85	17	الإسراء	33ب	14	20	طه

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
13ب	63	21	الأنبياء
14	63	21	الأنبياء
136ب	91	21	الأنبياء
120ب	98	21	الأنبياء
143	103	21	الأنبياء
142	104	21	الأنبياء
150ب	104	21	الأنبياء
115	19، 20	21	الأنبياء
14ب	65-64	21	الأنبياء
3	1	22	الحج
5	2	22	الحج
23ب	2	22	الحج
22	18	22	الحج
13ب	14	23	المؤمنون
93ب	61	23	المؤمنون
136	101	23	المؤمنون
143ب	37، 38	24	النور
59ب	63	25	الفرقان
39	68-70	25	الفرقان
18ب	80	26	الشعراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
37	46	20	طه
102ب	50	20	طه
137ب	50	20	طه
106	74	20	طه
106	74	20	طه
114ب	74	20	طه
120	81	20	طه
142	107	20	طه
152ب	108	20	طه
122ب	114	20	طه
62ب	121	20	طه
63ب	121	20	طه
63	20	21	الأنبياء
52	22	21	الأنبياء
112ب	30	21	الأنبياء
113	30	21	الأنبياء
57ب	33	21	الأنبياء
129ب	33	21	الأنبياء
114	47	21	الأنبياء
13ب	60	21	الأنبياء
13ب	63	21	الأنبياء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
122	98، 99	26	الشعراء	9	4	33	الأحزاب
120ب	94، 95	26	الشعراء	16	4	33	الأحزاب
121ب	96، 97	26	الشعراء	22ب	4	33	الأحزاب
98	47	27	النمل	28	4	33	الأحزاب
122ب	50	27	النمل	33ب	4	33	الأحزاب
128ب	38	28	القصص	37	4	33	الأحزاب
131ب	12	29	العنكبوت	49ب	4	33	الأحزاب
131ب	13	29	العنكبوت	59	4	33	الأحزاب
42	45	29	العنكبوت	66ب	4	33	الأحزاب
108	4	30	الروم	71	4	33	الأحزاب
85ب	7	30	الروم	74ب	4	33	الأحزاب
151	27	30	الروم	79	4	33	الأحزاب
10	54	30	الروم	82	4	33	الأحزاب
10	54	30	الروم	88	4	33	الأحزاب
13	54	30	الروم	93ب	4	33	الأحزاب
75ب	54	30	الروم	96ب	4	33	الأحزاب
38	22	31	لقمان	100ب	4	33	الأحزاب
3ب	33	31	لقمان	106ب	4	33	الأحزاب
108ب	5	32	السجدة	109ب	4	33	الأحزاب
117	5	32	السجدة	119	4	33	الأحزاب
143ب	16	32	السجدة	127ب	4	33	الأحزاب

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
133	4	33	الأحزاب	138			
140	4	33	الأحزاب	128ب	5	38	ص
159	4	33	الأحزاب	54	26	38	ص
70	21	33	الأحزاب	12ب	27	38	ص
144	23	33	الأحزاب	121ب	64	38	ص
144	24	33	الأحزاب	26	85	38	ص
5	35	33	الأحزاب	13ب	3	39	الزمر
108	40	33	الأحزاب	20	3	39	الزمر
29ب	46 ، 45	33	الأحزاب	128ب	3	39	الزمر
78ب	46	33	الأحزاب	95	47	39	الزمر
3ب	70	33	الأحزاب	39	53	39	الزمر
116ب	39	36	يس	126	56	39	الزمر
151ب	52	36	يس	64	67	39	الزمر
122	59	36	يس	151ب	68	39	الزمر
128ب	59	36	يس	131	12	40	غافر
14ب	95	37	الصافات	123ب	46	40	غافر
144ب	95	37	الصافات	124	57	40	غافر
45	164	37	الصافات	142	33 ، 32	40	غافر
118ب	164	37	الصافات	63ب	11	41	فصلت
71	182	37	الصافات	116ب	12	41	فصلت
9	137 ،	37	الصافات	119	12	41	فصلت

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
155ب	23	41	فصلت	42ب	19	47	محمد
39	42	41	فصلت	67ب	19	47	محمد
83ب	42	41	فصلت	96	19	47	محمد
85	42	41	فصلت	122	2	49	الحجرات
85ب	42	41	فصلت	122ب	2	49	الحجرات
3ب	53	41	فصلت	58	15	50	ق
84	53	41	فصلت	55ب	16	50	ق
118	54	41	فصلت	129ب	18	50	ق
43	11	42	الشورى	121	30	50	ق
55	11	42	الشورى	131	30	50	ق
55ب	11	42	الشورى	104	37	50	ق
67ب	11	42	الشورى	3ب	21	51	الذاريات
104ب	11	42	الشورى	62	56	51	الذاريات
104ب	11	42	الشورى	10	58	51	الذاريات
137ب	11	42	الشورى	13	58	51	الذاريات
43ب	51	42	الشورى	98ب	3	53	النجم
64	32	43	الزخرف	156ب	3	53	النجم
106	75	43	الزخرف	37	14	54	القمر
22	29	44	الدخان	118	53	54	القمر
117	13	45	الجاثية	34ب	2	55	الرحمن
53ب	9	46	الأحقاف	26	15	55	الرحمن

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
56ب	29	55	الرحمن	65	24	59	الحشر
109	29	55	الرحمن	92ب	1	63	المنافقون
117	29	55	الرحمن	118	12	65	الطلاق
56ب	31	55	الرحمن	119	12	65	الطلاق
4ب	54	55	الرحمن	124ب	12	65	الطلاق
84ب	3، 4	55	الرحمن	62ب	6	66	التحريم
133ب	19، 20	55	الرحمن	157ب	8	66	التحريم
75ب	62	56	الواقعة	153ب	42-43	68	القلم
150ب	62	56	الواقعة	142	16	69	الحاقة
55ب	85	56	الواقعة	154ب	25	69	الحاقة
4ب	42 - 44	56	الواقعة	155	33	69	الحاقة
7ب	4	57	الحديد	108ب	4	70	المعارج
30ب	4	57	الحديد	42ب	19	70	المعارج
55ب	4	57	الحديد	132ب	17، 18	70	المعارج
157ب	13	57	الحديد	42ب	20، 21	70	المعارج
86ب	7	58	المجادلة	57	17	71	نوح
54ب	7	59	الحشر	152ب	27	71	نوح
42ب	9	59	الحشر	4	7	73	الزمل
64ب	22	59	الحشر	132ب	42 - 46	74	المدثر
64ب	22	59	الحشر	154	29	75	القيامة
64ب	23	59	الحشر	75ب	1	76	الإنسان

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
128	23	78	النبا	155	14	84	الإنشاق
128ب	24	79	النازعات	148	14	89	الفجر
5	37 - 34	80	عبس	59ب	22	89	الفجر
124	6	81	التكوير	141ب	22	89	الفجر
3ب	6	82	الإنطار	85	7	91	الشمس
143ب	6	82	الإنطار	85	8	91	الشمس
97ب	7	82	الإنطار	98	8	91	الشمس
129ب	11	82	الإنطار	97	8 ، 7	91	الشمس
141ب	6	83	المطففين	65ب	1	96	العلق
127	24	83	المطففين	37	14	96	العلق
4ب	25	83	المطففين	41ب	19	96	العلق
4ب	27	83	المطففين	55ب	19	96	العلق
132ب	12 ، 11	83	المطففين	84ب	5 - 1	96	العلق
132ب	17 ، 16	83	المطففين	4ب	5 - 3	101	القارعة
142	3	84	الإنشاق	4ب	9	104	الهمزة
154ب	7	84	الإنشاق	4ب	8 - 5	104	الهمزة
154ب	8	84	الإنشاق	107ب	4 - 1	112	الإخلاص
155	10	84	الإنشاق				

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
أندري ما يقول هذا الطائر في نقره في الماء؟ قال موسى - عليه السلام - لا أدري. قال: يا موسى؛ يقول هذا الطائر: ما نقص علي وعلمك من علم الله، إلا ما نقص من هذا البحر منقاري	صحيح البخاري 3149، صحيح ابن حبان 6326	34
آدم فمن دونه تحت لوائي	مسند أحمد 2415، مسند أبي يعلى الموصلي 2274	14ب
أرأيت ربك؟ فقال صلى الله عليه وسلم:- نور أنى أراه	صحيح مسلم 261، سنن الترمذي 3204	43
استفت قلبك	مسند أحمد 17320، سنن الدارمي 2588	71ب
استفت قلبك وإن أفتاك المفتون	مسند أحمد 17320، سنن الدارمي 2588	19ب
أصبت بعضا وأخطأت بعضا	صحيح البخاري 6524، صحيح مسلم 4214	139ب
أظننت أنك ملاقي	صحيح مسلم 5270، شعب الإيمان للبيهقي 264	155ب
اعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	133ب، 137
إعرف ربك		101ب
الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى	صحيح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	42ب
أقرب ما يكون العبد من الله في سجوده	المستدرک على الصحيحين للحاكم 924، صحيح مسلم 744	55ب
أكل بعضي بعضا	صحيح البخاري 504، صحيح مسلم 977	121

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
أَمَّا أَهْل النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَبَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ	صحيح مسلم 271، سنن 106ب، ابن ماجه 4299	114ب
أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا	صحيح البخاري 24، وصحيح عصموا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابِهِمْ	156ب
عَلَى اللَّهِ		
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَا وَرَّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ	سنن أبي داود 3157، سنن 29 الترمذي 2605	
إِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ	سنن ابن ماجه 4240، المعجم الكبير للطبراني	39
	10128	
إِنَّ السَّمَاءَ تَمْطُرُ مَطَرًا شَبَّهَ الْمُنْبِيَّ، تَمْخُضُ بِهِ الْأَرْضُ، فَتَنْشَأُ		150ب
مِنْهُ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ		
أَنَّ الشَّيْطَانَ يَلْمِزُ بِهِ		139ب
أَنَّ الصِّرَاطَ يَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَبْصَارِ عَلَى قَدَرِ نُورِ		157ب
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ		
إِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَقْلِبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ	سنن ابن ماجه 3824، مسند أحمد 6321	104
إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ	صحيح مسلم 612، مسند 90ب أحمد 18834	
إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأْ	صحيح البخاري 6856، صحيح مسلم 4851	41
ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُ		
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ عَنْ قَوْلِهِ -	صحيح البخاري 100، صحيح مسلم 5122	154ب
تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَحْشَبُ جَنَابًا يُسِيرُ﴾ فَقَالَ: ذَلِكَ الْعَرَضُ		
يَا عَائِشَةُ؛ مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ		
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَاعِدًا مَعَ أَصْحَابِهِ	مصنف ابن أبي شيبة - (8) 121 32 (96)	
فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعُوا هَذِهِ عَظِيمَةً، فَارْتَاعُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ		
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَعْرِفُونَ مَا هَذِهِ الْهَذَّةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ		

- ورسوله أعلم. قال: حَجَّرَ أَلْتِي مِنْ أَعْلَى جَهَنَّمَ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، الْآنَ وَصَلَ إِلَى قَعْرِهَا، فَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى قَعْرِهَا وَسُقُوطُهُ فِيهَا هَذِهِ الْهَذَّةُ
- 145 إِنَّ فِي الْقِيَامَةِ لِمُحْسِنِينَ مُوقِفًا، كُلَّ مُوقِفٍ مِنْهَا أَلْفُ سَنَةٍ. فَأَوَّلُ مُوقِفٍ إِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَقُومُونَ عَلَى أَبْوَابِ قُبُورِهِمْ أَلْفُ سَنَةٍ عَرَاءَ حِفَاةٍ جِيعًا عَطَاشًا. فَمَنْ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ، مُؤْمِنًا بِنَبِيِّهِ، مُؤْمِنًا بِحُجَّتِهِ وَنَارِهِ، مُؤْمِنًا بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ، مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، مُصَدِّقًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؛ نَجَا وَفَازَ وَغَنِمَ وَسَعَدَ.
- 97ب سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ 2914،
المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ
لِلْحَاكِمِ 6056
- 43 إِنَّ اللَّهَ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ.. أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا
- المعجم الكبير للطبراني
5670، مسند أبي يعلى
الموصلى 7359
- 117ب إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
- سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ 1162،
مُسْنَدُ أَحْمَدَ 25104
- 39ب أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي
- شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْمِصْبَاحِيِّ 699
- 153 أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ
- صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ 4343،
صَحِيحُ مُسْلِمَ 287
- 94 أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي فَلْيُظَنَّ بِي خَيْرًا
- مُسْنَدُ أَحْمَدَ 15442،
المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ
لِلْحَاكِمِ 7711
- 60 إِنَّا قَدْ أَمَرْنَاهُ بِأَمْرٍ؛ فَقُلَّ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: انْهَضْ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ. وَاصْحَبْهُ أَنْتَ، فَإِنَّكَ تَنْتَفِعُ بِصَحْبَتِهِ. وَقُلَّ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: امْتَدِحِ الْأَنْصَارَ، وَلْتَمَيَّنْ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ

عبادة، ولا بدّ

إنه حديث عهد بربه

87 صحيح مسلم 1494،
المستدرک على الصحيحين
للحاكم 7876

إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن

59، مسند الشاميين للطبراني
1053، كنز العمال 33951
59ب،
64

40 أول ما يُنظر فيه من عمل العبد، الصلاة. فيقول الله: سنن أبي داود 733،
انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة المستدرک على الصحيحين
كُنِيت له تامة. وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل للحاكم 922
لعبي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أكلوا لعبي
فرضه من تطوعه. ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم
أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه

108 مسند أحمد 15599، سنن
الترمذي 3034

أين من ذهب يخلق كخلقي

77ب صحيح البخاري 5497،
مسند أحمد 7209

بنس الخطيب أنت

98 صحيح مسلم 1438، مسند
أحمد 17536

بيده الميزان يخفض ويرفع

56ب صحيح البخاري 4316،
مشكاة المصابيح 92

120ب جمع فلم تطعمني، وظلمت فلم تسقني، ومرضت فلم تقذني صحيح مسلم 4661، شعب
الإيمان للبيهقي 8879

حجبه النور

43 صحيح مسلم 263، سنن
ابن ماجه 192

الحمد لله تملأ الميزان

155ب صحيح مسلم 328، سنن
الترمذي 3439

خادم القوم سيدهم

15 شعب الإيمان للبيهقي 8173

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
دع ما يريئك إلى ما لا يريبك	سنن الترمذي 2442، سنن النسائي 5302	19ب، 71ب
زدني فيك تحييراً	تفسير حقي - (1 / 352)	69ب
زملوني زملوني	صحيح البخاري 3، صحيح مسلم 231	24ب
سبقت رحمتي غضبي	صحيح البخاري 6998، صحيح مسلم 4940	53
سهل الأمر		87ب
شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين	مسند أحمد 11463، ومصنف عبد الرزاق 20858	94
الصدقة برهان	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	42ب
الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	40ب
العلماء ورثة الأنبياء	سنن أبي داود 3157، سنن الباري 351	29
علمت علم الأولين والآخرين	مسند أحمد 3304، المعجم الكبير للطبراني 16640	36، 54
عليك بالصوم فإنه لا مثل له	سنن النسائي 2190، مصنف عبد الرزاق 7899	43
عند نبي لا ينبغي تنازع	صحيح البخاري 2825، صحيح مسلم 3089	122
فأحمد ربّي بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن	صحيح البخاري 6861، صحيح مسلم 286	54
فإن عدلوا فلکم ولم وإن جاروا فلکم وعليهم		117ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
فني- آدم فنيست ذريته، ومحمد آدم فحدث ذريته، إلا من رحم ربك فعصمه	سنن الترمذي 3002، المستدرک علی الصحیحین للحاكم 3215	63ب
في علم الله		156ب
فيضع الجبار فيها قدمه، فنقول: قطر قطر	مسند أحمد 7393، السنن الكبرى للنسائي 11522	131
فيقول الناس بعضهم لبعض: تعالوا ننطلق إلى أيننا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يرحمنا مما نحن فيه، فقد طال وقوفنا. فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك. فيقول آدم: إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر خطيئته، فيستحي من ربه أن يسأله. فيأتون إلى نوح بمثل ذلك	صحيح البخاري 3092، صحيح مسلم 287	152ب
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعمدي ولعمدي ما سأل. يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	43ب
كالآفة التي دخلتها وليست من أهلها، فأماهم الله فيها إمارة، فلا يحسنون بما هملة النار في أبدانهم	صحيح مسلم 271، سنن ابن ماجه 4299	132
كذب من ادعى محبتي فإذا جئته الليل نام عني. أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه، ها أنا ذا قد تجليت لعبادي: هل من داع فاستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له	المعجم الكبير للطبراني 10602	2ب
كذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك	موطأ مالك 1396، صحيح مسلم 4799	117ب
كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس	صحيح البخاري 1771، صحيح مسلم 1944	43
كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	صحيح البخاري 844، صحيح مسلم 3408	117ب
كنت بصره الذي يبصر به	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	135ب
لا أحد أصبر على أذى من الله	صحيح البخاري 5634، صحيح مسلم 5016	62ب
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	67
لا إله إلا الله لا يَزِنُها شيء	صحيح البخاري 4472، صحيح مسلم 5081	40ب
لكل واحدة منكم ملوؤها	صحيح البخاري 1771، صحيح مسلم 1944	131
للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه	مسند أحمد 11805، تفسير ابن أبي حاتم 12936	43ب
لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ وَجَعَلَتْ تَمِيدٌ... يَا رَبِّ؛ فَهَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ الْمُؤْمِنُ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ مَا تَعْرِفُ بِذَلِكَ شِمَالَهُ	صحيح البخاري 391، صحيح مسلم 852	10
الله في قبلة المصلّي	مسند أحمد 3528، المستدرک علی الصحیحین للحاکم 1830	137
اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم غيبك	مسند أحمد 14104، مسند أبي يعلى الموصلي 2081	53ب
اللهم زدني فيك تحيّرًا	صحيح البخاري 1209	67
لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني	صحيح البخاري 1209	15
ليس كذب علي ككذب علي أحد؛ إنه من كذب علي		90

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
متعمدا فليقتبوا مقعده من النار	صحيح مسلم 5	
ما ترددت في شيء أنا فاعله	صحيح البخاري 6021، 48ب مسند أحمد 24997	
ما كان الله لينهاكم عن الربا يأخذه منكم	سنن الدارقطني 1461، 95	
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي	الزهدي لأحمد بن حنبل 429، 55ب	
متى كُتِبَ نبيا؟ فقال: كُتِبَ نبيا وآدم بين الماء والطين	المستدرک علی الصحیحین 14ب 4174، دلائل النبوة للبيهقي 434	
مُتِلَّت لي الجنة في غُزُض هذا الخائط	صحيح البخاري 707، 139ب مسند أحمد 13222	
من أتاني يسعى أتيته هرواة	صحيح البخاري 6982، 104 صحيح مسلم 4832	
من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	سنن ابن ماجه 199، مسند 89ب أحمد 18406	
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا	سنن ابن ماجه 199، مسند 131ب أحمد 18406	
من عمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم	تفسير ابن كثير - (8) / 35ب (437)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - (1) / (20)	
من كذب علي متعمدا فليقتبوا مقعده من النار	صحيح البخاري 1209، 90 صحيح مسلم 5	
من مات فقد قامت قيامته	كشف الخفاء 2618، كثر 149 العمال 42748	
من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة	صحيح مسلم 38، مسند 154 أحمد 467	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
من يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يركع ركعتين لا يحدث نفسه فيها بشيء، فتحت له الثمانية الأبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء	صحيح مسلم 345، سنن أبي داود 145	32ب
الموت تحفة المؤمن	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 8014، شعب الإيمان للبيهقي 9535	158ب
الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا	فيض القدير 6433، حديث أبي الفضل الزهري 710	152
نفس الرحمن من قبل اليمن	مسند الشاميين للطبراني 1053، كنز العمال 33951	126
هو قرن من نور ألقمه إسرافيل والخير كله بيدك، والشر ليس إليك	صحيح مسلم 1290، سنن الترمذي 3344	136ب 18ب
والصبر ضياء	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	44
وإنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 7714، شعب الإيمان للبيهقي 6823	157ب
يا أهل الموقف؛ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	صحيح البخاري 1077، صحيح مسلم 1261	143ب 59ب
يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأنياكم... يقدر لها	صحيح مسلم 5228، سنن أبي داود 3764	108ب

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
119ب	إِنَّ السَّمَاءَ تَعُودُ رَتْقًا مِثْلَ مَا	ضياؤها	4	الكامل
96ب	لَا تَحْكُمَنَّ بِالْإِهَامِ تَجْدُهُ فَقَدْ	واهيه	6	البسيط
33ب	الْعِلْمُ بِالْأَشْيَاءِ عِلْمٌ وَاحِدٌ	ذاته	4	الكامل
16	أَنَا خَتَمُ الْوَلَايَةِ دُونَ شَيْءٍ	المسيح	7	الوافر
101	إِذَا أَعْطَاكَ بِالْإِهَامِ عِلْمًا	سعيد	7	الوافر
83	عِلْمُ الْإِشَارَةِ قَرِيبٌ وَإِبْعَادُ	واستاد	3	الكامل
59	نَفْسُ الرَّحْمَنِ لَيْسَ لَهُ	مستند	6	المديد
79	إِذَا لَمْ تَلَقُ أَسْتَادًا	لاذا	7	الهزج
133	بَيْنَ الْقِيَامَةِ وَالْدُنْيَا لِيَنِي ظَلَمٌ	سور	9	البسيط
60ب	قَالَ ابْنُ ثَابِتٍ الَّذِي فَخَرْتُ بِهِ	الأشعار	17	الكامل
127ب	مَرَاتِبُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ تُمَازُ	وانجاز	9	البسيط
71	يَا مَنْ تَحَقَّقَ بِالنَّفْسِ	القبس	8	مجزوء الكامل
37	وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَقَّ بِالْأَوَّلِ انْصَفَ	اعترف	9	الطويل
111	إِنَّ الْعُنَاصِرَ أُمَمَاتٌ أَنْتَبَعُ	الأفلاك	7	الكامل
23	إِذَا كُنْتُ فِي طَاعَةِ رَاغِبًا	الآجل	11	المتقارب
2	إِلَّا إِنْ أَهْلَ اللَّيْلِ أَهْلُ تَرْتُلٍ	تنقل	9	الطويل
93ب	لِلْإِسْتِقْرَاءِ حَدٌّ فِي الْمَعَانِي	الرجال	6	الوافر
66ب	مَنْ قَالَ يَغْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ	جملا	4	البسيط
28ب	وَجُودُكَ عَنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ مُحَقَّقِي	تعقل	12	الطويل

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
106ب	إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا حَقَّقَتْ حَاصِلُهُ	معلوم م	7	البسيط
49ب	إِنَّمَا كَانَ هَكَذَا بِكَذَا	الحكم م	3	الخفيف
88ب	لَوْ أَنَّ اللَّهَ يَفْهَمُنَا	الحكم م	3	الهمزج
52ب	إِنَّمَا عَلَّلُوا الَّذِي	لكونه ن	6	مجزوء الخفيف
74ب	كُلُّ مَنْ خَافَ عَلَى هَيْكَلِهِ	علنا ن	3	الرملي
69ب	وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	عينه ن	1	المتقارب
135ب	إِذَا تَجَلَّى حَبِيبِي	أراه ه	2	المجتث
9	وَفَتَيَانِ صِدْقِي لَا مَلَالَةَ عِنْدَهُمْ	ومكرمة ه	9	الطويل
141	يَوْمَ الْمَعَارِجِ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ	وسنه ه	6	البسيط
185				مجموع الأبيات

استشهاد

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
82	إبليس والدنيا ونسي والهوى	اعدائي ء	1	الكامل	
128	بأفعل وبأفعال وأفعل	العدد د	1	البسيط	
155	فقلت لهم ظنوا بالقي مذجج	المسرد د	1		دريد بن الصمة
69ب	وفي كل شيء له آية	واحد د	1	المتقارب	أبو العتاهية
94	إن الجياد على أغراقها تجري	تجري ر	1	البسيط	
82	إني يليت بأزنع يرميني	توير ر	2	الكامل	
85ب	سوف ترى إذا انجلي الفبار	حمار ر	1	الرجز	بديع الزمان الهمذاني
60	شغف السهاد بمقلتي ومزاري	ومشاري ر	1	الكامل	حسان بن ثابت
6	يا مؤنسي بالليل إن هجج الوري	بنهاري ر	1	الكامل	
86	إذا اشتبكت دموع في خنود	تباكي ك	1	الوافر	المتنبي
38ب	وحبب أوطان الرجال إليهم	هنالك ك	2	الطويل	ابن الرومي
39	أخلى من الأمن عند الخائف الوجلي	الوجل ل	1	البسيط	الوأواء الدمشقي
150	زعم المنجم والطبيب كلاهما	إليكما م	2	الكامل	أبو العلاء المعري
64	إذا ما راية رفعت لمجد	بالهين ن	1	الوافر	الشمخ الديباني
89ب	ما كان من بقع الأيمن أميننا	أميننا ن	1		
مجموع الآيات			18		

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إبراهيم	10ب، 13ب، 14، 18ب، 29، 152ب،	الإشارة	83
إبليس	26، 62، 63ب، 82، 89، 91، 92، 93،	اصل الجوهر الفرد	109
	97، 120ب، 125ب،	الإلهية	59ب
	128، 129، 12ب، 9ب،	إلياس	36
	132ب، 154، 154ب	أم القرآن	79ب
الأنر - المؤثر -	21، 51ب، 52، 99ب	الأمانة	29ب
المؤثر فيه		الأنس	72
الأحدية - أحدية	14ب، 138ب	الإنسان الكامل	47، 48ب، 49
الأحد - أحدية		الإيتية	69ب
الكثرة		أهل الوجود	4ب
إدريس	36	أول - آخر	49ب، 107
آدم	7، 14ب، 15، 21، 36، 43، 46، 53ب،	الإيثار	61
	54، 62ب، 63ب،	الإيمان/تصديق	67
	105، 117، 119ب،	بحر	37
	120ب، 146، 150ب،	بدل	80ب
	152ب، 153، 157ب	البرزخ	133، 133ب، 134
الإرث - الوارث	29ب	البرق	32ب، 33
استدراج	92	بيتة الله	14، 29ب، 72، 86،
الاستواء/السواء	55ب		132ب
إسراء - معراج	6ب	التجلي	137ب، 138
اسم ذات - اسم	31	تجلي غيب - تجلي	73ب، 74
مرتبة			

المصطلح	صفحة المخطوط
جنس الاجناس /	48
الجنس الأعم	
جمع	124، 120
الجوع	44ب
حاجب الحق	116، 115
حب جزاء- حب	12ب
عناية	
الحجاب	15
الحضرة /كن	47
الحضرة الإلهية	47
الحقيقة الكلية	48ب
حواء	150ب
الحيرة	67ب، 67، 66ب
الحيوان - الحيوانية	23ب، 24
الخاطر	46ب، 47
ختم الختم	16
ختم الولاية	16
الخاصة	
الحضر	18ب، 34، 34ب،
	35، 36، 84ب
الخط الفاصل	133ب، 134
الخلافة- خليفة	54، 54ب
الخيال/كان/حضرة	103، 133ب، 137

المصطلح	صفحة المخطوط
شهادة	
التداني	2
التدلي	2
ترجمان الحق	6، 18
التلقي	2
التسبيح/ذكر	41ب، 42ب، 79ب
التصريف	13
التلقي	2
التوجه الإلهي	47ب، 57ب
التوحيد	44ب، 79ب، 128ب،
	156، 156ب
التوكل	18ب، 80، 82
الثبوت	67، 92
جبريل	11ب، 24ب، 89ب،
	96
الجسد	76، 76ب
جنة اختصاص	130ب
جنة الأعمال	130ب
جنة الكتيب /	41
حضرة الحق	
جنة عدن	41
جنة ميراث	130ب

المصطلح	صفحة المخطوط
الصفة	6، 7ب، 19، 29ب،
	51، 51ب، 62،
	62ب، 67، 68،
	122ب، 127، 153،
	153ب
الصلاة	40ب، 41
الصمت	81
الصورة/الأمر	48ب، 49
الطائفة	10ب، 13، 21ب،
	30ب، 44ب، 58،
	58ب، 68، 68ب،
	74ب، 80، 83ب،
	86، 88،
طرح الرقاع/	44ب
موت أخضر	
طريق/السلوك	4ب
الظاهر والباطن	149
ظل الرحمن	145ب، 147
الظلمة	43، 7ب
العالم	94ب، 34ب
عالم الخلق	105، 14ب
العدل/الميزان	146
الحكمي المعنوي/	
الحق/الميل	
العذاب / الجهل/	123، 123ب، 126،

المصطلح	صفحة المخطوط
الخير	75ب، 76
دقيقة	35، 36ب
دولة السنبلة	113ب
ديوان	11ب، 115ب
الديوان الإلهي	115
الرؤية	43ب
رجال المراتب	33
الرزق	23
الرضى	44ب
الروح/العقل	75
الزمان/السلطان	106ب
سر القدر	45ب
السراج	8
سفير الحق	116، 116ب
السماء	3، 119ب
السمة	9ب
الشرع/الوسط	37ب
من التجلي	
الشرعة	157
الشعر	148، 157
الصبر	43، 43ب
صراط الهدى	156

المصطلح	صفحة المخطوط
فوق	7، 55ب، 87، 111ب
الفيض	48ب، 49ب، 86ب، 150
القبض	27، 65
القطب	14ب
القوت	80ب
القيامة الصغرى - القيامة الكبرى	149
كرامة	73
الكرسي	105، 105ب
كلمة التوحيد	156
كلمة الحضرة	47
الكمال	30، 31، 45ب، 105، 149
اللطيفة	75
اللوح (المحفوظ)	116، 116ب، 118
ليل	2ب
مجلى النعوت المقدسة	108
مجمع البحرين	133ب، 134
المحمل	115
مرآة وجود الانسان	134

المصطلح	صفحة المخطوط
حجاب حتي	127ب
عنراء	114
العرش	66
عرش	6ب، 145ب
عرش الحياة/الماء	112ب
عرش الرحمن	145ب، 147
العرش العظيم	28
عرش القرآن	146، 147
عرش الله	146
العصمة	91
العقل (الأول)	7، 112
العاة	83
الماء	7، 7ب
العموم	30ب
عين القلب	81ب
الغيبة	72
الغيرة	118
فتح	32، 32ب، 33
الفتوة	9، 9ب، 10، 10ب، 12ب، 13ب، 14ب، 15، 15ب
الفقر	77

المصطلح	صفحة المخطوط
المراقبة	68ب، 74ب
المسامرة	3
مستوى الرحمن - مستوى الأسماء المقيدة	6ب، 105ب
مشاهدة ثبوتية	66ب، 67
المشاهدون للوجه	118
المشيئة/ عرش الذات	130
مطلع	144
مقام القرية	32ب، 41ب
المكر	72ب، 92، 146
الملامية - الملامية	13
المهم	7، 31، 115، 118ب
الموت الأبيض	44ب
الموت الأحمر	44ب
الموت الأخضر	44ب
الموت الأسود	44ب
الموت المعنوي	149
ميشاق - ميشاق الذرية	92ب
الميزان	20، 56ب، 113
	147ب، 149، 155ب

المصطلح	صفحة المخطوط
نار أعمال	130ب، 131، 131ب، 156ب، 157ب
النار/ دار الغضب	125ب، 132، 154ب
نبي اتباع- نبي شرعية	21، 21ب، 157، 157ب
النفس	7، 112
النفس	66
النفس الرحاني	75، 76ب، 77ب
نقيب	116ب
النكاح المعنوي	113ب
نهر	124
النور	26
النون	115، 115ب
الهياء	49، 112، 112ب
الهمة	6ب، 15ب، 16، 47
الهوية	69ب
وارد	24ب، 25، 25ب، 27، 38ب، 39ب، 68، 78
وجه الحق- وجه الحق في الأشياء	30ب، 83، 157
وجه الشئ	137

المصطلح	صفحة المخطوط
	60، 113ب
الوهم	75، 137ب
يد الله- اليدان	وب، 18ب، 63
البقطة	152
يقين	5ب، 31ب، 66ب،
	80، 82، 112ب

المصطلح	صفحة المخطوط
الوحـداني- 14، 101	
الوحدانية	
الوحدة	35، 107ب
الوحي	16ب، 24ب، 25ب
الوقت/ الوقت	24ب
المعلوم	
ولي- الولاية	16، 49ب، 59ب،

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	10ب، 13ب، 14، 18ب، 29، 152ب،	أبو العباس بن المنذر	74
إيليس	26، 62، 63ب، 82، 89، 91، 92، 93، 97، 120ب، 125ب،	أبو الفضل محمد بن 144ب	
	128، 129، 12 وب، 132ب، 154، 154ب	عمر بن يوسف الأرموي	
ابن الخياط المغربي (أبو بكر محمد بن علي بن محمد)	144ب	أبو القاسم بن قسي	120ب، 150ب
ابن الرومي	38ب	أبو المعالي الجويني	34ب
أبو البدر التمشكي	24ب	أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري	144ب
أبو الحجاج الفيلري	27	أبو بكر الصديق	67، 139
أبو الحجاج يوسف الشيرلي	74	أبو بكر محمد بن الحسن النقاش	10ب، 144ب
أبو الحسن علي السلاوي	27	أبو زهد الرقراقي	151
أبو الحكم بن برجان=أبو الحكم عبد السلام بن برجان	120ب	أبو سليمان الداراني	30، 30ب
أبو السمود بن النشيل البغدادي	24	أبو سهل محمود بن عمر بن إسحق المكبري	144ب
أبو العباس الحريري	78	أبو طالب المكي	58، 80ب
أبو العباس العربي	15ب	أبو عبد الله الدقاق	15ب، 16
		أبو عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الكريم القمي الفاسي	15ب، 16
		أبو عبد الله محمد	145

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
بن حميد الرازي	31، 25	امراة العزيز	99
أبو عقيل المغربي	31، 25	البسطامي (أبو يزيد)	16، 31، 31ب، 32، 86ب
أبو مدين	17، 30، 31ب، 34، 86ب	بشر الحافي	19ب، 20
أبو وهب الفاضل	27	بلال الحبشي	4
أحمد بن الحسين بن علي	130	جبريل	11ب، 24ب، 89ب، 96
أحمد بن حنبل	19ب، 20، 21ب	الجنيد (أبو القاسم)	28، 95ب
أخت بشر الحافي	19ب، 20	الحارث بن أسد	16ب، 81ب
إدريس (النبي)	36	المحاسبي	
آدم	7، 14ب، 15، 21، 36، 43، 46، 53ب، 54، 62ب، 63ب، 105، 117، 119ب، 120ب، 146، 150ب، 152ب، 153، 157ب	حسان بن ثابت	60
إسرافيل (النبي)	136ب، 151ب	حواء	150ب
إسماعيل (النبي)	36	خديجة بنت خويلد	24ب
إسماعيل (من الملائكة)	123ب	الخضر	18ب، 34، 34ب، 35، 36، 84ب، 54، 63ب
الأشمري (أبو الحسن)	33ب، 58ب	داود (النبي)	
إلياس (النبي)	36	الذجال	107ب، 109
أم الزهراء	74	دحية الكلبي	96
		رضوان	127
		روح القدس	71
		زكريا (النبي)	36
		زيد بن وهب	145
		سعدون الجنون	27

الاسم	صفحة المخطوط
سلام الطويل	145
سلمة بن صالح	145
سليمان (النبي)	65ب
سهييل (رجل من المشركين)	87، 87ب
الشبلي	28
شمس أم الفقراء	74
الشنخنة (شيخ المؤلف)	143ب
الطبري	144ب
عائشة (أم المؤمنين)	108ب، 154ب
عبد الرحمن بن غنم	145
عبد الله بن عباس	145
عبد الله بن عمر	124
عبد الله بن مسعود	145
عبد المجيد بن سلمة	80، 80ب
عثمان بن عفان	60، 154
عرابة الأوسي	64
العزير	99
علي بن أبي طالب	85ب، 86، 145
عيسى (النبي)	33، 36، 76، 77ب، 84ب، 91، 91ب، 92ب، 136ب،
الاسم	صفحة المخطوط
الفزالي (أبو حامد محمد بن محمد)	47، 49، 74ب، 151
غياث بن المسيب	145
فاطمة بنت ابن المنثي	74
الفخر الرازي (ابن الحطيب محمد بن عمر)	10ب، 34ب
فرعون	77، 128ب، 139ب
القاسم بن الحكم	145
القصار (يونس بن يحيى بن الحسين)	144ب
قضيبة البان	47
كليهار (ست غزالة)	74
مالك (من الملائكة)	127
محمد بن العربي (المصنف)	60
محمد بن القاسم بن عبد الرحمن التميمي الفاسي	15ب
مريم (عليها السلام)	83ب، 136ب
مريم بنت محمد بن عبدون	82
مسعود الحبشي	27

الاسم	صفحة المخطوط
سلام الطويل	145
سلمة بن صالح	145
سليمان (النبي)	65ب
سهييل (رجل من المشركين)	87، 87ب
الشبلي	28
شمس أم الفقراء	74
الشنخنة (شيخ المؤلف)	143ب
الطبري	144ب
عائشة (أم المؤمنين)	108ب، 154ب
عبد الرحمن بن غنم	145
عبد الله بن عباس	145
عبد الله بن عمر	124
عبد الله بن مسعود	145
عبد المجيد بن سلمة	80، 80ب
عثمان بن عفان	60، 154
عرابة الأوسي	64
العزير	99
علي بن أبي طالب	85ب، 86، 145
عيسى (النبي)	33، 36، 76، 77ب، 84ب، 91، 91ب، 92ب، 136ب،

الاسم	صفحة المخطوط
هود (النبي)	55ب
وحشي	39
يحيى (النبي)	158ب، 36
يحيى بن الأخفش	60ب، 60
يعقوب الكوراني	27
يوسف (النبي)	99، 44
يوسف بن صخر	74
يوسف بن يخلف	30ب
الكومي	
يونس بن يحيى	144ب
العباسي	

الاسم	صفحة المخطوط
مسلم (الإمام)	58ب، 94، 96ب، 120ب، 132، 154
معاذ بن أشرس	80ب
موسى (النبي)	14ب، 15، 24ب، 33، 33ب، 34، 37، 43ب، 84ب، 91ب، 152ب
النفري (محمد بن عبد الجبار)	4
نمروذ	128ب
نوح (النبي)	152
هارون (النبي)	37

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أشبيلية	74 ب، 74، 80	شرف	74
أفريقية	47	شرف إشبيلية	74
الأندلس	80	غار حراء	29، 30
بابل	62 ب	فاس	15 ب، 16
البحرين	133 ب	قرطبة	74
بيت الله	87 ب	قرن	136 ب، 137، 137 ب، 138، 138 ب، 139
الحرام			
تلمسان	74		139 ب
تنس	27 ب	الكعبة	144 ب
جامع دمشق	60	مراكش	60
الجسر الأبيض	27	مرشانة	74، 80
جنة عدن	41	مرشانة	80
حراء	29، 30، 37 ب	الزيتون	
دمشق	27، 60	المشرق	156
الركن اليماني	144 ب	المغرب	156
السدة	105، 105 ب	مكة المكرمة	25، 74، 144 ب
سدة المنتهى	105	اليمن	59، 59 ب، 64، 126 ب
شبريل	74		

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
الإنجيل		84ب
التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية	ابن العربي	58ب
التنزيلات الموصلية	ابن العربي	45، 105، 131، 119
التوراة		84ب، 117
خلع النعلين	أبو القاسم بن قسي	150ب
رسالة الأخلاق	ابن العربي	10ب
صحيح مسلم بن الحجاج	مسلم	58ب، 94، 154، 132
قوت القلوب	أبو طالب المكي	58، 80ب
محاسن المجالس	أبو العباس بن العريف الضنهاجي	83
المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد مواقع النجوم	أبو عبد الله محمد بن قاسم التميمي الفاسي ابن العربي	16، 32ب، 33

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
الأشعرية	33ب، 50ب، 58ب، 90ب
الفلاسفة	87ب
المعتزلة	77ب، 124ب
المعتلة	120، 129، 155، 156ب

المحتويات

3	رموز مستخدمة في التحقيق
9	الباب الحادي والأربعون في معرفة أهل الليل، واختلاف طبقاتهم، وتباينهم في مراتبهم، وأسرار أقطابهم
17	الباب الثاني والأربعون في معرفة الفتوة والفتيان، ومنزلهم وطبقاتهم، وأسرار أقطابهم
25	الباب الثالث والأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين، وعامة ذلك المقام
31	الباب الرابع والأربعون في البهاليل، وأنتمهم في البهلة
37	الباب الخامس والأربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل، ومن جله يعود
43	الباب السادس والأربعون في معرفة العلم القليل، ومن حصله من الصالحين
47	الباب السابع والأربعون في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية، ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند بركه بدايته فيحن إليها مع علو مقامه، وما السر الذي يتجلى له حتى يدعو إلى ذلك
55	فصل بئ وصل سر إلهي: (وما مثا إلأ له مقام معلوم)
57	وصل سر إلهي: (نهاية الدائرة مجاورة لبدايتها)
58	وصل سر إلهي: (كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مملو لصاحبه)
60	وصل سر إلهي: (الطبيعة بين النفس والهواء)
61	الباب الثامن والأربعون في معرفة إنما كان كذا لكذا، وهو إثبات العلة والسبب
61	أول مسألة من هذا الباب: (ما السبب الموجب لوجود العالم)
64	مسألة أخرى: إنما كان كذا لكذا: (إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية)
65	مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما صحت الصورة لأدم لخلقه باليد)
66	مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما كانت الخلافة لأدم عليه السلام لكون الله تعالى خلقه على صورته)
67	مسألة أخرى من هذا الباب: (القربة مع السجود)
72	الباب التاسع والأربعون في معرفة قوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» ومعرفة هذا المنزل ورجاله
81	الباب الخمسون في معرفة رجال الخيرة والمعجز
86	الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن
90	الباب الثاني والخمسون في معرفة السبب الذي يهرب منه المكثف إلى عالم الشهادة إذا أبصره
93	تتميم: (المكثف الذي يهرب إلى عالم الشهادة)
95	الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقي للمريد على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ
96	وصل شارح
99	الباب الرابع والخمسون في معرفة الإشارات
106	الباب الخامس والخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية

الباب السادس والخمسون في معرفة الاستقراء، وصحته من مقمه.....	112
الباب السابع والخمسون في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس.....	116
الباب الثامن والخمسون في معرفة أسرار أهل الإلهام المستقلين ومعرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق خواطره وشقتها.....	121
وَصَلَّ (أسرار أهل الإلهام المستقلين).....	125
الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود والمقتر.....	128
الباب الستون في معرفة العناصر، وسلطان العالم العلوي على العالم السفلي، وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأكصى؟ وآية روحانية لنا؟.....	132
الباب الحادي والستون في معرفة جهنم، وأعظم المخلوقات فيها عذابا، ومعرفة بعض العالم العلوي.....	142
(رؤيا غيبية واكتشافات علمية):.....	145
الباب الثاني والستون في مراتب أهل النار.....	151
الباب الثالث والستون في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث.....	158
الباب الرابع والستون في معرفة القيامة، ومنازلها، وكيفية البعث.....	166
وصل (اختلاف الناس في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام).....	174
الأول؛ وهو العرض:.....	180
الثاني؛ الكتب:.....	180
الثالث؛ الموازين:.....	181
الرابع؛ الصراط:.....	182
الخامس؛ الأعراف:.....	184
السادس؛ نبع الموت:.....	185
السابع؛ المأبدة:.....	185
فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات.....	189
فهرس الأحاديث النبوية.....	199
فهرس الشعر.....	208
استشهاد.....	210
مصطلحات صوفية.....	211
فهرس الأعلام.....	217
فهرس الأماكن.....	221
فهرس الكتب.....	222
فهرس الفرق.....	222

السفر الخامس من الفتوحات المكيّة

1 العنوان ص 1ب. ويلي بقلم الشيخ ابن العربي: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائفي الحافتي"، "رواية مالك هذه الجلية محمد بن إسحق التونوي عنه". يلي ذلك بخط آخر: "وقف هذا الكتاب الشيخ المعروف المذكور بخط المؤلف - رضي الله عنها وعن سلفهما - فوق هذا المكتوب على الموضع المذكور في باقي المجلدات والشرط المذكور أيضاً - قبل الله منه وأباه الجنة - لا يخرج منها أبداً ولا يرهن ولا يغيره بل ينتفع به في الزاوية، فمن بقله بعد ما سمعه فأبما إله على الذين يملونه إن الله سميع عليم". ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1761، وطابع دمنعة يحمل رقم 1849، وإشارة أن عدد الصفحات 287 (144صفحة مزدوجة).

رموز مستخدمة في التحقيق

آيات قرآنية	﴿ 》
حديث شريف	« »
إضافات أدخلت على الأصل	()
نسخة قونية*	ق
نسخة السليمانية	س
نسخة القاهرة	هـ

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحداث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد يتناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

نعم الله اليه الرجوع
 الباب الخامس
 والذين في معرفة الجنة ومفارها
 ودرجاتها وانه على كل من
 رآه الجنة ان يوصيه انفسه
 ان ينزل والاعمال كلها
 مثل ذلك من غير
 له اليه ويرسل الله اليه
 وجنة الامم التي انعمت
 للمؤمنين اهل الجنة
 نور التواب لنا سبيل
 ونورنا الهم في عملنا
 لوان عمر صراط الشرع
 لزال عن رواد الشرع
 صاع العمل المروع بفقره
 نور او من ذاته الا بالاسباب
 واعلم ان الله وانما ان الجنة جنة نعمته

لهم ان صاروا مل يقعون عنو الراس النسرعه فان الصارح هو الله على
يستعمل من الراس صرح الاحكام الراسه ٢ استعمل الراسه بالخاصه
واستعمل الراسه على نبيها فورا ثانيا ٢ هذا الراس من صول الصلاه
ما خرج من الاصول والاعمال الجامع ٢ الصلاه
هو ان يعول الصلاه من الاعمال المعقوله المعنى ما نزلها اي سبي كل من
الرأسه حركه ذات او وجوده فان الغرض ان النماز لا ياتر الى ما لم يكن
الذي نزل به يوش فبالله ٢ المحل ما ذا اما ان الله النماز ٢ وما اما ان
هو غير معقوله المعنى مكهار ما وقوفه على ما سئل الله تعالى ٢ ذلك
او رسوله فربما نزل كل من سأل الله عز وجل معناه ونسبته معشون
ان النماز حركه عن علم محض وان لم يكن ذلك هو المسي بالنسبه
وهو المعنى المطلق ٢ دفع المثلثه وهو الحاله الجامعه
والله يعول الله وهو من السلسل

والله اعلم بالحق وهو من السميع

اسم الحمار الحامر الملبس

معلومہ ہے لیکن اس کے لئے اللہ

الباب التاسع والستون في استصلاح الخلقة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم¹

الباب الخامس والستون

في معرفة الجنة، ومنازلها، ودرجاتها، وما يتعلق بهذا الباب

مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ الْمَحْسُوسَةِ انْقَسَمَتْ	إِلَى مَنَازِلَ وَالْأَعْمَالِ تَطْلُبُهَا
فَكُلُّ ذِي عَمَلٍ تَجْرِي رَكَائِبُهُ	بِهِ إِلَيْهَا وَرُسُلُ اللَّهِ تَخْجِيهَا
وَجَنَّةُ الْاخْتِصَاصَاتِ الَّتِي انْفَهَثَتْ	لِلْمُكْرَمِينَ جَنَّاتُ الْوُزْبِ تَقْفِيهَا
تُورُّ النُّكْوَاكِبُ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بِهَا	وَتُورُّنَا الْيَوْمَ فِي عَذَنِ مَكْوِكِيهَا
لَوْ أَنَّ غَيْرَ صِرَاطِ الشَّرْعِ مَرَكَبُنَا	لَزَالْنَا عِنْدَ وَرُودِ الشَّرْعِ مَرَكَبُهَا
فَصَالِحُ الْقَمَلِ الْمَشْرُوعِ يُظْهِرُهَا	تُورُّنَا وَمِنْ ذَاتِهِ الْإِجْلَالُ يَكْسِيهَا

اعلم -أيدينا الله وإياك- أَنَّ الْجَنَّةَ جَنَّتَانِ: جَنَّةٌ مُحَسَّسَةٌ وَجَنَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ. والعقل يعقلها معاً. كما أَنَّ الْعَالَمَ عَالَمَانِ: عَالَمٌ لَطِيفٌ وَعَالَمٌ كَثِيفٌ، وَعَالَمٌ غَيْبٍ وَعَالَمٌ شَهَادَةٍ. والنفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت إليه من ذلك بالأدلة العقلية. ونعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تاله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية: من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح، ونباتات طيبة تتعلق بها الأسماك، وجمال حسي في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر. في نساء كاعبات، ووجوه حسان، وألوان متنوعة، وأشجار وأنهار.

كُلُّ ذَلِكَ تَنْقَلُهُ الْحَوَاسِ إِلَى النَفْسِ النَّاطِقَةِ؛ فَتَلْتَذُّ بِهِ مِنْ حَمَّةٍ طَبِيعَتِهَا. ولو لم يلتذَّ به إِلَّا الرُّوحُ الْحَسَّاسُ الْحَيَوَانِيُّ، لَا النَفْسَ النَّاطِقَةَ، لَكَانَ الْحَيَوَانُ يَلْتَذُّ بِالْوَجْهِ الْجَمِيلِ مِنَ الْمَرَأَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ، وَالْفَلَامُ الْحَسَنُ الْوَجْهِ، وَالْأَلْوَانُ، وَالْمَصَاغُ. فَلَمَّا لَمْ نَرِ شَيْئًا مِنَ الْحَيَوَانِ يَلْتَذُّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ عَلِمْنَا قَطْعًا أَنَّ النَفْسَ النَّاطِقَةَ هِيَ الَّتِي تَلْتَذُّ بِجَمِيعِ مَا تَعْطِيهِ الْقُوَّةُ الْحَسِّيَّةُ بِمَا تَشَارِكُهَا فِي إدْرَاكِهَا الْحَيَوَانَاتِ وَمَا لَا تَشَارِكُهَا فِيهِ.

واعلم أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ هَذِهِ الْجَنَّةَ الْمَحْسُوسَةَ بِطَالَعِ الْأَسَدِ الَّذِي هُوَ الْإِقْلِيدُ، وَرَجْهُ هُوَ الْأَسَدُ. وَخَلَقَ الْجَنَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ³؛ الَّتِي هِيَ رُوحُ هَذِهِ الْجَنَّةِ الْمَحْسُوسَةِ، مِنَ الْفَرْجِ الْإِلَهِيِّ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ وَالِابْتِهَاجِ وَالسَّرُورِ.

1 البسطة ص 2

2 ص 2

3 ص 3

فكانت الجنة المحسوسة كالجسم، والجنة المعقولة كالروح وقواه. ولهذا سماها الحق تعالى- البار الحيوان لحياتها. فأهلها يتمتعون فيها حساً ومعنى، فالمعنى الذي هو اللطيفة الإنسانية.

والجنة أيضاً أشد تنعماً بأهلها الداخليين فيها، ولهذا تطلب ملاًها من الساكين. وقد ورد خبرٌ عن النبي ﷺ: «إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعليّ وعمرار وسلمان» فوصفها بالشوق إلى هؤلاء، وما أحسن موافقة هذه الأساء، لما في شوقها من المعاني. فإن الشوق من المشتاق فيه ضربٌ ألَم لطلب اللقاء. وبلال: من أبل الرجل من مرضه واستبلّ، ويقال: بلّ الرجل من دائه، وبلال معناه. وسلمان: من السلامة من الآلام والأمراض. وعمرار: أي بعبارتها بأهلها يزول ألمها، فإن الله سبحانه- يتجلى لعباده فيها. فقلي: يعلم بذلك التجلي شأنها على النار التي هي أختها، حيث فازت بدرجة التجلي والرؤية إذ كانت النار دار حجاب. فانظر في موافقة هذه الأساء الأربعة لصورة حال الجنة، حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين.

والناس على أربع مراتب، في هذه المسألة: فمنهم من يشتهي ويُشتهي¹: وهم الأكابر من رجال الله من رسول ونبي ووليّ كامل. ومنهم من يُشتهي ولا يشتهي: وهم أصحاب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله الذين غلب معناتهم على جسّهم، وهم دون الطبقة الأولى؛ فإنهم أصحاب أحوال. ومنهم من يشتهي ولا يُشتهي: وهم عصاة المؤمنين. ومنهم من لا يشتهي ولا يُشتهي: وهم المكذبون بيوم الدين، والقائلون بنفي الجنة المحسوسة. ولا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف.

واعلم أنّ الجنّات ثلاث جنّات: جنة اختصاص إلهي، وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ العمل، وخدّم من أول ما يولد إلى أن يستهلّ صارخاً إلى انتضاء ستة أعوام. ويعطي الله من شاء من عبادته من جنّات الاختصاص ما شاء. ومن أهلها: المجانين الذين ما عقلوا، ومن أهلها: أهل التوحيد العلمي، ومن أهلها: أهل الفترات، ومن لم تصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية؛ جنة ميراث: ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة؛ جنة الأعمال: وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم؛ فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر²، وسواء كان الفاضل دون المفضل أو لم يكن، غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه الحالة. فما من عمل من الأعمال إلّا وله جنة، ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم.

ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لبلال: «يا بلال؛ بم سبقتني إلى الجنة؟ فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي. فقال: يا رسول الله؛ ما أحدثت قط إلا توضأت، ولا توضأت إلا صليت ركعتين. فقال رسول الله ﷺ: «بها» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل.

فكان رسول الله ﷺ يقول لبلال: بم نلت أن تكون مطرّفاً بين يديّ تحجّبي؛ من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة؟ فلما ذكر له ذلك، قال له ﷺ: «بها». فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرّم ومكروه، إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها.

والتفاضل على مراتب؛ فمنها بالسّن ولكن في الطاعة والإسلام. فيفضل الكبير السنّ على الصغير السنّ، إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل، بالسّن؛ فإنه أقدم منه فيه. ويفضل أيضاً بالزمان؛ فإنّ العمل في رمضان، وفي يوم الجمعة، وفي ليلة القدر، وفي عشر ذي الحجة، وفي عاشوراء، أعظم من سائر الأزمان. وكذلك حكم كلّ زمان عيّنه¹ الشارع. وتقع المفاضلة بالمكان؛ فالمصليّ في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصليّ في مسجد المدينة. وكذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى. وهكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على سائر المساجد.

ويتفاضلون أيضاً بالأحوال؛ فإنّ الصلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشخص وحده، وأشبه هذا ويتفاضلون بالأعمال؛ فإنّ الصلاة أفضل من إمطة الأذى، وقد فضّل الله الأعمال بعضها على بعض. ويتفاضلون أيضاً في نفس العمل الواحد: كالتصدّق على رجه، فيكون صاحب صلة رحم وصديقة، والمتصدّق على غير رجه دونه في الأجر. وكذلك من أهدى هدية لشريف من أهل البيت (فهو) أفضل من أهدى لغير شريف أو برّ أو أحسن إليه. ووجوه المفاضلة كثيرة في الشرع، وإن كانت محصورة. ولكن أزيئك منها أمودجا تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة.

والرسل عليهم السلام -إنما ظهر فضلها في الجنة، على غيرها، بجنّة الاختصاص؛ وأمّا بالعمل فهم في جنّات الأعمال بحسب الأحوال، كما ذكرنا. وكلّ من فضل غيره ممن ليس في مقامه² فنّ جنّات الاختصاص، لا من جنّات الأعمال.

ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة؛ فيصرف سمعَهُ فيما ينبغي، في زمان تصريفه بصرّة، في زمان تصريفه يدّه، في زمان صومه، في زمان صدقته، في زمان صلاته، في زمان ذكّره، في زمان نيّته من فعل وترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة؛ فيفضل غيره ممن ليس له ذلك. ولذلك لمّا ذكر

رسول الله ﷺ الثمانية الأبواب من الجنة أن يدخل من أيها شاء. قال أبو بكر: «يا رسول الله؛ وما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» فأراد أبو بكر بذلك القول ما ذكرنا، أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تَعْمُ أبواب الجنة.

ومن هنا، أيضاً، تعرف النشأة الآخرة؛ فكما لا تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها، وإن اجتمعت في الأساء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن اجتمعت في الأساء والصورة الشخصية؛ فإن الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسنة. وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا، مع كثافة هذه النشأة. فيكون الإنسان بعينه، في أماكن كثيرة، وأما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام.

ولقد¹ رأيتُ رؤيا لنفسي في هذا النوع، وأخذتها بشري من الله؛ فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام- فقال ﷺ: «مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً، فأكمله إلا لبنة واحدة؛ فكننت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشبه النبوة بالحائط، والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط. وهو تشبيه في غاية الحسن؛ فإن مسعى الحائط هذا المشار إليه لم يصح ظهوره إلا باللبن، فكان ﷺ خاتم النبيين.

فكننت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسة، أرى، فيما يرى النائم، الكعبة مبنية، بلبن فضة وذهب: لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء، وأنا أظفر إليها وإلى حسننها، فالتفتُ إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي هو إلى الركن الشامي أقرب- (فوجدت) موضع لبنتين: لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين: في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة. فرأيت نفسي قد انطعمتُ في موضع تلك اللبتين، فكننت أنا عين تينك اللبتين²، وكل الحائط، ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف أظفر، وأعلم أنني واقف، وأعلم أنني عين تينك اللبتين، لا أشك في ذلك، وأنها عين ذاتي. واستيقظتُ، فشكرت الله تعالى-.

وقلت متأولاً: إني في الأتباع في صنف، كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام-، وعسى- أن أكون من ختم الله الولاية بي ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾³ وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط، وأنه كان تلك اللبنة. فقصصتُ رؤيائي على بعض علماء هذا الشأن بمكة، من أهل توزير، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما سَمِيتُ له الرائي من هو؟ فאלله أسأل أن يتمها علي بكرمه. فإن الاختصاص الإلهي

1 ص 5

2 ص 6

3 [إبراهيم : 20]

لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وأن ذلك من فضل الله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾¹.

واعلم أن جنة الأعمال مائة درجة لا غير، كما أن النار مائة درك. غير أن كل درجة تنقسم إلى منازل؛ فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمة المحمدية، وما تفضل به على سائر الأمم، فإنها ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾² بشهادة الحق في القرآن وتعريفه. وهذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنات، وصورتها³: جنة في جنة.

وأعلاها جنة عدن؛ وهي قصبة الجنة. فيها الكتيب الذي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى. وهي أعلى جنة في الجنات. هي في الجنات بمنزلة دار الملك، يدور عليها ثمانية أسوار، بين كل سورين جنة. فالتى تلي جنة عدن إنما هي جنة الفردوس؛ وهي أوسط الجنات التي دون جنة عدن وأفضلها، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة.

وأما الوسيلة؛ فهي أعلى درجة في جنة عدن. وهي لرسول الله ﷺ حصلت له بدعاء أمته، فعل ذلك الحق سبحانه - حكمة أخفاها. فإنما يسببه لنا السعادة من الله، وبه كنا ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وبه ختم الله بنا الأمم، كما ختم به النبيين. وهو ﷺ بشر، كما أمر أن يقول. ولنا وجه خاص إلى الله ﷻ نتاجيه منه ويناجينا. وهكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه. فأمرنا، عن أمر الله، أن ندعوه بالوسيلة، حتى ينزل فيها وينالها بدعاء أمته، فافهم هذا الفضل العظيم. وهذا من باب الغيرة الإلهية، إن فهمت. فلقد كرم الله هذا النبي وهذه الأمة.

فتحوي درجات الجنة من الدرج فيها، على خمسة آلاف⁴ درج ومائة درج وخمسة أدراج، لا غير. وقد يزيد على هذا العدد بلا شك، ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الأجناس.

والذي اختصت به هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم من هذه الأدراج اثنا عشر. درجا لا غير لا يشاركها فيها أحد من الأمم، كما فضل ﷺ غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة، وفتح باب الشفاعة. وفي الدنيا بسبب لم يظفها نبي قبله، كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج. فذكر منها:

1 [البقرة : 105]

2 [آل عمران : 110]

3 ص 6ب

4 ص 7

عموم رسالته، وتحليل الغنائم، والنصر- بالرعب، وجُعِلَتْ لَهُ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وجُعِلَتْ ثَرْيُهَا لَهُ طَهورًا، وأُعْطِيَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ.

ثمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ: الرُّسُلُ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ. وَالْأَوْلِيَاءُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ. وَالْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ الْمَصْدُقُونَ بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-. وَالْعُلَمَاءُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ أَنَّهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مِنْ حَيْثُ الْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْفَلَاحُكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾¹ وَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَرِيدَهُ بِالْعُلَمَاءِ، وَفِيهِمْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:- ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾².

وَالطَّرِيقُ الْمَوْصِلَةُ إِلَى³ الْعِلْمِ بِاللَّهِ طَرِيقَانِ لَا ثَالِثَ لِمَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ مِنْ غَيْرِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ فَهُوَ مُقْلَدٌ فِي تَوْحِيدِهِ. الطَّرِيقُ الْوَاحِدَةُ: طَرِيقُ الْكَشْفِ، وَهُوَ عِلْمٌ ضَرْوِيٌّ يَحْصُلُ عِنْدَ الْكَشْفِ، يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ مَعَهُ شَبَهَةً، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ، وَلَا يَعْرِفُ لِنُكْ دَلِيلًا يَسْتَنْدِ عَلَيْهِ، سِوَى مَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ. إِلَّا بَعْضُهُمْ فَإِنَّهُ قَالَ: يَعْطَى الدَّلِيلَ وَالْمَدْلُولُ فِي كَشْفِهِ، فَإِنَّهُ مَا لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِالْإِلْمِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ عَنِ الدَّلِيلِ. وَكَانَ يَقُولُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ صَاحِبُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَتَاتِيٍّ بِمَدِينَةِ فَاسٍ. سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ. وَأَخْبَرَ عَنِ حَالِهِ، وَصَدَقَ. وَأَخْطَأَ فِي أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهُ يَجِدُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ذَوْقًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ عَنِ الدَّلِيلِ. وَإِنَّمَا أَنْ يَحْصُلَ لَهُ عَنِ تَجَلٍّ إِلَهِيٍّ يَحْصُلُ لَهُ، وَهُمْ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَبَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ.

وَالطَّرِيقُ الثَّانِي: طَرِيقُ الْفِكْرِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ. وَهَذَا الطَّرِيقُ دُونَ الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ صَاحِبَ النَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ قَدْ تَدَخَّلَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ الْقَادِحَةُ فِي دَلِيلِهِ فَيَتَكَلَّفُ الْكَشْفَ عَنْهَا، وَابْتِحَاحَ عَلَى وَجْهِ الْحَقِّ فِي الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ. وَمَا تَمَّ طَرِيقُ ثَالِثٍ.

فَهُؤُلَاءِ هُمُ أُولُو الْعِلْمِ، الَّذِينَ شَهِدُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ. وَلِفَحُولِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ دَلَالَةً وَنَظَرًا، زِيَادَةٌ⁴ عِلْمٌ عَلَى التَّوْحِيدِ، بِتَوْحِيدِ فِي الذَّاتِ بِأَدَلَّةٍ قَطْعِيَّةٍ لَا يُعْطَاهَا كُلُّ أَهْلِ الْكَشْفِ، بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ يُعْطَاهَا.

وهؤلاء الأربع الطوائف يُمَيِّزُونَ فِي جَنَاتٍ عَذْنٍ، عِنْدَ رُؤْيَا الْحَقِّ فِي الْكَتِيبِ الْأَبْيَضِ، وَهُمْ فِيهِ عَلَى أَرْبَعَةِ مَقَامَاتٍ: طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَصْحَابُ مَنَابِرٍ، وَهِيَ الطَّبَقَةُ الْعَالِيَا: الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ. وَطَائِفَةٌ الثَّانِيَةِ هُمُ الْأَوْلِيَاءُ

1 [آل عمران : 18]

2 [المجادلة : 11]

3 ص 7 ب

4 ص 8

ورثة الأنبياء قولا وعملا وحالا، وهم على بينة من ربهم، وهم أصحاب الأسيرة والفُرش. والطبقة الثالثة (هم) العلماء بالله من طريق النظر البرهاني العقلي وهم أصحاب الكراسي. والطبقة الرابعة: وهم المؤمنون المقلدون في توحيدهم، ولهم المراتب، وهم في الحشر- مقدّمون على أصحاب النظر العقلي، وهم في الكتيب عند النظر، يتقدّمون على المقلّدين.

فإذا أراد الله أن يتجلى لعباده في الزّور العام؛ نادى منادي الحقّ في الجنّات كلّها: "يا أهل الجنان؛ حيّ على المنة العظمى والمكانة الزّلى والمنظر الأعلى، هلمّوا إلى زيارة ربّكم في جنة عدن". فيبادرون إلى جنة عدن، فيدخلونها، وكلّ طاقة قد عرفَتْ مرتبتها ومنزلتها؛ فيجلسون.

ثمّ يؤمر بالموائد فتُنصب¹ بين أيديهم؛ موائد اختصاص، ما رأوا مثلاً، ولا تخيلوه في حياتهم ولا في جنّاتهم جنّات الأعمال. وكذلك الطعام ما ذاقوا مثله في منازلهم، وكذلك ما تناولوه من الشراب. فإذا فرغوا من ذلك خُلِفت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلاً فيها تقدّم. ومصداق ذلك قوله ﷺ في الجنّة: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فإذا فرغوا من ذلك، قاموا إلى كتيب من المسك الأبيض، فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله، لا على قدر عملهم. فإنّ العمل مخصوص بنعيم الجنان، لا بمشاهدة الرحمن.

فبينما هم على ذلك، إذا بنور قد بهّزهم، فيخرون سجّداً، فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهراً، وفي بصائرهم باطناً، وفي أجزاء أبدانهم كلّها، وفي لطائف نفوسهم. فيرجع كلّ شخص منهم عينا كلّه ونمعا كلّه، فيرى بذاته كلّها، لا يتّيده الجهات، ويسمع بذاته كلّها². فهذا (ما) يعطيهم ذلك النور: فيه يطيقون المشاهدة والرؤية، وهي أتمّ من المشاهدة.

فيأتيهم رسول من الله يقول لهم: «تأهبوا لرؤية ربّكم ﷺ فما هو يتجلى لكم» فيتأهبون، فيتجلى الحقّ ﷺ، وبينه وبين خلقه ثلاثة حجب: حجاب العزة، وحجاب الكبرياء، وحجاب العظمة. فلا يستطيعون نظراً³ إلى تلك الحجب. فيقول الله ﷻ لأعظم الحجة عنده: «ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني» فترفع الحجب.

فيتجلى لهم الحقّ ﷻ خلف حجاب واحد، في اسمه الجميل اللطيف، إلى أبصارهم. وكلّهم بصير- واحد. فينشق عليهم نور يسري في نواتهم؛ فيكونون به سمعاً كلّهم، وقد أبهتهم جمال الرب، وأشرقت نواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس.

1 ص 8ب

2 هناك إضافة فوق السطر بخط آخر وهي: "كما سمع موسى كلام ربه من جميع الجهات، وجميع أعضائه".

3 ص 9

قال رسول الله ﷺ من حديث النقاش في مواقف القيامة وهذا تمامه: «فيقول الله ﷻ: سلام عليكم عبادي، ومرحبا بكم، حياتكم الله، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم، ﴿طِبِّتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾¹، طابت لكم الجنة، فطيبوا أنفسكم بالنعم المقيم، والثواب من الكريم، والخلود الدائم. أتم المؤمنون الآمنون، وأنا الله المؤمن المهيمن. شققت لكم أسما من أسمائي، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾². أنتم أوليائي، وجبراني، وأصفيائي، وخاصتي، وأهل محبتي، وفي داري، سلام عليكم.

يا معشر عبادي المسلمين؛ أتم المسلمون وأنا السلام وداري دار السلام، سأريكم وجهي كما سمعتم كلامي. فإذا تجلّيت لكم، وكشفت عن وجهي الحجب، فاحمدوني وادخلوا إلى داري غير محجوبين عني، بسلام³ آمنين. فَرِدُّوا عَلَيَّ، واجلسوا حولي، حتى تنظروا إلي، وتروني من قريب؛ فأتخفكم بثخفي، وأجيزكم ببواتزي، وأخضكم بنوري، وأغشيك بجمالي، وأهب لكم من ملكي، وأفاهكم بضحي، وأغلقكم بيدي، وأثبتكم زوجي.

أنا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني، وتحتوني وتخافوني. وعزّي وجلالي، وعلوي وكبريائي، وهبائي وسنائي، إني عنكم راض، وأحبكم وأحب ما تحبون، ولكم عندي ما تشتهي أنفسكم وتلذ أعينكم، ولكم عندي ما تدعون، وما شئتم وكل ما شئتم أشياء؛ فاسألوني ولا تحتشموا، ولا تستحيوا، ولا تستوحشوا، وإني أنا الله الجواد الغني المني الوفي الصادق.

وهذه داري قد أسكنتكموها، وجنتي قد أجتكموها، ونفسي قد أريتكموها، وهذه يدي ذات الندى والطلل مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم، وأنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم. فاسألوني ما شئتم واشتيتهم، فقد آستكم بنفسي، وأنا لكم جليس وأنيس. فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا، ولا بؤس ولا مسكنة، ولا ضعف ولا هرم، ولا سخط ولا حرج ولا تحويل؛ أبدا سرمدًا.

نعميكم نعم الأبد، وأتم الآمنون المقيمون الماكثون، المكرمون المنعمون، وأنتم السادة الأشراف الذين أطلعتموني واجتنبتم محاربي؛ فارفعوا إلي حوائجكم أقضها لكم وكرامة ونعمة».

قال: «فيقولون: ربنا ما كان هذا أملنا ولا أمنيئنا، ولكن حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم، أبدا أبدا، ورضاء نفسك عنا. فيقول لهم العلي الأعلى، مالك الملك السخي الكريم تبارك وتعالى: فهذا وجهي

1 [الزمر : 73]

2 [الأعراف : 49]

3 ص وب

4 ص 10

بارز لكم أبدا سرمداً؛ فانظروا إليه وأبشروا، فإنّ نفسي عنكم راضية. فتمتعوا، وقوموا إلى أزواجكم فعانقوا وانكحوا، وإلى ولادتكم ففاكهوا، وإلى عُرفكم فادخلوا، وإلى بسائتكم فتزّهوا، وإلى دوابكم فاركبوا، وإلى فرشكم فاتكثوا، وإلى جواريتكم وسرايركم في الجنان فاستأنسوا، وإلى هداياكم من ربكم فاقبلوا، وإلى كسوتكم فالبسوا، وإلى مجالسكم فتحدثوا.

ثمّ قيلوا قائلة (حيلولة) لا نوم فيها ولا غائلة، في ظلّ ظليل، وأمن مقيل، ومجاورة الجليل. ثمّ رُوحوا إلى نهر الكوثر والكافور، والماء المطهر، والتسنيم والسلسبيل والزنجبيل؛ فاعسّسوا وتنعموا؛ طوبى لكم وحسن مآب. ثمّ رُوحوا فاتكثوا على الرفارف الحضرة والعبري الحسنان، والفرش المرفوعة، في ظلّ ممدود، والماء المسكوب، والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

ثمّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ. ثُمَّ وَأَرْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَكِبُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ. سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾¹ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾². إلى هنا انتهى حديث أبي بكر النقاش الذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف.

ثمّ إنّ الحقّ تعالى- بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب، ويتجلّى لعباده؛ فيخزون سجداء، فيقول لهم: "ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موطن سجود. يا عبادي؛ ما دعوتكم إلّا لتنعموا بمشاهدتي. فميسكم في ذلك ما شاء الله. فيقول لهم: هل بقي لكم شيء بعد هذا؟ فيقولون: يا ربنا؛ وأي شيء بقي، وقد نجّيتنا من النار، وأدخلتنا دار رضوانك، وأنزلتنا بجوارك، وخلعت علينا ملابس كرمك، وأرثنا وجهك. فيقول الحقّ ﷻ: بقي لكم. فيقولون: يا ربنا؛ وما ذاك الذي بقي؟! فيقول: دوام رضاي عنكم؛ فلا أسخط عليكم أبداً".

لما أحلاها من كلمة، وما ألّٰها من بشرى. فبدأ سبحانه- بالكلام خلّقنا، فقال: ﴿كُنْ﴾ فأول شيء كان لنا منه السماع، فحتم بما به بدأ. فقال هذه المقالة، فحتم بالسماع. وهو هذه البشرى. ويتفاضل الناس في رؤيته سبحانه-، ويتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً، على قدر علمهم³، فمنهم ومنهم.

ثمّ يقول سبحانه- للملائكة: «ردّوهم إلى قصورهم». فلا يتدنون، لأنهم: لما طرأ عليهم من سُكْرِ الرؤية، ولما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها. فلولا أنّ الملائكة تدلّ بهم، ما عرفوا منازلهم. فإذا

1 ص 10 ب

2 إيس : 55 - 58

3 [الفرقان : 24]

4 ص 11

وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم؛ من الحور والولدان. فيرون جميع ملكهم قد أكسى- بهاء وجبالا ونورا من وجوههم، أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم. فيقولون لهم: لقد زدتم نورا وبهاء وجبالا ما تركناكم عليه. فيقول لهم أهلهم: وكذاكم أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيانا؛ فينعم بعضهم ببعض.

واعلم أن الراحة والرحمة مطلقة في الجنة كلها. وإن كانت الرحمة ليست بأمر وجودي، وإنما هي عبارة عن الأمر الذي يلتذ ويتنعم به المرحوم، وذلك هو الأمر الوجودي. فكل من في الجنة متنعم، وكل ما فيها نعيم؛ فحركهم ما فيها نصب، وأعمالهم ما فيها لغوب. إلا راحة النوم ما عندهم؛ لأنهم ما ينامون. فما عندهم من نعيم النوم شيء. ونعيم النوم هو الذي يتنعم به أهل النار خاصة، فراحة النوم محلها جحيم.

ومن رحمة الله بأهل النار في أيام عذابهم؛ خود النار¹ عنهم، ثم تسر بعد ذلك عليهم؛ فيخف عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾². وهذا يدل أن النار محسوسة، بلا شك. فإن النار ما تتصف بهذا الوصف، إلا من كون قايما بالأجسام. لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها، ولا الزيادة ولا النقص، وإنما هو الجسم المحرق بالنار هو الذي يُسَجَّرُ بالنارية.

وإن حللنا هذه الآية على الوجه الآخر، قلنا: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ يعني النار المسلطة على أجسامهم ﴿زِدْنَاهُمْ﴾ يعني المعذبين ﴿سَعِيرًا﴾ فإنه لم يقل: "زدناها" ومعنى ذلك أن العذاب ينقلب إلى بواطنهم، وهو أشد. العذاب الحسي يشغلهم عن العذاب المعنوي. فإذا خبت النار في ظواهرهم، ووجدوا الراحة من حيث جسهم، سلط الله عليهم في بواطنهم التفكير فيما كانوا فرطوا فيه من الأمور، التي لو عملوا بها لنالوا السعادة، وتسلط عليهم الوهم بسلطانه. فيتوهمون عذابا أشد مما كانوا فيه، فيكون عذابهم بذلك التوهم في نفوسهم، أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم. وتلك النار التي أعطاهها الوهم، هي النار التي تطلع على الأفئدة، وهي التي قلنا فيها:

النَّارُ³ نَارَانِ نَارَ كُلِّهَا لَهَبٌ وَنَارٌ مَفْتَى عَلَى الْأَزْوَاجِ تَطْلُعُ
وَهِيَ الْبَتَى مَا لَهَا سَفْعٌ⁴ وَلَا لَهَبٌ لَكِنْ لَهَا أَلَمٌ فِي الْقَلْبِ يَنْطَبِعُ

وكذلك أهل الجنة؛ يعطيهم الله من الأمان والنعيم المتوهم فوق ما هم عليه. فما هو إلا أن الشخص

1 ص 11 ب

2 [الإسراء: 97]

3 ص 12

4 سفعت النار: لفتته

منهم يتوهم ذلك أو يتمناه، فيكون فيه بحسب ما يتمناه أو¹ يتوهمه. إن تمناه معنى كان معنى، أو توهمه حساً كان محسوساً، أي ذلك كان². وذلك النعيم من جنات الاختصاص ونعيمها. وهو جزاء لما كان يتوهم هنا ويتمنى أن لو قدر وتمكّن أن يكون، ممن لا يعصي الله طرفه عين، وأن يكون من أهل طاعته، وأن يلحق بالصالحين من عباده، ولكن قصرت به العناية في الدنيا. فيعطى هذا التمتع في الجنة؛ فيكون له ما تمناه وتوهمه وأراحه الله في الدنيا من تلك الأعمال الشاقة، ولحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العليا.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في الرجل الذي لا قوة له ولا مال له، فيرى رب المال الموفق يتصدق ويعطي في فك³ الرقاب، ويوسع على الناس، ويصل الرحم، ويبني المساجد، ويعمل أعمالاً لا يمكن أن يصل إليها إلا رب المال، ويرى أيضاً من هو أجلة منه على العبادات، التي ليس في قوة جسمه أن يقوم بها، ويتمنى أنه لو كان له مثل صاحبه من المال والقوة، لعمل مثل عمله؛ قال ﷺ: «فهما في الأجر سواء» ومعنى ذلك أنه يعطى في الجنة مثل ذلك التمتع من النعيم الذي أنتجته تلك الأعمال؛ فيكون له ما تمنى. وهو أقوى في اللذة والتنعم مما لو وجده في الجنة قبل هذا التمتع، فلما انقضى عن تمتيه، كان النعيم به أعلى.

فمن جنات الاختصاص ما يخلق الله له من همة وتمنيه؛ فهو اختصاص عن عمل معقول متوهم، وتمنّ لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا، وهو الذي عنينا بالاختصاص في قولنا:

مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ مَقْسُومَةٌ	مَا يَبْنِي أَعْمَالٌ وَيَبْنِي اخْتِصَاصٌ
فَيَأْتِي أُولَى الْأَلْبَابِ سَبَقًا عَلَى	نَجَبٍ مِنْ أَعْمَالِكُمْ لَا مَنَاصُ
إِنَّ "بَلَى" لَمْ تُعْطِ أَطْفَالُنَا	مِنْ أَثَرِ الْأَعْمَالِ غَيْرِ الْخَلَاصِ
لَأَنَّهُ لَمْ يَكْ شَرَعًا لَهُمْ	فَهَوَّ اخْتِصَاصٌ مَا لَدَيْهِ اثْتِقَاصُ

فأردنا⁴ بالاختصاص الثاني ما لا يكون عن تمنّ ولا توهم، وأردنا بالاختصاص الأول ما يكون عن تمنّ وتوهم، الذي هو جزاء عن تمنّ وتوهم في الدنيا.

وإلا فقد عشناها زماناً رغداً

1 "تمناه أو" من س فقط
2 في هامش ق، ومتن س: أماقني إن تحصل تكن أحسن المني
3 ق: "وفيك" وصححت بقلم الأصل.

4 ص 12 ب

5 ص 13

وَأَمَّا الْأَمَانِيُّ الْمَذْمُومَةُ؛ فَهِيَ الَّتِي لَا تَكُونُ لَهَا ثَمَرَةٌ، وَلَكِنَّ صَاحِبَهَا يَتَنَعَّمُ بِهَا فِي الْحَالِ كَمَا قِيلَ¹:

أَمَانِي إِنْ تَحْضِلْ تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَتَى وَلَا تَقْذِ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا زَعْدًا

ولكن تكون حسرة في المال، وفيها قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنَكُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾² وفيها يقال: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾³ لأنه لا مفاضلة بين الخير والشر، فما كان خير أصحاب الجنة أفضل وأحسن إلا من كونه واقعا وجوديا محسوسا؛ فهو أفضل من الخير الذي كان الكافر يتوهمه في الدنيا، ويظن أنه يصل إليه بكفره، لجهله. فلهذا قال فيه: "خير.. وأحسن" فأتى ببنية المفاضلة وهي: أفل من كنا، فافهم هذا المعنى ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 القائل هو ابن ميادة: (؟ - 149 هـ / ؟ - 766 م) الرماح بن أبرد بن ثوبان الديلمي النبطي المُرِّي، أبو شرحبيل، ويقال أبو حرمة. وميادة أمه ونسبه إليها اشتهر. شاعر رقيق هجاء، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، قالوا: كان متعرضا للنشر طالبا لمهاجاة الناس ونسبة الشعراء، مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشمين المنصور وجعفر بن سليمان. وفي العلماء من رى أنه أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وأنه كان خيرا لقومه من النابغة، وقد أورد الزبير بن بكار أخباره في كتاب. قال صاحب سبط اللائ: شعراء غطفان المنسوبون إلى أماتهم في الإسلام ثلاثة: ابن ميادة وأبو أبرد، وابن البرصاء وأبو يزيد، وأرطاة بن سمية وأبو زفر. ومطلع القصيدة هو:

أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ مِنْ لَاجِ الْهَوَى إِنْكَازَ تَرَحُّ الشُّرْقِ يُثْلِفُهَا وَجَدًا [الموسوعة الشعرية]

2 [الحديد: 14]

3 [الفرقان: 24]

4 [الأحزاب: 4]

الباب السادس والستون
في معرفة سرّ الشريعة¹ ظاهرا وباطنا
وأَيّ اسم إلهي أوجدها

طَلَبَ الْجَلِيلُ مِنَ الْجَلِيلِ جَلَالًا	فَأَبَى الْجَلِيلُ يُشَاهِدُ الْإِجْلَالَ
لَمَّا رَأَى عِزُّ الْإِلَهِ وَجُودَهُ	عَبَدَ الْإِلَهِ يُضَاجِبُ الْإِذْلَالَ
وَقَدْ أَظْمَأَنَّ بِنَفْسِهِ مُتَعَزِّزًا	مُتَجَبِّرًا مُتَكَبِّرًا مُخْتَالًا
أَتَيْهِ إِلَيْهِ شَرِيقَةٌ مَفْضُومَةٌ	فَأَذَلَّهُ سُلْطَانُهَا إِذْلَالَ
نَادَى الْعَبِيدُ بِفَاقَةٍ وَبِذِلَّةٍ	يَا مَنْ تَبَارَكَ جَدُّهُ وَتَعَالَى

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَتَّبِعُونَ مُطِيعِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾²
وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُقَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾³.

فاعلم أن الأسماء الإلهية لسان حال تعطيها الحقائق، فاجعل بالك لما تسمع، ولا تنوهم الكثرة ولا الاجتماع الوجودي. وإنما أورد في⁴ هذا الباب ترتب حقائق معقولة كثيرة من جهة النسب، لا من جهة وجود عيني. فإن ذات الحق واحدة من حيث ما هي ذات. ثم إنه لما علمنا من وجودنا وافتقارنا وإمكاننا أنه لا بد لنا من مرجح نستند إليه، وأن ذلك المستند لا بد أن يطلب وجودنا منه بسبا مختلفة، كني الشارح عنها بالأسماء الحسنى، فسُعي بها من كونه متكلمًا في مرتبة وجوبية وجوده الإلهي، الذي لا يصح أن يشارك فيه، فإنه إله واحد لا إله غيره.

فأقول بعد هذا التقرير في ابتداء هذا الأمر، والتأثير والترجيح في العالم الممكن: إن الأسماء اجتمعت بخضرة المسمى، ونظرث في حقائقها ومعانيها، فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها، فإن الخالق الذي هو المقدر، والعالم، والمدبر، والمفضل، والباري، والمصور، والرازق، والحي، والميت، والوارث، والشكور، وجميع الأسماء الإلهية؛ نظروا في ذواتهم، ولم يدروا مخلوقا، ولا مدبرًا، ولا مفضلًا، ولا مصورًا،

1 ع 13 ب
2 الإسراء : 95
3 الإسراء : 15
4 ص 14

ولا مرزوقا، فقالوا: كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي تظهر أحكامنا فيها؛ فيظهر سلطاننا.

فلجأت الأسماء الإلهية التي تطلبها بعض حقائق العالم¹، بعد ظهور عينه، إلى الاسم الباري، فقالوا له: عسى توجد هذه الأعيان لتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا، إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأخيرنا؟ فقال الباري: ذلك راجع إلى الاسم القادر؛ فأني تحت حيطته.

وكان أصل هذا أن الممكنات في حال عدمها، سألت الأسماء الإلهية سؤال حال ذلة وافتقار، وقالت لها: إنَّ العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضاً، وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا، فلو أنكم أظهرتم أعياننا، وكسوتمونا حلة الوجود، أنعمت علينا بذلك، وقمنا بما ينبغي لكم من الإجلال والتعظيم. وأنتم أيضاً كانت السلطنة تصح لكم في ظهورنا بالفعل، واليوم أنتم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية، فهذا الذي نطلبه منكم هو في حقكم، أكثر منه في حقنا. فقالت الأسماء: أن هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح، فتحرركوا في طلب ذلك.

فلما لجؤوا إلى الاسم "القادر"، قال "القادر": أنا تحت حيطه "المريد"، فلا أوجد عينا منكم إلا باختصاصه، ولا يمكنني الممكن من نفسه، إلا أن يأتيه أمر الأمير من ربه، فإذا أمرته بالتكوين وقال له: "كن" مكنتي من نفسه وتعلقت بإيجاده، فكوثته من حينه. فالجؤوا إلى الاسم "المريد"، عسى-أنه يزيح ويخصص جانب² الوجود على جانب العدم. حينئذ نجتمع أنا و"الأمير" و"المتكلم" ونوجدكم.

فلجؤوا إلى الاسم "المريد"، فقالوا له: إنَّ الاسم "القادر" سألناه في إيجاد أعياننا، فأوقف أمر ذلك عليك، فما ترسم؟ فقال "المريد": صدق "القادر"، ولكن ما عندي خبر ما حكم الاسم "العالم" فيكم: هل سبق علمه بإيجادكم فنخصص، أو لم يسبق؟ فأنا تحت حيطه الاسم "العالم"، فسيروا إليه واذكروا له قضيتكم.

فسأروا إلى الاسم "العالم"، وذكروا ما قاله الاسم "المريد"، فقال "العالم": صدق "المريد"، وقد سبق علمي بإيجادكم، ولكن الأدب أولى، فإن لنا حضرة مميّنة علينا، وهي الاسم "الله". فلا بدّ من حضورنا عنده، فإنها حضرة الجمع.

فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة "الله"، فقال: ما بالكم؟ فذكروا له الخبر. فقال: أنا اسم جامع لحقائقكم، وإني دليل على مسعى، وهو ذات مقدّسة، له نعمت الكمال والتزينة. فنفقوا حتى أدخل على مدلولي.

1 ص 14 ب

2 ص 15

فدخل على مدلوله، فقال له ما قالته الممكنات، وما تجاوزت فيه الأسماء. فقال: اخرج، وقل لكل واحد من الأسماء يتعلّق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات، فإني الواحد لنفسي من حيث نفسي، والممكنات إنما تطلب مرتبتي، وتطلبها مرتبتي. والأسماء الإلهية كلّها للمرتبة، لا لي. إلا "الواحد" خاصة؛ فهو اسم خصيص بي¹، لا يشاركني في حقيقته من كلّ وجه أحد: لا من الأسماء، ولا من المراتب، ولا من الممكنات.

فخرج الاسم "الله" ومعه الاسم "المتكلم" يترجم عنه للممكنات والأسماء، فذكر لهم ما ذكره المسئى. فتعلّق "العالم" و"المريد" و"القاتل" و"القادر"، فظهر الممكن الأول من الممكنات، بتخصيص "المريد" وحكم "العالم".

فلما ظهرت الأعيان والآثار في الأكوان، وتسلبت بعضها على بعض، وقهر بعضها بعضاً، بحسب ما تستند إليه من الأسماء، فأدى إلى منازعة وخصام. فقالوا: إنا نخاف علينا أن يفسد نظامنا، ونلحق بالعدم الذي كنا فيه. فنهت الممكنات الأسماء بما ألقى إليها الاسم "العليم" و"المدير"، وقالوا: أتمّ لآتي الأسماء- لو كان حكمكم على ميزان معلوم وحدّ مرسوم بإمام ترجعون إليه يحفظ علينا وجودنا، وتحفظ عليكم تأثيراتكم فينا، لكان أصلح لنا ولكم؛ فاجئوا إلى الله عسى يقدم من يحدّ لكم حدّاً تقفون عنده، وإلا هلكنا وتعطلتم. فقالوا: هذا عين المصلحة، وعين الرأي. ففعلوا ذلك فقالوا: إنّ الاسم "المدير" هو ينهي أمركم؛ فانهوا إلى "المدير" الأمر، فقال: أنا لها.

فدخل، وخرج بأمر الحقّ إلى الاسم "الربّ" وقال له: افعل ما تقتضيه المصلحة في بقاء أعيان هذه الممكنات. فاتخذ² وزيرين يعينانه على ما أمر به؛ الوزير الواحد: الاسم "المدير"، والوزير الآخر "المفضل". قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾³ الذي هو الإمام. فانظر ما أحكم كلام الله تعالى- حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الأمر عليه.

فحدّ الاسم "الربّ" لهم الحدود، ووضع لهم المراسم لإصلاح المملكة، وليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل الله ذلك على قسمين؛ قسم يسّى سياسة حكّمية، ألّقاها في فطر نفوس الأكابر من الناس؛ فحدّوا حدوداً، ووضعوا نوااميس، بقوة وجدوها في نفوسهم؛ كلّ مدينة وجمّة وإقليم بحسب ما يقتضيه مزاج تلك الناحية وطباعهم، لعلهم بما تعطيه الحكمة. فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوم وأرحامهم وأنسابهم، وسمّوها نوااميس. ومعناها: أسباب خير؛ لأنّ الناموس في العرف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير، والجاسوس يُستعمل في الشرّ.

1 ص 15 ب

2 ص 16

3 [الرعد : 2]

فهذه هي النواميس الحكيمية التي وضعها العقلاء، عن إلهام من الله من حيث لا يشعرون، لمصالح العالم ونظمه وارتباطه، في مواضع لم يكن عندهم شرع إلهي منزل. ولا علم لواضعي هذه النواميس بأن هذه الأمور مقرّنة إلى الله، ولا تُورث جنة ولا ناراً، ولا شيئاً من أسباب الآخرة. ولا علموا أن ثمّ آخرة، وبعثاً محسوساً بعد الموت في أجسام طبيعيتة، وداراً فيها أكل وشرب ولباس ونكاح وفرح، وداراً فيها عذاب وآلام. فإنّ وجود ذلك ممكن، وعدمه ممكن، ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين، بل رهبانيتة ابتدعوها. فلهذا كان مبنى نواميسهم ومصالحهم على إبقاء الصلاح في هذه الدار.

ثمّ افتردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية من توحيد الله، وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وصفات التنزيه، وعدم المثل والشبيه، وبأنّه من يدري ومن علم ذلك من لا يدري، وحرّضوا الناس على النظر الصحيح، وأعلموهم أنّ للعقول من حيث أفكارها حدّاً تقف عنده لا تتجاوزه، وأنّ الله على قلوب بعض عباده فيضاً إلهياً، يُعلّمهم فيه من لينه علماً، ولم يبعد ذلك عندهم، وأنّ الله قد أودع في العالم العلويّ أموراً استدلّوا عليها بوجود آثارها في العالم العنصريّ وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْخِي فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾².

فبحثوا عن حقائق نفوسهم، لمّا رأوا أنّ الصورة الجسدية إذا ماتت ما نقص من أعضائها شيء، فعلموا أنّ المدرك والحرك لهذا الجسد، إنّما هو أمر آخر زائد عليه، فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد؛ فعرفوا نفوسهم، ثمّ رأوا أنّه يعلم بعد ما كان يجهل؛ فعلموا³ أنّها وإن كانت أشرف من أجسادها، فإنّ الفقر والفاقة يصحبها. فاعتلّوا بالنظر من شيء إلى شيء، وكلّما وصلوا إلى شيء رأوه مفتقراً إلى شيء آخر. حتى انتهى بهم النظر إلى شيء لا يقتصر إلى شيء ولا مثله شيء ولا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء؛ فوقفوا عنده، وقالوا: هذا هو "الأوّل"، وينبغي أن يكون واحداً لثباته من حيث ذاته، وأنّ أوليّته لا تقبل الثاني، ولا أحديّته؛ لأنّه لا شبه له ولا مناسب. فوحدوه توحيداً وجوداً. ثمّ لمّا رأوا أنّ الممكنات لأنفسها لا ترجّح لثباتها؛ علموا أنّ هذا "الواحد" أفادها الوجود؛ فافتقرت إليه، وعظمتته؛ بأنّ سلّبت عنه جميع ما تصف ذواتها به؛ فهذا حدّ العقل.

فبينما هم كذلك؛ إذ قام شخص من جنسهم، لم يكن عندهم من المكانة في العلم، بحيث أن يعتقدوا فيه أنّه ذو فكر صحيح ونظر صائب، فقال لهم: "أنا رسول الله إليكم" فقالوا: الإنصاف أوّل؛ انظروا في نفس دعواؤهم: هل ادّعى ما هو ممكن؟ أو ادّعى ما هو محال؟ فقالوا: إنّّه قد ثبت عندنا بالليل، أنّ الله فيضاً إلهياً يجوز أن يمنحه من يشاء، كما أفاض ذلك على أرواح هذه الأفلاك وهذه العقول، والكل قد اشتركوا

1 ع 16
2 [صلت: 12]
3 ع 17

في الإمكان، وليس بعض الممكنات بأولى من بعض فيما هو ممكن. فما بقي لنا نظرٌ إلّا في¹ صدق هذا المدّعي أو كذبه، ولا تُقدّم على شيء من هذين الحكّمين بغير دليل، فإنّه سوء أدب مع علمنا. فقالوا: هل لك دليل على صدق ما تدّعيه؟ فجاءهم بالدلائل. فنظروا في دلالته وفي أدلّته، ونظروا أنّ هذا الشخص ما عنده خبر بما تنتجته الأفكار، ولا عُرف منه. فعملوا أنّ الذي أوحى في كلّ سماء أمرها، كان بما أوحى في كلّ سماء وجود هذا الشخص، وما جاء به. فأسرعوا إليه بالإيمان به وصدّقوه، وعلموا أنّ الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلويّ من المعارف ما لم تصل إليه أفكازهم، ثم أعطاه من المعرفة بالله² ما لم يكن عندهم.

ورأوا نزوله في المعارف بالله إلى العالَميّ الضعيف الرائي بما يصلح لعقله من ذلك، وإلى الكبير العقل، الصحيح النظر، بما يصلح لعقله من ذلك، فعملوا أنّ الرجل عنده من الفيض الإلهيّ ما هو وراء طور العقل، وأنّ الله قد أعطاه من العلم به والقدرة عليه ما لم يعطه إياهم. فقالوا بنضله وتقدّمه عليهم، وآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه. فعين لهم الأفعال المقرّبة إلى الله تعالى، وأعلمهم بما خلق الله من الممكنات، فيما غاب عنهم، وما يكون منه سبحانه- فيهم في المستقبل، وجاءهم بالبعث والنشور، والحشر، والجنّة والنار. ثمّ أنّه تابعت الرسل على اختلاف الأزمان³ واختلاف الأحوال. وكلّ واحد منهم يصدّق صاحبه ما اختلفوا قطّ، في الأصول التي استندوا إليها وعبروا عنها، وإن اختلفت الأحكام. فنزلت الشرائع ونزلت الأحكام، وكان الحكم بحسب الزمان والحال، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. فانفقت أصولهم من غير خلاف في شيء من ذلك.

وفرقوا في هذه السياسات النبويّة المشروعة من عند الله، بينها وبين ما وضعت الحكماء، من السياسات الحكيمّة التي اقتضاها نظرهم، وعلموا أنّ هذا الأمر آثم، وأنّه من عند الله بلا شكّ. فقبلوا ما أعلمهم به من الغيوب، وآمنوا بالرسل. وما عاند أحدٌ منهم، إلّا من لم ينصح نفسه في علمه، واتّبع هواه، وطلب الرئاسة على أبناء جنسه، وجعل نفسه وقدره، وجعل ربه.

فكان أصل وضع الشريعة في العالم وسببها، طلب صلاح العالم، ومعرفة ما يُجمل من الله، بما لا يقبله العقل، أي لا يستقلّ به العقل من حيث نظره. فنزلت بهذه المعرفة الكتب المنزلّة، ونظفت بها السنّة الرسل والأنبياء عليهم السلام- فعملت العقلاء عند ذلك أنّها نقّصها من العلم بالله أمورٌ تمّت بها لهم الرسل.

1 ص 17 ب

2 تاجية في الهامش بقلم الأصل

3 ص 18

4 - الثالثة : 48

ولا أعني بالعقلاء، المتكلمين اليوم¹ في الحكمة. وإنما أعني بالعقلاء؛ مَنْ كان على طريقتهم من الشغل بنفسه والرياضات والمجاهدات والخلوات، والتهَيُّؤ لواردات ما يأتيهم في قلوبهم عند صفاتها من العالم العلويّ الموحى في السماوات العلى؛ فهو لائقُ أعني بالعقلاء. فإنَّ أصحاب اللقطة والكلام والجدل، الذين استعملوا أفكارهم في موادّ الألفاظ، التي صدرت عن الأوائل، وغابوا عن الأمر الذي أخذها² عنه أولئك الرجال. وأمّا أمثال هؤلاء الذين عندنا اليوم، لا قدر لهم عند كلِّ عاقل، فإنهم يستهزئون بالدين، ويستخفون بعباد الله، ولا يُعْظَم عندهم إلّا مَنْ هو معهم على مدرجتهم، قد استولى على قلوبهم حبُّ الدنيا، وطلبُ الجاه والرئاسة، فأذلّهم الله كما أذلّوا العلم، وحقرهم وصغرهم، وألجأهم إلى أبواب الملوك والولاة من الجهال؛ فاذلتهم الملوك والولاة.

فأمثال هؤلاء لا يُعْتَبَر قولهم؛ فإنَّ قلوبهم قد ختم الله عليها وأصمهم وأعمى أبصارهم، مع الدّعوى العريضة أنّهم أفضل العالم عند نفوسهم. فالفقيه المفتي في دين الله مع قلّة ورعه بكلِّ وجهٍ أحسن حالاً من هؤلاء. فإنَّ صاحب الإيمان مع كونه أخذه تقليداً، هو أحسن حالاً من هؤلاء العقلاء³ على زعمهم، وحاشا العاقل أن يكون بمثل هذه الصفة.

وقد أدركنا مَنْ كان على حاله قليلاً؛ وكانوا أعرف الناس بمقدار الرسل، ومن أعظمهم تبعاً لسنن الرسول ﷺ وأشدّهم محافظة على سننه، عارفين بما ينبغي لجلال الحقّ من التعظيم، عالمين بما خصّ الله عباده من النبيّين وأتباعهم من الأولياء من العلم بالله، من جملة الفيض الإلهي الاختصاصي الخارج عن التعلّم المعتاد من الدرس والاجتهاد ما لا يقدر العقلُ من حيث فكره أن يصل إليه.

ولقد سمعتُ واحداً من أكابرهم⁴، وقد رأى مما فتح الله به عليّ من العلم به سبحانه، من غير نظر ولا قراءة، بل من خلوة خلوت بها مع الله، ولم أكن من أهل الطلب، فقال: الحمد لله الذي أنا في زمانٍ رأيت فيه من آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً. فالله يختص مَنْ يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 18 ب

2 ن: أنصوها

3 ص 19

4 يقصد به الفيلسوف ابن رشد، وقد ذكر قصته معه في الباب الخامس عشر

5 [الأحزاب: 4]

الباب السابع والستون
في معرفة لا إله إلا الله، محمد رسول الله
وهو الإيمان

شَهِدَ ¹ اللهُ لَمْ يَزَلْ أَرْلَا	أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
ثُمَّ أَمْلَأَكَ بِذَا شَهِدْتَ	أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
وَأَوَّلُو الْعِلْمَ كُلَّهُمْ شَهِدُوا	أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
ثُمَّ قَالَ الرَّسُولُ: قُولُوا مَعِيَ	أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
أَفْضَلُ مَا قُلْتُمْ وَقَالَ بِهِ مَنْ	قَبْلَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
مَا عَنَا الْإِنْسِ كُلُّهُمْ شَهِدُوا	أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ

قال الله جلّ ثناؤه- في كتابه العزيز: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾² ثم قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾³ وقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» الحديث. فقال⁴ سبحانه: ﴿وَأَوَّلُو الْعِلْمِ﴾ لم يقل: "وأولو الإيمان" فإنّ شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون إيماناً. ولهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون إلا عن علم، وإلا فلا تصحّ شهادته.

ثم إنّه ﷺ عطف الملائكة وأولي العلم على نفسه بالواو، وهو حرفٌ يعطي الاشتراك، ولا اشتراك هنا إلا في الشهادة قطعاً، ثم أضافهم إلى العلم لا إلى الإيمان. فعلمنا أنّه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم النظريّ أو الضروريّ لا من طريق الخبر، كأنه يقول: وشهدت الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروريّ من التجلّي الذي أفادهم العلم، وقام لهم مقام النظر الصحيح في الأدلة؛ فشهدت لي بالتوحيد، كما شهدت لنفسي. وأولو العلم بالنظر العقليّ الذي جعلته في عبادي.

1 ص 19 ب
2 [آل عمران : 18]
3 [آل عمران : 19]
4 ص 20

ثم جاء بالإيمان بعد ذلك في الرتبة الثانية من العلماء، وهو الذي يعمل عليه في السعادة. فإن الله به أمر. وسمينه علماً لكون الخبر هو الله. فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾¹ وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾² حين قسّم المراتب في آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز. وقال رسول الله ﷺ في الصحيح: «من مات وهو³ يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولم يقل هنا: "يؤمن". فإن الإيمان موقوف على الخبر، وقد قال (تعالى): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁴.

وقد علمنا أن الله عبادا كانوا في فتراتٍ وهم موحّدون علما، وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله ﷺ عامّة، فيلزم أهل كل زمان الإيمان. فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله: المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق، الذي يفيد العلم لا من جهة الإيمان- وغير المؤمن.

فالإيمان لا يصح وجوده إلا بعد مجيء الرسول. والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثمّ إلها، وأنّ ذاك الإله واحد لا بدّ من ذلك، لأنّ الرسول من جنس من أرسل إليهم. فلا يختص واحد من الجنس دون غيره، إلا لعدم المعارض، وهو الشريك. فلا بدّ أن يكون عالما بتوحيد من أرسله وهو الله تعالى، ولا بدّ أن يتقدّمه العلم بأنّ هذا الإله هو على صفة يمكن أن يبعث رسولا، بنسبة خاصّة ما هي ذاته، وحينئذ ينظر في صدق دعوى هذا الرسول أنّه رسول من عند الله لإمكان ذلك عنده.

وهذه في العلم مراتب معقولة، يتوقّف العلم ببعضها على بعض. وليس هذا كلّها حظّ المؤمن؛ فإنّ مرتبة الإيمان -وهو التصديق بأنّ هذا رسول من عند الله- لا تكون إلا بعد حصول هذا العلم الذي ذكرناه. فإذا جاءت الدلالات على صدقه بأنّه رسول الله، لا بتوحيد مرسله، حينئذ تتأهّب العقلاء أوّلوا الأبواب والأحلام والنهي، لما يورده في رسالته هذا الرسول. فأوّل شيء قال في رسالته: إنّ الله الذي أرسلني يقول لكم قولوا: "لا إله إلا الله".

فعلم أوّلوا الأبواب، أنّ العالم بتوحيد الله لا يلزمه أن يتلفظ به. فلما سمع من الرسول الأمر بالتلفظ به، وأنّ ذلك ليس من مدلول دليل العلم بتوحيد الله، تلفظ به هذا العالم الموحّد، إيمانا وتصديقا بهذا الرسول. فإذا قال العالم: "لا إله إلا الله" لقول رسول الله ﷺ له: "قل لا إله إلا الله" عن أمر الله، سمّي مؤمنا. فإنّ الرسول أوجب عليه أن يقولها، وقد كان في نفسه عالما بها، ومخيّرا في نفسه في التلفظ بها وعدم التلفظ بها. فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث اللبيل.

1 [محمد : 19]

2 [إبراهيم : 52]

3 ص 20 ب

4 [الأنعام : 15]

5 ص 21

"فمن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"، بلا شك ولا ريب. وهو من السعداء. فأما في الفترات فيبعثه الله أمةً وحده كقس بن ساعدة، لا تابع؛ لأنه¹ ليس بمؤمن، ولا هو متبوع؛ لأنه ليس برسول من عند الله. بل هو عالم بالله، وبما علم من الكوائن الحادثة في العالم، بأي وجه علمها. وليس مخلوق أن يشرع ما لم يأذن به الله، ولا أن يوجب وقوع ممكن من عالم الغيب، يجوز خلافه في دليبه، على جهة القرينة إلى الله، إلا بوحى من الله وإخبار.

وهنا نكت لمن له قلب وفطنة، لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُمْ﴾² وقوله: "إنه أودع اللوح المحفوظ جميع ما يجريه في خلقه إلى يوم القيامة" وبما أوحى الله في سماواته، وأودعه في لوحه: بعثة³ الرسل؛ فتؤخذ من اللوح كشفاً وإطلاعا، وتؤخذ من السماء نظرا واختبارا. وعلمهم بعثة⁴ الرسل (هو) علمهم بما يجهلون به من القربات إلى الله، وبأزمانهم وأمكنهم وخلاصهم، وما يكون من الناس بعد الموت، وما يكون منهم في البعث والحشر، وآلهم إلى السعادة والشقاء من جنة ونار.

وإن الله جعل بروج الفلك ومنازله، وسباحة كواكبه، أدلة على حكم ما يجريه الله في العالم الطبيعي والعنصري من حرّ وبرد ويبس ورطوبة في حارّ وبارد ورطب ويابس. فمنها ما يقتضي وجود الأجسام في حركات معلومة، ومنها ما⁵ يقتضي وجود الأرواح، ومنها ما يقتضي بقاء مدة السماوات؛ وهو العلم الذي أشار إليه أبو طالب المكي: من أن الفلك يدور بأنفاس العالم. ومع رؤيتهم لذلك كله، هم فيه متفاضلون، بعضهم على بعض؛ فمنهم الكامل المحقق المدقق، ومنهم من ينزل عن درجته بالتفاضل في النزول.

وقد رأينا جماعة من أصحاب خطّ الرمل، والعلماء بتقادير حركات الأفلاك وتسيير كواكبها، والاقترانات ومقاديرها، ومنازل اقتراناتها، وما يحدث الله عند ذلك من الحكم في خلقه، كالأسباب المعتادة في العامة التي لا يجهلها أحد، ولا يكفر القائل بها، فهذه أيضا معتادة عند العلماء بها. فإنها تعطي بحسب تأليف طباعها، بما لا يعطيه حالها في غير اقترانها بغيرها. فيخبرون بأمور جزئية تقع على حدّ ما أخبروا به، وإن كان ذلك الأمر واقعا بحكم الاحتقاق، بالنظر إليه. وإن كان علما في نفس الأمر. فإن الناظر فيه ما هو على يقين - وإن قطع به في نفسه - لغموض الأمر. لما يصحّ أن يكون مع الإنصاف على يقين من نفسه أنه ما فاتته دقيقة في نظره، ولا فات لمن مده له السبيل قبله، من غير نبي يخبر عن الله. فإن المتأخر على حساب المتقدم يعتمد.

1 ص 21 ب

2 [فصلت : 12]

3 الحرف الأول والآخر مملان

4 الحروف مملّة عنا حرف الناء

5 ص 22

فلما¹ رأينا ذلك، علمنا أن الله أسراراً في خلقه. ومن حصل في هذه المرتبة من العلم، لم يكن أحد أقوى في الإيمان منه، بما جاءت به الرسل، وما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، إلا من يدعو إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه². وإن كلامنا في المفاضلة، إنما هو بين هؤلاء وبين المؤمنين أهل التقليد، لا بين الرسل وأولياء الله وخاصته، الذين تولى الله تعليمهم؛ فأتاهم رحمة من عنده، وعلمهم من لدنه علماً. فهم فيما علموه بحكم القطع لا بحكم الاستحاط.

يقول رسول الله ﷺ في علم الخط: «إن نبياً من الأنبياء بُعث به» قيل: هو إدريس عليه السلام فأوحى الله إليه في تلك الأشكال، التي أقامها الله له مقام الملك لغيره. وكما نجيء الملك من غير قصد من النبي لهيبته، كذلك نجيء شكل الخط من غير قصد الضارب صاحب الخط إليه. وهذه هي الأمتيازات خاصة. ثم شرع له أن يشرع، فهي السنة التي يرى الرسول أن يضعها في العالم، وأصلها الوحي. كذلك ما يولد صاحب الخط عن الأمتيازات من الأولاد وأولاد الأولاد، فتفصح له تلك الأشكال عن الأمر المطلوب على ما هو عليه، والضمير فيه كالنتية في العمل، فلا³ يخطئ.

قال عليه السلام في العلماء العاملين بالخط: «فمن وافق خطه» يعني خط ذلك النبي «فذاك». يقول: "فقد أصاب الحق". فهذا مثل من يدعو إلى الله على بصيرة من أتباع الرسل، فقوله: «فإن وافق» فما جعله علماً عنده، لكونه لا يقطع به، وإن كان علماً في نفس الأمر. فهذا (هو) الفرق بين هؤلاء، وبين من يدعو إلى الله على بصيرة، ومن هو على بينة من ربه.

فأعلم العلماء بالله بعد ملائكة الله، رسل الله، وأوليائه، ثم العلماء بالأدلة، ومن دونهم. وإن وافق (صاحب الإيمان) العلم في نفس الأمر فليس هو عند نفسه بعالم، للتردد الإمكان، الذي يجده في نفسه المنصّف. فما هو مؤمن إلا بما جاء في كتاب الله على التعيين، وما جاء عن رسوله على الجملة لا على التفصيل، إلا ما حصل له من ذلك تواتراً. ولهذا قيل للمؤمنين: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾⁴ فقد بان لك مراتب الخلق في العلم بالله.

فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله، وقال للجميع: "قولوا لا إله إلا الله". علمنا على التطلع أنه ﷺ في ذلك القول معلّم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين، وعلمنا أنه في ذلك القول،

1 ص 22 ب

2 كالرسول وإنّ هي في س: كالرسل وأولياء عليهم السلام وإيها

3 ص 23

4 ق: للمؤمن.

5 [الحديد: 7]

أيضاً، معلّم للعلماء بالله وتوحيده؛ أن التلقظ به واجب، وأنه العاصم لهم من سفك دمايتهم وأخذ أموالهم وسبي ذرائعهم. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» ولم يقل: "حتى يعلموا" فإنّ فيهم العلماء.

فالحكم هنا للقول لا للعلم، والحكم ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾² في هذا، للعلم لا للقول. فقالها هنا: العالم والمؤمن والمنافق الذي ليس بعالم ولا مؤمن. فإذا قالوا هذه الكلمة؛ عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحققها في الدنيا والآخرة. وحسابهم على الله في الآخرة: من أجل المنافق، ومن ترتب عليه حق لأحد، فلم يؤخذ منه. وأما في الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة؛ فإنّ قول: "لا إله إلا الله" لا يسقطها في الدنيا ولا في الآخرة. وأما حسابهم على الله في الآخرة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ فيعلمون بقرينة الحال أنه سؤال واستفهام عن إجابتهم بالقلوب. فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا بِأَيِّ لَمْ نَطْلَعْ عَلَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾³ (فهذا) تأكيد وتأيد لما ذكرنا.

ثم قال ﷺ من اسمه الملك: «بني الإسلام على خمس» فصيره ملكاً: «شهادة أن لا إله إلا الله» وهي القلب «وأنّ محمداً رسول الله» حاجب الباب، « وإقام الصلاة » الْمُجَنَّبَةُ اليمنى « وإيتاء الزكاة » المجنبّة اليسرى « وصيام رمضان » التقدمة « والحجّ » الساقّة.

وربما كانت الصلاة (هي) التقدمة، لكونها نورا، فهي تحجب الملك، وقد ورد في الخبر: «إنّ حجاب النور». وتكون الزكاة الميمنة، لأنها إشتاق يحتاج إلى قوّة لإخراج ما كان يملكه عن ملكه. ويكون الحجّ الميسرة لما فيه من الإشتاق والقربان، حيث تجمع بالزكاة في الصدقة والهدية، وكلاهما من أعمال الأيدي. ويكون الصوم في الساقّة، فإنّ الخلف نظير الأمام، وهو ضياء، فإنّ الصبر ضياء، يريد الصوم، والضياء من النور، فهو أولى بالساقّة للموازنة، فإنّ الآخر يمشي على أثر الأوّل.

وهكذا يكون الإيمان الإلهي يوم القيامة. فيأتي الإيمان يوم القيامة في صورة ملك على هذه الصفة. فأهل لا إله إلا الله في القلب، وأهل الصلاة في التقدمة، وأهل الزكاة وهي الصدقة في الميمنة، وأهل الحجّ في الميسرة، وأهل الصيام في الساقّة، جعلنا الله من قام بناء بيته على هذه القواعد؛ فكان بيته الإيمان: وحده من القبلة الصلاة، ومن الشمال الصوم، ومن الغرب صدقة السرّ، ومن الشرق الحجّ، فلقد سعد ساكنه.

1 ص 23 ب

2 [الطارق : 9]

3 [المائدة : 109]

4 ص 24

واعلم¹ أن لا إله إلا الله كلمة نفي وإثبات، وهي أفضل كلمة قالتها الأنبياء. قال رسول الله ﷺ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة» فيه إشارة لدعاء العارفين بالله «وأفضل ما قلته أنا والنبيتون من قبلي: لا إله إلا الله» وهو حديث صحيح، رواية ومعنى.

فالنفي لابد أن يرد على ثابت فينفيه، فإنه إن ورد النفي على ما ليس بثابت وهو النفي؛ أثبتته، لأن ورود النفي على النفي إثبات. كما أن عدم العدم وجود. فما نفي هذا النافي بقوله: "لا إله"؟ أخبرونا فقد استفهمناكم؟ والمثبت، أيضاً؛ هل حكمه حكم المنفي من أنه لا يثبت إلا المنفي؟ أو حكمه حكم آخر يتميز به عن حكم النفي؟ فأني شيء نفي هذا النافي؟ وأي شيء أثبت هذا المثبت؟ هذا كله لابد من تحقيقه - إن شاء الله -.

فاعلم أن النفي وزد على أعيان من المخلوقات، إما وصفت بالألوهية، وتُسيبَت إليها، وقيل فيها: آلهة. ولهذا تعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله الواحد، فأخبرنا الله عنه أنه قال: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾² فاتهموه فسبوا آلهة، وهي ليست بهذه الصفة، فورد حكم النفي على هذه النسبة الثابتة عندهم إليها، لا في نفس الأمر، لا على نفي الألوهة³.

لأنه لو نفي النفي، لكان عين الإثبات لما زعمه المشرك. فكأنه يقول للمشرك: هذا القول الذي قلت لا يصح، أي ما هو الأمر كما زعمت، ولا بد من إله، وقد انتفت الكثرة من الآلهة بحرف الإيجاب، الذي هو قوله: "إلا" وأوجبوا هذه النسبة إلى المذكور بعد حرف الإيجاب، وهو مستى "الله" فقالوا: "لا إله إلا الله". فلم تثبت نسبة الألوهة لله بإثبات المثبت، لأنه سبحانه - إله لنفسه. فأثبت المثبت بقوله: "إلا الله" هذا الأمر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده سبحانه - بهذا الوصف، فإن ثبت الثبوت محال، وليس نفي النفي بمحال.

فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا الله، لأنه لو لم يعتقد الألوهة في الشريك ما عبده؛ ولم يَفُضْ - رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَمَازُكُمْ⁴ ولأنك غار الحق لهذا الوصف، فعاقبهم في الدنيا إذا لم يحترموا، ورزقهم وسمع دعاءهم وأجابهم إذا سألوا إلههم في زعمهم، يعلمه سبحانه - أنهم ما لجؤوا إلا لهذه المرتبة، وإن أخطؤوا في النسبة، فشقوا في الآخرة شقاء الأبد. حيث تنبههم الرسول على توحيد من تجب له هذه النسبة. فلم ينظروا ولا نصحوا نفوسهم. ولهذا كانت دلالة كل رسول، بحسب ما كان الغالب على أهل زمانه، لتقوم عليهم الحجة فتكون لله الحجة البالغة.

1 ص 24 ب

2 ص: 15

3 ص 25

4 [الإسراء: 23]

فعمت¹ هذه الكلمة مرتبة العدم والوجود. فلم تبقى مرتبةً إلّا وهي داخلة تحت النفي والإثبات، فلها النشور. فمن قائل: لا إله إلّا الله بنفسه، ومن قائل: لا إله إلّا الله بنعته، ومن قائل: لا إله إلّا الله برّيه، ومن قائل: لا إله إلّا الله بنعت ربه، ومن قائل: لا إله إلّا الله بحاله، ومن قائل: لا إله إلّا الله بحكمه، وهو المزمّن خاصّةً؛ والخمسة الباقون ما لهم في الإيمان مدخل.

أمّا من قال: "لا إله إلّا الله" بنفسه؛ فهو الذي قالها من تجلّيه لنفسه، فرأى استفادة وجوده من غيره، فأعطته رؤية نفسه أن يقول: "لا إله إلّا الله" وهو التوحيد الناقّي الذي أشارت إليه طائفة من المحقّقين.

وأما القائل: "لا إله إلّا الله" بنعته؛ فهو الذي وحّده بعلمه، فإنّ نَعته العلم بتوحيد الله وأحديّته. فنطقه علمه. والفرق بينه وبين الأوّل: أنّ الأوّل عن شهود، وهذا الثاني عن وجود، والوجود قد يكون عن شهود، وقد لا يكون.

وأما القائل: "لا إله إلّا الله" برّيه؛ فهو الذي رأى أنّ الحقّ عينُ الوجود، لا أمرٌ آخر. وأنّ اتّصاف الممكنات بالوجود هو ظهور الحقّ لنفسه بأعيانها، وذلك أنّ استفادتها الوجود لها من الله، إنّما هو من² حيث وجوده. فإنّ الوجودَ المستفاد، هو الظاهر، وهو عين الحكم به على هذه الأعيان؛ فقال: "لا إله إلّا الله" برّيه.

وأما القائل: "لا إله إلّا الله" بنعت ربه، فإنّه رأى أنّ الحقّ سبحانه - من حيث أحديّته وذاته ما هو مستقّى الله والربّ، فإنّه لا يقبل الإضافة. ورأوا أنّ مستقّى الربّ يقتضي - المربوب، ومستقّى الله يطلب المألوه. ورأوا أنّهم لمّا استفادوا منه الوجود ثبت له اسم الربّ؛ إذ كان المربوب يطلبه. فالمربوب أصلٌ في ثبوت الاسم الربّ، ووجود الحقّ أصلٌ في وجود الممكنات. ورأوا أنّ "لا إله إلّا الله" لا تطلبه عين الذات، فقالوا: "لا إله إلّا الله" بنعت الربّ الذي نَعته به المربوب. فالعلم بنا أصلٌ في علمنا به. يقول ~~المتكلم~~: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» فوجدنا موقوف على وجوده، والعلم به موقوف على العلم بنا³. فهو أصلٌ في وجهه، ونحن أصلٌ في وجهه.

وأما القائل: "لا إله إلّا الله" بحاله، فهو الذي يستند في أموره إلى غير الله، فإذا لم يتحقّق له حصول ما طلب تحصيله من استند إليه، وسدّت الأبواب في وجهه من جميع الجهات، رجع إلى الله اضطراراً فقال: "لا إله إلّا الله" بحاله.

1 ص 25 ب

2 ص 26

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

وهؤلاء الأصناف كلّهم لا يتصفون بالإيمان؛ لأنّه ما فيهم من قالها عن تقليد.

وأما¹ من قال: "لا إله إلا الله" بحكمه، فهو الذي قالها لقول الشارع، حيث أوجب عليه أن يقولها، وحكم عليه أن يقولها، ولولا هذا الحكم ما قالها على جهة التّوبة إلى الله، وربما لو قالها؛ قالها مُغلّياً ومُغلّلاً.

دخلت على شيخنا أبي العباس العربي من أهل الغلباء، وكان مستهتراً بذكر الاسم "الله" لا يزيد عليه شيئاً. فقلت له: يا سيدي؛ لم لا تقول: "لا إله إلا الله"؟ فقال لي: يا ولدي؛ الأنفاس بيد الله ما هي بيدي، فأخاف أن يقبض الله روحي عندما أقول: "لا" أو "لا إله" فأقبض في وحشة النّفي. وسألت شيخاً آخر عن ذلك، فقال لي: ما رأيت عيني ولا سمعت أذني من يقول: "أنا الله" غير الله، فلم أجد من أنفي، فأقول كما سمعته يقول: الله الله.

وإنما تعبّدنا بهذا الاسم في التوحيد، لأنّه الاسم الجامع للنعوت بجميع الأسماء الإلهيّة. وما نُقل أنّه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركةٌ، بخلاف غيره من الأسماء، مثل "إله" وغيره. وهذا القدر من القول، إذا قيل (لا إله إلا الله) لقول الشارع يثبت الإيمان. وإنما قال الشارع: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله». ولم يقل: "محمد رسول الله" لتضمّن هذه الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة. فإنّ القائل: "لا إله إلا الله" لا يكون مؤمناً²، إلا إذا قالها لقول رسول الله ﷺ، فإذا³ قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته.

فلما تضمّنّت هذه الكلمة الخاصة بالشهادة بالرسالة، لهذا لم يقل: قولوا "(محمد) رسول الله". وقال في غير القول وهو الإيمان، والإيمان معنى من المعاني، ما هو بما يدرك بالحسّ، فقرن بالإيمان بالله؛ الإيمان به وما جاء به، يعني من عنده، بما له أن يشرّعه من غير نقلٍ عن الله. فقال في حديث ابن عمر، لما ذكر الإيمان بالله وبالصلاة والزكاة والحجّ والصوم، وكلّ هذا جاء من عند الله، قال في حديث ابن عمر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وما جئت به» من أجل المنافق المقلّد؛ فبأنّه يقولها من غير إيمان بقلبه ولا اعتقاد، والجاحد المنافق يقولها لا لقوله، مع علمه بأنّه رسول الله من كتابه، لا من دليله العقليّ.

واعلم أنّ المتخلّف بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد، فيه سرّ إلهيّ عرفنا به الحقّ سبحانه، وهو أنّ الإله الواحد الذي جاء بوصفه ونعته الشارع، ما هو التوحيد الإلهيّ الذي أدركه العقل، فإنّ ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة، مع الشهادة بالتوحيد. فهذا التوحيد من حيث ما يعلمه الشارع، ما هو

1 ع 363

2 في متن ق: "إيماناً" واستبطلت بجائها: صوابه "مؤمناً"

3 ع 27

التوحيد من حيث ما أثبتته النظر العقلي. وإذا كان الإله الذي دعانا الشرع إلى عبادته وتوحيده إنما هو في رتبة كونه إلها لا في ذاته، صحّ أن نعتة بما نعتة به؛ من النزول والاستواء والمعية والتردد والتدبر وما أشبه ذلك من الصفات، التي لا يقبلها توحيد العقل الحض، المجرد عن الشرع. فهذا المعبود ينبغي أن تُقرن شهادة الرسول برسالته بشهادة توحيد مرسله، ولهذا يضاف إليه فيقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله"، كلّ يوم ثلاثين مرّة، في أذان الخمس الصلوات وفي الإقامة. والمتلفظون بهذه الشهادة الرسالية؛ التفضيلُ فيهم كالتفضيل في شهادة التوحيد. فلنمش بها على ذلك الأسلوب من المراتب.

وفي الإيمان بالله ورسوله، الإيمان بكلّ ما جاء به من عند الله، ومن عنده، بما سنّه وشرعه. ويدخل فيما سنّه: الإيمان بسنة من سنّ سنة حسنة. فاستمرّ الشرع، وحدث العبادة المرغّب فيها، مما لا ينسخ حكما ثابتا إلى يوم القيامة.

وهذا الحكم خاصّ بهذه الأمة، وأعني بالحكم: تسميتها سنة؛ تشريفا لهذه الأمة، وكانت في حقّ غيرهم من الأمم السالفة تسمّى رهبانية. قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾² فمن قال "بدعة" في هذه الأمة بما سمّاها الشارع "سنة"، لما أصاب السنة. إلّا أن يكون ما بلغه ذلك. والاتباع أولى من الابتداع. والفرق بين الاتباع والابتداع معقول، ولهذا جنح الشارع إلى تسميتها سنة وما سمّاها بدعة. لأنّ الابتداع إظهار أمر على غير مثال، هذا أصله. ولهذا قال الحقّ تعالى - عن نفسه: ﴿يَدْعِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾³ أي موجدّها على غير مثال سبق. فلو شرع الإنسان اليوم أمرا، لا أصل له في الشرع؛ لكان ذلك إبداعا، ولم يكن يسوغ لنا الأخذ به. فعُدل الشارع من لفظ الابتداع إلى لفظ السنة؛ إذ كانت السنة مشروعة. وقد شرع الله الحمد لله الاقتداء بهدي الأنبياء عليهم السلام - ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

انتهى الجزء الثلاثون، يتلوه في الجزء الحادي والثلاثين.⁶

1 ص 27

2 [الحديد : 27]

3 ص 28

4 [البقرة : 117]

5 [الأحزاب : 4]

6 أسفل المتن: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقرعة الإمام أبي الحسن علي بن المطهر النخعي: ابن المصنف أبو انفالي محمد وأبو سعد محمد، وإسحاق بن سودكين النوري، وأبو بكر بن سنيان الحوي، وأبناء عبد الواحد وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الإربلي، وضرب الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وموسى بن زيد بن جابر الحويراني، ومحمد بن يوسف البرزاني، ويعقوب بن معاذ الوري، ومحمد بن عرش المظلي، ومحمد بن صديق شهران الاهلي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد التكريتي، وبركة بن حسن بن مالك الهلالي، وعلي بن عبد العزيز بن محمد، وعيسى بن إسحق الهذلي، ويونس بن عثمان الدمشقي، ويوسف بن الحسن النابلسي، وأبو بكر محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن

الجزء الحادي الثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الثامن والستون

في أسرار الطهارة

تَبْصُرُ نَزَى سِرَّ الطَّهَارَةِ وَاضْمَحَا	يَسِيرًا عَلَى أَهْلِ التَّيَقُّظِ وَالذَّكَاءِ
فَكَمْ طَاهِرٍ لَمْ يَتَّصِفْ بِطَهَارَةِ	إِذَا جَانَبَ الْبَخْرَ السُّدِّيَّ وَاخْتَصَى
وَلَوْ غَاصَ فِي الْبَخْرِ الْأَجَاجِ خَيَاتُهُ	وَلَمْ يَقْنِ عَنْ بَحْرِ الْحَقِيقَةِ مَا زَكَا
إِذَا اسْتَجَمَرَ الْإِنْسَانُ وَثَرًا فَقَدْ مَتَى	عَلَى السُّنَّةِ الْمُثَلَّى حَلِيقًا لِمَنْ مَضَى
فَإِنْ شَفَعَ اسْتَجْمَارُهُ عَادَ خَاسِرًا	وَقَارَى مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ بَاطِلِ الرَّدَا
وَإِنْ غَسَلَ الْكَثْبَيْنِ وَثَرًا وَلَمْ يَزَلْ	بِخَيْلٍ بِمَا يَهْوَى عَلَى فِطْرَةِ الْأُولَى
فَمَا غَسِلْتَ كَفَّ حَظِيبٌ وَمِفْصَمٌ	إِذَا لَمْ يَلْخُ سَيْفُ التَّوَكُّلِ مُنْتَضَى
إِذَا ³ صَحَّ غُسْلُ الرَّجُلِ صَحَّ خَيَاؤُهُ	وَصَحَّ لَهُ رَفْعُ الشُّؤْبِ مَتَى يَنْشَأَ
وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ الْمَاءُ لِمَةً ⁴ زَائِسِهِ	وَلَا وَقَفَتْ كَفَّاهُ فِي سَاحَةِ الْقَفَا
فَمَا أَثَلَّ مِنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي	تُسَخَّرُهَا الْأَغْيَارُ فِي مَنْزِلِ الثَّوَى ⁵
وَإِنْ لَمْ يَرِ الْكَرْبَسِيُّ فِي غُسْلِ رِجْلِهِ	تَنَاقَضَ مَعْنَى الطُّهْرِ لِلْجَيْنِ وَاتَّقَى
إِذَا مَضْمَضَ الْإِنْسَانُ فَادَهُ وَلَمْ يَكُنْ	بَرِيئًا مِنَ الدَّعْوَى وَثَبًا بِمَا ادَّعَى

سليمان الحريري، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وعلي بن أحمد القرطبي، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرقة، ومحمد بن علي الأخلطي، وإسحاق بن يحيى الملقبي، وأحمد بن أبي الهيثم البغدادي، وحسين بن محمد الموصلي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأحمد بن موسى التبركاني، وأحمد بن أبي طالب البغدادي، ويوسف بن درياس بن يوسف الحميري، وأخت ابن سودكين، وإبراهيم بن علي بن أحمد السنجاري، وإبراهيم بن أبي بكر بن الحلال، ومحمد بن محمد بن جمعة البغلي، وإبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي - وهذا خطأ - وعلي بن أبي الغنم بن الفسار، وذلك في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، بمنزل المصنف بدمشق.

1 العنوان ص 28

2 البسطة ص 29

3 ص 29

4 اللمة: الشعر إذا جاوز نعمة الأذن

5 الثوى: الهلاك

وَمُسْتَنْشَقِي مَا شَمَّ رِيحَ انْصَالِهِ
صِمَاحَاهُ مَا تَنَفَّكَ تَظْهَرُ إِنْ صَفَا
وَأِنْ لَيْسَ الْجُرْمُوقُ¹ وَهُوَ مُسَاقِرٌ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا
وَفِي² الْمَنَسَحِ سِرٌّ لَا أُبْجَحُ بِذِكْرِهِ
وَيَتَلَوُهُ مَنَسَخٌ فِي الْجَبَائِرِ بَيِّنٌ
وَإِنْ غَدِمَ الْمَاءُ الْقُرَاحَ فَإِنَّهُ
يُؤَبِّرُهُ كُفًا وَوَجْهًا فَإِنْ أَبَى
إِذَا أَجْتَبَ الْإِنْسَانُ عَمَّ طُهُورُهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ خَلْقَهُ
فَذَلِكَ الَّذِي أَجْنَى عَلَيْهِ طُهُورُهُ
فَإِنْ نَسِيَ الْإِنْسَانُ رُكُنًا فَإِنَّهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُكُنًا وَعُطِّلَ سُنَّةٌ
وَذَلِكَ³ فِي كُلِّ الْعِبَادَاتِ شَائِعٌ
فَهَذَا طُهُورُ الْفَارِغِينَ فَإِنْ تَكُنْ
إِذَا كَانَ هَذَا⁴ ظَاهِرُ الْأَمْرِ فَالَّذِي

وَمُسْتَنْشَقِي أَوْذَى بِهِ كِبَرُهُ الرِّدَى
إِلَى أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَاكْتَفَى وَاقْتَفَى
عَلَى طَهْرِهِ يَتَمَسَّخُ وَفِي سِرِّهِ خَفَا
بِمَنْزِلِهِ فَالْمَنَسَحُ يَوْمٌ بِلا قَضَا
وَلَوْ قُطِعَتْ مِنِّي الْمَفَاصِلُ وَالْكُلَى
بِكُلِّ مُرِيدٍ لَمْ يُرِدْ ظَاهِرُ الدُّنَا
تَيَمُّمُهُ يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ الثَّرَى
وَضَيْرُهُ شَفْعًا فَنِعْمَ الَّذِي أَتَى
كَأَنَّ عَمَتِ اللَّيْلُ أجزءهُ الْعُلَى
بِإِخْرَاجِهِ بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالْعَطَا⁵
وَلَوْ غَابَ بِاللَّيْلِ التَّزْيِينُ مَا جَنَى
يُعِينُ وَيَقْضِي مَا قَضَى وَاخْتَوَى
فَلَمْ يَأْتِ بِالسُّلْفَى وَمَا بَلَغَ الْمُنَى
وَلَيْسَ جَمْعُوهُ بِالْأُمُورِ كَنْ ذَرَى
مِنْ أَخْزَائِهِمْ تَخْطَى بِتَقْرِيبِ مُضْطَلَى
تَوَارَى عَنْ الْأَبْصَارِ أَغْظَمَ مُنْتَشَى

اعلم أيُّدنا الله وإياك بروح منه - أنه لما كانت الطهارة (هي) النظافة. علمنا أنها صفة تزينة؛ وهي معنوية وحسية: طهارة قلب وطهارة أعضاء معينة. فالمعنوية: طهارة النفس من سفساف الأخلاق ومذمومها، وطهارة العقل من دنس الأفكار والشبه، وطهارة السرّ - من النظر إلى الأغيار. و(أما) طهارة

1 الجرْمُوق: معرّب سمرقوزة، وهي الحنف الواسع الذي يلبس فوق الحنف.

2 ص 30

3 الخطأ: الظاهر

4 ص 30 ب

5 تاجدة في الهامش

الأعضاء فاعلم أنّ لكلّ عضو طهارة معنوية ذكرناها¹ في كتاب "التنزّلات الموصليّة" في أبواب الطهارة منه. وطهارة الحسّ (تكون) من الأمور المستفدرة التي تستخبّثها النفوس طبعاً وعادة، وهاتان الطهارتان مشروعتان.

فالطهارة الحسّيّة الظاهرة نوعان: النوع الواحد قد ذكرناه، وهو النظافة. والنوع الآخر أفعال معيّنة² مخصوصة، في محال معيّنة مخصوصة، لأحوال موجبة مخصوصة، لا يزداد فيها ولا ينقص منها شرعاً. ولهذه الطهارة المذكورة ثلاثة أسماء شرعاً: وضوءٌ وغسلٌ وتيمّمٌ. وتكون هذه الطهارة بثلاثة أشياء: اثنان مُجمَعٌ عليهما وواحدٌ مُختلَفٌ فيه. فالْمُجمَعُ عليهما (هما) الماء المطلق والتراب، سواءً فارق الأرض أو لم يفارقها. والواحد المُختلَفُ فيه، في الوضوء خاصة، (هو) نبيذ التمر. وما فارق الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض، إذا كان في الأرض فإنّه مختلف فيه ما عدا التراب كما ذكرنا.

وهذه الطهارة قد تكون عبادة مستقلّة كما قال ﷺ فيها: «نور على نور» وقد تكون شرطاً في صحّة عبادة مشروعة مخصوصة، لا تصحّ تلك العبادة شرعاً إلّا بوجودها، أو الأفضليّة. فالأوّل كالوضوء على الوضوء نوزّ على نور. والثاني لرفع المانع عن فعل العبادة التي لا تصحّ إلّا بهذه الطهارة، واستباحة فعلها، وهو الأصل، في تشريعها.

ومما تقع به هذه الطهارة ما يكون رافعاً للمانع مبيحاً للفعل معاً، وهو الماء بلا خلاف، ونبيذ التمر في الوضوء بخلاف³. ومنه ما تقع به الإباحة للفعل المعين في الوقت المفروض وقوعه، ولا يرفع المانع بخلاف، وهو التراب. وعندي أنّه يرفع المانع في الوقت ولا بدّ. وكون الشارع حكم بالطهارة إذا وجد الماء (فهذا) حكم آخر منه، كما عاد حكم المانع بعد ما كان ارتفع، وما عدا التراب مما فارق الأرض بخلاف.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام وخفضه ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾⁴.

وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ﴾⁵ و"زاي"

1 ق: ذكرنا

2 ص 31

3 ص 31 ب

4 [المائدة: 6]

5 [الأغال: 11]

الرجز هنا، بدل من السين على قراءة من قرأ "الزراط" بالزاي وهي لغة، قرأ ابن كثير بها، أعني بالسين وحزة بالزاي، وباقي القراء بالصاد.

سمعت شيخنا، وكنت أقرأ عليه القرآن، يقال له: محمد بن خلف بن صاف اللخمي بمسجده¹ المعروف به، بتوس الحنية بأشبيلية من بلاد الأندلس سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، فقرأت السراط بالسين لابن كثير، فقال لي: "سأل بعض ناقلي اللغة بعض الأعراب؛ كيف تقولون صتر أو ستر؟ فقال له: ما أدري ما تقول، ولكني أظنك تسأل عن الزفر. فقال: فزادني لغة ثالثة ما كنت أعرفها".

قال الفراء: الرّجس؛ القدر. ولا شك أنّ الماء يزيل القدر، والظهور الشرعيّ يذهب قدر الشيطان، قال تعالى:- ﴿وَيَذِيقُكَ فَطَهْرًا﴾²، قال امرؤ القيس³:

وإن كنت قد ساءتلك مِنِّي خَلِيقَةٌ فسلّي ثيابي من ثيابك تَنسُلِ

فكنى بالثوب عن الودّ والوصلة. وقال رسول الله ﷺ في خبر عن ربه سبحانه:- «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» ومن أسمائه سبحانه:- "المؤمن". فمن تخلّق به فقد طهر قلبه، لأنّ القلب محلّ الإيمان؛ وكانت السعة الإلهية والتجلي الرثاني.

والطهارة عامّة: وهي الغسل للفناء الذي عمّ ذاته، لوجود اللذة بالكون، عند الجماع:

أربها السهى وتربّي القمّر⁴

و(الطهارة) خاصّة¹: وهو الوضوء المخصّص بعض الأعضاء بالاغتسال والمسح، وهو تنبيه على مقامات

1 ص 32

2 [المندر: 4]

3 امرؤ القيس: (130 - 80 ق. هـ / 496 - 544 م) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وعطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشب ويظهر ويعاشر صائلي العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم يفته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويحرب ويغزو ويظهر، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحلني دمه كبيراً، لا حصو اليوم ولا سكر غنا، اليوم خمر وغنا أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً. كانت حكومة فارس ساخطة على بني أكل المزار (آباء امرؤ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وهرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة. ثم قصد الحارث بن أبي شمر الفسائي وإلى بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قصر الروم بوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأخرة ظهرت في جسمه قروح، فاقام فيها إلى أن مات. [الموسوعة الشعرية]

4 أربها السهى وتربّي القمّر! السهى بالضم والتصر نخم خفي في بيتا نض الصغرى. والقمّر معروف. وجمع بينه وبين السهى لما بين وصفيه من المقابلة بالضاد، لأنّ القمر غاية الظهور، والسهى في غاية الخفاء. فحضر بها المثل في الأمر الجلي والخفي. وهذا المثل صحيح لك إن تضره من ترمز له وتشير وهو يفصح، أو في من تحو به منحى اللطائف والذقائق وهو يتبع الظواهر، أو من تأيه بالأمر المستغرب العزيز وأينك بالأمر المبتذل المطروق، ونحو ذلك، والله اعلم. [زهر الأك في الأمثال والحكم لليوسي]

معلومة وتجليات شريفة منها: القوة، والكلام، والأنفاس، والصدق²، والتواضع، والحياة، والسماح، والثبات. فهذه أعضاء الرضوء، (وهي) مقامات شريفة لها نتائج في القرب إلى الله.

وهذه الطهارة الروحية بأحد أمرين؛ إما سر الحياة أو بأصل النشء الطبيعي العنصري. فالوضوء بسر الحياة (هو) لمشاهدة الحي القيوم، وبأصل النشء في الأب الذي هو أصل الأبناء وهو الأرض والتراب، وليس إلا النظر والتفكير في ذاتك³ لتعرف من أوجدك، فإنه أحالك عليك في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁴ وفي قول رسوله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ».

أحالك عليك بالتفصيل، وأخفاك عنك بالإجمال، لتنظر وتستدل. فقال في التفصيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾⁵ وهو آدم عليه السلام هنا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نُطْفَةَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾⁶ وهي نشأة الأبناء في الأرحام مساقط النطف ومواقع النجوم. فكفى عن ذلك بالقرار المكين ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾⁷ وقد تم البدن على التفصيل، فإن اللحم يتضمن العروق والأعصاب:

وَفِي كُلِّ طَوْرٍ لَهُ آيَةٌ تَلُّ عَلَى أَتْيِ مُفْتَقِرٍ

ثم أجل خلق النفس الناطقة الذي هو بها إنسان في هذه الآية، فقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾⁹.

عرفك بذلك أن المزاج لا أثر له في لطيفتك، وإن لم يكن نصاً، لكن هو ظاهر وأبين منه، قوله: ﴿فَنَسُوكَ فَعَدَلَكِ﴾¹⁰ وهو ما ذكره في التفصيل من التقلب في الأطوار فقال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾¹¹ فقرنه بالمشيئة. فالظاهر أنه لو اقتضى المزاج روحاً خاصاً معيناً ما قال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ﴾ و"أي" حرف نكرة، مثل حرف "ما" فإنه حرف يقع على كل شيء.

فأبان لك أن المزاج لا يطلب صورةً بعينها، ولكن بعد حصولها تحتاج إلى هذا المزاج، وترجع (تعمل)

1 ص 32 ب

2 تاج في الهامش بقلم الأصل.

3 "في ذاتك" تاج في الهامش بقلم الأصل

4 [البهاريات : 21]

5 [المؤمنون : 12]

6 [المؤمنون : 13]

7 ص 33

8 [المؤمنون : 14]

9 [المؤمنون : 14]

10 [الإعطار : 7]

11 [الإعطار : 8]

به، فإنه بما فيه من القوى التي لا تدبره (الصورة) إلّا بها. فإنه بقواه لها كالات لصانع النجارة أو البناء مثلاً؛ إذا هَيئْتُ وأُنشِئْتُ وفُرعَ منها تَطَلَّب بذاتها وحالها صانعاً، يعمل بها ما صُنِفَتْ له. وما تُعَيَّن زيدا ولا عمرا ولا خالدا ولا واحدا بعينه.

فإذا جاء مَنْ جاء من أهل الصناعة، مكَّنْته¹ الآلة من نفسها تمكيناً ذاتياً لا تُصَف بالاختيار فيه، فجعل يعمل بها صنعتها بصرف كلِّ آلةٍ لِمَا هَيئْتُ له. فبها مكَّمْته، وهي المخلقة يعني التامة الخلقية. ومنها غير مكَّمْته، وهي غير المخلقة، فينقص العامل من العمل على قدر ما نقص من جودة الآلة، ذلك ليعلم أنَّ الكمال الذاتي لله سبحانه.

فبين لك الحقُّ مرتبة جسدك وروحك، لتتأمل وتفكر، فتعتبر أنَّ الله ما خلقك سدى، وإن طال المدى.

وأما القصد الذي هو النية، (هو) شرط في صحة هذا النظر بخلاف. قال تعالى: ﴿فَتَتِمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾² أي اقصدوا التراب الذي ما فيه ما يمنع من استعماله في هذه العبادة من نجاسة، ولم يقل ذلك في طهارة الماء³، فإنه أحال على الماء المطلق لا المضاف. فإنَّ الماء المضاف مقيد بما أُضيف إليه عند العرب. فإذا قلت للعربي: "أعطني ماء" جاء إليك بالماء الذي هو غير مضاف، ما تفهم العرب منه غير ذلك. وما أرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً ﴿إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾⁴ يقول رسول الله ﷺ: «إنما أنزل القرآن بلساني؛ لسان عربي مبين». يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁵.

فلهذا⁶ لم يقل بالتقصد في الماء، لأنه سرّ الحياة. فيعطي الحياة بذاته سواء قُصد أو لم يقصد. بخلاف التراب، فإنه إن لم يقصد الصعيد الطيب فليس بنافع، لأنه جسد كثيف لا يسري، فروحه التقصد. فإنَّ التقصد معنى روحاني. فافتقر المتيمم للتقصد الخاص في التراب أو الأرض بخلاف أيضاً⁷. ولم يفتقر المتوضئ بالماء بخلاف، فقال: ﴿اغْسِلُوا﴾⁸ ولم يقل: "تيمموا ماء طيباً".

فإن قالوا: «إنما الأعمال بالنيات» وهو القصد، والوضوء عمل. قلنا: سلّمنا ما تقول، ونحن نقول به،

1 ص 33 ب

2 [النساء : 43]

3 ثابت في الهامش في مع إشارة الإدخال

4 [إبراهيم : 4]

5 [الزخرف : 3]

6 ص 34

7 "بخلاف أيضاً" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

8 [المائدة : 6]

ولكنَّ النية هنا متعلّقة بالعمل، لا الماء. والماء ما هو العمل. والقصد هنالك للصعيد. فيفتقر الوضوء بهذا الحديث للنية، من حيث ما هو عمل، لا من حيث ما هو عمل بماء. فالماء هنا تابع للعمل، والعمل هو المتصور بالنية. وهنالك القصد للصعيد الطيب، والعمل به تبع يحتاج إلى نية أخرى عند الشروع في الفعل، كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص المأمور به، وهو النية، بخلاف. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَقْبَضُوا اللَّهَ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينُ﴾¹ وفي هذه الآية نظر، وهذه مسألة ما حقّقها الفقهاء على الطريقة التي سلكنا فيها² وفي تحقيقها، فافهم.

ولم يقل في الماء: "تيمّوا الماء"، فيفتقر إلى روح من النية، والماء في نفسه روح، فإنّه يعطي الحياة من ذاته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾³، وكلُّ شيء حيّ؛ فإنَّ كلَّ شيء يسبح بحمد الله، ولا يسبح إلّا حيّ. فالماء أصل الحياة في الأشياء. ولهذا وقع الخلاف بين علماء الشريعة، في النية في الوضوء: هل هي شرط في صحته، أو ليست بشرط في صحته؟ والسرّ ما ذكرناه.

فإن قيل: إنّ الإمام الذي لا يرى النية في الوضوء، يراها في غسل الجنابة، وكلا العبادتين بالماء، وهو سرّ الحياة فيها. قلنا: لمّا كانت الجنابة ماء، وقد اعتبر الشرع الطهارة منها لدنيس حكمي فيها، لامتزاج ماء الجنابة بما في الأخطا، وكون الجنابة ماء مستحيلا من دم؛ فشارك الماء في سرّ الحياة، فتماعا، فلم يفتو الماء وحده على إزالة حكم الجنابة، لما ذكرناه. فافتقر (الجنب) إلى روح مؤيد له عند الاغتسال، فاحتاج إلى مساعدة النية. فاجتمع حكم النية، وهي روح معنوي، وحكم الماء؛ فأزالا بالغسل حكم الجنابة، بلا شك، كأي حنيفة ومن قال بقوله في هذه المسألة.

ومن راعى كون ماء الجنابة، لا يقوى قوّة الماء المطلق، لأنّه ماء استحالة من دم، كماء الجنابة إلى مازجه بالأخطا ومفارقة إيّاه بالكثافة⁴ واللويّة، قال: قد ضعف ماء الجنابة عن مقاومة الماء المطلق، فلم يفتقر عنده إلى نية، كالحسن بن حي⁵، والخالف لها من العلماء ما تظنّوا لها رأياه هذان الإمامان، ومن ذهب مذهبا. فاجعل بالك، لما يتيته لك، ورجّح ما شئت.

* * *

1 [البينة : 5]

2 ص 34

3 [الأنبياء : 30]

4 ص 35

5 الحسن بن صالح بن حي: أبو عبد الله الكوفي العابد (100-169)، الطبقة : 7 : من كبار أتباع التابعين. روى له : مخ م دت س ق (البخاري في الأدب المفرد - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه) [رواة التهذيبين]

وَضَلَّ (الماء مامان)

وبعد أن تحققت هذا، فاعلم أن الماء مامان: ماء مُلَطَّف مقطر في غاية الصفاء والتخليص، وهو ماء الغيث؛ فإنه ماء مستحيل من أبخرة كثيفة، قد أزال التقطير ما كان تعلق به من الكثافة. وذلك هو العلم الشرعي اللدني؛ فإنه عن رياضة ومجاهدة وتخليص؛ فظهر به ذاتك لمناجاة ربك. والماء الآخر ماء لم يبلغ في اللطافة هذا المبلغ؛ وهو ماء العيون والأنهار، فإنه ينبع من الأحجار، ممتزجا بحسب البقعة التي ينبع بها ويجري عليها. فيختلف طعمه: فمنه عذب فرات، ومنه ملح أجاج وقعام¹، ومُرٌّ ورُعاق². وماء الغيث على حالة واحدة؛ ماء نير خالص سلسال ساق شرايه. وهذه علوم الأفكار الصحيحة والعقول. فإن علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها التغيير؛ لأنها بحسب مزاج³ المتفكر من العقلاء؛ لأنه لا ينظر إلا في مواد محسوسة كوتية في الخيال، وعلى مثل هذا تقوم براهينها. فتختلف مقالاتهم في الشيء الواحد، أو تختلف مقالة الناظر الواحد في الشيء الواحد في أزمان مختلفة، لاختلاف الأمزجة والتخليط والأمشاج الذي في نشأتهم، فاختلقت أقاويلهم في الشيء الواحد، وفي الأصول التي يننون عليها فروعهم.

والعلم اللدني الإلهي المشروع ذو طعم واحد، وإن اختلفت مطاعمه، فما اختلفت في الطيب، فطيب وأطيب. فهو خالص ما شابه كدَّرَ، لأنه تخلص من حكم المزاج الطبيعي، وتأثير المنابع فيه. فكانت الأنبياء والأولياء، وكل من أخبر عن الله، على قول واحد في الله، إن لم يزد فلا ينقص، ولا يخالف. يصدق بعضهم بعضا، كما لم يختلف ماء السماء حال النزول.

فليكن اعتمادك وطهورك في قلبك، بمثل هذا العلم، وليس إلا العلم بالشرع، المشبه بماء الغيث. وإن لم تفعل فما نصحت نفسك، وتكون في ذاتك وطهورك، بحسب ما تكون البقعة التي ينبع منها ذلك الماء. فإن فرقت بين غذبه وملجه، فاعلم أنك سليم الحاسة. وهذه مسألة لم أجد أحدا تبه عليها. فإن أكل⁴ الشكر بالحلاوة في الشكر، وكذلك في مرارة الصبر؛ ليس بصحيح، ولا يقتضيه الدليل العقلي. وقد نبهناك إن تنبهت فانظر.

ثم يا ولي؛ استدرك استعمال علوم الشريعة في ذاتك، وعلوم الأولياء والعقلاء الذين أخذوها عن الله بالرياضات والخلاوات والمجاهدات والاعتزال عن فضول الجوارح وخواطر النفوس. وإن لم تفرق بين هذه

1 ماء قعام: ماء فاسد موبوء
2 ماء زعاق: ملح غليظ لا يطلق شربه.
3 ص 35 ب
4 ص 36

المياه؛ فاعلم أنك سيء المزاج، قد غلب عليك خلط من أخلاطك، فلما لنا فيك من حيلة إلا أن يتدارك الله برحمته نفسك.

فإذا استعملت من ماء هذه العلوم في طهارتك ما دلتك عليه، وهو العلم المشروع؛ طهرت صفاتك وروحانيتك به، كما طهرت أعضائك بالماء ونظفتها. فأول طهارتك غسل يديك قبل إدخالها في الإناء عند قيامك من نوم الليل بلا خلاف، ووجوب غسلها من نوم النهار بخلاف. واليد محل القوة والتصريف؛ فطهرها (هو) بعلم "لا خول" في اليسرى "ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" في اليمنى.

واليدان: محل القبض والإمساك، بخلا وشحاً¹. فطهرها بالبسط والإنفاق، كرماً وجوداً وسخاء. ونوم الليل غفلتك عن علم عالم غيبك. ونوم النهار غفلتك عن علم عالم شهادتك. فهذا عين تخلُّقك² وتحقيقك بعالم الغيب والشهادة من الأسماء الحسنی المضافة.

ثم بعد هذا؛ الاستنجاء والاستجمار، والجمع بينهما أفضل من الإفراط؛ فهما طهارتان: نور في نور، مُرغَّب فيهما ستة وقرآناً. فإن استنجيت؛ وهو استعمال الماء في طهارة الشؤنة لهما قام بهما من الأذى، وهما محل الستر والصون، كما هما محل إخراج الحبث والأذى القائم بباطنك؛ وهو ما تعلّق بباطنك من الأفكار الرديئة والشبهة المضلة، كما ورد في الصحيح: «أن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: فمن خلق الله؟» فطهارة هذا القلب من هذا الأذى ما قال له رسول الله ﷺ: الاستعاذة والابتداء.

وهما عورتان، أي مائتان إلى ما يوسوس به نفسه من الأمور القاذحة في الدين أصلاً وفرعاً، فإن الثبر هو الأصل في الأذى، فإنه ما وجد إلا لهذا، والفرجان الآخران في الرجل والمرأة فرعان عن هذا الأصل، ففيها وجه إلى الخير ووجه إلى الشر وهو التكاح والسفاح.

ألا ترى النجاسة إذا وردت على الماء القليل، أثرت فيه فلم يستعمل؟ وإذا ورد الماء على النجاسة أذهب حكمها؟ كذلك الشبهة إذا وردت على القلوب³ الضعيفة الإيمان، الضعيفة الرأي أثرت فيها. وإذا وردت على البحر استهلكته فيه. كذلك القلوب القوية المؤيدة بالعلم وروح القدس، كذلك الشبهة إذا جاء بها شيطان الإنس والجن إلى المتضلع من العلم الإلهي الربان منه قلب غيبتها، وعرف كيف يردّ نحاسها ذهباً، وقزديرها فضة بكسير العلم اللدني الذي عنده، من عناية الرحمة الإلهية التي آتاه الله بها، وعرف

1 "خلا وشحاً" دأبة في الهامش بقلم الأصل

2 من 36

3 من 37

وجه الحق منها، وأثر فيها. فهذا مير الاستنجاء الروحاني.

فإن استجمر هذا المتوضي ولم يستنج، فاعلم أن ذلك طهور المقلد. فإن الجمرة (هي) الجماعة، و«يد الله مع الجماعة». و«لا يأكل الذنب إلا القاصية»، وهي التي بُدّت عن الجماعة وخرجت عنها، وذلك مخالفة الإجماع. والاستجمار معناه جمع أحجار، أقلها ثلاثة إلى ما فوقها من الأوتار، لأن الوتر هو الله. فلا يزال الوتر مشهودك، والوتر طلب الثار، وهو هنا ما آفاه الشيطان من الشبه في إيمانك، فتجمع الأحجار للإبقاء من ذلك الحبث القائم بالعضو.

فالمقلد إذا وجد شبهة في نفسه، هرب إلى الجماعة أهل السنة، فإن يد الله، كما جاء، مع الجماعة. ويد الله تأييده وقوته. وقد نهى رسول الله ﷺ عن مفارقة الجماعة. ولهذا قام الإجماع في الدلالة على الحكم المشروع مقام النص من الكتاب أو السنة المتواترة التي تفيد العلم. فهذا يكون استجمارك في هذه الطهارة.

ثم مضيض بالذكر الحسن، لتزيل به الذكر القبيح؛ من الثيمة والغيبة والجهر بالسوء من القول. فلتكن مضمضتك بالتلاوة، وذكر الله، وإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾¹ وقال: ﴿مُشَاءَ بَنِيكُمْ﴾² وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِضَدَّةٍ أَوْ مَفْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾³ وما أشبه ذلك.

فهذه طهارة فيك. وقد فتحت لك الباب. فاجر في وضوئك وغسلتك وتممك في أعضائك على هذا الأسلوب، فهو الذي طلبه الحق منك. وقد استوفينا الكلام على هذه الطهارة في "التنزيلات الموصليّة" فانظرها هنالك ثرا وظما، وقد رميت بك على الطريق.

ولتصرف هذه الطهارة بكمالها في كل مكلف منك؛ فإن كل مكلف منك مأمور بجميع العبادات كلها: من طهور وصلاة وزكاة وصيام وحجّ وحجّاد، وغير ذلك من الأعمال المشروعة. وكل مكلف فيك تصرفه في هذه العبادات بحسب⁴ ما يطلبه حقيقته ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾⁵ وقد ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾⁶ أي بين كيف تستعمله فيها.

1 ص 37 ب

2 [النساء : 148]

3 [القلم : 11]

4 [النساء : 114]

5 ص 38

6 [الطلاق : 7]

7 [أه : 50]

وهم ثمانية أصناف لا يزيدون؛ لكن قد ينتصون في بعض الأشخاص؛ وهم: العين والأذن واللسان واليد¹ والبطن والفرج والرجل والقلب، لا زائد في الإنسان عليهم. لكن قد ينتصون في بعض أشخاص هذا النوع الإنساني؛ كالأكمة والأخرس والأصم وأصحاب العاهات. فمن بقي من هؤلاء المكلفين منك فالخطاب يترتب عليه.

ومن خطاب الشارع، تعلم جميع ما يتعلق بكل عضو من هؤلاء الأعضاء من التكليف، وهم كالآلة للنفس المخاطبة المكلفة بتدبير هذا البدن، وأنت المسئول عنهم في إقامة العدل فيهم. فلقد «كان رسول الله ﷺ إذا انقطع شئ من نعله، خلع الأخرى حتى يعدل بين رجليه، ولا يمشي - في نعل واحد». وقد يتأها بكمالها، وما لها من الأنوار والكرامات والمنازل والأسرار والتجليات في كتابنا المستمى "مواقع النجوم". ما سبقنا، في علمنا، في هذا الطريق، إلى ترتيبه أصلاً. وقيدته في أحد عشر - يوماً في شهر رمضان بمدينة المرية سنة خمس وتسعين وخمسة، يُفني عن² الأستاذ بل الأستاذ محتاج إليه، فإن الأستاذين فيهم العالي والأعلى، وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه، ليس وراءه مقام في هذه الشريعة، التي تُعبدنا بها. فمن حصل لديه، فليعتمد بتوفيق الله عليه، فإنه عظيم المنفعة. وما جعلني أن أعرفك بمنزلة، إلا أنني رأيت الحق في النوم مرتين، وهو يقول لي: انصح عبادي. وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها، والله الموفق، وبيده الهداية، وليس لنا من الأمر شيء.

ولقد صدق الكذوب إبليس رسول الله ﷺ حين اجتمع به، فقال له رسول الله ﷺ "ما عندك؟ فقال إبليس: لتعلم يا رسول الله؛ أن الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية شيء، وأن الله خلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء. لم يزد على ذلك وانصرف. وحالت الملائكة بينه وبين رسول الله ﷺ.

وَضَلَّ

(الله خاطب الإنسان بجملة)

وبعد أن نبهت على ما نبهت عليه، مما تقع لك به الفائدة، فاعلم أن الله خاطب الإنسان بجملة، وما خص ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره، فتوَقَّرت دواعي الناس أكثرهم إلى³ معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم، وغفلوا عن الأحكام المشروعة في بواطنهم إلا القليل. وهم أهل طريق الله؛ فإنهم يحشوا في ذلك ظاهراً وباطناً. فما من حكم قرره شرعاً في ظواهرهم إلا ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم، أخذوا

1 ثمانية في النسخة ظم الأصل

2 ع 38 ب

3 ع 39

على ذلك جميع أحكام الشرائع، فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرا وباطنا. ففازوا حين خسر الآكثرون.

ونبغث طائفة ثالثة، ضلّت وأضلت. فأخذت الأحكام الشرعية، وصرفتها في بواطنهم، وما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيئا؛ تسمى الباطنية. وهم في ذلك على مذاهب مختلفة. قد ذكر الإمام أبو حامد في كتاب "المستظهوري" له في الرد عليهم شيئا من مذاهبهم، وبين خطأهم فيها. والسعادة إنما هي مع أهل الظاهر، وهم في الطرف والنتيضة من أهل الباطن. والسعادة كلّ السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن، وهم العلماء بالله وبأحكامه.

وكان في نفسي، إن آخر الله في عمري أن أضع كتابا كبيرا، أقرر فيه مسائل الشرع كلّها، كما وردت في أمّاكها الظاهرة، وأقررها. فإذا استوفينا المسألة المشروعة في ظاهر الحكم، جعلنا إلى جانبها حكما في باطن الإنسان، فيسري¹ حكم الشرع في الظاهر والباطن. فإنّ أهل طريق الله، وإن كان هذا غرضهم ومقصدهم، ولكن ما كلّ أحد منهم يفتح الله له في الفهم، حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه².

فَقَصَدْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الْأَمْرِ الْعَامِّ مِنَ الْعِبَادَاتِ؛ وَهِيَ الطَّهَارَةُ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَالتَّلَفُّظُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَاعْتَنَيْتُ بِهَذِهِ الْحَمْسَةِ لَكُونَهَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الَّتِي بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا. وَهِيَ كَالْأَرْكَانِ لِلْبَيْتِ: فَالْإِيمَانُ هُوَ عَيْنُ الْبَيْتِ وَمَجْمُوعُهُ، وَبَابُ الْبَيْتِ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَيْهِ هَذَا الْبَابُ، وَهُوَ مَصْرَاعَانِ، وَهُمَا: التَّلَفُّظُ بِالشَّهَادَتَيْنِ. وَأَرْكَانُ الْبَيْتِ أَرْبَعَةٌ، وَهِيَ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ.

فَجَرَدْنَا الْعِنَايَةَ فِي إِقَامَةِ هَذَا الْبَيْتِ لِنَسْكُنَ فِيهِ، وَيَقِينَا مِنْ زَمْهَرِيرِ نَفْسٍ جَحَّمَ وَخَرَّوْرَهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ؛ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ» فَمَا كَانَ مِنْ شَمُومٍ وَخَرُورٍ فَهُوَ مِنْ نَفْسِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ بَزْدٍ وَزَمْهَرِيرٍ فَهُوَ مِنْ نَفْسِهَا، فَاتَّخَذَ النَّاسُ الْبُيُوتَ لِتَقِيَهُمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَبَرْدَ الْهَوَاءِ.

فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَقِيَمَ لِنَفْسِهِ بَيْتًا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّفْسَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ جَحَّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَأْتِي³ بِنَفْسِهَا تَسْعَى إِلَى الْمَوْقِفِ تَقُورُ ﴿تَكَادُ تَمِيرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾⁴ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ. فَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَيْتِ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّهَا وَسَطَوْتِهَا.

1 ع 39ب

2 ثابت في الهامش بقلم الأصل: عمران (إشارة إلى حضور أحد اصحابه وهو عمران بن حبيش بن علي السباع من هنا، وهو ما ذكر في البلاغ نهاية هذا الجزء).

3 ع 40

4 [الملك : 8]

ولمّا كانت الطهارة شرطاً في صحّة الصلاة، أفردنا لها باباً قدّمناه بين يدي باب الصلاة، ثمّ يتلوها الزكاة، ثمّ الصوم، ثمّ الحجّ. ويكفي في هذا الكتاب هذا القدر من العبادات. فأتتبع أمّهات مسائل كلّ باب منها، وأقرّرها بالحكم الكلّي باسمها في الظاهر، ثمّ أنتقل إلى حكم تلك المسألة عينها في الباطن، إلى أن أفرغ منها، والله يؤيّد ويعين.

بيان وإيضاح

فأول ذلك: تسميتها طهارة. وقد ذكرنا ذلك في أول الباب ظاهراً وباطناً. فلنشرع إن شاء الله - في أحكامها، وهو أن ننظر في وجوبها، وعلى من تجب؟ ومتى تجب؟ وفي أفعالها، وفيما به تُفعل؟. وفي نواقضها. وفي صفة الأشياء التي تُفعل من أجلها، كما فعلته علماء الشريعة وقَرَزَته في كتبها. وقد انحصر - في هذا أمر الطهارة. ولننظر ذلك ظاهراً وباطناً. وإنّما نومي إليه ظاهراً حتى لا يفتقر الناظر فيها إلى كتب الفقهاء، فيغنيه ما ذكرناه. ولا تتعرّض للأدلة التي للعلماء على ثبوت هذا الحكم، من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، في مذهب من¹ يقول به، لطرد علة جامعة يراها بين المنطوق به² والمسكوت عنه. لا أتعرض إلى أصول الفقه في ذلك، ولا إلى الأدلة. إذ العامة ليس منصّبها النظر في الدليل. فنحن نذكر أمّهات فروع الأحكام، ومذاهب الناس فيها من وجوب وغير وجوب.

وَضَلَّ

(وجوب الطهارة)

فنقول أولاً: أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف، على وجوب الطهارة، على كلّ من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها. وأنها تجب على البالغ حدّ الحُلم، العاقل. واختلف الناس؛ هل من شرط وجوبها الإسلام أم لا؟ هذا حكم الظاهر.

فأمّا الباطن في ذلك؛ وهي الطهارة الباطنة؛ فنقول:

إنّ باطن الصلاة وروحها إنّما هو مناجاة الحقّ تعالى - حيث قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث.

1 ع 40

2 ن: عيه. وكتب فوقها: به

فذكر المناجاة؛ يقول العبد: كذا، فيقول الله: كذا. فمتى أراد العبد مناجاة ربه في أي فعل كان، تعيّنث عليه طهارة قلبه من كلّ شيء، يخرجّه عن مناجاة ربه في ذلك الفعل. ومتى لم يتّصف بهذه الطهارة في وقت مناجاته، فما ناجاه، وقد أساء الأدب. فهو بالطرد أحقّ. وسأذكر في أفعالها تقاسيم هذه الطهارة في الحكم إن شاء الله.

وأما قول العلماء: إنّها تجب على البالغ العاقل بالإجماع، واختلفوا في الإسلام، فكذلك عندنا: تجب هذه الطهارة على العاقل، وهو الذي يعقل عن الله أمره ونهيّه، وما يليقه إليه في سرّه، ويفرق بين خواطر قلبه؛ فيما هو من الله أو من نفسه، أو من لئمة الملك أو من لئمة الشيطان، وذلك هو الإنسان. فإذا بلغ في المعرفة والتمييز إلى هذا الحدّ، وعقل عن الله ما يريد منه، وسمع قول الله تعالى: «وسمعي قلب عبي»؛ وجب عليه عند ذلك استعمال هذه الطهارة في قلبه، وفي كلّ عضو تتعلّق به على الحدّ المشروع.

فإنّ طهارة البصر مثلاً في الباطن، هو النظر في الأشياء بحكم الاعتبار، وعينه: فلا يرسل بصره عبثاً. ولا يكون مثل هذا إلّا لمن تحقّق باستعمال الطهارة المشروعة في محالّها كلّها، قال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾² فجعلها للأبصار. والاعتبار إنّما هو للبصائر. فنذكر الأبصار، لأنّها الأسباب المؤدّية إلى الباطن، ما يعتبر فيه عين البصيرة. وهكذا جميع الأعضاء كلّها.

وأما قول العلماء في هذه الطهارة: هل من شرط وجوبها الإسلام؟ فهو قولهم: هل الكفّار مخاطّبون بفروع الشريعة؟ وإنّ³ المنافق إذا توضّأ؛ هل أدّى واجباً أم لا؟ وهي مسألة خلاف تعمّ جميع الأحكام المشروعة.

فذهبنا: أنّ جميع الناس كافّة من مؤمن وكافر ومنافق، مكلفون مخاطّبون بأصول الشريعة وفروعها. وأنّهم مؤاخضون يوم القيامة بالأصول والفروع. ولهذا كان المنافق في الدرك الأسفل من النار، وهو باطن النار. وإنّ المنافق معدّب بالنار التي ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ﴾⁴ إذا أتى في الدنيا بصورة ظاهر الحكم المشروع من التلقّظ بالشهادة، وإظهار تصديق الرسل، والأعمال الظاهرة. وما عندهم في بواطنهم من الإيمان مثقال ذرة. فبهذا القدر تميّزوا من الكفّار، وقيل فيهم: إنّهم منافقون. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ

1 ص 41

2 آل عمران: 13

3 ص 41 هـ

4 المزة: 7

وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا¹ فذكر النار. فللنافقون يُعَذَّبُونَ في أسفل جَهَنَّمَ، والكافرون لهم عذابٌ في الأعلى والأسفل.

فإن الله قد رتب مراتب وطبقات للعذاب في نار جَهَنَّمَ لأعمال مخصوصة، بأعضاء مخصوصة، على ميزان معلوم لا تتعداه. فالمؤمن ليس للنار اطلاعٌ على محل إيمانه ألبتة، فما له نصيب في النار التي ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِذَةِ﴾. وإن خرج عنه هناك، فإن عنايته سارية في محله من الإنسان، وإنما يخرج عنه ليحميه، ويرد عنه من² عذاب الله ما شاء الله، كما خرج عنه في الدنيا إذا أوقع المعصية.

قال رسول الله ﷺ في المؤمن يشرب الخمر ويسرق ويزني؛ إنه لا يفعل شيئاً من ذلك وهو مؤمن حال فعله. وقال إن الإيمان يخرج عنه في ذلك الوقت حال الفعل. وتأول الناس هذا الحديث على غير وجهه، لأنهم ما فهموا مقصود الشارع، وفسروا الإيمان بالأعمال، فقالوا: إنه أراد العمل. فأبان النبي ﷺ مراده بذلك في الحديث الآخر، فقال ﷺ: «إن العبد إذا زنى خرج عنه الإيمان حتى يصير³ عليه كالظلة؛ فإذا أقلع رجع إليه الإيمان».

فاعلم أن الحكمة الإلهية في ذلك، أن العاصي لما علم أن العبد إذا شرع في المخالفة التي هو بها مؤمن أنها مخالفة ومعصية، فقد عرض نفسه بفعله إياها لتزول عذاب الله عليه، وإيقاع العقوبة به، وأن ذلك الفعل يستدعي وقوع البلاء به من الله، فيخرج عنه إيمانه الذي في قلبه، حتى يكون عليه مثل انظلة. فإذا نزل البلاء من الله يطلبه، تلقاه إيمانه فيرده عنه، فإن الإيمان لا يقاومه شيء. ومنعه من الوصول إليه رحمة من الله، وما بعد بيان رسول⁴ الله ﷺ ببيان.

ولهذا قلنا: إن العبد المؤمن لا تخلص له أبداً معصية لا تكون مشوبة بطاعة، وهي كونه مؤمناً بها أنها معصية. فهو من الذين ﴿خَطُّوا عَمَلًا ضَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا﴾⁵ فقال الله: ﴿عَسَىٰ- اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ والتوبة (هي) الرجوع. فعناه: أن يرجع عليهم بالرحمة، فإنه تعالى- ثم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال العلماء: إن "عسى" من الله واجبة، فإنه لا مانع له.

ثم نرجع ونقول: إنه لما كان الإيمان عين طهارة الباطن لم يتمكن أن يتصور الخلاف فيه، كما تصور في انطهارة الظاهرة، إلا بوجه دقيق، يكون حكم الظاهر فيه في الباطن، حكم الباطن في طهارة الظاهر.

1 [النساء: 140]

2 ص 42

3 كذب في الهاش مقابلها: صار، ووضع إشارة "صح" عليها معا.

4 ص 42 ب

5 [التوبة: 102]

فنتول من ذلك الوجه: هل من شرط طهارة الباطن بالإيمان، التلَفَظ به، فينطق اللسان بما يعتقد القلب من ذلك أم لا؛ فيكون في عالم الغيب إذا لم يظهر بما يعتقد في الباطن منافقا، كمنافق الظاهر في عالم الشهادة؟.

فإن المؤمن يعتقد وجوب الصلاة مثلا، ولا يصلي ولا يتطهر، كما أن المنافق يصلي ويتطهر ولا يؤمن بوجوبها عليه بقلبه، ولا يعتقد، أو لا يفعله لقول ذلك الرسول الذي شرعه له. فهذا معنى ذلك إذا حَقَّقَ النظر فيه حتى يسري الحكم في الظاهر والباطن¹ على صورة ما هو في الظاهر من الخلاف والإجماع فاعلم ذلك.

. . .

وصل

(للطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود)

وأما أفعال هذه الطهارة فقد ورد بها الكتاب والسنة، وبين فرضها من سننها من استحباب أفعال فيها. ولهذه الطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود معينة في محالها.

فمن شروطها: النية، وهي القصد بفعلها (على)² جملة القرية إلى الله تعالى - عند الشروع في الفعل. فمن الناس من ذهب إلى أنها شرط في صحة ذلك الفعل الذي لا يصح إلا بوجودها، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، ولا بد. وهو مذهبنا، وبه قول في الطهارة الظاهرة والباطنة. وهي عندنا في الباطن أكد وأوجب؛ لأن النية من صفات الباطن أيضا. فحكمها في طهارة الباطن أقوى؛ لأنها تحكم في موضع سلطانها، والظاهر غريب عنها. فلهذا لم يختلف، في علمنا، (في عملها) في الباطن، واختلف في ذلك في الظاهر. وقد تقدم من الكلام في النية طرف يعني.

وذهب آخرون إلى أنها ليست بشرط صحة، وأعني ما ذكرناه في طهارة الوضوء بالماء.

. . .

وصل

(غسل اليد)

اختلف³ علماء الشريعة في غسل اليد قبل إدخالها في الإناء الذي يريد الوضوء منه على أربعة أقوال.

1 ص 43

2 لم ترد في ق ووردت في ه، س

3 ص 43

فمن قائل: إِنَّ غَسْلَهَا سِتَّةَ بِإِطْلَاقٍ، ومن قائل: إِنَّ ذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ لِمَنْ يَشْكُ فِي طَهَارَةِ يَدِهِ. ومن قائل: إِنَّ غَسْلَ الْيَدِ وَاجِبٌ عَلَى الْقَائِمِ مِنَ النَّوْمِ فِي الْإِنَاءِ الَّذِي يَرِيدُ الْوُضُوءَ مِنْهُ. ومن قائل: إِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْمُنْتَبِهَةِ مِنْ نَوْمِ اللَّيْلِ خَاصَّةً. وهذا حَصْرُ مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ، فِي عِلْمِي، فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. وَلِكُلِّ قَائِلٍ حُجَّةٌ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ يَدُلُّ بِهَا عَلَى قَوْلِهِ. وَلَيْسَ كِتَابُنَا هَذَا مَوْضِعَ إِيْرَادِ أَدْلَتِهِمْ.

تَعْيِيمٌ

حُكْمُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي الْبَاطِنِ:

غَسْلُ الْيَدِ هُوَ طَهَارَتُهَا بِمَا كَلَّفَهُ الشَّارِعُ فِيهَا بَتْرَكَه، وَذَلِكَ عَلَى قَسْمَيْنِ: مِنْهُ مَا هُوَ وَاجِبٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُنْدُوبٌ إِلَيْهِ. وَالْوَاجِبُ عِنْدَنَا وَالْفَرَضُ عَلَى السَّوَاءِ لَفْظَانِ مُتَوَارِدَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، فَلَا فَرْقَ عِنْدَنَا إِذَا قُلْتُ: أَوْجَبَ، أَوْ فَرَضَ.

ثُمَّ نَقُولُ: فَالْوَاجِبُ؛ إِذَا كَانَتِ الْيَدُ عَلَى شَيْءٍ يَحْكُمُ الشَّرْعُ فِيهِ عَلَيْهَا أَنَّهَا غَاصِبَةٌ، أَوْ بِكَوْنِهِ مَسْرُوقًا، أَوْ بِكَوْنِهِ وَقَعَتْ فِيهِ خِيَانَةٌ، وَكُلٌّ مَا لَمْ يَجُوزْ لَهَا الشَّارِعُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِيهِ، وَالْفُرُوقُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ بَيِّنَةٌ. فَوَاجِبُ طَهَارَتِهَا عَنْ هَذَا كُلِّهِ، وَسِيرِدُ بِمَاذَا تَظْهَرُ فِي مَوْضِعِهِ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ-، فَوَاجِبَةٌ عَلَيْهَا هَذِهِ الطَّهَارَةُ.

وَأَمَّا الطَّهَارَةُ الْمُنْدُوبَةُ إِلَيْهَا فَهِيَ؛ تَرْكُ مَا فِي الْيَدِ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا هُوَ مُبَاحٌ لَهُ إِسْمَاكَه. فَتَنْدُبُهُ الشَّرْعُ إِلَى إِخْرَاجِهِ عَنْ يَدِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ. وَذَلِكَ هُوَ الزَّهْدُ. وَهِيَ تَجَارَةٌ؛ فَإِنَّ لَهَا عَوْضًا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَا تَرَكْتَهُ، وَالتَّرَكُّ أَعْلَى مِنَ الْإِسْمَاكِ. وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ إِجْمَاعٍ فِي كُلِّ مَلَّةٍ وَنَحْلَةٍ، شَرْعًا وَعَقْلًا. فَإِنَّ النَّاسَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَتَرْكُ جَمْعِ حَطَائِمِهَا، وَالْخُرُوجَ عَنْ يَدَيْهِ مِنْهَا، أَوَّلَى عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ. هَذَا هُوَ الْمُنْدُوبُ إِلَيْهِ فِي طَهْرِ الْيَدِ، وَهُوَ السُّنَّةُ.

وَأَمَّا الْمَذْهَبُ فِي الْإِسْتِحْبَابِ فِي طَهَارَةِ الْيَدِ، عِنْدَ الشَّاكِّ فِي طَهَارَتِهَا؛ فَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْمَالِ الَّذِي فِي يَدِهِ لَشَبْهَةِ قَامَتِ لَهُ فِيهِ، قَدْ حُثَّ فِي جِلِّهِ، فَلَيْسَ لَهُ إِسْمَاكَه. وَهَذَا هُوَ الْوَرَعُ، مَا هُوَ الزَّهْدُ. وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجَّةٌ إِلَى الْجِلِّ، فَالْمُسْتَحَبُّ تَرْكُهُ وَلَا بَدَأَ. فَإِنَّ مِرَاعَاةَ الْحَرَمَةِ أَوَّلَى. فَإِنَّكَ فِي إِسْمَاكِهِ مُسْنُولٌ، وَفِي تَرْكِهِ، لَشَبْهَةِ الَّتِي قَامَتْ عِنْدَكَ فِيهِ، غَيْرُ مُسْنُولٍ. بَلْ أَنْتَ إِلَى الْمُثُوبَةِ عَلَى ذَلِكَ أَقْرَبَ. وَهَذَا فِي الطَّهَارَةِ الْمُنْدُوبَةِ إِلَيْهَا أَوَّلَى، وَالْإِسْتِحْبَابِ فِي التَّرَكِّ لِلْمُبَاحِ أَوَّلَى.

وأما اختلافهم في وجوب غسلها من¹ النوم مطلقا، وفيمن قيد ذلك بنوم الليل. فاعلم أنّ الليل غيبٌ لأنّه محلّ السرّ، ولذلك جعل الليل لباسا، والنهار شهادة، لأنّه محلّ الظهور والحركة. ولذلك جعله معاشا لابتغاء الفضل؛ يعني طلب الرزق هنا من وجهه. فالفضلُ المبتغى فيه (أي في النهار) من الزيادة ومن الشرف، وهو زيادة الفضائل، فإنّه يجمع ما ليس له برزق، فهو فضول لأنّه يجمعه لوارثه، أو لغيره. فإنّ رزق الإنسان ما هو ما يجمعه، وإنّما هو ما يتفدّى به.

فاعلم أنّ النائم في عالم الغيب، بلا شك. وإذا كان النوم بالليل فهو غيبٌ في غيب، فيكون حكمه أقوى. والنوم بالنهار غيبٌ في شهادة فيكون حكمه أضعف. ألا تراه جعل النوم سباتا، فهو راحة بلا شك. وهو بالليل أقوى فإنّه فيه أشدُّ استغراقا من نوم النهار. والغيبُ أصلٌ، فالليل أصلٌ. والشهادة فرع؛ فالنهار فرع. ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾² فالنهار مسلوخ من الليل. فالليل لَمَّا كان يسترُ الأشياء ولا يبيّن حقائق صورها للأبصار، أشبه الجهل. فإنّ الجهل بالشئ لا يبيّن حكمه، فمن جهل الشرع في شئ لم يعلم حكمه فيه.

ولمّا كان النائم في حال نومه لا يعلم شيئا من أمور الظاهر في عالم الشهادة في حقّ الناس؛ كان النوم جملا محضا، إلّا في حقّ من تمام عينه ولا³ ينام قلبه كرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ وَرَثَتِهِ فِي الْحَالِ. ولمّا كان النهار يوضّح الأشياء، ويبين صور ذواتها، ويظهر للمتبي ما يتبي من الأمور المضرة وما لا يتقيه؛ أشبه العلم؛ فإنّ العلم هو المبين حكم الشرع في الأشياء.

ولمّا كان النائم بالنهار متصفا بالجهل لأجل نومه، لأنّ النوم من أضداد العلم ربما مدّ يده وهو لا علم له، أو رجليه، فيفسد شيئا مما لو كان مستيقظا لم يتعرض إلى فساد- أوجب عليه الشرع الطهارة بالعلم من نوم الجهل إذا استيقظ. فيعلم يقطّعه حكم الشرع في ذلك؛ فإنّه ما كان يدري في حال نوم جمالاته حيث جالت يده: هل فيما أبيح له ملكه؟ أو في ما لم يُبَحَّ له ملكه كالمفصوب وأمثاله، كما ذكرنا؟. كما راعى المخالف قوله: «أين باتت يده» واشتركا في النوم.

وإنّما ذكر الشارع المبيت، لأنّ غالب النوم فيه، وهو أبداً يراعي الأغلب، فجعل هذا الحكم في نوم الليل. ومراعاة النوم (مطلقا) أولى من مراعاة نوم الليل، ويقول مراعي نوم الليل لِإِكْبَرِ المبيت⁴، فإنّه لمّا كان الإنسان إذا نام بالنهار، قد يكون هناك إنسان أو جماعة إذا رأوا النائم يتحرك بيده أو برجليه، فتؤدّيه

1 ص 44 هـ

2 [يس: 37]

3 ص 45

4 "ويقول مراعي...المبيت" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

حركته تلك إلى كسر جرّة أو غيرها، أو صبي صغير رضيع تحصل يده على فمه فتؤذيه، أو يمسك عنه خروج النفس فيموت، وقد رأينا ذلك، فيكون¹ المستيقظ الحاضر يمنع من ذلك بإزالة الطفل القريب منه، أو الجرّة أو ما كان، من أجل ضوء النهار الذي كشفه به، ويقظته. كذلك العالم مع الجاهل إذا رآه يتصرف بما لا علم له به بحكم الشرع فيه نبيه، أو حال الشرع بينه وبين ذلك الفعل.

فوجب غسل اليد عندنا، ولا بدّ، باطنًا على الغافل² وهو النائم بالنهار، الجاهل وهو النائم بالليل. وأمّا اعتبارنا بالطهارة قبل إدخالها في الإناء، فإنّه بالعلم والعمل خوطبنا. فالعلم (هو) الماء، والعمل (هو) الغسل، وبهما تحصل الطهارة. فغسلها قبل إدخالها في إناء الوضوء، هو ما يقرّره في نفسه من القصد الجميل في ذلك الفعل، إلى جناب الحقّ الذي فيه سعادته عند الشروع في الفعل على التفصيل. فهذا معنى غسل اليد قبل إدخالها في إناء الوضوء في طهارة الباطن.³

وَضَلُّ

المضمضة والاستنشاق

اختلف علماء الشريعة فيها على ثلاثة أقوال: فمن قائل: إنّها سنّة، ومن قائل: إنّها فرض، ومن قائل: إنّ المضمضة سنّة والاستنشاق فرض. هذا حكمها في الظاهر قد نقلناه.

فأمّا حكمها في الباطن: فمنها ما هو فرض، ومنها ما هو سنّة. فأمّا⁴ المضمضة، فالفرض منها: التلقّظ بلا إله إلا الله. فإنّ بها يتطهّر لسانك من الشرك وضرك، فإنّ حروفها من الصدر واللسان. وكذلك في كلّ فرض أوجب الله عليك التلقّظ به، بما لا ينوب فيه عنك غيرك. فيسقط عنك كفرض الكفاية؛ كرّجلى أصرّ أعمى على بُعد، يريد السقوط في حفرة يتأذى بالسقوط فيها أو يهلك. فيتعيّن عليه فرضاً أن ينادي به يُخَذِّره من السقوط بما يفهم عنه، لكونه لا يلحقه. فإن سبقه إنساناً إلى ذلك؛ سقط عنه ذلك الفرض الذي كان تعيّن عليه. فإنّ تكلم به فهو خير له وليس بفرض عليه.

فإذا تمضمض في باطنه بهذا وأمثاله، فقد أصاب خيراً، وقال خيراً. وهو؛ حُسْنُ القول، وصَدَقُ اللسان، طهور من الكذب. والجهر بالقول الحسن، طهور من الجهر بالسوء من القول، وإن كان جزءاً

1 ص 5 هـ

2 رصم في ق: الغافل. وفي س: العاقل

3 في الهامش: "بلغ قراءة عليّ نظير الدين محمود، وكتب ابن العربي".

4 ص 46

بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾¹ ولكن السكوت عنه أفضل. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظهور من تقيضها. فمثل هذا فرض المضمضة وسنتها، وكذلك الاستنشاق.

فاعلم أنّ الاستنشاق في الباطن، لَمَّا كَانَ الْأَنْفُ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ محلّ العزّة والكبرياء، ولهذا تقول العرب في دعائها: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ، وقد اتفق هذا على رَغَمِ أَنْفِهِ، والرَّغَامُ (هو) التراب. أي ² حَطَّكَ اللَّهُ مِنْ كِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ إِلَى مَقَامِ الذَّلَّةِ وَالصُّغَارِ، فكُنِيَ عَنْهُ بِالتَّرَابِ. فَإِنَّ الْأَرْضَ سَمَّاهَا اللَّهُ ذُلُولًا عَلَى الْمِبَالِغَةِ. فَإِنَّ أَدْلَ الْأَذْلَاءِ مَنْ وَطَنَهُ الذَّلِيلُ. والعبيد أذلاء وهم يطؤون الأرض بالمشي عليها في منكبها. فلهذا سمَّاهَا بِبَيْتَةِ الْمِبَالِغَةِ.

ولا يندفع هذا، ولا تزول الكبرياء من الباطن، إلّا باستعمال أحكام العبوديّة والذلّة والافتقار. ولهذا شرع الاستنثار في الاستنشاق. فقيل له: اجعل في أنفك ماء، ثُمَّ لِيَتَنَثَّرْ. والماء هنا عَلَمٌ لِكَ بَعْدِيَّتِكَ، إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي محلِّ كِبْرِيائِكَ، خَرَجَ بِالْكَبْرِيَاءِ مِنْ مَحَلِّهِ وَهُوَ الاستنثار. ومنه فرض؛ واستعماله في الباطن فرض بلا شك. وأما كونه سنة؛ فعنايه أنك لو تركته صحّ وضوؤك. ومحله في هذا القدر، أنك لو تركت معاملتك لعبدك، أو لمن هو تحت أمرك -وهنا يرّ خفيّ يتضمّنه: "رَبِّ اعْطِنِي كُنَا"- أو لمن هو دونك، بالتواضع، وأظهرت العزّة، وحكم الرئاسة لمصلحة تراها، أباحها لك الشارع، فلم تستنشق؛ جاز حكم طهارتك دون استعمال هذا الفعل، وإن كان استعمالها أفضل. فهذا موضع سقوط فرضها.

فلهذا قلنا: قد يكون سنة، وقد يكون³ فرضاً، لعلنا أنّه لو أجمع أهل مدينة على ترك سنة، وجب قتالهم. ولو تركها واحد لم يقتل. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يُغَيِّرُ عَلَى مَدِينَةٍ، إِذَا جَاءَهَا لَيْلًا حَتَّى يَصْبَحَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ. وَكَانَ يَتْلُو إِذَا لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا: «إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَنَسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذَرِينَ».

وما من حكم من أحكام فرائض الشريعة وسننها واستحباباتها، إلّا ولها في الباطن حكم، أو أزيد، على قدر ما يفتح للعبد في ذلك، فرضاً كان أو سنة أو مستحبّاً، لا بدّ من ذلك. وخذ ذلك في سائر العبادات المشروعة كلّها. وبهذا يميّز حكم الظاهر من الباطن؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ يَسْرِي فِي الْبَاطِنِ، وليس في الباطن أمر مشروع يسري في الظاهر، بل هو عليه مقصور. فَإِنَّ الْبَاطِنَ مَعَانِي كُلَّهَا، وَالظَّاهِرَ أَعْمَالٌ محسوسة. فينتقل (الأمر) من المحسوس إلى المعنى، ولا ينتقل المعنى إلى الحس.

1 [النساء : 148]

2 ص 46

3 ص 47

4 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

باب

التحديد في غسل الوجه

لا خلاف أنَّ غسل الوجه فرضٌ. وحكمه في الباطن: المراقبة والحياء من الله مطلقاً، وذلك أن لا تمتدَّى حدود الله تعالى. واختلف¹ علماء الرسوم في تحديد غسل الوجه في الوضوء، في ثلاثة مواضع: منها البياض الذي بين العذار والأذن، والثاني ما سدل من اللحية، والثالث غسل اللحية. فأما البياض المذكور فمن قائل: إنه من الوجه، ومن قائل: إنه ليس من الوجه. وأما ما انسدل من اللحية؛ فمن قائل بوجوب إمرار الماء عليه، ومن قائل بأن ذلك لا يجب. وأما تحليل اللحية فمن قائل بوجوب تحليلها، ومن قائل: إنه لا يجب.

وصل: في حكم ما ذكرناه في الباطن:

أما غسل الوجه مطلقاً من غير نظر إلى تحديد الأمر في ذلك، فإنَّ منه ما هو فرضٌ ومنه ما ليس بفرض. فأما الفرض: فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. وأما السنة منه: الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك. فالله أولى أن تستحي منه، مع علمك أنه ما من جزء فيك، إلّا وهو يراه منك. ولكنَّ حكمه في أفعالك، من حيث أنت مكلفٌ، ما ذكرناه، وقد ورد به الخبر. وكذلك النظر إلى عورة امرأتك، وإن كان قد أبيح لك ذلك، ولكن استعمال الحياء فيها أفضل وأولى. فيسقط الفرض فيه أعني في الحياء، في مثل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَاقِ²﴾ فما يتعمّن منه³ فهو فرض عليك، وما لا يتعمّن عليك فهو سنة واستحباب. فإن شئت فعلته وهو أولى، وإن شئت لم تفعله.

فيراقب الإنسان أفعاله وترك أفعاله؛ ظاهراً وباطناً. ويراقب آثار ربّه في قلبه، فإنَّ وجه قلبه هو الاعتبار. ووجه الإنسان وكل شيء حقيقته وذاته وعيئه. يقال: وجه الشيء ووجه المسألة ووجه الحكم، ويعرّف بهذا الوجه حقيقة المستحق وعيئه وذاته. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاسِرَةٌ. تَنْظُرُ أَن يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ⁴ والوجوه التي هي في مقدّم الإنسان ليست توصف بالظنون، وإنما انظر لحقيقة الإنسان؛ ف«الحياء خير كلّ»، و«الحياء من الإيمان»، و«الحياء لا يأتي إلّا بخير».

وأما البياض الذي بين العذار والأذن، وهو الحدّ الفاصل بين الوجه والأذن، فهو الحدّ بين ما كلف الإنسان من العمل في وجهه، والعمل في سمعه. فالعمل في ذلك: إدخال الحدّ في الحدود. فالأولى بالإنسان

1 ص 7 لب

2 | الأحراب : 53 |

3 ص 48

4 | القيامة : 22 - 25 |

أن يصرف حياءه في سميحه كما صرفه في بصره.

فكما أنه من الحياء غَضُّ البصر عن محارم الله، قال تعالى - لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾¹ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾² باطن هاتين الآيتين خطابُ النفس والعقل. كذلك يلزمه الحياء من الله أن يسمع ما لا يحلُّ له سماعه: من غيبة وسوء قولٍ من متكلم بما لا ينبغي ولا يحلُّ له التلطف به، فإنَّ ذلك البياض هو بين العذار والأذن، وهو محلُّ الشبهة. وصورة الشبهة في ذلك أن يقول: إنما أصغيتُ إليه لأردَّ عليه، وعن الشخص الذي اغتیب، وهذا من فقه النفس. فقولُه هذا هو من العذار، فإنه من العذر، أي الإنسان إذا عوتب في ذلك يعتذر بما ذكرناه وأمثاله. ويقول: إنما أصغيتُ لأحقّق سماعي قولَه حتى أنهاء عن ذلك على يقين، فكفى عنه بالعذار. ويكون فيمن لا عذار له موضع العذار.

فمن رأى وجوب ذلك عليه غسله بما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي بين لهم الحسن من ذلك من القبيح ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾³ أي عقلوا ما أردنا، وهو من لبِّ الشيء المصون بالقشر. ومن لم ير وجوب ذلك عليه؛ إن شاء غسل وإن شاء ترك. كمن يسمع من لا يقدر على ردِّ الكلام في وجهه من ذي سلطان يخاف من تعديبه عليه، فإن قدر على القيام من مجلسه انصرف، فذلك غسله إن شاء. وإن ترجّح عنده الجلوس لأمر يراه مظنون عنده؛ جلس ولم يبرح، وهذا عند من لا يرى وجوب ذلك عليه.

وأما غسل ما انسدل⁴ من اللحية وتخليها، فهي الأمور العوارض. فإنَّ اللحية شيء يعرض في الوجه، ما هي من الوجه، ولا تؤخذ في حذّه. مثل ما يعرض لك في ذاتك من المسائل الخارجة عن ذاتك، فأنّت فيها بحكم ذلك العارض؛ فإن تعيّن عليك طهارة نفسك من ذلك العارض، فهو اعتبار قول من يقول بوجوب غسل ذلك. وإن لم يتعيّن عليك طهارته؛ فطهرته استحباباً، أو تركته لكونه ما تعيّن عليك، ولكن هو نقص في الجملة. فهذا قول من يقول: ليس بواجب، وهو مذهب الآخرين.

وقد بيّنا لك فيما تقدّم من مثل هذا الباب أنّ حكم الباطن في هذه الأمور (هو) بخلاف حكم الظاهر فيما فيه وجهٌ إلى الفرضية، ووجهٌ إلى السنة والاستحباب. فالفرض لا بدّ من العمل به، فعلا كان أو

1 [النور : 30]

2 [النور : 31]

3 ص 48

4 [الزمر : 18]

5 ص 49

تركاً. وغير الفرض فيه أن تنزله في الامتثال منزلة الفرض وهو أولى، فعلاً وتركاً، وذلك سارٍ في سائر العبادات.

بَابُ

في غسل اليدين والذراعين في الوضوء إلى المرافق

أجمع العلماء بالشرعة على غسل اليدين والذراعين في الوضوء بالماء، واختلفوا في إدخال المرافق في الفسل. ومذهبنا الخروج إلى محلّ الإجماع في الفعل. فإنّ الإجماع في الحكم لا يتصور. فمن قائل بوجوب إدخالها في الفسل، ومن قائل بترك الوجوب. ولا خلاف عند القائلين بترك الوجوب، في استحباب إدخالها في الفسل.

وَضَلَّ: حكم الباطن في ذلك:

أقول بعد تقرير حكم الظاهر الذي تعبدنا الله: إنّ غسل اليدين والذراعين، وهما المعصان. ففسل اليدين بالكرم والجود والسخاء والإيثار والهيئات وأداء الأمانات، وهو الذي لا يصحّ عنده الإيثار. كما يفسلها أيضاً مع الذراعين بالاعتصام إلى المرافق بالتوكّل والاعتصاف، فـ"إنّ المؤمن كثير بأخيه"، فإنّ رسول الله ﷺ «كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد» وإنّ هذا وأشباهه من نعوت اليدين. والخلاف في حدّ اليدين أكثره إلى الآباط وأقلّه إلى الفصل الذي يسقى منه الذراع؛ فبقي إدخال المرافق.

والمرافق في الباطن هي رؤية الأسباب التي يرتفق بها العبد وتأنس بها نفسه. فإنّ الإنسان في أصل خلقه خُلِقَ هلوأ، يخاف الفقر الذي تعطيه حقيقته، من حيث إمكانه، فيجنح إلى ما يرتفق به ويميل إليه. فمن رأى إدخال المرافق في غسله واجبا، رأى أنّ الأسباب إنما وضعها الله حكمة منه في خلقه، لما علم من ضعف يقينهم، فيريد أن لا يعطل حكمة الله لا على طريق الاعتماد² عليها، فإنّ ذلك يقدح في اعتماده على الله.

ومن رأى أنّه لا يوجبها في الفسل، رأى سكون النفس إلى الأسباب، أنّه لا يخلص له مقام الاعتماد على الله حالا، مع وجود رؤية الأسباب. وكلّ من يقول إنّها لا تجب، يستحبّ إدخالها في الفسل. كذلك

رؤية الأسباب مستحبة عند الجميع، وإن اختلفت أحكامهم فيها؛ فإن الله ربط الحكمة بوجودها.

بَاب

في مسح الرأس

اتفق علماء الشريعة على أن مسحه من فرائض الوضوء، واختلفوا في القدر الواجب منه. فمن قائل بوجوب مسحه كله، ومن قائل بوجوب مسح بعضه. واختلفوا في حد البعض. فمن قائل بوجوب الثلث، ومن قائل بوجوب الثلثين، ومن قائل بالربع، ومن قائل: لا حد للبعض. وتكلم بعض هؤلاء في حد القدر الذي يمسح به من اليد. فمن قائل: إن مسحه بأقل من ثلاثة أصابع لم يجز، ومن قائل: لا حد للبعض: لا في الممسوح ولا فيما يمسح به.

وأصل هذا الخلاف وجود الباء في قوله تعالى: ﴿يَرْغُوسِكُمْ﴾¹.

وصل: حكم المسح في الباطن:

فأما² حكم مسح الرأس في الباطن اعتباراً؛ فإن الرأس من الرئاسة وهي العلو والارتفاع، ومنه رئيس القوم، أي سيدهم الذي له الرئاسة عليهم. ولما كان أعلى ما في البدن في ظاهر العين وجميع البدن تحته سُمي رأساً، إذ كان الرئيس فوق الرؤوس بالمرتبة، وله جهة فوق. وقد وصف الله نفسه بالفوقية لشرفها، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾³ وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾⁴ فكان الرأس أقرب عضو في البدن إلى الحق لمناسبة الفوق.

ثم له شرف آخر، بالمعنى الذي رأس به على أجزاء البدن كلها؛ وهو كونه محلاً جامعاً حاملاً لجميع القوى كلها: المحسوسة، والمعمولة المعنوية. فلما كانت له أيضاً هذه الرئاسة من هذه الجهة سُمي رأساً. ثم إن العقل الذي جعله الله أشرف ما في الإنسان، جعل محله أعلى ما في الرأس وهو اليافوخ، فجعله مما يلي جهة الفوقية.

ولما كان الرأس محلاً لجميع القوى الظاهرة والباطنة، ولكل قوة منها حكم وسلطان وفخر يورثه ذلك

1 [المائدة : 6]

2 ص 50

3 [النحل : 50]

4 [الأعام : 18]

عزّة على غيره، كقصر الملك على سائر دور الشؤفة، وجعل¹ الله محالّ هذه القوى من الرأس مختلفة، حتى عمت الرأس كلّ: أعلاه ووسطه ومقدّمه ومؤخّره. وكلّ قوّة كما ذكرنا لها عزّة وسلطان وكبرياء في نفسها ورئاسة، فوجب أن يمسّحه كلّ²، وهو اعتبار من يقول بوجوب مسح الرأس كلّ، لهذه الرئاسة السّريّة فيه كلّ، من جمّة حمله لهذه القوى المختلفة الأماكن فيه، بالتواضع والإقناع لله. فيكون لكلّ قوّة إذا عمّ المسح، مسخّ مخصوص من مناسبة دعواها، فيردّها بما يخصّها من المسح، فيعمّ بالمسح جميع الرأس.

ومن يرى أنّ للرأس رأسا عليه، كما أنّ الولاة من جمّة السلطان يرجع أمرهم إليه، فإنّه الذي ولّاهم؛ رأى كلّ والٍ أنّ فوقه والٍ عليه، هو أعلى منه، له سلطان على سلطانه. كالقوّة المصوّرة لها سلطان على القوّة الخياليّة، فهي رئيسة عليها، وإن كانت لها رئاسة - أعني القوّة الخياليّة - فمن رأى هذا من العلماء قال بمسح بعض الرأس، وهو التهمّم بالأعلى.

ثمّ اختلف أصحابنا في هذا البعض؛ فكلّ عارف قال بحسب ما أعطاه الله من الإدراك، في مراتب هذه القوى؛ فهو بحسب ما يراه ويعتبره. فأخذ يمسح في هذه العبادة وهي التذلّل، وإزالة الكبرياء والشموخ بالتواضع والعبودية. لأنّه في طهارة العبادة يطلب الوصلة بربّه. لأنّ المصلّي في مقام مناجاة ربّه، وهي الوصلة المطلوبة بالطهارة.

والعزيزُ الرئيس، إذا دخل على من ولّاه تلك العزّة والرئاسة؛ نزل عن رئاسته، وذلّ عن عزّه، بعزّ من دخل³ عليه؛ وهو سيّده الذي أوجده. فيقف بين يديه وقوف⁴ غيره من العبيد، الذين أنزلوا نفوسهم بطلب الأجرة، منزلة الأجانب. فوقف هذا العبد في محلّ الإذلال لا بصفة الإذلال، بالدالّ اليأس. فمن غلب على خاطره رئاسة بعض القوى على غيرها؛ وجب عليه مسح ذلك البعض من أجل الوصلة التي يطلبها بهذه العبادة.

ولهذا لم يُشرع مسح الرأس في التيمّم، لأنّ وضع التراب على الرأس من علامة الفراق، وهو المصيبة العظمى. إذ كان الفاقد حبيبه بالموت، يضع التراب على رأسه. فلما كان المطلوب بهذه العبادة الوصلة لا الفُرقة، لهذا لم يُشرع مسح الرأس في التيمّم. فامسح على حدّ ما ذكرناه لك ونهناك عليه. وتفصيل رئاسات القوى معلوم عند الطائفة، لا احتاج إلى ذكره.

1 ق: وجله

2 ص 51

3 ص 51 ب

4 رسم الكلمة في ق يمسح بقرامتها: وفوق

وأما التبعض في اليد التي يمسح بها، واختلافهم في ذلك، فاعمل فيه كما تعمل في المسوح سواء. فإن المزيل لهذه الرئاسة أسباب¹ مختلفة في القدرة على ذلك، ومحل ذلك اليد. فمن مزيل بصفة القهر، ومن مزيل بسياسة وترغيب، كما يمسح الإنسان بيده رأس اليتيم جبراً لانكساره بلطف وحنان، فلهذا ترجع بعضية اليد في المسح وكنيته، فاعلم ذلك.

ولما كان الموجب لهذا الخلاف² عند العلماء وجود الباء في قوله: ﴿يُزِيلُكُمْ﴾ فمن جعلها للتبعض بقض المسح، ومن جعلها زائدة للتوكيد في المسح عم بالمسح جميع الرأس. وإن الباء في هذا الموضع هو وجود القدرة الحادثة، فلا يخلو إما أن يكون لها أثر في المقدور، فتصح البعضية، وهو قول المعتزلي وغيره. وإما أن لا يكون لها أثر في المقدور، بوجه من الوجوه، فهي زائدة كما يقول الأشعري، فيسقط حكمها، فنعمة القدرة القديمة مسح الرأس كله، لم تبعض مسحه القدرة الحادثة. ويكون حذ مراعاة التوكيد من كونها زائدة للتوكيد، هو الاكتساب الذي قالت به الأشاعرة، وهو قوله تعالى - في غير موضع من كتابه بإضافة الكسب والعمل إلى الخلق، فلهذا جعلوا زيادتها لمعنى يسقى التوكيد.

ألا ترى العرب تقابل الزائد بالزائد في كلامها؟ تريد بذلك التوكيد، وتجب به القائل إذا أكد قوله. يقول القائل: إن زيد قائم. أو يقول: ما زيد قائماً. فيقول السامع في جواب إن زيد قائم: ما زيد قائماً. وفي جواب "ما": إن زيد قائم. فيثبت ما نفاه القائل، أو ينفي ما أثبتته القائل. فإن أكد القائل إيجابه، فقال: "إن زيد لقائم"، فأدخل اللام لتأكيد ثبوت القيام. أدخل الجيب الباء، في مقابلة اللام، لتأكيد نفي³ ما أثبتته القائل، فيقول: ما زيد بقائم. ويسمى مثل هذا: "زائداً" لأن الكلام يستقلّ دونه.

ولكن متى إذا قصد المتكلم خلاف التبعض، وأتى بذلك الحرف للتأكيد، فإن قصد التبعض لم يكن زائداً ذلك الحرف جملة واحدة. والصورة واحدة في الظاهر، ولكن تختلف في المعنى. والمراعاة إنما هي لقصد المتكلم، الواضع لتلك الصورة.

فإذا جملنا المعنى الذي لأجله خلق سبحانه - التمكن من فعل بعض الأعمال، نجد ذلك من نفوسنا ولا ننكره، وهي الحركة الاختيارية. كما جعل سبحانه - فينا المانع من بعض الأفعال الظاهرة فينا، ونجد ذلك من نفوسنا؛ كحركة المرتعش، الذي لا اختيار للمرتعش فيها، لم ندر لما يرجع ذلك التمكن الذي نجد من نفوسنا: هل يرجع إلى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكنا؟ أو عن الإرادة

1 ق: أسبابا، وصححت في الهامش بقلم الأصل

2 ص 52

3 ص 52 ب

الخلوقة فينا، فيكون التمكن أثر الإرادة، لا أثر القدرة الحادثة؟ من هنا منشأ الخلاف بين أصحاب النظر في هذه المسألة.

وعليه ينبغي كون الإنسان مكلفاً، ليعين التمكن الذي يجده من نفسه، ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكن: هل لكونه قادراً؟ أو لكونه مختاراً؟. وإن كان مجبوراً في اختياره. ولكن بذلك القدر من التمكن، الذي يجده من¹ نفسه يصح أن يكون مكلفاً ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾² فقد أعطاه أمراً وجودياً، ولا يقال: أعطاه لا شيء. وما رأينا شيئاً أعطاه بهلا خلاف- إلا التمكن الذي هو وسعها ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾³.

وما ندري لماذا (=إلى ماذا) يرجع هذا التمكن، وهذا الوسع: هل لأحدهما، أعني الإرادة أو القدرة؟ أو لأمر زائد عليهما؟ أو لهما؟ ولا يعرف ذلك إلا بالكشف، ولا يتمكن لنا إظهار الحق في هذه المسألة، لأن ذلك لا يرفع الخلاف من العالم فيه، كما ارتفع عندنا الخلاف فيها بالكشف. وكيف يرتفع الخلاف من العالم، والمسألة معقولة، وكل مسألة معقولة لابد من الخلاف فيها لاختلاف البُطَر في النظر.

فقد عرفت مسح الرأس ما هو في هذه الطريقة، وبقي من حكمه المسح على العمامة، وما في ذلك من الحكم.

وصلّ

في المسح على العمامة

فإن علماء الشريعة من أجاز المسح على العمامة، ومنع من ذلك جماعة. فالذي منع لأنه خلاف مدلول الآية، فإنه لا يفهم من الرأس العمامة، فإن تغطية الرأس أمر عارض. والمجيز ذلك لأجل ورود الخبر الوارد في مسلم، وهو حديث قد تكلّم فيه، وقال⁴ فيه أبو عمر بن عبد البر إنه معلول.

وصلّ: مسح العمامة في الباطن:

وأما حكم المسح على العمامة في الباطن، فاعلم أن الأمور العوارض لا يُعارض بها الأصول، ولا تنجح فيها. فالذي ينبغي لك أن تنتظر: ما السبب الموجب لطُرُوز ذلك العارض؟ فلا يخلو إما أن يكون بما

1 ص 53

2 [الطلاق : 7]

3 [البقرة : 286]

4 ص 53 ب

يستغنى عنه، أو يكون مما يحصل الضرر بفقده، فلا يستغنى عنه. فإن استغنى عنه، فلا حكم له في إزالة حكم الأصل. وإن لم يستغن عنه، وحصل الضرر بفقده، كان حكمه حكم الأصل، وناب منابته. وإن بقي من الأصل جزء ما، ينبغي أن يراعى ذلك الجزء الذي بقي ولا بد. ويبقى ما بقي من الأصل ينوب عنه هذا الأمر العارض، الذي يحصل الضرر بفقده. هذا مذهبنا فيه.

ولهذا ورد في الحديث الذي ذكرنا، أنه معلول عند بعض علماء هذا الشأن، أن المسح وقع على الناصية والعمامة معاً، فقد مس الماء الشعر. فقد حصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح بعض الرأس. فلو لبس العمامة للزينة لم يجز له المسح عليها، بخلاف المريض الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه. فما ورد ما يقاوم نص القرآن في هذه المسألة.

ليوضح¹:

فإذا عرض لأهل هذه الطريقة عارض يقدح في الأصل، كفعل السبب للمتجرد عن الأسباب، أو التبخر والرائحة في الحرب، فإن كلامنا في مسح الرأس، وله التواضع والتكبر؛ ضرب المثل به أولى، ليصل فهم السامع إلى المقصود مما يريد في هذه العبادة. فإن أثر ذلك الزهو إظهار الكبر في عبودية الإنسان؛ فبنسيان كبرياء ربه عليه وعزته سبحانه - وخجبه عن ذلك، فلا يفعل ويطرح الكبرياء عن نفسه، ولا بد، ولا يجوز له التكبر في ذلك الوطن، لثقله في الأصل.

وإن لم يؤثر في نفسه، بل ذلك أمر ظاهر في عين العدو، وهو في نفسه في ذلته وافتقاره؛ جاز له صورة التكبر في الظاهر لقرينة الحال بحكم الوطن. فإنه لم يؤثر في الأصل. هكذا حكم المسح على العمامة عندنا، فاعلم ذلك.

فقد علمت حكم المسح على العمامة في الباطن؛ ما هو؟ وكذلك المسح ببعض اليد على العمامة؛ وهو إن قدح أخذك للسبب في اعتمادك على الله بقلبك، فلا تأخذه ولا تستعمله، ما لم يؤد إلى ما هو أعظم منه في البعد عن الله. وإن لم يؤثر في الاعتماد عليه، فامسح ببعض يدك، ولا حرج عليك. فإن طرخ السبب من اليد بعض أفعال اليد، لأن مجموع اليد في المعنى أمور كثيرة؛ فإنها تصرف تصرفات كثيرة، تختلف المعاني في الأمور المشروعة والأحكام، فإن لها القبض والبسط والاعتدال.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْمَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وهو كناية عن البخل ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾¹ وهو كناية عن السرف. وكذلك مَدَحَ قوماً بمثل هذا، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾² وهو العدل في الإنفاق. وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾³ وهو هنا البخل. فنسب ذلك كله إلى الأيدي. فلهذا قلنا: "لها أفعال كثيرة"، ولولا وجود الكثرة ما صحت البعضية، لأنَّ الواحد لا يتبعص.

وصل: في توقيت المسح على الرأس

بقي من تحقُّق هذه المسألة التوقيت في المسح على الرأس: هل في تكراره فضيلة أم لا؟. فمن الناس من قال: "إنَّه لا فضيلة فيه"، ومنهم من قال: "إنَّ فيه فضيلة". وهذا يُستحبُّ في جميع أفعال الوضوء في جملة أعضائه سواء. غير أنَّه يقوى في بعض الأعضاء ويضعف في بعض الأعضاء. أعني التكرار. ولا خلاف في وجوب الواحدة، إذا عمَّت العضو.

فأما مذهبنا في الأصل فلا تكرار في العالم، للاتِّساع الإلهي. فمَنع هذا اللفظ، ولا⁴ منع وجود الأمثال بالتشابه الصوري. فنعلم قطعاً أنَّ الحركات يشبه بعضها بعضاً في الصورة، وإن كانت كل واحدة منها ليست عين الأخرى. فمذهبنا أن ننظر حكم الشارع في ذلك؛ فإنَّ عَدَدَ الأمثال، عَدَدُنا بالأمثال. كما نقول غُتِبَ الصلاة: "سبحان الله" ثلاثاً وثلاثين، فمثل هذا لا نمنعه. فقد يقع التمدُّد في عمل الوضوء تأكيداً لإزالة حكم الغفلات، السريعة الحكم في الإنسان. فعلى هذا يكون في التكرار فضيلة، فإنَّ تيقن بالحضور فلا فضيلة. فإنَّ الفضل هو الزائد، وما زاد هذا المتوضي حكماً، بوجود غفلة أو سهو فيكرَّر، فلم تصحَّ الزيادة.

ولكنَّ الصحيح عندنا أنَّ التكرار فيه فضيلة، لأنَّه نور على نور، على قدر ما حدَّه الشارع، المبين للأحكام. وقد ورد في الكتاب والسنة في تشبيه نور الله بالمصباح في الزجاجة في المشكاة، الآية بكمالها. وقال في آخرها: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾⁵ أي ورد في نُورٍ عَلَىٰ نُورٍ، كالدليلين والثلاثة على المدلول الواحد. وقال رسول الله ﷺ في الوضوء على الوضوء: «نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ» ولا فرق بين ورود الوضوء على الوضوء، وبين

[1] الإسراء : 29

[2] الفرقن : 67

[3] البقرة : 195

4 ص 55

[5] النور : 35

ورود الغرقة الثانية الواردة¹ على الأولى في الوضوء، وتكرار العمل من العامل يوجب تكرار الثواب والتجلي. فأمّا في الأعضاء كلّها فالثابت التكرار، وما كان الخلاف إلّا في الرأس والأذنين والرجلين، وقد أومأنا إلى ما ينبغي في ذلك.

باب

مسح الأذنين وتجديد الماء لهما

اختلف الناس في مسح الأذنين وتجديد الماء لهما. فمن قائل: إنّه سنة، ومن قائل: إنّه فرض، ومن قائل: بتجديد الماء لهما، ومن قائل: لا يجدد لهما الماء. وهل تُردّ (الأذنان) بالمسح وحدهما، أو تُمسحان مع الرأس خاصّة، أو تُمسحان² مع الوجه خاصّة، أو يُمسح ما أقبل منها مع الوجه، وما أدبر منها مع الرأس، ولكلّ حالة من هذه الأحوال قائل بها.

وصل: في حكمها في الباطن:

فأمّا حكمها في الباطن، فإنّه عضو مستقلّ، يجب تجديد الماء له. فيُسمح باستماع القول الأحسن ولا بدّ. ويقع التفاضل في الأحسن: فثمّ حسن وأحسن، وأعلاه حسناً: ذكّر الله بالقرآن، فيجمع بين الحسينين. فليس أعلى من سماع ذكّر الله من القرآن³. مثل كلّ آية لا يكون مدلولها إلّا الله، هذا (ما) أعني بذكر الله من القرآن.

وما كلّ آي القرآن يتضمّن ذكّر الله، فإنّ فيه الأحكام المشروعة، وفيه قصص الفراعنة، وحكايات أقوالهم وكفرهم. وإن كان فيه الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن، بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأه، أو بإصغاء الإنسان إلى نفسه إذا تلاه.

ولكنّ ذكّر الله في القرآن أحسن وأتمّ من حكاية قول الكافر في الله ما لا ينبغي له، في القرآن أيضاً.

وأما ما أقبل من ظاهر الأذن وما أدبر؛ فهو ما ظهر من حكم ذلك الذكّر من القرآن وما بطن، وما أيسر منه وما أغلن، وما فهم منه وما مجل. فسلم كلمات المتشابه في حقّ الله إلى الله، فهي بما أدبر من باطن الأذن، فتسلّم إلى مراد الله تعالى- فيها، حين تسمعها الأذن تُتلى. وما علم كلالايات الحكمات في

1 ص 55 ب

2 "أو تمسحان..أو تمسح" في ق: "أو تمسح..أو تمسح".

3 ص 56

حَقَّ الله، وما تدلُّ عليه من الأكوان- فهي مما أقبل من ظاهر الأذن، فَيُعْلَمُ مراد الله بها، فيكون الحكم بحسب ما تعلَّق به العلمُ. فاعمل بحسب ما أشرنا به إليك في هذا التفصيل. والأوَّلُ أن يكون حكم الأذنين حكم المضمضة والاستنشاق والاستنثار.

* * *

باب¹

غسل الرجلين

اعلم أنَّ صورتها في توقيت الغسل بالأعداد، صورةُ الرأس. وقد ذكرنا ذلك.

اتَّفَق العلماء على أنَّ الرجلين من أعضاء الوضوء، واختلفوا في صورة طهارتهما²: هل ذلك بالغسل أو بالمسح أو بالتخير بينهما؟ فأَيُّ شيء فعل منها، فقد سقط عنه الآخر، وأدَّى الواجب، هذا إذا لم يكن عليها خُفٌ. ومذهبنا التخيير، والجمع أوَّلُ. وما من قول إلَّا وبه قائل. فالمسح بظاهر الكتاب، والغسل بالسنة، ومحمَّل الآية بالعدول عن الظاهر منها.

وصل: حكم الرجلين في الباطن:

وأما حكم ذلك في الباطن، فاعلم أنَّ السعي إلى الجماعات، وكثرة الخطى إلى المساجد، والشبات يوم الزحف، مما تظهر به الأقدام. فلتكن طهارتك رجليك بما ذكرناه وأمثاله، ولا تمش بالنميمة بين الناس، ﴿وَلَا تَشْهِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾³، ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾⁴. ومن هذا ما هو فرض -عني من هذه الأفعال- بمنزلة المرة الواحدة في غسل عضو الوضوء، الرجل وغيره. ومنها ما هو ستة⁵ -هو ما زاد على الفرض- وهو مَشْيُكَ فيما نَدَبَكَ الشرعُ إلى السعي فيه، وما أوجبه عليك.

فالواجب عليك نقل الأقدام إلى مُضَلَّك، والمندوب والمستحبُّ والسنة -وما شئت فقل من ذلك- مثل نقل الأقدام إلى المساجد من قُرْبٍ وَبَعْدٍ، فَإِنَّ ذلك ليس بواجب. وإن كان الواجب من ذلك عند بعض الناس مسجدا لا بعينه وجاعة لا بعينها. فعلى هذا يكون غسل رجليك في الباطن من طريق المعنى.

1 ص 56

2 ق: طهارتها

3 [الإسراء: 37]

4 [لقمان: 19]

5 ص 57

واعلم أنَّ الفسل يتضمَّن المسح بوجه، فمن غسل فقد اندرج المسح فيه، كاندراج نور الكواكب في نور الشمس، ومن مسح فلم يفسل، إلَّا في مذهب من يرى، وينقل عن العرب، أنَّ المسح لغة في الفسل. فيكون من الألفاظ المترادفة. والصحيح في المعنى، في حكم الباطن، أن يستعمل المسح فيما يقتضي الخصوص من الأعمال. والفسل فيما يقتضي العموم، هذه هي الطريقة المثل.

ولهذا ذهبنا إلى التخيير بحسب الوقت، فإنه قد يكون يسمى إلى فضيلة خاصة في حاجة معينة لشخص بعينه، فذلك بمنزلة المسح. وقد يسمى إلى الملك في حاجة تعمُّ جميع الرعايا أو حاجات، فيدخل ذلك الشخص في هذا العموم، فهذا بمنزلة الفسل الذي اندرج فيه المسح.

بيان¹ وإتمام

وأما القراءة في قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بفتح اللام وكسرها، من أجل حرف الواو على أن يكون عطف على المسحوح بالحنض وعلى المسحول بالفتح، فذهبنا أنَّ الفتح في اللام لا يخرج عن المسحوح، فإنَّ هذه الواو قد تكون واو "مع"، وواو المعية تلتصّب. تقول: "قام زيد وعمرا"، و"استوى الماء والخشب"، و"ما أنت وقصعة من ثريد"، و"مررت بزيد وعمرا"، ترعد مع عمرو. وكذلك من قرأ: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾² بفتح اللام.

فحجة من يقول بالمسح في هذه الآية أقوى، لأنَّه يشارك القائل بالفسل، في الدلالة التي اعتبرها: وهي فتح اللام. ولم يشاركه من يقول بالفسل في خفض اللام. فبين أصحابنا من يرجح الخاص على العام، ومنهم من يرجح العام على الخاص، كلّ ذلك مطلقا.

ومذهبنا نحن على غير ذلك؛ إنما نمشي مع الحقِّ بحكم الحال: فنعمم حيث عمم، ونخصص حيث خصص، ولا نخدث حكما. فإنه من أحدث حكما فقد أحدث في نفسه رويّة، ومن أحدث في نفسه رويّة فقد انتقص من عبودته بقدر تلك المسألة، وإذا انتقص من عبودته، بقدر ذلك، ينقص من تجلّي الحقِّ له، وإذا انتقص من تجلّي الحقِّ له انتقص علمه برّه³، وإذا انتقص علمه برّه، جمل منه بقدر ما نقصه. فإن ظهر لذلك الذي نقصه، حكم في العالم أو في عالمه؛ لم يعرفه. فلهذا كان مذهبنا أن لا نخدث حكما جملة واحدة.

1 ص 57 ب

2 [المائة : 6]

3 ص 58

باب

في ترتيب أفعال الوضوء

اختلف العلماء في ترتيب أفعال الوضوء على ما ورد في نسق الآية. فمن قائل بوجوب الترتيب، ومن قائل بعدم وجوبه. وهذا في الأفعال المفروضة. وأمّا في ترتيب الأفعال المفروضة مع الأفعال المسنونة فاختلافهم في ذلك بين سنة واستحباب.

وصل: في حكم ذلك في الباطن:

وأما حكم ذلك في الباطن فلا ترتيب، إنما تفعل¹ من² ذلك بحسب ما تعيّن عليك في الوقت. فإن تعيّن عليك ما يناسب رأسك فعلت به وبدأت به، وكذلك ما بقي، وسواء كان ذلك في السنن من الأفعال، أو الفرائض، فالحكم للوقت.

. . .

باب

في الموالاة في الوضوء

فمن³ قائل: إنّ الموالاة فرض مع الذكر وعدم العذر، ساقطاً مع النسيان ومع الذكر عند العذر، ما لم يتفاحش التفاتوت. ومن قائل: إنّ الموالاة ليست بواجبة. وهذا كله من حقيقة في نسق الآية. فقد يعطف بالواو في الأشياء المتلاحقة على الفور، وقد يعطف بها الأشياء المتراخية، وقد يعطف بها ويكون الفعلان معاً. وهذا لا يسوغ في الوضوء، إلا أن ينغمس في نهر، أو يصبّ عليه أشخاص الماء في حال واحدة لكلّ عضو.

وصل: الموالاة في الباطن:

ومذهبنا في حكم الموالاة في الباطن إنّها ليست بواجبة، وذلك مثل الترتيب سواء. فإنّا تفعل من ذلك بحسب ما يقتضيه الوقت. وقد ذكرنا نظير هذه المسألة في رسالة "الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار".

فأعمالنا في هذه الطريق، بحسب حكم الوقت، وما يعطي. فإنّ الإنسان قد كتبت عليه الغفلات، فلا

1 ق: فعل
2 ق: "في" وكتبت "من" فوقها بقلم الأصل.
3 ص 58 ب

تتمكن له مع ذلك الموالاة، ولكن ساعة وساعة. فليس في مقدور البشر- مراقبة الله في السر- والعلن مع الأنفاس. فالموالاة على العموم لا تحصل، إلا أنه يندل الجهود من نفسه في الاستحضار والمراقبة في جميع أفعاله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾¹ والمراد بها أنه كلما جاء وقتها فعلوها، وإن كان بين الصلاتين أمور. فلهذا حصل الدوام في فعل خاص²، مربوط بأوقات متباعدة. وأما مع استصحاب الأنفاس، فذلك من خصائص الملاء الأعلى، الذين ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾³. فهذه هي الموالاة، وإن حصلت لبعض رجال الله، فنادر الوقوع.

وأما قول عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» فإن كان نقله عن رسول الله ﷺ فلا نشك فيه، وإن كانت أرادت بذلك أن أفعاله الظاهرة كلها ما وقع منه مباح قط، وأنه لم يزل في واجب أو مندوب فذلك ممكن. وهو ظاهر من مرتبته. فإنه معلّم أمته بحركاته وسكناته للاقتداء، فهو ذاك على الدوام. وأما باطنه ﷺ فلا علم لها به إلا بإخباره ﷺ ومع هذا يتصور تحصيله عندنا مع التصرف في المباح، مع حضوره فيه أنه مباح. وكذا إذا أحضر- حكم الشرع، في جميع حركاته وسكناته، بهذه المثابة. فيكون بمن حصل الموالاة في عبادته.

انتهى الجزء الحادي والثلاثون، يتلوه في الجزء الثاني والثلاثين.⁴

1 [المعارج : 23]

2 ص 59

3 [الأنبياء : 20]

4 أسفل المتن: "سمع جميع هذا الجزء وإلى البلاغ بخط القارئ في الجزء الذي يليه على مصنف الإمام العالم العارف محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقرأة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النخعي: أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد وأبو المصنف وإسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخيه يوسف بن دباس بن يوسف الحلي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وأبناء عبد الواحد وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الإربلي، ونصر الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد اللطيف البغداد، ومحمد بن برهش المعظمي، ويعقوب بن معاذ الوربي، وأبو بكر بن محمد البلخي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأحمد بن أبي الهيجاء، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المظفر، وعيسى بن عبد الله الحموي، وعلي بن محمود، وأحمد بن محمد السنجياني، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، ومحمد بن علي بن حسين الخلاطي، ويعقوب بن إسماعيل الملقبي، وعيسى بن إسحق المهندي، وحسين بن محمد الموصلي، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وعلي بن أبي الفاتم النصال، ومحمد بن أحمد بن رزافة، وإبراهيم بن علي بن أحمد السنجاري، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. وسمع من موضع اسمه إلى البلاغ في الجزء الآخر: عمران بن حيش بن علي، وذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلثين وسفاته، بمنزل المصنف بدسوق، والمجد لله وصلواته على محمد وآله وصحبه".

الجزء الثاني والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

في المسح على الخفين

أما المسح على الخفين، فاختلف علماء الشريعة فيه. فمن قائل بجوازه على الإطلاق. ومن قائل بمنع جوازه على الإطلاق، كابن عباس، ورواية عن مالك. ومن قائل بجواز المسح عليهما في السفر دون الحضر.

وصل: في حكم الباطن فيه:

فأما حكم الباطن في المسح على الخفين، فاعلم أنه أمر يعرض للشخص، يشقُّ على مَنْ عرض له اتزاعه، كما يشقُّ اتزاع الحفّ على لابس، فانتقل حكم الطهارة إليه فمسح عليه.

ولما كانت الطهارة تنزيهاً، وكان الحق هو الذي يقصده المنزّه بالتنزيه كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾³، والعزّة (هي) المنع، فذكر أنه امتنع ذاتُه، أن تكون محلاً لما وصفه به الملحدون.

فالحق منزّه الذات لنفسه، ما تزّه بتنزيه عبده إياداً. فتزيه العلماء بالله الحق سبحانه، إنما هو علم لا عمل. إذ لو كان التنزيه من الخلق إلههم عملاً، لكان الله⁴، الذي هو المنزّه سبحانه - محلاً لأثر هذا العمل. فتفطن لهذه الإشارة، فزنها في غاية اللطف والحسن.

فهو سبحانه - لا يقبل تنزيه عباده، من حيث أنهم عاملون. فإنه لا يرى التنزيه عملاً إلا الجاهل من العباد. فإنّ العالم يراه علماً، وإذا تكلم به إنما تكلم به على جهة التعريف، بما هو الأمر عليه في نفسه، الذي هو قوله وذكره. فأنزّ عمله إنما هو في علمه بتنزيه خالقه، فأخرجه بالقول والذكر من القوة إلى الفعل. فرمى أثر ذلك في نفوس السامعين، ممن كان لا يعتقد في الله أنه بذلك النعت من التنزيه.

فالعبد حجابٌ على الحق. فإنّ ظاهر الآثار إنما تُترك في العموم، وتُنسب للأسباب التي وضعها الحق. ولهذا يقول العبد: فعلتُ وصنعتُ وصممتُ وصليتُ، ويضيف إلى نفسه جميع أفعاله كلّها، لحجابه عن خالقها

1 العنوان ص 59

2 البسطة ص 60

3 [الصافات: 180]

4 ص 60

خفيه، ومنه - ومجرىها.

فكما صار الحُفَّ حجاباً بين المتوضَّئ وبين إيصال الوضوء إلى الرَّجل، وانتقل حكم الطهارة إلى الحُفِّ؛ كذلك تنزيه الإنسان خالفه، وهو الطهارة والتقدُّس، لَمَّا لم يُمْكِن في نفس الأمر إيصال أثر¹ ذلك التنزيه إلى الحقِّ، لأنَّ مُنْزَةَ لذاته، انتقل حكم أثر ذلك التنزيه إلى الإنسان المنزَّه؛ الذي هو² حجاب على خالقه؛ من حيث أنَّ للتنزيه العملي أثرًا في المنزَّه، وقَبْلَه الإنسان كما قَبْلَ الحُفِّ الطهارة بالمسح المشروع. فيكون العبد هو الذي نزَّه نفسه عن الجهل الذي قام بنفس الجاهل الذي نُسب إلى الحقِّ ما لا يليق به ولا تقبله ذاته.

يقول الله في الخبر الصحيح، إِنَّه رَجُلُ العبد التي يسعى بها. والحسَّ إِنَّمَا يُعْصِر العبد يسعى برجله. فلَمَّا لبس الحُفَّ وهو عين ذات العبد- انتقل حكم الطهارة إليه «إِنَّمَا هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم» فتعلَّق الحكم (هو) الحُفِّ.

ومن هذا الباب كان جواز المسح على الإطلاق، سفراً وحضراً. فالخضرة منه هو التنزيه الذي يعود عليك، فتقول: "سبحاني" في هذه الحالة، كما نُقِلَ عن رجال الله. فكان مشهَدٌ من قال: "سبحاني" هذا المقام الذي ذكرناه.

والسفر هو التنزيه الذي ينتقل من تَلَفُّظِكَ به في التعليم إلى سَمْعِ المتعلِّم السامع، فيؤثر في نفس السامع حصول ذلك العلم، فيتطهر³ محلّه من الجهل الذي كان عليه في تلك المسألة. هذا القدر من انتقاله من العالم المعلِّم إلى المتعلِّم يسقى سفراً، لأنَّ أسفر له بهذا التعليم بما هو الأمر عليه، فظهر محلّه.

ومن هذا الباب أيضاً، أنَّ لباس الحُفِّ وما في معناه، من جرموق وجورب مما⁴ يلبس ويستتر خَدَّ الوضوء من الرَّجل عرفاً وعادة. وَلَمَّا كان من أسماء الرَّجل في اللسان، القدم. كان هذا مما يقوي القدمية في القدم، إذ كان القدم يقال في اللسان بالاشتراك؛ إذ هو عبارة عن الثبوت. يقال: لقلان في هذا الأمر سابقة قدم. يريد أنَّ له أساساً ثابتاً قديماً في هذا الأمر، كما يقال في الرَّجل بالاشتراك أيضاً أعني إطلاق هذه اللفظة في اللسان- يقال: رجل من جراد؛ أي قطعة وجماعة من جراد.

فإذا قال قائل: إِنَّ الرَّجُلَ تسخن بالحُفِّ، يُعلم قطعاً أنَّه يريد العضو الخاص المعروف. فقرآن الأحوال

1 ناجة في الهامش بقلم الأصل

2 ص 61

3 ق: لظهر

4 ص 61 ك

ودلالات الألفاظ بالصفات تُعين¹ ما كان مبهماً بالاشتراك. فانتقل حكم الطهارة إلى الخف بعد ما كان متعلقاً بالرجل. ولكن إذا كان ملبوساً فيطهر مما يمكن أن يتعلق به مما يمنع من ذلك حكماً وعيناً.

وكذلك لما نسب القدم إلى الله تعالى- في حديث: «يضع الجبار فيها قدمه» ربما وقع في نفس بعض العقلاء، أن نسبة القدم إلى الله تعالى- ما هو على حد ما يُنسب إلى الإنسان، أو لكل ذي رجل وقدم. وأن المراد به محلاً- أمراً آخر، وغفلوا عن أقدام المتجسدين من الأرواح. فأزال الله سبحانه- هذا التوهم من القائل به، بما نسب إلى نفسه من الهولة التي هي الإسراع في المشي، مع تقدم وصف القدم. فألحق بمن يمشي على رجلين، لا بمن يمشي² على البطن، مع التحقق به³ ليس كَيْفَهُ شَيْءٌ⁴ لا بد من ذلك.

فلا نضفه ولا ننسب إليه إلا ما نسب إلى نفسه أو وصف نفسه به. فما نسب الهولة إليه إلا ليُعلم أنه أراد القدم الذي يقبل صفة السعي، وحكمه على ما يليق بجلاله، لأنه المجهول الذي لا يُعرف. ولا يقال: هو⁵ النكرة التي لا تتعرف، قال تعالى:- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾⁶.

وما نقول⁷: أراد بنسبة القدم ما عينته المنزهة على زعمها، واقتصرت عليه. فجاء بالهولة لإثبات القدمية، وأقامه مقام الخف للقدم، في إزالة الاشتراك المتوهم. فانتقل التنزيه إلى الهولة من القدم. وقد كان القائل بالتنزيه مشتغلاً بتنزيه القدم، فلما جاءت الهولة، انتقل التنزيه إليها. كما انتقل حكم طهارة القدم إلى الخف. فنزّه العبد ربه عن الهولة المعتادة في العرف، وأنها على حسب ما يليق بجلاله سبحانه. فإنه لا يقدر أن لا يصفه بها، إذ كان الحق أعلم بنفسه. وقد أثبت لنفسه هذه الصفة. فمن ردّ نسبتها إليه، فليس بمؤمن. ولكن الذي يجب عليه: أن يردّ العلم بها إلى الله. أعني علم النسبة.

وأما معقوليّة الهولة، فما خاطب أهل اللسان إلا بما يعقلونه. فالهولة معقولة، وصورة النسبة مجهولة. وكذلك جميع ما وُصف به نفسه، مما توصف به المحدثات.

وليس الغرض مما ذكرنا إلا جواز انتقال الطهارة⁸ من محل إلى محل آخر، بضرب من المناسبة والشبه. وإنما قلنا بالجواز لا بالوجوب، فإن الوجوب يناقض الجواز. ولصاحب الخف أن يجرد خُفّه، ويفسل رجليه شرعاً، أو يمسحها بالماء على ما يقتضيه مذهبه في ذلك، ولا مانع له من ذلك. وكذلك هذا العاقل:

1 بما كانت في ق: يعين

2 ص 62

3 [الشورى: 11]

4 "لا يقال هو" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

5 [طه: 110]

6 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

7 ص 62

قد يبقى على تنزيهه للقدم، ولا ينتقل إلى الهرولة. ويزيلها عن هذه القدم بحكم ما يسبق إلى الفهم، إذا بين أن القدم ما تُشبه نسبتها إلى الحق نسبة أقدامنا إلينا من كل الوجوه. فلهذا لم يعلّق الوجوب بالمسح، وكان حكمه الجواز.

وَضَلَّ

(من أجازه سفرا ومنعه في الحضر)

وأما من أجازه سفرا ومنعه في الحضر؛ فنلك إذا كان التنزيه عملا، فلا أثر له إلا في المتعلم السامع المقابل. فيسافر التنزيه من العالم المعلم إلى المتعلم على راحلة التلّفظ والكلام بمباراة أو إشارة من المعلم إلى المتعلم.

وَضَلَّ

(من منع جوازه على الإطلاق)

وأما من منع جوازه على الإطلاق، فإن حقيقة التنزيه إنما هي لله سبحانه، فإنه المنزه لذاته. والعبد لا يكون منزها أبدا ولا يصح، وإن تنزه عن شيء ما، لم يتنزه عن شيء آخر. فمن حقيقته أنه لا يقبل التنزيه على الإطلاق. وإذا كان بهذه الصفة لا يجوز تنزيهه، فإنه خلاف العلم. والأمور العارضة لا أثر لها في الحقائق، فإن قبول العبد لأثار التنزيه، يدل على عدم التنزيه عن قبول الآثار فيه. فهذا وجه منع جواز المسح على الخف، وما في معناه على الإطلاق إن فهمت.

وَضَلَّ وَحَمَّ

(الإشارة بالحقين)

وأما الإشارة بالحقين؛ فإن المراد بهما النشأتان: نشأة الجسم ونشأة الروح. وكلّ نشأة ما يليق بها من الطهارة فافهم.

بَاب

تحديد محلّ المسح من الحفّ وما في معناه

اختلف علماء الشريعة في تحديد المسح على الحفّ. فمن قائل: إنّ القدر الواجب من ذلك مسح أعلى الحفّ، وما زاد على ذلك فمستحبّ، وهو مسح أسفل الحفّ. يقول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الحفّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يمسح أعلى الحفّ».

ومن قائل بوجوب مسح ظهورها وبطونها. ومن قائل بوجوب مسح¹ ظهورها فقط، ولا يستحبّ صاحب هذا القول مسح بطونها. ومن قائل: إنّ الواجب مسح باطن الحفّ، ومسح الأعلى مستحبّ. وهو قول أشهب.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

اعلم أنّ التنزيه المعبر عنه هنا بطهارة المسح، متعلّقه إمّا الحقّ كما قدّمنا، وإمّا العبد الذي نزّهه. والقسمة منحصرة: فما تمّ إلا عبّد وربّ، وخالق ومخلوق. ولنا في هذه المسألة لفظة أعلى وأسفل. وصفة العلوّ لله تعالى - لأنّه رفيع الدرجات لذاته، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾² وما في القرآن أقرب نسبة إلى مسح أعلى الحفّ من هذه الآية، والسفل لنا.

وكذلك أيضاً ظاهر الحفّ وباطنه، أعنى هاتين اللفظتين. قد يكون الحقّ له حكم الظاهر والباطن، وقد يكون حكم الظاهر له في خرق العوائد، وحكم الباطن له في نفس العوائد، وهي أكثر الآيات الدالّة على الله لقوم يعقلون.

فتارة يعلّق التنزيه بالأعلى ﷻ حقيقة، وهو حدّ الواجب من ذلك. ويستحبّ إطلاق التنزيه على العبد، من حيث إنّ عمله لذلك يعود عليه. وهذا على مذهب من يرى أنّ الواجب مسح أعلى الحفّ ويستحبّ مسح أسفله³.

وتارة يعلّق التنزيه بالحقّ سبحانه - ظاهراً وباطناً، وهو الذي لا يرى في الوجود إلا الله، لقلبة سلطان المشاهدة والتجليات عليه. فيرى الحقّ ظاهراً وباطناً، فلا يقع منه تنزيه إلا على الحقّ سبحانه. والتنزيه نسبة عدميّة لا وجوديّة، وهو الذي يوجب مسح ظهور الحفّين وبطونها.

1 ص 63

2 [الأعلى : 1]

3 ص 64

وتارة يعلّق التنزيه بالله تعالى- لكماله في ذاته، ولا يستحبّ تنزيه الخلق للنقص الناقص، الذي هو له. فيقع في الكذب إن نزهه. فيرى أنّه لو تنزه الممكن يوما ما من جهة ما، لصفة كمال هو عليها، لكان من حيث تلك الصفة غنيا عن الله، ومقاوما له. ومحال على الخلق أن يكونوا على صفة، يكون لهم بها الغنى عن الله. فذنبهم من جميع الوجوه، فقرأ إلى الله، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَبِيرُ﴾¹. فنع من استحباب مسح أسفل الخف، وقال: ما ثمّ منزّه إلا الله العليّ الظاهر إلى عباده بنعوت الجلال. وهذا كما قلنا مذهب من يرى مسح أعلى الخف، ولا يستحبّ مسح أسفله.

وتارة يعلّق التنزيه، أعني وجوبه، من اسمه الباطن. ويقول: إنّ الباطن محلّ يبعد العثور على ما يستحقّه من نعوت الجلال لبطونه، فيكون الواجب تنزيه الحقّ في اسمه الباطن، من أثر الحجاب الذي حكّم عليه، أن يكون باطنا لا يذرك. والله² أعلى وأجلّ أن يحوطه حجاب، فوجب تنزيه من حيث اسمه الباطن. فهذا وجه من أوجب مسح الباطن من الخف كاشهبا، واستحبّ مسح أعلاه، وهو الاسم الظاهر. فيقول: "وأستحبّ تنزيه الحقّ في اسمه الظاهر؛ وهو تجلّيه في الصورة لعباده". فينزهه عن التقييد بها، ولكنّ التنزيه الذي لا يخرج عن العلم، أنّه عين تلك الصورة. فإنّه أعلم بنفسه من العقل به، ومن كلّ عالم سيّواه به. وقد قال عن نفسه إنّّه هو الذي يتجلّى لعباده في تلك الصورة كما ذكره مسلم في صحيحه.

فيكون تنزيهه عند ذلك، أنّه لا يتقيّد بصورة، أي لا يتقيّد صورة. بل يتجلّى في أي صورة يظهر بها لعباده. ومن هذه الحقيقة التي هو عليها في نفسه، ذكر لنا في خلّقنا، بعد تسويتنا وتعديلنا؛ في أي صورة ما شاء ركّبنا. كما أنّه في أي صورة شاء تجلّى لعباده. وهنا سرّ إلهيّ نبهك عليه لتعرفه به. فنزّهه صاحب هذا المذهب في ظهوره استجابا عن دوام التجلّي في تلك الصورة بالإقامة فيها في عينك، فافهم. فهذا حكم الباطن في تحديد المحلّ.

باب

في نوع محلّ المسح، وهو³ ما يُستترّ به الرّجل من خُفّ أو جورب

اعلم أنّ القائلين بالمسح على الخفين متفقون على المسح عليها بلا شكّ، واختلفوا في المسح على الجوربين. فمن قائل بالمنع على الإطلاق، ومن قائل بالجواز على الإطلاق، ومن قائل بالجواز إذا كان على صفة خاصّة. فإما أن يكون من الكثافة والثخانة بحيث أن لا يصل ماء المسح إلى الرّجل، أو يكون مبطنًا

1 [فاطر : 15]

2 ع 64 م

3 ع 65

بجلد يجوز المشي فيه؛ أي يمكن المشي فيه.

وصل: حكمه في الباطن:

فأما حكم الباطن في ذلك، فقد تقدّم في الحَقِّ، وبقي حكم الجورب. فالمقرّر أنّ الجورب مثل الحَقِّ في الصفة الحجابيّة، فإنّ العبد حجابٌ دون خالقه. ولهذا ورد: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» فإنّه اللّيل عليه. والدليل والمدلول، وإن ارتبطا بالوجه الخاص، فهما ضِدّان لا يجتمعان.

وقد قلنا فيما تقدّم: إنّ الحَقِّ هو أدلُّ على الرّجل في إزالة الاشتراك، من لفظة الرّجل التي تطلق عليه، وكذلك الهرولة. وقد مضى ذلك، إلّا أنّ الجورب، وإن ستر الرّجل، لا يقوى قوّة الحَقِّ، للتخلّل الذي فيه؛ فإنّ الماء ينفذه ويتخلّل مسامه سريعا¹، والحَقِّ ليس كذلك.

وحكمه في الباطن: إنّ من العباد، عباد الله، مَنْ يكون في الدلالة على الله أقوى من غيره. فهو بمنزلة الجورب، كما ثبت في الأثر عن الله في صفة أولياء الله. حدّثني غير واحد عن حدّثه يبلغ به النّبّي ﷺ أنّه قيل لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله؛ مَنْ أولياء الله؟ فقال رسول الله ﷺ: الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله» ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب "حلية الأولياء" به.

وذلك لما قلناه: بما يرى عليهم من قوّة الدلالة على الله تعالى، من الاستهتار بذكره سبحانه - وما هم عليه من الذلّة والطاعة والافتقار مع الأناس إلى الله. فإذا أراد الناس أن ينزهوهم، لم يمكن لهم تنزيههم إلّا بتنزيه الله. فإنهم ما يذكرونهم إلّا بالله، لما تعظيم أحوالهم الصادقة مع الله.

فإن كان الحَقِّ مبطنًا بجلد، فهو الملامّي الذي يستر نفسه وحاله مع الله، عن العالم السفليّ، أن يدركوا مرتبة ولايته عند الله. كما يستتر الجورب عن الأرض، أن تدركه وتصيبه، بالجلد الذي حال بين الأرض وبينه. وهو الصفة التي استتر بها هذا الملامّي من المباحات عن العالم الأسفل المحجوب. فلم يدركوا منه إلّا تلك الصفة التي² لم يتميّز بها عن عامّة المؤمنين، وهو من خلف تلك الصفة، في مقام الولاية مع الله. وبقي أعلى الجورب من جانب الأعلى، مع الله سبحانه - بلا حائل بينه وبين ربه ﷻ.

وقد فتحت لك باب الاعتبار شرعا، وهو الجواز من الصورة التي ظهر حكمها في الحسّ، إلى ما يناسبه في ذاتك، أو في جناب الحقّ بما يدلّ على الحقّ، هذا معنى الاعتبار: فإنّه من عبّر الوادي إذا قطعته وجزّته.

بَاب

في صفة المسح عليه

أجمع من يقول بجواز المسح (على الرجلين) على جواز المسح على الحفّ الصحيح. واختلفوا في المنخرق. فمن قائل بجوازه إذا كان الحرق يسيرا من غير حدٍّ، ومن قائل بتحديد الحرق اليسير بثلاثة أصابع، ومن قائل بجوازه ما دام ينطلق عليه اسم الحفّ، وإن تفاش خرقه، وهو الأوجه عندي. ومن قائل بمنع المسح إذا كان الحرق في مقدّم الحفّ وإن كان يسيرا.

والذي أقول به: إنّ هذه المسألة لا أصل لها ولا نص فيها في كتاب ولا سنة، فكان الأولى إهمالها وأن لا نشتغل بها. فإنّ الحق في ذلك، إذ وقد وقع في ذلك من الخلاف بين¹ علماء الشريعة، ما أوجنا إلى الكلام فيها، (قول) وإنّ الحق في ذلك عندنا إنما هو مع من قال: يجوز ما دام يستقى خفًا.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

وهو أن نقول: إنما سمي الحفّ خفًا من الخفاء، لأنّه يستر الرجل مطلقًا. فإذا انخرق وظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه، ومسح على الحفّ، وذلك ما دام يستقى خفًا لا بد من هذا الشرط. وفيه سرّ عجيب للفتن المصيب؛ أن الخافي هو الظاهر أيضًا، يقول امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَفْقَاهُنَّ²

أي أبرزهن وأظهرهن.

وإنما قلنا بمسح ما ظهر؛ لأنّا قد أمرنا في كتاب الله بمسح الأرجل، فإذا ظهر مسحناه. وأمّا في الباطن فظاهر الشريعة يستر على حقيقة حكم التوحيد، بنسبة كل شيء إلى الله. فالطهارة في الشريعة متعلّقة؛ وهي أن تُضجِبَها التوحيد، بأن تراها حكم الله في خلقه، لا حكم المخلوق، مثل السياسات الحكيمية.

فالشرع حكم الله، لا حكم العقل كما يراه بعضهم. فطهارة الشريعة رؤيتها من الله الواحد الحق. ولهذا لا ينبغي لنا أن نطعن في حكم مجتهد: لأنّ الشرع الذي هو حكم الله، قد قرر ذلك الحكم؛ فهو شرع الله بتقريره إياه. وهي مسألة يقع في محظورها أصحاب³ المذاهب كلّهم، لعدم استحضارهم لما ثبتنا عليه، مع كونهم عالمين به، ولكنهم غفلوا عن استحضاره، فأساموا الأدب مع الله في ذلك، حين فاز بذلك الأدباء

1 ع 66

2 من بيت لامرئ القيس: خَفَاهُنَّ مِنْ أَفْقَاهُنَّ كَأَنَّا

خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ غَنَى نَجَلْبُ

3 ص 67

من عباد الله. فمن خطأً مجتهداً بعينه، فقد خطأ الحق فيما قرره حكماً.

فإذا انخرق الشرع، فظهر في مسألة ما، حكمٌ من أحكام التوحيد، مما يزيل¹ حكم الشرع مطلقاً. انتقل الحكم، لطهارة ذلك التوحيد المؤثر في إزالة حكم الشريعة. كمن ينسب الأفعال كلها إلى الله من جميع الوجوه، فلا يبالي فيما يظهر عليه من مخالفة أو موافقة. فمثل هذا التوحيد يجب التنزيه منه: لظهور هذا الأثر، فإنه خرّق للشريعة ورفع لحكم الله. كما لا يجوز المسح مع زوال اسم الخف. فإن كان الخرق يبقّي اسم الشريعة² عليه، كان الحكم كما قرّناه من المسح على الخف، ومسح ما ظهر من الرجل. وهو أن يبيّن في ذلك التوحيد المعين في هذه المسألة الوجه المشروع، وهو أن يقول³: ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁴ فالأعمال خلقٌ لله، مع كونها منسوبة إلينا. فلم ينسبها إليه⁵ من جميع الوجوه. فلم يؤثر في المسح، ويكون الحكم في ذلك كما قرّناه.

وأهل طريقنا اختلفوا في هذه المسألة، اختلافاً كبيراً⁶، على صورة ما اختلف فيه أهل المسح على الخف سواء. فأما من حدّه بثلاثة أصابع فراعى ظهور التوحيد في ثلاث منازل، وهو حكم الشرع في الإنسان: في معناه، وفي حسّه، وفي خياله. فإذا عمّ التوحيد هذه الثلاثة، لم يجوز الأخذ به، وانتقل (الحكم) إلى مسح الرجل أو غسله. كما ينتقل تنزيه الإنسان نفسه عن مثل هذا التوحيد، حيث أزال حكم الشرع منه، فحكمه⁷ حكم من زال عنه اسم الخف.

باب

في توقيت المسح

(اختلف في ذلك) فمن قائل بالتوقيت فيه ثلاثة أيام ولياليهنّ للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم. ومن قائل: بأن لا توقيت، ولمسح ما بدا له، ما لم يقم مانع كالجنابة.

وصل: حكمه في الباطن:

فأما الحكم في ذلك في الباطن، على مذهب القائل بالتوقيت؛ فقد قرّنا في المسح على الخف، في

1 ق: تزيل

2 كتب فوقها: "الخف" بقلم الأصل، مع بقاء كلمة "الشريعة" كما هي.

3 ق، ه: قول

4 [الصفات: 96]

5 من م فقط

6 ص 67

7 ق، ه: حكم

باب العالم والمتعلم، أن ذلك سفر، حيث انتقل الأمر من المعلم إلى المتعلم. وقد «كان رسول الله ﷺ إذا علم الناس شرائعهم¹ كثر الكلمة ثلاث مَرَّات، حتى تُفهم عنه». لأنه مأمور بالبيان والإبلاغ. هذا معنى مسح المسافر ثلاثا.

وأما توقيت الحاضر بيوم وليلة، فإنه ليس له في نفسه إلا قيام ذلك الأمر، فيعلمه فلا يعيد عليه لنفسه، لأنه قد ظهر له وهو من نفسه على يقين، وما هو على يقين من قبول غيره لذلك عند التعليم. فيكرره ثلاث مَرَّات، ليتيقن أن قد فهم عنه.

ومن لم يقل بالتحديد، نظر إلى فطر المتعلمين؛ فمنهم من يفهم بأول مرة، ومنهم من لا يفهم إلا بعد تفصيل وتكرار المرة بعد المرة، حتى يفهم، فلا يوقت عددا بعينه في حال تعليمه غيره الذي هو بمنزلة السفر ولا ينظره في نفسه الذي هو بمنزلة الحضر. فإنه في نفسه قد يمكن أن يتصور فيما ظهر له أنه ربما يكون شبهة؛ فيحقق النظر فيه مرارا؛ فلا توقيت.

وأما حكم الجنابة في إزالة الخف، فالجنابة هي الغربة، والجنب (هو) الغريب. فإذا وقع في القلب أمر غريب يقدح في الشرع، جرد النظر في ذلك بالعقل، دون الاستدلال بالشرع. مثل أن يخطر له خاطر البرهمي المبكر للشرعة، فلا يقبل دليل الشرع على إبطال هذا القول الذي خطر له؛ فإنه محل النزاع. فلا بد أن² ينزع من الاستدلال بالشرع، إلى الاستدلال بما تعطيه أدلة النظر. وسواء وقع ذلك له كالحضر أو لغيره كالسفر. كما أن الجنب، سواء كان مسافرا أو حاضرا، لابد من إزالة الخف.

باب

في شرط المسح على الخفين

فمن قائل: إن من شرط المسح أن تكون الرجلان طاهرتين بطهر الوضوء، ومن قائل: إنه ليس من شرطه إلا طهارتهما من النجاسة. وبه أقول. والقول الأول أحوط. وشرط آخر؛ (وهو) أن لا يكون خُفٌ على خُف. فمن قائل بجواز المسح عليهما، وبه أقول. ومن قائل بالمنع. وهكذا حكم الجزموق.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

وأما حكم الباطن في ذلك؛ فإن الطهر المعقول في الباطن هو التنزيه كما قترناه عقلا وشرعا. وهذه

1 ص 68

2 ص 68 ب

الطهارة الخاصة للرجلين طهارة شرعية، وقد وصف نفسه تعالى - بأن له الهرولة، لمن أقبل إليه يسعى. والسعي والهرولة من صفات الأرجل. فمن نزه الحق عن الهرولة، فقد أكذب الحق فما وصف به نفسه، وإن كان العقل لا يقبل من حيث دليله¹ هذه النسبة إليه تعالى - والإيمان يقبلها، وينفي التشبيه بقوله - تعالى :- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² وبالليل النظري.

ولا يتأول الهرولة الإلهية بتضعيف الإقبال الإلهي على العبد وتأكيده، ولا غير ذلك من ضروب التأويلات المنزهة، وإنما تأول ذلك من تأوله من العقلاء، بتضاعف الإقبال الإلهي بجزيل الثواب على العبد إذا أتى إلى ربه يسعى بالعبادات التي فيها المشي: كالسعي إلى المساجد، والسعي في الطواف، وإلى الطواف، وإلى الحج، وإلى عيادة المرضى، وإلى قضاء حوائج الناس، وتشجيع الجنائز، وكل عبادة فيها سعي؛ فَرَّبَ محلها أو بُعد. قال تعالى :- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾³.

فَطَهَّرَ الوضوء وَضَفَ الحق بأنه يهرول، والطهر الذي هو النظافة، هو تنزيه الحق أن لا يرفع عنه ما وصف به نفسه. وأما ما لم يصف به نفسه مما هو من نعوت الممكنات، فتتزيهه عن أن يوصف بشيء من ذلك هو للعقل. فالعقل تحت حكم الشرع؛ إذا نطق الشرع في صفات الحق بما نطق؛ فليس له رد ذلك إن كان مؤمنا، ويكون المنطوق والموصوف بتلك الصفة قابلا، أي⁴ جائر القبول أو مجهول القبول. فيلزم العقل قبول الوصف المشروع، وإن جهل قبول الموصوف له.

ولهذا ذهبنا في طهر الرجلين، إلى الطهر اللغوي؛ الذي هو النظافة والتنزيه من النجاسة. فلا يلزمنا شيء مما يتفرع من هذه المسألة من المسائل على مذهب القائلين بطهر الوضوء. وأما إذا لبس خفا على خف، فهو وضف الحق نفسه بالهرولة، فإن الهرولة صفة للسعي، والسعي صفة للرجل. فقد يكون السعي بهرولة، وقد لا يكون. وإذا كان هذا؛ فالهرولة من صفات السعي. فبين الهرولة وبين القدم أمر آخر، وهو السعي. فهو كالحف على الخف، وقد تقدم الكلام عليه، فافهم.

* * *

1 ص 69

2 | الشورى : 11 |

3 | الجمعة : 9 |

4 ص 69 ب

باب

في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف

الاتفاق على أن نواقضها (هي) نواقض الوضوء كلها، وسيأتي بابه في هذا الباب فيما بعد. واختلف العلماء في نزح الخف؛ هل هو ناقض للطهارة أم لا؟ فن قائل: إن الطهارة تبطل، ويستأنف الوضوء. ومن قائل: تبطل طهارة القدمين خاصة، فيفسلها ولا بد، على ما تقدم من الاختلاف في الموالاة. ومن قائل: لا يؤثر نزح الخف في طهارة القدم، وبه أقول. وإن استأنف الوضوء، فهو أحوط، ولا يؤثر في طهارته كلها إلا أن يحدث ما ينقض كما سيأتي.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

أما حكم الباطن فممن قال: تبطل الطهارة كلها، فهو سريان التنزيه في الموصوف. فإذا قبل تنزيها بعينه، قبل سائر ما يعقل فيه التنزيه. كذلك إن بطل تنزيه ما في حق الموصوف، سرى البطلان في النعوت كلها، نعوت التنزيه.

ومن قال: "تبطل طهارة الرجل خاصة" هو أن يزول الشرع عن الحق وصفًا ما على التعيين، فلا يلزم منه إزالة كل وصف يقتضي التشبيه، فإن الله سبحانه - نزه نفسه أن يلد، وما نزه نفسه (عن) أن يتردد في الأمر يرهده فغله، ولا نزه نفسه عن التدبر، ولا نزه نفسه عن الغضب.

ومن قائل: بأنه على طهره، وإن نزح الخف لا حكم له، ولا تأثير في الطهارة التي كان موصوفًا بها في حال لباسه خفه، يقول: وإن نزه الحق نفسه عن أن يلد، فالوصف له باق، فإنه قال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأُضْطَلِّيَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾² فأبقى الأمر على³ حكمه بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ﴾ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾⁴ وقوله: ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَنِي﴾⁵ وهذا رد على من يقول: إن الإله لذاته أوجد الممكن، لا للنسبة إرادة، ولا سبق علم. والصحيح ما قاله الشارع، وإن لم تكن تلك النسبة أمراً وجودياً زائداً، فاعلم ذلك.

. . .

1 ع 70

2 [الزمر : 4]

3 ع 70 ب

4 [الأفال : 68]

5 [ق : 29]

أبواب المياه

قد تقدّم الكلام في أول الباب في الفرق بين ماء الغيث وماء العيون، وبيننا من ذلك ما فيه غنية، فلنذكر في هذه الأبواب حكم ما نزعث إليه علماء الشريعة في الظاهر بما يناسبه من طهارة الباطن.

باب: في مطلق المياه

أجمع العلماء على أنّ جميع المياه طاهرة في نفسها مطهّرة غيرها، إلّا ماء البحر، فإنّ فيه خلافاً. وكذلك أيضاً اتفقوا على أنّ ما يغيّر الماء بما لا ينفك عنه غالباً أنّه لا يسلب عنه صفة التطهير إلّا الماء الآجن، فإنّ ابن سيرين خالف¹ فيه. والذي أذهب إليه أنّ كلّ ما ينطلق عليه اسم الماء مطلقاً فإنّه طاهر مطهّر؛ سواء كان ماء البحر أو الآجن.

واتفقوا أيضاً على أنّ الماء الذي غيّرت النجاسة لونه أو طعمه أو ريحه أو كلّ هذه الأوصاف أنّه لا تجوز به الطهارة. فإن لم يتغيّر الماء ولا واحد من أوصافه، بقي على أصله من الطهارة والتطهير، ولم يؤثر ما وقع فيه من النجاسة. إلّا أنّي أعرف في هذه المسألة خلافاً في قليل الماء يقع فيه قليل النجاسة بحيث أن لا يتغيّر من أوصافه شيء.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأمّا حكم الباطن فيما ذكرناه، فاعلم أنّ الماء هو الحياة التي تحيا بها القلوب، فتحصل به الطهارة لكلّ قلب من الجهل، قال تعالى: ﴿وَأَوْمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾² هذا ضربٌ مثل في الكفر والإيمان، والعلم والجهل.

وأما ماء البحر الذي وقع فيه الخلاف الشاذّ، فكونه مخلوقاً من صفة الغضب. والغضب يكون عنه الطرد والبعد في³ حقّ المغضوب عليه. والطهارة مؤدّية إلى القرب والوصلة. فهذا سبب الخلاف في الباطن. وأمّا العلّة في الظاهر فتغيّر الطعم. فمن رأى أنّ الغضب لله يؤدّي إلى القرب من الله والوصلة به، رأى الوضوء بماء البحر، وإليه أذهب.

ومن اتّسع في علم التوحيد، ولم يلزم الأدب الشرعيّ، فلم يفضّض لله ولا لنفسه، لم ير الوضوء بماء البحر، لأنّه مخلوق من الغضب. فيخاف أن يؤثر فيه غضباً، فتقوم به صفة الغضب، وحاله لا تغطي ذلك.

1 ع 71

2 [الأعام : 122]

3 ص 71 ب

فإنَّ التوحيد يمنع من الغضب؛ لأنَّه في ظره ما تمَّ على من (يفضُّب عليه) لأحدية العين عنده في جميع الأفعال المنسوبة إلى العالم، إذ لو كان عنده مفضوب عليه لم يكن توحيد، فإنَّ موجب الغضب إنما هو الفعل، لا فاعل إلا الله.

وهذه المسألة من أشكال المسائل عند القوم، وإن كانت عندنا هيئة الخطب، لمعرفتنا بمواضع الأدب الإلهي الذي شرعه لنا، ثم التخلُّق بالأخلاق الإلهية، ومنها الغضب الذي وصف به نفسه في كتابه فقال - تعالى: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾¹ وقوله في آية اللعان: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾² وقد جاءت السنة بأنَّ «الله يفضب يوم القيامة غضبا لم يفضب قبله مثله ولن يفضب بعده³ مثله».

فهذا الذي لا يفضب؛ لا يرى إلا الله، فيحكم عليه حاله، وهذا مقام الحيرة. فالويل له إن غضب هنا، والويل له إن لم يفضب في الآخرة. فهو محجوج بكلِّ حال، دنيا وآخرة. والغضب لله أسلم وأنجى وأحسن بالإنسان، فإنَّ فيه لزوم الأدب المشروع. ولَمَّا كان الغضب في أصل جبلة الإنسان، كالجن والحرص والشره، يئن الحقُّ له مصارف إذا وقع من العبد واقصِف به، وللتسليم محالٌ وموضعٌ قد شُرِعَتْ، التزم بها الأدباء حالا، وغاب عنها أصحاب الأحوال. ولعدم التسليم محالٌ وموضعٌ قد شُرِعَتْ؛ فالأديب هو الواقف من غير حكم حتى يحكم الشارعُ الحقُّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾⁴. فإذا حكم وقف الأديب حيث حكم، لا يزيد ولا ينقص.

والغضب صفة باطنة في الإنسان، قد يكون لها أثر في الظاهر وقد لا يكون. فإنَّ الحال أغلب، والأحوال تملو بعضها على بعض في القهر والغلبة على من قامت بهم. فإنَّ جمع بين وجود الرحمة على المفضوب عليه في قلبه، وحكم الغضب لله في حسه وظاهره (كان ذلك أعلى وأحق). فإنَّ أهل طريق الله نظروا: أي الطريقين أعلى وأحق؟ فنمَّا من قال: بأنَّ الغضب القائم بالنفس أعلى، وممَّا من قال: وجود⁵ الرحمة في القلب، وإرسال حكم الغضب لله في الظاهر أعلى.

وليس بيد العبد فيه شيء، وإنما العبد مصرَّف، فهو بحسب ما يقام فيه ويراد به. وما للإنسان في تركه وعدم تركه للشيء فعلٌ، بل هو مجبور في اختياره، إذا كان مؤمنا. فإنَّا قيَّدنا الغضب أن يكون لله. وأمَّا الغضب لغير الله، فالطبع البشري يقتضي الغضب والرضا. يقول رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر»

1 [النساء : 93]

2 [النور : 9]

3 ص 72

4 [الأعراف : 87]

5 ص 72 تب

أغضب كما يفضب البشر، وأرضى كما يرضى البشر» الحديث. وقد عملنا به حالا وحُلَقًا، لله الحمد على ذلك.

وأما حكم الماء الآجن في الباطن دون غيره مما يغير الماء، مما لا ينفك عنه غالبًا، فاعلم أن الله - سبحانه - ما نزه الماء عن شيء يتغير به مما لا ينفك عنه غالبًا، إلّا الماء الآجن. فقال تعالى - في صفة أهل الجنة الموصوفة بالطهارة إن فيها أنهارًا من ماء غير آسن¹. يقال: أسن الماء وأجن إذا تغير، وهو الماء المخزون في الصهاريج، وكل ماء مخزون يتغير بطول المكث.

فإذا غرض للعلم الذي به حياة القلوب من المزاج الطبيعي أمر أثر فيه كالعلم بأن الله رحيم، فإذا رأى (العبد) رحمته بعباد² الله كما يراها من نفسه من الرقة والشفقة التي يجد ألقها في نفسه، فيطلب العبد إزالة ذلك الألم الذي يجده في نفسه، برحمة هذا الذي أدركته الرحمة عليه من المخلوقين؛ قام له قيام الرقة به، وحل ذلك على رحمة الله، فتغيرت عنده رحمة الله بالقياس على رحمته. فلم ينبغ له أن يظهر نفسه لعبادة ربه بمثل هذه الرحمة الإلهية، وقد تغيرت عنده. وعلة ذلك أن الحق ما وصف نفسه بالرقة في رحمته. فالحق يقول لك هنا: لا تجعل طبيعتك حاكمة على حياتك الإلهية.

ومن يرى الوضوء بالماء الآجن لم يفرق، فإن الحق قد وصف نفسه في مواضع بما يقتضيه الطبع البشري، فيجري الكل مجرى واحدًا، والأولى ما ذكرناه أولاً: أن لا نزيد على حكم الله شيئاً فيما ذكر عن نفسه.

وأما حكم الباطن في العلم القليل إذا وردت عليه الشبهة المضلة، وأثرت فيه التغير، فإنه لا يجوز له استعمال ذلك العلم؛ فإنه غير واثق به. وإن كان عارفاً بأن لذلك العلم وجهاً إلى الحق ولكن ليس في قوته لضعف علمه معرفة تعيين ذلك الوجه. فيعدل عند ذلك إلى العلم الذي يستهلك³ الشبهة، وهو العلم الذي يأخذه عن الإيمان من طريق الشرع والعمل به، فإنه العلم الواسع الذي لا يقبل الشبهة، لأنه يقلب عينها بالوجه الحق الذي تحمله، فيصرفها في موضعها، فتكون علماً بعد ما كانت تكونها شبهة - جهلاً.

فإن نور الإيمان تدرج فيه أنوار العلوم، اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس، وطريقة واضحة أيضاً في رجوع الشبهة علماً، لأنه يزيل حكمها، ويريه نور الإيمان وجه الحق فيها، فيراها عدماً، والعدم لا أثر له ولا تأثير في الوجود، فاعلم ذلك.

1 مستفاد من النص القرآني: فيها أنهار من ماء غير آسن [محمد: 15]

2 ص 73

3 ص 73 تب

واعلم أنّ نور الإيمان هنا عبارة عن أمر الشرع، أي: ألزم ما قلت لك، وأمرتك به؛ سواء وُجدت عليه دليلاً عقلياً أو لم تجد، كالإيمان في الجنب الإلهي بالهرولة والضحك والتبشيش والتعجب، من غير تكيف ولا تشبيه، مع معقولية ذلك من اللسان، لكن نجعل النسبة لاستنادنا إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَثِيرٌ شَيْءٌ﴾¹ وهي أعني هذه الآية- أصل في التنزيه لأهله، وأصل في التشبيه لأهله.²

باب

في الماء تخالطه النجاسة، ولم يتغير أحد أوصافه

اختلف³ علماء الشريعة في الماء تخالطه النجاسة ولم يتغير أحد أوصافه. فمن قائل: إنّه طاهر مطهر، سواء كان قليلاً أو كثيراً، وبه أقول. إلّا أنّي أقول: إنّه مطهر غير طاهر في نفسه، لأنّا نعلم قطعاً أنّ النجاسة خالطته، لكن الشرع عفا عنها. ولا أعرف هذا القول لأحد وهو معقول، وما عندنا من الشرع دليل أنّه طاهر في نفسه لكنّه طهور.

وإن احتجوا علينا بأنّ رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء» قلنا: ما قال: إنّه طاهر في نفسه، وإنما قال فيه: إنّه طهور؛ والطهور هو الماء والتراب الذي يطهر غيره.

فإنّا كما قلنا نعلم قطعاً أنّ الماء حامل النجاسة عقلاً، ولكنّ الشارع ما جعل لها أثراً في طهارة الإنسان به، ولا سمّاه نجساً، فقد يريد الشارع التعريف بحقيقة الأمر، وهو أنّ الماء في نفسه طاهر بكلّ وجه أبداً، لم يحكم عليه بنجاسة. أي أنّ النجاسة ليست بصفة له، وإنما أجزاء النجس تجاور أجزائه. فلنأخذ عسراً الفصل بين أجزاء البول مثلاً، وبين أجزاء الماء، وكثرت أجزاء النجاسة على أجزاء الماء ففترت أحد أوصافه، مُنع من الوضوء به شرعاً على الحدّ المعتبر في الشرع. وإذا غلبت أجزاء الماء على أجزاء النجاسة، فلم يتغير أحد أوصافه، لم يعتبرها الشارع، ولا جعل لها حكماً في الطهارة بها.

فإنّا نعلم قطعاً أنّ المتطهر استعمل الماء والنجاسة معاً في طهارته الشرعية، والحكم للشرع في استعمال الأشياء لا للعقل، ولم يردّ شرعاً قطّ بأنّه طاهر ليست فيه نجاسة، إلّا باعتبار ما ذكرناه من عدم تداخل الجواهر، وهو أمر معقول. فما بقي إلّا تجاورها. فاعتبر الشرع تلك المجاورة في موضع، ولم يعتبرها في موضع. فلذلك لم يميز الطهارة به في الموضع الذي اعتبرها، وأجاز الطهارة به في الموضع الذي لم يعتبرها، ولم يقتل فيه: إنّه ليس فيه نجاسة.

1 [الشورى : 11]

2 مكتوب بالهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه، كبه علي النشي".

3 ص 74

4 ص 74 ب

فالحكم في الماء، على ما ذكرناه، على أربع مراتب إذا خالطته النجاسة، أو لم تخالطه: حُكْمُ بَأَنَّهُ طاهر مطهر. وحكم بَأَنَّهُ طاهر غير مطهر، وحكم بَأَنَّهُ غير مطهر ولا طاهر، وحكم بَأَنَّهُ مطهر غير طاهر.

فالطاهر المطهر هو الماء الذي لم تخالطه نجاسة. والطاهر غير المطهر هو الماء الذي يخالطه ما ليس بنجس، بحيث أن يزيل عنه اسم الماء المطلق، مثل ماء الزعفران وغيره. وحكم بَأَنَّهُ غير طاهر ولا مطهر؛ وهو الماء الذي غيّرت النجاسة¹ أحد أوصافه. وصاحب هذا الحكم يردّ الحديث الذي احتجّ به علينا، فإنّ الشارع قال: «لا ينجسه شيء» فكيف اعتبره هذا المحتجّ به هنا ولم يعتبره في الوجه الذي ذهبنا إليه في أنّه مطهر غير طاهر، ويلزمه ذلك ضرورة. وليس عنده دليل شرعيّ يردّه. والحكم الرابع: أنّه مطهر غير طاهر، وهو الفصل الذي نحن بسبيله، فإنّه الماء الذي خالطته النجاسة، ولم تتغير أحد أوصافه. ومن قائل بالفرق بين القليل والكثير؛ فقالوا: إن كان كثيرا لم ينجس، وإن كان قليلا كان نجسا. ولم يحدّ فيه حدّا، بل قال: بَأَنَّهُ ينجس، وإن² لم يتغير أحد أوصافه.

ثمّ اختلف هؤلاء في الحدّ بين القليل والكثير، والخلاف في نفس الحدّ مشهور في المذاهب، لا في نصّ الشرع الصحيح. فإنّ الأحاديث في ذلك قد تكلم فيها؛ مثل حديث الثّلاثين وحديث الأربعين قلّة. ثمّ الخلاف بينهم في حدّ القلّة. وتفتّح على هذا الباب مسائل كثيرة، مثل ورود الماء على النجاسة، وورود النجاسة على الماء، والبول في الماء الباطن، وغير ذلك.

وللناس في ذلك مذاهب كثيرة، ليس هذا الكتاب موضعها. فإبّا ما قصدنا استقصاء جميع ما يتعلق من الأحكام بهذه³ الطهارة من جهة تفريع المسائل، وإنما قصد الأمّهات منها لأجل الاعتبار فيها بحكم الباطن. فجزدنا في هذا الباب نحو من ثمانين بابا نذكرها إن شاء الله -كلّها بابا بابا، وهكذا أفعل إن شاء الله- في سائر العبادات التي عزمنا على ذكرها في هذا الكتاب من صلاة وزكاة وصيام وحجّ، والله المؤيد لا ربّ غيره.

وصل: في حكم الباطن:

وأما حكم الباطن فيما ذكرناه في هذا الباب، وهو الماء الذي تخالطه النجاسة ولم تتغير أحد أوصافه. فهو العلم الإلهي الذي يقتضي التنزيه عن صفات البشر. فإذا خالطه من علم الصفات التي تتوهم منها المناسبة بينه وبين خلقه، فوقع في نفس العالم به من ذلك نوع تشويش، فاستهلك ذلك القدر من العلم بالصفات

1 ص 75

2 لم يرد في ق، وورد في س

3 ص 75 ب

التي يقع بها الاشتراك في العلم الذي يقتضي التنزيه، من جهة دليل العقل ومن (لَيْسَ كَيْثُلُهُ شَيْءٌ)¹ في دليل السمع. فيبقى العلم بالله على أصله من طهارة التنزيه عقلا وشرعا، مع كوننا نَصَفُهُ بمثل هذه الصفات التي توهم التشبيه، فإنه ما غَيَّرَتْ أوصافه تعالى-، فيثبت كل ذلك له مع تحقق (لَيْسَ كَيْثُلُهُ شَيْءٌ)².

وأما³ حكم القليل والكثير في ذلك، واختلاف الناس في النجاسة، إن كان الماء قليلا: فالقلة والكثرة في الماء الطهور هو راجع إلى الأدلة الحاصلة عند العالم بالله. فإن كان صاحب دليل واحد وطراث عليه في علمه بتنزيه الحق، في أي وجه كان، شبهة أثرت في دليله؛ زال كونه علما، كما زال كون هذا الماء طاهرا مطهرا. وإن كان صاحب أدلة كثيرة على مدلول واحد؛ فإن الشبهة تستهلك فيه، فإنها إذا قدحت في دليل منها لم يلتفت إليها، واعتمد على باقي أدلته، فلم تؤثر هذه الشبهة في علمه، وإنما أثرت في دليل خاص لا في جميع أدلته. فهذا معنى الكثرة في الماء الذي لا تغير النجاسة حكمة.

وأما من قال بترك الحد في ذلك، وأن الماء يفسد؛ فإنه يعتبر أحديّة العين لا أحديّة الليل، فيقول: إن العلم تتدح فيه هذه الشبهة في زمان تصوّره إياها، والزمان دقيق. فرمما مات في ذلك الزمان وهو غير مستحضر سائر الأدلة لضيق الزمان، فيفسد عنده. وفي هذا الباب تفرع كثير لا يحتاج إلى إيراده، وهذا القدر قد وقع به الاكتفاء في المطلوب.

باب⁴

الماء بخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غيّر أحد أوصافه الثلاثة

أما الماء الذي يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا، متى غيّر أحد أوصافه الثلاثة، فإنه طاهر غير مطهر، عند الجميع إلا بعض الأئمة؛ فإنه عنده مطهر ما لم يكن التغير عن طبع.

وصل: حكم الباطن:

فأما حكم الباطن في ذلك، فهو أنّ العلم بالله من حيث العقل الذي حصل له من طريق الفكر، إذا خالطه وصف شرعي مما جاء الشرع به، فإن ذلك العلم بالله طاهر في نفسه، غير مطهر، لما دلّ عليه من صفة التشبيه. كتولم في صفة كلام الله: "إنه كسلسلة على صفوان"، فأق بكاف الصفة. والشرع كلّ

1 [الشورى : 11]

2 [الشورى : 11]

3 ص 76

4 ص 76 ب

ظَاهِرٌ مَقْبُولٌ مَا جَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَقْدِرِ الْعَقْلُ يَنْفَكْ عَنْ دَلِيلِهِ فِي نَقْيِ التَّشْبِيهِ، وَسَلَّمَ -لِلشَّرْعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ.

وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ مَطْهَرٌ عَلَى أَصْلِهِ مَا لَمْ يُطْبَخْ، فَأَرَادَ بِالطَّبِيخِ الْأَمَرَ الطَّبِيعِيَّ، وَهُوَ أَنْ لَا يَأْخُذَ ذَلِكَ الْوَصْفُ مِنَ الشَّارِعِ¹ الَّذِي هُوَ مُخَيَّرٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَخَذَهُ عَنْ فَهْمِهِ وَنَظَرِهِ بِضَرْبِ قِيَاسٍ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ إِمْكَانُهُ وَطَبِيعَتُهُ، فَهُوَ ظَاهِرٌ غَيْرُ مَطْهَرٍ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

. . .

بَابُ

فِي الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي الطَّهَارَةِ

الْمَاءُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي الطَّهَارَةِ اخْتَلَفَ فِيهِ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ، عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ: فَمَنْ قَائِلٌ: لَا تَجُوزُ الطَّهَارَةُ بِهِ، وَمَنْ قَائِلٌ: تَجُوزُ الطَّهَارَةُ بِهِ، وَبِهِ أَقُولُ. وَمَنْ قَائِلٌ بِكَرَاهَةِ الطَّهَارَةِ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ التَّيَمُّمُ بِوُجُودِهِ، وَقَوْلُ رَابِعٍ شَاذٌّ وَهُوَ أَنَّهُ نَجَسٌ.

وَضَلَّ: حَكَمَ الْبَاطِنُ فِي ذَلِكَ:

فَأَمَّا حَكَمُ الْبَاطِنِ فِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ هَذَا الْخِلَافِ هُوَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو أَنْ يَنْطَلِقَ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ اسْمُ الْمَاءِ الْمَطْلُوقِ أَوْ لَا يَنْطَلِقُ. فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ يَنْطَلِقُ قَالَ بِجَوَازِ الطَّهَارَةِ بِهِ، وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ قَدْ أَثَّرَ فِي إِطْلَاقِهِ اسْتِعْمَالَهُ لَمْ يُجِزْ ذَلِكَ أَوْ كَرِهَهُ عَلَى قَدَرِ مَا يَقْوَى عِنْدَهُ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَجَاسَتِهِ فَقَوْلٌ غَيْرُ مَعْتَبَرٍ، وَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ بِهِ مِنَ الْمَعْتَبَرِينَ وَهُوَ أَبُو يُوسُفَ.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ بِتَوْحِيدِ² اللَّهِ هُوَ الطُّهُورُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي أَحَدِيَةِ الْأَفْعَالِ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْاسْتِعْمَالِ رَدَدْتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ الْذَاتِ. اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ بِمِثْلِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ فِي الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ. فَمَنْ الْعَارِفِينَ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ لَا يَقْبَلُهُ الْحَقُّ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، فَلَا يُسْتَعْمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ بِالذَّاتِ. وَمَنْ الْعَارِفِينَ مَنْ قَالَ: يَقْبَلُهُ، لِأَنَّا مَا أَثْبَتْنَا عَيْنًا زَائِدَةً، وَالنَّسَبَ لَيْسَتْ بِأَمْرٍ وَجُودِيٍّ فَتَوَثَّرَ فِي تَوْحِيدِ الْذَّاتِ، فَبَقِيَ الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الطَّهَارَةِ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِأَنَّهُ نَجَسٌ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ الْمَطْلُوقَ لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى. - فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ هَذَا التَّوْحِيدَ فِي أَحَدِيَةِ كُلِّ أَحَدٍ الَّتِي بِهَا يَقَعُ لَهُ التَّمْيِيزُ عَنْ غَيْرِهِ، فَقَدْ صَارَ لَهَا حَكْمُ الْكُونِ الْمُمْكِنِ. فَهَذَا مَعْنَى النِّجَاسَةِ. فَلَا

1 ص 77
2 ص 77 ب

ينبغي أن ينسب إلى الله مثل هذا التوحيد، لأن تمييزه في أحديته عن خلقه ليس عن اشتراك، كما تميز
الممكنات بعضها عن بعض بخصوص وصفها، وهي أحديتها.

باب

في طهارة أسنار المسلمين وبهجة الأنعام

اتفق¹ العلماء بالشريعة على طهارة أسنار المسلمين وبهجة الأنعام، واختلفوا فيما عدا ذلك. فمن قاتل
بطهارة كل حيوان، ومن قاتل: أستثني. واختلف أهل الاستثناء خلافا كثيرا.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأما حكم الباطن في ذلك، فإن سور المؤمن وكل حيوان فهو طاهر، فإن الإيمان والحياة عين الطهارة
في الحي والمؤمن. إذ بالحياة كان التسييح من الحي لله تعالى، وإذ بالإيمان كان قبول ما يرد به الشرع، مما
يحييه العقل أو لا يحييه من المؤمن بلا شك. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ غَرَفَ نَفْسَهُ غَرْفَ رُبِّهِ» فما بقي
للعبد من العلم بعد معرفته بنفسه الذي هو سوره، وكل حيوان فإنه مشارك للإنسان المؤمن في الدلالة،
فسوره مثل ذلك. بذلك القدر مما بقي يعرف ربه.

وأما أصحاب الخلاف في الاستثناء، فما ظنروا في المؤمن ولا في الحيوان من كونه حيوانا ولا مؤمنا،
فهو بحسب ما نظر فيه هذا المستثنى ويجري معه الحكم، والتفصيل فيه يطول. وإنما اشترطنا المؤمن دون
الإنسان وحده، إذ كان الإيمان يعطي من² المعرفة بالله ما يعطيه الحيوان والإنسان وزيادة مما لا يدركه
الإنسان من حيث إنسانيته ولا حيوانيته، بل من كونه مؤمنا. فلها قلنا: سور المؤمن، فإنه أتم في المعرفة.

باب

في الطهارة بالأسنار

اختلف العلماء بالشريعة في الطهارة بالأسنار على خمسة أقوال. فمن قاتل: إنها طاهرة بإطلاق، وبه
تقول. ومن قاتل: إنه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسور المرأة، ومن قاتل: إنه يجوز للرجل أن يتطهر بسور
المرأة ما لم تكن جنباً أو حائضاً، ومن قاتل: لا يجوز لكل واحد منهما أن يتطهر بفضل طهور صاحبه،
ولكن بشرعان معاً، ومن قاتل: إنه لا يجوز أصلاً، ومن قاتل: يجوز للرجل أن يتطهر بسور المرأة ما لم تخل
به.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأما حكم الباطن في ذلك، فاعلم أن الرجل يزيد على المرأة درجة، فإذا أخذنا دليلا على العلم بالله من حيث ما هما رجل وامرأة¹ لا غير؛ فمن رأى أن لزيادة الدرجة في الدلالة فضلا على من ليس لها تلك الدرجة نقصه من العلم بذلك القدر. فمن لم يجز الطهارة بذلك قال: إنما يدل من كونها² رجلا وامرأة³، أي من كونها فاعلا ومنفعلا، على علم خاص في الإله، وهو العلم بالموثر والمؤثر فيه. وهذا يوجد في كل فاعل ومنفع. فلا يجوز أن يؤخذ مثل هذا في العلم بالله، ولا يتطهر به القلب من الجهل بالله.

ومن أجازه قال جُلُّ المعرفة بالله، أن يكون خالقنا وخالق الممكنات كلها. وإذا ثبت افتقارنا إليه وغناه عنا، فلا نبالي بما فاتنا من العلم به، فهذان قولان بالجواز وبعدم الجواز.

وبهذا الاعتبار تأخذ ما بقي من الأقسام مثل الشروع معا، غير أن في الشروع معا زيادة في المعرفة، وهي عدم التقييد بالزمان، وهو حال الوقوف على وجه الدليل، وهو أيضا كالنظر في دلالتها، من حيث ما يشتركان فيه، وليس إلا الإنسانية.

ومثل طهارة المرأة بفضل الرجل⁴، فإنه يعطي في الدلالة ما تعطي المرأة وزيادة. ومثل ظهور الرجل بفضل المرأة ما لم تكن جُنُبًا، بالتغرب عن موطن الأنوثة، وهو منفع، فقد اشترك مع الأنثى التي انفعلت عنه. فإنه منفع عن موجد. ومن تغرب عن موطن الأنوثة، من تشبيهها بالرجل، فإن ذلك يقدر في أنوثتها، أو (لم تكن) حائضا، وهي صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة. والمطلوب من العلم بالله القربة، والحال في الحيض البعد من الله، من حيث تناجيه. فالمعرفة بهذه الصفة تكون معرفة حجابية من الاسم البعيد.

وأما قول القائل: "ما لم تغلُ به" فإن لم تغل به جازت الطهارة وإن خلت به لم تجز. فاعلم أن العالم بالله كما يعلم أن ذاته منفعة في وجود عينها عن الله، ولا يعرف أنه يرضي الله وينغضه بأفعاله، إذ وقع التكليف، فما عرفه معرفة تامة. فقد خلى بالمعرفة، وهذا يقدر في طهارة تلك المعرفة. وإذا عثر على أن له أثرا في ذلك الجنب مثل قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاكَ﴾⁵ فأعطى الدعاء من الداعي في

1 ص 79

2 ق: كونه

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

4 بفضل: (هنا) بسور

5 ص 79 ب

6 [البقرة: 186]، ورسم الآية وفقا لقراءة ورش عن نافع.

نفس المدعو الإجابة، ولا معنى للافعال إلا مثل هذا. فهذا حقيقة قوله: "ما لم تخل به".

باب

الوضوء بنبذ التمر

اختلف علماء الشريعة في الوضوء بنبذ التمر، فأجاز الوضوء¹ به بعضهم، ومنع به الوضوء أكثر العلماء، وبالمنع أقول لعدم صحة الخبر النبوي فيه الذي اتخذوه دليلاً. ولو صح الحديث لم يكن قوله نصاً في الوضوء به، فإنه قال ﷺ فيه: «تمر طيبة وماء طهور». أي جمع النبذ بين التمر والماء فسقي نبذاً. فكان الماء طهوراً قبل الامتزاج. وإن صح قوله فيه: «شراب طهور»، لم يكن نصاً في الوضوء به، ولا بدّ. فقد يمكن أن يطهر به الثوب من النجاسة، فإن الله ما شرع لنا في الطهارة للصلاة عند عدم الماء إلا التيمم بالتراب خاصة.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

وأما حكم الباطن في ذلك، فإن الواقف في معرفته بالله على الدليل المشروع الذي هو فرع في الدلالة عن الدليل العقلي الذي هو الأصل. وليس عند صاحب الدليل المشروع علم بما ثبت به كون الشرع دليلاً في العلم بالإله، فضعف في الدلالة، وإن سُمّي: «ماء طهور وتمر طيبة». فذلك لامتزاج الليلين، والمقلد لا يقدر على الفصل بين الدليلين.

فن حيث يتضمن ذلك الامتزاج الدليل العقلي، يجوز الأخذ به في الدلالة. فيجيز (بعض علماء الشريعة) الوضوء² بنبذ التمر. ومن حيث الجهل بما فيه من تضمنه الدلالة العقلية، لا يجوز الأخذ به، وهو على غير بصيرة في ثبوت هذا الفرع. فلم يجز (البعض الآخر من العلماء) الوضوء بنبذ التمر. فإنه سُمّي شراباً وأزال عنه اسم الماء، فافهم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

أبواب

نواقض الوضوء

حكم ذلك في الباطن - أعني ناقض الوضوء - أنه كل ما يقدح في الأدلة العقلية والأدلة الشرعية في المعرفة بالله: أما في العقلية فمن الشبهة الواردة، وأما في الشرعية فمن ضعف الطريق الموصل إليها، وهو

1 ص 80

2 ص 80 ب

3 [الأحراب : 4]

عدم الثقة بالرواة، أو غرائب المتن؛ فإنّ ذلك مما يضعف به الخبر.

فكلّ ما يخرجك عن العلم بالله وتوحيده وأسمائه الحسنی، وما يجب لله أن يكون عليه، وما يجوز، وما يستحيل عليه عقلاً -إلا أن يرد به خبر متواتر في كتاب أو سنة- فإنّ ذلك كلّه ناقض لطهارة القلب بمعرفة الله وتوحيده وأسمائه، فلنذكرها مفصلة كما وردت في الوضوء الظاهر إن شاء الله -.

. . .

باب¹

انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس

اختلف علماء الشريعة في انتقاض الوضوء، بما يخرج من الجسد من النجس، على ثلاثة مذاهب: فاعتبر قوم في ذلك الخارج وَخْذَهُ من أي موضع خرج، وعلى أي وجه خرج، وبين هؤلاء اختلاف في أمور -واعبر قوم المخزجين: الثُّبُلُ والثَّبَر- من أي شيء خرج؟ وعلى أي وجه خرج، من صحّة ومرض؟ واعتبر آخرون الخارج والمخرج وصفة الخروج، وبه أقول.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأمّا حكم هذه المذاهب في المعاني في الباطن؛ فمن اعتبر الخارج وَخْذَهُ -وهو الذي ينظر في اللفظ الخارج من الإنسان- فهو الذي يؤثر في طهارة إيمانه، مثل أن يقول في يمينه: برئت من الإسلام إن كان كذا وكذا، أو ما كان إلا كذا وكذا. فإنّ هذا، وإن صدق في يمينه، وتبرّ ولم يحنث، فإنّه لا يرجع إلى الإسلام سالماً، كذا² قال ﷺ: «ومثل من يتكلّم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظنّ أن تبلغ ما بلغت؛ فيهوي بها في النار سبعين خريفاً» ولا يراعي من خرجت منه من مؤمن وكافر.

ومن اعتبر المخزجين؛ فهو المنافق والمرتاب. فكلّ ما خرج منها لا ينفعها في الآخرة. فإنّ الخارج قد يكون نجساً -كالكفر- من التلفّظ به، وقد يكون غير نجس كالإيمان. وما كان مثل هذا من المخزجين: المنافق والمرتاب -لأنّ المخزجين خبيثان- لم ينفع ما ليس بنجس: كظهور الإيمان، وما في القلب منه شيء، وهو قوله تعالى: عنهم حيث قالوا: ﴿تُؤْمِنُ بِبَغْيٍ﴾ وهو كخروج الطاهر، أعني الذي ليس بنجس، ﴿وَتَكْفُرُ بِبَغْيٍ﴾³ وهو كخروج ما هو نجس، فقال تعالى: فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾⁴ فأثر في

1 ص 81

2 ص 81 ب

3 [النساء : 150]

4 [النساء : 151]

وأما من اعتبر الخارج والمخرجين، وصفة الخروج، فقد عرفت الخارج والمخرجين، وما بقي إلا صفة الخروج. فصفة الخروج في الطهارة كالخروج على صفة المرض كالمقلد في الكفر - أو الصحة، وهو العالم بالحق الصحيح ويجده فلا يؤمن. قال تعالى - في مثل هؤلاء الذين عرفوا الحق ومجدوا بما دلهم عليه: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾¹ ثم ذكر العلة² فقال: ﴿ظَلَمْنَا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾³.

انتهى الجزء الثاني والثلاثون، يتلوه في الجزء الثالث والثلاثين.

1 [النمل : 14]

2 ص 82

3 [النمل : 14]

الجزء الثالث والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

حكم النوم في قضا الوضوء

اختلف العلماء في النوم على ثلاثة مذاهب: فمن قائل: "إنه حدّث" فأوجبوا الوضوء في قليله وكثيره، ومن قائل: "إنه ليس بحدّث" فلم يوجب منه وضوءاً، إلا إن تيقّن بالحدّث. فالناقض للوضوء هو الحدّث لا النوم. وإن شكّ في الحدّث، فالشكّ غير مؤثّر في الطهارة. فإنّ الشرع لم يعتبر الشكّ في هذا الموضع، وبه أقول. ومن قائل بالفرق بين النوم القليل الخفيف كالنسيئة، فلم يوجب منه وضوءاً، وبين الكثير المستقلّ، فأوجب منه الوضوء.

وصل: حكمه في الباطن:

اعلم أنّ القلب له حالة غفلة، فذلك النوم القليل، وحالة موت ونوم عن التيقّظ والانتباه لما كلفه الله به من النظر والاستدلال والذكر والتذكّر. وهاتان الحالتان مزيلتان لطهارة³ القلب التي هي العلم بالله. ولنا في ذلك ما ينبّه الغافل والسالك لرومته:

يَا نَائِمَاكُمْ ذَا الرُّقَادِ	وَأَنْتَ تُدْعَى فَالْجَبَةِ
كَانَ الْإِلَهُ يُقُومُ عَنْكَ	بِمَا دَعَا لَوْ بَقِيَ بِهِ
لَكِنْ قَلْبُكَ غَافِلٌ	عَمَّا دَعَاكَ وَمُنْتَبِهٌ
فِي عَالَمِ الْكَوْنِ الَّذِي	يُؤَدِّبُكَ مَهْمَا مَتَّ بِهِ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ سَيْرِكَ	إِنَّ زَادَكَ مُشْغِلِيَّةٌ

باب

الحكم في لمس النساء

اختلف علماء الشريعة في لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الأعضاء الحساسة. فمن قائل: إنه من

1 المعبران ص 82

2 البسطة ص 83

3 ص 83

لمس امرأته دون¹ حجاب أو قبْلِها على غير حجاب، فعليه الوضوء، سواء التذ أو لم يلتذ. واختلف قول صاحب هذا المذهب في الملموس؛ فمرة سوى بينها في إيجاب الوضوء، ومرة فترق بينها. وفترق أيضا صاحب هذا القول بين أن يلمس ذوات المحارم والزوجة.

ومن قائل بإيجاب الوضوء من اللمس إذا قارنته اللذة، وعند أصحاب هذا القول تفصيل كثير. ومن قائل بأن لمس النساء لا ينقض الوضوء، وبه أقول. والاحتياط أن يتوضأ للخلاف الذي في هذه المسألة؛ اللامس والملموس.

وصل: حكم اللمس في الباطن:

فأما حكم اللمس في القلب. فالنساء عبارة وكناية عن الشهوات؛ فإذا لَمَسَت الشهوة القلب ونفسها، والتبس بها والتبس به، وحالت بينه وبين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها، فقد انتقض وضوءه. وإن لم تحل بينه وبين مراقبة الله فيها، فهو على طهارته. فإن طهارة القلب الحضور مع الله. ولا يبالي في متعلق الشهوة من حرام أو حلال إذا اعتقد التحريم (في الحرام) والتحليل في الحلال فلا تؤثر في طهارته.

فإن اعتقد التحريم في² الحلال المنصوص عليه بالجِلِّ، أو التحليل في الحرام المنصوص عليه بالتحريم، من أجل الشهوة بالنظر إلى الرجوع في ذلك إلى قول إمام يرى ذلك، مع علمه أن الشارع قرّر حكم المجتهد، وقرّر قبول عمل المقلّد له إذا عمل به، وقد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول ولا يعمل عليه ولا يقول به، وإنما رجع إليه بسبب لمس الشهوة قلبه، فمثل هذا يؤثر في طهارته. فعليه الوضوء بلا خلاف، عند أهل القلوب. وأما في الظاهر فلنا في هذه المسألة نظر، وقد تصدّعنا فيها مع علماء الرسوم.

باب

في لمس الذكّر

اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب. فمن قائل: لا وضوء عليه، وبه أقول. والاحتياط الوضوء في كلّ مسألة مختلف فيها فإن الاحتياط النزوح إلى موطن الإجماع والاتفاق مما قدر على ذلك. ومن قائل: "فيه الوضوء". وقوم فترقوا بين لمسه بحال لئلا أو باطن اليد وبين من منته بظاهر كفه ولغير لئله وفضلوا في ذلك.

وصل: حكم ذلك في الباطن:

1 ص 84

2 ص 84 هـ

اعلم¹ أن الله ما جعل سبب إيجاد الكائنات الممكنات بغير إلا الإرادة والأمر الإلهي. ولأجل هذا أخذ من أخذ الإرادة في حد الأمر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ ۖ فَكَانَ﴾² فأقن بالإرادة والأمر، ولم يذكر معنى ثالثا يسمى القدرة، فيخرج قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³ على أنه عين قوله للأشياء بكون إذا أراد تكوينها.

ولا شك أن اليد محل القدرة. ولما كان النكاح سبب ظهور المولات. فمن نسب القدرة إليه في إيجاد العين الممكنة التي ظهرت وهو مس الذكر باليد- فلا يخلو إما أن يغفل عن الاقتدار الإلهي في قول "كن" أو لا يغفل، فإن غفل انتقضت طهارته، حيث نسب وجود الولد للنكاح، وإن لم يغفل بقي على طهارته.

* * *

باب

الوضوء مما مسّت النار

اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في الوضوء مما مسّت النار. وما عدا الصدر الأول فلم يختلفوا في أن ذلك لا يوجب الوضوء إلا في لحوم الإبل. وبالوضوء من لحوم الإبل أقول⁴ تعبداً، وهو عبادة مستقلة مع كونه ما انتقضت طهارته بأكل لحوم الإبل؛ فالصلاة بالوضوء المتقدم جائزة، وهو عاص إن لم يتوضأ من لحوم الإبل.

وهذا القول ما قال به أحد، فيما أعلم، قبلنا. وإن نوى فيه (المتوضئ) رفع المانع فهو أحوط. واختلف الأئمة في الوضوء من لحوم الإبل. فمن قائل بإيجاب الوضوء منه، ومن قائل: لا يجب.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

النار الذي يجده الإنسان في نفسه -وهي التي تضج كبده- هي مما يجري عليه من الأمور التي لا توافق غرضه الطبيعي. فإن تلقاها بالتسليم والرضا، أو الصبر مع الله فيها، كما تسمى الله تعالى- بالصور لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ لَمْ يَأْخُذْهُمْ، وَقَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «ليس شخص أضبر على أذى من الله» جلما منه، وإذا كان العبد بهذه المثابة؛ لم تؤثر في طهارته.

1 ص 85

2 [الحل : 40]

3 [البقرة : 284]

4 ص 85 ب

5 [الأحزاب : 57]

فإن تسخّط وأثر فيه، ولا سماً لحوم الإبل خبأ الشارح سمّها شياطين؛ فتلك لمة الشيطان في القلب- فانتقضت طهارته؛ لأن محلّ اللمة القلب، كما يظهر منها بلمة الملك. وإنما (اعتبرنا) لحوم الإبل بلمة الشيطان؛ لأن الشيطان خلق من مارج من نار، والمارج لهب النار. والشارح كما قلنا- سمى الإبل شياطين، ونهى عن الصلاة في معاطبها، وما علل إلا بكونها شياطين، وهم البعداء. والصلاة حال قرينة ومناجاة. فاعتبرنا في الباطن حكم الوضوء من لحوم الإبل، ونقض الطهارة بهذا، ولو كانت لقمته بخير، فإنه أضمر في ذلك الخير شراً لا يتفطن له إلا العالم الحق العارف بالأمور الإلهية كيف ترد على القلوب.

باب

الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء

اعلم أن الضحك في الصلاة أوجب منه الوضوء بعضهم، ومنع بعضهم، وبالمنع أقول.

وصل: حكم الباطن فيه:

إن الإنسان في صلاته تختلف عليه الأحوال مع الله في تلاوته، إذا كان من أهل الله ممن يتدبر القرآن: فأية تحزنه فيبكي، وأية تسره فيضحك، وأية تنبهه فلا يضحك ولا يبكي، وأية تهديه علماً، وأية تجعله مستغفراً وداعياً؛ فطهارته باقية² على أصلها.

وقد رأينا من أحواله دائماً الضحك في صلاة وغير صلاة كالسلاوي وأمثاله- فنعنا الله به- وكأني نزيد، طيفور بن عيسى بن شروشان البسطامي، روى عنه أبو موسى الديلمي، أنه قال: "ضحكت زماناً وبكيت زماناً، وأنا اليوم لا اضحك ولا أبكي".

وأما إذا غفل عن تلاوته وتدبرها ومناجاة ربه، بدكانه ولهوه، وأمثال ذلك مما يخرج عن الحضور مع الله في صلاته؛ فهذا ضحكه في الباطن في الصلاة في مذهب من يقول بنقض طهارته. ومن هذه حاله؛ فقد انتقض طهارته، ووجب عليه استئناف طهارة قلبه مرة أخرى.

باب

الوضوء من حمل الميت

قالت به طائفة من العلماء، ومنع أكثر العلماء من ذلك، وبالمنع أقول.

وصل: حكم الباطن فيه:

أما حكم الباطن في ذلك فإنه يتعلق بعلم المناسبة، فلا يجتمع شيء مع شيء إلا لمناسبة بينهما. قال أبو حامد الغزالي: "رأى بعض أهل¹ هذا الشأن بالحرم غربا وحمامة، ورأى أن المناسبة بينهما² تبعد؛ فتعجب، وما عرف سبب أنس كل واحد منها بصاحبه. فأشار إليهما فدرجا. فإذا بكل واحد منها عزج، فعرف أن العرج جمع بينهما".

وكان رجل من التجار يقول لشيخنا أبي مدين: أريد منك إذا رأيت فقيرا يحتاج إلى شيء تعرفني، حتى يكون ذلك على يدي. فجاءه يوما فقير غريبا يحتاج إلى ثوب، وكان مقام الشيخ وحاله في ذلك عدم الاعتماد على غير الله في جميع أموره، في حق نفسه وفي حق غيره. فلأن الشيخ قد أجمعوا على أنه من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره. فتذكر أبو مدين رغبة التاجر، فخرج مع الفقير إلى دكان التاجر ليأخذ منه ثوبا. فمشاه إنسانا أنكره الشيخ. فسأله عن دينه، فإذا هو مشرك. فعرف المناسبة، وتاب إلى الله من ذلك الخاطر. فالتفت فإذا بالرجل قد فارقه، ولم يعرف حيث ذهب.

فلما أخبرته بحكايته وأنا أعرف بلادنا؛ ما في بلاد الإسلام منها دينان أصلا - فعلمت أن الله أرسل إليه، من خاطره ذلك، شخصا ينهيه، فلأن الله علمنا منه أنه يخلق من أنفاس العالم خلقا. فكذلك من هذا الباب من حمل ميتا، فلمناسبة بينهما وهو الموت. فلما موت عن الأكوان، وإما موت عن الحق. فالميت عن الحق يتوضأ، والميت عن الأكوان باق على وضوئه.

. . .

باب³

نقض الوضوء من زوال العقل

اتفق العلماء؛ علماء الشريعة أن زوال العقل ينقض الطهارة.

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 87

3 ص 87 ب

وصل: حكم الباطن فيه:

إنَّ العقل إذا كان المزيل لحكمه في الإلهيات النص المتواتر من الشرع الذي لا يدخله احتمال ولا إشكال فيه؛ فهو على أكل الطهارة. لأنَّ طهارة الإيمان مع وجود النص تعطي العلم الحق والكشف. وإذا أزال عقله شبهة فقد انتقضت طهارته، ويستأنف النظر في دليل آخر، أو في إزالة تلك الشبهة.

. . .

أبواب الأفعال التي فُتِرَط هذه الطهارة في فعلها

اتَّفَق العلماء على أنَّ الوضوء شرط من شروط الصلاة. واختلفوا؛ هل هو شرط صحة، أو شرط وجوب. وأعني بالوضوء الطهارة المشروعة، وهي عندنا شرط وجوب. والطهارة عندنا عبادة مستقلة. وقد تكون شرطاً في عبادة أخرى: شرط صحة، أو شرط وجوب. وقد تكون مستحبةً وستةً في عبادة أخرى.

وَضَلَّ: حكم الباطن في ذلك:

طهارة القلب شرط في مناجاة الحق أو مشاهدته؛ شرط وجوب وشرط صحة معاً. وسبب ذلك أننا في موطن التكليف، ويطلب الإيمان منّا بالله وبما جاء من عنده والرسول والرسول، وهذه إشارة أنَّ الأمر ليس بمقتصور، إلا أنه عالٍ وأعلى، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾² ﴿زَفِيعُ الثَّزَابِ﴾³ يرفع درجات من يشاء⁴.

وتارة يكون العلم شرطاً في صحة الإيمان، وشرط وجوب فيه. وتارة يكون الإيمان شرطاً في صحة علم الكشف، وشرط وجوب فيه. إلا أنَّ الإيمان فيه طهارة للقلب من الحجاب، والعلم طهارة للقلب من الجهل والشك والنفاق. فطهر قلبك بالطهارتين تشم بذلك في العالمين، وتحوز به علم القبضتين. فإنَّ الله قد أوجب الإيمان علينا بنفسه ومن نفسه أسأوه - ﴿وَمَلَأْنِيهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ لَا تَقْرَأُ بَيْنَ أَخِي مِنْ رُسُلِهِ﴾⁵ مع علمنا بأنَّ الله فضل بعضهم على بعض رسلاً وأنبياء، ثم نهانا أن نفضل بين الأنبياء قياساً أو نظراً، فإنَّ العبد لا يحكم على الله بشيء.

1 ص 88

2 [يوسف : 76]

3 [آفا : 15]

4 مستوحى من قوله تعالى: [تَرْفَعُ ذَرْجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ] [الأصنام : 83]

5 [البقرة : 285]

6 ص 88

باب

الطهارة لصلاة الجنائز ولسجود التلاوة

اختلف أهل العلم ﷺ في الطهارة للصلاة على الجنائز ولسجود التلاوة. فمن قائل: إنها شرط من شروطها، ومن قائل: ليست بشرط، وبه أقول.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

أما حكم الباطن في ذلك كله، فإننا نقول: كل عمل مشروع لا تتقدمه طهارة الإيمان لا يصح ذلك العمل بنفقه؛ فيجب وجود الإيمان في كل عمل مشروع. فمن قال: لا يجب الوضوء لصلاة الجنائز وسجود التلاوة؛ لم ير استحضار الإيمان في الدعاء للموتى ولا في السجود للتلاوة. واكتفى بالإيمان الأصلي عن استحضاره عند الشروع في الفعل. وهذا سبب عدم الإجابة. ومن رأى أن الطهارة شرط؛ كانت الإجابة، ولا بد، فيما يدعو فيه.

. . .

باب¹

الطهارة لمس المصحف

اختلف أهل العلم في الطهارة؛ هل هي شرط في مس المصحف أم لا؟ فأوجبها قوم، ومنعها قوم، وبالمعنى أقول. إلا أن فعلها بالطهارة أفضل -أعني مس المصحف-.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

هل يُحترم الدليل لاحترام المدلول؟ فعندنا نعم. يُحترم الدليل لاحترام المدلول، وعند غيرنا لا يلزم؛ فإن الدليل يضاد المدلول، فلا يجتمعان. فإِنْ احْتَرِمَ الدليل فلا مَرِ آخر، لا لكونه دليلاً على محترَم. والمصحف دليل على كلام الله، وقد أمرنا باحترامه، ومُسَّهُ على الطهارة من احترامه.

فاعلم أننا قد أخذ العالم دليلاً على الله، ونذهل عما يتضمّن مسّ العالم؛ من محمود ومذموم. وقد أخذ فرعون وأمثاله من المتكبرين دليلاً على وجود الصانع، لأنه صنعة. واتفق أن عَيْثُهُ في الدلالة على الخصوص ولا يجب احترامه، بل يجب مقتته وعدم حرمة. وقد أخذ موسى ﷺ من حيث أنه صنعة، دليلاً على وجود الصانع. واتفق أن عَيْثُهُ في الدلالة على الخصوص، وقد² وجب علينا احترامه وتعظيمه من

وجه آخر لا من وجه كونه دليلاً. فلهذا عظمنا المصحف لكون الشارع أمرنا باحترامه وتعظيمه، لا لكونه دليلاً. ثم له حرمة أخرى لكونه دليلاً وبه نعلل احترامه في وقت ما؛ فإنه يقول فيه: إنه كلام الله، وإن كنا نحن الكاتبين له بأيدينا.

باب

إيجاب الوضوء على الجنب، عند إرادة النوم، أو معاودة الجماع، أو الأكل أو الشرب
اختلف علماء الشريعة فيما ذكرناه في هذه الترجمة. فمن قائل بإيجابه، ومن قائل باستحبابه، وبه أقول.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

وأما حكم الباطن في ذلك إحضار النية للذي انتقضت طهارته الشرعية لشهوة أغفلته عن رؤية الحق عند استحكامها، فإذا أراد أن ينام نوى في النوم إعطاء حق العين. فذلك طهارة الجنب، إذا أراد أن ينام. فإن الجنابة تنقض طهارته، وهي الغربة عن موطن الإيمان الذي كان يجب عليه الحضور معه، لولا استحكام سلطان الشهوة الذي أفناه عن نفسه وعن كل ما سواه. وكذلك إذا أراد أن يعاود الجماع ينوي الولد المؤمن لكثرة اتباع رسول الله ﷺ وليكثر الناكرين الله بهذا الجماع. وكذلك إذا أراد أن يأكل ويشرب ينوي إعطاء النفس حقها. وهذه النية فيما ذكرناه هي طهارة لكل ذلك.

. . .

باب

الوضوء للطواف

اعلم أن الوضوء للطواف اشترطه قوم، ولم يشترطه قوم، وبه أقول، وإن كان الطواف بالطهارة أفضل.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

وذلك إنه من رأى أن الطواف بالبيت لكونه منسوباً إلى الله كالعرش المنسوب إلى استواء الرحمن، ورأى الملائكة حافين به، وهم المطهرون الكرام البررة، اشترط الوضوء في الطواف بكمية قلبه، الذي وسع الحق ﷻ. يقول تعالى: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي» وهو نزوله في تجليته - تعالى - إلى قلب عبده، وقد يتناه في "مواقع النجوم" في منزل التنزل الثاني من فلك القلب.

ومن رأى أن الحق لا يتقيد بما أضاف إليه، وإنما قصد بذلك التشریف منفعة المكلف؛ لم يشترط الطهارة¹ للطواف. وأمّا في القلب؛ فعدم اشتراط الطهارة في وقت نظر العقل في إثبات الشرع في المعرفة الأولى: إمّا ابتداء، وإمّا إذا نزل إليها بالتعليم لمن أراد أن يعرف الله بالأدلة النظرية.

. . .

باب

الوضوء لقراءة القرآن

اختلف العلماء في الوضوء لقراءة القرآن. فمن قائل: إنه تجوز قراءة القرآن لمن هو على غير طهارة، وبه أقول. ومن قائل: لا يجوز أن يقرأ القرآن إلا على وضوء، وهو الأفضل بلا خلاف. وكذلك كل ما ذكرناه مما يجوز فعله عندنا وعند غيرنا على غير وضوء، إن الأفضل أن لا يفعل شيئاً من ذلك إلا على وضوء.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

أمّا حكم الباطن في ذلك؛ فإن قارئ القرآن نائب الحق سبحانه - في الترجمة عنه بكلامه، ومن صفاته سبحانه - القدوس، ومعناه: الطاهر. فينبغي للعبد إذا ناب مناب الحق في كلامه بتلاوته أن يكون مقدّساً، أي طاهراً: في ظاهره بالوضوء المشروع، وفي باطنه بالإيمان والحضور والتدبر، وشبه ذلك. وأن يتدبّر تلاوة الحق عليه² ابتداء، ثم يتلو مترجماً عن الحق ما تلاه عليه وكلمه به.

فإمّا (أن) يترجم في تلاوته تلك للحاضر عنده ليذكره، وإمّا أن يترجم بلسانه لسمعه فيحصل الآخر للسمع، كما لو كان المصحف بيده يتلو فيه: أخذ البصر - حقّه من النظر إلى كلام الله من حيث ما هو مكتوب، كما أخذه السمع من حيث ما هو اللسان ناطق به مصوّت. وكذلك لو ألقى المصحف في حجره، ومشى بيده على الحروف، لأخذت هذه الأعضاء حظّها من ذلك. وهكذا كان يتلو شيخنا أبو عبد الله بن الجاهد وأبو عبد الله بن قسوم وأبو الحجاج الشُّبرنلي، لم أر من أشياخنا من يحافظ على مثل هذه التلاوة إلا هؤلاء الثلاثة.

. . .

أبواب الاغتسال

أحكام طهارة النفس:

هذا الفصل المشروع في هذا الباب هو تعميم الطهارة بالماء لجميع ظاهر البدن بغير خلاف، وفيما يمكن إيصال الماء إليه من البدن. وإن لم يكن ظاهرا بخلاف كداخل النعم وما أشبهه. وسيأتي ذكره وذكر أسباب هذه الطهارة. ومنها واجب¹ وسنة ومستحب.

الاعتبار في ذلك:

فأما اعتبار هذه الطهارة (فهو) تعميم طهارة النفس من كل ما أضررت بالطهارة منه وبه من الأعمال: ظاهرا بما يتعلق بالأعضاء، وباطنا بما يتعلق بالنفس من مصارف صفاتها لا من صفاتها. وإنما قلنا: من مصارف صفاتها، فإن صفاتها لازمة لها في أصل خلقها لا تنفك عنها حتى إن بعض أصحابنا قد جعلها عين ذاتها، وأنها صفات نفسية لها: كالحرص والبخل والفتنة وكل وصف مذموم.

فتعلق الذم الذي أمرنا بالطهارة منه، ما هو عين الصفة، وإنما هو عين المصريف. فالإنسان لا يتطهر من الحرص وإنما يتطهر من صرف الحرص على جمع حطام الدنيا وحرامها. فيتطهر بالحرص عينه على حكم ما تطهر منه بالمصريف أيضا، وهو أن يتطهر بالحرص على طلب العلم، وتحصيل أسباب الخير والأعمال الصالحة، والحرص على جمع أسباب سعادته. فإن عين الحرص ما يتمكن زواله. فبالحرص بوجه تكون سعادة الحرص، وبالحرص بوجه تكون شقاوة الحرص. فلهذا قلنا بالمصريف لا بعين الصفة. وعلى² هذا نأخذ جميع الصفات التي غلق الذم بها، إنما غلق الذم بمصارفها لا بأعيانها.

فعموم طهارة الباطن والظاهر في هذا الاغتسال، إنما متعلقه مصارف الصفات. ولا يعلم مصارف الصفات إلا من يعلم مكارم الأخلاق، فيتطهر بها. ويعلم سفاسف الأخلاق فيتطهر منها. وما خفي منها بما لا يدركه يتلقاه من الشارع وهو كل عمل يرضي الله فيتطهر به من كل عمل لا يرضيه فيتطهر منه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾³ ولهذا سقنا في هذا الكتاب أبوابا متقابلة، كالنوبة وتركها، والورع وتركه، والزهد وتركه مما ستأتي أبوابه إن شاء الله تعالى، وهي كثيرة.

وهذه الطهارة أيضا واجبة كالطهارة بإيتاء الزكاة مثلا، فهو غسل واجب. وكإعطائها للفقراء من ذوي الأرحام وهو مندوب إليه. وكتنظيف أهل الدين منهم دون غيرهم من ذوي الأرحام، وهو مستحب.

1 ص 91

2 ص 92

3 الزمر : 7

وهكذا يسري حكم هذه الطهارة في جميع باطن الإنسان وظاهره من العلم والجهل والكفر والإيمان والشرك والتوحيد والإثبات والتعطيل وهكذا¹ في الأعمال كلّها المشروعة يَطْهَرُها بالموافقة من المخالفة.

فهذا معنى الاغتسال الواجب منه وغير الواجب. وسأورد من تفصيل مسائل² هذه الطهارة ما يجري مجرى الأمّهات على حسب ما يذكر منها في ظاهر حكم الشرع في الاغتسال بالماء. وإنما تفرع هذه الطهارة لا يخصى ولا يسعه كتاب لو ذكرناها مسألة مسألة، وقد أعطينا فيها وبيّنا طريقة الأخذ بها، فخذها على ذلك الأنموذج، إن أردت أن تكون من عباد الله الذين اختصهم لخدمته واصطنعهم لنفسه ورضي عنهم فرضوا عنه، جعلنا الله من العلماء العقّال، ولا حال بيننا وبين الاستعمال بما يرضيه سبحانه - من الأعمال في الأقوال والأفعال والأحوال.

فأمّا الاغتسالات المشروعة، فمنها ما اتفق على وجوبه، ومنها ما اختلف في وجوبه، ومنها ما اتفق على استحبابه. وهي اغتسالات كثيرة: كالغسل من التقاء الختانين، والغسل من إنزال الماء الدافق على علم، والغسل من إنزاله على غير علم، كالذي يجد الماء ولا يذكر احتلاماً، والغسل من إنزال الماء الدافق على غير وجه الالتذاذ، والغسل³ من الحيض، وغسل المستحاضة عند الصلوات، وغسل يوم الجمعة، والغسل لصلاة الجمعة، والغسل عند الإسلام، والغسل للإحرام، والاعتسال لدخول مكة، والاعتسال للوقوف بعرفة، والاعتسال من غسل الميت. وأمّا الاعتبارات في هذه الأغسال، فأنا أذكرها قبل ذكر تفصيل أمّهات المسائل المشروعة في الاعتسال بالماء واعتباراتها. فمن ذلك:

باب

الاعتسال من غسل الميت

لَمَّا كَانَ الْمَيِّتُ شُرِعَ غَسْلُهُ، وَهُوَ لَا فَعْلَ لَهُ، إِذَا كَانَ غَيْرَهُ الْمَكْلُفُ بِغَسْلِهِ، تَنْبِيْهَا لِغَايِلِهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ فِي تَطْهِيرِهِ بِتَوْفِيقِهِ، وَاسْتِعْمَالِهِ فِي طَاعَتِهِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَفْعَالٍ خَالِقَهُ بِهِ وَفِيهِ، كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَي غَاسِلِهِ. فَلَا يَرَى غَسْلُهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ بِغَسْلِهِ لِلْمَيِّتِ، وَإِنَّمَا يَرَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَطْهَرُهُ، وَيَرَى نَفْسَهُ كَالآلَةِ يَفْعَلُ بِهَا اللَّهُ ذَلِكَ الْفَعْلَ. كَمَا يَرَى الْغَايِلُ الْمَاءَ آلَةً⁴ فِي تَحْصِيلِ غَسْلِ الْمَيِّتِ، إِذْ لَوْلَا الْمَاءُ مَا صَحَّ اسْمُ الْغَاسِلِ لِهَذَا الَّذِي يَغْسِلُهُ، وَالْمَاءُ لَا يَتَصَوَّرُ مِنْهُ الدَّعْوَى فِي أَنَّهُ غَسَلَ الْمَيِّتِ، فَإِنَّ الْمَاءَ مَا تَحَرَّكَ إِلَيْهِ

1 ص 92 ب

2 تاجية في الهاشر بقلم الأصل

3 ص 93

4 ص 93 ب

ولا قصد غسله، وإنما قصد بالماء غسل الميت غسله.

كذلك الغاسلُ لا يرى في قصده أنه قصد غسل الميت بالماء، وإنما يرى نفسه مع الماء آتٍ بقصد الله بهما غسل هذا الميت، فالله المطهر، لا هو ولا الماء، ولكنَّ الله طهر الميت بالغاسل وبالماء. فمثل هذا لا يقتل من غسل الميت. فهذا اعتبار من يرى أنه لا يجب الفصل من غسل الميت.

وأما من غسل ميتاً، وغاب في غسله عن أنَّ الله هو مطهره، وادَّعى ذلك الفعل لنفسه وأضافه إليها، ورأى أنه لولاه ما طهر هذا الميت؛ وجب عليه أن يغتسل ويتطهر من هذه الدعوى، بالتوجه والحضور مع الله في المستأنف، والتذكر لما غفل عنه من تطهير الله هذا الميت على يده. فمن اعتبر هذا أوجب الاغتسال من غسل الميت.

وأما حكم الاغتسال من غسل الميت بالماء، في ظاهر حكم الشرع، فليس مذهبي القول بوجوبه. ولكن¹ إن اغتسل من ذلك فهو أولى وأفضل بلا خلاف.

. . .

باب

الاغتسال للوقوف بعرفة

لما كان الوقوف بعرفة بصفة النداء والافتقار والدعاء والابتهاال، بالتعري من لباس الخيط، والموضع الذي يقف فيه الحاج يستوى عرفة، علمنا اعتباراً، أن ذلك موقف العلماء بالله العارفين، فإنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² وقال: ﴿تَرَى أَغْنَيْنَهُمْ تَقْبِضُ مِنَ النَّعْمِ مِمَّا عَزَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾³ وسيأتي الكلام إن شاء الله - على هذا النوع في باب الحج من هذا الكتاب.

ولما رأى هذا المعبرُ العالمُ تجرُّده عن الخيط، اعتبر في تأليف الأدلة وتركيبها لحصول المعرفة بالله من طريق النظر الفكري، بتركيب المقدمات وتأليفها، فتظهر من ذلك صورة المعرفة بربه. كالحائض الذي يؤلف قطع القميص بعضها إلى بعض، فتظهر صورة القميص، قيل له بتجريد الخيط: حصل المعرفة بربك، أو العلم بالله من التجلي الإلهي أو الرباني، واطرح عنك، في هذا الموقف وهذا اليوم، النظر العقلي بتأليف المقدمات، واشتغل اليوم⁴ بتحصيل المعرفة بربك من الامتنان الإلهي والوهاب الرباني من الواهب الذي

1 ص 94

2 [فاطر : 28]

3 [المائدة : 83]

4 ص 94

يعطي لِئَنِّمْ، فإنه الذي يقذف في نفسك العلم به على كلِّ حال، سواء نظرت في تأليف المقدمات، أو لم تنظر. فعامله سبحانه - بالتجريد، فإنه أولى بك. ولا تلتفت إلى تأليفك المقدمات النظرية في العلم بالله، فإنَّ للكسب ظلمة في المعرفة لا يراها إلا البصير. إذ لا مناسبة بين ما تؤلفه من ذلك، وبين ما تستحقه ذاته جلَّ وتعالى علواً كبيراً.

ومن كان يُطلب منه هذه الحالة، في ذلك الموقف الكريم والمشهد الخطير العظيم، كيف لا يغتسل ويتطهر في باطنه وقلبه، عن التعلُّق في معرفته بربه بغيره؟ فيزيل عنه قَلَر مشاهدة الأغيار ودَوَنَها، بعلم الحقِّ بالحقِّ، دون علمه بنفسه، إذ لا دليل عليه إلا هو.

لأنَّ المعرفة تتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ. وأنت في عرفة. والعلم يتعدَّى إلى مفعولين. ولهذا يحصل لصاحب هذا المشهد عند التلقين إذا خرج من عرفة، يريد المزدلفة وهي جمع، يحصل له علم آخر يكون معلومه الله، كما كان معلومه في عرفات الربِّ تعالى. وهذا المفعول الواحد الحاصل لك في هذا اليوم؛ هو علمك بربك لا بنفسك. فتعرف الحقَّ بالحقِّ. فيكون الحقُّ¹ الذي اغتسلت به يُعطي تلك المعرفة به، ويكون المقتسل منه - اسم مفعول - عين نفسك في دعاها، في معرفة ربِّها بنفسها، من طريق التعمُّل في تحصيلها. وأين الدليل من الدليل! هيئات وعزته، ما تعرفه - إن عرفته - إلا به. فافهم. فهذا غُسلُك للوقوف بعرفة، إن وفقت له، والله المؤيد والمُلهِم.

* * *

باب

الاغتسال لدخول مكة - زادها الله تشريفاً

اعلم أنَّ دخول مكة هو القدوم على الله في حضرته، فلا بدَّ من تجديد طهارة لقلبك مما اكتسبه من الغفلات من زمان إحرامك من الميقات: ظاهراً بالماء، وباطناً بالعلم والحضور. فطهارة الظاهر الاغتسال بالماء عبادةً وتنظيفاً، وطهارة الباطن - وهو القلب - بالتبري طلباً للولاء. فإنه لا ولاء للحقِّ إلا بالبراءة من الخلق؛ حيث كان نظرك إليهم بنفسك لا بالله.

فمن كان حاله الحضور الدائم مع الله، لم يغتسل لدخول مكة، إلا الفسل الظاهر بالماء لإقامة السنة. وأما بالباطن فلا، إلا عند رؤية البيت، فإنه يتطهر باطناً بجلاء خاص، لمشاهدة² بيته الخاص بيته - والطواف به، الذي هم الطائفون به كالأخافين من حَوْلِ الْقَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ³، إذ كان بيت

1 ص 95

2 ص 95 ب

3 [الزمر : 75]

الله بلا واسطة، منذ خلق الله الدنيا ما جرت عليه يد مخلوق بكسب.

وليكن الاسم الإلهي الذي يتطهر به الاسم "الأول" من الأسماء الحسنى، فإنه من نعمت البيت. فتحصل المناسبة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ۖ أَيْ جَعَلَتْ فِيهِ الْبَرَكَةُ لِعِبَادِي وَالْهُدَى. فمن رأى البيت ولم يجد عنده زيادة إلهية، فما نال من بركة البيت شيئاً، لأنَّ البركة (هي) الزيادة. فما أضافه الحق. فدلَّ على أنَّ قصده غير صحيح، فإنَّ تعجيل الطعام للضيف سنة.

فليجعل اغتساله أولاً، لا يجعله ثانياً لما تقدّمه من غسل الإحرام. فإنه طهارة خاصة² تليق بمشاهدة البيت والطواف به، لا مناسبة بينه وبين الاغتسال للإحرام، إلا من وجه ما. فإذا زعم أنه تطهر بهذا الطهر، وفرغ من طوافه؛ يتفقّد باطنه، فإنَّ الله ما جعل البركة فيه والهدى وهو البيان، أي يتبين له ذلك الذي زاده ربه من العلم به. - فما جُعِلَت البركة في البيت إلا أن يكون يعطي خازنهُ للطايف به القادم عليه من خَلْع البركة والقرب والعناية والبيان، الذي هو³ الهدى في الأمور المشكّلة، في الأحوال والمسائل المبهمة الإلهية، في العلم بالله، ما يليق بمثل ذلك البيت المصطفى؛ محلّ يمين الحقّ المبايع المُقبل المسجود عليه.

فإنَّ هذا البيت خزائن ما لله من البركات والهدى. وقد تبه الشارع إشارة، بذكر الكنز الذي فيه، وأي كنز أعظم بما ذكر الله من البركة والهدى، حيث جعلها عين البيت. فكثرة من أضيف إليه، وهو الله.

فلينظر الطائف القادم إذا فرغ من طوافه إلى قلبه، فإن وجد زيادة من معرفة ربه، وبيانا في معرفته، لم تكن عنده. فيعلم عند ذلك صحّة اغتساله لدخول مكة. وإن لم يجد شيئاً من ذلك، فيعلم أنه ما تطهر وما قدم على ربه ولا طاف ببيته. فإنه من الحال أن ينزل أحدٌ على كريم غني، ويدخل بيته ولا يضيفه⁴. فإذا لم يجد الزيادة؛ فما زاد على غسله بالماء وقدمه على الأجر المبنية؛ فهو صاحب عناء وخيبة في قلبه. وما له سوى أجر الأعمال الظاهرة في الآخرة في الجنان، وهو الحاصل لعامة المؤمنين. فإن جاور جاور الأجر لا العين، وإن رجع إلى بلده رجع بخفي حنين. جعلنا الله من أصحاب القلوب، أهل الله وخاصته، آمين بمرّته. فإن اعترف المصاب بعدم⁵ الزيادة، وما رزئ به، كان له أجر المصاب من الأجر في الآخرة، وحرّم المعرفة في العاجل.

1 [آل عمران : 96]

2 ق: خاص

3 ص 96

4 يضيفه هنا من الضيافة

5 ص 96 ب

باب

الاعتسال للإحرام

اعتباره: تطهير الجوارح مما لا يجوز للمحرم أن يفعله، وتطهير الباطن من كلّ ما خَلَف وراءه. فكما تركه جسداً من أهل ومال وولد، وقدم على بيت الله بظاهره، فلا يلتفت بقلبه إلّا إلى ما توجّه إليه. ويمنع أن يدخل قلبه أو يخطر له شيء مما خَلَفه وراءه، بالتوبة والرجوع إلى الله. ولهذا سُمّي غسل الإحرام؛ لما يحرم عليه ظاهراً وباطناً. فإن لم تكن هذه حالته، فليس بمحرم باطناً.

فإنَّ البَوَّاب قد نام وغفل، وبقي الباب بلا حافظ. فلم تجدد خواطر النفوس ولا خواطر الشياطين من يمنعه من الدخول إلى قلبه، فهو يقول: "لبيك" بلسانه، ويتخيّل أنّه يجيب نداء ربّه بالقدوم عليه. وهو يجيب نداء خاطر نفسه أو شيطانه الذي يناديه في قلبه: يا فلان؛ فيقول: لبيك. فيقول له الخاطر بحسب ما بعثه به صاحبه، من نفس أو شيطان وما جاء به من غير ما شرع له من الإقبال عليه في تلك الحالة¹. فيقول له صاحب ذلك الخاطر عند قوله: "لبيك اللهم لبيك": أهلاً وسهلاً، لئن تَمَنّى مَنْ يعطيك الحرمان والحياة والخسران المبين، ويفرح بأن جعله إلهاً ولتاه.

فلولا فضلُ الله وَرَحْمَتُهُ² بلسان الباطن والحال، وما تقدّم من النية (لَمَسَكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ) من وجودكم بقلوبكم إلى ما خَلَفتموه جسداً وراء ظهوركم (عَذَابٌ عَظِيمٌ)³ فيغفر الله لهم ما حدّثوا به أنفسهم. وما أخطر لهم الشيطان في تلك الحالة، بعناية التلبية الظاهرة لا غير، وما أعطاهم في قلوبهم ما أعطاه لأهل الاعتسال الباطن من المخرمين.

باب

الاعتسال عند الإسلام، وهو سنة بل فرض

الاعتسال عند الإسلام مشروع، وقد ورد به الخبر النبويّ. وأمّا اعتباره في الباطن، فإنَّ الإسلام الاتقياء، فإذا أظهر الإنسان القياد الظاهر، كان مُسْلِمًا ظاهراً. فيجب عليه الاتقياء بباطنه حتى يكون مسلماً باطناً، كما كان ظاهراً. فهو هذا تطهير الباطن عند الإسلام بالإيمان⁴، قال تعالى- في حق طائفة قَالَتْ آمَنَّا: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ⁵ وهو الطهارة الباطنة النافعة

1 ص 97

2 اقتباس من الآية: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [النور: 14]

3 [النور: 14]

4 ص 97

5 [الحجرات: 14]

باب

الاعتسال لصلاة الجمعة

اعتباره في الباطن طهارة القلب لاجتماع برّه، واجتماع همه عليه لمناجاته، برفع الحجاب عن قلبه. ولهذا قال من يرى أنّ الجمعة تصحّ بالاثنتين وتقام، وبه أقول. يقول تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث. وما ذكر ثالثا، يقول العبد كذا، فأقول له كذا.

فلا بدّ من طُليت¹ منه هذه الحالة، أن يتطهّر لها طهرا خاصا. بل أقول: إنّ لكلّ حالة للعبد مع الله - تعالى - طهارة خاصة، فإنّه مقام وُضلة. ولهذا شرّعت الجمعة ركعتين. فالأولى من العبد لله بما يقول، والثانية من الله للعبد بما يخبر به في إجابته قول عبده، أو يخبر به الملائكة الأعلى، بحسب ما يفوه به العبد في صلاته. غير أنّه في صلاة الجمعة بمقتضى ما شرع له أن يجهر بالقراءة ولا بدّ، فيقول الله للملائكة الأعلى: "حمدي عبدي". أو ما قال من إجابة وثناء وتقويس وتمجيد.

. . .

باب²

الاعتسال ليوم الجمعة

الاعتبار: الطهارة بالأزل للزمان اليومي من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة. فإنّ الله قد شرع حقّا واجبا على كلّ عبد أن يغتسل في كلّ سبعة أيام. فغسل يوم الجمعة لليوم، لا للصلاة. فكانت الطهارة لصلاة الجمعة طهارة الحال، وهذه (أي الطهارة ليوم الجمعة) طهارة الزمان.

فإنّ العلماء اختلفوا؛ فمن قائل: إنّ الغسل إنما هو ليوم الجمعة، وهو مذهبنا. فإن أوقعه قبل صلاة الجمعة، ونوى أيضا الاعتسال لصلاة الجمعة، فهو أفضل. ومن قائل: إنّ صلاة الجمعة في يوم الجمعة، وهو الأفضل بلا خلاف، حتى لو تركه قبل الصلاة، وجب عليه أن يغتسل، ما لم تقرب الشمس.

ولمّا قلنا: إنّ جمّع العبد على الحقّ، في هذا اليوم الزماني، كانت بنسبة هذا اليوم إلى جناب الحقّ، ما يدخل الأزل من التقديرات الزمانيّة فيه، بتعيين توجّهات الحقّ لإيجاد الكائنات، في الأزمان المختلفة، التي يصحبها القبل والبعد والآن (لله الأمر من قبل ومن بعد) فاعلم ذلك، فإنّه دقيق جدّا.

1 ق: طلب

2 ص 98

3 [الروم: 4]

فمن اغتسل لصلاة الجمعة، فقد جمع بين الغسل للحال والزمان. ومن اغتسل ليوم الجمعة بعد¹ الصلاة، فقد أفرد. وهو قدّخ في مسعى الجمعة. فالأظهر أنه مشروع في يوم الجمعة ولصلاة الجمعة، وهو الأَوْجَه. وما يُنفَد أن يكون مقصود الشارع به ذلك.

. . .

بَاب

غسل المستحاضة

وسيرد، ونبيّن فيه مذهبنَا.

وأما اعتباره: فالاستحاضة مرض، والعبد مأمور بتصحيح عبادته، لا يدخلها شيء من المرض. فهما اعتلّ في عبادةٍ ما من عباداته، تطهر من تلك العلة وأزالها، حتى يعبد الله عبداً خالصاً محضاً، لا تشوبه علةٌ ولا مرضٌ في عبادته ولا في عبودته.

. . .

بَاب

الاعتسال من الحيض

الحيض ركضةٌ شيطان، فيجب الاعتسال منه. قال تعالى - إِنَّهُ ﴿رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾² فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان، إذا نزلت به، ومَسَّهُ في باطنه. وتطهيرها بلمة الملك. والقصة البيضاء هي العلامة، أو من بعض العلامات على عناية الله بهذا القلب، حيث طرد عنه وأزال ركضة الشيطان. فيستعمل³ لمة الملك عند ذلك، وهو تطهير القلب. وإن كُنِيَ عن ذلك (أي عن اللَّمَتَيْنِ) بالإصبعين، وكلاهما رحمة، فإِنَّه أضافها إلى الرحمن. فلولا رَجَمَ الله عبده بتلك اللمة الشيطانية، ما حصل له ثواب مخالفته، بالتبديل في العدول عنه، إلى العمل بلمة الملك، فله أجران. فلهذا قلنا: إِنَّه أضافها إلى الاسم الرحمن.

فإذا أَرَاخه، جاهد نفسه أن لا يفعل ما أمّاله إليه، فجوزي أجزر المجاهد. فإن عمل وتاب إثر الفعل بعد مجاهدة، فساعد الشيطان عليه القدر السابق بالفعل، فوقع منه الفعل، ورأى أن ذلك من الشيطان، مؤمناً بذلك مصدقاً كما قال موسى عليه السلام إِنَّهُ ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾⁴ وتاب عقيب

1 ص 98

2 [المائدة : 90]

3 ص 99

4 [التقصص : 15]

وقوع الفعل. وأعني بالتوبة هنا، الندم. فإنه معظم أركان التوبة، وقد ورد أن «الندم توبة»- كان له أجر شهيد، لوقوع الفعل منه، والشهيد حتى ليس يميت.

وأي حياة أعظم أو أكمل من حياة القلوب مع الله، في أي فعل كان؟ فإن الحضور مع الإيمان، عند وقوع الخالفة، يرد ذلك العمل حيًا، بحياة الحضور؛ يستغفر له إلى يوم القيامة. فهذا من عناية الاسم الرحمن، الذي أضاف الإصبعين إليه. فالشيطان يسعى في تضعيف الخير للعبد، وهو لا يشعر. فإن الحرص أعماه، ويخور¹ الوبال وإثم تلك المعصية عليه. وهذا من مكر الله تعالى- إبليس.

فإنه لو علم أن الله يُسعدُ العبد² بتلك اللذة من الشيطان، سعادة خاصة، ما ألقى إليه شيئًا من ذلك. وهذا المكر الإلهي، الذي مكر الله به في حق إبليس، ما رأيت أحداً به عليه. ولولا علمي بإبليس، ومعرفتي بجعله، وحرصه على التحريض على الخالفة، ما نهيْتُ على هذا، لعلمي بأنه لولا هذا المانع، لاجتنب لذة الخالفة. فهذا هو الذي حملني على ذكرها، لأن الشيطان لا يقف عندها، لحجابه: بحرصه على شقاوة العبد، وجعله بأن الله يتوب على هذا العبد الخاص. فإن كل ممكور به، إنما يمكر الله به من حيث لا يشعر. وقد يشعر بذلك المكر، غير الممكور به.

باب

الاعتسال من المني الخارج على غير وجه اللذة

من قاتل بوجوبه، ومن قاتل: لا يجب عليه غسل، وبه أقول.

وصل: حكم الباطن فيه:

اعتبارُ الجنابة (هو) الغربة، والغربة لا تكون إلا بمفارقة الوطن. وموطن الإنسان عبوديته. فإذا فازق موطنه، ودخل في³ حدود الربوبية، فأنصف بوصف من أوصاف السيادة على أبناء موطنه، وأمثاله، ولم يجد لذة لذلك، فما وفي صفة السيادة حقًا. فإن الكامل؛ لأنه كماله لا تقارنها لذة أصلاً، والابتهاج الكمال لا يشبه ابتهاج، فلما لم يوف الصفة حقًا، تعين عليه الاعتسال؛ وهو الاعتراف بما قصر به، في حق تلك النصفة الإلهية. فمن هنا أوجب الغسل من أوجبه، على من خرج منه المني في اليقظة، من غير التذاذ. ومن رأى أن صفة الكمال التي تنبغي للواجب الوجود بنفسه، إذا أنصف بها العبد في غيبته، لم يكن لها حكم فيه، لأنه ليس بمحل لها، لم يوجب عليه غسلاً.

1 من 99 ب، يخور: برج
2 ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
3 ص 100

بَابُ

الاعتسَال من الماء يجده النائم إذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاماً
في مثل هذا بقي حكم قوله ﷺ: «إنما الماء من الماء» فهو مخصّص، ما هو منسوخ كما يراه بعضهم.

وصل: اعتباره في الباطن:

العارف يجد قبضاً أو بسطاً، في حالٍ من الأحوال، لا يعرف سببه. وهو¹ أمر خَطِرٌ عند أهل الطريق. فيعلم أنّ ذلك لفظة منه عن مراقبة قلبه في وارداته، وقلة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الأمر الذي أورثه تلك الصفة. فيتعيّن عليه التسليم لموارد القضاء، حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل.

فإذا عرفه وجب عليه الاعتسَال، بالحضور التام مع الحقّ، في علم المناسبات. حتى لا يجهل ما يرد عليه، من الحقّ من واردات التقديس، وما الاسم الذي جاءه بذلك؟ وما الاسم الذي جيء به من عنده؟ وما الاسم الإلهي الذي هو، في الحال، حاكمٌ عليه، وهو الذي استدعى ذلك الوارد؟ فهذه ثلاثة: الاسم المستدعي، والاسم المستدعى منه، والاسم الوارد به. فإنّ الحقّ، من حيث ذاته، لا سبيل لمناسبة تربطنا به، أو تربطه بنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾² فبأسائه تتعلّق، وبها نتخلّق، وبها نتحقّق، والله الموفق.

بَابُ

الاعتسَال من التقاء الحتّانين من غير إنزال

قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى الحتان الحتان فقد وجب الغسل». واختلف العلماء في هذه المسألة؛ فمن³ قائل بأنّه يجب الغسل من التقاء الحتّانين، ومن قائل بأنّه لا يجب الغسل من التقاء الحتّانين، وبه أقول.

وصل: الاعتبار في ذلك:

إذا جاوز العبد حدّه، ودخل في حدود الربوبية، وأدخل ربه في الحدّ معه، بما وصفه به، بما هو من صفات الممكنات، فقد وجب عليه الطهر من ذلك. فإنّ تزويج العبد، أن لا يخرج عن إمكانه، ولا يُدخِل

1 ص 100 ب

2 [الشورى : 11]

3 ص 101

النواجب لنفسه في إمكانه، فلا يقول: يجوز أن يفعل الله كذا، ويجوز أن لا يفعله. فإنّ ذلك يطلب¹ المرجح، والحقّ له الوجوب على الإطلاق. والذي ينبغي أن يقال: يجوز أن توجد الحركة من المتحرّك، ويجوز أن لا توجد، فتفتقر إلى المرجح. فإذا كان العالم بالله تعالى - بهذه المثابة، وجب عليه الاغتسال، وهو الطهر، من هذا العلم، بالعلم الذي لا يدخله تحت الجواز. وسترد هذه المسألة لمن شاء الله.

باب

الاغتسال من الجنابة على وجه اللذة

قد قررنا أنّ الجنابة هي الغربة، وهي هنا، غربة العبد عن موطنه² الذي يستحقّه، وليس إلّا العبوديّة. أو تغريب صفة ربّانية عن موطنها؛ فيتّصف بها، أو يصفّ بها ممكناً من الممكنات، فيجب الطهر في هذه المسألة بلا خلاف.

واعلم أنّ هذا الفصل الواحد المذكور في هذا الباب، يتفرّع منه مائة وخمسون حالاً، يجب الاغتسال على العبد في قلبه من كلّ حال منها. ونحن نذكر لك أعيانها كلّها لمن شاء الله - في عشرة فصول، كلّ فصل منها يتضمّن خمسة عشر - حالاً، لتعرف كيف تلقاها، إذا وردت على قلب العبد، لأنّه لا بدّ من ورودها على كلّ قلب، من العوأم والخصوص. والله المؤيّد والملمم، لا قوّة إلّا به، فمن ذلك:

الفصل الأوّل: الجبروت، والألوهيّة، والعزّة، والمهيمنة، والإيمان، والقيام، والشوق³، والولاء، والظلمة، والسّخر، وعموم الرحمة، وخصوصها، والسلامة، والطهارة، والمُلْك.

الفصل الثّاني: الكبرياء، والستر، والصورة، والخلق، والبراءة⁴، والإخلاص، والإقرار، والبراء، والنصيحة، والحبّ، والقهر، والهبة، والرزق، والفتوح، والعلم.

الفصل الثّالث: البسط، والتبض، والإعزاز، ورفع الدرج، وخفض الميزان، والشرك، والإنصاف، والطاعة، والرضا، والقناعة، والإذلال، والأصوات، والرؤية، والقضاء، والعدالة.

الفصل الرّابع: اللطف، والاختبار، ورفع الستور، والعظمة، والجلم، والشكر، والاعتلاء، والحافضة، والتقدير، والزيادة، والحدود، والهوى، والمنازعة، والولاية، والتخليك.

1 ثابتة في النامش ظم الأصل

2 ص 101 ب

3 رسمها في ق: والنسوق، مع ثلاث طاء تحت رؤوس السين.

4 ص 102

الفصل الخامس: الرُخْم، وإدخال السرور، والقطيعة، والحدّاع، والاستدراج، والحسبان، والجلالة،
وانكرم، والمراقبة، والإجابة، والانسّاع، والحكمة، والوداد¹، والبعث، والشرف.

الفصل السادس: الشهادة، والحقّ الخلق به، والوكالة، والقوّة، والصلابة في كلّ شيء، والنصرة، والثناء،
والإحصاء، والابتداء، والإعادة، والصدقة، والقول، والعفو، والأمر، والنهي.

الفصل السابع: الأخلاق، والمال، والجاء، والزيارة، والأيمان، والحياة، والموت، والإحياء، والقيوميّة،
والوجدان، والاستشراق، والوحدة، والصمداني، والقدرة، والاعتدار.

الفصل الثامن: التقديم، والتأخير، والدار الأولى، والآخرة، والاختفاء، وإشالة الحجب، والإحسان،
والرجوع، والانتقام، والصفح، والحجر، والنكاح، والرياء، والاختلاق، والبهت.

الفصل² التاسع: الرأفة، ومُلْك المُلْك، والكرامات، والآجال، والتعالّي، والمغالطة، والجمع، والاستغناء،
والتعذّي، والكفاية، والسخاء، والكذب، والتكذيب، والسياسة، والنواميس.

الفصل العاشر: المنع، والهداية، والانتفاع، والضرر، والنور، والابتداع، والبقاء، والتوارث، والرشد،
والإيناس، والأذى، والامتنان، والحماسة، والمقاومة، والجاسوس.

اعلم أيّمتنا الله وإيّاك بروح منه- أنّ جميع ما ذكرنا في هذه الفصول، وما تتضمّنه كلّ حالة منها بما لم نذكره مخافة التطويل يجب على الإنسان طهارة باطنه وقلبه منه، في مذهب أهل الله وخاصته من أهل الكشف، بلا خلاف بين أهل الأنواق في ذلك. ولكن يحتاج المتطهّر من أكثرها إلى علم غزير، في كيفيّة الطهارة بما ذكرنا، وقد يكون بعضها طهوراً لبعض.

ثمّ نرجع إلى مقصودنا من إيراد الأحكام المشروعة في هذه الطهارة، التي هي الاغتسال بالماء واعتباراتها، وأحكامها في الباطن. فأقول: قد ذكرنا في الوضوء على مَنْ تجب طهارته؟ ومتى يكون وجوبها؟ فلا نحتاج إلى ذكر ما تشترك فيه الطهارتان.

باب

التدلّك باليد في الغسل في جميع البدن

اختلف الناس من علماء الشريعة في التدلّك باليد في جميع الجسد، فمن قائل: إنّ ذلك شرط في كمال الطهارة، ومن قائل: ليس بشرط. وأمّا مذهبنا: فإيصال الماء إلى الجسد حتى يعمّه بأيّ شيء كان يمكن

1 ص 102 ب

2 ص 103

3 ص 103 ب

يصله.

وصل: حكم ذلك في الباطن:

الاستقصاء في طهارة الباطن، لما فيها من الحفاء الذي تضمره النفوس، من حبّ المحمدة عند الناس، بما يظهر عنها من الخير، فبأي وجه أمكن إزالة هذه الصفة، وكلّ مانع يمنع من عموم طهارة الباطن، فلم تحصل الطهارة.

باب

النّية في الفسل

اختلف¹ العلماء في شرط النّية في الفسل. فمن العلماء من اشترطها، وبه أقول. ومنهم من لم يشترطها.

وصل: اعتبارها في الباطن:

لا بدّ من شرطها في طهارة الباطن، فإنّها روح العمل وحياته. والنّية من عمل الباطن، فلا بدّ منها. وقد تقدّم الكلام عليها، في أوّل الباب ظاهراً وباطناً.

. . .

باب

المضمضة والاستنشاق في الفسل

اختلف العلماء، علماء الشريعة، في المضمضة والاستنشاق في الفسل. فمن قائل بوجوبها، ومن قائل بعدم وجوبها. والذي نذهب إليه في ذلك: أنّ الفسل لئما كان يتضمّن الوضوء، كان حكمها، من حيث أنّه متوضّئ في اغتساله، لا من حيث أنّه مفتسل. فإنّه ما ورد أنّ النبي ﷺ ما تمضمض ولا استنشق في غسله، إلّا في الوضوء فيه. وما رأيت أحداً² بته على مثل هذا في اختلافهم في ذلك.

فالحكم فيها عندي راجع إلى حكم الوضوء، والوضوء عندنا لا بدّ منه في الاغتسال من الجنابة. وعندنا في هذه المسألة نظر في حالتين: الحالة الواحدة فمن جامع ولم يترّل، فعليه³ وضوءان في اغتساله. فإن جامع وأنزل فعليه وضوء واحد. إلّا أنّ مذهبنا أنّ التقاء الحتّين دون إنزال لا يوجب الفسل، ويوجب الوضوء. وبه قال أبو سعيد الخدريّ وغيره من الصحابة والأعمش. وقد تقدّم الكلام في شرط الترتيب والنور في الوضوء واعتباره.

1 ص 104

2 ثابتة في الهامش

3 ص 104 ب

باب

في ناقض هذه الطهارة التي هي الغسل

فناقضها الجنابة والحيض والاستحاضة والتقاء الختانين. فالحيض بلا خلاف، وكذلك إنزال الماء على وجه اللذة في اليقظة بلا خلاف، وما عدا هذين بخلاف. فإن بعض الناس من المتقدمين لا يرى على المرأة غسلا إذا وجدت الماء من الاحتلام مع وجود اللذة.

باب

في إيجاب الطهر من الوطء

من قائل بوجوبه، أنزل أو لم ينزل، إذا التقى الختانان. ومن قائل بوجوبه مع إنزال الماء، وبه أقول. وينزل الماء من غير وطء، وبه قال جماعة من أهل الظاهر: إنه يجب الطهر من الإنزال فقط.

وصل: في اعتباره في الباطن:

الوطء¹ (هو) توجه المؤثر على المؤثر فيه، بضرب من الوهب. فلا يخلو المؤثر فيه أن يكون حاضرا عارفا، بخصوص ذلك المؤثر، من الأسماء الإلهية، فلا يجب عليه الطهر. أو لا يكون فيجب عليه الطهر. وقد يعطي ذلك المؤثر نومة القلب. ثم لا يخلو هذا الاسم الإلهي أن يؤثر، علم كون من الأكوان، أو علما يتعلق بالله. وعلى الحالتين؛ فإن رأى نفسه مؤطئا، ولم يأخذ بالله، كالصدقة تقع بيد الرحمن، وإن أخذها السائل، والله المعطي؛ فيكون سبحانه- المعطي والأخذ، فلا طهارة عليه في الباطن.

فإن بالحق تكون طهارة الأشياء. فإن غاب عن هذا الشهود، ورأى نفسه أنه هو الآخذ ما أنزله الله على قلبه من العلوم، وجبث عليه الطهارة من رؤية نفسه. وكذلك إذا وطئ غيره بمسألة يعلمه إياها بالحال أو بالقول؛ فإن كان عن حضور فلا طهارة عليه، فإنه ما زال على طهارته. وإن رأى نفسه في تعليمه غيره، بالحال أو بالقول، وجبث عليه الطهارة من رؤية نفسه، لابد من ذلك. فإن رجال الله في هذه الطريق: بالله يتحركون، وبه يسكنون، عن مشاهدة وكشف. وعامتهم عن حضور اعتقاد وإيمان، بما ورد، بأن الأمر بيده، وأن² نواصي عبادته وكل دأبه، بيده³.

1 ص 105

2 ص 105 ب

3 ثابت في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود الزنجاني غفر، وكتب ابن العربي".

باب

في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للاغتسال

اختلف العلماء في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للاغتسال. فمن قائل باعتبار اللذة، ومن قائل بنفس الخروج؛ سواء كان عن لذة أو بغير لذة.

وصل: الاعتبار في هذا الباب:

اللذة من الملتذ بها، إما أن تكون نفسية، أو إلهية. فإن كانت نفسية طبيعية، فقد وجب الغسل. وإن كانت غير نفسية، فلا يخلو ذلك العلم، الذي هو بمنزلة الجنابة، إما أن يتعلق بالله، أو يتعلق بكون من الأكوان: فإن تعلق بالله، ولذته غير نفسية، فلا ظهر عليه. وإن تعلق بالأكوان، فعليه الطهر، سواء التذ أو لم يلتذ.

ومعنى قولنا: اللذة الإلهية؛ أعني لذة الكمال، لا لذة الوارد. ولذة الكمال في العبد: أن يكون عبدا محضا، لا يتصف بالغربة، عن موطنه في باطنه. ولو خلع عليه الحق، من صفات السيادة، ما شاء من حضرته، لا يخرج ذلك عن¹ موطنه. وإذا كان كذلك، فما هو ذو جنابة، إذ لا غربة عنده، فإنه ما برح في موطنه، وهو غاية الكمال. والظهار معرفة للنقص.

. . .

باب

في دخول الجنب المسجد

فمن قائل بالمنع بإطلاق، ومن قائل بالمنع إلا لعابر فيه غير مقيم، ومن قائل بإباحة ذلك للجميع، وبه أقول.

وصل: الاعتبار في ذلك:

العارف من كونه عارفا، لا يبرح عند الله دائما. في الحديث: «جعلت لي الأرض كلها مسجدا». ولا ينفك الجنب، أن يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض، فهو في المسجد العام المشروع، الذي لا يمتنع بشروط المساجد المعلومة بالعرف.

ثم إن العارف، بل العالم كله، علوه وسفله، لا تصح في حاله، الإقامة. فهو عابر أبدا مع الأنفاس.

فالعلماء بالله يشاهدون هذا العبور، وغير العلماء بالله يتخيلون أنهم مقيمون، والوجود على خلاف ذلك. فإنَّ الإله الموجد في كلِّ نفس، مُوجِدٌ يفعل: فلا يعطّل نفساً واحداً تتَّصف منه بالإقامة، كما قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾¹ وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ ثَقَلَانٍ﴾³ وقال: «بيده الميزان يخفض ويرفع».

ومن قال بالمنع من ذلك غلبَ عليه رؤية نفسه، أنّه ليس بمحلٍّ طاهر. حيث لم يتخلّق بالأسماء الإلهيّة، ولو تخلّق بها، ولم يَفْنِ عن تخلّقه عنده، فما تخلّق بها. وعندنا: أنّ المتخلّق بالأسماء، ممّا فني عن تخلّقه بها، فليس بمخلّق. فإنَّ المعنى بكونه متخلّفاً بها، أي تقوم به، كما يقوم الخُلُوق بالمخلّق به. وقد يخلّقه غيره، فيكون عند ذلك مُخلّفاً بالأخلاق الإلهيّة. وذلك أنّ العبد مأمور، والحق لا يأمر نفسه. فالتخلّق امتثالٌ أمر الله بقوة الله وعونه.

فمن الأدب أن يرى المتخلّق، كونه متخلّفاً مكلفاً، وإن كان الحقُّ سمعه وبصره. أليس الحقُّ قد أثبت عينَ عبده بالضمير، في سمعه وبصره؟ فأين يذهب هذا العبد، والعين موجودة؟ وغايته أن يكون صورة، في هيواليّ الوجود المطلق، مقيدة، وليس له بعد هذا مرتبة إلاّ العدم، والعدم لا يقبل الصورة؛ فافهم.

انتهى الجزء الثالث والثلاثون، يتلوه الجزء الرابع والثلاثون.

1 | الرحمن : 29 |

2 | ص 106 ب |

3 | الرحمن : 31 |

الجزء الرابع والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

مسّ الجنب المصحف

اختلف علماء الشريعة في مسّ الجنب المصحف؛ فذهب قوم إلى إجازة مسّ الجنب المصحف، ومنع قوم من ذلك.

وصل: في اعتبار ذلك:

العالم كله كلمات الله في الوجود، قال الله تعالى- في حق عيسى- **﴿وَكَلَّمْنَاهُ آثَارًا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾**³ وقال تعالى: **﴿مَّا نَقَّذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾**⁴ وقال تعالى: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**⁵ والكلم جمع كلمة، ويقول تعالى- للشيء إذا أراد: **﴿كُنْ﴾** فيكسو ذلك الشيء التكوين، **﴿فَيَكُونُ﴾**. فالوجود كله **﴿زَقٌّ مَنْشُورٌ﴾**⁶، والعالم فيه كتابٌ مَنْشُورٌ، بل هو مرقوم: لأن له وجهين: وجه يطلب العلو والأسماء الإلهية، ووجه يطلب السفلى، وهو الطبيعة. فلهذا رجحنا اسم المرقوم على المسطور. فكل وجه من المرقوم مسطورٌ، وفي ذلك أقول:

إِنَّ الْكَيَانَ عَجِيبٌ فِي ثَقَلِهِ	فِيهِ لِنَاطِرِهِ نَقْشٌ وَتَجْوِيرٌ
أَنْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى مَا فِيهِ مِنْ بَدَعٍ	إِذْ كُلُّ وَجْهِ مِنَ الْمَرْقُومِ مَنْشُورٌ
إِنَّ الْوُجُودَ لَيْسَ خَازِنًا لِنَاطِرِهِ	الْكُونُ مَرْقُومٌ وَالرُّؤْيُ مَنْشُورٌ

فالأمر كما قلنا "زَقٌّ مَنْشُورٌ" والأعيان فيه "كتابٌ مَنْشُورٌ"؛ فهو كلمات الله التي لا تنفذ. فبيته معمور، وسقفه مرفوع، وخزمه بمنوع، وأمره مسموع. فأين يذهب هذا العبد، وهو من جملة حروف هذا المصحف؟ **﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَذْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَذْعُونَ فَيُنْكَشِفُ مَا تَذْعُونَ﴾**⁷ هل تدعون

1 العنوان ص 107ب، وهنا ص 107 يضاء

2 البسلة ص 108

3 [النساء : 171]

4. [آل عمران : 27]

5 [فاطر : 10]

6 [الطور : 3]

7 ص 108ب

8 [الأعام : 40، 41]

الشريك لعينه؟ لا والله، بلّا لكونه في اعتقادكم إلها. فالله دعوتهم، لا تلك الصورة. ولهذا أُجيب دعاؤكم، والصورة لا تضر ولا تنفع.

أنظر في قوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾¹ فإن سَمُّوهم بهم فهم عينهم. فلا يقولون في معبودهم حجر ولا شجر ولا كوكب ينحته بيده ثم يعبد. فما (خالفني) عبد جوهرة. والصورة من عمله. وإن سَمُّوهم بالإله، عرفت أنّ الإله عبدوا². هذا تحقيق الأمر في نفسه. وقد أشارت الآية الواردة في القرآن إلى ما ذهبنا إليه، بقوله - تعالى -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾³ فهو عندنا بمعنى حكم. وعند من لا علم له من علماء الرسوم بالحقائق، بمعنى أَمَرَ. وبين المعنيين في التحقيق بورّ بعيد.

وفي قول محمد ﷺ معلماً لنا: «أعبد الله كأنك تراه» وفي حديث جبريل معه ﷺ حين سأله عن الإحسان، بحضور جماعة من الصحابة: ما هو؟ فقال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه» فجاء بـ"كأن" وقد علمت أنّ الخيال خزائن المحسوسات، وأن الحق ليس بمحسوس لنا، وما نقبل منه إلّا وجوده، فجاء بـ"كأن" لندخله تحت قوة البصر، فنلحقه بالوهم بالمحسوسات، ففترنا من هؤلاء الذين عبدوه فيما نختوه.

فتدبر ما أشرنا إليه! فإنّ الأمر لا يكون إلّا كما قرره الشارع. فقرر في موضع، ما أنكره في موضع آخر. فالعالم منا (ينبغي) أن يقر ما قرره الحق، في الموضع الذي قرره الحق. ولينكر ما أنكره الحق، في الموضع الذي أنكره الحق، فما تم إلّا الإيمان الصرف. فلا تأخذ من سلطان عقلك⁴، إلّا القبول. فانظر ما أشرف حرف التمثيل الذي هو "كأن".

فإِنَّهُ خَبَرَ عَنْهَا مَعَ الْخَبَرِ	"كأن" سلطانها، فانظر له خبراً
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ فِي النَّظَرِ	"كأن" خزف له في الكون سلطنة
وَلَا يَقَاوِمُهُ خَلْقٌ مِنَ الْبَشَرِ	هو الإمام الذي فيه نُصْرُهُ

ولا شك أنّ أهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي على كلام الله، كما أنّ القلب قد وسع الحق ﷻ، حين ضاق عنه السماء والأرض. فكما أمرنا بتنزيه القلب، عن أن يكون فيه دُنس من دخول الأغيار فيه، ورأينا أنّ المصحف قد حوى على كلام الله، وهو صفته والصفة لا تفارق الموصوف - فمن نزه الصفة نزه الموصوف. ومن راعى الدليل على أمر ما، فقد راعى المدلول، الذي هو ذلك الأمر. فعلى

1 [الرعد : 33]

2 ص 109

3 [الإسراء : 23]

4 ص 109 ب

كلا المذهبين ينبغي أن يترّاه المصحف أن يمسه جُنُب.

وقد نُهينا أن نساfer بالقرآن إلى أرض العدو، فسقى المصحف قرآنا لظهوره فيه. وما¹ نهى حملة القرآن عن السفر إلى أرض العدو، وإن كان القرآن في أجوافهم محفوظا، مثل ما هو في المصحف، وذلك لبطونه فيهم. ألا ترى النبي ﷺ كان لا يحجزه شيء عن قراءة القرآن، ليس الجنابة، لظهور القرآن عند القراءة بالحروف التي يُنطق بها التي أخبرنا الحق أنها كلامه تعالى-. فقال لنبته ﷺ: ﴿فَأَجِزْهُ حَتَّى يَنْسَعِ كَلَامُ اللَّهِ﴾² فتلاه عليه رسول الله ﷺ.

فلا ينبغي للجُنُب، وهو الغريب عما يستحقّه الحق، فإنّ البعد بالحقائق والحدود، ما يكون فيه قرب أبدا. وبعد المسافة قد يقرب صاحبها من صاحبه الذي يريد قربه. فكما لا يكون الربُّ عبدا، كذلك لا يكون العبد ربّا؛ لأنّه لنفسه هو عبد³، كما أنّ الربّ لذاته هو ربّ. فلا يتصف العبد بشيء من صفات الحق، بالمعنى الذي اتصف بها الحق. ولا الحق يتصف بما هو حقيقة للعبد. فالجُنُب لا يمَسّ المصحف أبدا بهذا الاعتبار، ولا ينبغي أن يقرأه في هذه الحال.

وينبغي للعبد أن لا تظهر عليه إلا العبادة الهضبة، فإنّه جُنُب كلّها، فلا يمَسّ المصحف. فإن تخلق، حينئذ تكون يد الحق تمسّ المصحف، فإنّه قال عن نفسه في⁴ العبد إذا أحبه أنّه يده التي يبطش بها. فانظر في هذا القرب المفرط، وهذا الاتجاه: أين هو من بُعد الحقائق؟ والله، ما عرف الله إلا الله. فلا تتعب نفسك بما صاحب النظر - ودُر مع الحق كيف دار، وخذ منه ما يعرفك به من نفسه، ولا تقيس، فتفتلس. لا؛ بل تبتنس. وتعلم أنّ يد الحق طاهرة على أصلها، مقدّسة كطهارة الماء المستعمل في العبادة. فتنبّه لما عزّفتك به في هذا الفصل.

. . .

باب

قراءة القرآن للمجُنُب

اختلف علماء الشريعة في ذلك. فمن الناس من منع قراءة القرآن للمجُنُب، بحدّ وبغير حدّ. ومن الناس من أجاز ذلك. وأما الوارث عندي؛ فلا يقرأ القرآن جنبا، اقتداء بمن ورّثه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

1 ص 110

2 [التوبة : 6]

3 ق: عبدا

4 ص 110 ب

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ¹ و«لم يكن يحجزه (ص) عن قراءة القرآن شيء ليس الجنب» ولكن الغالب عندي من قرينة الحال، أنه كره أن يذكر الله تالياً، إلا على طهارة كاملة. فإنه تيمّم لردّ السلام، وقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر²» أو قال: «على طهارة». ومن الناس من أجاز للجنب قراءة القرآن، بحدّ وبغير حدّ، وبه أقول؛ بغير حدّ أيضاً. ولكن أكرهه اقتداء برسول الله ﷺ.

وصل: الاعتبار في ذلك:

المقتدي بأفعال رسول الله ﷺ يمنع من قراءة القرآن في الجنب بغير حدّ. وقد أعلمناك أنّ الجنب في الغربة، والغربة نزوح الشخص عن موطنه الذي ربي فيه ووُلد فيه. فمن اغترب عن موطنه، حرم عليه الاختصاص بالأسماء الإلهية، في حال غربته. قال تعالى: ﴿ذُئِذْ إِنَّكَ أَنتَ الْفَرِيقُ الْكَرِيمُ﴾³ كما كان عند نفسه في زعمه، فإنه تقرب عن موطنه، فهو صاحب دعوى.

والذي أقول في هذه المسألة لأهل التحقيق: إنّ القرآن ما سمي قرآناً إلا لحقيقة الجمعية التي فيه، فإنه يجمع ما أخبر الحقّ به عن نفسه، وما أخبر به عن مخلوقاته وعباده، بما حكاه عنهم. فلا يخلو هذا الجنب في تلاوته، إذا أراد أن يتلو، إما أن ينظر ويخضّر في أنّ الحقّ يترجم لنا بكلامه ما قال عباده. أو ينظر فيه من حيث المترجم عنه؛ فإن نظر من حيث المترجم عنه؛ فيتلو؛ وبالأول فلا يتلو حتى يتطهر في باطنه. وصورة طهارة باطنه، أن يكون الحقّ لسانه الذي يتكلم به، كما كان الحقّ يده في مسّ المصحف، فيكون الحقّ إذ ذاك، هو يتلو كلامه، لا العبد الجنب.

ثمّ إنّه للمعارف، فيما يتلوه الحقّ عليه، من صفات ذاته، بما لا يخبر به عن أحد من خلقه، ومن كونه كَلِمَ عبده بهذا القرآن. فليس المقصود من ذلك التعريف إلا قبوله؛ وقبوله لا يكون إلا بالقلب. فإذا قبله الإيمان، لم يمتنع من التلفظ به. فإنّ القرآن في حقّنا نزل. ولهذا هو مُخَدَّثُ الْإِنْيَانِ والنزول، قديم من كونه صفة المتكلم به، وهو الله.

وإنما قول من قال عن رسول الله ﷺ: «إنّه لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنب» فما هو قول رسول الله ﷺ وإنما هو قول الراوي. وما هو معه في كلّ أحيانه. فالحاصل منه أن يقول: ما سمعته يقرأ القرآن في حال جنابته. أي ما جهر به. ولا يلزم قارئ القرآن الجهر به، إلا فيما شرع الجهر به: كتلقين

1 | الأحزاب : 21

2 | ص 111

3 | الدخان : 49

4 | ص 111 ب

المتعلم، وكسلاة الجهر. والنهي ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في ذلك، وما ورد. والخير لا يمنع منه.

باب¹

الحكم في الدماء

اعلم أنَّ الدماء ثلاثة: دم حيض، ودم استحاضة، ودم نفاس. وهذه كلها مخصوصة بالمرأة، لا حكم للرجل فيها. فليكن الاعتبار في ذلك للنفس؛ فإنَّ الغالب عليها التأنيث. فإنَّ الله قال فيها: "النفس اللوامة" و"المطمئنة" فأتتها. ولا حظَّ للقلب في هذه الدماء، ولا للروح.

فنقول: إنَّ أهل الطريق من المتقدمين، وجماعة من غيرهم ممن اشترك مع أهل الله في الرياضات والمجاهدات من العقلاء، قد أجمعوا على أنَّ الكذب؛ حيضُ النفوس. فليكن الصدق، على هذا، طهارة النفس من هذا الحيض.

فدم الحيض: ما خرج على وجه الصحة، ودم الاستحاضة: ما خرج على وجه المرض، فإنَّه خرج لعلَّة. ولهذا حُكِّمَ ولهذا حُكِّمَ. فاعتباره أنَّ حيض النفس، وهو الكذب، وهو كما قلنا: دم يخرج على وجه الصحة، فهو الكذب على الله الذي يقول الله -تعالى- فيه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾² وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» فقلوه: «متعمدا» هو³ خروجه على وجه الصحة.

وأما صاحب الشبهة فلا. فهذا يكذب، ويعرف أنه يكذب. وصاحب الشبهة يقول إنه صادق عند نفسه، وهو كاذب في نفس الأمر.

وأما اعتبار دم الاستحاضة فهو الكذب لعلَّة- فلا يمنع من الصلاة، ولا من الوطء. وهذا يدلُّك على أنه ليس بأذى، فإنَّ الحيض هو أذى. فيتأذى الرجل بالنكاح في دم الحيض، ولا يتأذى به في دم الاستحاضة، وإن كان عن مرض. فإنَّ هذا الكذب، وإن كان يدلُّ على الباطل وهو العدم- فإنَّ له رتبة في الوجود، وهو التلقظ به. وكان المراد به دفع مضرة عما ينبغي دفعها بذلك الكذب، أو استجلاب منفعة مشروعة، مما ينبغي أن يظهر مثل هذا فيها وسببها. فيكون قرينة إلى الله، حتى لو صدق في هذا الموطن، كان بعدا عن الله. ألا ترى المستحاضة لا تمتنع من الصلاة، مع سيلان دمها؟.

وأما دم النفاس؛ فهو عين دم الحيض. فإذا زاد على قدر زمان الحيض، أو خرج عن تلك الصفة التي

1 ص 112

2 [الأقسام : 93]

3 ص 112 ب

لدم الحيض، خرج عن حكم الحيض. والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس، فإن الله ما منعه في الرحم ثم أرسله، إلا ليزلق به سبيل خروج الولد رفقا بأمه، فيسهل على المرأة خروج الولد. وخروج الولد هو النشء الطاهر الخارج على فطرة الله والإقرار بربوبيته التي كانت له في قبض النزع. فكان لدم النفاس بهذا القصد خصوص وظيف، كالعين لبقاء ذكر الله، بإبقاء الذكر من جهة وصف خاص. ولدم النفاس زمان ومدة في الشرع، كما لدم الحيض. وذم الاستحاضة ما له مدة يوقف عندها.

. . .

بَاب

في أكثر أيام الحيض، وأقلها، وأقل أيام الطهر

اختلف العلماء في هذا. فمن قائل: أكثر أيام الحيض خمسة عشر يوما، ومن قائل: أكثره عشرة أيام، ومن قائل: أكثر أيام الحيض سبعة عشر يوما. وأما أقل أيام الحيض؛ فمن قائل: لا حد له في الأيام، وبه أقول؛ فإن أقل الحيض عندنا دفعة. ومن قائل: أقله يوم وليلة، ومن قائل: أقله ثلاثة أيام. وأما أقل أيام الطهر؛ فمن قائل: عشرة أيام، ومن قائل: ثمانية أيام، ومن قائل: خمسة عشر، ومن قائل: سبعة² عشر، ومن قائل: ساعة، وبه أقول. ولا حد لأكثره.

وصل: اعتبار هذا الباب:

زمان كذب النفس النية؛ فيمتد بامتداد ما توثقه، حتى يطهر بالتوبة من ذلك. فلا حد لأكثره ولا لأقله. وكذلك زمان الطهر لا حد له جملة واحدة. فإنه لا حد للصدق، غير أنه تحكم عليه المواطن الشرعية بالحمد والذم، وأصله الحمد. كما أن الكذب تحكم عليه المواطن بالحمد والذم، وأصله الذم. فالواجب عليه أن يصدق دائما، إلا أن يحكم الحال. والواجب عليه ترك الكذب دائما، إلا أن يحكم عليه حال ما، وهو الكذب للعلّة. فأنشبه دم الاستحاضة.

. . .

بَاب

في دم النفاس؛ في أقله وأكثره

اختلف العلماء في هذه المسألة. فمن قائل: لا حد لأقله، وبه أقول. ومن قائل: حدّه خمسة وعشرون

1 ص 113

2 ص 113 ب

يوماً، ومن قائل: حُدَّ أحد عشر يوماً، ومن قائل: عشرون يوماً. وأما أكثر زمانه؛ فمن قائل: ستون يوماً، ومن قائل: سبعة عشر¹ يوماً، ومن قائل: أربعون يوماً، ومن قائل: للمذكر ثلاثون يوماً، وللأنثى أربعون يوماً. والأولى أن يرجع في ذلك إلى أحوال النساء، فإنه ما ثبت فيه ستة يرجع إليها.

وصل: اعتباره في الباطن:

لا حد للنية من الزمان - كما قلنا - في اعتبار دم الحيض، فإن دم الحيض هو عين دم النفاس وقد اعتبرناه، فإن النبي ﷺ قال للحائض: «أَنَسْتِ؟» بهذا اللفظ.

باب

في الدم تراه الحامل

اختلف فيه؛ هل هو دم حيض، أو هو دم استحاضة؟. وحكم كل قائل فيه بحكم ما ذهب إليه.

وصل: اعتبار حكمه في الباطن:

الحامل صفة النفس، إذا امتلأت بالأمر الذي تجده، فتبديه على غير وجهه، وهو الكذب. وقد يكون ذلك عن عادة اعتادها، كما قال بعضهم:

لا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَائِهِ أَوْ غَاذَةِ الشَّوْءِ أَوْ مِنْ قَلَةِ الْأَدَبِ

أما² قوله: "من محامته" فإن الملوك لا تكذب، وقوله: "من قلة الأدب" لما جاء في الخبر: «أن الشخص إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من ثمن ما جاء به» فالكاذب فيما لم يجوز له الكذب فيه، أساء الأدب مع الملك، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. والإنسان يتأذى بالثمن، كذلك الملك، لقرب الشبه بين نشء الملك ونشء روح الإنسان.

. . .

باب

في الصفرة والكثرة؛ هل هي حيض أم ليست بحيض؟

اختلف العلماء في الصفرة والكثرة، هل هي حيض أم لا؟ فمن قائل: إنها حيض في أيام الحيض، ومن قائل: لا تكون حيضاً إلا بإثر الدم. ومن قائل: ليست حيضاً، وبه أقول.

1 ص 114

2 ص 114 ب

وصل: اعتباره في الباطن:

الكذب بشبهة ليس صاحبه ممن تعمّد الكذب، والأوّل تركه إذا عرف أنّ ذلك شبهة. فإنّها ما سمّيت شبهة إلاّ لكونها تُشبه الحقّ من وجه، وتُشبه الباطل من وجه. فالأوّل ترك مثل هذا، إلاّ أن يقترن معها دفع مضرة، أو حصول منفعة دينيّة، أو دنيويّة. بخلاف¹ الكذب المحض، الذي هو لعينه، وهذا لا يقع فيه عاقل أصلاً. وأمّا الكذب الذي هو بمنزلة دم الاستحاضة، يُعتبر فيه صلاح الدين لصلاح الدنيا.

باب

فما يمنع دم الحيض في زمانه

اعلم أنّ الحيض في زمانه، يمنع من الصلاة والصيام والوطاء والطواف.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

الكذب في المناجاة؛ وهو أن تكون في الصلاة بظاهرك، وتكون مع غير الله في باطنك، من محرم وغيره. اعتباره في الصوم؛ فالصوم هو الإمساك، وأنت ما مسكت نفسك عن الكذب، كالحائض لا تمسك عن الأكل والشرب، وهو الكذب الواجب إتيانه شرعاً، وهو محمود. واعتباره في الطواف بالبيت، وهو المشبّه بأفضل الأشكال، وهو الدور؛ فهو كذب إلى غير نهاية، فهو الإصرار على الكذب.

واعتباره في الجماع؛ أمّا الجماع، فقصد المؤمن به كون الولد². والمقدمات إذا كانت كاذبة، خرجت النتيجة عن أصل فاسد، وقد تصدّق النتيجة. وقد تكون مثل مقدماتها. فالأذى يعود على فاعل الجماع؛ يقول في زمان الكذب: لا تخضر الله تعالى - بخاطرك، فإنه سوء أدب مع الله، وقلة حياء منه، وجراءة عليه. وكيف ينبغي للعبد أن يجراً على سيّده، ولا يستحي منه مع علمه وتحقّقه أنّه يراه، قال تعالى: - هو ألنم يعلم بأنّ الله يرى³.

1 ص 115

2 ص 115 ب

3 [العلق : 14]

باب في مباشرة الحائض

اختلف العلماء في صورة مباشرة الحائض؛ فقال قوم: يستباح من الحائض ما فوق الإزار، وقال قوم: لا يجتنب من الحائض إلا موضع الدم خاصة، وبه أقول.

وصل: اعتباره في الباطن:

قلنا: إنَّ الحيض كذبُ النفوس، قيل لرسول الله ﷺ: «أيزني المؤمن؟ قال: نعم. قيل: أيشرب المؤمن؟ قال: نعم. قيل: أيسرق المؤمن؟ قال: نعم. قيل له: أيكذب المؤمن؟ قال: لا» فإذا رأيت نفسك نفساً أخرى تفعل ما لا ينبغي، فأكد أن يجتنب من أفعالها، الكذب على الله وعلى رسوله و«الرائع حول»¹ الحمى يوشك أن يقع فيه».

ومن عود نفسه الكذب على الناس، يستدرجه الطبع حتى يكذب على الله، فإنَّ الطبع يسرقه، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْوَيْتِينَ² فَمَنْ عِبَادَهُ أَشَدَّ الْوَعِيدِ إِذَا هُمْ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ. وَهَذَا الْحَكْمُ سَارٍ فِي كُلِّ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ. وَقَدْ وَرَدَ فَمَنْ يَكْذِبُ فِي حُلُمِهِ، أَنَّهُ «يَكْلَفُ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ مِنْ نَارٍ»، لمناسبة ما جاء به من تأليف ما لا يصح اختلافه، فلم يأتلف في نفس الأمر. وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبداً.

وهذا تكليف ما لا يطاق. فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله، لا بغير ذلك.

. . .

باب

وطه الحائض قبل الاغتسال وبعد الطهر الحق

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ³﴾ جسكون الطاء وضمَّ الهاء مخففاً. وقرئ بفتح الطاء والهاء مشدداً. فمن قائل بجوازِهِ، على قراءة مَنْ خَفَفَ. ومن قائل بعدم جوازِهِ، على قراءة مَنْ شَدَّدَ، وهو محتمل. وبالأوَّل أقول. ومن قائل: إنَّ ذلك جائز إذا طهرت لأكثر أمد⁴ الحيض في مذهبه. ومن قائل: إنَّ ذلك جائز إذا غسلت فرجها بالماء، وبه أقول أيضاً.

1 ص 116

2 [الحاقة: 44 - 46]

3 [البقرة: 222]

4 ص 116 ب

وصل: اعتباره في الباطن:

ما يلقى المعلم من العلم في نفس المتعلم، إذا كان حديث عهد، بصفة الدعوى الكاذبة، لرعونة نفسه، فله أن يلقي إليه، من العلم المتعلق بالتكوين، ما يؤذيه إلى استعمال غسل واحد فرد بينيتين، فيكون له الأجر مرتين. وإن لم يتب من تلك الدعوى، إلا أنه غير قاتل بها في الحال، فهو طاهر المحل بالفيلة في ذلك الوقت. فإن خطر له خاطر الرجوع عن تلك الدعوى، فهو بمنزلة المرأة تغسل فرجها، بعد رؤية الطهر، وإن لم تغتسل. فإن تاب من الدعوى، بالعمل بذلك الخاطر، كان كالاغتسال للمرأة بعد الطهر.

. . .

باب

من أتى امرأته وهي حائض؛ هل يكفر

من قاتل: لا كفارة عليه، وبه أقول. ومن قاتل: عليه الكفارة.

وصل: اعتباره في الباطن:

العالم يعطي الحكمة غير أهلها، فلا شك أنه قد ظلمها. فمن رأى¹ أن لهذا الفعل كفارة، فكفارته أن ينظر من فيه أهلية لعلم من العلوم النافعة عند الله الدينية - وهو متعطلش لذلك - فيبادر من نفسه إلى تعليمه، وتبريد غلة عطشه؛ فيضع الحكمة² في محلها وعند أهلها. فيكون ذلك كفارة لما فرط في الأول. ومن لم ير لذلك كفارة، قال: يتوب ويستغفر الله، وليس عليه طلب تعليم غيره، على جهة الكفارة.

. . .

باب

حكم طهارة المستحاضة

اختلف علماء الشريعة في طهر المستحاضة؛ ما حكمها؟ فمن قاتل: ليس عليها سبوى طهر واحد، إذا عرفت أن حبضتها انقضت، ولا شيء عليها: لا وضوء ولا غسل، وحكمها حكم غير المستحاضة، وبه أقول. وقسم آخر من يقول: إنه ما عليها سبوى طهر واحد؛ إن عليها الوضوء لكل صلاة، وهو أحوط. ومن قاتل: إنها تغتسل لكل صلاة. ومن قاتل: إنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

في مذهبنا أنه ليس على المستحاضة، من كونها مستحاضة، طهر¹. كذلك النفس إذا كذبت لمصلحة مشروعة أوجب الشرع عليها فيها الكذب، أو أباحه. لا بل يكون غصيا إن صدق في تلك الحالة. فلا توبة عليها من تلك الكذبة. فكما أن دم الاستحاضة ليس عين دم الحيض، وإن اشتركا في الدِّمَّة والحل، كذلك الكذب المشروع بإباحته، الحلال ليس عين الكذب المحرم وقوعه منه، وإن اشتركا في كونه كذبا، وهو الإخبار بما ليس الأمر عليه في نفسه.

فمن رأى التوبة من كون إطلاق اسم الكذب عليه بالحقيقة، وإن كان مباحا أو واجبا، كجيب العجمي، في حديثه مع الحسن البصري لَمَّا طلبه الحجاج للمقتل، والحكاية مشهورة، قال بالتوبة منه، كما قال بغسل المستحاضة للاشتراك في اسم الحيض، فإنَّ الاستحاضة استفعال من الحيض.

* * *

باب

في وطء المستحاضة

اختلف علماء الشريعة فيه على ثلاثة أقوال: قولٌ بجوازه، وبه أقول. وقولٌ بعدم جوازه. وقولٌ بعدم جوازه، إلا أن يطول ذلك بها.

وصل: اعتباره في الباطن:

لا² يمتنع تعليم من تعلم منه أنه لا يكذب إلا لسبب مشروع، وعلة مشروعة. فإنَّ ذلك لا يقدح في عدالته، بل هو نص في عدالته. وقد وقع مثل هذا من الأكابر الكمل من الرجال.

* * *

أبواب التيمم

التيمم (هو) القصد إلى الأرض الطيبة، كان ذلك الأرض ما كان، مما يستقى أرضا: ترابا كان أو رملا أو حجرا أو زرينخا. فإن فازق الأرض شيئا من هذا كله وأمثاله، لم يجز التيمم بما فازق الأرض من ذلك، إلا التراب خاصة، لورود النص فيه وفي الأرض، سواء فازق الأرض أو لم يفارق.

وصل: اعتباره في الباطن:

1 ص 117 ب

2 ص 118

القصد إلى الأرض من كونها ذلولا، وهو القصد إلى العبودية مطلقا: لأن العبودية هي الذلة، والعبادة منها. فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه، من الذلة والافتقار، والوقوف عند مراسم سيده وحدوده، وامتنال أوامره. فإن فارق النظر من كونه أرضا، فلا يتيمم إلا بالتراب من ذلك، لأنه من ترابٍ خُلِقَ¹ مَنْ نحن أبناءه، وبما بقي فيه من الفقر والفاقة من قول العرب: "تَرِيثُ يَدُ الرَّجُلِ" إذا افتقر.

ثم إن التراب أسفل العناصر. فوقوف العبد مع حقيقته، من حيث نشأته؛ طهوره من كلِّ حدث يخرج من هذا المقام. وهذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء، والماء العلم. فإن بالعلم حياة القلوب، كما بالماء حياة الأرض. فكانت حالة المقلد في العلم بالله. والمقلد عندنا في العلم بالله، هو الذي قلّد عقله في نظره في معرفته بالله، من حيث الفكر. فكما أنه إذا وجد المتيمم الماء، أو قدر على استعماله، بطل التيمم. كذلك إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهي، بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسألة. ولا سيما إذا لم يوافقه في دليله، كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع. فهو ذو شرع وعقل معا، في هذه المسألة، فاعلم ذلك.

. . .

باب كون التيمم بدلا من الوضوء بالطاق، ومن الكبرى بخلاف

اتفق العلماء بالشرعية، أن التيمم بدل من الطهارة الصغرى. (واختلفوا) في² الكبرى. ونحن لا نقول فيها: "إنها بدل من شيء"، وإنما قول: "إنها طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع"، فإنه ما ورد شرع من النبي ﷺ ولا من الكتاب العزيز، أن التيمم بدل. فلا فرق بين التيمم، وبين كل طهارة مشروعة. وإنما قلنا: "مشروعة"، لأنها ليست بطهارة لغوية. وسيأتي التفصيل في فصول هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

فمن قائل: إن هذه الطهارة -عني طهارة التراب- بدل من الكبرى. ومن قائل: إنها لا تكون بدلا من الكبرى، وإنما نسب لفظة الصغرى والكبرى للطهارة؛ لعموم الطهارة في الاغتسال لجميع البدن، وخصوصها ببعض الأعضاء في الوضوء. فالحدث الأصغر، هو الموجب للوضوء. والحدث الأكبر هو كل حدث يوجب الاغتسال.

وصل: اعتباره في الباطن:

1 ص 118 ب

2 ص 119

إِنَّ كُلَّ حَدَثٍ يَقْدَحُ فِي الْإِيمَانِ يَجِبُ مِنْهُ الْإِغْتِسَالُ بِالْمَاءِ؛ الَّذِي هُوَ تَجْدِيدُ الْإِيمَانِ بِالْعِلْمِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ فِي الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، فَيُؤْمِنُ عَنْ دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ. فَهُوَ كَوَاجِدِ الْمَاءِ الْقَادِرِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ فِي الْأَدَلَّةِ، وَكَانَ ¹ مَقْلَبًا؛ لَزِمَتْهُ الطَّهَارَةُ بِالْإِيمَانِ، مِنْ ذَلِكَ الْحَدَثِ، الَّذِي أزال عَنْهُ الْإِيمَانُ، بِالسَّيْفِ أَوْ حَسَنِ الظَّنِّ. فَهُوَ الْمُتَيَّمُّ بِالتُّرَابِ عِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ، أَوْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ.

وهذا على مذهب من يرى أَنَّ التَّيْمَ بَدَلَ إِضًا مِنَ الطَّهَارَةِ الْكُبْرَى، فَيَرَى التَّيْمَ لِلْمُجْنِبِ. وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ يَرَى أَنَّ الْجَنْبَ لَا يَتَيَّمُ كَابِنٍ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ، هُوَ الَّذِي لَا يَرَى التَّقْلِيدَ فِي الْإِيمَانِ؛ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ وَيَجُوزُ وَيُسْتَحِيلُ، بِالْأَدَلَّةِ النَّظَرِيَّةِ، وَقَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ أَعْنَى التَّيْمِ - بَدَلًا مِنَ الطَّهَارَةِ الصَّغْرَى، فَهُوَ أَنْ يَقْدَحَ لَهُ حَدَثٌ فِي مَسْأَلَةٍ مَعْيَنَةٍ، لَا فِي الْإِيمَانِ، لَعَدَمِ النَّصِّ، مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ أَوْ الْإِجْمَاعِ فِي ذَلِكَ. فَكَمَا جازَ لَهُ التَّيْمُ فِي هَذِهِ الطَّهَارَةِ الصَّغْرَى عَلَى (سَبِيلِ) الْبَدَلِ، جازَ لَهُ الْقِيَاسُ فِي الْحُكْمِ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، لَعَلَّةَ جَامِعَةٍ بَيْنَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، الَّتِي لَا حُكْمَ فِيهَا مَنْطُوقًا بِهِ، وَبَيْنَ مَسْأَلَةٍ أُخْرَى مَنْطُوقٌ الْحُكْمُ فِيهَا مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ.

ومذهبنا في قولنا: إِنَّ التَّيْمَ لَيْسَ بَدَلًا، بَلْ هُوَ طَهَارَةٌ مَشْرُوعَةٌ ²، مَخْصُوصَةٌ مَعْيَنَةٌ لِحَالٍ مَخْصُوصٍ، شَرَعَهَا الَّذِي شَرَعَ اسْتِعْمَالَ الْمَاءِ لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمَخْصُوصَةِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى - وَرَسُولُهُ ﷺ. فَمَا هِيَ بَدَلٌ. وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ اسْتِخْرَاجِ الْحُكْمِ فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، مِنْ نَصٍّ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ أَوْ فِي السُّنَّةِ، يَدْخُلُ الْحُكْمُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فِي جَمَلِ ذَلِكَ الْكَلَامِ، وَهُوَ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ ³ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى قِيَاسٍ فِي ذَلِكَ.

مَنْ ذَلِكَ: رَجُلٌ ضَرَبَ أَبَاهُ، بَعْضًا أَوْ بِمَا كَانَ. فَقَالَ أَهْلُ الْقِيَاسِ: لَا نَصٌّ عِنْدَنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. وَلَكِنْ لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ⁴ قلنا: فَإِذَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ التَّأْيِيفِ - وَهُوَ قَلِيلٌ - فَالضَّرْبُ بِالْعَصَا أَشَدُّ. فَكَانَ تَنْبِيْهُمَا مِنَ الشَّارِعِ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى، فَلَا بَدَّ مِنَ الْقِيَاسِ عَلَيْهِ. فَلِذَا التَّأْيِيفُ وَالضَّرْبُ بِالْعَصَا، يَجْمَعُهُمَا الْأَذَى. فَقَسْنَا الضَّرْبَ بِالْعَصَا الْمُسْكُوتِ عَنْهُ، عَلَى التَّأْيِيفِ الْمَنْطُوقِ بِهِ.

قلنا: نَحْنُ لَيْسَ لَنَا التَّحَكُّمُ عَلَى الشَّارِعِ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ نَكْلِفَ بِهِ، وَلَا التَّحَكُّمُ (بَغَيْرِ نَصِّ الشَّارِعِ)، وَلَا سِتْمًا فِي مِثْلِ هَذَا. لَوْ لَمْ يَرِدْ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ غَيْرُ هَذَا، لَمْ يَلْزِمْنَا هَذَا الْقِيَاسَ، وَلَا قُلْنَا بِهِ.

1 ص 119 ب

2 ص 120

3 [التوبة : 122]

4 [الإسراء : 23]

ولا الحقنهُ بالتأفيف¹. وإنما حكنا بما ورد وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِخْسَانًا² فَاجِلُ الْخَطَابِ. فاستخرجنا من هذا المجمل، الحكم في كل ما ليس بإحسان، والضرب بالعصا ما هو من الإحسان المأمور به من الشرع في معاملتنا لأبائنا. فما حكنا إلا بالنص، وما احتجنا إلى قياس.

فإن الدين قد كُمل، ولا تجوز الزيادة فيه. كما لم يجز النقص منه. فمن ضرب أباه بالعصا، فما أحسن إليه. ومن لم يحسن لأبيه، فقد عصى ما أمره الله به أن يعامل به أبويه. ومن ردّ كلام أبويه، وفعل ما لا يرضي أبويه، بما هو مباح له تركه، فقد عَفَّها. وقد ثبت أن عقوق الولدين من الكبائر. فلهذا قلنا: إن الطهارة بالتراب - وهو التيمم - ليس بدلا، بل هي مشروعة، كما شرع الماء، ولها وصف خاص في العمل. فإنه يتبين أن لا نعمل به، إلا للوجوه والأيدي. والوضوء والغسل ليسا كذلك. وينبغي للبدل أن يحل محل محل البدل منه. وهذا ما حل محل البدل منه في الفعل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ عِنْدَ السَّبِيلِ﴾³.

. . .

باب: فممن تجوز له هذه الطهارة

اتفق علماء الشريعة على أن التيمم يجوز للمريض والمسافر إذا عدما الماء. وعندنا: أو عديم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك.

وصل: اعتباره في الباطن:

المسافر (هو) صاحب النظر في الليل، فإنه مسافر بفكره في منازل مقدماته وطريق ترتيبها، حتى ينتج له الحكم في المسألة المطلوبة. والمريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر في الأدلة، لما يعلم من سوء فطرته، وقصوره عن بلوغ المقصود من النظر. بل الواجب أن يُزجر عن النظر ويؤمر بالإيمان تقليدا.

وقد قلنا فيما قبل: إن التقليد في الإيمان كالتميم بالتراب، لأن التراب لا يكون في الطهارة - أعني النظافة - مثل الماء، ولكن نسبه طهورا شرعا - أعني التراب - خاصة. بخلاف الماء فإنه أسمي طهورا شرعا وعقلا. فصاحب النظر وإن آمن أولا تقليدا، فإنه يريد البحث عن الأدلة والنظر فيما آمن به، لا على الشك، ليحصل له العلم بالليل الذي نظر فيه، فيخرج من التقليد إلى العلم، أو يعمل على ما قلده فيه، فينتج له⁵ ذلك العمل العلم بالله، فيفرق به بين الحق والباطل عن بصيرة صحيحة، لا تقليد فيها، وهو علم الكشف.

1 ص 120 ب

2 [البقرة : 83]

3 [الأحزاب : 4]

4 ص 121

5 ص 121 ب

قال تعالى :- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾¹ وهو عين ما قلناه، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾² وقال: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾³ وقال: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁴.

وقد ورد: «إِنَّ العلماء ورثة الأنبياء» فستأثم علماء. و«إِنَّ الأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم» والأخذ للعلم بالجاهدة، والأعمال أيضا سفر. فكما سافر العقل بنظره الفكري في العالم، سافر العامل بعمله، واجتمعا في النتيجة. وزاد صاحب العمل أنه على بصيرة فيما علم، لا تدخله شبهة. وصاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله. فصاحب العمل أولى باسم العالم من صاحب النظر. وسيأتي الكلام فيما يجوز من السفر وفيما لا يجوز في صلاة المسافرين من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

. . .

باب

في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله

اختلف العلماء بالشرعية في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله. فمن قائل بجواز التيمم له، وبه أقول، ولا إعادة عليه.

ومن قائل: لا يتيمم مع وجود الماء سواء في ذلك المريض والخائف. ومن قائل: في حقهما: يتيمم ويميد الصلاة إذا وجد الماء. ومن قائل: يتيمم، وإن وجد الماء قبل خروج الوقت توصلاً وأعاد، وإن وجده بعد خروج الوقت لا إعادة عليه.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

المريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر رآته مرضاً مزمناً - مع وجود الأدلة، إلا أنه يخاف عليه من الهلاك والخروج عن الدين إن نظر فيها لقصوره. وقد رأينا جماعة منهم خرجوا عن الدين بالنظر، لما كانت فطرته معلولة، وهم يزعمون أنهم في ذلك على علم صحيح. فهم كما قال الله: ﴿وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِبُونَ

1 [الأفال : 29]

2 [البقرة : 282]

3 [الرحمن : 1 - 4]

4 [الكهف : 65]

5 لم ترد في ق

1 ص 122

صُنْعًا¹. فيأخذ مثل هذا، إن أراد النجاة، العقائد تقليدا كما أخذ الأحكام. وليقلّد أهل الحديث دون غيرهم، وهذا تقليد الحديث النبويّ في الله على علم الله فيه، من غير تأويل فيه بتزيه معين ولا تشبيه وعلى هذا أكثر العامة² وهم لا يشعرون. فهذا هو المريض الذي يجد الماء ويخاف من استعماله في الاعتبار.

باب

الحاضر يعدم الماء؛ ما حكمه؟

فمن قاتل بجواز التيمّم له، وبه أقول. ومن قاتل: لا يجوز التيمّم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

الحاضر هو المقيم على عقده الذي ربط عليه من آبائه ومرتبّه، ثمّ عقل ورجع إلى نفسه واستقلّ؛ هل يبقى على عقده ذلك، أو ينظر في الدليل حتى يعرف الحقّ؟ فمن قاتل: يكفي ما رآه عليه أبواه أو مرتبّه، ويستغلّ بالعمل. فإنّ النظر قد يخرج به إلى الحيرة فلا يؤمن عليه. فهو الذي قال بالتيمّم عند عدم الماء. وقد قدّمنا أنّ الماء هو العلم للاشتراك في الحياة به. فإنّ هذا الحاضر؛ الدليل معدومٌ عنده على الحقيقة، فإنّه لا يرى مناسبة بين الله وبين خلقه، فلا يكون الخلق دليلا سادّا على معرفة ذات الحقّ. فبقاؤه عنده على تقليده أولى.

ومن قال: لا يجوز له³ التيمّم، وإن عدم الماء. يقول: لا يقلّد، وإن لم ينظر في الدليل. فإنّ الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لزمته، واستحال رجوعها عنه، ولا بدري كيف حصل، ولا كيف هو. فهو علم ضروريّ عنده. فقد خرج عن حكم ما يعطيه التقليد، مع كونه ليس بناظر، ولا صاحب دليل. وعلى هذا أكثر الناس في عقائدهم. فقدّم الماء في حقّ هذا الحاضر هو عدم الأمان على نفسه أن يوقعه النظر في شبهة تخرجه عن الإيمان.

باب

في الذي يجد الماء ومنعه من الخروج إليه خوف عدوّ

اختلف العلماء فمن هذه حالته. فمن قاتل: يجوز له التيمّم، وبه أقول. ومن قاتل: لا يتيمّم.

1 | الكهف : 104

2 | ص 122 ب

3 | ص 123

وصل: اعتباره في الباطن:

الخوف من البحث عن الدليل، لينظر فيه ليؤدّيه إلى العلم بالمدلول؛ تحملُ بعين الدليل أنّه دليل، فلا بدّ من أحد أمرين:

إمّا أن يقلّد أحداً في أنّ هذا دليلٌ على أمر ما يعيّنه له، أو يفتقر إلى نظر وفكر¹ فيما ينبغي أن يتّخذه دليلاً على معرفة الله. فإن كان الأوّل فليبق على تقليده في معرفة الله، وهو الذي يقال له: تيمّم. ومن قال: لا يجوز له التيمّم، قال: إنّ هذا الخوف لا يلزمه أن لا ينظر؛ فلينظر ولا بدّ.

. . .

باب

الخائف من البرد في استعمال الماء

اختلف العلماء فيمن هذه حاله. فمن قائل بجواز التيمّم إذا غلب على ظنه أنّه يمرض إن استعمل الماء. ومن قائل: لا يجوز له التيمّم، وبالأوّل أقول.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

الصوفي ابن وقته؛ فإن كان وقته الصّحة فهو غير مريض أو غير شديد المرض فلا يتيمّم، فإنّ الوهم لا ينبغي (أن) يقضي على العلم. والخوف هنا قد يكون وهمًا، فلا يفتى مع تقليده، ولينظر في الأدّة ولا بدّ. ومن قال: لا يجوز له التيمّم، وإن كان وقته الخوف، فليس بصحيح، فإنّ الخوف علّة ومرض، فليبق على تقليده ولا بدّ.

. . .

باب

النية في طهارة التيمّم

اختلف² العلماء في النية في طهارة التيمّم. فمن قائل: إنّها تحتاج إلى نية، ومن قائل: لا تحتاج إلى نية. وبالأوّل أقول. فإنّ الله قال لنا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾³ والتيمّم عبادة، والإخلاص عين النية.

1 ص 123 ب

2 ص 124

3 [البينة : 5]

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

إذا كان العقد عن علم ضروري، أو عن حسن ظنٍّ بعالمٍ أو بوالدٍ فلا يحتاج إلى نية. فإنَّ شرط النية أن توجد منه عند الشروع في الفعل، مقارنةً للشروع. ومن كانت عقيدته بهذه المثابة فما هو صاحب فعل حتى يفتقر إلى نية. فإنَّ إرادة الحقِّ تعالى - الذي هو الخالق لذلك الفعل كافية في الباب. فإنه لا يوجد شيئاً إلّا عن تعلق إرادة منه سبحانه - لإيجاده، ولا يكونه إلّا بها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ ۖ هُوَ﴾¹. وهذا فعلٌ يوجد في العبد، فلا بدَّ من حكم ما ذكر فيه. فكان مذهب زُفر² في هذه المسألة أوجه في باطن الأمر من مذهب الجماعة، إلّا أن يكون كافرٌ أسلم، فهذا يفتقر إلى نية، لأنّه ما استصحبه شيء من القرينة إلى الله بهذا الشرع الخاصّ المستقضى إسلاماً، ولا كان عنده قبل إسلامه، بل كان يرى أنّ ذلك كفرٌ، والدخول فيه يُعَدُّ عن الله.

باب³

مَنْ لم يجد الماء؛ هل يُشترط فيه الطلب، أم لا يشترط؟

اختلف العلماء فمِن هذه صفته. فمن قائل: يُشترط الطلب ولا بدّ؛ ومن قائل: لا يُشترط الطلب، وبه أقول.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

لا يلزم المقلّد البحث عن دليل من قلّد في الفروع ولا في الأصول، وإنما الذي يتعيّن على المقلّد إذا لم يعلم السؤال عن الحكم في الواقعة، لمن يعلم أنّه يعلم من أهل الذّكر فينتبه. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁴ ومن رأى أنّه يُشترط طلب الماء، فهو الذي يطلب من المستنول دليلاً على ما افتاه به في مسألته؛ هل هو من الكتاب أو السنّة؟ أو يطلب منه أن يقول له: هذا حكم الله أو حكم رسوله؟ أخذ به. وإن قال له: "هذا رأيي" كما يقول أصحاب الرأي في كتبهم، فإنّه يحرم عليه اتّباعه فيه؛ فإنَّ الله ما تعبد به إلّا بما شرع له في كتاب أو سنّة، وما تعبد الله أحداً برأي أحد.

1 [الحج: 40]

2 زفر بن الهذيل العبدي الفقيه صاحب أبي حنيفة، (ت 158هـ). وكان همة في الحديث، موصوفاً بالعبادة. نزل البصرة وفتحها عليه.

3 [العبر في خبر من غير - (1 / 42)]

4 ص 124 ب

4 [الحج: 43]

باب

اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة

اختلف¹ أهل العلم ﷺ في اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة. فمن قائل به، وبه أقول. ومن قائل بعدم هذا الشرط فيها.

وصل: اعتباره في الباطن:

الوقت هو عندنا إذا تعين، تعلّق خطاب الشرع بالمكلف، فيما كلفه به ظاهرا وباطنا. فهو في الباطن تجلّ إلهي يرد على القلب فجأة، يسعى "الهجوم" في الطريق.

باب

في حدّ الأيدي التي ذكر الله ﷻ في هذه الطهارة

فإن الله يقول: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾² فاختلف أهل العلم رضوان الله عليهم - في حدّ الأيدي في هذه الطهارة. فمن قائل: حدّها مثل حدّها في الوضوء. ومن قائل: هو مسح الكف فقط. ومن قائل: إنّ الاستحباب إلى المرفقين، والفرس الكفان. ومن قائل: إنّ الفرض إلى المتكعب. والذي أقول به: إنّ أقلّ ما يستوى يدا في لغة العرب يجب، فما زاد على أقلّ مستوى اليد إلى غايته فذلك له، وهو مستحبّ عندي.

وصل³: اعتبار الباطن في ذلك:

لأنّا كان التراب والأرض أصل نشأة الإنسان، وهو تحقيق عبوديته وذلّته، ثمّ عرض له عارض الدّعى بكون الرسول قال فيه ﷺ: «إنّه مخلوق على الصورة» وذلك عندنا لاستعماده الذي خلقه الله عليه؛ من قبوله للتخلّق بالأسماء الإلهيّة على ما تعطيه حقيقته. فإنّ في مفهوم الصورة والضمير خلافاً. فما هو نصّ في الباب. فاعتزّ (الإنسان) لهذه النسبة وعلا وتكبر، فأمر بطهارة نفسه من هذا التكبر، بالأرض وبالتراب، وهو حقيقة⁵ عبوديته. فتطهر بنظره في أصل خلقه؛ ثمّ خلق؟

1 ص 125

2 (المائة : 6)

3 ص 125 ب

4 ق: خلاف

5 حروها المعجمة في ق مصلة وفيها زيادة ويمكن قراءتها: حقيقة، حقيقته

كما قال تعالى - فيمن هذه صفته، في معرض الدواء لهذا لحاظ الذي أورده التكبر: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
مِمَّ خُلِقَ﴾¹ وهم البنون، ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾² وهو الماء المهيّن. فإنه من جملة ما ادّعاء الاقتدار
والعطاء، وهو مجبول على العجز والبخل. وهذه الصفات من صفات الأيدي، فقليل له عند هذه الدّعى،
ورؤية نفسه في الاقتدار الظاهر منه والجود والكرم والعطاء: طهر نفسك من هذه الصفات بنظرك (إلى)
ما جُبلت عليه من الضعف والبخل. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾³ وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مَنُوعًا﴾⁴ وإذا⁵ نظر في هذا الأصل زكّت نفسه وتطهر من الدّعى.

* * *

بَابُ

في عدد الضربات على الصعيد للمتهم

اختلف العلماء رحمهم الله في عدد الضربات على الصعيد للمتهم. فمن قائل: واحدة. ومن قائل: اثنتين. والذين
قالوا اثنتين، منهم من قال: ضربة للوجه وضربة لليدين، ومنهم من قال: ضربتان لليدين وضربتان للوجه.
ومذهبنا: من ضرب واحدة أجزأت عنه، ومن ضرب اثنتين لا جناح عليه. وحديث الضربة الواحدة
أثبت؛ فهو أحب إلي.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

التوجه إلى ما تكون به هذه الطهارة؛ فمن غلب التوحيد في الأفعال قال بالضربة الواحدة، ومن غلب
حكمة السبب الذي وضعه الله، ونسب سبحانه- الفعل إليه، مع تعريته عنه، مثل قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْقِلُونَ﴾⁶ فأثبت وثقى؛ قال بالضربتين. ومن رأى ذلك في كل فعل؛ قال بالضربتين لكل عضو، والله
أعلم.

بَابُ⁷

في إيصال التراب إلى أعضاء المتهم

اختلف العلماء رحمهم الله في ذلك. فمن قائل بوجوبه، ومن قائل بأنه لا يجب، وإنما يجب إيصال اليد إلى

[الطارق : 5]

[الطارق : 6]

[الخسر : 9]

[المعارج : 21]

5 ص 126

6 [الصفات : 96]

7 ص 126 ب

عضو التيمم بعد ضربه الأرض بيده أو التراب. والظاهر الإيصال لقوله: ﴿مِنْهُ﴾.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

إذا قلنا بتطهير النفس بالذلة التي هي أصلها، من العزة التي ادّعتها حين اكتسبتها، لم يجب الإيصال. فإنّ الذلة لو نقلناها إلى محلّ العزة، لامتنع حصول الذلة في ذلك المحلّ. لأنّ النبي في المحلّ أقوى في الدفع من النبي جاء يذهب. ولو شاركه في المحلّ لاجتمع الضدان، ولم يكن أحدهما أولى بالإزالة من الآخر.

وإنما الصحيح في ذلك؛ أنّ النفس مصروفة الوجه إلى حضرة العزّ، فاكست من نور العزة ما أذاها إلى ما ادّعته، فقيل لها: اصرف وجهك إلى ذلتك وضعفك الذي خلقت منه، فإن بقيت عليك أنوار¹ هذه العزة، فأنت أنت. فقام عندها أنّه ربما يبقى عليها ذلك. فلما صرفت وجهها إلى ذلتها وضعفها، زالت عنها أنوار العزة بالذات، فافتقرت إلى بارئها وذلك تحت سلطانه. فلها قال من قال: إنّ لا يجب إيصال التراب إلى عضو التيمم. ومن قال: إنّ كلمة "من" هنا للتبويض، وإنّه لا بدّ من إيصال التراب إلى العضو، قال: إنّ الصفة لا تقوم بنفسها، فلا بدّ لها من تقوم به، وليس إلّا حقيقة الإنسان. فلا بدّ أن تكون صفته الذلة، وحينئذ تصحّ طهارته، وهو قول من يقول بوجوب إيصال التراب إلى عضو التيمم.

باب

فيما تصنع به هذه الطهارة

اختلف العلماء (بالتيمم) فيما عدا التراب. فمن قائل: لا يجوز التيمم إلّا بالتراب الخالص، ومن قائل: يجوز بكلّ ما صعد على وجه الأرض؛ من رمل وحصى وتراب. ومن قائل بمثل هذا، وزاد: وما تولّد من الأرض من نورة وزرنيخ وجصّ وطين ورخام. ومن قائل باشتراط كون التراب على وجه الأرض. ومن² قائل بغير الثوب واللّين. وأمّا مذهبنا: فإنّه يجوز التيمم بكلّ ما يكون في الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض، فإذا فارق الأرض لم يجز من ذلك إلّا التراب خاصّة.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

قد تقدّم؛ إنّ قد زال عنه بالانتقال اسم الأرض، وسمي زرينخا أو حجرا أو رملا أو ترابا. ولما ورد النصّ باسم التراب في التيمم، فوجدنا هذا الاسم يستصحب مع الأرض، ومع مفارقة الأرض، ولم نجد غيره كذلك. أوجبنا التيمم بالتراب سواء فارق الأرض أو لم يفارق. والأحكام الشرعيّة تابعة للأسماء والأحوال، وينتقل الحكم بانتقال الاسم أو الحال.

بَاب

في ناقض هذه الطهارة

اتفق العلماء رحمهم الله أنه ينقضها كل ما ينقض الوضوء والطهر، واختلفوا في أمرين: الأمر الواحد إذا أراد التيمم صلاة مفروضة بالتيمم الذي صلى به غيرها. فمن قائل: إن إرادة الصلاة الثانية تنقضها، ومن قائل: لا تنقضها، وبه أقول. والأولى عندي أن يتيمم، ولا بد. لأن مذهبنا أن التيمم ليس¹ بدلا من الوضوء، وإنما هو طهارة أخرى عيها الشارع بشرط خاص لا على جملة البدل. وقد قلنا: إن الحكم يتبع الحال، وينتقل الحكم بانتقال الأحوال والأسماء.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

كما لا يتكرر التجلي، كذلك لا تتكرر هذه الطهارة. بل لكل تجل طهارة، فلكل صلاة تيمم. ومن نظر إلى التجلي نفسه، من حيث ما هو تجل، لا من حيث ما هو تجل في كذا، قال: يصلي بالتيمم الواحد ما شاء، كالمتموضي لا فرق. وهو قولنا:

حَتَّىٰ بَدَتْ لِلْغَيِّبِ سُبُحَةُ وَنَجْمِهِ وَإِلَىٰ هَلُمٍّ لَّمْ تَكُنْ إِلَّا هِيَ

بَاب

في وجود الماء لمن حاله التيمم

من قائل: إن وجود الماء ينقضها، ومن قائل: إن الناقض لها هو الحدث.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

قلنا: المقلد يقوم له دليل في مسألة خاصة من الإلهيات، يناقض ما أعطاه تقليده للشرع، لا يخرج به ذلك البليل عن تقليده، وإنما يخرج به عن تقليده دليل العقل، الذي ثبت به الشرع عنده، لا هذا البليل الخاص. فأظهر له نفس الحدث فيما كان يعتقد في تقليده في تلك المسألة. فيعلم لذلك أن الشارع لم يكن مقصوده هنا الظاهر في هذه المسألة. نبيه على ذلك وجود هذا البليل الطارئ الذي هو بمنزلة وجود الماء، فهكذا هي المسألة إذا حُتَّتْها.

بَاب

في أن جميع ما يفعل بالوضوء يُستباح بهذه الطهارة
اختلف العلماء رحمهم الله هل يستباح بها أكثر من صلاة واحدة فقط؟ فمن قائل: يستباح، وهو مذهبنا.
والأولى عندنا أنه لا يُستباح، ومن قائل: لا يستباح على خلاف يتفرع في ذلك.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

قد تقدّم في تكرار التجلي. وقد انتهى الكلام في أمّهات مسائل التيمم على الإيجاز والاختصار. وما
ذهبت العلماء في ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

. . .

أبواب² الطهارة من النجس

اعلم أن الطهارة طهارتان. طهارة غير معقولة المعنى، وهي الطهارة من الحدث المانع من الصلاة. وطهارة
من النجس، وهي معقولة المعنى، فإن معناها النظافة. وهل هي شرط في صحة الصلاة كطهارة الحدث من
الحدث، أم هي غير شرط؟ فمن قائل: إن الطهارة من النجس فرض مطلق، وليست شرطاً في صحة
الصلاة. ومن قائل: إنها واجبة كالطهارة من الحدث، التي هي شرط في صحة الصلاة. ومن قائل: إنها سنة
مؤكدة. ومن قائل: إن إزالتها فرض مع الذكر، ساقط مع النسيان.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

اعلم أن الطهارة في طريقنا طهارتان: طهارة غير معقولة المعنى، وهي الطهارة من الحدث. والحدث³
وصف نفسي للعبد.

فكيف يمكن أن يتطهر الشيء من حقيقته؟ فإنه لو تطهر من حقيقته، انتفت عيئه، وإذا انتفت
عيئه، فمن يكون مكلفاً بالعبادة؟ وما ثم إلا الله؟ فلماذا قلنا: إن الطهارة من الحدث غير معقولة المعنى⁴.
فصورة الطهارة من الحدث عندنا: أن يكون الحق سميعك وصرّك وكلّك في جميع عباداتك. فأثبتك وثاك.
فتكون أنت من حيث ذاتك، ويكون هو من حيث تصرفاتك وإدراكاتك.

1 | الأحزاب : 4 |

2 | ص 129

3 | ثابتة في الهامش

4 | ص 129 ب

فأنت مكلف من حيث وجود عينك، محل للخطاب. وهو العامل بك، من حيث أنه لا فعل لك. إذ الحدث لا أثر له في عين الفعل، ولكن له حكم في الفعل. إذ كان ما كلفه الحق من حركة وسكون، لا يعمل الحق إلا بوجود المتحرك والساكن. إذ ليس، إذا لم يكن العبد موجودا، إلا الحق، والحق تعالى عن الحركة والسكون، أو يكون محلاً لتأثيره في نفسه، فلا بد من حدوث العبد حتى يكون محلاً لأثر الحق.

فمن كونه حدثا، وجبت الطهارة على العبد منه. فإن الصلاة التي هي عين الفعل الظاهر فيه، لا يصح أن تكون منه، لأنه لا أثر له. بل هو سبب من حيث عينته، لظهور الأثر الإلهي فيه. فبالطهارة من نظر الفعل لحدثه صحّت الأفعال أنها لغيره، مع وجود العين لصحة الفعل الذي لا يقبله ذات الحق.

وليست هكذا الطهارة من النجس؛ فإن النجس هو سفاسف الأخلاق، وهي معقولة المعنى. فإنها النظافة. فالطهارة¹ من النجاسات، هي الطهارة بمكارم الأخلاق، وإزالة سفاسفها من النفوس. فهي طهارة النفوس. وسواء قصدت بذلك العبادة أو لم تقصد. فإن قصدت العبادة، ففضل على فضل، ونور على نور. وإن لم تقصد ففضل لا غير. فإن مكارم الأخلاق مطلوبة لذاتها. وأعلى منزلتها استعمالها عبادة بالطهارة من النجاسات. وإزالة النجاسات من النفوس، التي قلنا، هي الأخلاق المذمومة، فرض عندنا، ما هي شرط في صحة العبادة. فإن الله قد جعلها عبادة مستقلة مطلوبة لذاتها، فهي كسائر الواجبات؛ فرض مع الذكر، ساقطة مع النسيان. فتم ما تذكرها وجبت. كالصلاة المفروضة. قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ إِذْ كُنْتَ﴾² ثم نذكر الكلام في الأحكام المتعلقة بأعيانها فنقول:

بَاب

في تعداد أنواع النجاسات

اتفق العلماء رحمهم الله من أعيانها على أربع: على ميتة الحيوان ذي الدم، الذي ليس بمائي. وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته. وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي، انفصل من الحي أو من الميت، إذا كان مسفوحا، أعني كثيرا. وعلى³ بول ابن آدم ورجيمه، إلا الرضيع. واختلفوا في غير ذلك.

وصل: اعتبار الباطن في ميتة الحيوان ذي الدم البري:

اعلم أن الموت موتان: موت أصلي لا عن حياة متقدمة، في الموصوف بالموت، وهو قوله تعالى:

1 ص 130

2 [منه: 14]

3 ص 130 ب

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ فهذا هو الموت الأصلي، وهو العدم الذي للمكن. إذ كان معلوم العين لله، ولا وجود له في نفسه. ثم قال تعالى: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾. وموت عارض، وهو الذي يطرأ على الحي، فيزيل حياته، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾¹.

وهذا الموت العارض هو المطلوب في هذه المسألة. ثم زاد وصفا آخر؛ فقال: ذي الدم الذي له دم سائل. يقول: أي الحيوان الذي له روح سائل، أي سارٍ في جميع أجزائه، لا يريد من هي حياته عين نفسه التي هي لجميع الموجودات. ثم زاد وصفا آخر، فقال: "الذي ليس بمائي" يريد الحيوان البري، أي الذي في البر، ما هو حيوان البحر. إذ البحر عبارة عن العلم.

فيقول: لا أريد بالحيوان الموجود في علم الله، فإن في ذلك يقع الخلاف. وإنما أريد الحيوان الذي ظهرت عينه، وكانت حياته بالهواء. فهذه الشروط كلها ثبتت² نجاسته بلا خلاف. فإذا زال شرط منها؛ لم يكن المطلوب بالاتفاق.

فإذا كانت حياة العبد عارضة لا ذاتية، فينبغي أن لا يزهو بها ولا يدعي. فلما ادعى وقال: "أنا" وغاب عن شهود من أحياء؛ عرض له الموت العارض؛ أي هذا أصلك. فزده إلى أصله، ولكن غير طاهر بسبب الدعوى، ونسيان من أحياء. ثم إننا نظرنا في السبب الموجب لهذه الدعوى، قال: "كونه برّياً" فقلنا: ما معنى كونه برّياً؟ فقال: "حياته من الهواء". فعلمنا أن الهوى هو الذي أرداه. كما قال تعالى: ﴿وَتَنفَسُ النَّفْسُ مِنْ هَوًى﴾³ فكل متردد بين هوائين لا بد من هلاكه، كما قال صاحبنا أبو زيد عبد الرحمن الفازاري⁴ رحمه الله:-

هَوًى صَحِيحٌ وَهَوَاةٌ غَلِيلٌ صَلَاحٌ خَالِيٌ بِهِمَا مُسْتَجِيلٌ

أنشدنيها لنفسه بتلمسان سنة تسعين وخمسمائة. فكل عبد اجتمعت فيه هذه الشروط، اتفق العلماء على أنه نجس.

وأما اعتبار لحم الخنزير؛ فإن لحمه مسرى الحياة الدنّية. فإن اللحم دمٌ جامد. وصفة الخنزيرة؛ وهي التولّع بالقاذورات التي تستحبها النفوس؛ وهي مذام الأخلاق، إذا ذهب الحياة⁵ من ذلك اللحم كان

1 [البقرة : 28]

2 ص 131

3 [النازعات : 40]

4 الفازاري (ت 627هـ): نزول تلمسان، شاعر، له اشتغال بعلم الكلام والفقه. كان شديدا على الابتدعة، استكتبه بعض أمراء وقته ولد بقرطبة ومات بمراكش. له: "المشرقات" في المنايا النبوية، والوسائل المصنوعة.

5 ص 131 ب

نجسا. وذلك إذا اتفق أن يكون صاحب الخلق المذموم يغيب عن حكم الشرع فيه، الذي هو روحه، كان في حقه ميتة.

قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ فقال: مثلها، ولم يقيد من وجه كذا. فألحقها بمذام الأخلاق. ثم قال فمين لم يفعلها: ﴿فَمَنْ غَفَا وَأَصْلَحَ﴾¹ فنبه على أن ترك الجزاء على السيئة من مكارم الأخلاق. ولهذا قلنا: بأي شيء ذهب حياه (=حياة الخنزير) إذ كانت التذكية لا تؤثر فيه طهارة.

وقد قال رسول الله ﷺ في الرجل الذي طلب القصاص من قاتل من هو وليه. «فطلب منه رسول الله ﷺ أن يعفو عنه أو يقبل الدية فأبى. فقال: خذه. فأخذه. فلما قفى؛ قال رسول الله ﷺ: أما إنه إن قتله كان مثله» يريد قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾. فبلغ ذلك القول الرجل، فرجع إلى النبي ﷺ، وخلى عن قتله. وينبغي على هذا مسألة القبح والحسن، وهي مسألة كبيرة خاض الناس فيها، وليس هذا الباب موضع الكشف عن حقيقة ذلك، وإن كنا قد ذكرناها في هذا الكتاب.

والثالث من النجاسات المتفق عليها، الدم نفسه² من الحيوان البري، إذا انفصل عن الحي أو عن الميت، وكان كثيرا، أعنى بحيث أن يتفاحش. فقد أعلمناك أن الحيوان البري هو العين الموجودة لنفسها، ما هي الموجودة في علم الله، كحيوان البحر، وإن حياتها بالهواء، وأن الدم هو الأصل الذي يخرج من حرارته ذلك البخار الذي تكون منه حياة ذلك الحيوان، وهو الروح الحيواني. فلما كان الدم أصلا في هذه النجاسة، كان هو أولى بحكم النجاسة، مما تولد عنه.

فالذي أورث العبد الدعوى هو العزة، التي فطر الإنسان عليها؛ حيث كان مجموع العالم، ومضاهيا لجميع الموجودات على الإطلاق. فلما غاب عن العناية الإلهية به في ذلك، والموت الأصلي الذي تبه الله عليه في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْْوَاثًا﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾⁴ وقوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾⁵ لذلك اتفق العلماء على نجاسته إذا تفاحش، أي كثرت منه الغفلة عن هذا المقام. فلن لم يتفاحش؛ لم يقع عليه الاتحاق في هذا الحكم.

الرابع: بول ابن آدم ورجيعه. اعتباره: اعلم أنه من شَرُئْت مرثته، وعلث منزلته، كبرث صغيرته. ومن

1 [الشورى : 40]

2 ص 132

3 [البقرة : 28]

4 [إبراهيم : 9]

5 [الإنسان : 1]

كان وضع المنزلة، خسيس المرتبة؛ صَفُرَتْ كبريته. والإنسان¹ شريف المنزلة، رفيع المرتبة، نائب الحق، ومعلم الملائكة. فينبغي أن يظهر من عاشره، ويقْدَسَ من خالطه. فلَمَّا غفل عن حقيقته، اشتغل بطبيعته، فصاحِبُهُ الأشياء الطاهرة: من المشارب والمطام؛ أخذ طَيِّبًا بطبيعته لا بحقيقته، وأخرج خبيثها بطبيعته لا بحقيقته. فكان طَيِّبًا نجسًا وهو الدم، وكان خبيثًا نجسًا وهو البول والرجيع. وكان الأولى أن لا يكسب خُبث الروائح، فإنه من عالم الأنفاس. فكانت نجاسته من حيث طبيعته، وكذلك هي من كل حيوان.

غير أن حقائق الحيوانات وأرواحها ليست في علو الشرف والمنزلة مثل حقيقة الإنسان، فكانت زلته كبيرة. فاتَّقُوا بلا خلاف على نجاسته من مثل هذا، واختلفوا في سائر أحوال الحيوانات ورجيعها، وإن كان الكل من الطبيعة. فمن راعى الطبيعة قال بنجاسة الكل، ومن راعى منزلة الشرف والانحطاط قال بنجاسة بول الإنسان ورجيعه. ولم يَفُكْ عنه لِعَظَم منزلته، وغفا عَمَّنْ هو دونه من الحيوانات. فقد أبنت لك عن سبب الاتفاق والاختلاف.

والحمد لله ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

باب³

في ميتة الحيوان الذي لا دم له، وفي ميتة الحيوان البحري

اختلف العلماء في هاتين الميتتين. فمن قائل: إنها طاهرة، وبه أقول. ومن قائل بطهارة ميتة البحر، ونجاسة ميتة البر التي لا دم لها، إلا ما وقع الاتفاق على طهارتها، لكونها ليست ميتة. كدود الحل، وما يتولد في المطعومات. ومن قائل بنجاسة ميتة البر والبحر إلا ما لا دم له.

وصل: اعتباره في الباطن:

قد أعلمناك فيما تقدّم أننا من هذه الطهارة، اعتبار الدم: فمن قائل بطهارة ميتة الحيوان الذي لا دم له، فهو البراءة من الدعوى. لأن الحياة المتولدة من الدم فيها تقع الدعوى، لا في الحياة التي لجميع الموجودات، التي يكون بها التسبيح لله بحمده. فإن تلك الحياة طاهرة على الأصل؛ لأنها عن الله، من غير سبب يحجبها عن الله. ومن قال بطهارة ميتة البحر، وإن كان ذا دم، فإنه في علم الله؛ ولا حكم على الأشياء في

1 ص 132 ب

2 [الأحزاب: 4]

3 ص 133

علم الله، وإنما تتعلّق بها الأحكام إذا ظهرت في أعيانها، وهو بروزها¹ من العلم إلى الوجود الحسيّ- وعلى مثل هذا تعتبر بقيّة ما اختلفوا فيه من ذلك في هذه المسألة.

اتهى الجزء الرابع والثلاثون، يتلوه في الجزء الخامس والثلاثين².

1 ص 133 ب

2 أسفل الورقة: "سمع من البلاغ بخط القارئ في الجزء الذي قبله إلى هنا على مصنفه الإمام العالم العارف محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: أبنا المصنف أبو المعالي وأبو سعد محمد، وإسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخيه يوسف بن نرباس الحميدي، وأبو بكر بن سلمان الحموي، وإبنه عبد الواحد وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، والحسين بن إبراهيم الأربلي، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، ونصر الله بن أبي الغز بن الصغار، وعلي بن عز العرب بن قرشلة، وموسى بن زيد بن جابر، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنطلسي، ويونس بن عثمان البمشقي، ويعقوب بن معاذ الوري، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المنطريز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم الحنفيون- وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وأحمد بن أبي الهيجاء البمشقي، وعيسى بن إسحق الهنباقي، ومحمد بن يرقش المظلي، ومحمد بن محمد بن جمعة البشنسي، ويعلى بن إسماعيل المظلي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، وحسين بن محمد الموصل، وإبراهيم بن محمد، وعلي بن أحمد القرشيان- وإبراهيم بن أبي بكر الخلال، وحسين بن الطوباء الأفضلي- يعرف بالرسولي-، وإبراهيم بن علي السنجاري، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وكتب السماع إبراهيم عمر بن عبد العزيز القرشي- عفا الله عنه- وذلك في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتلاثين وستائة بمزّل المصنف بدمشق وصرح وثبت".

الجزء الخامس والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة

اختلف العلماء عليهم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة، مع اتفاقهم على أن اللحم من أجزاء الميتة ميتة. وقد بينّا اعتبار اللحم في لحم الخنزير، واختلفوا في العظام والشعر. فمن قائل: إنها ميتة. ومن قائل: إنها ليست بميتة، وبه أقول. ومن قائل: إن العظم ميتة وإن الشعر ليس بميتة.

وَصُلِّ: اعتبار الباطن في ذلك:

لأنّا كان الموت المعتبر في هذه المسألة، هو الطارئ المنزل للحياة التي كانت في هذا المحلّ. نظرنا إلى مسعى الحياة؛ فمن جعل الحياة: "النمو" قال إنها ميتة، ومن جعل الحياة: "الإحساس" قال إنها ليست بميتة، ومن فرق، قال: إن العظم يُحسّ فهو ميتة، والشعر³ لا يُحسّ فليس بميتة. فمن رأى نموه بالفداء، وحسّه بالروح الحيواني، فهي ميتة، سواء عبر بالحياة عن النمو أو عن الحسّ. ومن كان يرى نموه برّته لا بالفداء، وإدراكه المحسوسات برّته لا بالحواس، ولم يلتفت إلى الوسطة، لفناؤه بشهود الأصل، الذي هو خالقه سبحانه رأى أن الحق سمعه وبصره، وهو عين حسّه - لم يصحّ عنده أنه ميتة أصلاً. وسواء كانت الحياة عبارة عن النمو أو عن الحسّ.

. . .

باب

الانحطاع بمجلود الميتة

فمن قائل بالانحطاع بها أصلاً، دُبغت أو لم تُدبغ. ومن قائل بالفرق بين أن تُدبغ وبين أن لا تُدبغ. وفي طهارتها خلاف: فمن قائل: إن البياض مطهر لها. ومن قائل: إن البياض لا يطهرها، ولكن تُستعمل في النيابسات. ثم إن الذين ذهبوا إلى أن البياض مطهر، اتفقوا على أنه مطهر لما تعمل فيه الذكاة، يعني المباح الأكل من الحيوان.

1 العنوان ص 134 ب، وهنا ص 134 يضاء

2 البسطة ص 135

3 ص 135 ب

واختلفوا فيما لا تعمل فيه الذكاة: فمن قائل: إنّ الباغ¹ لا يطهر إلا ما تعمل فيه الذكاة فقط، وإنّ الدباغ بدل من الذكاة في إفادة الطهارة. ومن قائل: إنّ الباغ يعمل في طهارة ميتات الحيوانات ما عدا الخنزير. ومن قائل بأنّ الباغ يطهر جميع ميتات الحيوان؛ الخنزير وغيره.

والذي أذهب إليه وأقول به: إنّ الانتفاع جازر بجلود الميتات كلّها، وإنّ الدباغ يطهرها كلّها، لا أحاشي شيئا من ميتات الحيوان.

وصل: الاعتبار في ذلك في الباطن:

قد عرفت أن مسمّى الميتة، فالانتفاع لا يحرم بجلدها، وهو استعمال الظاهر. فمن أخذ في الأحكام بالظاهر، من غير تأويل، ولا عدول عن ظاهر الحكم الذي يدلّ عليه اللفظ، فلا مانع له من ذلك. ولا حجة علينا لمن يقول بما تدلّ عليه بعض الألفاظ من التشبيه. فنقول: ما وقفنا مع الظاهر، فإنّه ما جاء الظاهر بالتشبيه، لأنّ المثل وكاف الصفة ليستا في الظاهر، فما ذلك الخطأ في المسألة إلا من التأويل. واللفظ إذ كان بهذه النسبة مع اللفظ الصريح² الذي لا يحتمل التأويل، كان إذا قرنته به بمنزلة الميتة من الحي. فلما لم نجد من الشارع مانعا من الانتفاع؛ بقيت على الأصل، وهو قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾³ ولم يفصل طاهرا من غير طاهر. فلا نحكم بطهارته، وإن انتفعنا به، إلا إذا دبغ: فهو، إذ ذاك، طاهر.

واعتباره: أنّ اللفظ الوارد من الشارع المحتمل، فنحكم بظاهره ولا نقطع به أنّ ذلك هو المراد. فإذا اتفق أن نجد نصّا آخر في ذلك المحكوم به، يرفع الاحتمال الذي أعطاه ذلك اللفظ الآخر، ظهر ذلك اللفظ الأول من ذلك الاحتمال، وكان له هذا الخبر الثاني، كالدباغ لهذا الجلد. فجمعنا بين الطهارة له في نفسه، وهو صرفه بالخبر الثاني، إلى أحد محتملاته على القطع، وانتفعنا به، مثل ما كنا ننتفع به قبل أن يكون طاهرا من حيث انتفاعنا به (مطلقا)، لا من حيث انتفاعنا به من وجه خاص. فإنّه قد يكون ذلك الخبر يصرفه عن الظاهر الذي كنا نستعمله فيه، إلى أمر آخر من محتملاته. فلها قلنا: "من حيث ما هو منتفع به، لا من حيث ما هو منتفع به في وجه خاص"، إذ كان غيرنا لا يرى الانتفاع به أصلا.

. . .

1 ص 136

2 ص 136 ب

3 [البقرة: 29]

4 ص 137

باب

في دم الحيوان البحري، وفي القليل من دم الحيوان البري

اختلف العلماء رحمهم الله في دم الحيوان البحري، وفي القليل من دم الحيوان البري. فمن قائل: دم السمك طاهر. ومن قائل: إنه نجس على أصل الدماء. ومن قائل: إن القليل من الدماء والكثير واحد في الحكم. ومن قائل: إن القليل معفو عنه.

والذي أذهب إليه: أن التحريم ينسحب على كل دم مسفوح، من أي حيوان كان، ويحرم أكله. وأما كونه نجاسة فلا أحكم بنجاسة الهزومات، إلا أن ينص الشارع على نجاستها على الإطلاق، أو نشف على القدر الذي نص على نجاسته.

وليس النص بالاجتناب نصاً في كل حال. فيفتقر إلى قرينة ولا بد. فما كل محرم نجس، وإن اجتنباه. فما اجتنباه لنجاسته، فإن كونه نجاسة حكم شرعي. وقد يكون غير مستقتر عقلاً ولا مستخبت.

وصل: اعتباره في الباطن:

الحكم على الشيء الذي يقتضيه لنفسه، لا يشترط فيه وجود عينه، ولا تقدير وجود عينه. فستواء كان معدوم العين أو موجوداً؛ الحكم فيه على السواء، سواء كان بطهارته أو عدم طهارته. فلا يؤثر فيه كونه في علم الله، أو كونه موجوداً في عينه.

ألا ترى إلى الممكن قد رجح المرجح وجوده على عدمه، أو عدمه على وجوده؟ ومع ذلك ما زال عن حكم الإمكان عليه. وإن الإمكان واجب له لذاته، كما أن الإحالة للمحال واجبة له لذاته، كما أن الوجوب للواجب واجب له لذاته. فينسحب معقول الوجوب على الواجب لنفسه. وكذلك حكم الممكن والاحال لا يتغير حكمه، وإن اختلفت المراتب.

باب

حكم أبوالحيوانات كلها²، وبول الرضيع من الإنسان

اختلف أهل العلم في أبوال الحيوانات كلها وأروائها، ما عدا الإنسان، إلا بول الرضيع. فمن قائل: إنها كلها نجسة، ومن قائل بطهارتها كلها على الإطلاق، ومن قائل: إن حكمها حكم لحومها؛ لما كان منها أكله

1 ص 137 ب

2 ص 138

حلالا، كان بولُه وروثه طاهرا؛ وما كان منها أكله حراما، كان بولُه وروثه نجسا؛ وما كان منها لحمه مكروها أكله، كان بولُه وروثه مكروها.

وصل: اعتباره في الباطن:

الطهارة في الأشياء أصل، والنجاسة أمرٌ عارض. فنحن مع الأصل، ما لم يأت ذلك العارض، وهذا مذهبنا. فالعبد طاهر الأصل في عبوديته. لأنه مخلوق على الفطرة؛ وهي الإقرار بالعبودية للرب سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۙ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَبَضَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كَأَمْثَالِ النَّرِّ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ».

وكذلك العلم طاهر في تعلّقه بمعلومه، فلهما عرض تحجيرٌ من الحق، في أمر ما وعلم ما، وقفنا عنده. وكذلك الحياة لئانها طاهرة مطهرة. وكلُّ ما سيوى الله حيّ، فكلُّ ما سيوى الله طاهر بالأصل، فباسمه القدوس خلق العالم كله.

وإنما قلنا: "كلُّ ما سيوى الله حيّ"، فإنه ما من شيء -والشيء أنكر النكرات- إلا وهو يسبح بحمد الله. ولا يكون التسبيح إلا من حيّ. وإن كان الله قد أخذ بأسماعنا عن تسبيح الجمادات والنبات والحيوان الذي لا يعقل، كما أخذ بأبصارنا عن إدراك حياة الجماد والنبات، إلا لمن خرق الله له العادة، كرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ومن حضر من أصحابه حين أسمعهم الله تسبيح الحصى -فما كان خرقُ العادة في تسبيح الحصى، وإنما انخرقت العادة في تعلّق أسماعهم به. وقد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيح حجر، ونطقه بذكر الله.

فمن الموجودات ما هو حيّ بحياتين: حياة مدركة بالحس، وحياة غير مدركة بالحس. ومنها ما³ هو حيّ بحياة واحدة، غير مدركة بالحس عادة. ومنها ما هو حيّ بثلاثة أنواع من الحياة، وهو الإنسان خاصة؛ فإنه حيّ بالحياة الأصلية التي لا يدركها بالحس عادة؛ وهو أيضا حيّ بحياة روحه الحيواني، وهو الذي يكون به الحس؛ وهو حيّ أيضا بنفسه الناطقة.

فالعلم كله طاهر. فإن عرض له عارض إلهي يقال له: نجاسة؛ حكمنا بنجاسة ذلك المحلّ، على الحدّ المقدر شرعا خاصة في عين تلك النسبة الخاصة. فالنجاسة في الأشياء عوارض نسبي. وأعظم النجاسات

1 ص 138 ب

2 | الأعراف : 172 |

3 ص 139

الشرك بالله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾¹ فالشرك نجس العين، فإذا آمن فهو طاهر العين، أي عين الشرك وعين الإيمان، فافهم.

فإنه ما يصدر عن القدوس، إلا مقدس. ولنا قلنا في النجاسة: إنها عوارض بنسب. والنسب أمور عديمة. فلا أصل للنجاسة في العين. إذ الأعيان طاهرة بالأصل الظاهرة منه. وهنا أسرار لا يمكن ذكرها إلا شفاهاً لأهلها، فإن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله. فمن فهم ما أشرنا إليه، فقد حصل على كثر عظيم، ينفع منه ما بقيت الدنيا والآخرة، أي إلى ما لا يتناهى² وجوده، والله المؤيد، معلّم الإنسان البيان.

. . .

بَاب

حكم قليل النجاسات

اختلف أهل العلم في قليل النجاسات. فمن قائل: إن قليلها وكثيرها سواء، ومن قائل: إن قليلها معفو عنه. وهؤلاء اختلفوا في حدّ القليل. ومن قائل: إن القليل والكثير سواء إلا الدم. وقد تقدّم الكلام في الدم.

وعندنا أنّ القليل والكثير سواء إلا ما لا يمكن الاشتكاك عنه، ولا يعتبر في ذلك منع وقوع الصلاة بها أو وقوعها، فإن ذلك حكم آخر. والتفصيل في ذلك قد ورد في الشرع، فيوقف عنده ولا يتمدّى. فإنه لا يلزم من كونه نجاسة عدم صحة الصلاة بها. فقد يعفو الشرع عن بعض ذلك في موضع، وقد لا يعفو في موضع. وللأحوال في ذلك تأثير؛ فقد أزال رسول الله ﷺ نعله في الصلاة، من دم خلقة أصاب نعله، ولم يُطْل صلاته، ولا أعاد ما صلى به.

وصل: اعتباره في الباطن:

أما³ اعتباره في الباطن فهدام الأخلاق والجهالات، وإساءة الظنون في بعض المواطن، قليل ذلك وكثيره سواء، وفي ذلك حكايات وأقوال لأهل الله. والتفصيل الوارد في الخلاف في الطاهر، يعتبر بنحسبه. فإنه قد تقدّم في الفصول قبل هذا، كيف تؤخذ وجوه الاعتبار فيه في الباطن.

[التوبة : 28]

2 ص 139 ب

3 ص 140

باب حكم الميت

اختلف علماء الشريعة في الميت؛ هل هو طاهر، أو نجس؟ فمن قائل بطهارته، ومن قائل بنجاسته.

وصل: اعتباره في الباطن:

التكوين؛ منه طبيعي ومنه غير طبيعي، وبينهما فرقان؛ إن شئنا اعتبرنا وإن شئنا لم نعتبره. فإنّ التكوين الطبيعي لا فرق عندنا بينه وبين التكوين غير الطبيعي. فإنّ التكوين الطبيعي، من حيث الوجه الخاص المعلوم عند أهل الله، المنصوص عليه في القرآن؛ صادر عن حضرة التقديس والاسم القدّوس، ومن¹ غير ذلك الوجه الخاص؛ فهو صادر عن مثله، وهو الذي أيضا تقول فيه: عالم الخلق وعالم الأمر.

فكلّ موجود، عند سبب مخلوق مما سوى الله، هو عالم الخلق. وكلّ ما لم يوجد، عند سبب مخلوق، فهو عالم الأمر. والكلّ على الحقيقة عالم الأمر. إلّا أنّنا لا يمكننا رفع الأسباب من العالم، فإنّ الله قد وضعها، ولا سبيل إلى رفع ما وضعه الله.

فأقول: إنّه من احتجب بنفسه عن ربه؛ فليس بطاهر. ولما كان خروج الميت غالبا؛ يستغرق لئنه الإنسان، بل الحيوان كلّ، حتى يفنى عن ربه، إلّا عن حكم الخارج منه، وهو الميت، كان الميت غير طاهر. ولهذا أمرنا بالتطهير منه، التطهير العام لجميع أجزاء البدن، لأنّه ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾². ومن راعى أنّ الحقّ ما تولى التكوين الطبيعي إلّا به، حكم بطهارته، لأنّ الحال اختلف عليه. فإنّه دم مقصور؛ قصرته الملائكة، فتغير عن الدميّة، فتغير الحكم وهو أولى. فالميت عندنا طاهر، إلّا أن يخالطه شيء نجس، لا نتمكن تخليصه منه. حينئذ نحكم به أنّه نجس، بما طرأ عليه. كما كان أصله وعينه دما. فلو بقي على صورته في أصله، من الدميّة، إذا خرج: حكنا بنجاسته شرعا.

. . .

باب³

في المحالّ التي تُزال عنها النجاسة

أمّا المحالّ التي تُزال عنها النجاسة شرعا، فهي ثلاثة: الثياب والأبدان؛ أبدان المكلفين، والمساجد.

1 ص 140 ب

2 [الطارق : 7]

3 ص 141

وصل: اعتباره في الباطن:

الثياب الباطنة الصفات؛ فإن لباس الباطن صفاته. يقول امرؤ القيس لعنيزة¹:

وإن كنت قد ساءتكم مني خليفة فسلني ثيابي من ثيابك تسلب

أراد ما لبسه من ثياب مودتها في قلبه. يقول الله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾² وهو موجهٌ عندي لقرائن الأحوال، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ لِّلَّادِ التَّقْوَى﴾³ سواء، إن تعطلت لما أراد هنا بـ"التقوى".

واعتبار الأبدان القلوب والأرواح، فاعلم. واعتبار المساجد مواطن المناجاة وأحوالها الإلهية.

. . .

باب⁴

في ذكر ما نزال به هذه النجاسات من هذه المحال

اتفق العلماء بالشرعة على أن الماء الطاهر المطهر يزيلها من هذه المحال الثلاثة. وعندنا: كل ما يزيل عنها فهو مزيل؛ من تراب وحجر⁵ ومائع. ويعتبر اللون في بقاء عينا، إن كانت ذا لون يدركه البصر. ولا يعتبر بقاء الرائحة مع ذهاب العين لعلم عندنا آخر.

وصل: الاعتبار في ذلك:

إن العلم الذي أنتجه التقوى، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾⁶ وقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾⁷. فذلك العلم هو المزيل، المطهر هذه المحال الثلاثة التي ذكرناها. وهي في الباطن الصفات والقلوب والأحوال، التي قلنا: إنها الثياب والأبدان والمساجد.

واتفق العلماء أيضا، أن الحجارة تزيلها من الخرجين، وهو المعبر عنه في الشرع بالاستجار. ولا يصح عندي الاستجار بحجر واحد، فإنه يفيض ما سمي به الاستجار. فإن الحجرة الجماعه. وأقل الجماعة اثنان. والاعتبار هنا في محل الاتفاق؛ أن الحجارة، لما أوقع الله النسبة بينها وبين القلوب في أمور منها ﴿وَمُ

1 سبق تعريف امرئ القيس في هذا السفر. وعنيزة هي ابنة عم له كان يهاوا.

2 [الأعراف : 26]

3 [البقرة : 197]

4 ص 141 ب

5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

6 [البقرة : 282]

7 [الأخلاق : 29]

8 ص 142

فَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ نَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْجِحَازَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً¹ وَالْقَسْوَةُ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا، كَانَتْ مَا كَانَتْ، فَإِنَّهَا مِنْ نَجَاسَاتِ الْقُلُوبِ الْمَأْخُوذِ بِهَا، وَالْمَغْفُورِ عَنْهَا.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْجِحَازَةِ لَمَّا يَنْتَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ²﴾ وَهِيَ مِنَ الْقُلُوبِ: الْعُلُومُ الْغَزِيرَةُ الْوَاسِعَةُ، الْحِيطَةُ بِأَكْثَرِ الْمَعْلُومَاتِ. وَتَنْجِزُهَا خُرُوجُهَا عَلَى السَّنَةِ الْعِلْمَاءِ، لِلتَّعْلِيمِ فِي الْفُنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ﴿لَمَّا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ³﴾؛ وَهِيَ الْقُلُوبُ الَّتِي تَقْلِبُ عَلَيْهَا الْأَحْوَالِ. فَتَخْرُجُ فِي انْظَاهِرِ عَلَى أَسْنَةِ أَصْحَابِهَا، بِقَدْرِ مَا يَشَقُّقُ مِنْهَا، وَيَقْدِرُ الْعِلْمُ الَّذِي فِيهَا، فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ.

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ﴿لَمَّا يَنْبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ⁴﴾؛ وَهِيَ الْقُلُوبُ الْمَشَبَّهَةُ بِالْحِجَارَةِ فِي هَبْوَطِهَا؛ هُوَ نَزُولُهَا مِنْ عَزَّتِهَا إِلَى عِبَادِيَّتِهَا، وَنَظَرُهَا فِي عِجْزِهَا وَقُصُورِهَا بِالْأَصَالَةِ. وَقَدْ قُلْنَا: إِنَّ الْمَاءَ هُوَ الْمَطْهَرُ الْمَزِيدُ لِلنَّجَاسَاتِ مِنْ هَذِهِ الْمَحَالِّ. فَالْأَجَارُ الَّتِي هِيَ مَنَابِعُ هَذَا الْمَاءِ، حُكْمُهَا فِي إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ⁵ مِنَ الْمَخْرَجِينَ، حُكْمٌ مَا خَرَجَ مِنْهَا، وَهُوَ الْعِلْمُ فِي الْإِعْتِبَارِ. كَمَا أَنَّ الْخَشْيَةَ (هِيَ) مِمَّا يَنْظُرُ بِهَا، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ مِنْ خِصَائِصِ الْعِلْمَاءِ بِاللَّهِ، الْمَرْضِيِّينَ عَنْهُمْ، الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ الرِّضَا عَنْ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ⁶﴾ وَقَالَ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ⁷﴾.

وَالْعِلْمُ طَاهِرٌ مَطْهَرٌ، وَلَا سَيِّئًا الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ التَّقْوَى. فَإِنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ، وَإِنْ كَانَ طَاهِرًا مَطْهَرًا، فَمَا هُوَ فِي الْقُوَّةِ مِثْلَ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي نَشِيرُ إِلَيْهِ. فَالْخَشْيَةُ الْمَنْعُوتُ بِهَا الْأَجَارُ، هِيَ الَّتِي أَدَّتْهَا إِلَى الْهَبْوَطِ. وَهُوَ التَّوَاضُعُ مِنَ الرَّفْعَةِ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ. فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَفَهَا بِالْهَبْوَطِ، عَلَّمَنَا أَنَّ الْأَجَارَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ يَرِيدُ؛ وَالْجِبَالُ (هِيَ) الْأَوْتَادُ الَّتِي سَكَنَ اللَّهُ بِهَا مَبْنَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا جَعَلَهَا أَوْتَادًا، أَوْرَثَهَا ذَلِكَ فَخْرًا لَعَلَّوْا مَنْصِبَهَا. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْأَجَارُ هَابِطَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، لَمَّا سَمِعَتْ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الْبَارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ⁸﴾ وَالْإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الْقُلُوبِ، فَنَزَلَتْ مِنْ عُلُوِّهَا، وَإِنْ كَانَ (عُلُوُّهَا) بَرِّيَّتًا، هَابِطَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَذَرًا أَنْ لَا يَكُونَ لَهَا حِطٌّ فِي الْبَارِ الْآخِرَةِ، الَّتِي

1 [البقرة : 74]

2 [البقرة : 74]

3 [البقرة : 74]

4 [البقرة : 74]

5 ق: وهبوطه

6 ص 142 ب

7 [فاطر : 28]

8 [البينة : 8]

9 [النقص : 83]

تنتقل إليها. وأعني بالدار¹ الآخرة هنا، دار سعادتها: فإنَّ في الآخرة منزل شقاوة ومنزل سعادة، فكانت لهذا طاهرة مطهرة.

وأما اختصاص تطهيرها (أي الحجار - القلوب) المخرجين، واعتبر المخرجين، اللذين هما: مخرج الكيف وهو الرجيع، والنظيف وهو البول. فاعلم أنَّ للحقَّ سبحانه - في القلوب تجليين: التجلي الواحد في الكثافة، وهو تجليه في الصور التي تدركها الأبصار والخيال. مثل رؤية الحق في النوم؛ فأراه في صورة تشبه الصور المدركة بالحس، وقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² فيزيل هذا العلم من قلبك، تقييد الحق بهذه الصور، التي تجلَّى لك فيها، في حال نومك، أو في حال تخيلك في عبادتك. إذ قال لك رسوله ﷺ عنه تعالى، لا عن هواه فإنه ﷺ ﴿مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾³. «اعبد الله كأنك تراه» فجاء بـ «كَأَنَّ» وهي تعطي الحقائق.

فإنَّ رسول الله ﷺ لما قال لمن قال: «أنا مؤمن حقًا»: «لما حقيقة إيمانك؟ فقال: كأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا» فأتى بـ «كَأَنَّ» و«الرؤية» وقال له رسول الله ﷺ: «عرفت فالزم». فشهد له بالمعرفة. وهذا هو التجلي الآخر. فإنَّ تجلِّي الخيال اللطيف من تجلِّي الحس بما لا يتقارب. ولهذا يسرع إليه القلب من حال إلى حال، كما هو باطن الإنسان هنا. كذلك يكون ظاهره في النشأة الآخرة.

وقد ورد أنَّ «في الجنة سوقًا لا يباع فيه ولا يشتري، لكنه مجلى الصور. فمن اشتهى صورة دخل فيها» كالذي هو باطن الإنسان اليوم.

فإذا جعل العابد معبوده بحيث يراه، كأنه أنزله من قلبه منزلة من يراه يبصره، من غير أن يكون هناك صورة من خارج، كما كانت في تجلِّي المنام. فإذا حدَّده هذا التخيل، والحق لا حدَّ له سبحانه - يتقيد به -، فطهره علم الخشية؛ وهو الحجر الذي ذكرناه، من تقييد الحدود. فطهر القلب إنما هو بالخشية من مثل هذا التشبيه والتقييد إذ (هو) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴.

فهذا اعتبار اتفاق العلماء بأنَّ الحجارة تطهر المخرجين، واختلفوا فيما عدا ما ذكرناه من الاتفاق عليه، من المائعات والجامدات التي تزيل النجاسات، من المحال التي ذكرناها. فمن قائل: إنَّ كلَّ مانع وجامد في

1 ص 143

2 [الشورى : 11]

3 [النجم : 3]

4 ص 143 ب

5 [الشورى : 11]

أي موضع كان، إذا كان طاهراً¹، فإنه يزيل عين النجاسة. وبه أقول. ومن قائل بالمنع على الإطلاق، إلا ما وقع عليه الاشتقاق من الماء والاستجمار وقد ذكرناها.

بَابُ مِنْهُ

واختلفوا في الاستجمار بالعظم والروث اليابس. فنع من ذلك قوم، وأجازوا الاستجمار بغير ذلك، مما يَنْقِي. واستثنى من ذلك قوم: ما هو مطعوم ذو حرمة كالخبز. وقد جاء في العظم: «أنه طعام إخواننا من الجن».

واستثنت طائفة: أن لا يُستجمر بما في استعماله سُرف؛ كالذهب والياقوت. أمّا تقييدهم بأن في ذلك سُرفاً فليس بشيء، فلو علّوه بأمر آخر يُعقل كان أحسن. ولكن ينبغي أن يُنظر في مثل هذا: فإِنْ كان الذهب مسكوكاً، وعليه اسم الله، أو اسم من الأسماء المجهولة عنده من طريق لسان أصحابها، خوفاً أن يكون ذلك من أسماء الله بذلك اللسان، أو يكون عليه صورة. فيُجتنب الاستجمار به لأجل هذا، لا لكونه ذهباً ولا ياقوتاً.

وقومٌ قصرُوا الإبقاء على الأحجار فقط. وقومٌ أجازوا الاستجمار بالعظم دون الروث، وإن كان مكروهاً عندهم. ومن قائل بجواز² الاستجمار بكل طاهر ونجس، انفرد به الطبري دون الجماعة.

وصل: في اعتبار ما ذكرناه في الباطن:

إذا صحَّ الإبقاء من الأخلاق المذمومة والجهالات بأي شيء صحَّ؛ بخُلُق حسن أو بخُلُق آخر سفساف، ويعلم شريف لشرف معلومه، أو يعلم دون ذلك بما لا أثر له في المحلِّ إلا الإبقاء؛ جاز استعماله في إزالة هذه النجاسة. وإلى هذا منزع الطبري فيما شدَّ فيه دون الجماعة.

ومن راعى في الإزالة ما يزال به لا ما يزال، وتبج الشرع وما فصله في ذلك المشرع، فهو على حسب ما يفهم من الشارع في تفقّهِه في دين الله؛ فإنَّ فطر الناس مختلفة في الفهم عن الله، وهو محلُّ الاجتهاد، فلا يزيل عين النجاسة إلا بالذي يغلب على فهمه من مقصود الشارع؛ ما هو؟ وهو الأولى. وهذا يسري في الحكم الظاهر والباطن سواء، فأغنى عن التفصيل.

1 ص 144

2 ص 144 ب

بَاب

في¹ الصفة التي بها تُزال هذه النجاسات

وهي غسل ومسح ونَضَحَ وصبُّ؛ وهو صبُّ الماء على النجاسة، كما ورد في الحديث: «لَمَّا بَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي الْمَسْجِدِ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُزْرِمُوهُ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ بَوْلِهِ؛ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ دَعَا بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَضَبَّهُ عَلَيْهِ» فهذه حالة لا تَسْقَى غَسِلاً وَلَا مَسْحاً وَلَا نَضْحاً؛ فَلِهَذَا زِدْنَا النَّصْبَ. وَلَمْ يَأْتِ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ الْعُلَمَاءُ، وَأَدْخَلُوا هَذَا الْفِعْلَ تَحْتَ الْفِعْلِ، فَكَتَبُوا بِلَفْظِ الْغَسْلِ عَنِ النَّصْبِ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّ الْإِفْصَاحَ بِهِ بِلَفْظِ النَّصْبِ أَوْلى، لِأَنَّ الرَّوَايَةَ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ النَّصْبِ، وَلَمْ يَسْمَهُ غَسِلاً.

وَعَلِمَ أَنَّهُ مَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ إِلَّا لِاخْتِلَافِ النَّجَاسَاتِ، تَخْفِيفًا عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَإِنَّ الْمَقْصُودَ زَوَالَ عَيْنِهَا الْمَوْجُودِ الْمُعَيَّنِ أَوْ الْمُتَوَقَّعِ. فَبِأَيِّ شَيْءٍ زَالَ الْوَجْهُ² أَوْ الْعَيْنُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، اسْتَعْمَلَتْ فِي إِزَالَتِهِ. وَاسْتَعْمَالَ الْأَعْمَمِ مِنْهَا يَدْخُلُ فِيهِ الْأَخْصُ، فَيَغْنِي عَنِ اسْتِعْمَالِ الْأَخْصِ إِنْ فَهِمْتَ؛ كَالْغَسْلِ فَإِنَّهُ أَعْمَاهَا، فَيَغْنِي عَنِ الْكُلِّ. وَالشَّارِعَ قَدْ صَبَّ وَغَسَلَ وَمَسَحَ وَنَضَحَ؛ وَهُوَ الرَّشُّ. وَقَدْ وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَخْبَارٌ مَحَلِّهَا كِتَابُ الْفَقْهِ.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

إِنَّ الْخَلْقَ الْمَذْمُومَ؛ إِنْ وَجَدْنَا صِفَةً؛ إِذَا اسْتَعْمَلْنَاهَا أَزَالَتْ جَمِيعَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ؛ اسْتَعْمَلْنَاهَا. فَهِيَ كَالْغَسْلِ الَّذِي يَمَحُّ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمَزِيلَةِ لِأَعْيَانِ النَّجَاسَاتِ وَتَوَقُّمِهَا، وَهُوَ الْأَوْلى وَالْأَيْسَرُ. وَإِنْ تَعَدَّرَ ذَلِكَ؛ فَيَنْظُرُ فِي كُلِّ خَلْقٍ مَذْمُومٍ وَيَنْظُرُ إِلَى الصِّفَةِ الْمَزِيلَةِ لِمَعْنَاهِ، فَيَسْتَعْمِلُهَا فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ الْخَلْقِ لَا غَيْرَ. هَذَا هُوَ رِبْطُ هَذَا الْبَابِ.

وَفِي هَذَا الْبَابِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ فِي الْمَسْحِ وَالنَّضْحِ وَالْعِدْدِ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ. إِلَّا إِنْ فَتَحَ اللَّهُ وَيُؤَخَّرُ فِي الْأَجْلِ، فَنَعْمَلُ كِتَابًا فِي اعْتِبَارَاتِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ كُلِّهَا فِي جَمِيعِ الصُّوَرِ، وَاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ، لِنَجْمَعَ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ، وَنُظْهِرَ حِكْمَةَ الشَّرْعِ فِي النَّشَاطَيْنِ وَالصُّوَرَتَيْنِ، أَعْنِي الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ. لِيَكُونَ كِتَابًا جَامِعًا لِأَهْلِ الظَّاهِرِ، وَأَهْلِ³ الْإِعْتِبَارِ فِي الْبَاطِنِ وَالْمَوَازِينِ، الْبَاحِثِينَ عَلَى النَّسَبِ. وَاللَّهُ الْمُؤَيَّدُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ.

• • •

1 ص 145

2 ص 145 ب، وفي ق: فهو الوجه

3 ص 146

باب

في آداب الاستنجاء ودخول الحلاء

وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة وأوامر، مثل النهي عن الاستنجاء باليمين، ومس الذكر باليمين عند البول، وعدم الكلام على الحاجة، والتعوذ عند دخول الحلاء، وهي كثيرة جدًا. فمن قائل بأنها كلها محمولة على التذنب، وعليه جماعة الفقهاء.

وأما في الاعتبار؛ فهي كلها واجبة. فإِنَّ الباطن ما حكمه في أوامر الحق حكم الظاهر. فَإِنَّ الله ما ينظر من الإنسان إلَّا إلى قلبه. فيجب على العبد¹ أن لا يزال قلبه طاهرًا أبدًا، لأنَّه محلُّ نظر الله منه. والشرع ينظر إلى ظاهر الإنسان، ويراعيه في الدار الدنيا، دار التكليف، أكثر من باطنه.

وفي الآخرة بالعكس، هنالك تُبلى السرائر. وهنا يراعي الشرع أيضًا الباطن في أفعال مخصوصة، أوجب الشرع عليه فعلها، وأفعال مخصوصة ندبه الشرع إليها، وأفعال مخصوصة خيَّره الشرع بين فعلها وتركها، وأفعال مخصوصة حرَّم الشرع عليه فعلها، وأفعال مخصوصة كره الشرع له فعلها. والحكم في الترك كذلك.

واختلفوا من هذه الآداب، في استقبال القبلة بالغائط والبول واستدبارها؛ فكانوا فيها على ثلاثة مذاهب: فمن قائل إلى أنَّه لا يجوز استقبال القبلة لغائط أو بول أصلا في أيِّ موضع كان، ومن قائل: إنَّه يجوز ذلك بإطلاق، وبه أقول. والتأثره عن ذلك أولى وأفضل. ومن قائل: إنَّه يجوز ذلك في الكنف المبنية، ولا يجوز في الصحارى. ولكل قائل حجة من خبر يستند إليه، ذكر ذلك علماء الشريعة في كتبهم.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

لَمَّا أخبر النبي ﷺ: «أَنَّ الله في قبلة المصلِّي» و«أَنَّ العبد إذا صَلَّى واجَهَ رَبَّهُ». فمن فهم من ذلك أنَّ القبلة المعلومة إليها تُسبَّ كَوْنُ الله، أو تُسبَّ إليها في حال صلاة المصلِّي خاصَّة. فمن فهم أنَّ المراد القبلة بتلك النسبة لم يجز استقبال القبلة عند الحاجة، لسوء الأدب. ومن فهم أنَّ المراد حال المصلِّي أجاز استقبال القبلة عند الحاجة، فإنَّه غير مصلٍّ الصلاة مخصوصة، بالصفة المعلومة.

ومن رأى روح الصلاة وهو³ الحضور مع الله دائما ومناجاته- كانت جميع أفعاله صلاة: فلم يقل بالمنع من استقبال القبلة عند الحاجة، فإنَّه في روح الصلاة لا ينفك دائما. وهم أهل الحضور مع الله على الدوام،

1 نابتة في الهامش مع إشارة التصويب

2 ص 146 ب

3 ص 147

والمشار إليهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾¹ اعتباراً. فأما من لم يخطر له خاطر الحضور مع الله إلا في وقت الحاجة، فذلك خاطر شيطاني لا يعول عليه، ويجتنب استقبال القبلة، ولا بدّ عندنا، من هذه حالته، فإنه من عمل الشيطان، وقد أمرنا باجتناب عمل الشيطان في قوله إنه ﴿رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾².

وأما من يرى الاستقبال في الكُفّ المبنية دون الصحارى، فإن الكنف المبنية والمدن (هي) حال الجمعية، فتشبه جمعية الأسماء الإلهية. فما من شيء إلا وهو مرتبط بحقيقة إلهية، به كانت معقوليته³. فإن المعلوم مرتبط بالتنزيه. فلا يخلو صاحب هذا الحال عن مشاهدة ربه من حيث تلك الحقيقة. فإن البناء والمدن دلّتا على ذلك، فجاز له أن يستقبل القبلة، وأن يكون بحكم الموطن. وأما في الصحراء فهو وحده، فلا مانع له من ترك استقبال القبلة بالحاجة، فيتأدّب، ولا يستقبل، احتراماً لقول الشارع. فإنه ما في الصحراء حالة تقيد، لرؤية حقيقة إلهية، إلا اختياره. ولا ينبغي للبعد أن يكون له اختيار مع سيده، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾⁴ فما اختار المدن والكنف المبنية ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾⁵ فيما لم يختره لهم. فليس لهم⁵ أن يختاروا، بل يقفون عند المراسم الشرعية. فإن الشارع هو الله تعالى. فيستعمل بهذا النظر جميع الأخبار الواردة في استقبال القبلة بالحاجة واستدبارها، والنهي عن ذنبيك.

فقد أثبتنا في هذا الباب من فصول الطهارة، ما يجري مجرى الأصول. والقول الجامع في الطهارات، هو أن نقول: الطهارة من الأشياء⁶ المعقولة المعنى بما يزيلها، أي شيء كان من البراهين؛ جدلية كانت أو وجودية، فإن الغرض لإزالتها، لا بما تُزال، ما لم يكن الذي تُزال به، يؤثر نجاسة في المحل، فإذا ما زالت النجاسة.

وأما التي هي غير معقولة المعنى، فطهارتها موقوفة على ما ينض الله تعالى - في ذلك أو رسوله، فتزيلها بذلك. فإن شاء الحق عرفك بمعناه ونسبته، فتكون إزالتها في حقك عن علم محقق. وإن لم يكن ذلك، فهو المستقى بالتعبد. وهو المعنى المطلق في جميع التكاليف، وهو العلة الجامعة ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَبْدِي السَّبِيلَ﴾⁷.

1 [المعارج : 23]

2 [المائدة : 90]

3 ق: معقولة

4 [التقصص : 68]

5 ص 147 ب

6 ق: الإنسان

7 [الأحراب : 4]

انتهى الجزء الخامس والثلاثون، وباتتهائه انتهى السفر الخامس من هذا الكتاب، يتلوه في الجزء السادس والثلاثين، الباب التاسع والستون في أسرار الصلاة.¹

1 أسفل الورقة: "قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام فتوة العلماء غفر الفضلاء محمد بن علي بن محمد بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي أيد الله بركته، في مجالس آخرها يوم الخميس سادس ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة في منزله بدمشق. وسمع بقراءتي مجد (?) الدين محمد بن أبي القاسم بن أبي نزاب الأهوازي في مؤرخه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله".
وبليه بخط ابن العربي: "صعقت القراءة علي كما ذكر وكتب محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي في تاريخه".
وفي هامش الصفحة ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1761

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
130ب	28	2	البقرة	41	13	3	آل عمران
132	28	2	البقرة	7	18	3	آل عمران
136ب	29	2	البقرة	19ب	18	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	19ب	19	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	95ب	96	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	6	110	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	33ب	43	4	النساء
120ب	83	2	البقرة	71ب	93	4	النساء
6	105	2	البقرة	37ب	114	4	النساء
28	117	2	البقرة	41ب	140	4	النساء
79ب	186	2	البقرة	37ب	148	4	النساء
54ب	195	2	البقرة	46	148	4	النساء
141	197	2	البقرة	81ب	150	4	النساء
116	222	2	البقرة	81ب	151	4	النساء
121ب	282	2	البقرة	108	171	4	النساء
141ب	282	2	البقرة	31ب	6	5	المائدة
85	284	2	البقرة	34	6	5	المائدة
88	285	2	البقرة	50	6	5	المائدة
53	286	2	البقرة	57ب	6	5	المائدة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
120	122	9	التوبة
88	76	12	يوسف
16	2	13	الرعد
108ب	33	13	الرعد
33ب	4	14	إبراهيم
6	20	14	إبراهيم
20	52	14	إبراهيم
85	40	16	النحل
124	40	16	النحل
124ب	43	16	النحل
50ب	50	16	النحل
13ب	15	17	الإسراء
20ب	15	17	الإسراء
25	23	17	الإسراء
109	23	17	الإسراء
120	23	17	الإسراء
54ب	29	17	الإسراء
56ب	37	17	الإسراء
13ب	95	17	الإسراء
11ب	97	17	الإسراء
121ب	65	18	الكهف

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
125	6	5	المائدة
18	48	5	المائدة
94	83	5	المائدة
98ب	90	5	المائدة
147	90	5	المائدة
23ب	109	5	المائدة
50ب	18	6	الأنعام
112	93	6	الأنعام
71	122	6	الأنعام
108ب	40، 41	6	الأنعام
141	26	7	الأعراف
9	49	7	الأعراف
72	87	7	الأعراف
138ب	172	7	الأعراف
31ب	11	8	الأنفال
121ب	29	8	الأنفال
141ب	29	8	الأنفال
70ب	68	8	الأنفال
110	6	9	التوبة
139	28	9	التوبة
42ب	102	9	التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
99	15	28	القصاص
147	68	28	القصاص
142ب	83	28	القصاص
98	4	30	الروم
56ب	19	31	لقمان
108	27	31	لقمان
13	4	33	الأحزاب
19	4	33	الأحزاب
28	4	33	الأحزاب
80ب	4	33	الأحزاب
120ب	4	33	الأحزاب
128ب	4	33	الأحزاب
132ب	4	33	الأحزاب
147ب	4	33	الأحزاب
110ب	21	33	الأحزاب
47ب	53	33	الأحزاب
85ب	57	33	الأحزاب
108	10	35	فاطر
64	15	35	فاطر
94	28	35	فاطر
142ب	28	35	فاطر

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
122	104	18	الكهف
132	9	19	مريم
130	14	20	طه
38	50	20	طه
62	110	20	طه
59	20	21	الأنبياء
34ب	30	21	الأنبياء
32ب	12	23	المؤمنون
32ب	13	23	المؤمنون
33	14	23	المؤمنون
33	14	23	المؤمنون
71ب	9	24	النور
97	14	24	النور
48	30	24	النور
48	31	24	النور
55	35	24	النور
10ب	24	25	الفرقان
13	24	25	الفرقان
54ب	67	25	الفرقان
81ب	14	27	النمل
82	14	27	النمل

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
143ب	11	42	الشورى
131ب	40	42	الشورى
33ب	3	43	الزخرف
111	49	44	الدخان
20	19	47	محمد
97ب	14	49	الحجرات
70ب	29	50	ق
32ب	21	51	الناريات
108	3	52	الطور
143	3	53	الرحمن
106	29	55	الرحمن
106ب	31	55	الرحمن
121ب	4 - 1	55	الحديد
23	7	57	الحديد
13	14	57	الحديد
27ب	27	57	المجادلة
7	11	58	الحشر
125ب	9	59	الثلاثاء
69	9	62	الطلاق
38	7	65	الطلاق
53	7	65	المملك

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
44ب	37	36	يس
10ب	58 - 55	36	يس
67	96	37	الصفافات
126	96	37	الصفافات
60	180	37	الصفافات
24ب	5	38	ص
70	4	39	الزمر
92	7	39	الزمر
48ب	18	39	الزمر
9	73	39	الزمر
95ب	75	39	الزمر
88	15	40	غافر
16ب	12	41	فصلت
21ب	12	41	فصلت
62	11	42	الشورى
69	11	42	الشورى
73ب	11	42	الشورى
75ب	11	42	الشورى
75ب	11	42	الشورى
100ب	11	42	الشورى
143	11	42	الشورى

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
33	8	82	الطارق
125ب	5	86	الطارق
125ب	6	86	الطارق
140ب	7	86	الطارق
23ب	9	86	الأعلى
63ب	1	87	العلق
115ب	14	96	البينة
34	5	98	البينة
124	5	98	البينة
142ب	8	98	البينة
41ب	7	104	الهمزة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
40	8	67	القلم
37ب	11	68	الحاقة
116	44 - 46	69	المعارج
125ب	21	70	المعارج
58ب	23	70	المعارج
147	23	70	المدثر
32	4	74	القيامة
48	22 - 25	75	الإنسان
132	1	76	النازعات
131	40	79	الإنفطار
33	7	82	الإنفطار

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
إذا التقى الختان الختان فقد وجب الغسل	سنن الترمذي 102، مسند أحمد 24832	100ب
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله	صحيح مسلم 9، سنن أبي داود 4075	19ب
اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب؛ أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف	صحيح البخاري 504، صحيح مسلم 977	39ب
أعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	109، 143
أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيتون من قبلي: لا إله إلا الله	موطأ مالك 449، مصنف عبد الرزاق 8125	24ب
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	27
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	23ب
إن الأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم	سنن أبي داود 3157، سنن الترمذي 2605	121ب
إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعلي وعمر وسلمان	المعجم الأوسط للطبراني 7784	3
إن الشخص إذا كذّب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من ثني ما جاء به	المعجم الكبير للطبراني 56	114ب
إن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: فمن خلق الله	صحيح مسلم 190، مسند أحمد 25006	36ب
إن العبد إذا زنى خرج عنه الإيمان حتى يصير عليه كالظلمة؛ فإذا أفلح رجع إليه الإيمان	سنن أبي داود 4070، سنن الترمذي 2549	42
إن العبد إذا صلى واجه ربه	مسند الحميدي 763	146ب
إن العلماء ورثة الأنبياء	سنن أبي داود 3157، سنن الباري 351	121ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
إِنَّ اللَّهَ فِي قِبْلَةِ الْمُصَلِّي	صحيح البخاري 391، صحيح مسلم 852	146ب
إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَبَضَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كَأَمْثَالِ النَّزْرِ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ	الإبانة الكبرى لابن بطنة 1330، تفسير ابن أبي حاتم 9301	138ب
إِنَّ حِجَابَهُ النُّورُ	صحيح مسلم 263، سنن ابن ماجه 191	24
إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بُعِثَ بِهِ إِنَّمَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْتَرِينَ	صحيح البخاري 358، صحيح مسلم 2561	22ب 47
أَنْفُسُهُمْ	صحيح البخاري 285، صحيح مسلم 444	114
إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	صحيح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	34
إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ	صحيح مسلم 518، مسند أحمد 11010	100
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ؛ أَغْضِبُ كَمَا يَغْضِبُ الْبَشَرُ وَأَرْضِي كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِي؛ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مَبِينٌ	صحيح مسلم 4712، مسند أحمد 7010	72ب
إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ	تفسير ابن أبي حاتم 14897، شعب الإيمان للبيهقي 1414	33ب
إِنَّهُ طَعَامُ إِخْوَانِنَا مِنَ الْجِنَّ	المستدرک علی الصحیحین 61، للحاکم 7714، شعب الإيمان للبيهقي 6823	61
إِنَّهُ مَخْلُوقٌ عَلَى الصُّورَةِ	سنن الترمذی 18، مسند أحمد 3935	144
إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ.. أَوْ عَلَى طَهَارَةٍ	صحيح مسلم 4731، مسند أحمد 7021	125ب
	المستدرک علی الصحیحین 111، للحاکم 548، صحيح ابن حبان	111

- أيزني المؤمن؟ قال: نعم. قيل: أيشرب المؤمن؟ قال: نعم. قيل: تهذيب الآثار للطبري 1470 ب115
أيسرق المؤمن؟ قال: نعم. قيل له: أيكذب المؤمن؟ قال: لا
أين باتت يده
صحيح البخاري 157، صحيح
45 مسلم 416
بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
23ب صحيح البخاري 7، صحيح
رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج
مسلم 19
بيده الميزان يخفض ويرفع
صحيح البخاري 4316، ب106
مشكاة المصابيح 92
9 تأهبوا لرؤية ربكم جلّ جلاله- فهذا هو يتجلّى لكم.. ارفعوا
الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني
ثمرة طيبة وماء طهور، أو شراب طهور
سنن أبي داود 77، مسند
80 أحمد 3619
جعلت لي الأرض كلها مسجدا
صحيح البخاري 323، صحيح
106 مسلم 810
حتى يقولوا: لا إله إلا الله
صحيح البخاري 24، وصحيح
26ب مسلم 33
الحياء خير كله
صحيح مسلم 54، سنن أبي
48 داود 4163
الحياء لا يأتي إلا بخير
صحيح البخاري 5652،
48 صحيح مسلم 53
الحياء من الإيمان
صحيح البخاري 23، صحيح
48 مسلم 52
خلق الله الماء طهورا لا يتنجسه شيء
74
الرائع حول الحمى يوشك أن يقع فيه
صحيح مسلم 2996،
116 مستخرج أبي عوانة 4443
فطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم- أن يعفو عنه أو
131ب سنن أبي داود 3902،
يقبل الدية فأبى. فقال: خذه. فأخذه. فلما قفى؛ قال رسول الله
مستخرج أبي عوانة 5010

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
صلى الله عليه وسلم: - أما إنه إن قتلته كان مثله فلا رسول بعدي ولا نبي	سنن الترمذي 2198، مسند أحمد 13322	5ب
فما حقيقة إيمانك؟ فقال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا... عرفت فالزم فمن وافق خطه فذاك	المعجم الكبير للطبراني 3289، شعب الإيمان للبيهقي 10195 صحیح مسلم 836، سنن أبي داود 795	143 23
فهما في الأجر سواء	سنن ابن ماجه 4218، مسند أحمد 17336	12ب
في الجنة سوف لا يباع فيه ولا يشتري، لكنه مجلى الصور. فمن اشتبهى صورة دخل فيها	سنن الترمذي 2473، مسند أحمد 1273	143ب
فيقول الله جلّ جلاله: سلام عليكم عبادي، ومرجبا بكم، حياتكم الله، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم، فطوبى لمن فادخلوها خالين....	سنن أبي داود 3902، مستخرج أبي عوانة 5010	9
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر	صحیح البخاري 3005، صحیح مسلم 5050	8ب
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	موطأ مالك 174، صحیح مسلم 598	40ب
كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشترع في العضد	9ب	
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا انقطع شئ من عمله، خلع الأخرى حتى يعبدل بين رجليه، ولا يمشي في نعل واحد	صحیح مسلم 3917، مسند أحمد 13980	38
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا علم الناس شرائعهم كرر الكلمة ثلاث مرات، حتى فهم عنه	68	
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يذكر الله على كل أحيائه	صحیح مسلم 558، مسند أحمد 25172	59
لا يكل الذنب إلا الفاصية	سنن أبي داود 460، سنن النسائي 838	37ب
لم يكن يحجزه (ص) عن قراءة القرآن شيء ليس الجنباة	المستدرک علی الصحیحین 110ب،	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
	للحاكم 7183، صحيح ابن حبان 800	111ب
لَمَّا بَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي الْمَسْجِدِ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا تُزِرُّمُؤَهُ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ بَوْلِهِ؛ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أَوْ دَعَا بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَضَبَّهُ عَلَيْهِ	145	
اللَّهُ يَغْضَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَضًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ	72	صحيح البخاري 3092، صحيح مسلم 287
لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلَ الْخَفِّ أَوَّلُ بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْسَحُ أَعْلَى الْخَفِّ	63	سنن أبي داود 140، سنن الدارقطني 797
لَيْسَ شَخْصٌ أَضَبَرَ عَلَى أَذَى مِنَ اللَّهِ	85ب	صحيح البخاري 5634، صحيح مسلم 5016
مَا وَسَعَنِي أَرْضِي وَلَا سَهْمَانِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ مَنَلَنِي فِي الْأَنْبِيَاءِ كَثَلَ رَجُلٍ بَنَى حَائِطًا، فَأَكَلَهُ إِلَّا لَبَنَةً وَاحِدَةً؛ فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ	90، 32	الزهدي لأحمد بن حنبل 429، صحيح مسلم 4238، مسند أحمد 7173
مَنْ عَزَفَ نَفْسَهُ عَزَفَ رُوحَهُ	26،	أدب الدنيا والدين للماوردي -
	32ب،	(1 / 86)، المحرر الوجيز -
	78، 65	(6 / 353)
مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	112	صحيح البخاري 1209، صحيح مسلم 5
مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ	20ب	صحيح مسلم 38، مسند أحمد 467
النَّدَمُ تَوْبَةٌ	99	سنن ابن ماجه 4242، المستدرک علی الصحیحین للحاكم 7720
نور على نور	31،	صحيح مسلم 261، مسند أحمد 20427
وسعني قلب عبدي	55ب	الزهدي لأحمد بن حنبل 429
	41	

الحدیث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
ومثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيهوي بها في النار سبعين خرفاً	سنن ابن ماجه 3960	81ب
يا بلال؛ بم سبقتني إلى الجنة؟ فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي. فقال: يا رسول الله؛ ما أحدثت قطراً إلا توضأت، ولا توضأت إلا صليت ركعتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- بهما	سنن الترمذي 3622، مسند أحمد 21918	4
يا رسول الله؛ من أولياء الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- الذين إذا رزوا ذكر الله	مصنف ابن أبي شيبة 93، المعجم الكبير للطبراني 19900	65ب
يا رسول الله؛ وما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر	صحيح البخاري 1764، صحيح مسلم 1705	5
يد الله مع الجماعة	سنن الترمذي 2092، شعب الإيمان للبيهقي 7253	37ب
يضع الجبار فيها قدمه	مسند أحمد 7393، السنن الكبرى للنسائي 11522	61ب
يكلف أن يعقد بين شعيرتين من نار	صحيح البخاري 6520، سنن الترمذي 2208	116

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
29	تَبَصَّرَ تَرَى سِرَّ الطَّهَارَةِ وَاضِحًا	والذكا ا	28	الطويل
2	مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ الْمَحْسُوسَةِ انْقَسَمَتْ	تطلبها ب	6	البسيط
108ب	إِنَّ الْكَيَانَ عَجِيبٌ فِي تَقْلِبِهِ	وتجوير ر	3	البسيط
109ب	كَأَنَّ "سُلْطَانَهَا، فَانْظُرْ لَهُ خَبْرًا	الخبر ر	3	البسيط
33	وَفِي كُلِّ طَوْرِ لَهُ آيَةٌ	مفتقر ر	1	المتقارب
12ب	مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ مَقْسُومَةٌ	اختصاص ص	4	السريع
12	النَّارُ نَارَانِ نَارًا كُلُّهَا لَهَبٌ	تطلع ع	2	البسيط
13ب	طَلَبَ الْجَلِيلُ مِنَ الْجَلِيلِ	الإجلالا ل	5	الكامل
128	حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ سُبْحَةُ وَجْهِهِ	هي هـ	1	الرجز
19ب	شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَزَلْ أَزَلًا	الله هـ	6	الخفيف
83ب	يَا نَانَمَا كَمْ ذَا الرِّقَادُ	فانتبه هـ	5	مجزوء الكامل
مجموع الآيات			64	

استشهاد

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
66ب	خَفَاهُنْ مِنْ أَشَاقِهِنَّ	مَجْلَبُ ب	1	الطويل	امرؤ القيس
114	لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ	الأدب ب	1	البسيط	
13	أَمَانِي إِنْ تَحْصُلْ تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى	رغبا د	1	الطويل	ابن ميادة
32	أَرَبِنَا الشَّهَى وَتُرْبَتِي الْقَنْزُ	القمر ر	1	المقارب	
131	هَوَى صَحِيحٌ وَهَوَاءٌ عَلِيلٌ	مستحيل ل	1	السريع	عبد الرحمن الفاذازي
32	وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَاعَتُكَ مَنِي خَلِيقَةً	تنسل ل	1	الطويل	امرؤ القيس
141	وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَاعَتُكَ مَنِي خَلِيقَةً	تنسل ل	1	الطويل	امرؤ القيس
مجموع الآيات			7		

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الأب	32ب	الإيمان/تصديق	21، 41ب
إبراهيم	20	الباطل	112ب
إبليس	38ب، 99ب	بحر	29
الاتحاد	110ب	البسط	102
الأثر - المؤثر - المؤثر فيه	65ب، 67، 129ب	البيت	39ب، 40، 95
الأحادية - أحدية	71ب، 76، 77ب	بيت الله	95ب، 96ب
الأحد - أحدية		بيتة الله	7، 8، 23
الكثر		التجريد	94ب
إدريس	22ب	التجلي الأقدس -	8ب، 9
آدم	32ب، 114ب، 130ب، 132، 138، 138ب	التجلي المقدس	
		التسبيح/ذكر	138ب
إرادة	124	التوبة	42ب
الإرث - الوارث	14، 110ب	التوحيد	3ب، 8، 20، 25ب، 26ب، 27، 27ب،
الاسم الجامع	26ب		66ب، 67، 67ب،
اسم ذات - اسم	14، 15		71ب، 77ب، 92، 126
مرتبة		التوكل	29، 49ب
الأفراد	36ب	الثبوت	61ب
إكسير العارفين	37	جبريل	109
الإمامان	35	الجمال	9
الأشئ	79، 114	الجمع	15
الإيثار	49ب		

المصطلح	صفحة المخطوط
الروح/العقل	2ب، 3
رياضة	35
الزهد	44
الستر	44ب
سيف التوكل	29
الشريعة	18، 38ب
شهادة/ نهار /	44ب
ظهور	
الصبر	24
الصدق	32ب
صراط الهدى	2
الصفة	19، 24، 24ب، 62،
	63، 64، 65ب، 66،
	69، 76ب، 79ب،
	91ب، 100، 103ب،
	105ب، 109ب،
	112ب، 127
الصورة/الأمر	16ب
الطاقة	39، 51ب
الظاهر والباطن	39، 39ب، 43، 63ب،
	144ب، 145ب
عالم الأمر	140ب
عالم الأنفاس	132ب

المصطلح	صفحة المخطوط
الجمعية	147
جنة اختصاص	3ب، 12ب، 13
جنة الأعمال	3ب، 6
جنة الكتيب /	8ب، 8، 8ب
حضرة الحق	
جنة الوسيلة	6ب، 7
جنة عدن	8ب، 8، 2
جنة ميراث	3ب
الجنة/ حضرة	2، 2ب، 11
الرسول	
حب فرائض -	47
حب نوافل	
حجاب العزة	8ب
حجاب/العبد	60ب، 61
الحق المخلوق به	102ب
الحيوان -	2ب، 3
الحيوانية	
ختم الختم	6
ختم الولاية	6
الخاصة	
خزانة الخيال	109
خلوة	19
الخيال/ كآن /	143، 143ب
حضرة	

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
عالم الخلق	140ب	الكتاب المسطور	108، 108ب
عدم العدم	24ب	كرامة	10
عرش الروح /	2ب	كلمة التوحيد	25ب، 26ب، 27
النفس الناطقة		الكمال	3، 15، 33ب، 100، 105ب، 106
العلم	79ب، 45، 45ب	كن/اليد	85
العموم	60ب	الكون	108ب
الغربة	68، 89ب، 99ب، 101، 105ب، 106، 111	اللطفية	3
غربة	68، 89ب، 99ب، 101، 105ب، 106، 111	اللوح (المحفوظ)	21ب
الفتوح	102	ليل	36، 44ب
الفطرة	138	ليلة القدر	4
الفقر	49ب	المجمل	120ب
فوق	50ب، 88	مجموع العالم	132
الفيض	17ب، 19	المسافر	121
القبض	36، 54ب، 100، 102، 113، 138ب	المشيئة / عرش الذات	33، 33ب
القدم	62	المصحف الكبير	89، 89ب، 109، 109ب، 110
القشر	48ب	المعرفة	94، 94ب
القلب	81ب	المفصل	14، 16
الكتاب المرقوم	108، 108ب	المكر	99ب
		منزل	143

المصطلح	صفحة المخطوط
وارد	18ب، 100ب، 105ب
الواقعة	124ب، 125
وجه الحق - وجه الحق في الأشياء	7ب، 37، 73ب
الوجه الخاص	65، 140، 140ب
وجه الشيء	48
الوحدة	102ب
الوحي	22ب
الود	32
الوصل	51
ولي - الولاية	6، 36، 66، 102
الوهم	11ب، 109، 123ب، 145ب
يد الله - اليدان	26ب، 37
يقين	22، 48ب، 49ب، 68

المصطلح	صفحة المخطوط
النظر الأعلى	8
المهم	3ب
الميزان	102، 106ب
نائب الحق	90ب، 132ب
نار أعمال	41ب
النار الباطنة	97ب
نار جحيم	41ب
النار / دار الغضب	3، 12
نبي اتباع - نبي شريعة	7، 19، 22ب، 28
نعم / المزاج الملائم	2ب
نهر	10، 58ب
نور الأيمان	73ب
الهجوم	125

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	20	أبو موسى الديلمي	86ب
إبليس	38ب، 99ب	أبو نعيم الأصفهاني	65ب
ابن كثير (القارئ)	31ب، 32	أبو يوسف (صاحب أبي حنيفة)	77
أبو الحجاج يوسف الشيرلي	91	إدريس (النبي)	22ب
أبو العباس العربي	26ب	آدم	32ب، 114ب، 132ب، 138ب
أبو بكر الصديق	5، 5ب	الأشعري (أبو الحسن)	52
أبو بكر محمد بن الحسن النقاش	9، 10ب	أشهب	63ب
أبو حنيفة	34ب	الأعمش	104ب
أبو زيد عبد الرحمن الفازاري	131	أمرؤ القيس	32، 66ب، 141
أبو سعيد الخدري	104ب	البسطامي (أبو يزيد)	86ب
أبو طالب المكي	22	بلال الحبشي	3، 4
أبو عبد الله الكتاني	7ب	جبريل	109
أبو عبد الله بن الجاهد	91	الحجاج = الحجاج بن يوسف الثقفي	117ب
أبو عبد الله بن قسوم	91	الحسن البصري	117ب
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي	51	الحسن بن حي	35
أبو عمر بن عبد البر	53ب	روح القدس	37
أبو مدين	87	السلاري	86ب

الاسم	صفحة المخطوط
الفراء	32
فرعون	79
قس بن ساعدة	21
القشيري	5
مالك بن أنس	60
محمد بن خلف بن	31ب
صاف اللخمي	
محمد بن سيرين	70ب
مرم (عليها السلام)	108
مسلم (الإمام)	7، 53، 64ب
موسى (النبي)	89، 99

الاسم	صفحة المخطوط
سلمان الفارسي	3
عائشة (أم المؤمنين)	59
عبد الله بن عباس	60
عبد الله بن عمر	27
عبد الله بن مسعود	119ب
علي بن أبي طالب	3، 63
عمار بن ياسر	3
عمر بن الخطاب	27
عنيزة	141
عيسى (النبي)	108
الفزالي (أبو حامد)	39، 86ب

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أشبيلية	32	فاس	7ب
الأندلس	32	قوس الحنية	32
بيت الله	95ب، 96ب، 39ب، 40،	الكعبة	5ب، 6، 90
الحرام	115، 95، 90	المدينة المنورة	4ب
تلمسان	131	المرية	38
توزر	6	المزدلفة	94ب
جنة عدن	6ب، 8، 2	المسجد	4ب
حنين	96	الأقصى	
الركن الشامي	5ب	المسجد الحرام	4ب
الركن الهماني	5ب	مسجد المدينة	4ب
عرفات	94ب	مكة المكرمة	5ب، 6، 93، 95، 95ب،
عرفة	95، 94، 94ب، 93،		96
العليا	26ب		

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار	ابن العربي	58ب
التنزيلات الموصلية	ابن العربي	30ب، 37ب
مواقع النجوم	ابن العربي	38، 90
المستظهري	أبو حامد الغزالي	39
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهاني	65ب
صحيح مسلم بن الحجاج	مسلم	64ب، 7

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
الأشعرية	52
المعتزلة	52
المنزّهة	62

المحتويات

227.....	رموز مستخدمة في التحقيق
231.....	الباب الخامس والمتون في معرفة الجنة، ومنزلها، ودرجتها، وما يتعلق بهذا الباب
243.....	الباب السادس والمتون في معرفة سر الشريعة ظاهرا وباطنا وأي اسم إلهي أوجدها
249.....	الباب السابع والمتون في معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو الإيمان
258.....	الباب الثامن والمتون في أسرار الطهارة
265.....	وَصَلِّ (الماء ماءان)
268.....	وَصَلِّ (الله خاطب الإنسان بجملة)
270.....	بيان وإيضاح
270.....	وَصَلِّ (وجوب الطهارة)
273.....	وصل (للتطهارة شروط وأركان وصفات وعند وحد)
273.....	وصل (غسل اليد)
276.....	وَصَلِّ المضمضة والاستنشاق
278.....	باب التحديد في غسل الوجه
280.....	باب في غسل اليدين والذراعين في الوضوء إلى المرافق
281.....	باب في مسح الرأس
284.....	وصل في المسح على العمامة
286.....	وصل: في توقيت المسح على الرأس
287.....	باب مسح الأذنين وتجديد الماء لهما
288.....	باب غسل الرجلين
289.....	بيان وإتمام
290.....	باب في ترتيب أفعال الوضوء
290.....	باب في الموالاة في الوضوء
292.....	باب في المسح على الخفين
295.....	وَصَلِّ (من أجله سقرا ومنعه في الحضر)
295.....	وَصَلِّ (من منع جوازه على الإطلاق)
295.....	وَصَلِّ وتتميم (الإشارة بالخفين)
296.....	باب تحديد محل المسح من الخف وما في معناه
297.....	باب في نوع محل المسح، وهو ما يُستقر به الرجل من خف أو جورب
299.....	باب في صفة الممسوح عليه

300.....	باب في توقيت المسح
301.....	باب في شرط المسح على الخفين
303.....	باب في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف
304.....	أبواب المياه
304.....	باب: في مطلق المياه
307.....	باب في الماء يخالطه النجاسة، ولم يُخَرَّ أحد أوصافه
309.....	باب الماء يخالطه شيء ظاهر مما ينفك عنه غالباً متى غُيِّرَ أحد أوصافه الثلاثة
310.....	باب في الماء المستعمل في الطهارة
311.....	باب في طهارة أسنار المسلمين وبهيمة الأنعام
311.....	باب في الطهارة بالأسنار
313.....	باب الوضوء بنبذ التمر
313.....	أبواب نواقض الوضوء
314.....	باب انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من للنجس
316.....	باب حكم النوم في نقض الوضوء
316.....	باب الحكم في لمس النساء
317.....	باب في لمس الذكر
318.....	باب الوضوء مما ممتنع الفل
319.....	باب الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء
320.....	باب الوضوء من حمل الميت
320.....	باب نقض الوضوء من زوال العقل
321.....	أبواب الأفعال التي تُشترط هذه الطهارة في فعلها
322.....	باب الطهارة لصلاة الجنائز ولسجود القلاوة
322.....	باب الطهارة لمس المصحف
323.....	باب يجاب الوضوء على الجنب، عند إرادة النوم، أو معاودة الجماع، أو الأكل أو الشرب
323.....	باب الوضوء للطواف
324.....	باب الوضوء لقراءة القرآن
325.....	أبواب الاغتسال
325.....	أحكام طهارة الضل:
326.....	باب الاغتسال من غسل الميت
327.....	باب الاغتسال للوقوف بعرفة

- 328.....باب الاغتسال لدخول مكة زادها الله تشريفا
- 330.....باب الاغتسال للإحرام
- 330.....باب الاغتسال عند الإسلام، وهو سنة بل فرض
- 331.....باب الاغتسال لصلاة الجمعة
- 331.....باب الاغتسال ليوم الجمعة
- 332.....باب غسل المستحاضة
- 332.....باب الاغتسال من الحيض
- 333.....باب الاغتسال من المنى الخارج على غير وجه اللثة
- 334.....باب الاغتسال من الماء بجده النقم إذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاما
- 334.....باب الاغتسال من التقاء الخنثيين من غير إنزال
- 335.....باب الاغتسال من الجنابة على وجه اللثة
- 336.....باب التدلك باليد في الغسل في جميع البدن
- 337.....باب النية في الغسل
- 337.....باب المضمضة والاستنشاق في الغسل
- 338.....باب في ناقض هذه الطهارة التي هي للغسل
- 338.....باب في إيجاب الطهر من الوطء
- 339.....باب في الصفة المعتبرة في كون خروج المنى موجبا للاغتسال
- 339.....باب في دخول الجنب المسجد
- 341.....باب من الجنب المصحف
- 343.....باب قراءة القرآن للجنب
- 345.....باب الحكم في الدماء
- 346.....باب في أكثر أيام الحيض، وأقلها، وأقل أيام الطهر
- 346.....باب في دم النفاس، في آله وأكثره
- 347.....باب في الدم تراه الحامل
- 347.....باب في الصفرة والكثرة، هل هي حيض أم ليست بحيض؟
- 348.....باب فيما يمنع دم الحيض في زمانه
- 349.....باب في مباشرة الحائض
- 349.....باب وطء الحائض قبل الاغتسال وبعد الطهر المحقق
- 350.....باب من أتى امرأته وهي حائض، هل يُكْتَر
- 350.....باب حكم طهارة المستحاضة

باب في وطء المستحاضة.....	351
أبواب التيمم.....	351
باب كون التيمم بدلا من الوضوء بقلق، ومن الكبرى بخلاف.....	352
باب: فيمن تجوز له هذه الطهارة.....	354
باب في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله.....	355
باب الحاضر يعم الماء ما حكمه؟.....	356
باب في الذي يجد الماء ويمنعه من الخروج إليه خوف عدو.....	356
باب الخائف من البرد في استعمال الماء.....	357
باب النية في طهارة التيمم.....	357
باب من لم يجد الماء هل يُشترط فيه الطلب، أم لا يشترط؟.....	358
باب اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة.....	359
باب في حد الأيدي التي ذكر الله ﷻ في هذه الطهارة.....	359
باب في عدد الضربات على الصعيد للتيمم.....	360
باب في إيصال التراب إلى أعضاء التيمم.....	360
باب فيما تصنع به هذه الطهارة.....	361
باب في ناقض هذه الطهارة.....	362
باب في وجود الماء لمن حاله التيمم.....	362
باب في أن جميع ما يفعل بالوضوء يُستباح بهذه الطهارة.....	363
أبواب الطهارة من النجس.....	363
باب في تعداد أنواع النجاسات.....	364
باب في ميتة الحيوان الذي لا دم له، وفي ميتة الحيوان البحري.....	367
باب الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة.....	369
باب الانتفاع بجلود الميتة.....	369
باب في دم الحيوان البحري، وفي القليل من دم الحيوان البري.....	371
باب حكم أبوال الحيوانات كلها، وبول الرضيع من الإنسان.....	371
باب حكم قليل النجاسات.....	373
باب حكم المني.....	374
باب في المحال التي تُزال عنها النجاسة.....	374
باب في ذكر ما يُزال به هذه النجاسات من هذه المحال.....	375
باب منه.....	378

- باب في الصفة التي بها تُزال هذه النجاسات 379
- باب في آداب الاستنجاء ودخول الخلاء 380

الفهارس

- فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات 385
- فهرس الأحاديث النبوية 390
- فهرس الشعر 396
- استشهاد 397
- مصطلحات صوفية 398
- فهرس الأعلام 402
- فهرس الأماكن 404
- فهرس الكتب 405
- فهرس الفرق 405

السفر السادس من الفتوحات المكيّة

1 العنوان ص 1 ب، وبعد العنوان: "إنشاء مولانا وسيدنا: شيخ الإسلام، صفوة الأئام، سلطان المحققين، إمام الأمة، قدوة الأئمة، محيي الملة والدين؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائفي الحائمي الأنلسي رضي الله عنه وأرضاه به منه".
عليه: "انقلت هذه المجلدة وسائر الكتاب بحكم الإنعام إلى العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن إسحق بنظر الله له ولوالديه، وقضه بكل علم مقرب إليه تاهع لديه- من شيخه وإمامه المصنف رضي الله عنه وقض به آمين". عليه ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1754
عليه بخط جديد كتب في القرن 13 الهجري: "الحمد لله الذي وفقنا بكتابة الفتوحات المكيّة من الأصل المكتوب بخط المصنف ومنسبه رضي الله عنه وأرضاه به منه، وبكتابة هصوص الحكم الذي كتبه بيده الشيخ صدر الدين وقرأه عند شيخه، وبكتابة "المنزلات الموصليّة" من الكتاب الذي قرأه الشيخ صدر الدين عند شيخه المصنف رضي الله عنهما- بعدما جئنا صاجرا (كنا في الأصل) من البغاري والبلغ مع الأهل والأولاد وجميع التراويض المرميين بقوة المحروسة اليونانية الرومية في الثاني والعشرين من ربيع الثاني ألف ومائتين وأربع وسبعين فاشتغلنا بالكتابة والاستكتاب والمقابلة والتصحيح في مدة ثلاث سنين، والحمد لله دائما سرمنا. كاتب الحروف الشريف سلمان الهاشمي العلوي الحسيني، الحمد لله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وعلى الذين اصطفااه. خامس وعشرين رمضان المبارك نصف ليلة الجمعة سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين لله الحمد".
بينه برأس الصفحة الثانية: "وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن إسحق لله على الزاوية المبنية عند قبره، وشرط أن لا يخرج منها لا يوهن ولا يشيره. فمن بعده بعد ما سمعه فأبما إله على الذين يملونه".

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ 》	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجوقية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تنويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتمّ دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنيتة هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنيتة هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

وهذا الكتاب المصحف الذي هو من رضى الله عنه على الراجح البين عند

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع واليسعون في معرفته أسرار

الضياء وعلموها

وكم من محل ماله من صلاحته

سوى رتبة المحراب والحد والعتا

وأخر نهي بالمناجاة دأبنا

واركان قرضا الفريضة وانتدا

وكيف وسر الملق كان امانه

وان كان مامونا فقد بلغ العوا

فهمرنا الفخيز ان كنت كابر

والأقل التره او جرمه سوا

وتعلمها التسليم ان كنت تلبغا

لربعه الغلابة في ليل السرا

وما بين هاذين الغا بين غايه

واصله غيب فافهم ما شأنا

مطلقا لما هو على حسب حاله مع الله وليس لما امره
 الشريعة في الامام بل ما به الائمة الساهرة من الامام من
 رجع وحقق ما هو عليه حال الامام فان حكمه بحسب
 كشفه فاذا علم ان الامام على عمره ما به فليس له ان يفسد
 به مروت علمه ورجح له ما ليس بصلاته معه فبطل علمه ولا
 اعلم ان ذلك ليس بان الامام او غيره فان الامام بغيره
 مروت علمه في غير صلاة شرعا وما امره الله ان يرتكبه
 اعني ان يفتي في ذلك فان كان الامام باسما جنته
 او حدثه فهو مثل شرعا وان كان عدل الله تعالى فله ان يرتكبه
 وصلاه المأموم صحيحة شرعا والامام به مروت علمه
 وان علم المأموم ان الامام على عمره ما به فان يفتي في ذلك
 ان يفتي به فليس بنفسه بل الله اعلم بحيث ان لا يفتي
 صلاه المأموم بذلك الا بعد ان قال الله يقول ولا تقلوا
 اعلموا الحق وان لم يفتي لنفسه فاذا اوج من صلاته اعلمه
 كونه سواء في الامام او لم يفرغ فان يفتي الامام او قلده تكفير
 فان لم يفتي ولم يفتي به فهو بحسب ما يقضيه علمه ومنه ههنا دله
 وصلاه المأموم صحيحة

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم¹

الباب التاسع والستون في معرفة أسرار الصلاة وعموما

وَكَمْ مِنْ مُضِلٍّ مَا لَهُ مِنْ صَلَاةٍ سَبَوَى زُؤْمَةَ الْهَرَابِ وَالْكَدِّ وَالْفَنَاءِ
وَأَخَّرَ يَخْطُلِي بِالْمُنَاجَاةِ ذَاتَهَا وَإِنْ كَانَ قَدْ صَلَّى الْفَرِيضَةَ وَاتَّخَذَ²
وَكَيْفَ وَبِئْسَ الْحَقُّ كَانَ إِمَامُهُ وَإِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَقَدْ بَلَغَ الْمَنَى
فَتَحْرِيقُهَا التَّكْبِيرُ إِنْ كُنْتَ كَايَرًا وَإِلَّا فِجْلُ الْمَرْءِ أَوْ جِزْمُهُ سَوَا
وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ إِنْ كُنْتَ تَابِعًا لِرَجْفَتِهِ الْعَلِيَاءِ فِي لَيْلَةِ السَّرَى
وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ غَايَةٌ وَأَسْرَارُ غَيْبٍ مَا تَحْسُ وَمَا تُرَى
فَرَنْ³ نَامَ عَنْ⁴ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ وَجَيْدٌ فَرِهْدُ النَّهْرِ قُطْبٌ قَدْ اسْتَوَى
وَإِنْ حَلَّ سَهْوٌ فِي الصَّلَاةِ وَغَفَلَةٌ وَذَكَرَهُ الرَّحْمَنُ يُجِبُ⁵ مَا سَهَا
وَإِنْ كَانَ فِي رُكْبٍ إِلَى الْعَيْنِ قَاصِدًا فَشَطْرَ صَلَاةِ الْفَرِيضِ تَنْقُصُ مَا عَدَا
صَلَاةِ اتِّجَارِ الصُّبْحِ حَقًّا وَمَغْرِبِ لَيْسَ خَفِيٍّ فِي الصُّبْحِ وَفِي الْمَسَاءِ
وَحَافِظُ عَلَى الشُّفْعِ الْكَرِيمِ لِوَثْرِهِ تَعْرِ بِالَّذِي نَازَ الْخُضَارَةُ⁶ الْأُولَى
وَبَيْنَ صَلَاةِ الْفَذِّ وَالْجَمْعِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ إِنْ كَانَ الْمُصَلِّي عَلَى طَوَى
وَلَا تُلْسُ يَوْمَ الْعِينِ وَأَشْهَدُ صَلَاتَهُ لَأَنِّي مَطْلَعُ الشُّمُسِ الْمُبِيرَةِ وَالسَّنَا
وَبَادِزُ لَتَهْجِيرِ الْعُرُوبَةِ⁷ زَانِحًا تَحْزُ قَضَبِ السَّبَاقِ فِي خَلْبَةِ الْعَلَا

1 البسملة ص 2

2 اتخدى: اجمع أو حضر النادي.

3 ص 2ب

4 ق: "عن" وكتب فوقها بقلم الأصل: "في" من غير إشارة التصويب ليدلّ بذلك على صحة اللفظين.

5 ق: "يرفع" وعليها إشارة الشطب والاستبدال كما ورد بقلم آخر. وكلمة "يرفع" هنا صحيحة وهي بنفس المعنى: يجبر

6 الخضارمة: مفرد ما خضر، وهو الجواد الكثير العطية، الكثير من كل شيء.

7 العروبة: الجمعة

وإنَّ حَلَّ خَشَفَ بِالْمَهَاءِ¹ فَإِنَّهُ
وَمَنْ كَانَ يَسْتَسْقِي بِحَوْلٍ رِذَاءَهُ
جَبَابُ وَجُودِ النَّفْسِ دُونَكَ يَا فَتَى
تَحُولُ عَنِ الْأَحْوَالِ عَلَيْكَ تَرْتَضَى
فَهَذِي عِبَادَاتُ الْمَرَادِ تَخْلَصُثُ
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ غَيْرُ الَّذِي سَعَى

اعلم أيُّدك الله بروح القدس- أنَّ مسعى الصلاة يضاف إلى ثلاثة، وإلى رابع ثلاثة، بمعنىين: بمعنى شامل وبمعنى غير شامل.

فيضاف (مسعى) الصلاة إلى الحق بالمعنى الشامل، والمعنى الشامل هو الرحمة. فإنَّ الله وصف نفسه بالرحيم، ووصف عباده بها، فقال: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾³ وقال رسول الله ﷺ: «إنما يرحمُ الله من عباده الرحماء» قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾⁴ فوصف نفسه بأنه يصلي، أي يرحمكم بأن ﴿يُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁵ يقول: من الضلالة إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة.

ويضاف (مسعى) الصلاة إلى الملائكة، بمعنى الرحمة والاستغفار والدعاء للمؤمنين. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾⁶ فصلاة الملائكة (هي) ما ذكرناها. قال الله ﷻ في حق الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾⁶ يقولون ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾⁷ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾⁸. اللهم⁹ استجب فينا صالح دعاء الملائكة.

وتضاف الصلاة إلى البشر بمعنى الرحمة والدعاء والأفعال الخصوصة المعلومة شرعا على ما سنذكره. فجمع البشرُ هذه الثلاث المراتب المسماة "صلاة". قال تعالى- آمرا لنا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾¹⁰.

وتضاف الصلاة إلى كلِّ ما سوى الله، من جميع المخلوقات: من ملكٍ وإنسان وحيوان ونبات ومعدن،

1 المهاء: الشمس. ولفظ "بالمهاء" باصل المتن، وكتب فوقها: "النبيين" ووضع كلمة "صح" على اللفظين.

2 ص 3

3 [الأعراف : 151]

4 [الأحزاب : 43]

5 [الأحزاب : 43]

6 [غافر : 7]

7 [غافر : 7]

8 [غافر : 9]

9 ص 3ب

10 [البقرة : 43]

بحسب ما فرضت عليه وعيّنت له، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ أَنْ اللَّهَ يُمْسِكُ لَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾¹ فأضاف الصلاة إلى الكل، والتسبيح، في لسان العرب: الصلاة.

قال عبد الله بن عمر وهو من العرب، وكان لا يتنقل في السفر. فقيل له في ذلك. فقال²: لو كنت مسبحاً أتممت. وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾³ وقال خطيباً لحمد صاحب الكشف حيث يرى ما لا يرى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ أَنْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالتَّوَابُ﴾⁴. فانظر إلى فقه عبد الله بن عمر ﷺ لما تحقق أن الله -تعالى- يريد التخفيف عن عبده بوضع شطر الصلاة عنه، في⁵ السفر ما رأى أن يتنقل، موافقةً لمقصود الحق في ذلك. فهذا تفقه روحاني.

وأما من تنقل في السفر، فرأى أن مقصود الحق إسقاط الفرضية، لا إسقاط الصلاة (التي يطوع الإنسان). فلو أتم المسافر لكان الفرض منها ركعتين والباقي نافلة. فإن الله ما فرض عليه إلا ركعتين على لسان رسول الله ﷺ فلما لم ير هذا المتنقل إلا إسقاط الفرضية عنه لا التطوع بالصلاة تنقل في السفر. وكان رسول الله ﷺ يتنقل في السفر على الراحة. فعلم القائل بهذا أن الفرض هو الذي قصد إسقاطه عنه، واقتدى برسول الله ﷺ في التنقل في السفر، فإن الله قال لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁶.

فاعلم أن الصلوات المشروعة فرضاً وسنناً مؤكدة بين النافلة والفريضة، ثمانية⁷. كما أن الأعضاء المكلفة من الإنسان ثمانية. لأن الذات مع نفسها المعبر عنها بالصفات ثمانية. فهذه الثمانية هي: الذات، والحياة، والعلم، والإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر. والإنسان المكلف (هو): ذات، حية، عالمة، مرهدة، متكلمة، قادرة، سمعية، بصرية. وأما الأعضاء المكلفة، أعني⁸ التي يفعل الإنسان بها ما كُلف أن يفعله أو

1 [النور : 41]

2 مكتوبة بين الطرين.

3 [الإسراء : 44]

4 [الحج : 18]

5 ص 4

6 [الأحزاب : 21]

7 تاجة في الهامش مع إشارة الصواب

8 ص 4ب

يتركه، فهي ثمانية: الأذن، والعين، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، والقلب.

وأما الصلوات الثمانية المشروعة الفعل بها فرضاً وستة مؤكدة: فالصلوات الخمس، والوتر من الليل، والجمعة، والعيدان، والكسوف، والاستسقاء، والاستخارة، والصلوة على الجنائز.

وأما الصلاة على رسول الله ﷺ فدخلت في الدعاء. فإن رسول الله ﷺ قد علمنا كيف نصلي عليه؛ أي كيف ندعو له، وقد أمرنا أن ندعو له بالوسيلة والمقام الحمود، ونحن إن شاء الله - نذكر في هذا الباب فصول هذه الصلوات كلها، مكّلة بشروطها. وما أتبع ما تحوي عليه من التفاصيل، فإن ذلك يطول. وإنما أقصد إلى ذكر فصول تجري مجرى الأمهات، كما عملنا في الطهارة، إلى أن نستوفيها إن شاء الله -.

والصلاة وقعت في الرتبة الثانية من قواعد الإيمان التي بني الإسلام عليها في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج» فعلم الصحابة أنه ﷺ راعى الترتيب، لما يدخل الواو من الاحتمال. ولهذا لما قال بعض رواة هذا الحديث من الصحابة لما سرده فقال: والحج وصوم رمضان، أنكر عليه (النبي)، وقال له: وصوم رمضان والحج، فقدمه، وعلمنا أنه أراد الترتيب. وتنبه على أن لا نقل عنه ﷺ إلا عين ما تلقظ به؛ فإنه من العلماء من يرى نقل الحديث المتلفظ به من النبي ﷺ على المعنى.

فالصلاة ثانية في القواعد، مشتقة من المصلي في الخيل، وهو الذي يلي السابق في الحلقة. والسابق في القواعد: الشهادة. والمصلي هي الصلاة. وجعل الزكاة تلي الصلاة، لأن الزكاة التطهير، فناسب الصلاة. فإن الصلاة لا يقبلها الله بغير طهور. والزكاة تطهير الأموال. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾² يعني النفس التي ³سوّاها. يريد: قد أفلح من طهرها بامتنال أوامر الله. ومن شرط الصلاة طهارة الثياب والأبدان والبقعة التي توقع الصلاة عليها وفيها، كانت ما كانت. وجعل الصوم يلي الزكاة لما شرع الله في صوم رمضان عند انقضائه من زكاة الفطر، فلم يبق الحج إلا أن يكون آخرها.

وقد ذكرنا الشهادة التوحيدية، وذكرنا من الصلاة، الطهارة التي لا تصح الصلاة إلا بها. فلنذكر الصلاة

1 ص 5

2 [النفس : 9]

3 ق: النبي

إن شاء الله- في هذا الباب. ولنبدأ بالصلاة المفروضة¹، وما يلزمها ويتبعها من اللوازم والشروط والأركان في أفعالها وأقوالها. ثم بعد ذلك أشرع في ذكر الصلوات التي تطلبها الأحوال، ومن الله نسأل التأييد والعون.

فصل: في الأوقات

ولا أعني بالكلام هنا في الأوقات؛ أوقات الصلوات فقط، وإنما أريد الوقت من حيث ما هو وقت، سواء كان لعبادة أو غير عبادة. فإذا عرفناك بمعناه واعتباره، حينئذ نشرع في ذكر الأوقات المشروعة للعبادات، فنقول:

"الوقت" عبارة عن التقدير في الأمر الذي لا يقبل وجود عين ما يقدر، وهو الفرض. كما تقدر أو نفرض في الشكل الكروي، أولاً أو وسطاً أو نهاية، وهو في نفسه وعينه، لا يقبل الأوليّة بالفعل ولا الوسط ولا الآخريّة. فنجعل له من ذلك ما نجعله بحكم الفرض فيه والتقدير.

فالوقت فرض مقدر في الزمان، لَمَّا كان الزمان مستديراً كما خلقه الله في ابتدائه؛ فهو كالأكرة. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الزَّمانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللهُ» فذكر أَنَّ الله خلقه مستديراً، والأوقات فيه مقدرة.

فلَمَّا خلق الله الفلك الأطلس² ودار³؛ لم يتمين اليوم، ولا ظهر له عين. فَإِنَّهُ مثل ماء الكوز في النهر، قبل أن يكون في الكوز. فلَمَّا فرض فيه الامتلاء عشر فرضاً تَوَقَّثَ معيئةً- وسمّاها بروجاً في ذلك الفلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ لَمَلَّوْهَا عَلَيْنَا ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾⁴ وهي هذه الفروض الموقّعة. ووقف شخص يدور عليه هنا الفلك، وجول لهذا الشخص بصر، عين بها تلك الفروض بعلامات جُعِلَتْ له فيها، فتميّز عنده بعضها عن بعض، بتلك العلامات الجعولة دلالات عليها، فجعل عينه في فرض منها، أعني في العلامة.

1 ص 5ب

2 ص 6

3 ثابته فوق السطر قلم الأصل

4 [البروج : 1]

ثم دار الفلك بتلك العلامة المفروضة، التي جعل عينه عليها، هذا الناظر، وغابت عنه -وما برح واقفاً في موضعه ذلك- حتى انتهت إليه تلك العلامة. فعلم عند ذلك أنّ الفلك قد دار دورة واحدة، بالنسبة إلى هذا الناظر، لا بالنسبة إلى الفلك. فسمّينا تلك الدورة يوماً.

ثم بعد ذلك خلق الله في السماء الرابعة من السبع السماوات كوكباً نيّراً، عظيم الجرم، سمّاه باللسان العربيّ: شمساً، فطلع له به في نظره، ذلك الفلك من خلف حجاب الأرض، الذي هذا الناظر عليها، فسَمّى ذلك المَطلع مشرقاً، والطلوع شروقاً، لكون ذلك الكوكب المنير طلع منه، وأضاء به الجوّ، الذي هذا الناظر فيه. فما زال يُنَبِّه بصره حركة ذلك الكوكب إلى أن قارّنه؛ فسَمّى تلك المقارنة: استواءً. ثم أخذ الكوكب نازلاً عن استوائه عند هذا الناظر، يطلب جهة اليمين منه، لا بالنظر إلى الكوكب في نفسه كما قلنا. فسَمّى أوّل انفصاله في عين الناظر عن الاستواء: "زوالاً" و"ذلوفاً".

ثم ما زال هذا الناظر يتبعه بصره، إلى أن غاب جزم ذلك الكوكب، فسَمّى مَفْيِبه: غروباً. والموضع الذي رأى بصره أنّه غاب فيه: مغرباً. وأظلم عليه الجوّ. فسَمّى مدّة استتارة الجوّ من مشرق ذلك الكوكب إلى مغربه: نهاراً، لآساع النور فيه: مأخوذ من النهر، الذي هو اتّساع الماء في المسيل الذي يجري فيه. فما زال الناظر في ظلمة، إلى أن طلع الكوكب المسَمّى: "شمساً" من الموضع الذي سمّاه: "مشرقاً" في عين الناظر، من موضع آخر متصل بذلك الموضع الذي شرقت منه أمس، المسَمّى: درجة، فسَمّى مدّة تلك الظلمة التي بقي فيها من وقت غروب الشمس إلى طلوعها: ليلاً. فكان اليوم مجموع الليل والنهار معاً. وسَمّى المواضع التي يطلع منها هذا الكوكب كلّ يوم: درجاً.

ثم نظر إلى هذا الكوكب النير المسَمّى شمساً، ينتقل في تلك الفروض المقدّرة في الفلك المحيط، درجة درجة، حتى يقطع ذلك بشروق تسَمّى إياماً. فكلّها أكمل² قطع فرض من تلك الفروض، شرع في قطع فرض آخر، إلى أن أكمل الاثني عشر فرضاً بالقطع. ثم شرع يبتدئ كُرّة أخرى في قطع تلك الفروض؛ فسَمّى ابتداء³ قطع كلّ فرض إلى انتهاء قطع ذلك الفرض شهراً، وسَمّى قطع تلك الفروض كلّها سنة.

فتبيّن لك أنّ الليل والنهار واليوم والشهر والسنة هي هذه المعبر عنها بالأوقات، وتَدِقُّ إلى مسَمّى

1 ص 6ب

2 ص 7

3 تاج في الهامش بقلم الأصل

الساعات، ودونها. وأن¹ ذلك كله لا وجود له في عينه، وأنه نسب وإضافات. وأن الموجود إنما هو عين الفلك والكوكب، لا عين الوقت والزمان. وأنها مقدرات فيها، أعنى الأوقات. وتبين لك أن الزمان عبارة عن الأمر المتوهم الذي فرضت فيه هذه الأوقات. فالوقت فرض متوهم في عين موجودة، وهو الفلك. والكوكب يقطع حركة ذلك الفلك والكوكب، بالفرض المفروض فيه في أمر متوهم لا وجود له، يستوى الزمان.

وقد أبنت لك حقيقة الزمان، الذي جعله الله ظرفا للكائنات المتحيزات، الداخلة تحت هذا الفلك، المؤقت فيه - المفروض في عينه - تعيين الأوقات. ليقل: خلق كذا، وظهر كذا في وقت كذا ﴿وَلْيَتَلَفَتُوا عِنْدَ السَّيِّئِ وَالْجَسَابِ وَكُلِّ شَيْءٍ فَضْلَتُهُ تَفْصِيلًا﴾² سبحانه لا إله إلا هو الحكيم القدير.

وبعد أن علمت ما معنى الزمان والوقت، فاعتبره أي³ جزءه واقطعه - إلى معرفة "الأزل" الذي تثقت به خالقك، وتجعله له، كالزمان لك. وإذا كان الزمان لك بهذه النسبة أمرا نسبيا، لا حقيقة له في عينه - وأنت محدود مخلوق - فالأزل أبعد وأبعد أن يكون حذا لوجود الله في قولك، وقول من قال: إن الله تكلم في الأزل، وقال في الأزل، وقتر في أزله كذا وكذا. ويتوهم بالوهم فيه، أنه امتداد كما تتوهم امتداد الزمان في حقلك. فهذا من حكم الوهم، لا من حكم العقل والنظر الصحيح.

فإن مدلول لفظة الأزل، إنما هو عبارة عن نفي الأولية لله تعالى، أي لا أول لوجوده، بل هو عين الأول سبحانه، لا بأولية تحكم عليه، فيكون تحت إحاطتها، ومعلولا عنها. وفرق بين ما يعطيك وهمك (وبين ما يعطيك عقلك. وأكثر من هذا البسط في هذه المسألة ما يكون.

فالحق سبحانه - يقتر الأشياء أزلا، ولا يقال: يوجد أزلا. فإنه محال من وجهين: فلأن كونه موجدا، إنما هو بأن يوجد؛ ولا يوجد ما هو موجود. وإنما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود، وهو المعدوم. فمحال أن يتصف الموجود، الذي كان معدوما، بأنه موجود أزلا. فإنه موجود عن موجد أوجده. والأزل عبارة عن نفي الأولية عن الموصوف به. فمن المحال أن يكون العالم أزلي الوجود، ووجوده مستفاد من موجد، وهو الله تعالى.

1 ق: "إلى" وعليها إشارة المسح، وصحها في الهامش "وأن".

2 [الإسراء: 12]

3 ص 7 ب

والوجه الآخر: من ¹المحال الذي يقال في العالم إنه موجود أزلا، لأن معقول الأزل نفي الأوليّة. والحق هو الموصوف به، فيستحيل وصف وجود العالم بالأزل، لأنه راجع إلى قولك: العالم مستفيد الوجود من الله، غير مستفيد الوجود من الله. لأنّ الأوليّة قد انتفت عنه بكونه أزلا. فيستحيل على العالم أن يتّصف بهذا الوصف السلبّي الذي هو الأزل، ولا يستحيل الموصوف به وهو الحق، أن يقال: خلق الخلق أزلا، بمعنى: قدر. فإنّ التقدير راجع إلى العلم. وإنما يستحيل، إذا كان خَلَقَ بمعنى: أوجدَ، فإنّ الفعل لا يكون أزلا.

فقد ثبت لك التقدير في الأزل كما ثبت لك التقدير في الزمان، وأنّ الزمان متوهم لا وجود له، وكذلك الأزل وصف سلبي لا وجود له. فإنه ما هو عين الله -وما تمّ إلا الله- وما هو أمر وجودي يكون غير الحق، ويكون الحق مطروفا له، فيحصره من كونه ظرفا، كما يحصرنا الزمان من كونه ظرفا لنا، على الوجه الذي ذكرناه، فافهم. وبعد أن عزّفتك بمعنى الأوقات، فلترجع وبيّن المراد بأوقات العبادات، ومن العبادات: أوقات الصلوات.

. . .

فَضْلٌ: في أوقات الصلوات

فنقول: أوقات الصلاة منها معيّن و(منها) غير معيّن. فغير المعيّن وقت ²تذكّر الناسي واستيقاظ النائم. فإنّ وقته عندما يتذكّر إن كان ناسيا أو يستيقظ إن كان نائما. والوقت المعيّن على قسمين: قسم مُخلّص، وقسم مشترك. فالمخلّص وسط الوقت الموسّع في الصلوات كلّها، وآخر وقت الصبح، وأوّل وقت الظهر. فإنه لا يقع فيما ذكرناه اشتراك لصلاة أخرى، كما يقع في أواخر الصلوات الأربع.

والمشترك: هو الوقت الذي بين الصلاتين، كالظهر والعصر وغيرها، بالخلاف المذكور المعلوم في ذلك عند علمائنا من علماء الشريعة، نذكر ذلك في موضعه -إن شاء الله-، عند كلامنا في أوقات الصلوات كلّها، صلاة صلاة على التفصيل.

اعتباره:

قلنا: المصلّي هو الثاني من السابق في الحلّة، وإنّ الصلاة ثانية في الرتبة من شهادة التوحيد، وقد

¹ ص 8

² ص 8 ب

قال الحق سبحانه: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» فجعله في حال الصلاة ثانيا له في القسمة الإلهيّة، فقال: "في الصلاة" مطلقاً، وما قيد فرضاً من تطوُّع. وقد قلنا: إنّ الوقت منه معيّن وهو في الاعتبار - الفرض. وغير معيّن وهو في الاعتبار - التطوُّع.

فالعارف (هو) الذي هو على صلاته دائم، وفي مناجاته بين يدي ربه قائم؛ في¹ حركاته وسكناته. فما عنده وقت، معيّن ولا غير معيّن؛ بل هو صاحب الوقت. ومن ليس له هذا المشهد، فهو بحسب ما يُذكره ربه من الحضور معه.

غير أنّ العارف الدائم الحضور، إذا لم يفرّق بين الأوقات، بما يجده من المزيد والفضل، بين ما هو مفروض من ذلك الحضور، وبين ما تطوُّع به من نفسه، فهو ناقص المقام، كامل الحال؛ لاستصحابه الحضور الدائم. فإنّ الحضور من الأحوال، لا الحضور من وجه كذا. فإنّ الحضور من وجه كذا للكمل من الرجال.

فالأوّل من أهل الحضور، لا فرق عنده بين الوجوه، لأنّه مستغرق في الحال. كاللّذة الجهولة عند الإنسان التي لا يعرف سببها. والثاني من أهل الحضور، وهو الكامل الدائم الحضور بحكم الوجوه. كالواجد للذة بما هي لذة؛ فهو ملتذّ دائماً، وبما هي لذة عن طعم علم، أو طعم جباع أو طعم شيء ملائم للمزاج، يعلم النائق ذلك ما يبينه من التمييز والفرقان. فإنّ أسماء الحق تعالى - تختلف على قلوب الأولياء بفنون المعارف، مع الآفات والأنفاس. فيجد في كلّ نفس وزمانٍ عليها، لم يكن عنده برّه، من حيث ما يعطيه ذلك النفس والزمان، من تجلّي ذلك الاسم الخاص به.

ولمّا قسمنا الأوقات إلى مُخلّص ومُشترك، فاعلم أنّ الوقت في² هذا الطريق: هو ما أنت به في حالك، أي شيء كنت به، من حسنٍ وسيءٍ، ومعرفةٍ وجهلٍ، فلا يرتبط. وكذلك الأوقات الزمانيّة؛ بحسب ما يحدث الله فيها في حقّ كلّ شخص.

فالخلّص من الأوقات: كلّ اسم إذا ورد عليك، لم يقع في حكمه اشتراك. والمُشترك: كلّ اسم له وجهان فصاعداً.

فالأول كالحَيِّ؛ فإنه مخلص للحياة، وكذلك العالم مخلص للعلم. والثاني الذي هو المشترك، نظير الوقت المشترك كالاسم الحكيم، فإن له وجهاً إلى العالم ووجهاً إلى المدبر. فإن للاسم الحكيم حكيمين: حكماً على مواضع الأمور، وحُكْمٌ وُضِعَها في مواضعها بالفعل. فكم من عالم لا يضع الشيء في موضعه؟ وكم (من) واضع للأشياء في مواضعها بحكم الاتفاق لا عن علم.

فالحكيم هو العالم بمواضع الأمور، وواضعها في أماكنها على بصيرة. فمن كان وقته الحكمة كان في الوقت المشترك. ومن كان في اسم لا يدل إلا على أمر واحد كالقادر وأمثاله؛ كان في الوقت المخلص. فهذه أوقات العارفين في صلواتهم المعنوية، على مثال أوقاتهم الظاهرة في صلواتهم البدنية.

. . .

فصل: في وقت صلاة الظهر

قال¹ تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْثُوتًا﴾² أي مفروضة في وقت معين، سواء كان موسعاً أو مضيقاً. فإنه معين ولا بدّ، بقوله: ﴿مَوْثُوتًا﴾. فمن أخرج صلاة مفروضة عن وقتها المعين له، كان ما كان، من ناس أو متذكّر، فإنه لا يقضيها أبداً، ولا تبرأ ذمته. فإنه ما صلى الصلاة المشروعة. إذ كان الوقت من شروط صحة تلك الصلاة. فليكثر النوافل بعد التوبة. ولا قضاء عليه عندنا، لخروج وقتها الذي هو شرط في صحتها.

ووقت الناسي والنائم وقتٌ تذكّره واستيقاظه من نومه. وهو مؤدّ، ولا بدّ، لا يستحقّ قاضياً، على الاعتبار الذي يراه الفقهاء. لا على ما تعطيه اللغة. فإن القاضي والمؤدّي لا فرق بينهما في اللسان. فكل مؤدّ للصلاة فقد قضى ما عليه؛ فهو قاضٍ بأدائه، ما تعيّن عليه أدائه من الله.

فلنقل: أمّا وقت صلاة الظهر؛ فانفق العلماء بالشرعية، أنّ وقت الظهر الذي لا تجوز قبله، هو الزوال. واختلفوا منها في موضعين: في آخر وقتها الموسع، وفي وقتها المرغّب فيه. فأما آخر وقتها الموسع؛ فمن قائل: هو أن يكون ظل كل شيء مثله. ومن أصحاب هذا القول، من يقول: إنّ ذلك المثل، الذي هو آخر وقت الظهر، هو أول وقت العصر. ومن قائل منهم: إنّ آخر وقت الظهر خاصة. فإن أول وقت³ العصر، إنّما هو المثلان. وإن ما بين المثل والمثلين لا يصلح لصلاة الظهر.

1 ص 10

2 [النساء: 103]

3 ص 10 ب

وأَمَّا وقتها المرغَّب فيه؛ فمن قائل: أوَّل الوقت للمنفرد أفضل. ومن قائل: أوَّل الوقت أفضل للمنفرد والجماعات، إلَّا في شدَّة الحرِّ. ومن قائل: أوَّل الوقت أفضل بإطلاق، في أفراد وجماعة، وحرٌّ وبرد. ولكلَّ قائل استدلالٌ ليس هذا موضعه.

اعتباره:

الاستواء هو وقوفُ العبد المربوب في محلِّ النظر، من غير ترجيح فيما يعمل. أي بأيَّ يَتَّه قصد العبادة. هل يعتبر بذلك أداء ما يلزمه من حقِّ العبودية، وكونه مربوبا؟ أو يعتبر ما يلزمه بذلك من أداء حقِّ سيِّده وربِّه؟ فهو في حال الاستواء، من غير ترجيح. فإذا زالت الشمس، ترجَّح عند ذلك الزوال عنده أن يعبد، لما تستحقُّه الربوبية على العبودية، من الإنعام على هذا العبد، من وقت الطلوع إلى وقت الاستواء. فيعبد شكرا لهذه النعمة.

وإن نظر إلى زوالها بعين المفارقة لطلب الغروب عنه، وإسدال الحجاب دونه، غَبَدَ ذَلَّةً وفقرًا وانكسارًا، وطلبًا للمشاهدة. فلا يزال يرقبها إلى الغروب، ومن الغروب يرقب آثارها بصلاة المغرب، والتنفُّل بعدها إلى مغيب الشفق، فيغيب¹ أثرها. فيبقى في ظلمة الليل سائلا بأكيا متضرِّعا، يراعي نجوم الليل لاستئثارها بنور الشمس. يسأل ويتضرَّع إلى طلوع الفجر. فيرى آثار الهيم، وقبول دعائه؛ فيعبد شكرا على ذلك، وهو يشاهد آثار القبول. فيؤنِّي فرض الصبح، ولا يزال مراقبا بالذِّكر، إلى أن تنجلي طالعةً.

فإذا ابيضَّت وزال عنها التغير، الذي يحول بين البصر وبين بياضها، من حُجُبِ أبحرة الأرض وهي الأنفاس الطبيعية. قام إجلالا على قدم الشكر إلى حدِّ الاستواء. فلا يزال في عبادة الفرح والشكر إلى أن تزول، فيرجع إلى عبادة الصبر والافتقار، وتوقُّع المفارقة ما دام حيًّا. فهو بين عبادتين، وذلك أنه لما سمع الرسول ﷺ يقول: «تروْنَ ربَّكم كما تروْنَ الشمس» فاعتبر ذلك في عبادته، في صلواته المفروضة والتطوُّع شكرا وفقرًا، بين نعمة وبلاء، وشدَّة ورخاء.

فإنَّ المؤمن من استوى خوفه ورجاؤه؛ فهو يدعو ربَّه "خوفا"، من حدِّ الزوال إلى الغروب الشفقي، و"طمعا" بقيَّة ليلته إلى طلوع الفجر، إلى طلوع الشمس، إلى حدِّ الاستواء، طمعا أن لا يكون حجاب

بعد ذلك. هكذا هي عبادات العارفين فافهم.

فأما آخر الوقت الموسع؛ فهو آخر أحكام الاسم¹ الإلهي² المخصوص بذلك الوقت، وهو الاسم الظاهر. كما أنَّ أول الزوال حكم الاسم الإلهي³ الأول في الظهور الخاص بالعبادة المشروعة، إلى أن يكون ظل كل شيء مثله، وهو آخر الوقت. كذلك حكم الاسم الإلهي⁴؛ إذا قام به هذا العبد في عبادته الخاصة به، في هذا الوقت، واستوفاه بحيث أن يكون إذا قابله به كان مثله، أي لم يبق في الاسم الإلهي⁵ حكم يختص بهذا الوقت، إلّا وأثره ظاهر في هذا العبد؛ فقد انقضى حكم هذا الاسم الإلهي⁶ في هذا العبد. فخرج وقت الظهر ودخل وقت العصر، وهو حكم اسم آخر بين الاسمين، فزقان متوهم لا ينقسم، معقول غير موجود، وهو برزخ بينهما.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الثابت عنه: «لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الأخرى» يعني في الأربع الصلوات، لليليل آخر. فإنه إذا خرج وقت الصبح، لم يدخل وقت الظهر حتى تنزل الشمس، بخلاف الظهر والعصر، والعصر والمغرب، والمغرب والعشاء، والعشاء والصبح، فاعلم ذلك.

فإن اليوم أربع وعشرون ساعة، وهو أربعة أرباع؛ كل ربع ست ساعات: فمن طلوع الشمس إلى الظهر ربع اليوم؛ ست ساعات، وليس بمحل لصلاة مفروضة بحكم التعيين. وإنما قلنا: "بحكم التعيين" من أجل الناسي² والنائم، فإن الوقت ما عين إيقاع الصلاة في ذلك الوقت، وإنما عينه للناسي تذكّره، وللنائم تنفّطه شرعا. فسواء كان في ذلك الوقت أو في غيره. فلها حرّنا القول في ذلك، وقلنا: "بحكم التعيين".

فإن مذهبي في كل ما أورده، أتى لا أقصد لفظة بعينها دون غيرها، مما يدل على معناها، إلّا لمعنى. ولا أزيد حرفا إلّا لمعنى. فما في كلامي بالنظر إلى قصدي حشو، وإن تخيلته الناظر. فالغلط عنده في قصدي، لا عندي.

وكان (الوقت) من زوال الشمس إلى طلوعها من اليوم الثاني، وقتنا مستصحباً لصلوات معينة مفروضة فيها، متى وقعت وقعت في وقتها المعين لها.

كذلك الإنسان مقسم على أربعة أرباع: الثلاثة الأرباع منها متعبدة لله بأعمال مخصوصة، كالثلاثة

1 ص 11 ب

2 ص 12

الأربع من اليوم. فأرباع الإنسان: ظاهره، وباطنه -الذي هو قلبه-، ولطيفته -التي هي روحه المخاطب منه-، وطبيعته. فظاهره وقلبه وروحه (كل أولئك) لا ينفك عن عبادة أصلاً تتعلق به؛ فإمّا أن يطيع وإمّا أن يعصي.

والربع الواحد: طبيعته. وهو مثل زمان طلوع الشمس إلى الزوال من اليوم. فهو يتصرف بطبعه، مباحاً له¹ ذلك، لا حرج عليه. إلّا إن شاء أن يلحقها بسائر أرباعه في العبادات؛ فيعمل المباح له عمله، من كونه مباحاً شرعاً. ويحضر مع الإيمان به. كالمصلّي من طلوع الشمس وإضاءتها إلى أول الزوال -أعني حين الاستواء- فلا يمنع من ذلك. وهو ليس بوقت وجوب لشيء من الصلوات الخمس معيّن، فافهم.

وأما اعتبار الوقت المرغّب فيه (فهو) على ما ذكرناه من الاختلاف، وانعكس الكلّ على الأوليّة، أو الأكثر. واختلفوا في الأحوال²؛ فاعلم أنّ الأول أفضل الأشياء وأعلاها، لأنّه لا يكون عن شيء، بل تكون الأشياء عنه. فلو كان عن شيء؛ لم تصحّ له الأوليّة على الإطلاق.

فكذلك العبد؛ يسعى في أن يعبد ربه، من حيث أوليّة ربه، لا من حيث أوليّة عينه. فإنّ أوليّة عينه، عن أوليات كثيرة قبله. وأعني بذلك الأسباب. فهو سبحانه -السبب الأول الذي لا سبب لأوليّته. فإذا عبده العارف، في تلك الأوليّة المنزّهة، عن أن تتقدّمها أوليّة، انسحب عبادة هذا العارف من هناك، على عبادة كلّ مخلوق خلقه الله، من أول المخلوقات إلى حين وجوده. وهي الأوليّة المؤثّرة في إيجاد الكائنات. فقد عبده في الوقت المرغّب فيه. سواء عبده بصفة خاصّة من أعضائه المكلفة؛ كصلاة الفرد المنفرد، أو عبده بجميع أعضائه كصلاة الجماعة، أو في زمان الحز؛ أي في شدّة خوفه ومجاهدته، وحرقة اشتياقه، ووُجْده وولاه وكلفه، أو في برد، أي في حال علمه وتلج يقينه وبرده، على أيّ حالة كان. فالأوليّة أفضل له، فإنّ الله يقول آمراً: ﴿سَارِعُوا﴾³ و﴿سَابِقُوا﴾⁴ وأنى على من هذه حالته فقال: ﴿أولئك يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾⁵.

فالمبادرة إلى أول الأوقات في العبادات، هو الأحوط والمطلوب من العباد في حال التكليف. ولهذا

1 ص 12 ب

2 "واختلفوا في الأحوال" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

3 ص 13

4 [آل عمران: 133]

5 [الحديد: 21]

6 [المؤمنون: 61]

الاحتراز والاحتياط يُخْمَلُ الأمر الإلهي، إذا ورد مُعْرَى عن قرائن الأحوال، التي يُقَهَّم منها الندب، أو الإباحة على الوجوب. ويُحْمَلُ النهي كذلك على الحظر، إذا تعرّى عن قرينة حال تطييك الكراهة. ولا تتوقّف عن حمل الأمر والنهي على ما قلناه إلا بقرينة حال تخرجهما عن حكم الوجوب في الأمر وحكم الحظر في النهي.

فقد بان لك يا أخي- اعتبار الأوقات مطلقاً، واعتبار الوقت المرغّب فيه، بعد أن عرّفناك بمذاهب علماء الشريعة فيه¹، للجمع بين العبادتين: الظاهرة في حَسْكَ، والباطنة في عَفْكَ؛ فتكون من أهل الجمع والوجود. فإنّك إذا طلبت الطريق إلى الله، من حيث ما شرعه الله، كان الحقّ -الذي هو المشرّع- غائبك. وإذا طلبته، من حيث ما تعطيه نفسك من الصفاء، والاتحاق بعالمها، من التنزّه عن الحكم الطبيعيّ عليها؛ كان غائبتها الاتحاق بالعالم الروحانيّ خاصّة. ومن هناك تنشأ لها شرايع الأرواح، تسلك عليها وبها، حتى يكون الحقّ غائباً. هذا إن فسح الله له في الأجل. وإن مات فلن يدرك ذلك أبداً.

وقد أفردنا لهذه الطريقة خلوة مطلقة، غير مقيدة، في جزء يعمل عليها المؤمن، فيزيد إيماناً. ويعمل بها وعليها غير المؤمن: من كافرٍ ومعتلٍّ ومشاركٍ ومنافقٍ. فإذا وُقِيَ العمل عليها وبها، كما شرطناه وقرّناه، فإنّه يحصل له العلم بما هو الأمر عليه في نفسه. ويكون ذلك سبب إيمانه بوجود الله إن كان معطلاً. وبتوحيد الله إن كان مشركاً. وبحصول إيمانه إن كان كافراً. وبإخلاصه إن كان منافقاً أو مرتاباً.

فمن دخل تلك الخلوة، وعمل بتلك الشرائط²، كما قرّنا، أثمرت له ما ذكرنا. وما سبقني إليها أحدٌ في علمي، إلا إن كان وما وصل إليّ، فإنّ الله لا تحجير عليه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾³. فإنّي أعلم أنّ أحداً من أهل الطريق ما يجهلها إن كان صاحب كشف تامٍّ، ولكن ما ذكرها⁴، ولا رأيت أحداً منهم بته عليها إلا الخلوات المقيّدة. ولولا ما سألتني فيها أخونا ووليتنا أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن آب التّوّزري ثم المصري المعروف بالقسطلاني المجاور الآن بمكة، ما خطر لنا الإيابة عنها. فرمّا اتفق لمن تقدّمنا مثل هذا، فلم يتّبعوها عليها لعدم السائل.

1 ص 13 ب

2 ص 14

3 [البقرة: 269]

4 ق: ما ذكرها

فصل بَلْ وَضَل

في وقت صلاة العصر

اختلف علماء الشريعة في أول وقتها، مع آخر وقت الظهر، وفي آخر وقت صلاة العصر- فمن قائل: إن أول وقت العصر هو بعينه آخر وقت الظهر، وهو إذا صار ظل كل شيء مثله. واختلف القائلون بهذا القول. فمن قائل: إن ذلك الوقت مشترك للصلايين معاً، ومقداره أن يصلي فيه¹ أربع ركعات، إن كان مقبلاً، أو ركعتين إن كان مقصراً. ومن قائل: آخر وقت الظهر هو الآن الذي هو أول وقت العصر، وهو زمان لا ينقسم.

جاء في الحديث الثابت في إمامة جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ: «أنه صلى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الأول» وفي الحديث الثابت الآخر أن رسول الله ﷺ قال: «آخر وقت الظهر ما لم يدخل وقت العصر» وحديث آخر ثابت: «لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى».

فالحديث الأول يعطي الاشتراك في الوقت، والحديثان الآخران يعطيان² الزمان الذي لا ينقسم، فيرفع الاشتراك. والقول هنا أقوى من الفعل، لأن الفعل بمسر الوقوف على تحقيق الوقت به، وهو من قول صاحب على ما أعطاه ظره. وقول النبي ﷺ يخالف ما قال صاحب، وحكم به على فعل صلاة جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ. فيكون كلام رسول الله ﷺ مفسراً للفعل الذي فسره الراوي. والأخذ بقول رسول الله ﷺ هو الذي أمرنا الله أن نأخذ به. قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾³.

فكان ينبغي في هذه المسألة وأمثالها، أن لا يتصور خلاف. ولكن الله جعل هذا الخلاف رحمة لعباده، واتساعاً فيما كلفهم من عبادته. لكن فقهاء زماننا حجروا وضيقوا على الناس المقلدين للعلماء ما وسع الشرع عليهم، فقالوا للمقلد إذا كان حنفي المذهب: لا تطلب رخصة الشافعي فيما نزل بك، وكذلك لكل واحد منهم. وهذا من أعظم الرزايا في الدين والحرَج. والله يقول: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁴.

والشرع قد قرر حكم المجتهد له في نفسه ولمن قلده. فأبوا (أعني) فقهاء زماننا ذلك. وزعموا أن ذلك

1 ص 14 ب

2 ق: يعطي

3 ص 15

4 [الحشر: 7]

5 [الحج: 78]

يؤدّي إلى التلاعب بالدين، وهذا غاية الجهل منهم. فليس الأمر - كما زعموا، مع إقرارهم على أنفسهم، أنّهم ليسوا بمجتهدين، ولا حصلوا في درجة الاجتهاد، ولا نقلوا عن أئمتهم سلكوا هذا المسلك. فأكذبوا أنفسهم في قولهم: إنّهم ما عندهم استعداد الاجتهاد. والذي حجروه على المقلّدين، ما يكون إلّا بالاجتهاد. نعوذ بالله من الفتى والخذلان. - فما أرسل الله رسوله إلّا رحمةً للعالمين، وأيّ¹ رحمة أعظم من تنفيس هذا الكرب المهمّ والحظب الملمّ؟!.

وأما آخر وقت العصر؛ فمن قائل: إنّ آخر وقتها أن يصير ظلّ كلّ شيء مثليه. ومن قائل: إنّ آخر وقتها ما لم تصفرّ الشمس. ومن قائل: إنّ آخر وقتها قبل أن تقرب الشمس بركعة، وبه أقول. الاعتبار:

قد تقدّم الاعتبار في الوقت المشترك بالأسماء الإلهيّة في حقّ المتخلّق بها من أهل الله، وغير المشترك. فليؤخذ في كلّ الصلوات مطلقاً. وما بقي من الاعتبار في هذا الفصل، إلّا الاعتبار في "الآن" الذي لا ينقسم، وفي "الاصفرار". أما اعتبار "الآن" الفاصل بين الوقتين، فهو المعنى الفاصل بين الاسمين، أعني بين حكمهما الذي لا يفهم من كلّ واحد منهما اشتراك، فظهر حكم كلّ اسم منها على الافراد.

وهو حدّ الواقف عندنا. فإنّ الإنسان السالك، إذا انتقل من مقام قد أحكمه وحصله تخلّقاً وذوقاً وخُلُقاً، إلى مقام آخر يرهّد تحصيله أيضاً، يوقّف بين المقامين وقفةً، يخرج حكم تلك² الوقفة عن حكم المقامين: عن حكم المقام الذي انتقل عنه، وعن حكم المقام الذي يرهّد الانتقال إليه. يُعرّف في تلك الوقفة بين المقامين وهو كالآن بين الزمانين - آداب المقام الذي ينتقل إليه، وما ينبغي أن يعامل به الحقّ. فإذا أبين له عنه، دخل في حكم المقام الذي انتقل إليه على علم.

فإنّ المقامات في هذا الطريق، كأنواع الأعمال في الشريعة، مثل: الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد وغير ذلك. فكما أنّ لكلّ نوع من هذه الأعمال عِلْمٌ يخصّه، كذلك لكلّ مقام آداب ومعاملة تخصّه. وقد بيّن ذلك محمد بن عبد الجبار الثّقري في كتابه الذي سَمّاه بـ "المواقف والقول"³، وقفّت على أكثره. وهو كتاب

1 ص 15 ب

2 ص 16

3 اسم الكتاب هو: المواقف والمخاطبات

شريف يحوي على علوم آداب المقامات. يقول في ترجمة الموقف اسم الموقف. يقول في انتقاله إلى موقف العلم مثلاً - وهو من جملة مواقفه في ذلك الكتاب - فقال: "موقف العلم". ثم قال: "أوقفني في موقف العلم، وقال لي: يا عبدي؛ لا تأتمر للعلم، ولا خلقتك لتدلّ على سواي. ثم قال: قال لي: الليل لي، لا للقرآن يحلّي. الليل لي لا للمحمدة والثناء".

إلى أن ينتهي إلى جميع ما¹ يوقفه الحق عليه. فإذا عُرِف، حينئذ يدخل إلى ذلك المقام، وهو يعرف كيف يتأدّب مع الحق في ذلك المقام. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ آدَبُنِي لِحَسَنِ آدَبِي». فهذا هو "الآن" الذي بين الصلاتين. فأهل الأذواق من أهل الله، يوقفون فيه. فيفطنون آداب الصلاة التي ينبغي أن يعامل الله بها في ذلك اليوم الخاص. هكذا في صلوات كل يوم.

وأما اعتبار الاصفرار في أنه الحدّ لآخر وقت العصر، فاعلم أولاً أن الاصفرار تغيير بطراً في عين الناظر، فيحكم به أنه في نور الشمس؛ من أبحر الأرض الحائلة بين البصر - وبين إدراك خالص نور الشمس. فاعتباره ما بطراً في نفس العبد في حكم الاسم الإلهي الحق من الحواطر النفسية العرضية، في نفس ذلك الحكم. فينسب إليه الحق بوجه غير مخلص، وينسب إليه نفسه بوجه غير مخلص. ويقع مثل هذا في الطريق، من الأديب ومن غير الأديب.

فأما وقوعه من الأديب، فهو الذي يعرف أن النور في نفسه لم يضف ولا تغيّر. وهو أن يعلم أن الحكم للاسم الإلهي مخلص، لا حكم للنفس معه، وإنما هو ذلك الحكم - ربما تعلق عنده اسم عيب عرّف أو شرعاً، فيزّه جانب الحق تعالى - عن ذلك الحكم، بأن ينسب إليه ولكن بمشيئة الله. ويقول: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾³ هذا هو العيب عرّف. فأضاف المرض إلى نفسه، إذ كان عيباً عنده. وأضاف الشفاء إلى ربه، إذ كان حسناً.

ومع هذا القصد، فإنّ الظاهر في اللفظ، إزالة حكم الاسم الإلهي الذي أمرضه. فلما علم الحليل ﷺ هذا القدر، نادى ذلك الاسم الذي أمرضه بقوله: ﴿أَطْلَعُ أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾⁴ يقول: إنه أخطأ، وإن كان قصّد الأدب حيث نسب المرض لنفسه، وما نسب إليه إلى حكم الاسم الإلهي الذي أمرضه.

1 ص 16 ب

2 ص 17

3 [الشعراء : 80]

4 [الشعراء : 82]

وما قصد إلا الأدب معه، حتى لا يضيف ما هو عيب عندهم عُرفاً، إلى حكم الاسم الإلهي، فيفهم من هذا الاعتراف أن الحكم كان للاسم الإلهي، وهو كان مقصود الاسم.

فجمع هذا العارف بين أدبين في هذه المسألة: بين أدب نسبة المرض إلى نفسه، وبين الأدب في التعريف، أن ذلك المرض حكم ذلك الاسم الإلهي، من غير تصريح، لكن بالتضمن والإجمال في قوله: ﴿أَطْنَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾¹. ولم يُسمَّ الخطيئة ما هي؟ يوم الدين، يقول: يوم الجزاء.

وهكذا في قوله: ﴿وَمَا أُنْسِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾² وهو قول يوشع فتى موسى لموسى عليها السلام.. وفي الحقيقة، ما أنساه إلا اسم إلهي، حكم عليه بذلك. فأضافه إلى الشيطان، أدبا مع ذلك الاسم الإلهي، الذي أنساه أن يعرف موسى ~~الذي~~ بحياة الحوت، لما أراد الله من تمام ما سبق به العلم الإلهي، من زيادة الأقدام التي قدر له أن يقطع بها تلك المسافة، ويجاوز بها المكان الذي كان فيه خَصِرًا. ﴿فَأَرْزَدًا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾³ أي يتبعان الأثر، إلى أن عادا إلى المكان، فوجداه: تنبها من الله وتأديما، لما جاوزه (موسى) من الحدِّ في إضافته العلم إلى نفسه، بأنه أعلم من في الأرض في زمانه.

فلو كان عالمًا، لَعلم دلالة الحق، التي هي عين اتِّخَاذِ الحوت سرِّيا. وما علم ذلك. وقد علمه يوشع، ونسأه الله التعريف بذلك؛ ليظهر لموسى تجاوزه الحدِّ في دعواه، ولم يردَّ ذلك إلى الله في علمه في خلقه.. القصة إلى آخرها. وفيها ما يمتلئ باعتبار الصفرة التي دخلت على نور الشمس، في قوله في قتل الغلام: ﴿فَأَرْزَدًا﴾⁴ فجعل الضمير يعود على الاسم الإلهي وعليه: "على الاسم الإلهي" بما كان في ذلك القتل من الرحمة بالآبوين⁵ وبالغلام. و"عليه" بقتل نفس زكية بغير نفس.

فظاهره جَوَزٌ. فشرك في الضمير بينه وبين الله، فدخل في نسبة الفعل إلى الله في الظاهر، اصفرار، أي تغيير باشتراك اسم الحضر في الضمير معه، مع قصد الأدب. ثم قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁶ أي الحق علمني الأدب معه.

1 [الشعراء : 82]

2 ص 17 ب

3 [الكهف : 63]

4 [الكهف : 64]

5 [الكهف : 81]

6 ص 18

7 [الكهف : 82]

فهذا قد أبهت لك اعتبار "الآن" و"اصفرار الشمس". فاطْرُدْهُ حيث وحدث معنى "الآن" الفاصل بين الزمانين و"الصفرة" التي تدخل على النور الخالص من اسمه النور سبحانه- مثل قوله تعالى- بآتِه ﴿تُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹. فلَمَّا لم يطلق على نفسه اسم النور المطلق الذي لا يقبل الإضافة، وقال: ﴿تُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليعلمنا ما أراد بالنور هنا.

فأثر حكم التعليم والإعلام في النور المطلق، الإضافة. فتَيَدَّثَرُ عَنْ إِطْلَاقِهِ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فلَمَّا أضافه نزل عن درجة النور المطلق في الصفة، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي صفة نوره، يعني المضاف إلى السماوات والأرض ﴿كَشْكَاةٍ﴾ إلى أن ذكر المصباح، ومادته. وأين صفة نور السراج، وإن كان بهذه المثابة، من صفة النور الذي أشرقت به السماوات والأرض؟

فعلَمنا سبحانه- في هذه الآية، الأدب في النظر في² أسمائه، إذا أطلقناها عليه بالإضافة، كيف نفع؟ وإذا أطلقناها عليه بغير الإضافة كيف نفع؟ مثل قوله: ﴿يَنبِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾³ فأضاف النور هنا إلى نفسه، لا إلى غيره. وجعل النور المضاف إلى السماوات والأرض، هاديا إلى معرفة نوره المطلق. كما جعل المصباح هاديا إلى نوره المقتد بالإضافة. وقَمَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾⁴. ثُمَّ نَهَانَا عَنْ مِثْلِ هَذَا فَقَالَ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁵.

والله اسمٌ جامعٌ لجميع الأسماء الإلهية، محيطٌ بمعانيها كلها. وضرب الأمثال يخص اسما واحدا معينا. فلِإِنْ ضَرَبْنَا الْأَمْثَالَ لِلَّهِ، -وهو اسم جامع شامل- فَمَا طَبَقْنَا الْمَثَالَ عَلَى الْمَثَلِ (به)، لِإِنْ الْمَثَالَ خَاصَّ، وَالْمَثَلُ بِهِ مُطْلَقٌ. فَوَقَعَ الْجَهْلُ بِلَا شَكٍّ.

فَنُبَيِّنَا أَنَّ ضَرْبَ الْمَثَلِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، إِلَّا أَنْ نَعَيِّنَ اسْمًا خَاصًّا يَنْطَبِقُ الْمَثَلُ عَلَيْهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَصَحُّ ضَرْبُ الْمَثَلِ لِنَاكَ الْأَسْمَاءِ الْخَاصَّةِ، كَمَا فَعَلَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: ﴿الله﴾ وما ضرب المثل للاسم "الله" وإنما عَيَّنَ سُبْحَانَهُ اسْمًا آخَرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿تُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁶ وضرب المثل بالمصباح، لِنَاكَ الْأَسْمَاءِ

1 [النور : 35]

2 ص 18 ب

3 [النور : 35]

4 [الرعد : 17]

5 [النحل : 74]

6 [النور : 35]

النور المضاف، أي هكذا فافعلوا. ولا تضربوا الأمثال "لله" فإِنِّي ما ضربتها. فافهموا، ففهمنا الله¹ وإِنَّاكم مواقع خطابه، وجعلنا بمن تَأَذَّب بما عَرَفْنَاهُ من آدابه إِنَّهُ اللطيف بأحبابه.

. . .

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في وقت صلاة المغرب الشاهد

اختلف علماؤنا في وقت صلاة المغرب؛ هل لها وقت موسع كسائر الصلوات أم لا؟ فمن قائل: إِنَّ وقتها واحدٌ غير موسع، ومن قائل: إِنَّ وقتها موسع، وهو ما بين غروب الشمس إلى مغيب الشفق، وبه أقول.

اعتبار الباطن في ذلك:

اعلم أَنَّهُ إِنَّمَا وقع الاختلاف لَمَّا كانت صلاة المغرب وترًا، والوتر أحديُّ الأصل، فينبغي أن يكون لها وقت واحد، من أجل المناسبة في الوترية. ولذلك ورد في إمامة جبريل عليه السلام برسول الله ﷺ: «أَنَّهُ صَلَّى المغرب في اليومين، في وقت واحد في أوَّل فرض الصلوات» لَأَنَّ الْمَلَكَ أَقْرَبَ إِلَى الْوُتْرِيَّةِ مِنَ الْبَشَرِ - و«المغرب وتر صلاة النهار» كما أخبرنا رسول الله ﷺ وذلك قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَادَكُمْ صَلَاةً إِلَى صَلَاتِكُمْ» وذكر صلاة الوتر «فَأَوْتَرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ» فشَبَّهَهَا بِالْفَرَائِضِ وَأَمَرَ بِهَا، ولهذا جعلها مَنْ جعلها واجبة، دون الفرض وفوق الستة، وَأَتَمَّ مَنْ تَرَكَهَا، وَنَعَمَ مَا فَطَرَ وَتَقَهَّ.

وَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَعَ وَتَرَ صَلَاةَ اللَّيْلِ، وَزَادَهُ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَفِيهَا الْمَغْرِبُ، وَهُوَ وَتَرُ صَلَاةِ النَّهَارِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَتَرَ يَحِبُّ الْوُتْرَ» فَقَيَّدَ الْمَغْرِبَ بِوُتْرِيَّةِ صَلَاةِ النَّهَارِ، وَقَيَّدَ الْوُتْرَ بِوُتْرِيَّةِ صَلَاةِ اللَّيْلِ. وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَتَرَ يَحِبُّ الْوُتْرَ» يَعْنِي يَحِبُّ الْوُتْرَ لِنَفْسِهِ. فَشَرَعَ لَنَا وَتَرَيْنِ لِيَكُونَ شَفَعًا؛ لِأَنَّ الْوُتْرِيَّةَ فِي حَقِّ الْخَلْقِ مُحَالٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾³ حَتَّى لَا تَنْبَغِيَ الْأَحَدِيَّةُ إِلَّا لِلَّهِ.

وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَعَ وَتَرَ صَلَاةَ اللَّيْلِ، لِيَشْفَعَ بِهِ وَتَرَ صَلَاةَ النَّهَارِ، لِيَنْفَرِدَ -

1 ص 19

2 ص 19 ب

3 [الناربات : 49]

سبحانه - بحقيقة الترتية، التي لا تقبل الشفعية. فإنه ما تم في نفس الأمر إله آخر يشفع وترية الحق تعالى - كما شفعت وترية صلاة الليل وترية صلاة النهار. فكان مما قال فيه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾¹ خلق وترين. فكان كل واحد منها يشفع وترية صاحبه. ولهذا لم² يلحقها رسول الله ﷺ بصلاة النافلة، بل قال: «زادكم صلاة إلى صلاتكم» يعني الفرائض، ثم أمر بها أمته.

فلما سئل رسول الله ﷺ بعد إمامة جبريل عليه السلام به ﷺ عن وقت الصلاة، صلى بالناس يومين: صلى في اليوم الأول في أول الأوقات، وصلى في اليوم الثاني في آخر الأوقات، الصلوات الخمس كلها، وفيها المغرب. ثم قال للسائل: «الوقت ما بين هذين» فجعل للمغرب وقتين كسائر الصلوات، وألحقها بالصلاة الشفعية، وإن كانت وترا، ولكنها وتر مفيد³ شفعية وتر صلاة الليل. فوسّع وقتها كسائر الصلوات. وهو الذي ينبغي أن يعول عليه، فإنه متأخر عن إمامة جبريل عليه السلام فوجب الأخذ به.

فإن الصحابة كانت تأخذ بالأحدث فالأحدث، من فعل رسول الله ﷺ، وإن كان ﷺ كان يشار على الصلاة في أول الأوقات. فلا يدل ذلك على أن الصلاة ما لها وقتان، وما يتنهما. فقد أبان عن ذلك وصرّح، وما عليه ﷺ إلا البلاغ والبيان. وقد فعل ﷺ. فهذا اعتبار وتعليل يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل.

فصل⁴ بل وصل

في وقت صلاة العشاء الآخرة

اختلفت علماء الشريعة، من وقتها، في موضعين: في أول وقتها، وآخر وقتها. فمن قائل: إن أول وقتها مغيب حرة الشفق، وبه أقول. ومن قائل: إن أول وقتها مغيب البياض الذي يكون بعد الحرة. والشفق شفقان، وهو سبب الخلاف: فالشفق الأول صادق، والبياض بعده الذي هو الشفق الثاني تقع فيه الشبهة: فإنه قد يشبه أن يكون شبه الفجر الكاذب، الذي هو ذنب السرحان، وهو المستطيل. وجعله الشارع من الليل، ولا يجوز بظهوره صلاة الصبح، ولا يمنع مرده الصوم من الأكل. ويشبه أن يكون

1 [الناريات : 49]

2 ص 20

3 الأحرف المعجمة ممة وبالتالي يمكن قراءتها كذلك: مفيد

4 ص 20 ب

شبيه الفجر المستطير، الذي يُصَلَّى بظهوره صلاة الصبح، ولا يجوز للصائم أن يأكل بظهوره.

إلا أنَّ الأظهر عندي أنه شبيه الفجر المستطير، الذي يُصَلَّى بظهوره الصبح. وذلك لاتصاله بالحرمة إلى طلوع الشمس، لا ينقطع بظلمة، كما ينقطع الفجر الكاذب. كذلك¹ البياض الذي في أول الليل متصل بالحرمة، فإذا غابت الحرمة بقي البياض. فلو كانت بين البياض والحرمة ظلمة قليلة، كما يكون بين الفجر المستطيل وحرمة إسفار الصبح؛ كما نلحقها بالفجر الكاذب؛ ونلغي حكمها. فكان - والله أعلم - أنَّ الذي يراعي مغيب البياض في أول وقت العشاء أوجه.

ولكن إذا ثبت أنَّ الشارع صلَّى في البياض بعد مغيب الشفق الأحمر، فنقف عنده. فللشارع أن يعتبر البياض والحرمة التي تكون في أول الليل بخلاف ما يعتبرها في آخر الليل، وإن كان ذلك عن آثار الشمس في غروبها وطلوعها. وأما قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾² فالأوجه عندي في تفسيره، أنه الفجر المستطيل لا تقطاعه، كما ينقطع نَفْسُ المتنفس. ثم بعد ذلك تتصل أنفاسه.

وأما آخر وقتها؛ فمن قائل: إنه ثلث الليل. ومن قائل إلى أنه نصف الليل. ومن قائل: إنه إلى طلوع الفجر، وبه أقول. ولقد رأيت قولاً، ولا أدري من قاله، ولا أين رأيت: إنَّ آخر وقت صلاة العشاء ما لم تم، ولو سهرت إلى طلوع الفجر.

الاعتبار في الباطن في ذلك:

الاعتبار³ في أول وقت هذه الصلاة وآخره: اعلم أنَّ العالم قد قسمه الحقُّ على ثلاث مراتب؛ وقسم الحقُّ أوقات الصلوات على ثلاث مراتب: فجعل عالم الشهادة، وهو عالم الحسِّ والظهور، وهو بمنزلة صلاة النهار. فأناجي الحقُّ بما يعطيه عالم الشهادة والحسِّ، من الدلالة عليه، وما ينظر إليه من الأسماء. وقد قال رسول الله ﷺ في مثل هذا: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ» يعني في الصلاة. فتاب العبدُ هنا منابِ الحقِّ. وهذا من الاسم الظاهر. فكأنَّ الحقَّ ظهر بصورة هذا القائل: "سمع الله لمن حمده". وكذلك قوله تعالى - لبيته محمد ﷺ في حقِّ الأعرابي: ﴿فَأَجِزْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾⁴ وهو ما

1 ص 21

2 [التكوير : 18]

3 ص 21 ب

4 [التوبة : 6]

سمع إلا الأصوات والحروف من لم النبي ﷺ وقال الله: "إِنَّ ذَلِكَ كَلَامِي" وأضافه إلى نفسه. فكانَ الحقُّ ظهر في عالم الشهادة بصورة التالي لكلامه، فافهم.

وجعل عالم الغيب، وهو عالم العقل، وهو بمنزلة صلاة العشاء، وصلاة الليل من مغيب الشفق إلى طلوع الفجر. فيناجي المصلّي ربه في تلك الصلاة بما يعطيه عالم الغيب والعقل والفكر، من الأدلة والبراهين عليه ﷺ وهو¹ خصوص دلالة، لخصوص معرفة، يعرفها أهل الليل. وهي صلاة المحتبين؛ أهل الأسرار وغوامض العلوم، المكتشفين بالحجب. فيعطهم من العلوم ما يليق بهذا الوقت، وفي هذا العالم. وهو وقت معارج الأنبياء والرسل والأرواح البشرية، لرؤية الآيات الإلهية المثالية، والتقريب الروحاني. وهو وقت نزول الحق من مقام الاستواء، إلى السواء الأقرب إلينا، للمستغفرين والتائبين والسائلين والناعين. فهو وقت شريف. ومن صلى هذه الصلاة في جماعة، فكانما قام نصف ليلة. وفي هذا الحديث راحة لمن يقول: إِنَّ آخِرَ وَقْتَهَا إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ.

وجعل سبحانه- عالم التخيل والبرزخ، الذي هو تزل المعاني في الصور الحسية. فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية، وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة. وأن ظهورها بتلك الصور أمر عارض، عرض للمدرك لها، لا للمعنى في نفسه؛ كالعلم في صورة اللبن، والدين في صورة القيد، والإيمان في صورة العروة.

وهو من أوقات الصلوات؛ وقت المغرب ووقت صلاة الصبح. فإنها وقتان ما هما من الليل ولا من النهار. فهما برزخان بينهما من الطرفين، لكون زمان الليل والنهار دورياً. ولهذا قال تعالى: ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾² من كَوْن الإمامة. فيخفى كل واحد منها بظهور الآخر. كما قال: ﴿يَنْفِثُ اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾³ أي يغطيه. وكذلك النهار يغطي الليل. فيناجي المصلّي ربه في هذا الوقت، بما يعطيه عالم البرزخ من الدلالات على الله في التجليات وتوابعها، والتحول في الصور كما وردت الأخبار الصحاح.

غير أن برزخية صلاة المغرب، هو خروج العبد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب. فيمر بهذا البرزخ الوترى، فيقف منه على أسرار قبول عالم الغيب لعالم الشهادة. وهو بمنزلة الحس الذي يعطي للخيال

1 ص 22

2 ص 22 ب

3 (الزمر : 5)

4 (الأعراف : 54)

صورة، فيأخذها الخيال بقوة الفكر، فيلحقها بالمعقولات. لأنَّ الخيال قد لطف صورتها، التي كانت لها في الحس، من الكثافة، فتروحت بوساطة هذا البرزخ. وسببه وتر صلاة المغرب. فإنَّ الفعل للوتر: فهو الذي لطف صورتها على الحقيقة، ليقبلها عالم الغيب والعقل. لأنَّ العقل لا يقبل صور الكثيف، والغيب لا يقبل الشهادة. فلا بدَّ أن يلطف البرزخ صورتها، حتى يقبلها عالم الغيب.

وكذلك برزخ الفجر، وهو خروج عالم الغيب إلى عالم الشهادة والحس، فلا بدَّ أن يبرز الخيال، وهو وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فما هو من عالم¹ الغيب ولا من عالم الشهادة: فيأخذ البرزخ الذي هو الخيال المعبر عنه بوقت الفجر إلى طلوع الشمس، المعاني المجردة المعقولة التي لها الليل، فيكثفها الخيال في برزخه: فإذا كساها كثافة من تخيله بعد لطافتها، حينئذ وقعت المناسبة بينها وبين عالم الحس؛ فتظهر صورة كثيفة في الحس، بعد ما كانت صورة روحانية لطيفة غيبية. فهذا من أثر البرزخ؛ يرذ المعقول محسوسا في آخر الليل، ويرذ المحسوس معقولا في أول الليل.

مثاله: إنَّ لصورة النار في العقل، صورة لطيفة معقولة، إذا نظر إليها الخيال صورها بقوته، وقصّلها وكثفها عن لطافتها في العقل. ثمَّ صرف الجوارح في بنائها، بجمع اللبن والطين والجص، وجميع ما تخيله البناء المهندس، فأقامها في الحس صورة كثيفة يشهدها البصر، بعد ما كانت معقولة لطيفة تتشكل في أي صورة شاءت. فزالت عنها في الحس تلك القوة، بما حصل لها من التقيد، فتبقى النهار كله، مقيدة بتلك الصورة على قدر طول النهار.

فإن كان النهار لا انتضاء له كيوم النار الآخرة، فتكون الصورة لا ينتهي أمدها. وإن كان النهار ينقضي كيوم الدنيا، وإيّاها متفاضلة: فيوم من أربع وعشرين² ساعة، ويوم من شهر، ويوم من سنة، ويوم من ثلاثين سنة، ودون ذلك وفوق ذلك، فتبقى الصورة مقيدة بتلك المدة طول يومها، وهو المعبر عنه بعمرها، إلى الأجل المستق. إلى أن يجيء وقت المغرب، فيلطف البرزخ صورتها، وينقلها من عالم الحس، ويؤدّيها إلى عالم العقل. فترجع إلى لطافتها من حيث جاءت. هكذا حركة هذا البولاب الدائر.

فإن فهمت وعقلت هذه المعاني التي أوضحنا لك أسرارها، علمت علم الدنيا، وعلم الموت، وعلم الآخرة، والأزمنة المختصة بكل محل، وأحكامها. والله يفهمنا وإياك حكمه، ويجعلنا ممن ثبتت في معرفته قَدَمُه.

1 ص 23

2 ص 23 ب

فالليل ثلاثة أثلاث، والإنسان ثلاثة عوالم: عالم الحس وهو الثلث الأول، وعالم خياله وهو الثاني، وعالم معناه وهو الثلث الآخر، من ليل نشأته. وفيه ينزل الحق وهو قوله: «وسعني قلب عبدي» وقوله: «إن الله لا ينظر إلى صوركم» وهو الثلث الأول¹، «ولا إلى أعمالكم» وهو الثلث الثاني، «ولكن ينظر إلى قلوبكم» وهو الثلث الآخر. فقد عمّ الليل كله.

فمن قال: إن آخر الوقت الثلث الأول، فباعتبار ثلث الحس. ومن قال: آخره إلى نصف الليل، وهو وسط الثلث الثاني، فباعتبار² الثلث الثاني وهو عالم خياله، لأنه محلّ العمل في التلطيف أو التكيف. ومن قال: إلى طلوع الفجر. فباعتبار عالم المعنى من الإنسان. وكلّ قائل بحسب ما ظهر له. وقد وقع الإجماع بطلوع الفجر إنّه يُخرج وقت صلاة العشاء. فالظاهر أن آخر الوقت إلى طلوع الفجر، محلّ الإجماع والاتفاق على خروج الوقت بطلوع الفجر. ويقولنا يقول ابن عباس: إن آخر وقتها إلى طلوع الفجر.

. . .

فصل ثلّ وصل

في وقت صلاة الصبح

اتفق الجميع على أن أول وقت الصبح طلوع الفجر وآخره طلوع الشمس، واختلفوا في وقتها اختار بين قائل: إن الإسفار بها أفضل. ومن قائل: إن التغليس بها أفضل، وبه أقول.

الاعتبار في الباطن في ذلك:

اعلم أنّه من غلب على فهمه من قوله ﷺ وقول الله تعالى- في رؤية الله، أن ذلك راجع إلى العلم والعقل لا إلى البصر³، وبه قال جماعة من العقلاء النظار من أهل الستة، فهم بمنزلة من يرى التغليس. ومن غلب على فهمه بما ورد في الشرع من الرؤية أن ذلك بالبصر، وآتة لا يقدح في الجنبات الإلهي، وأن الجهة لا تقتيد البصر، وإنما تقتيد الجارحة، فهو بمنزلة من يرى الإسفار بصلاة الصبح، بحيث أن يبقى لطلوع الشمس قدر ركعة، أو يسلم مع ظهور حاجب الشمس.

1 ثابت في الهامش مع إشارة الصوب

2 ص 24

3 ص 24 ب

والعجب من هذا، أنَّ الذي ذهب إلى أنَّ الرؤية الواردة في الشرع، محمولة على العلم لا على البصر، يرى الإسفار بالصبح. وأنَّ الأكثر من الذين يرون أنَّ الرؤية الواردة في الشرع يوم القيامة، محمولة على البصر لا على العلم، يرون التغليس بالصبح.

فهذا أحسن وجه في اعتبار هذا الوقت، وأعمّه وأعلاه، وله اعتبارات غير هذا. ولكن يجمعها كلها ما ذكرناه. ولا تجمع تلك الاعتبارات التي تركناها حقيقة هذا الاعتبار الذي ذكرناه. فلها اقتصرنا عليه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

انتهى الجزء السادس والثلاثون، يتلوه في الجزء السابع والثلاثين.

1 [الأحزاب : 4]

الجزء السابع والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في أوقات الضرورة والعذر

فقوم أثبتوها وقوم نفوها، والخلاف مشهور بينهم في ذلك.

اعتبار الباطن في ذلك:

مَنْ نَسَبَ الْأَفْعَالَ إِلَى اللَّهِ نَفَاهَا، وَمَنْ أَثَبَتَ الْفِعْلَ لِلْعَبْدِ، كَسَبَهَا أَوْ خَلَقَهَا، بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ مِنْ هَذَيْنِ، أَثَبَّتَهَا.

. . .

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في أوقات الضرورة عند مثبتها

اتفق العلماء بالشرعية على أنها لأربع: للحائض تَطَهَّرُ في هذه الأوقات، أو تحيض في هذه الأوقات، وهي لم تُضَلَّ. والمسافر يذكر الصلوات في هذه الأوقات وهو حاضر، أو الحاضر يذكرها فيها وهو مسافر. والصبي يحتلم فيها، والكافر يُسَلِّم. واختلفوا في المغمى عليه؛ فمن قائل: هو كالحائض لا³ يقضي الصلاة، ومن قائل: يقضي فيها دون الخمس.

اعتبار الباطن في ذلك:

الحائض تَطَهَّرُ في وقت الضرورة؛ التائب من الكذب لضرورة. أو الطاهر تحيض؛ الصادق يكذب للضرورة.

الاعتبار في المسافر والحاضر: المسافر يفكره أو يذكره يذكر ما فات، في وقت سفره، في حصوله في المقام لِنَقْصِ يشاهده فيه، يعلم أنه نبي ذلك في وقت سفره. أو الحاضر، يعني صاحب المقام، يذكر في

1 العنوان ص 25، أما ص 25 فيضاه

2 البسلة ص 26

3 ص 26 ب

حال سفره، ما فاته في وقت إقامته، من الأدب مع الحق، كقولهم: "اقعد على البساط وإياك والانبساط" للخلل يراه في سفره. فيعلم أن ذلك من آثار ما فاته من الأدب في مقامه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾¹ ولم يكن قبل ذلك أصابه نَصَبٌ، ليتذكر دلالة الحوت.

اعتباره في الصبي يبلغ فيها: العبد يكون تحت الحجر، فإذا كان الحق سمعه وبصره ويذه وقواه وجوارحه، كما ورد، فقد خرج عن الحجر. فإذا أدركه هذا الحال -هو في حكم اسم إلهي- لماذا (=إلى ماذا) يكون الحكم² فيه: هل للاسم الذي كان تحت حكمه؟ أو للاسم الذي انتقل إليه؟ فإن الوقت مشترك.

وكذلك الاعتبار في الكافر يُسلم في وقت الضرورة: والكافر هو صاحب الستر، والغيرة تغلب عليه. والغيرة على الحق لا تصح، وفي الحق تصح، وللحق تصح. ويغلب عليه أن لا غير، ولا سيما إن عرف معنى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾³ وما تم إلا هذه الأحوال، وهو الكل، إذ هو عينها. فمن يغار؟ أو بمن يغار؟ أو على من يغار؟ أو فيمن يغار؟

أخبروني أخبروني إني جزت في الله فما أضنعه؟

وأما اعتبار المسمى عليه، فهو صاحب الحال؛ ما حكمه إذا أفاق في هذا الوقت؟ أو أخذه الحال في هذا الوقت؟. هو مع الاسم المهيمن على ذلك الوقت الحاكم فيه.

* * *

فَضَّلَ بَلَّ وَضَلَّ

في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها هي بالاتفاق والاختلاف خمسة أوقات: وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، ووقت الاستواء، وبعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر.

اعتبار ذلك في الباطن، ﴿وَاللَّهُ الْمَقْتُلُ الْأَعْلَى﴾⁴:

الشمس الحق، والصلاة المناجاة. فإذا تجلّى الحق، كان البهت والفناء. فلم يصح الكلام، ولا المناجاة.

1 [الكهف : 62]

2 ص 27

3 [الحديد : 3]

4 ص 27 ب

5 [النحل : 60]

فإنّ هذا المقام الإلهيّ يعطي أنّه تعالى- إذا أشهّدك لم يكلمك، وإذا كلّمك لم يُشهِدك. إلّا أن يكون التجلّي في الصورة. عند ذلك تجمع بين الكلام والمشاهدة. وإذا غاب المشاهد عن نفسه، لم تصحّ المناجاة. لأنّ رسول الله ﷺ يقول: «أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» بلا شك. وقد غلّفت أنّ العبد غائب عند الشهود، لاستيلاء المشهود عليه، فلا مناجاة.

وفي وقت الاستواء؛ يغيب عنك ظلّك فيك. وظلّك حقيقثك. والنور قد خفّ بك من جميع الجهات وغمزك، فلا يتعيّن لك أمرٌ تسجد له إلّا وعينه من خلفك، كما هو من أمامك، ومن عن يمينك، وشمالك، وفوقك. فهو يجذبك من جميع جهاتك؛ لأنّك¹ نور من جميع جهاتك، والصلاة نور. فاندرجت الأنوار في الأنوار، والصلاة لا تُصَلّي لها.

وأما بعد الصبح إلى طلوع الشمس، فهو وقت خروجك من عالم البرزخ إلى عالم الشهادة، والصلاة لم يفرض وقتها إلّا في الحسّ لا في البرزخ. وكذلك بعد صلاة العصر؛ فإنّ الشغل بضمّ الحبيب يفني عن مخاطبته لسريان اللذة فإنّها تغمّه؛ فيفنيه عن الإدراك.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات المنهيّ عن الصلاة فيها

فمن قاتل: هي الصلوات كلّها بإطلاق، ومن قاتل: هي ما عدا المفروض من ستّة ونقل، ومن قاتل: هي النفل دون السنن، ومن قاتل: هي النفل فقط بعد الصبح والعصر، والنفل والسنن معا عند الطلوع والغروب. وأما عندنا فإنّ هذه الأوقات هي للفرائض للنائم والناسي، يتذكّر أو يستيقظ فيها، ولقضاء النوافل إذا شغل عنها أن يصلّيها في الوقت الذي كان² عبثه لها.

اعتبار الباطن في ذلك:

المناجاة الإلهيّة بين الله وبين عبده، على أربعة أقسام: مناجاة من حيث أنّه يراك، ومناجاة من حيث أنّك تراه، ومناجاة من حيث أنّه يراك وتراه، ومناجاة لبعض أهل النظر في الاعتقادات بالأدلة، من حيث أنّك لا تراه علما في اعتقاد، ولا تراه بصرا في اعتقاد، ولا يراك بصرا في اعتقاد، ولا علما في اعتقاد

1 ص 28

2 ص 28 ب

من نقى عنه العلم بالجزئيات، لكن يراه علما لاندرج الجزء في الكل.

وهذا ما هو اعتقادنا، ولا اعتقاد أهل السنة. بل هو سبحانه - ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹ وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾² وقال النبي ﷺ في الخبر الصحيح عنه: «إنه يراك» وقد نبهناك على مآخذ الاعتبارات في هذه الأقسام، وأنت تعرف قسمك منها. ومن عرف قسمه، فمن هناك يشبث مناجاته أو يحيلها.

فصول بل وصول

الأذان والإقامة

الأذان: الإعلام بدخول الوقت، والدعاء للاجتماع إلى الصلاة في³ المساجد. والإقامة: الدعاء إلى المناجاة الإلهية.

الاعتبار في الباطن في ذلك:

الأذان: الإعلام بالتجلي الإلهي، لتطهر النوات لمشاهدته. والإقامة: القيام لتجليه، إذا ورد ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴.

فصل بل وصل

في صفات الأذان

اعلم أن الأذان على أربع صفات. الصفة الأولى: تمنية التكبير، وتربيع الشهادتين، وبقية مثنى. وبعض القائلين بهذه الصفة يرون الترجيع في الشهادتين، وذلك أنه يثنى الشهادتين أولا خفياً⁵، ثم يثنىها مرة ثانية مرفوع الصوت بها. وهذا الأذان أذان أهل المدينة.

الصفة الثانية: تربيع التكبير الأول والشهادتين، وتمنية باقي الأذان، وهذا أذان أهل مكة.

1 [البقرة : 29]

2 [العلق : 14]

3 ص 29

4 [المطففين : 6]

5 تاج في الهامش بخط آخر مع إشارة الصوب

الصفة الثالثة: تربع التكبير الأول، وتثنية باقي الأذان، وهذا أذان أهل الكوفة.

الصفة الرابعة: تربع التكبير الأول، وتثليث الشهادتين، وتثليث الحيعلتين. يتحدث بالشهادة¹ إلى أن يصل إلى "حيّ على الفلاح"، ثم يعيد ذلك على هذه الصفة ثانية، ثم يعيدها أيضا على تلك الصورة الثالثة؛ الأربع الكلمات نسفا ثلاث مرّات. وهذا أذان أهل البصرة.

اعتبار الباطن في ذلك:

تثنية التكبير للكبير والأكبر، وتربيعة للكبير والأكبر، ولمن تكبر نفسا وحسّا، مشروعا كان ذلك التكبر، كحديث أبي دجاجة، أو غير مشروع. والتربيع في الشهادتين: للأول والآخر والظاهر والباطن. وتثنية ما بقي: لك وله تعالى. وتثليث الأربع الكلمات، على نسق واحد في كلّ مرّة، وهو كما قلنا مذهب البصريّين: إعلام بالمرة الواحدة لعالم الشهادة، وبالثانية لعالم الجبروت، وبالثالثة لعالم الملكوت. وعند أبي طالب المكي: الثانية لعالم الملكوت، والثالثة لعالم الجبروت.

تحقيق ذلك: هو أنّ الإنسان إذا نظر بعين بصره وعين بصيرته، إلى الأسباب التي وضعها الله تعالى- شعائر وأعلاما لما يريد تكوينه وخلقه من الأشياء، لما سبق في علمه أن يربط الوجود بعضه ببعضه، ودلّ² الدليل على توقّف وجود بعضه على وجود بعضه، وسمع شاء الحقّ تعالى- على من عظم شعائر الله، وأنّ ذلك التعظيم لها من قوَى القلوب، في قوله تعالى- في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾³ قال عند ذلك: الله أكبر.

يقول: وإن كانت عظيمة في نفسها بما تدلّ عليه، وعظيمة من حيث أنّ الله أمر بتعظيمها، فوجدتها وخالفها الأيمر بتعظيمها، أكبر منها. وهذه هي "أكبر" للمفاضلة وهي "أفعل من". فلنا أنّها؛ وكشف هذا الإنسان الناطق بها على حقارة الأسباب في أنفسها لا نفسها، وافتقارها إلى موجدتها لإمكانها، افتقار المسبّيات (إلى مسبّتها) على السواء، ورواها عينا وكشفا، عند كشف الغطاء عن بصره، ناطقة بتسبيح خالقها وتعظيمه.

1 ص 29

2 ص 30

3 [الحج : 32]

فإنه القائل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾¹ تسبيح نُطْقِي يليق بذلك الشيء، لا تسبيح حال. ولهذا قال: ﴿لَا تَقْهَوْنَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لاختلاف ما يسبحون به إلا لمن سمعه. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لم يؤاخذ ولم يعجل عقوبة من قال إنه تسبيح حال ﴿غَفُورًا﴾ سائرًا نُطْقَهُم عن أن تتعلق به الأسماع إلا لمن خرق الله له العادة.

فقد ورد أن الحصى سبَّح بحضور من حضر من الصحابة في كَفَّ رسول الله ﷺ، وما زال الحصى مسبِّحًا. وما خرق الله العادة إلا في أسماع السامعين ذلك، بتعلقها بالمسموع. وما قال: ﴿وَلَكِنْ لَا تَقْهَوْنَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ إلا في معرض الرد على من يقول إنه تسبيح حال. فإنَّ العالم كله قد تساوى في الدلالة. فمن يقول بتسبيح الحال فقد أكذب الله في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْهَوْنَ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ خُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾³ يعني؛ خيرا له من يعظَّم شعائر الله، إذا جعلنا "خير" بمعنى "أفعل من" ليميز بين تعظيم الشعائر، وتعظيم حرمة الله. فإنَّ حرمة الله ذاتية، فهو يقتضي التعظيم لذاته. بخلاف الأسباب المعظمة. فإنَّ الناظر في الدليل، ما هو الدليل له مطلوب لذاته، فينتقل عنه ويفارقه إلى مدلوله.

فلهنا؛ العالم دليل على الله، لأننا نعبّر منه إليه تعالى. ولا ينبغي أن نتخذ الحق دليلا على العالم، فكنا نجوز منه إلى العالم.

وهذا لا يصح. فما أعلى كلام النبوة حيث قال: «مَنْ عَزَفَ شَيْءَهُ عَزَفَ رَبَّهُ» وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ كَذِبٍ كَذَا، وَعَدَّتِ الْخُلُوقَاتِ لِتَتَّخِذَ أَدْلَةً عَلَيْهِ، لَا يُؤْتَقَفَ مَعَهَا. فَهَذَا (هُوَ) الْفَرْقُ بَيْنَ حُرْمَاتِ اللَّهِ وَشُعَائِرِ اللَّهِ.

فنقول ثاني مرة: "الله أكبر" تعظيما لحرمة الله، لا بمعنى المفاضلة. وذلك معروف في اللسان. فبعضنا "الله الكبير". لا "أفعل من" فهو الكبير واضع⁵ الأسباب، وآمرنا بتعظيمها. ومن لا عظمة له ذاتية لنفسه، فعظمته عرض في حكم الزوال. فالكبير على الإطلاق، من غير تقييد ولا مفاضلة، هو الله.

1 [الإسراء : 44]

2 ص 30 ب

3 [الحج : 30]

4 [الغاشية : 17]

5 ص 31

فهذه التكبيرة الثانية المشروعة في الأذان، وأنها لهاتين الصورتين. فإن رَعَّ التكبير فتكون تنبيه التكبيرة الواحدة على الحد الذي ذكرناه حسًا وعقلا، أي كما كبره اللسان بلفظ المفاضلة، كذلك كبره عقلا. كأنه يقول: "الله أكبر" باللسان، كما هو أكبر بالعقل، أي هو أكبر بدليل الحس ودليل العقل، ثم ينشئ التكبيرة الأخرى أيضا حسًا وعقلا، فيقول: "الله أكبر" أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة حسًا، الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة عقلا حُزْمَةً وشرعاً¹. فهذا مشهد من رَعَّ التكبير في الأذان، الذي هو الإعلام بالإعلان.

ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله الله. خفيًا يُسمع نفسه. وهو بمنزلة من يتصور البليل أولاً في نفسه، ثم بعد ذلك يتلفظ به، وينطق معلناً في مقابلة خصمه. أو ليبلغ غيره مساق ذلك الليل. وذلك أن يشهد هذا المؤذن في هذه الشهادة، أنه يرى الأسباب المحجوبة عن المعرفة بالله، التي أغلقت قوة النطق، وحُجِبَتْ عن إدراك الأمر في نفسه بالجهل. أو عن إدراك ما ينبغي لجلال الله من إضافة الكل إليه بحجاب الغفلة.

فيقول الجاهل: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾³ أو المستخف وهو ضرب من الجهل - أو يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁴، وقد يمكن أن يكون كاذباً عند نفسه، عالماً بأنه كاذب، لكنه ﴿اسْتَخَفَّ قُوَّةَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾⁵، ويقول: أنا أنعمت على فلان. أنا وليت فلاناً. أنا علمت فلاناً العلم الذي عنده والقرآن، ولولا أنا ما علم شيئاً مما عليه. وسمع الله يقول: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁶ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾⁷ وهي الأسباب التي وُجِدَتْ عندها (لا بها).

ثم قال لمن يرى أننا وُجِدْنَا بالأسباب لا عندها: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَثْنًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁸ أنه أوجد الأسباب، وأوجدكم عندها، لا بها. فيقول عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله. أي لا خالق إلا الله. فينفي الوهية كل من ادعاه لنفسه من دون الله، وأثبتها لمستحقها لو ادعاه مع الله كالمشرك، فشهد بذلك الله

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل

2 ص 31 ب

3 [النازعات : 24]

4 [القصص : 38]

5 [الزخرف : 54]

6 [النحل : 17]

7 [البقرة : 21]

8 [البقرة : 22]

عقلا وشرعا وجسًا ومعنى. هذا كله مع نفسه؛ كمتصور الدليل أولا، ثم يرفع بها صوته ليسمع غيره من متعلم ومدع وجاهل وغافل¹ عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾² وأمثاله مثل: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾³. فقطع حكم الأسباب. فهذا معنى الشهادة وتثنيها وتربيعها.

وكذلك قوله: أشهد أن محمدا رسول الله. وهو أنه لما شهد بالتوحيد بما أعطاه الدليل، شهد به علما، لا على طريق القرينة. لأن الإنسان من حيث عقله لا يعلم أن التلقظ بذلك، وأن النظر في معرفة ذلك، يقترب من الله، وإنما حظّه أن يعلم أن نفسه تشرف بصفة العلم على من يجهل ذلك. وأن التصريح به، ويكلّ دليل على مثل هذا العلم، على جهة تعليم من لا يعلم. وإرداع المعاند، تشريفا لهذا النفس، على نفس من ليس له ذلك. لأنه لا حكم للعقل في إيجاد شيء قرينة إلى الله.

فجاء الرسول من عند الله، فأخبره أن يقول ذلك، وأن ينظر في ذلك؛ إذ يخفيه في نفسه ويُسِرُّه، وفي التعليم والإرداع للغير⁴، إذا أعلن به، أن يكون ذلك على طريق القرينة إلى الله: فيكون مع كونه علما، عبادة. فيقول العالم المؤمن إذا أذن، أو قال مثل ما يقول المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله. علما وعبادة، ويقولها العامي تقليدا وتعبدا.

والثنية⁵ في هذه الشهادة الرسالية والتربيع؛ فالحكم فيها على حكم شهادة التوحيد سواء، في المراتب التي ذكرناها سواء. فإن ثلث كأذان البصريين، الأربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة، فهو أن يقولها في المرة الأولى علما، وفي المرة الثانية تعلما، لأنه معلّم. وفي المرة الثالثة عبادة، فهي كلها علم وتعليم وعبادة، فافهم. وما خالف البصريون الكوفيّين والحجازيين والمديّتين إلا في هذا، أعني التثليث والنسق. وكلّ سنة، والإنسان مخير: يؤدّن بأي صفة شاء من ذلك كله. وهو مذهبنا. كالروايات المختلفة في صلاة الكسوف وغير ذلك⁶.

ثم إن الله شرع لنا في الأذان بعد الشهادتين أن تقول: حيّ على الصلاة. مثنى. ندعو بالواحدة نفسي، وندعو بالثانية غيري. ومعناه: أقبّلوا على مناجاة ربكم، فتطهّروا وأتوا المساجد بالمرة الواحدة. ومن كان في

1 ص 32

2 [الرحمن : 1، 2]

3 [الرحمن : 3، 4]

4 دابة في الهامش مع إشارة التصويب

5 ص 32 ب

6 في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود علي، وكتب ابن العربي".

المسجد يقول له في المرة الثانية حين يثنيها: طهروا قلوبكم، واحضروا بين يدي ربكم، فإنكم في بيته، قصدتموه من أجل مناجاته.

وكذلك قوله: حيّ على الفلاح، بالاعتبارين أيضا. والتفسيرين في المرتين؛ يقول للخارج والكاثر في المسجد لنفسه ولغيره: أقبلوا على ما ينجيكم فعله من عذابه بنعمه¹، ومن حجابته بتجليه ورؤيته. وأقبلوا بالثانية من "حيّ على الفلاح" على ما يُقيمكم في نعمكم، ولذة مشاهدتكم.

ثم يقول: الله أكبر الله أكبر. لنفسه ولغيره، ولمن هو ينتظر الصلاة: الحاضر في المسجد، ومن هو خارج، في أشغاله. يقول: الله أكبر مما أتم فيه، أي الله أَوْلَى بالتكبير، من الذي يمنعكم من الإقبال الذي أمرناكم به على الصلاة، وعلى الفوز والبقاء في الجملتين.

وإنما لم يرعِ الثاني، فإنه ليس مثل الأول. فإنّ الثاني -عني التكبير والجملتين- إنما المقصود بذلك القرية. والعقل لا يستقل بإدراكها. فهي للشرع خاصة. فلها لم يرعِ الجملتين ولا التكبير الثاني، وثنى لكونه خاطب نفسه وغيره، والكاثر في المسجد وغير الكاثر.

ثم قال: لا إله إلا الله. فحم الأذان بالتوحيد المطلق، لما كان الأذان يتضمن أمورا كثيرة، فيها أعمال منسوبة إلى العبد. فرما يقع في نفس المدعو أنه ما دعي إلى أن يفعلها إلا والفعل له حقيقة، والباعى أيضا كذلك. فيخاف عليه أن يضيف الفعل إلى نفسه خلقا، كما يراه بعضهم. وما جعله الله دليلا عليه من جملة الأدلة على توحيده، إلا انفراده بالخلق مثل² قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾³.

فهي ألوهية خفية في نفس كل إنسان، وهو الشرك الخفي المعفو عنه. فحم الأذان بالتوحيد، من غير تنية ولا تثليث ولا تريب. وهذا هو التوحيد المطلق الذي جاءت به الأنبياء من عند الله عن الله. وهي أفضل كلمة قالها رسول الله ﷺ والنبّيون من قبله. فيتنبّه السامعون كلهم أنه لا إله إلا الله. فوحد لطلبه التوحيد على الإطلاق، وما زاد على التوحيد في كل أذان مشروع من الأربعة مذاهب في ذلك.

وأما التثويب في أذان صلاة الصبح، وهو قولهم: "الصلاة خير من النوم". من الناس من يراه من الأذان المشروع فيعتبره، ومن الناس من يراه من فعل عمر، فلا يعتبره ولا يقول به. وأما مذهبنا؛ فإنما

1 ص 33

2 ص 33 ب

3 [النحل : 17]

نقول به شرعا. فإن كان من فعل عمر؛ فإن الشارع قرره بقوله: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً» ولا نشك أنها سنة حسنة، ينبغي أن تُعتبر شرعا. وهي بهذا الاعتبار من الأذان المسنون، إلا في مذهب من يقول: إنَّ المسنون هو الذي فُعل في زمان النبي ﷺ وعُزِّفه وقرَّره، أو يكون هو الذي سَنَّهُ ﷺ. فيكون حاصله عند صاحب هذا القول أنه لا يستحقُّ سنة، إلا ما كان بهذه الصفة. فما هو خلاف يُعتَبَر، ولا يُقدَّح (فيه).

وأما من زاد: "حيَّ على خير العمل". فإن كان¹ فُعل في زمان رسول الله ﷺ كما روي أنَّ ذلك دعا به في غزوة الخندق. إذ كان الناس يحفرون الخندق، فجاء وقت الصلاة، وهي «خيرٌ موضوع» كما ورد في الحديث، فنادى المنادي أهل الخندق: "حيَّ على خير العمل". فما أخطأ من جعلها في الأذان. بل اقتدى -إن صحَّ هذا الخبر- أو «سَنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» وما كرهها من كرهها إلا تعصبا، فما أنصف القائل بها. نعوذ بالله من غوائل النفوس.

. . .

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ

في حكم الأذان

فمن قائل: إنه واجب. ومن قائل: إنه سنة مؤكدة. والقائل بوجوبه؛ منهم من يراه فرضا على الأعيان، ومنهم من يراه فرض كفاية. ومن قائل: إنَّ الأذان فرض على مساجد الجماعات، وهو مذهب مالك. وفي رواية عنه، أنه سنة مؤكدة، ولم يره على المنفرد، لا فرض ولا سنة. ومن قائل: إنه واجب على الأعيان. ومن قائل: إنه واجب على الأعيان على الجماعات؛ سفرا وحضرا. ومن² قائل: سفرا لا غير. ومن قائل: إنه سنة للمنفرد والجماعة، إلا أنه أكد في حق الجماعة.

واتفق الجميع على أنه سنة مؤكدة، أو فرض على المضر، وبه كان يقول شيخنا أبو عبد الله بن العاص الدلال بأشيلية؛ سمعته من لفظه غير مرة. وكان يقول: إذا اجتمع أهل مضر. على ترك الأذان، أو ترك سنة، وجب غزوهم. واحتجَّ بالحديث الثابت «أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا غزا قوما صَبَّحهم؛ فإن سمع نداء لم يُعْز، وإن لم يسمع نداء أغار».

الاعتبار في الباطن في ذلك:

حقّ كلّ نفس أن تدعو نفسها وغيرها إلى طاعة الله، بعد وضع الشريعة. قال رسول الله ﷺ لمالك بن الحويرث ولصاحبه: «إذا كنتم في سفر فأذّنوا وأقيموا» الحديث. والإنسان مسافر مع الأنفاس منذ خلقه الله، دنيا وآخره. لا يصحّ له أن يكون مقبلاً أبداً. ولو أقام زائداً على نفس واحد، لتمطّل بفعل الإله في حقّه. فالحقّ سبحانه - في كلّ نفس في الخلق "في شأن"؛ وهو أشرف في كلّ عين موجودة، بكيفيّة خاصّة. أشهدنا الله دقيقتها وجليلها. فما أغزّ صاحبها عند¹ الله. فمن فاته مراعاة أنفاسه في الدنيا والآخرة، لقد ذنّب ذنّباً كبيراً.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

في وقت الأذان

اتفق العلماء على أنّه لا يؤذّن للصلاة قبل دخول وقتها، ما عدا الصبح، فإنّ فيه خلافاً. فمن قائل بجواز ذلك، (أي) أنّه يؤذّن لها قبل الفجر. ومن قائل بالمنع، وبه أقول. فإنّ الأذان قبل الوقت، إنّما هو عندي ذكّر بصورة الأذان، ما هو الأذان على جملة الإعلام بدخول وقت الصلاة.

فقد كان بلال يؤذّن بليل، وكان رسول الله ﷺ يقول: «لا يمنعكم أذان بلال عن الأكل والشرب» يعني في رمضان، أو لمن يريد الصوم «فإنّه يؤذّن بليل؛ فكلوا واشربوا حتى يؤذّن ابن أمّ مكتوم» وكان رجلاً أعمى، فكان لا يؤذّن حتى يقال له: أصبحت أصبحت.

فالمؤذّن (أي فالأذان)، عندي، لا يجب إلّا بعد دخول الوقت. ومن قائل: لا بدّ للصبح من أذنين: أذان قبل الوقت، وأذان بعده. وقال أبو محمد بن حزم: لا بدّ للصبح من أذان بعد الوقت.

اعتبار الباطن في ذلك:

دعاء² النفوس إلى الله (هو) من الله "في نفس الأمر"، ودعاؤها من الأكوان (إنما هو) بالنظر إلى الغافلين أو الجهلاء، الذين هم تحت حكم الأسماء الإلهيّة، أو التصريف الإلهي وهم لا يشعرون. فلها قلنا: "في نفس الأمر".

1 ص 35

2 ص 35 ب

فاعلم أنّ للوقت سلطاناً لا يحكم فيه غيره، فلا بدّ أن يتعيّن عند المحكوم عليه سلطانُ الوقت، وهو الاسم الإلهي الخاصّ بذلك الوقت. فلا يمكن أن يدعى لها بطريق الوجوب، إلّا بعد دخول الوقت. فعند ذلك يكون ممن دعا إلى الله على بصيرة. فإنّه (أي الأذان) دعاء خاصّ في كلّ وقت، بما يليق بذلك الوقت.

فإن دعا في غير وقته، وقع الإنسان في الجهل. فإنّه يدعوه بما يخرجّه عن سلطان حكمه الذي يرتبّه السامع في نفسه. فلا بدّ من الدعاء له بعد دخول وقته، حتى يتعيّن مَنْ هو صاحب الوقت من هذه الأسماء الإلهيّة. أنظر هل يصحّ منك الشكر قبل دخول حكم الاسم المنعم؟ فإذا كان وقْتُك النعمة، ودخل وقتها بوجودها عندك، دُعيت إلى شكر المنعم.

وإنما دخل الخلاف في الصبح، لجهل السامع بمقصود الشارع بذلك الذّكر. فإنّه دعاء لصاحب الوقت، بخلاف سائر الصلوات. فإنّ الليل لمّا كان محلّاً للنوم، ونام¹ الناس، شُرِع النداء الآخر، الذي هو الأوّل، لإيقاظ النائمين. فهو دعاء للانتباه والاستعداد لإيقاع صلاة الصبح في أوّل الوقت. فهو نداء تحضيض وتحريض، وجعل بصورة الأذان المشروع للصلاة. أي من أجل الصلاة دعوناكم لتذكروها فتأهبوا لها.

فإذا دخل وقتها، وجب الإعلام بدخول الوقت، لجهل السامعين بدخول أوّل الوقت؛ فإنّه يخفى على أكثر الناس. فإنّ ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾². فيعلمون بالأذان المشروع لدخول الوقت؛ أنّ الوقت قد دخل.

وكذلك الحكم في الاعتبار: الغافل عن حكم الاسم الإلهي فيه، ينهيه الداعي من نومة الغفلة، بأنّه تحت حكم اسم إلهي يصرفه، وأنّه لا حول ولا قوّة له إلّا به. فإذا اتّقه من نوم غفلته، وتذكّر بعقله، عَرَف عند ذلك أيّ اسم هو صاحب الوقت. فأذعن له بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي في حقّ هذا الشخص، قال تعالى: ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أَوَّلُو الْأَلْبَابِ﴾³ وقال: ﴿وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴.

وإنما ذهبنا إلى أنّ الأذان قبل الصبح، هو ذِكْر ونداء بصورة الأذان، ما هو الأذان المشروع بالإعلام

1 ص 36

2 [الأعراف : 187]

3 [ص : 29]

4 [الناربات : 55]

بدخول الوقت، أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ بِلَالاً يَنَادِي بِلِيلٍ» ولم يقل يُؤذِّن. وكذا قال في ابن أم مكتوم: ينادي لموضع الشبهة. فإنه كان أعمى. فكان لا ينادي حتى يقال له: أصبحت¹ أصبحت. أي قارب الصبح. قال الراوي: وكان بين نداء بلال ونداء ابن أم مكتوم، قدر ما يترلُّ هذا ويضعُ هذا، فسماه نداء لهذا الاحتمال، أعني أذان ابن أم مكتوم. فإنَّ الفصاحة في لسان العرب تَطَابُقُ الألفاظ في نَسَقٍ؛ لنما قال في بلال: "إنه ينادي بليل" (قال كذلك في ابن أم مكتوم: ينادي).

ويؤيد ما ذهبنا إليه حديث ابن عمر: أنَّ بلالاً أذَّن قبل طلوع الفجر. فسماه ابن عمر أذاناً لما عرف من قرينة الحال. فأمره رسول الله ﷺ أن يرجع فينادي: «ألا إِنَّ العبد نام» ليعرف الناس أنَّ وقت الصلاة ما دخل. فإنَّ الأذان المشروع إنما هو لدخول وقت الصلاة. فلما عُرف من بلال أنه قصد الأذان، وأنَّ السامعين ربما أوقعوا الصلاة في غير وقتها، أمر أن يُعرف الناس أنه قد غلط في أذانه.

ولهذا يكون من المؤذنين بالليل، الدعاء والتذكير وتلاوة آيات من القرآن والمواظع وإنشاد الشعر المزهَّد في الدنيا المذكر الموت والدار الآخرة، ليعلم الناس إذا سمعوا الأذان منهم، أنهم يريدون بذلك ذكْر الله، كما تقدَّم. وأنه لإيقاظ النائمين، لا لدخول الوقت. ويكون لدخول الوقت مؤذِّن خاص، يُعرف بصوته. وكذا هو في الاعتبار: لتنوع الأحوال على أهل الله، لا بدَّ لهم من علامات يفرقون بها بين الأحوال التي تعطىها الأساء الإلهية، فافهم.

فصل²

في الشروط في هذه العبادة

قال بعض العلماء: وهي ثمانية شروط، وعندّها، فقال: إنَّ منها: هل من شرط من أذن أن يكون هو الذي يقيم أم لا؟ الثاني: هل من شرط الأذان أن لا يتكلَّم المؤذِّن في أمثاله أم لا؟ الثالث: هل من شرطه أن يكون المؤذِّن على طهارة أم لا؟ الرابع: هل من شرطه أن يتوجّه المؤذِّن إلى القبلة أم لا؟ الخامس: هل من شرطه أن يكون المؤذِّن قائماً أم لا يكون؟ السادس: هل يكره الأذان للراكب أم ليس يكره؟ السابع: هل من شرطه البلوغ أم لا؟ الثامن: هل من شرطه أن لا يأخذ أجراً على الأذان أم يأخذ الأجر؟

1 ص 36

2 ص 37

اختلف علماء الشريعة في هذه الشروط، فأدلتهم ما بين قياس ومعارضة أخبار، بين صحيح وسقيم¹. ومذهبنا: أنَّ الأذان يصح بوجودها وعدمها، والعمل بها أولى إن اتفق، ولا يمنع من ذلك مانع.

وأما الاعتبار في ذلك، في² الشروط كلها التي ذكرناها:

- فاعلم أنَّ الداعي قد يكون المسم الإلهي الذي يدعو به الحقُّ إلى الحقِّ، وهو عين الداعي الذي يقوم به بين يدي الحقِّ، في أي شيء دعاه إليه من الأحوال. وقد يكون غيره من الأسماء. فلا يشترط: "مَنْ أَدَّٰنَ فَهُوَ يَقِيْمٌ" فَإِنَّ فِيهِ حَرَجًا.
- الداعي إلى الحقِّ قد يتكلَّم في أثناء دعائه إلى الحقِّ، لحالٍ يطلبه بذلك، لا يجوز له التأخّر عنه؛ إمّا لأدب إلهيٍّ أو لفرض تعيّن عليه، وقد لا يتكلَّم. ما لم يقدح في فهم السامع ما يخرجُه عن³ أن يكون داعيًا له، وهذا اعتبار الشرط الثاني.
- الداعي قد يدعو بحاله، وهو طهارته، وهو أفضل. وقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله، وهو خيرٌ بكلِّ وجه. كما قال الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان من أهل طريق الله، العليّة منهم: "لو لم يعظ أحدٌ أحدًا حتى يَعْظَ نَفْسَهُ، ما وعظ أحدٌ أحدًا أبدًا". ولفاعل المنكر أن ينهى عن المنكر، وإن لم يفعل اجتمع عليه إثمان، فاعلم ذلك. وهذا هو اعتبار الشرط الثالث.
- الداعي إن قصد بدعائه وجه الله فهو أولى به، وإن قصد بذلك دنيا فلا يمنعه ذلك من الدعاء إلى الله، والأوّل أفضل، ويُرجى للآخر أن ينتفع بدعوته سامعٌ، فيدعو له، فيسعد بدعائه. فهذا بمنزلة استقبال⁴ القبلة بالأذان، وهو الشرط الرابع.
- الداعي إن كان قائمًا بمقوق ما يدعو إليه، فهو أولى من قعوده عن ذلك في دعائه، وهذا اعتبار الشرط الخامس.
- الداعي هل يكون في دعائه حاضرًا مع عبوديته وذلّته، أو يكون في حال نظره لعزّة نفسه

1 "فأدلتهم...وسقيم" مثبتة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب

2 ص 37 ب

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

4 ص 38

وتكبرها وعجبها، وهو الذي يؤذن ركباً؟ وحضوره مع نلته أؤلى، وهو اعتبار الشرط السادس.

- الداعي هل ينبغي له أن يدعو قبل بلوغه إلى المعرفة بمن يدعو إليه كدعاء المقلد، أولاً يدعو حتى يعرف من يدعو إليه؟ وهو اشتراط البلوغ في الأذان، وهذا اعتبار الشرط السابع.

- الداعي إلى الله هل من شرطه أن لا يأخذ أجراً على دعائه؟ فهو عندنا أفضل أنه لا يأخذ، وإن أخذ جاز له ذلك. فإن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الأجرة. فإنه ما من نبي دعا قومه إلا قيل له: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾¹ فأثبت الأجرة على دعائه، وسألها من الله لا من المدعو. حتى إن رسول الله ﷺ ما سأل من في الأجر على تبليغ الدعاء ﴿إِلَّا النُّوَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾² وهو حب أهل البيت وقرابته ﷺ، وأن يكرموا من أجله، كانوا ما كانوا.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ» في حديث النبي رقى³ اللديغ بفاتحة الكتاب واستراح. فقال رسول الله ﷺ: «اضربوا لي فيها بسهم» يعني في الغنم⁴ التي⁵ أخذوها أجراً على ذلك. فالإنسان الداعي بوعظه وتذكيره عباد الله؛ إن أخذ أجراً فله ذلك، فإنه في عمل يقتضي الأجر، بشهادة كل رسول. وإن ترك أخذهُ من الناس، وسأله من الله فله ذلك.

وسبب ترك الرسل لذلك، وسؤالهم من الله الأجر، كون الله هو الذي استعملهم في التبليغ. فكان الأجر عليه تعالى- لا على المدعو. وإنما أخذ الراقي الأجر من اللديغ؛ لأن اللديغ استعمله في ذلك. ولذلك قال النبي ﷺ: «اضربوا لي بسهم» لأن الرسول ﷺ هو الذي أفاد الراقي ما رقى به ذلك اللديغ. وينظر إلى قريب من هذا حديث برة في قوله: «هو لها صدقة ولنا هدية» لأنها بلغت محلها. وهذا هو الشرط الثامن.

واعلم أن هذا الأجر أجر تفضل إلهي، عبته السيد لعبده. فإن العبد لا ينبغي له استحقاق الأجر على سيده فيما يستعمله فيه، فإنه ملكه وعين ماله. ولكن تفضل سيده عليه، بأن عين له على عمله أجراً. وبره خلقه على الصورة؛ فإن عبيدنا إخواننا، فانهم.

1 [سبا : 47]

2 [الشورى : 23]

3. ع 38 ب

4. في المتن: "الإبل" وعليها إشارة الحلف، وصححت في الهامش "الغنم".

5. في المتن: "الذي"

وأما العلماء بالله ﷻ فأجرهم مشاهدة سيدهم¹، إذا رجعوا إليه من التبليغ الذي أمرهم به. فإنهم حزنوا لمفارقة ذلك المشهد الأقدس، ومشاهدة الأكوان. فوعدهم بأنهم إذا رجعوا إليه، كان لهم المزيد في المشاهدة. فأخبروا الناس أن أجرهم على الله.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

فَإِنْ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ مَنْ يَسْمَعُ الْأَذَانَ

واختلف علماء الشريعة في ذلك. فمن قائل: إنه يقول مثل ما يقول المؤذن، كلمة بكلمة إلى آخر النداء. ومن قائل: إنه يقول مثل ما يقول المؤذن، إلا إذا جاء بالجميعتين، فإن السامع يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. وبالتقول الأول أقول، فإنه أولى. إلا أن يثبت عن رسول الله ﷺ ذكر الحوقلة في ذلك، فأنا أقول به. ولا أشرط أن يمشي السامع مع المؤذن في كل كلمة، ولكن إن شاء قال مثل ما يقول المؤذن في إثر كل كلمة، وإن شاء إذا فرغ يقول مثله.

وذلك في المؤذن الذي يؤذن للإعلام في المنارة، أو على باب المسجد، أو في نفس المسجد² ابتداء عند دخول الوقت، من قبل أن يعلم من في المسجد أن وقت الصلاة دخل. فهذا هو المؤذن الذي شرع له الأذان. وأما المؤذنون في المسجد بين الجماعة الذين سمعوا الأذان، فهم ذاكرون الله بصورة الأذان. فلا يجب على السامع أن يقول مثله. فإن ذلك عندنا بمنزلة السامع، يقول مثل ما قال المؤذن. ولم يُشرع لنا ولا أمرنا أن نقول مثل ما يقول السامع، إذا قال ما يقول المؤذن.

اعتبار ذلك في الباطن:

قال تعالى - فيما يقوله الرسول ﷺ: ﴿أَذْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾³ والمؤذن داع إلى الله بلا شك. ثم قال: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وهو غير النبي يدعو بمثل دعوة النبي ﷺ، عباد الله إلى توحيد الله، والعمل بطاعته، وهو بمنزلة السامع للمؤذن الذي أمره الشارع أن يقول مثل ما يقول المؤذن، لا يزيد على ذلك ولا ينتقص.

1 ص 39

2 ص 39 ب

3 [يوسف : 108]

كذلك ينبغي للداعي إلى الله، أن يدعو بشرعه المنزل، المنطوق به حاكياً، لا يزيد على دعاء رسول الله ﷺ وهو قوله ﷺ: «نَصَرَ اللهُ امرءًا سمعَ مِنِّي كلمة فوعاها، فأذاها كما سمعها¹، فَرُبَّ مَبْلُغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».

وهذه مسألة اختلف الناس فيها -أعني في هذا الخبر- في نقله على المعنى. والصحيح عندي: أن ذلك لا يجوز جملة واحدة، إلا أن يبين الناقل أنه نقل على المعنى. فإن الناقل على المعنى² إنما ينقل إلينا فهمه من كلام رسول الله ﷺ، وما تعبدنا الله بهم غيرنا إلا بشرط -في الأخبار بالاتفاق، وفي القرآن بخلاف- في حق الأعجمي الذي لا يفهم اللسان العربي.

فإن هذا الناقل على المعنى، ربما لو نقل إلينا عين لفظه ﷺ ربما فهمنا منه مثل ما فهم أو أكثر أو أقل أو تقيض ما فهم، فالأولى نقل الحديث كما تنقل القرآن.

فالداعي إلى الله لا يزيد على ما جاء به رسول الله ﷺ من الإخبار بالأمور المغيبيّة، إلا إن أطلعه الله على شيء من الغيب، بما علّمه الله. فله أن يدعو به، بما لا يكون مزيلًا لما قرّره الشرع بالتواتر عندنا، أي على طريق يفيد العلم، لا بدّ من هذا.

فعلى هذا الحدّ يكون الاعتبار في القول، مثل ما يقول المؤذن، حتى لو قال السامع: "سبحان الله"، عند قول المؤذن: "الله أكبر" لم يمثل أمر رسول الله ﷺ، ومن لم يمثل أمر رسول الله ﷺ لم يمثل أمر الله، فإن الله يقول: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ³﴾⁴ وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ⁵﴾⁶ وأمرنا رسول الله ﷺ أن نقول مثل ما يقول المؤذن، وإن كان قال هذا السامع خيرا.

وكذلك لو قال (سامع الأذان) "الله الكبير" لم يقل مثله، إلا إن قال المؤذن "الله الكبير" وفيه خلاف، في حق المؤذن بهذا اللفظ. فمن أجاز ذلك أوجب على السامع أن يقول مثله، فلو قال السامع "الله أكبر" فقد قال الأذان المشروع المنصوص عليه المنقول بالتواتر. وبين قول الإنسان: "الله الكبير"، وقوله: "الله أكبر" فرقان عظيم.

فإذن لا ينبغي أن تُنقل الأخبار إلّا كما تُلَفَّظ بها قائلها، إلّا في مواضع الضرورة. وذلك في الترجمة لمن

1 ص 40

2 "إن الناقل على المعنى" فاجبة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب

3 ص 40 هـ

4 [النساء : 59]

5 [النساء : 80]

ليس من أهل ذلك اللسان. فأما في القرآن فينبغي أن يتنقل (المترجم) المسطور، ويقرر لفظه كما ورد، وبعد ذلك يترجم عنه. حتى يخرج من الخلاف، ويكون في الترجمة مفسراً لا تالياً. وأما في غير القرآن، فله أن يترجم على المعنى بأقرب لفظ يكون بحكم المطابقة على المعنى، كما كان في الخبر النبوي.

* . *

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في الإقامة

للإقامة¹ حكم وصفة. أما حكمها، فاختلف الناس فيها. فقوم قالوا: إنها ستة مؤكدة، في حق الأعيان والجماعة، أكثر من الأذان. وقوم قالوا: هي فرض. وهو مذهب بعض أهل الظاهر. فإن أرادوا أنها فرض من فروض الصلاة؛ فتبطل الصلاة بسقوطها. وإن لم يقولوا ذلك؛ صحت الصلاة، ويكون عاصياً بتركها. على أني رأيت لبعضهم أن الصلاة تبطل بتركها. ومن قائل: إنه من تركها عمداً بطلت صلاته، وهو مذهب ابن كنانة.

اعتبار ذلك في الحكم:

الإقامة لأجل الله فرض لا بد منه، والإقامة لما أمرنا الله أن أقيم له. فنحن فيه بحسب قرائن الأحوال؛ فإن أعطت قرينة الحال أن ذلك الأمر على الوجوب، أوجبناها، مثل قوله: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾² ومثل قوله: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾³ ومثل قوله: ﴿أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾⁴ فهذا هو حد الواجب. فإن رجحت الوزن في القضاء فهو أفضل. فإني قد امتثلت أمر الله. فإنه ما رجع الميزان حتى أقصف بالإقامة، التي هي حد الواجب. ثم رجح. والذي⁵ يخسر الميزان ما بلغ بالوزن حد الإقامة، حتى يحصل الواجب، مثل ما فعل المرجح.

فما حجبنا المرجح إلا لحصول إقامة الوزن، لا للترجيح. ثم أثبتنا عليه ثناء آخر للترجيح. فالمرجح محمود من وجهين، فاعلم. وحده من جهة الإقامة أعلى، لأنه الحمد الوجوبي. فحمد الترجيح نافلة، إلا فممن يحمل الأمر في ذلك على الوجوب. وهو قوله ﷺ في القاضي ما عليه: «إِذَا وَزَنْتَ فَأَرْجِحْ». فأمره بالرجحان،

1 ص 41

2 [الشورى : 13]

3 [الأنعام : 72]

4 [الرحمن : 9]

5 ص 41 هـ

وأكد في ذلك قولاً وفعلًا. وإذا لم يكن الأمر على الوجوب، لقرينة حال، كانت الإقامة بحسب ذلك.

فهذا اعتبار حكم الإقامة بوجه ينفع في دين الله من وقف على هذا الكتاب، وعمل بما قرّره فيه. فإنه ما قرّره فيه أمرًا غير مشروع، لله الحمد. وإن كنا لم نتعرض لذكر الأدلة مخافة التطويل. لما خرجنا بحمد الله عن الكتاب والسنة فيه، كما قال الجنيد: "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة".

وأما صفة الإقامة: فعند قوم التكبير الذي في أولها مثنى، وما بقي فيها فردّ. والتكبير الذي بعد الإقامة مثنى. وعند قوم مثل ذلك، إلا الإقامة فإنها مثنى. وقوم خيروا بين التثنية والإفراد، وقوم قالوا بالتثنية في الكل، وتريع التكبير الأول. مع الاتفاق في توحيد التهليل الآخر.

الاعتبار:

أما من ثنى؛ أي من زاد على الواحدة، فللمراتب التي ذكرناها في الأذان على السواء، ولم نعد للاعتبار آخر، لأنها جاءت في ظاهر الشريعة بلفظ الأذان لا بلفظ آخر إلا الإقامة، فاعترض بها الإقامة عن الأذان، وهي قوله: "قد قامت الصلاة" فهو إخبار عن ماضٍ، والصلاة مستقبلة.

فهو بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة، أو كان في الطريق يأتي إليها، أو كان في حال الوضوء بسببها، أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء، فيموت في بعض هذه المواطن كلها، فله أجر من صلاها، وإن كانت ما وقعت منه. فجاء بلفظ الماضي لتحقق الحصول. فإذا حصلت بالفعل فله أجر الحصول بالفعل، وأجر الحصول الذي يحصل لمن مات في هذه المواطن، قبل أن يدخل في الصلاة. وقد ورد في الخبر: «إن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة» فلها جاء بلفظ الماضي، وهو الحاصل في قوله: قد قامت الصلاة.

واقامة الصلاة، تمام³ نشأتها وكمالها. أي هي لكم قائمة النشأة، كاملة الهيئة، على حسب ما شرعتم. فإذا دخلتم فيها، وأجزتم الأجر الثاني، فقد يكون مثل الأول في إقامة نشأتها، وقد لا يكون. فإن المصلي قد يأتي بها خداجًا غير كاملة، فتكتب له خداجًا من حيث فعله، بخلاف ما تكتب له قبل الفعل. فانظر ما

1 ص 42

2 ثابتة في هامش بقلم الأصل

3 ص 42

أعظم فضل الله على عباده. وسبب ذلك قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾¹ فإنه لو أثابه عليها قبل وقوعه، بحسب علمه به فيها من إكداها، ربما قال العبد: لو أحيتني حتى أؤدّيها، لأقمتُ نشأتها على أكمل الوجود. فأعطى الله سجّلًا وعزّ سبحانه - عبده ذلك الثواب على أكمل الأداء، لله الحمد والمنّة على ذلك.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في القبلة

اتفق المسلمون على أن التوجّه إلى القبلة، أعني الكعبة، شرطٌ من شروط صحّة الصلاة. لولا أن الإجماع سبقني في هذه المسألة، لم أقلّ به: إنه شرط. فإنّ قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَّمَا تُؤَلُّوا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾² نزلت بعده، وهي آية محكمة غير منسوخة. ولكن انعقد الإجماع على هذا، وعلى قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَّمَا تُؤَلُّوا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (أنه) محكم في الحائر الذي تجلّ القبلة، فيصلي حيث يغلب على ظنه، باجتهاده بلا خلاف. وإن ظهر له بعد ذلك، أنه صلى لغير القبلة، لم يعد بخلاف في ذلك. بخلاف من لم يجد سبيلا إلى الطهارة؛ فإنه قد وقع الخلاف فيه؛ هل يصلي أم لا؟

ثم إنه لا خلاف أنّ الإنسان إذا عاين البيت، أنّ الفرض عليه هو استقبال عينيه، وأمّا إذا لم ير البيت فاختلف علماؤنا في موضعين من³ هذه المسألة: الموضع الواحد: هل الفرض هو العين أو الجهة؟ والموضع الثاني: هل فرضه الإصابة أو الاجتهاد؟ أعني إصابة العين، أو الجهة عند من أوجب العين؟

فمن قائل: إنّ الفرض هو العين. ومن قائل: إنّ الفرض هو الجهة، وبالجهة أقول لا بالعين. فإنّ في ذلك خرجا، والله يقول: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَزْرٍ﴾⁴. وأعني بالجهة؛ إذا غابت الكعبة عن الأبصار، والصفّ الطويل قد صحّت صلاتهم، مع القطع بأنّ الكلّ منهم ما استقبلوا العين، هذا معقول.

1 [الأنعام : 149]

2 ص 43

3 [البقرة : 115]

4 ق: "في" وكتب فوقها مباشرة بقلم الأصل: "من".

5 [الحج : 78]

الاعتبار¹:

التحديد في القبلة؛ إخراج العبد عن اختياره. فإنَّ أصله وأصل كلِّ ما سوى الله الاضطرار والإجبار. حتى اختيار العبد هو مجبور في اختياره. ومع أنَّ الله فاعلٌ مختار، فإنَّ ذلك من أجل قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾² وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾³، ولا يفعل إلَّا ما سبق به علمه، ويبدل العلم محال، يقول تعالى: ﴿مَا يَسْدُلُ السَّوْلُ لَنِي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾⁴ وقال: ﴿قَلِيلٌ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

وما رأيت أحدا تفطن لهذا القول الإلهي، فإنَّ معناه في غاية البيان، ولشدة وضوحه خفي، وقد نهينا عليه في هذا الكتاب وبيّناه؛ فإنه سرُّ القدر. من وقف على هذه المسألة، لم يعترض على الله في كلِّ ما يقضيه ويجريه على عباده، وفيهم ومنهم. ولهذا قال: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁵. فلو كث عاقلًا تفهم عن الله؛ كفثك هذه الآية في المقصود.

ثمَّ نرجع إلى اعتبار ما كتبا بصدده، فنقول: إنَّ الصلاة دخولٌ على الحق. وجاء في الخبر الصحيح: «إنَّ الصلاة نور»، والإنسان ذو بصر في باطنه كما هو في ظاهره. فلا بدَّ له من الكشف في صلاته. فمن جملة ما يكشفه في صلاته كونه مجبوراً في اختياره الذي⁷ ينسب إليه. فشرع له في هذا الموطن وفي العبادات كلها التحديد في الأشياء، حتى يكون في تصرفاته بحكم الاضطرار. وهو أصلٌ يشمل كلَّ موجود، لا أحاديث موجوداً من موجود، لمن كان ذا بصر حديد وألقى السمع وهو شهيد. حتى في حكم المباح هو فيه غير مختار، لأنَّه من الحال أن يحكم عليه بحكم غير الإباحة: من وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة.

فلهذا شرع له استقبال البيت إذا أبصره حين صلاته، واستقبال محمته إذا غاب عنه. وفرضه في اجتهاده بالغبية إصابة الاجتهاد⁸ لا إصابة العين. وذلك لو كان فرضه إصابة العين، فإنَّ العبد مأمور بأن يستقبل ربه بقلبه في صلاته، بل في جميع حركاته وسكناته، لا يرى إلَّا الله. وقد علمنا أنَّ ذات الحق وعينه يستحيل على المخلوق معرفتها، فمن الحال استقبال عين ذاته بقلبه. أي من الحال أن يعلم العاقل ربه

1 ص 43

2 [التقص: 68]

3 [الأعراف: 176]

4 [آ: 29]

5 ق: فيها

6 [الأنبياء: 23]

7 ص 44

8 ق: "المهية" وأغلاها خط أفقي إشارة الحذف، وفي الهامش بقلم الأصل: الاجتهاد

من حيث عينه، وإنما يعلمه من حيث جهة الممكن: في افتقاره إليه، وتمييزه عنه، بأنه لا يتّصف بصفات الأحداث، على الوجه الذي يتّصف بها الحدث الممكن، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ فلا يعرفه إلا بالسلوب. وهذا سبب قولنا بالجهة لا بالعين.

والإصابة إصابة الاجتهاد لا إصابة العين. ولهذا² كان المجتهد مأجورا على كلّ حال، ولا سبيحا والاجتهاد في مذهبنا في الأصول كما هو في فروع الأحكام لا فرق. وأما قول رسول الله ﷺ في المجتهد إنه مصيب ومخطئ؛ فمعناه عندنا في هذه المسألة وأمثالها، أن المجتهد في الإصابة ما هي إصابة العين أو إصابة الجهة: إن المصيب من قال: إصابة الجهة، والمخطئ من قال: إصابة العين.

فإن إصابة الجهة في غير الغيم المتراكم، ليلا أو نهارا في البراري، لا يقع إلا بحكم الاتفاق فأحرى إصابة العين - لا بحكم العلم. وما تعبّدنا الله بالأرصاد ولا بالهندسة المبنية على الأرصاد، المستنبط منها أطوال البلاد وغروضها، فإنا بكل وجه إذا أخذنا نفوسنا بها على غير يقين. فتبين أن الفرض على المكلف الاجتهاد لا الإصابة. فلا إعادة على من صلى ولم يصب الجهة، إذا تبين له ذلك بعد ما صلى.

كذلك الاعتبار في الباطن:

إذا وفي الناظر النظر حقّه، أصاب العجز عن الإدراك، فاعتقده. وما تمّ إلا العجز. فالحق عند اعتقاد كلّ معتقد بعد اجتهاده. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾³ فافهم. كما هو "عند ظن عبده به". إلا أن المراتب تتفاضل، والله أوسع وأجل وأعظم أن ينحصر - في⁴ صفة تضبطه، فيكون عند واحد من عبادته ولا يكون عند الآخر. يأبى الاتساع الإلهي ذلك، فإن الله يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁵ ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَمَعَ وَجْهُ اللَّهِ﴾⁶، ووجه كلّ شيء حقيقته وذاته.

فإنه سبحانه - لو كان عند واحد أو مع واحد، ولا يكون عند آخر ولا معه، كان الذي ليس هو عنده ولا معه يغيب وهمه لا ربه، والله يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾⁷ أي حكم. ومن أجله

[1] الشورى : 11

2 ص 44 هـ

[3] المؤمنون : 117

4 ص 45

[5] الحديد : 4

[6] البقرة : 115

[7] الإسراء : 23

عُبِدَت الآلهة. فلم يكن المقصود بعبادة كلِّ عابد إلا الله، فما عُبِدَ شيءٌ لعينه إلا الله. وإنما أخطأ المشرك حيث نصب لنفسه عبادةً بطريق خاص، لم يشرع له من جانب الحق. فشقي لذلك. فإنهم قالوا في الشركاء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾¹ فاعترفوا به. وما يتصوّر في العالم من أدنى من له مُسَكَّةٌ من عقل، التعطيلُ على الإطلاق، وإنما معتقدوا التعطيل؛ وإنما² هو تعطيل³ صفة ما اعتقدها المثبت.

فمن استقبل عين البيت إن كان يصره، أو الجهة إن غاب عنه بوجهه، واستقبل ربه في قبلته، كما شرع له في قلبه وجسده في خياله، إن ضعف عن تعليق العلم به، من حيث ما يقتضيه جلاله؛ فإن المصلّي، وإن واجه الحق في قبلته، كما ورد في النص، فإنه كما قال: "من ورائه محيط"⁴. فهو السابق والهادي⁵. فهو سبحانه- الذي نواصي الكل بيده، الهادي إلى صراط مستقيم. والذي يسوق الجرمين إلى جهنم وزدا، ﴿وَالَّذِينَ يَزِجُ الْأَمْرَ كُلَّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁶.

فَضْلٌ بَلٌّ وَضَلُّ

في الصلاة في داخل البيت

فمن قائل: يمنع الصلاة في داخل الكعبة على الإطلاق. ومن قائل: بإجازة ذلك على الإطلاق. ومن العلماء من فرّق في ذلك بين النفل والفرض. وكلُّ له مستند في ذلك يستند إليه.

اعتبار ذلك في الباطن:

وبعد تقرير الحكم في الظاهر الذي شرّع لنا وتعبّدنا به، ولم نُمنع من الاعتبار بعد هذا التقرير، فنقول: هذه (أي الصلاة في داخل الكعبة) حالة من كان الحق سمعه وصره ولسانه ويده ورجله، لكن في حال إجابة كلِّ جارية فيما خُلِقَتْ له. هكذا قيد الصادق (ص) في خبره. وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلب.

ولما كانت هذه الحالة الواردة من الشارع في الخبر الصحيح عنه رتبة الكشف بذلك الخبر عند

1 [الرمر : 3]

2 ربما كانت في ق: "وإنما" إذ هناك ما يشير إلى أو ربما كانت موجودة وحذفت

3 يمكن قراءتها في ق: "يعطل"، غروها المعجمة مصلة، كما أن إشارة الياء قبل الحرف الأخير ليست واضحة تماماً.

4 ص 45

5 "فهو السابق والهادي" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

6 [هود : 123]

السامع- حالة¹ النوافل وتبجتها، لهذا تنقل في الكعبة رسول الله ﷺ لَمَّا دخلها، كما ورد، وكان يصلي الفريضة خارج البيت، كما كان يتنقل على الراحة حيث توجهت به ﴿فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجْهَ اللَّهِ﴾².

وقد علمنا أن الأمر في نفسه، قد يكون كما نراه ونشده، وهذا هو الذي أعطى مشاهدة هذا المقام، فهو يراه سَمِعَ غيره كما يراه سَمِعَ نفسه. فالكرامة التي حصلت لهذا الشخص، إنما هي الكشف والاطلاع، لا أنه لم يكن الحق سمعه ثم كان الآن. يتعالى الله عن العوارض الطارئة. وهذه المسألة من أعز المسائل الإلهية.

فمن استصحب هذا الحكم في الظاهر أجاز الصلاة كلها: فرضها ونقلها داخل الكعبة. فإن كل ما سوى الله لا يمكنه الخروج عن قبضة الحق، فهو موجودهم، بل وجودهم. ومنه استفادوا الوجود، وليس الوجود خلاف الحق، ولا خارجا عنه يعطيهم منه، هذا محال. بل هو الوجود، وبه ظهرت الأعيان.

يقول القائل بحضرة رسول الله ﷺ مرتجزا وهو يسمع:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

ورسول³ الله ﷺ يعجبه ذلك، ويصدق في قوله.

فنحن به سبحانه- وله⁴، كما ورد في الخبر الصحيح. فإذا نظرنا إلى ذواتنا وإمكاننا فقد خرجنا عنه. وإمكاننا يطلبنا بالنظر والافتقار إليه، فإنه الموجد أعياننا بجوده من وجوده، وهو اعتبار قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁵ فتفسيره: من كل جهة خرجت مصليا، فاستقبل المسجد الحرام. وفي الإشارة: ﴿مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ إلى الوجود، أي من زمان خروجك من العدم إلى الوجود. وفي الاعتبار يقول: بأي وجه خرجت من الحق إلى إمكانك ومشاهدة ذاتك ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يقول: فارجع بالنظر والاستقبال مفتقرا مضطرا إلى ما منه خرجت، فإنه لا أين لك غيره.

1 ص 46

2 [البقرة : 115]

3 ص 46

4 ق: "وإليه" وعليها إشارة النطب، وصححت في الهامش بقلم الأصل.

5 [البقرة : 149]

فانظر فيه، تجده محيطاً بك مع كونه مستقبلك: فقد جمع بين الإطلاق والتقييد. فأنت غفلت أنك خرجت عنه، و(في الحقيقة) ما استقبلت إلا هو، وهو من ورائك محيط. ﴿وَحِينَثُ مَا كُنْتُمْ﴾¹ من الأسماء الإلهية والأحوال ﴿فَقُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ ذواتكم ﴿شَطْرَهُ﴾ أي لا تعرضوا عنه، ووجه الشيء عينه وذاته. فإنَّ الإعراض عن الحق وقوع في القدم، وهو الشرّ الخالص. كما أنَّ الوجود هو الخير الخالص. والحق هو² الوجود، والخلق هو العدم. قال لبيد³:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فقال رسول الله ﷺ في هذا القول: «إنه أصدق بيت قاله العرب» ولا شك أنَّ الباطل عبارة عن العدم.

وأما حكم هذه الآية في الظاهر: إنَّ صلاة الفرض تجوز داخل الكعبة، إذ لم يرد نهي في ذلك ولا منع. وقد ورد وثبت: «حيثما أدركتك الصلاة فصل» إلا الأماكن التي خصصها الدليل الشرعي من ذلك لا لأعيانها، وإنما ذلك لوصف قام بها، فيخرج بنصه ذلك القدر لذلك الوصف.

وقوله: ﴿وَمِنْ حِينَثُ خَرَجْتَ﴾ أي وإذا خرجت⁴ من الكعبة، أو من غيرها، وأردت الصلاة فوَلِّ وجهك شطرها، أي لا تستقبل بوجهك في صلاتك جهة أخرى لا تكون الكعبة فيها، فيقبلت فيها ما استقبلت منها. وكذلك إذا خرجت منها، ما يقبلت إلا ما يواجهك منها، سواء أبصرتها أو غابت عن بصرك. وليس في وسعك أن تستقبل ذاتها كلها بذاتك، لكبرها وصغر ذاتك جزماً. فالصلاة في داخلها كالصلاة خارجاً عنها ولا فرق، فقد استقبلت منها وأنت في داخلها ما استقبلت. ولا تعرض بالوهم لما استدبرت منها إذا كنت فيها. فإنَّ الاستدبار في⁵ حكم الصلاة ما ورد. وإنما ورد الاستقبال. وما نحن مع المكلف إلا بحسب ما نطق به من الحكم.

فلا يقتضي عندنا الأمر بالشيء النهي عن ضده، فإنه ما تعرض (الشارع) في النطق لذلك. فإذا

1 [البقرة : 150]

2 ص 47

3 لبيد بن ربيعة العامري: (؟ - 41 هـ / ؟ - 661 م) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عتيق العامري. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، وولد على النبي (صلى الله عليه وسلم). بعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب الملقات. (الموسوعة الشعرية)

4 ق: وخرجت

5 ص 47ب

تعرض ونطق به قبلناه، فإذا لم تعمل بما أمرك الله به فقد عصيته. ولو كان الأمر بالشيء نهياً عن ضده، لكان على الإنسان خطيئتين أو خطايا كثيرة، بقدر ما لئلك المأمور به من الأضداد. وهذا لا قاتل به. فإنما يؤاخذ الإنسان بترك ما أمر بفعله أو فعل ما أمر بتركه لا غير. فهو ذو ورر واحد، وسيئة واحدة، فلا يجزى إلا مثلها. وقد أخذت المسألة حقها ظاهراً وباطناً، حقاً وخلقاً، شرعاً واعتباراً ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في ستر العورة

اتفق العلماء على أن ستر العورة فرض بلا خلاف. وعلى الإطلاق، أعني في الصلاة وفي غيرها. وسأذكر حدّها في الرجل والمرأة.

اعتبار ذلك في الباطن:

وجب² على كلّ عاقل ستر السرّ الإلهي، الذي إذا كشفه، أدّى كشفه من ليس بعالم ولا عاقل، إلى عدم احترام الجناح الإلهي الأعزّ الأسمى. فإنّ حقيقة العورة (هي) الميل. ولهذا قال من قال: ﴿إِنَّ يَبُوتَنَا غَوْرَةٌ﴾³ أي مائلة تريد السقوط، لَمَّا اسْتَنْفَرُوا. فأكذبهم الله عند نبّيته بقوله: ﴿وَمَا هِيَ بِغَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ يعني بهذا القول بما دعوتهم إليه. ومنه: الأعور، فإنّ نظره مال إلى جهة واحدة.

وكذلك ينبغي أن يستر العالم عن الجاهل أسرار الحق في مثل قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾⁴ وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁵ وقوله: «كنت سمعاً وبصره ولسانه» فإنّ الجاهل إذا سمع ذلك أدّاه إلى فهم محذور، من حلول أو تحديد. فينبغي أن يُستتر ما تعطف الحق به على قلوب العلماء ومالهم، سبحانه وتقدس - بخطابه مما يقتضيه جلاله من الغنى على الإطلاق عن العالمين، إلى قوله تعالى - على لسان رسوله ﷺ: «جَعْتُ فَم تَطْعَمَنِي، مَرْضَتْ فَم تَعْدِنِي، ظَمَنْتُ فَم تَسْقِنِي».

[الأحزاب : 4] 1

2 ص 48

3 [الأحزاب : 13]

4 [المجادلة : 7]

5 [آل : 16]

فليستر عِلْمٌ سرّ هذا عن الجاهل، ولا يزيد على ما فسّره به قائله سبحانه - شيئاً، كما ستره الحق بقوله: «أما إنّ فلاناً مريض، فلو عدته وجدتي عنده» وهذا أشكل من الأول؛ لكنّه¹ (تعالى) أعطى في هذا التفسير للعلماء بالله، علماً آخر به تعالى - لم يكن عندهم. وذلك أنّه في الأول جعل نفسه سبحانه - عين المريض والجائع، وفي تفسيره تعالى - جعل نفسه عائداً المريض بكونه عنده. فإنّ من عاد مريضاً فهو عنده. وأين هذا من جفائه نفسه عين المريض. وكلّ قول من ذلك حقّ، وكلّ حقّ حقيقة.

وأما الستر الذي في ذلك للعامة (فهو) أن يقال له في قوله «لوجدتي عنده»: إنّ حال المريض أبداً الافتقار والاضطرار إلى من بيده الشفاء، وليس إلّا الله. فالغالب عليه ذكر الله مع الآتات، في دفع ما نزل به، بخلاف الأصحاء. وهو سبحانه - قد قال: «أنا جليس من ذكرني». وهذا وجه صحيح، ويقنع العامي به. ويبقى العالم بما يعلمه من ذلك على علمه. فهذا هو ستر الميل الإلهي عن نظر العامي.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

في ستر العورة في الصلاة

اختلف العلماء؛ هل هي شرط في صحة الصلاة أم لا؟ فمن قائل: إنّ ستر العورة من سنن الصلاة. ومن قائل: إنّها من² فروض الصلاة.

وأما اعتبار ذلك في النفس:

قد أعلمناك ما مفهوم العورة آنفاً. وفي هذه المسألة لمّا ثبت أنّ المصلّي يناجي ربّه، وأنّ «الصلاة قد قسمها الله بنصفين بينه وبين عبده» فمن غلب أنّ الحقّ هو المصلّي بأفعال عبده، أعني الأفعال الظاهرة من العبد في الصلاة، كما ثبت «أنّ الله قال على لسان عبده في الصلاة: سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع» والعبد هو القائل بلا شكّ، وقال: ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْتَعِ كَلَامَ اللَّهِ﴾³ والرسول ﷺ هو التالي بلا شكّ. قال: إنّ ستر العورة من فروض الصلاة. أي مثل هذا لا يظهر في العامة. يهتد معناه، وسرّه الذي يعرفه العالم. بل يؤمن به العامي كما جاء ﴿وَمَا يَتَّقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾⁴.

1 ص 48 ب

2 ص 49

3 [التوبة: 6]

4 [التكوير: 43]

ومن رأى أن لا مرتبة في هذه المسألة بين العالم والعامي، وأنه ما فيها إلا ما ورد النص به، ولو أذى عند السامع إلى ما آذاه، إذا لم يخرج عن مقتضى اللسان في ذلك، وإن تفاضلت درجاتهم. كان ستر العورة عنده من سنن الصلاة، لا من فروضها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

فِي حَدِّ الْعَوْرَةِ

فمن قائل: إنَّ العورة في الرجال هي السوءتان³. ومن قائل: هي من الرجال من السرَّة إلى الركبة. وهي عندنا السوءتان فقط.

الاعتبار في ذلك في النفس:

ما يذمُّ ويكره ويُحَبُّ من الإنسان هو العورة على الحقيقة. والسوءتان محلُّ لما ذكرناه. فهو بمنزلة الحرام. وما عدا السوءتين مما يجاورهما من السرَّة علواً، ومن الركبة سفلاً هو بمنزلة الشبهات، فينبغي أن تنقَى «فإنَّ الراع حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

فِي حَدِّ الْعَوْرَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ

فمن قائل: إنها كلها عورة، ما خلا الوجه والكفين. ومن قائل بذلك، وزاد أنَّ قدميها ليستا بعورة. ومن قائل: إنها كلها عورة. وأما مذهبننا: فليست العورة في المرأة أيضاً، إلا السوءتين. كما قال تعالى: ﴿وَطَافِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ زَرْقِ الْجَنَّةِ﴾⁴، فسوى بين آدم وحواء في ستر السوءتين، وهما العورتان. وإن أُمِرَت المرأة بالستر⁵، فهو مذهبنا، لكن لا من كونها عورة، وإنما ذلك حكم مشروع ورد بالستر. ولا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة.

اعتبار ذلك في النفس:

1 [الأحزاب : 4]

2 ص 49 هـ

3 ق: السوءتين

4 [الأعراف : 22]

5 ص 50

المرأة هي النفس، والخواطر النفسية كلها عورة. فمن استثنى الوجه والكفين والقدمين، فلأن الوجه محل العلم. لأن المسألة إذا لم تُعرف وجهها فما غلفتها. وإذا استتر عنك وجه الشيء فما علمته. وأنت مأمور بالعلم بالشيء، فأنت مأمور بالكشف عن وجه ما أنت مأمور بالعلم به. فلا يُستر الوجه من كونه عورة، فإنه ليس بعورة.

وأما اليدين فهما الكفان. وهما محل الجود والعطاء. وأنت مأمور بالسؤال؛ فلا بد للمعطي أن يمد يده بما يعطي، فلا يستر كفه، فإنه المالك للنعمة التي تطلبها منه. فلا بد أن تتناولها إذا جاد عليك بها، والجود والكرم مأمور بهما شرعا، وقد ورد أن «اليد العليا خير من اليد السفلى» فعمد السائل والمعطي. فلا بد للمعطي أن يتناول، وللسائل أن يتناول.

وأما القدمان فلا يجب سترهما، وأنها ليستا بعورة: لأنها الحاملتان¹ للبدن كله، ومُتَقِلَاتِهِ من مكان إلى مكان. ومن كان حكمه التصريف، فيتعلل ستره واحتجابه. فلا بد أن يظهر ويبرز ضرورة، فيبعد أن يكون عورة تُستر.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في اللباس في الصلاة

اتفق العلماء على أنه يجزي الرجل من اللباس في الصلاة الثوب الواحد.

اعتباره في النفس:

الموحد في الصلاة هو الذي لا يرى نفسه فيها، بل يرى أن الحق يقيم ويقعده، وهو كالميت بين يدي الغاسل. فهذا معنى الثوب الواحد.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في الرجل يصلي مكشوف الظهر والبطن

فذهب قوم إلى جواز صلاته، وذهب قوم إلى أنه لا تجوز صلاته.

اعتبار النفس في ذلك:

الظاهر¹ والباطن وهو عمل القلب في الصلاة، وعمل الجوارح. فالرجل المصلّي إذا انكشف له ظاهر أمره في صلاته وباطنه، لم ير نفسه مصلّيًا، وإنما رأى نفسه يُصَلّي بها. فهذا بمنزلة مَنْ قال بإبطال صلاته. فإنّ صاحب هذا الكشف على هذا النظر، بطلت إضافة الصلاة إليه، مع وقوع الصلاة منه. ومن حصل له هذا الكشف وقال: لا يمكن أن يكون الأمر إلّا هكذا. وهذا القدر من الفعل يسقّى مصلّيًا، قال بجواز صلاته.

. . .

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

فَمَا يَجْزِي الْمَرْأَةَ مِنَ اللِّبَاسِ فِي الصَّلَاةِ

اتَّفَقَ الْجُمْهُورُ عَلَى الدَّرْعِ وَالْخِمَارِ. فَإِنْ صَلَّتْ مَكشُوفَةً، فَمَنْ قَاتَلَ: تَعِيدَ فِي الْوَقْتِ وَبَعْدَهُ. وَمَنْ قَاتَلَ: تَعِيدَ فِي الْوَقْتِ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْمَمْلُوكَةُ، فَمَنْ قَاتَلَ: إِنَّمَا تَصَلِّي مَكشُوفَةَ الرَّأْسِ وَالْقَدَمَيْنِ. وَمَنْ قَاتَلَ بِوَجُوبِ تَغْطِيَةِ رَأْسِهَا. وَمَنْ قَاتَلَ بِاسْتِحْبَابِ تَغْطِيَةِ رَأْسِهَا.

اعتبار النفس في ذلك:

لَا² فَرْقَ بَيْنَ الْمَمْلُوكَةِ وَالْحُرَّةِ، فَإِنَّ الْكُلَّ مِلْكٌ لِلَّهِ، فَلَا حُرِّيَّةَ عَنِ اللَّهِ. فَإِذَا أُضِيفَتِ الْحُرِّيَّةُ إِلَى الْخَلْقِ، فَهُوَ خُرُوجُهُمْ عَنِ رَقِّ الْغَيْرِ، لَا عَنِ رَقِّ الْحَقِّ. أَيْ لَيْسَ مَخْلُوقٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ سَبِيلٌ، وَلَا حَكْمٌ. فَهَذَا مَعْنَى الْحُرِّيَّةِ فِي الطَّرِيقِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الثَّوبِ الْوَاحِدِ، وَبَقِيَ الْإِعْتِبَارُ فِي تَغْطِيَةِ الرَّأْسِ هُنَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَمَّا كَانَتْ فِي الْإِعْتِبَارِ، النَّفْسُ. وَالرَّأْسُ مِنَ الرَّئِاسَةِ. وَالنَّفْسُ تَحِبُّ الظُّهُورَ فِي الْعَالَمِ بِرِئَاسَتِهَا لِحِجَابِهَا عَنِ رِئَاسَةِ سَيِّدِهَا عَلَيْهَا، وَطَلَبَ شَفُوفَهَا عَلَى أَمْثَالِهَا، وَلِهَذَا قِيلَ: آخِرُ مَا يُخْرَجُ مِنْ قُلُوبِ الصَّدِيقِينَ حُبُّ الرِّئَاسَةِ. أَمِيزَتْ النَّفْسُ أَنْ تَغْطِيَ رَأْسَهَا، أَيْ تَسْتُرَ رِئَاسَتَهَا، فَإِنَّمَا فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّئِيسَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، فِي مَحَلِّ الْإِفْتِقَارِ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، أَظْهَرَ رِئَاسَتَهُ عَلَيْهِ. فَلهَذَا أَمِيزَتْ النَّفْسُ الْمَمْلُوكَةُ، أَنْ تَغْطِيَ رَأْسَهَا فِي الصَّلَاةِ.

1 ص 51

2 ص 51 ب

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في لباس المحرم في الصلاة

فمن قاتل بجواز صلاته، وهو مذهبنا، وإن كنت أكثره له ذلك. ومن ¹ قاتل: لا تجوز. ومن قاتل باستحباب الإعادة في الوقت. وهو عندنا عاص بلباس ما لا يحل له، وإن جازت صلاته، فإنه عندنا من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

اعتبار النفس في ذلك:

ما في كل موطن يَرْزُقُ الإنسان العِصَّةَ في أحواله، والتوفيق في جميع أموره، فهو فيما يوقف فيه مَوْفَقٌ، وفيما يُخْذَلُ فيه مَخْذُولٌ في الوقت الواحد. كالنكر لله بقلبه ولسانه، وهو يضرب يده في تلك الحالة مَنْ يَأْتُمُ بضره، ومن حَزَمَ عليه ضَرْبُهُ. فلا يقدح ذلك في ذِكْرِهِ، كما لا يرفع ذلك الذِّكْرَ إِمَّةً، أو حُكْمَ أَنَّهُ أَى حَرَامًا؛ فَإِنَّ الذِّكْرَ لَا يَحِلُّهُ. ولهذا عندنا تصح الصلاة في البار المفصولة. فهو مأثوم من وجوه، مأجور من وجوه.

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الطهارة من النجاسة في الصلاة

فمن قاتل: إنها من فروض الصلاة، وإنها لا تصح إلا بإزالتها. ومن ² قاتل: إنها سنة، وقد مضى الكلام فيها في الطهارة. ومن قاتل: إن إزالة النجاسة فرض على الإطلاق. ومن هذا مذهبه لا يلزم منه أن يقول: إن إزالتها شرط في صحة الصلاة؛ يكون مصلياً صحيح الصلاة، وعاصياً من تخلو النجاسة في الصلاة.

اعتبار ذلك في النفس:

النجاسة عند من يرى إزالتها فرضاً، تقتضي البعد عن الله، والصلاة تضيي القرب للمناجاة. فمن غلب القرب على البعد، أزال حكمها. ومن غلب البعد على القرب، لم تصح عنده الصلاة. والأولى أن يقال: إن العبد متنوع الأحوال، وإنه بكله لله، وإنه بما كان منه لله، لله: فلم إن الله لا يظلم بشئاً ذرة ³. فصلاته

1 ص 52

2 ص 52 ب

3 [النساء : 40]

مقبولة، سواء صلى بالنجاسة أو لم يصل. والأولى إزالتها بلا خلاف، قل ذلك أو كثر. ومنزلها أن الإنسان لا يحضر مع الله في كل حال، لما جُبل عليه من الغفلة والضيق، فاعلم ذلك، وبالله التوفيق.

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في¹ المواضع التي يُصَلِّي فيها

فمن الناس من ذهب إلى إجازة الصلاة في كل موضع لا تكون فيه نجاسة، ومنهم من استثنى من ذلك سبعة مواضع: المذبة، والمجزرة، والمقبرة، وقارة الطريق، والحمام، ومعاطن الإبل، وفوق ظهر الكعبة. ومنهم من استثنى من ذلك: المقبرة والحمام. ومنهم من استثنى المقبرة فقط، ومنهم من كره الصلاة في هذه المواضع المنهي عنها، وإن لم يُبطلها.

اعتبار النفس في ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾²، والمصلي يناجي ربه وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾³ وقول عائشة رضي الله عنها- في رسول الله ﷺ على ما عَلِمْتُ من أحواله: «إنه كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» وليس للأماكن أثر في حجاب القلب عن ربه، إلا لأصحاب الأحوال. وإنما الأثر في ذلك للغفلة، أو للجهل في العموم، أو للحال في أصحاب الأحوال.

وأما ذُكر هذه الأماكن المنهي عنها، فإنها كلها تناقض الطهارة. وقد تقدّم الكلام في الطهارة من النجس واعتباره⁴، وما بقي من هذه السبعة، إلا الصلاة فوق ظهر البيت. وذلك أنك مأمور بالاستقبال إليه في الصلاة، وأنت في هذه الحالة لا فيه ولا مُسْتَقْبَلُهُ، فلم تصل الصلاة المشروعة. فإن شطر المسجد الحرام لا يواجمك. ومن أجاز ذلك حمل في الاعتبار الوجهة على الذات، ولا شك أنك بذاتك شطر المسجد الحرام، فإنك على ظهره، والأرض كلها مسجد.

1 ص 53

2 [الحديد : 4]

3 [المخرج : 23]

4 ص 53

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في البيع والكنائس

اختلف الناس في البيع والكنائس، أعني في الصلاة فيها. فكرهها قوم، وأجازها قوم، وفرق قوم بين أن تكون فيها صُورٌ أم لا تكون.

اعتبار النفس في ذلك:

هل يناجي الحق شخصان من مرتبة واحدة؟ ذلك عندنا لا يصح للتوسع الإلهي، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾¹ تفسيراً وإشارة. فإِن صَلَّيْنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ، فَمِنْ شَرَعْنَا لَا مِنْ شَرَعِهِمْ، فَانْهَمِ وَاللَّهُ الْمُلْكُومُ.

فَضْلٌ² بَلِّ وَضَل

في الصلاة على الطوائف³ وغير ذلك مما يتعد عليه

اتفق العلماء على الصلاة على الأرض، واختلفوا في الصلاة على الطائفة، وغير ذلك مما يتعد عليه على الأرض. فالجمهور على إباحة السجود على الحصى، وما يشبهه مما تنبت الأرض، والكراهة في السجود على غير ذلك.

الاعتبار في النفس في ذلك:

لَمَّا قَالَ الْحَقُّ تَعَالَى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي بِنَصْفَيْنِ» فَأَثْبَتَكَ فِي الصَّلَاةِ وَمَا هَاكَ. وَلَهُ الْوَصْفُ الْأَعْلَى الْأَنْزَهُ، وَلَكَ الْوَصْفُ الْأَنْزَلُ الْأَدْنَى. فَكُلُّ نَزُولٍ مِنْكَ إِلَى أَرْضٍ عِبَادَتِكَ أَوْ لَوَازِمِهَا، فَإِنَّهُ قَادِحٌ فِيهَا أَمَرْتُ بِتَعَمُّمِهِ، فَإِنَّهُ سَتَمَّاكَ عَبْدًا فِي الصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَةُ هِيَ الذَّلَّةُ. وَقَالَ تَعَالَى - فِي وَصْفِ الْأَرْضِ أَنَّهُ جَعَلَهَا لَنَا ذُلُولًا فَمَشِي فِي مَنَاقِبِهَا⁴، فَهِيَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا. وَهَذَا غَايَةُ الذَّلَّةِ: مَنْ يَكُونُ يَطْوُهُ الْفَلِيلُ.

1 [المائدة : 48]

2 ص 54

3 الطائفة والطائفة، بضم الفاء؛ الأخيرة عن كراع: التفرقة فوق الرجل، وجمعها طوائف؛ وقيل: هي البساط الذي له ثمن رقيق.

[لسان العرب]

4 يشير إلى الآية الكريمة: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاقِبِهَا" [الملك : 15]

ولَمَّا كانت بهذه المنزلة من الذلَّة، أَمَرْنَا أَنْ نضع عليها أَشرف ما عندنا في¹ ظاهرنا -وهو الوجه- وأن نمرَّغه في التراب. فَقَلَّ (سبحانه) ذلك جَبْرًا لانكسار الأرض بوطء الذليل عليها، الذي هو العبد. فاجتمع بالسجود وجهُ العبد، ووجهُ الأرض. فانجبر كسرُها. ف«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبَهُمْ». فكان العبدُ في ذلك المقام بتلك الحالة، أَقْرَبَ إلى اللَّهِ سبحانه- من سائر أحوال الصلاة، لأنَّه سعى في حقِّ الغير لا في حقِّ نفسه: وهو جبر انكسار الأرض من ذلَّتِها، تحت وطء الذليل لها.

فنتبَّه لما أَشْرَثَ إليك، فَإِنَّ الشرع ما ترك شيئًا إِلَّا وقد أشار إليه إيماء: عَلَّمَهُ مَنْ عَلَّمَهُ، وَجَمَّلَ مَنْ جَمَّلَهُ. ولهذا لم يَعْلَمْ أسرار هذه الأمور إِلَّا أَهْلُ الْكُشْفِ والوجود، فَإِنَّ جَمِيعَ الْعَالَمِ يُخَاطَبُونَهُمْ وَيُعَرَّفُونَهُمْ بِحَقَائِقِهِمْ.

ولقد أَخْبَرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَرِيرِيُّ بِمِصْرَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْبَاقِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي- مَعَهُ فِي سُوَيْقَةِ وَرْدَانَ. وَكَانَ قَدْ اشْتَرَى قَصْرِيةً صَغِيرَةً لِابْنِ صَغِيرٍ كَانَ عِنْدَهُ لِيَبُولَ فِيهَا، فَضَمَّهْم مَنَزَلَ وَالْقَصْرِيةَ عِنْدَهُ جَدِيدَةً، وَمَعَهُمْ رِجَالٌ صَالِحُونَ. فَأَرَادُوا أَكْلَ شَيْءٍ، فَطَلَبُوا إِدَامًا يَأْتَدُمُونَ بِهِ. فَاتَّفَقَ رَأْسُهُمْ عَلَى أَنْ يَشْتَرُوا "قُطَارَةَ السُّكَّرِ". فَقَالُوا هَذِهِ الْقَصْرِيةُ مَا مَسَّهَا قَدْرٌ، وَهِيَ جَدِيدَةٌ عَلَى حَالِهَا. فَلَوْهَا قُطَارَةٌ، وَقَعْدُوا يَأْكُلُونَ² إِلَى أَنْ فَرَّغُوا، وَانصَرَفَ النَّاسُ وَمَشَى صَاحِبُ الْقَصْرِيةِ بِهَا مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ بِأَذْنِي هَذِهِ، وَسَمِعَ مَعِيَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْبَاقِيُّ الْقَصْرِيةَ، وَهِيَ تَقُولُ: "بَعْدَ أَنْ أَكَلَ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَكُونُ وَعَاءً لِلْقَدْرِ؟! وَاللَّهُ لَا كَانَ ذَلِكَ" وَانْتَفَضَتْ مِنْ يَدِهِ، وَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، فَتَكَسَّرَتْ. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَأَخَذْنَا مِنْ كَلَامِهَا حَالًا.

فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، قُلْتُ لَهُ: إِنَّكُمْ غَبِمَ عَنْ وَجْهِ مَوْعِظَةِ الْقَصْرِيةِ إِيَّاكُمْ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ. وَكَمْ مِنْ قَصْرِيةٍ أَكَلَ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ اسْتَعْمَلَتْ فِي الْقَدْرِ. وَإِنَّمَا قَالَتْ لَكُمْ: يَا إِخْوَانِي؛ لَا يَنْبَغِي لَكُمْ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ أَوْعِيَةً لِمَعْرِفَتِهِ وَتَجَلِّيهِ، (أَنْ) تَحْمِلُوهَا وَعَاءً لِلْأَغْيَارِ، وَمَا نَهَاكُمْ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ قُلُوبُكُمْ وَعَاءً لَهُ، ثُمَّ تَكَسَّرَتْ. أَيْ هَكَذَا فَكُونُوا مَعَ اللَّهِ. فَقَالَ لِي: مَا جَعَلْنَا بَالَنَا لِمَا نَبْهَتُنَا عَلَيْهِ³.

* * *

1 ص 54

2 ص 55

3 في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود علي. وكتب محمد بن العربي".

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في اشتغال الصلاة على أقوال وأفعال

أما الشروط المشترطة في الصلاة، فمنها أقوال ومنها أفعال¹. أما الأفعال؛ فجميع الأفعال المباحة التي ليست أفعال الصلاة، إلا قتل الحية والعقرب في الصلاة، فإنهم اختلفوا في ذلك، واتفقوا على أن الفعل الخفيف لا يطل الصلاة.

الاعتبار في النفس في ذلك:

"عقربُ الهوى" و"حيَّةُ الشهوة" تخطر للمناجي ربه، فهل يقتلها؟ أو يصرفها في مصرفها الذي عيَّن لها الشارع؟. لما علم العارف أن قتلها محال، فيهوى ما عند الله بهواه، ويشتبه دوام مناجاته بشهوته. فيرى بأن لا يقتلها من هذا مذهبه. ويرى قتلها من يرى أنها قد حالا بينه وبين مناجاته ربه.

وأما الأقوال؛ فإنها أيضا التي ليست من أقوال الصلاة. فلم تختلف العلماء في أنها تفسد الصلاة عمدا. إلا أن العلماء اختلفوا من ذلك في موضعين: الموضع الواحد، إذا تكلم ساهيا. والموضع الآخر: إذا تكلم عامدا لإصلاح الصلاة. ومن قائل وهو قول شاذ: إن من تكلم في الصلاة عامدا لإحياء نفس، أو أمر كبير، أنه يبني على ما مضى من صلاته ولا يفسدها ذلك، وهو مذهب الأوزاعي. ومن قائل: إن الكلام عمدا لإصلاح الصلاة لا يفسدها. ومن قائل: إن الكلام يفسدها، كيف كان، إلا مع النسيان. ومن قائل: إن الكلام يفسدها، مع النسيان ومع غير النسيان.

الاعتبار:

المصلي يناجي ربه، فإذا ناجى غيره من أجله؛ ما زال من مناجاة ربه. وإذا ناجى غيره، لا من أجل ربه، فقد خرج عن صلاته. والنسيان في مناجاة الحق غير معتبر، إلا من غلب من أصحابنا على المناجي مشاهدة الحجاب، فإن الله لا يناجي عبده إلا من وراء حجاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾³.

وأقرب الحجب الصورة التي يقع فيها التجلي، هذا أقرب الحجب. فإنه ما هو الصورة ولا غيرها. فمن

1 ص 55 ب

2 ص 56

3 [الشورى : 51]

شغلته الصورة عن نسبة ما هو الصورة، أو شغله ما هو الصورة عن نسبة ما هو الصورة: فهو الناسي في الحالتين. فيكون حكمه في الاعتبار كحكمه في الظاهر، من الخلاف الواقع بين العلماء فانهم.

* * *

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في النية في الصلاة

فمن¹ قائل: إنها شرط في صحة الصلاة، بل قد اتفق العلماء عليها، إلا من شذَّ.

اعتبار النفس في ذلك:

قد يقصد العبد مناجاة ربه، وقد يأتيه الأمر بغتة. موسى مشى- ليقبس نارا، فكلمه ربه، ولم يكن له قصد في ذلك. والأصل في العبادات كلها أنها من الله ابتداء، لا مقصودة للمكلفين، إلا ما شذَّ من ذلك، كآية الحجاب وغيرها في حق عمر بن الخطاب.

وإنما يُنْتَعَمُ القصدُ في الباطن المعتبر، لأن الحقيقة تعطي أن ما تم شيء خارج عن الحق، أو تخلى الحق عنه، حتى يقصده في أمر يكون فيه. بل هو في نسبة الكل إليه، نسبة واحدة. فإلى أين أقصد وهو معي حيث كنت، وعلى أي حال كنت؟ فما بقي القصد جملة القرية إلى الله. وإنما متعلق القصد حال مخصوص مع الله، قصده عن حال مخصوص مع الله، خرجت منه به إليه.

والأحوال مختلفة؛ فمن راعى اختلاف الأحوال، قال بوجوب النية -وعلى هذا النحو تنوعت الشرائع وجاءت-. ومن راعى الحضور، ولم ينظر إلى الأحوال، كان صاحب حال. فلم يُعرَفِ النية، فإنه في العين. قال تعالى- في حق من هذا حاله² -من باب الإشارة لا التفسير:- ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾³ ومثله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾⁴.

انتهى الجزء السابع والثلاثون، يتلوه في الجزء الثامن والثلاثين.⁵

1 ص 56ب

2 ص 57

3 [التكوير : 26]

4 [طه : 46]

5 بعد النص: "سمع من أول الكتاب إلى هنا على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: ابنا المصنف أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد، وإسماعيل بن سودكين النوري، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الأربلي، وصر الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد الطيف البغدادى، وموسى بن زيد بن جابر، وعلي بن عز العرب بن قرشلة،

الجزء الثامن والفلاون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في بَيْتِ الإمام والمأموم

اختلف علماء الشريعة في بَيْتِ الإمام والمأموم: هل من شرط بَيْتِ المأموم أن توافق بَيْتِ الإمام في الصلاة، أعني في تعيين الصلاة وفي الوجوب؟ فمن قائل: إنه يجب. ومن قائل: إنه لا يجب. ولكل قائل حجة ليس هذا موضعها.

اعتبار النفس في ذلك:

الصحيح أنه لا يجب، لأنه أمر غيبي. ولا يكون الاتهام إلا بما يتعلق به الجس، من سماع أو مشاهدة. ولهذا فصل الشارع ما أجمله في الاتهام، فذكر الأفعال المدركة بالحواس بما هي جسد أدركها. وما ذكر النية، فإنها من عمل القلب، فإنه تكليف ما لا يوصل إلى معرفته.

من علم أن الاتهام الإلهي يحيل أن يكثر الحق التجلي لشخص، أو يتجلى لشخصين في صورة واحدة، علم أن بَيْتِ المأموم لا ترتبط بنية³ الإمام، إلا في الصلاة من كونها ذات أفعال. ولكل امرئ ما نواه. فإن قصد بالتجلي الامتنان من المتجلي على المتجلى له، والقصد من المتجلى له العلم والالتذاذ بذلك التجلي.

وبعقوب بن معاذ الوري، ومحمد بن يرقش المظلي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي بن محمد المطرزي، وركبة بن حسن بن مالك، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج النكري - الحضيون -، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن عبد الرحمن بن بيان العمشقي، وإبراهيم بن محمد، وعلي بن أحمد بن علي - الطرطيبان -، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنطلي، وعبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي الفهم الدمشقي، وأبو القاسم بن أبي الفتح المصري، وعبد الكريم بن أبي الحسن الحضي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسحاق المظلي، ويحيى بن إسحاق الهلباني، وحسين بن محمد الموصل، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، وابنه إبراهيم، وعلي بن أبي الفتنم بن الفسال، ومحمد بن نصر - الله بن هلال -، وأحمد بن أبي الهجاء العمشقي، وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، ويونس بن عثمان العمشقي، وذلك في سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث ولاثين وصحابة بمنزل المصنف بدمشق، والحمد لله وصلاه على محمد وآله. وسمي الجزء الأخير عبد المنعم بن مظفر بن أبي الحسن المصري، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

1 العنوان ص 57

2 البسطة ص 58

3 ص 58

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ

في حكم الأحوال في الصلاة

اعلم أنَّ الصلاة تشتمل على أقوال وأفعال، ويكون حكمها بحسب الأحوال. فإنَّ جميع العبادات تنبني على الأحوال، وهي المعتبرة للشارع. فيكون الحكم يتوجّه على المكلف من جهة الحال التي يكون عليها، والأسماء تابعة للأحوال. ولهذا يراعيها الشارع في الحكم على المكلف.

قيل للمالك بن أنس: ما تقول في خنزير البحر؟ فأفتى بتحريمه. فقيل له: أليس هو من سمك البحر؟ فقال ﷺ أتم سميتموه خنزيرا. ما زادهم على ذلك.

كذلك الحمر المحترّم شُرْبهَا، إذا تخلّلت زال عنها اسم الحمر، لزوال الحال الذي أوجب له اسم الحمر. فسَمِّيَ خَلَا، لحال آخر طرأ عليه، والجوهر عين الجوهر. فانتقل الحكم من التحريم إلى الحلّ، والظاهر والباطن في هذا على السواء في¹ الحكم. فإنَّ الاعتبار إنما هو من الشرع لمن عَقَلَ عنه.

. . .

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ

في التكبير في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في التكبير في الصلاة على ثلاثة مذاهب، فمن ذهب إلى أنّه كلّهُ واجبٌ في الصلاة. ومن ذهب إلى أنّه ليس بواجبٍ، نقيض الأوّل. ومن ذهب إلى أنّه ليس بواجبٍ، إلّا تكبيرة الإحرام فقط.

اعتبار النفس في ذلك:

تكبير الله واجب على كلّ حال ولكن من شرطه مشاهدة الإنسان نفسه. فإن لم يشاهد إلّا الله، ولم ير لغير الله عينا، فلا يجب التكبير. لأنّه ما ثمّ على مَنْ؟ فإن الله لا يجب عليه شيء. وإنّ التكبير لا يُعقل إلّا بوجود الأغيار، أو تقدير وجود الأغيار.

ثم إنّ القائلين لا مشهود لهم إلّا الله؛ شاهدا ومشهودا وشهادة. وأعمّ من هذه الحالة، في آفناء، ما

يكون. فإن شاهده من حيث أسمائه الإلهية الحسنى، أوجب التكبير¹ من حيث نسبتها. أي من نسب بعضها لبعض: فإن الاسم "الحَيّ" له صميمية على جميع الأسماء، والاسم "العالم" أعم في التعلق من الاسم "المريد" و"القادر". فالتكبير لا بد منه، فإن حقائق الأسماء تطلبه إغاضاً لها.

وإن نظر في الأسماء الإلهية من حيث ما تجتمع فيه وهو المسمى بها - فإنها موضوعة من المتكلم للدلالة على عين المسمى، وإن كان لها حقائق في نفوسها مما يكون متعلقه التنزه أو الأغيار، لم ير التكبير.

ومن فُرق بين الصلاة وغيرها من العبادات، رأى وجوب تكبيرة الإحرام فقط. يبتدئ بها نفسه أنها ممنوعة، محجوز عليها التصرف، فيما يخرجها عن هذه العبادة المختصة، المسماة صلاة. وقد انحصرت المذاهب في الاعتبار، والحمد لله.

. . .

فصل ثلث وثل

في لفظ التكبير في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في صفة لفظ التكبير في الصلاة. فمن قائل: لا يجزي إلا لفظة "الله أكبر". ومن قائل: يجزي بغير الصيغة، ولكن لا بد فيه من حروف التكبير: وهي الكاف والباء والراء. ومن² قائل: يجوز التكبير على المعنى؛ كالأجل والأعظم.

ومذهبنا في ذلك أن اتباع الستة أولى، فإن رسول الله ﷺ يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وما نهل إلينا قط إلا هذا اللفظ "الله أكبر" تواتر ذلك عندنا.

الاعتبار في ذلك:

ما عيّن الشرع لفظاً في عبادة نطقية دون غيره من الألفاظ، مما في معناه، إلا وقد أراد ما يمتاز به ذلك اللفظ من طريق المعنى عند العلماء بالله، عما يقع فيه الاشتراك. فالأولى بنا مراعاة الاقتداء، ومراعاة المعنى الذي يقع به الامتياز، علمنا ذلك المعنى أو جهلناه. فإن علمناه فوجب أن لا نعدل عنه، وإن لم نعلمه فنأتي به على علم الذي شرعه فيه، ولا نتحكم بسياق لفظ آخر.

والله قد أمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة، فقال له: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹ والعالم إذا كان حكيماً لا يعدل إلى أمر دون غيره مما يقارب معناه إلا لخصوص وصف. فنعتبر ذلك ولا نعدل عنه، فِعْلاً كان أو قولاً. فإنه لا بد لمن يعدل عنه أن يُخْزَمَ فائدة ذلك الاختصاص، ويتَّصف بالخالفة بلا شك.

فصل² بَلْ وَضَلْ

في التوجيه في الصلاة

لمن قاتل بوجوهه، ومن قاتل بعدم وجوهه. وصورته أن يقول بعد التكبير: ﴿وَجُحْتُ وَنَجِيَّ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾³ ﴿إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁴ الحديث. ومن قاتل: له أن يسبِّح وإن لم يقل هذا اللفظ بعينه. ومن قاتل: يجمع بينهما بين التسبيح والتوجيه.

وأما الذي أذهب إليه فهو التوجيه في صلاة الليل في التهجّد لا في الفرائض. وأما في الفرائض فينبغي أن يقول بين التكبير والقراءة في نفسه، لا يسمع غيره إذا كَبُرَ: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم تقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد". هذا هو الذي اختاره، وبه وردت السنة. ومذهبنا الوقوف عندها، والعمل بها وإن لم نوجب ذلك، إذ لم يوجبه الله، ولكن الاتِّباع أَوْلى.

الاعتبار⁵ في ذلك عند أهل الله:

التوجيه في حال، من حال، إلى حال: من الله، بالله، إلى الله، مع الله، في الله، لله، على الله. من الله: ابتداء، بالله: إعانة وتأيداً، إلى الله: غاية وانتهاء، مع الله: صحبة ومراقبة، في الله: رغبة، لله: قرينة من أجله، على الله: توكلًا واعتمادًا. ثم تعتبر ألفاظ ما ورد في التوجيه. وكذلك تَعْتَبَرُ ما ذكرناه من الدعاء، بين التكبير والقراءة.

1 [طه : 114]

2 ص 60

3 [الأنعام : 79]

4 [الأنعام : 162، 163]

5 ص 61

6 ق: وتأيد

والماء الحياء؛ فإنه جُبل من الماء كل شيء حي، أي بما تحمي به قلبي بذكرك، وجوارحي بطاعتك، حتى لا تنصرف إلّا فيها، فإنّها شاهدٌ مصدّق يوم القيامة، لمن تشهد عليه أو له، كما ورد في القرآن العزيز من شهادة الجوارح.

واغْتِيَرَ البرْدُ مِنْ بَزْدِ اليقين، كبرد الأنامل، الوارد في الخبر الصحيح. فحصل به من العلم على يقين، فيرد به ما يجده العبد المصطفى، من حرارة الشوق إلى المراتب العلى، عند المسبّح الأعلى، من العلم بالله. والثلج من ثلج القلب، الذي هو سروره، بما أكرمه الله به من تجلّيه وشهوده.

. . .

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في سكّات المصلّي في الصلاة

وهي¹ بعد ما يكبر تكبيرة الإحرام، وقبل الشروع في القراءة، هذه هي السكّة الأولى. وأمّا السكّة الثانية، فعند الفراغ من قراءة الفاتحة. وأمّا السكّة الثالثة فبعد الفراغ من القراءة، وقبل الركوع. سيّوى السكّات التي هي الوقوف على كلّ آية لِيَتَرَادَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، أو لِيَتَدَبَّرَ فِيهَا قَرَأَ. وهذه السكّة الثالثة إنّما هي لمن يقرأ قرآنا سيّوى الفاتحة بعد الفاتحة، فإن اكتفى بالفاتحة فماها إلّا سكّتان فاعلم ذلك.

اعتبار أهل الله في ذلك:

من الناس من أنكر سكّات الإمام، ومنهم من استحبّها. ولا شك أنّ السكّات هي السكّة. فأما اعتبارها: فالله يقول: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» وقال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» فالمصلّي يتأهب لمناجاة ربه، ويجعله نصب عينيه في قلبه. وكذلك هو الأمر في نفسه، لكن من غير تحديد ولا تشبيه. بل كما يليق بجلاله. فإنّ المصلّي يواجه ربه في قلبه، كما ورد عن الصادق ﷺ.

والمناجاة مفاعلة، والمفاعلة فاعلين، في بعض المواطن؛ هذا² منها. فإذا قال العبد: (أَلْحَقْهُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فالله عند هذا القول من العبد سميعٌ. فينبغي للعبد إذا فرغ من الآية، أن يلقى السمع وهو شهيد؛ فيسكت حتى يرى ما يقول له الحقّ ﷻ في ذلك، أدبا مع الحقّ، لا ينبغي له أن يداخله في

1 ص 61

2 ص 62

3 [الفاتحة : 2]

الكلام. فإن ذلك من الأدب في المحاورات. والحقُّ أحقُّ أن يُتأدَّب معه. «فيقول الله: حمدني عبدي» فمن عبید الله من يسمع ذلك القول بسمعه، فإن لم تسمعه بسمعك فاسمعه إيماناً به، فإنه أخبر بذلك. وهكذا يقول لك في كل آية بحسب ما تقتضيه تلك الآية.

فمن الأدب الإصغاء لما يقوله القائل لك من ناجيته. فإذا داخلته في كلامه، أي في حال ما يكلمك. فقد أسأت الأدب. هذا عامٌّ في كل متكلّم مع من يكلمه. فالأمر بين سامع ومتكلّم لتحقيق الفائدة. واعلم أنه من لا أدب له لا تتخذ الملوك جلساء، ولا سميراً ولا أنيساً.

. . .

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في البسمة في افتتاح القراءة في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في قراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾¹ في افتتاح القراءة في الصلاة. فمن قائل بالمنع سرّاً وجمراً، لا في أمّ القرآن ولا في غيرها من السور، وذلك في المكتوبة، وأجازها في النافلة. ومن قائل: تقرأ مع أمّ القرآن في كل ركعة سرّاً. ومن قائل: يقرأ بها ولا بدّ في الجهر جمراً وفي السرّ سرّاً.

والذي أقول به: إنّ التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، عند افتتاح قراءة القرآن في صلاة وفي غيرها، فرض، للأمر الإلهي الوارد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾³. وقراءة البسمة في القراءة في الصلاة، فرضاً كانت الصلاة أو نفلاً، في الفاتحة والسورة، أولى من تركها. فإنّ الفرض على المصلّي أن يقرأ ما تيسر من القرآن، وقد عيّن الله الذي أراد من القرآن في الصلاة، وهو الذي تيسر. فقد عرّف بعد ما تكّرر، وذلك هو الفاتحة. فإن تيسر له قراءة البسمة قرأها، وإن لم تيسر. قراءتها في الفاتحة وغيرها فلا حرج.

وأما الفاتحة فلا بدّ منها في الصلاة، وإن لم يقرأ الفاتحة فما هي الصلاة التي قسمها الحقّ بينه وبين عبده. والبسمة عندنا آية من القرآن، حيثما وردت من القرآن. وهي آية، إلّا في سورة النمل في كتاب سليمان، فإنّها جزء من آية ما هي آية كاملة، والله أعلم.

1 [الفاتحة : 1]

2 ص 62 ب

3 [النمل : 98]

الاعتبار¹ عند أهل الله في ذلك:

﴿فَكُلُوا مِنَّا ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾² ﴿وَلَا تَكُلُوا مِنَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾³ والقرآن كلام الله. وقد ورد: «إذا استظلم الإمام من خلقه فليطعمه» فستاه طعاما، فناسب الأكل. فلماذا أتينا بآيات الأكل في الاعتبار. ومن قرأ القرآن معتقدا أنه كلام الله، فقد سعى الله متكلمًا. وإن كان هذا الاسم ما ورد، فانهم فهمنا الله وإناك مواقع خطابه..

فصل بَلْ وَضَل

القراءة في الصلاة، وما يقرأ به من القرآن فيها

من الناس من أوجب القراءة في الصلاة وعليه الأكثر، ومن الناس من لم ير وجوب القراءة، ومن الناس من أوجبها في بعض الصلاة ولم يوجبها في بعض. والذي أذهب إليه وجوب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، وإن تركها لم تجزئه صلاته.

ثم اختلفوا أيضا فيما يقرأ به من القرآن في الصلاة. فمنهم من أوجب قراءة أم القرآن في الصلاة إن حفظها، وبه أقول. وما عداها من القرآن ما فيه توقيف. ومن هؤلاء من أوجبها في كل ركعة. ومنهم من أوجبها في أكثر الصلاة. ومنهم من أوجبها في نصف الصلاة، ومنهم من أوجبها في ركعة من الصلاة، ومنهم من أوجب قراءة القرآن، أي آية انشق. ومن هؤلاء من حد ثلاث آيات من قصار الآي، وآية واحدة من طوال الآي، كآية الدين. وهنا في الركعتين الأوليين. وأما في الركعتين الأخريين فاستحب قوم التسبيح دون القراءة. واتفق الجمهور وهم الأكثرون - على استحباب القراءة في الصلاة كلها، وبه أقول⁴.

اعتبار أهل الله في ذلك:

المصلّي يناجي ربه. والمناجاة كلام. والقرآن كلام الله. والعبد قاصر أن يعرف من نفسه ما ينبغي أن يكلم به ربه في وقت مناجاته، التي دعاه إليها في صلاته. فعلمه ربه كيف يناجيه، وبماذا يناجيه، لما قال:

1 ص 63

2 [الأنعام : 118]

3 [الأنعام : 121]

4 ص 63

5 "وبه أقول" مضافة بخط آخر، وعليه إشارة الصواب

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين» ثم قال: «يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ فهذا إخبار من الحق يتضمن تعليم العبد ما يناجيه به. «فيقول الله: حمدي عبدي» الحديث. فما ذكر في حق المصلّي²، إذا ناجاه، أن يناجيه بغير كلامه.

ثم إنّه تعالى- عيّن له من كلامه أمّ القرآن، إذ كان لا ينبغي أن يناجى إلا بكلامه، وبالجامع من كلامه. والأتم هي الجامعة وهي أمّ القرآن. وبعد أن علّمنا كيف يناجيه سبحانه- وماذا يناجيه، فالعالم العاقل، الأديب مع الله، إذا دخل في الصلاة أن لا يناجيه إلا بقراءة أمّ القرآن. فكان هذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ الذي رواه عن ربه تعالى، مفسّراً لما تبسّر من القرآن. وإذا ورد أمر مجمل من الشارع، ثم ذكر الشارع وجهاً خاصاً، مما يكون تفسيراً لذلك الجمل، كان الواجب عند الأدباء من العلماء أن لا يعتمدوا في تفسير ذلك الجمل ما فسّره به قائله، وهو الله تعالى، وأن يقفوا عنده.

وشرع المناجاة بالكلام الإلهي، في حال القيام في الصلاة خاصّة، دون غيره من الأحوال، لوجود صفة القيومية. من كون العبد قائماً في الصلاة، والله قائم على كلّ نفس بما كسبت. وهنا علم كبير في قيام العبد بكلام الربّ، وما له حديث إلا مع ربه، بكلام ربه، مادام قائماً. فلمن يترجم؟ وعمّن يترجم؟ ومن هو المترجم؟ وما تكسب النفس التي هو قائم عليها؟ ومن³ هو العبد حتى يقول السيّد ﷺ: يقول العبد كذا، فيقول الله كذا، لولا العناية الإلهية والتفضل الرئائي؟.

فإن قيل: قد فهمنا ما أشرت به من صفة القيام، والرفع من الركوع قياماً، ولا قراءة فيه؛ (قلنا): فأما الرفع من الركوع إنما شرع للفصل بينه وبين السجود، فلا يسجد إلا من قيام. فلو سجد من ركوع، لكان خضوعاً من خضوع. ولا يصحّ خضوع من خضوع، لأنّه عين الخروج عما يوصف بالدخول فيه. فإنّ التواضع لا يكون إلا من رفعة. فإنّ المهين النفس إذا ظهر منه التواضع فيما يرى فليس بتواضع، وإنما ذلك ممّانة نفس. فيكون لا خضوع، مثل عدم العدم، هو عين الوجود.

فهذا فصل بين السجدين برفع، ليفصل بين السجدين حتى تميّز كلّ واحدة منها بالفصل الذي فصل بينهما، فيعلم أنّ تمّ أمراً آخر وإن اشتركتا في الصورة، مثل قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مَّتَشَابِهًا﴾⁴. كما لا نشكّ

1 [الفاتحة : 2]

2 ص 64

3 ص 64

4 [البقرة : 25]

في حقيقة كلمة "لا إله إلا الله" من حيث ما هي "لا إله إلا الله" وقد ظهرت بالصورة في ستة وثلاثين موضعا من القرآن. ويعلم صاحب النوق أنّ حكمها يختلف في الطعم باختلاف الموضع الذي ظهرت فيه. - فإن كنت تفهم - كتشابه ركعات الصلاة في الصورة، ولكل ركعة طعم ومذاق ما هو للأخرى، كانت ما كانت. ولا شك (إنه) إذا فُصل بين المثلين بالنقيض تميزا.

ومن¹ الأداب مع الملوك، إذا حَيَّوا؛ حَيَّوا بالانحناء - وهو الركوع - أو بوضع الوجه على الأرض - وهو السجود - تعظيما لهم. وإذا تَوَجَّعُوا وأُتِيَ عليهم، قام المُتَنِي أو المَكَّم لهم، بين أيديهم؛ لا يكلِّمهم جالسا، ولا في غير حال من أحوال القيام. هذا هو الأدب المعروف من هو دون الملك مع الملك. فكيف بمن هو عبد له، لا يقبل الحرية.

وأما القرآن؛ فلما كان (بحسب) المَقُول في اللسان، المعروف من إطلاق هذا اللفظ، (أنه) الجامع، والصلاة حالة يجمع العبد فيها على سيِّده، كما هي حالة أيضا جامعة بين الله وبين عبده، حيث قسمها الله بينه وبين عبده²، في الصلاة، وقعت المناسبة بين القرآن وبين الصلاة: فلم يَنْبَغ أن يقرأ فيها بغير القرآن. ولما كان القيام يشبه الألف من الحروف الرقمية، وهو أصل الحروف اللفظية، وعنه ظهرت جميع الحروف باقتطاعه في مخارجهما، من الصدر إلى الشفتين؛ فهو الجامع لأعيان الحروف، وأعيان الحروف مرآته ومنزله، في خروجه وسفره من القلب، الذي هو عالم الغيب إلى الشهادة. (نقول: من أجل هذا الشبه بين القيام في الصلاة والألف في الحروف) كان القيام جامعا لأنواع الهيئات وأصلا³ لها؛ من ركوع وسجود وجُلوس، وإن كان الجلوس له من وجوه، شَبَّه بالقيام، لأنه نصف قيام.

فكانت قراءة القرآن من كونها جمعا في القيام أولى، فإن القيام هو الحركة المستقيمة، والاستقامة هي المطلوبة من الله أن يوفق لها العبد، فالعبد يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁴ لكون الله تعالى - قال له: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾⁵.

فتعين بما ذكرناه، في مجموعه، وجوب قراءة أم القرآن في الصلاة في كل ركعة، إذ كانت أقل ما ينطلق

1 ص 65

2 تاجية في الهامش

3 ق: وأصل

4 ص 66 ب

5 [الفاحة : 6]

6 [هود : 112]

عليه اسم صلاة شرعا، وهي الوتر وقد أوتر رسول الله ﷺ بواحدة- أو ترجيحها على غيرها من أي القرآن. وإذا كان المتعين على المصلي في القيام قراءة أم القرآن، إما بالوجوب وإما بالأولوية، فلنبتن في ذلك صورة قراءة العلماء بالله لها في مناجاتهم في الصلاة.

* * *

وَضَلَّ فِي وَصْفِ هَذِهِ الْحَالِ

اعلم أنَّ المصليَ لَمَّا كَانَ ثَانِيَا، كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي الْإِشْتِقَاقِ، أَنْ كَوْنَهُ ثَانِيَا لَيْسَ بِأَمْرٍ حَقِيقِيٍّ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ فِي الْإِيمَانِ. فَتِلْكَ تَثْنِيَةُ الْإِيمَانِ؛ أَيْ ظُهُورُهُ فِي مَوْطِنَيْنِ: فِي مَوْطِنِ الشَّهَادَةِ، وَمَوْطِنِ الصَّلَاةِ. كَمَا تَثَلَّهُ مَعَ¹ الزَّكَاةِ، فَمَا زَادَ. وَلِهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ الزِّيَادَةَ فِي الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا²﴾ وَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ. وَالكَثْرَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي ظُهُورِهِ فِي الْمَوَاطِنِ، كَالوَاحِدِ الْمَظْهُورِ لِلْأَعْدَادِ الْمَكْتَرَّةِ لَهَا، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ لَا³ يَتَكَثَّرُ. أَلَا تَرَاهُ إِذَا خَلَّتْ مَرْتَبَةٌ عَنْهُ، لَمْ يَبْقَ لَتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ حَكْمٌ وَلَا عَيْنٌ؟.

وَفِي مَعْنَى هَذَا يَقُولُ اللَّهُ فَمِنْ قَالَ: ﴿تُؤْمِنُ بِبَغْضٍ وَتُكْفُرُ بِبَغْضٍ⁴﴾: ﴿أَوَّلِيكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا⁵﴾. فَنفى عنهم الإيمان كله، إذ نفوه من مرتبة واحدة، فهم أَوْلَى بِاسْمِ الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ السِّرُّ. فَإِنَّ الْكَافِرَ الْأَصْلِيَّ هُوَ الَّذِي اسْتَرَّ عَنْهُ الْحَقُّ، وَهَذَا عَرَفَ الْإِيمَانَ وَسَرَّهَ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿تُؤْمِنُ بِبَغْضٍ⁶﴾ فَهُوَ أَوْلَى بِاسْمِ الْكُفْرِ مِنَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْهُ.

وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ أَوَّلِيَّةُ الْحَقِّ قَبْلَ الثَّانِي، قَالَ اللَّهُ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي» فَذَكَرَ نَفْسَهُ، وَذَكَرَ الْعَبْدَ وَمَا ذَكَرَ الْأَوَّلِيَّةَ هُنَا؛ لَا لَهُ وَلَا لِعَبْدِهِ، بَلْ ذَكَرَ الْبَيْنَ؛ لَهُ بِالضَّمِيرِ وَلِعَبْدِهِ بِالصَّرِخِ. وَهُوَ الْحَدُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَجْتَزِيَ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ. إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى - قَدَّمَ نَفْسَهُ فِي الْبَيْنِيَّةِ، فَقَالَ: "بَيْنِي". ثُمَّ أَخَّرَ عَنْ هَذَا التَّقَدُّمَ بَيْنِيَّةَ عَبْدِهِ، فَقَالَ: «وَبَيْنَ عَبْدِي». فَأَضَافَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى - لِيُعَرِّفَهُ أَنَّهُ عَبْدٌ لَهُ لَا لِهَوَاهُ. فَإِنَّهُ الْقَائِلُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ⁶﴾، فَكَانَ عَنْدهُ عَبْدًا لِهَوَاهُ، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَبْدُ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ.

فَالْعَبْدُ مَا لَهُ لِإِرَادَةِ مَعِ سَيِّدِهِ، بَلْ هُوَ بِحَكْمِ مَا يَرَادُ بِهِ. فَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ - هُوَ الْوَاجِبُ الْوُجُودَ لِنَاتِهِ،

1 ق: "في" ومسحت، واستقبلت بـ"مع".

2 [التوبة: 124]

3 ص 66

4 [النساء: 150]

5 [النساء: 151]

6 [الحجرات: 23]

والعبدُ هو الذي منه استفاد الوجود، فإنَّ أصله العدم. فالحقُّ يعطيه التقدُّم في¹ هذه المرتبة، إذ البينية لا تُعقل، إلَّا بين أمرين. والأمران هنا: الربُّ والعبد.

ثمَّ إنَّ الحقَّ جعل في مقابلة تقديم نفسه من قوله: "بيني" تقديم العبد في القول على قول الحقِّ. فقال سبحانه: يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾² فقدَّم قولَ العبد، ثمَّ قال: «فيقول الله» فجاء بقوله بعد قول العبد. وذلك ليتبيَّن لنا، أنَّ له ﴿الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ في قوله: "بيني" فقدَّم، ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾³ في قوله: "فيقول الله". فهو الأوَّل الآخر. فاثبت للعبد الأوليَّة في القول، ليُعلم أنَّ الأوليَّة الإلهية في قوله: "بيني" لا تقتضي قبول الثاني. فهذا الذي قد يُخيَّل أنَّه ثاني، قد رجع أوَّلا في القول في المناجاة.

فعرَّفناك أنَّ المقصودَ التعرُّفَ بالمراتب، لا التركيبَ المولَّد. فإنَّه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾⁴ سبحانه. في قوله: "وبين عبدي"، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ في قوله: «فيقول الله: حمدني عبدي». ولو أنَّ العقل يدركه حقيقة بنظره ودليله، ويعرف ذاته؛ لكن مولأنا عن عقله بنظره. ف﴿لَمْ يُولَدْ﴾ سبحانه - للمقول، كما ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ في الوجود، و﴿لَمْ يَلِدْ﴾ بإيجاده الخلق، لأنَّ وجودَ الخلق لا مناسبة بينه وبين وجود الحقِّ. والمناسبة تُعقل بين الوالد والولد. إذ كلَّ مقدِّمة لا تُتَّعَجَّ غير مناسبتها. ولا مناسبة بين الله وبين خلقه، إلَّا افتقار الخلق إليه في إيجادهم، وهو الغني⁵ عن العالمين.

فكما ثبت أنَّ أوليَّة الحقِّ لا تقبل الثاني، كذلك أوليَّة العبد في القول، لا يكون الحقُّ ثانيًا لها. إذ ليست بأوليَّة عدد، إذ كان الذي في مقابلة العبد هو الحقُّ، فإنَّه الذي يناجيه.

وما تعرَّض (الحقُّ في الحديث القدسي) لِذِكْرِ الغير، فمن كان في صلاته يشهد الغير، مُعرِّى عن شهود الحقِّ فيه، أو شهوده في الحقِّ، أو شهود صدوره عن الحقِّ، وهو قول أبي بكر الصديق: "ما رأيت شيئًا إلَّا رأيت الله قبله". فما هو بمصلٍّ من ليست حالته ما ذكرناه من أنواع المشاهدة. وإذا لم يكن مصلِّيًا لم يكن مناجيًا، والحقُّ لا يناجى بالألفاظ في هذه الحالة، وإنَّما يناجى بالحضور معه.

1 ص 66

2 [الفاتحة : 2]

3 [الروم : 4]

4 [الإخلاص : 3]

5 ص 67

فيكون القائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ إذا لم يكن حاضراً مع الله - لسان العبد، لا عينه وحقيقته. فيقول الحق عند ذلك: "حمدني لسان عبدي، لا عبدي المفروضة عليه مناجاتي". وإذا حضر. القائل في قوله: «يقول الله: حمدني عبدي» جبر له ما مضى - بفضل الله. فإن العبد إذا حضر - تضمن حضوره حضور اللسان وسائر الجوارح، لأن العين تجمعهم. وإذا لم يحضر - عينه، لم تقم عنه جراحة من جوارحه، ولا عن غير نفسها.

ولما تقدم نداء الحق عبده في الإقامة "حي على الصلاة" لهذا ابتداء العبد بتكبيره الإحرام. فإن بقي على إحرامه إلى آخر صلاته، وصدق في إنه أحرم، ووفى، وفى الله له. فإنه قال: ﴿لِيُخْرِجَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾²، وقال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾³ فإنه لا مكره له. وإن لم يقم العبد في صلاته بإحرامه، وأحضر أهله أو دكانه، وما كان من أغراضه معه، فأمره إلى الله، يفعل معه ما يقتضيه علمه فيه.

فقال العبد اقتداء في تكبيرة الإحرام: "الله أكبر" لما خصص حالا من الأحوال سماها صلاة، قال: "الله أكبر أن يقيتد ربي حال من الأحوال، بل هو في كل الأحوال، لا بل هو كل الأحوال، بل الأحوال كلها بيده، لم يخرج عنه حال من الأحوال". فكبره عن مثل هذا، لحكم الوهم لا لحكم العقل. فإن للوهم حكماً في الإنسان، كما للعقل حكماً فيه. وجعلها تكبيرة إحرام، أي تكبيرة منع، يقول: تكبير لا يشاركه في مثل هذا الكبرياء، كون من الأكوان.

وعلى الحقيقة التي أخبرنا بها، كيف يشاركه من هو عينه؟ إذ قال له: إنه سمعته وصرته ولسانه ويده ورجله. فالشيء لا يشارك نفسه، فإنه ما ثم إلا واحد. فهو المكبر والكبير، وهو الكبرياء ليس غيره، يتعالى ويتنزه ويتقدس أن يكون متكبراً بكبرياء ما هو عينه. فإذا قام العارف بين يدي الله بهذه الصفة، ولم ير في وقوفه ولا في تكبيره غير ربه، وأصغى إلى نداء ربه، إذ قال له: "حي على الصلاة" في الإقامة، أي أقبل على مناجاتي، وقد قال له: ﴿وَتَبَايَكَ فَطَرْتُ﴾⁴. فإن المصلي في هذا المقام، يخلع على الحق حلل الشاء، يطلب بذلك البركة فيها. فإنه قد علم أن الله يزد عليه عمله، كما يقول الشخص عندنا لأهل الدين:

[1] الفاتحة : 2

2 ص 67 ب

3 [الأحزاب : 24]

4 [البقرة : 40]

5 ص 68

6 [المائدة : 4]

إلْبَسَ لِي هَذَا الثَّوْبَ، عَلَى طَرِيقِ الْبَرَكَةِ، ثُمَّ يَخْلَعُهُ الْإِبْرَاسَ عَلَيْهِ.

يقول الحقُّ لما ذكرناه: «أَتَى عَلِيَّ عَبْدِي» أي خلع عليّ حلل الشَّاء. والحقُّ سبحانه على الحقيقة. المنّي على نفسه، بلسان عبده. كما أخبرنا أنّه قال على لسان عبده: "سمع الله لمن حمده". فانظر ما أشرف مرتبة المصلّي، كيف وصفه الحقُّ بأنّه يخلع حلل الشَّاء على سيّده، وأين المصلّي الذي تكون هذه حالته، هيئات.

بل الناس استنابوا ألسنتهم لسوء أديهم، وعدم علمهم بمن دعاهم، وما دُعُوا له من طلب الشَّاء. فلم يجيبوا إلّا بظواهرهم، وراحوا بقلوبهم إلى أغراضهم. فهم المصلّون الساهون في صلاتهم لا عن صلاتهم، للحالة الظاهرة من الإجابة لندائه، ولكونهم أقاموا ظواهرهم تواباً عنهم، بين يدي القِبلة عن أمر الله. فلما دعاهم الحقُّ إلى هذا المقام، وجاء العالم بالله وكبّر تكبيرة الإحرام كما ذكرنا، ولم ير نفسه أهلاً لمناجاة ربه، إلّا بعد تجديد طهارة، لقوله: ﴿وَيُتَابَكُ فَطَهَّرْ﴾. والثوب¹ في الاعتبار القلب قال العربي²:

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تُسَلِّ

وقيل في تفسير قوله ﴿وَيُتَابَكُ فَطَهَّرْ﴾: إنّهُ أمر بتقصير ثيابه. يقول عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذا المعنى:

تَقْصِرُكَ الثُّوبُ حَقًّا أَتَى وَأَتَى وَأَتَى

ولا شك أنّ العبد فُرض عليه رؤيةُ تقصيره في طاعة ربه، فإنّه يقصر بنائه عمّا يجب لجلال ربه من التعظيم. فهو تنبيهٌ إلهيٌّ على أن يطهر العبد قلبه، إذ كان ثوب ربه الذي وسعه في قوله: «وسعني قلب عبدي». فمثل هذا الثوب هو المأمور بتطهيره في هذا المقام. ثم إنّ العارف رأى أنّ طهر قلبه لمناجاة ربه، إذا طهره بنفسه لا بربه، زاده دَنَساً إلى نفسه، كن يزهد النجاسة من ثوبه ببوله، لكونه مانعاً. وأنّ التطهير المطلوب هنا إنّما هو البراءة من نفسه، وردّ الأمر كلّهُ إلى الله، فإنّ الله يقول: ﴿وَالَّذِي يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ فَاعْبُدْهُ﴾³.

ولهذا لا يصحّ له عندنا أن يناجيه في الصلاة بغير كلامه، لأنّه لا يليق أن يكون في الصلاة شيء من

1 ص 68 ب

2 القائل هو امرؤ القيس

3 [هود: 123]

كلام الناس. وكذا ورد في الخبر: «إِنَّ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ» الحديث. ثم أيد هذا القول بما أمر به حين نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾² قال ﷺ لنا: «اجعلوها في ركوعكم» ولَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾³ قال ﷺ لنا: «اجعلوها في سجودكم».

فعَمَّا القرآن في أحوالنا، من قيام وركوع وسجود. فما ذكره المصلي في شيء من صلاته، إلا بما شرعه له على لسان رسوله ﷺ، وعَرَّفْنَا أَنَّهُ ﴿مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁴ وإن لم نُسَمِّ كُلَّ كَلَامٍ إِلَهِيَّ قَرَأْنَا، مع علمنا أَنَّهُ كلام الله. فالقرآن كلام الله، وما كل كلام الله قرآن. فالكُلُّ كلامه. فلا نناجيه في شيء من الصلاة إلا بكلامه.

كذلك التطهير الذي أمر به سبحانه - في قوله: ﴿وَتَيَّابُكَ فَطَهَّرْ﴾ فيقول العارف في صلاته، بين تكبيرة الإحرام وقراءة فاتحة الكتاب، امثالاً لهذا الأمر: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي» وهي النجاسات المتعلقة بشوبه (أي قلبه)، «كما باعدت بين المشرق والمغرب». والسبب في ذلك، أَنَّ العبد العالم إذا دعاه الحق إلى مناجاته، فقد خَصَّه بمحلِّ القرية منه. فإذا أشهد خطاياَه في موطن القرب وهي في ذاتها في محلِّ البعد من تلك⁵ المكانة - كان العبد في محلِّ البعد عما طلب الحقُّ منه من القرب. فدعا الله قبل الشروع في المناجاة، أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياَه، أن تظهر له في قلبه في هذا الموطن، الذي هو موطن القرية. ولذلك قال بعضهم في حدِّ التوبة: أن تنسى ذنبك، فإنَّ ذِكْرَ الجفا في موطن الصفا جفاً. وما رأيت فمِن رأيت أحداً، تحقِّق بهذا المقام ذوقاً، إلا بعض الملوك في مقامه مع الخلق، فلا يريد أن يظهر له شيء من خطاياَه، بتخيُّلٍ أو تذكُّرٍ.

«كما باعدت بين المشرق والمغرب» وفي هذا التشبيه علمٌ عزيز غزير. ولكِنَّه أراد هنا البعد بين الضدين؛ إذ كان الضدان لا يجتمعان، والعلم الذي نبَّهنا عليه مبطون في هذين الضدين؛ إذ يجتمعان في حكمٍ ما؛ كالبياض والسواد يجتمعان في اللون، كالحديث وغير الحديث (يجتمعان) في الوصف بالوجوب. فالمشرق وإن يَبْذُ عن المغرب جساً، فإنَّه يشاهد كلَّ واحد صاحبه على التقابل، وهو بُعد حسيٍّ بالموضعين، وبُعد معنويٍّ بالشروق والغروب. فإنَّ الغروب يضادُّ الشروق، ومحلُّ الشروق، الذي هو المشرق، بعيد جداً

1 ص 69

2 [الواقعة : 74]

3 [الأعلى : 1]

4 [النجم : 3، 4]

5 ص 69 ب

من محلّ الغروب، الذي هو المغرب. ولم يقل: كما باعدت بين السواد واليباض - فإنّ اللويّة تجمع بينهما.

فانظر ما أحكم هذا التعليم، وما¹ أحقه وأدقه. وتأدّب مع الله حيث طلب البعد من خطاياها، وما طلب إسقاطها عنه، حتى لا يكون في ذلك الموطن، في حظّ نفسه يسعى وطلب. فيكون بمنزلة من وَجّه المَلِكُ فيه ليدخل عليه، فلما دخل عليه طلب منه ابتداء ما يصلح لنفسه، فهذا سببُ الأدب. وإنّما ينبني له أن يطلب من الحقّ ما يليق، بما تطلبه تلك الحالة، من التأهّب لمناجاة سيّده. فطلب البعد من الخطايا، ما طَلَبَ الإسقاط.

وصلّ فيه ومنه

ثمّ قال: «اللهمّ تقبّل من خطاياي كما يتقبّل الثوب الأبيض من الدنس» وذلك لما قال له ﷺ: ﴿وَتَبَانِكَ فَطَهِّرْ﴾ فجاء في دعائه بلفظ الثوب إعلاماً للحقّ، لقوله: ﴿حَتَّى تَقْلَمَ﴾² وهنا غاية الأدب، حيث يترك علّته لإيمانه، أي ما دعوتك إلّا بما أمرتي به أن أفعله، من تطهير الثوب لمناجاتك. فلتكن أنت بما ربّ المتولّي لملك التطهير. فإنّه لا حول لي ولا قوّة إلّا بك. وكلّ وصف لا يليق بجلالك فهو خطيئة. من تحطّيت - وهو أن يتجاوز العبد حدّه، فيخطو في غير محله، ويجول في غير مبداه. فهو كالماشي في الأرض المفصولة. فإذا خطأ العبد³ في غير ما أمره به سيّده، سميّ مخطئاً وخاطئاً. وتسميت تلك الفعل والحركة خطيئة؛ فالعبد عبدٌ والرّب ربّ.

وصلّ لبقية الدعاء

ثمّ يقول: «اللهمّ اغسلني بالماء والثلج والبرد» أي قول أنت سبحانك - غسل خطاياي، فأضاف الغسل إليه. يقول: فإنك قد شرعت لي أن أقول: "لا حول ولا قوّة إلّا بالله" وشرعت لي أن أقول، إذا قلت: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ (أن) أقول: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي على عبادتك. فإنّ لم تتولّني بقوتك ومعونتك، فما أمرتي به من تطهير ذاتي لمناجاتك؛ فكيف أناجيك في حال جعلتها دنساً، وأنت القائل:

1 ص 70

2 [محمد : 31]

3 ص 70 ب

4 [الفاتحة : 5]

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾¹؟

فاغسل خطاياي بالماء، أي أخي قلبي، بأن تبدل سيئاته حسنات بالتوبة والعمل الصالح. فهذه الحياة هنا على هذه الحال، يورود الماء على النجاسة والدئس تطهيراً. أي ما كان دَنَسًا صار نَقِيًّا، وما كان نجس صار طاهرًا. فَإِنَّ دَنَسَهُ وَنَجَاسَتَهُ لَمْ تَكُنْ لِنَاتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ بِحُكْمِ شَرْعِيٍّ، انْقَرَدَ بِهِ هَذَا الْمَوْطَنُ. فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِالْمَاءِ لَوْرُودِ الْمَاءِ عَلَيْهِ، كَانَ لِلْاجْتِمَاعِ حُكْمٌ آخَرُ، سُمِّيَ بِهِ نَقَاءً وَطَهَارَةً. فَعَادَ الْقَبِيحُ حَسَنًا، وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً. فثَلُ² هَذَا الْفِعْلُ هُوَ الْمَطْلُوبُ لَا إِزَالَةُ الْعَيْنِ، بَلْ إِزَالَةُ الْحُكْمِ. فَإِنَّ الْعَيْنَ مَوْجُودَةٌ: فِي الْجَمْعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَاءِ.

وقوله: "والثلج" يقال في الرجل إذا سُرَّ قلبُهُ بِأَمْرٍ مَا: ثَلَجَ فَوَادُ الرَّجُلِ. أي هو في أمر يُسَرُّ بِهِ. فيقول: يَا رَبِّ! إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ، سُرَّ قَلْبِي، حَيْثُ تَطَهَّرَ لَمَّا يَرْضِيكَ بِمَا يَرْضِيكَ، فَيَنْقَلِبُ غَمُّهُ سُرُورًا.

وقوله: "والبرد" هو ما ينطفي من جمره الاحتراق الذي قام بالقلب، من كونه حين دعاه ربه لمناجاته، على حالة لا يصلح أن يقف بها بين يدي ربه، فيحب ما يطفى تلك النار، فجاء بلفظ البرد من البرد، وفي رواية: "بالماء البارد"، فهو المستعمل في كلام العرب. كذا رويناه عنهم، قال شاعرهم:

وَعَطَّلَ قُلُوبِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتُبْرَدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

يقول: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ، مِنْ حَيَاتِي، حَرَقَةٌ وَنَارٌ، حَسَدًا وَعَدَاوَةً، إِذَا رَأَوْا قُلُوبِي مَعْطَلَةً، عَرَفُوا بِمَوْتِي، فَبُرَدَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَجِدُونَهُ بِحَيَاتِي مِنَ النَّارِ، وَأَبْكَتْ أَوْلِيَائِي الَّذِينَ كَانُوا يُحِبُّونَ حَيَاتِي. فَانْتَقَلَتْ صِفَاتُ هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ³ إِلَى هَؤُلَاءِ، كَمَا انْتَقَلَ ذُلُّ الْأَوْلِيَاءِ وَتَقَبُّهُمُ وَنَصَبُهُمْ وَمَكَابِدَتُهُمْ وَكَدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، إِلَى الْأَشْقِيَاءِ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فِي النَّارِ. وَانْتَقَلَ سُرُورُ الْجَبَابِرَةِ وَرَاحَةُ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي الدُّنْيَا، إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِي الْآخِرَةِ".

فالذي ذكر هذا الشاعر في شعره، هي حالة كل موجود. إذ كل موجود لا بد له من عدوٍّ ووليٍّ، قال

تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ¹﴾ فجعلهم أعداء له، كما قال في جزائه إياهم: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَغْدَاءِ اللَّهِ²﴾. فإذا كان الله أعداء، فكيف بأجناس العالم؟ وكذلك الولاية: الله أولياء، ولكل موجود. فالعالم بالله المشغول به، من يقول: "ما أتم إلا الله وأنا" فيفني الكل في جناب الحق، وهو الأولي. وهو الولي حقاً. إذ كانت هذه الحالة سارية حقاً وخلقا. فإن الله عدو للكافرين، كما هو ولي للمؤمنين. فهم عبيده وأعداؤه. فكيف حال عبيده بعضهم مع بعض، بما فيهم من التنافس والتحاسد؟

فإذا سأل العارف من الله هذا التطهير، بعد تكبيرة الإحرام، عند ذلك يشرع في التوجيه.

. . .

وَضَلَّ مَقَمَ لَأَكْمَلُ صَلَاةٍ فِي التَّوْحِيدِ

وإنما ذكرنا هذا، لأن العالم بالله يعيد إلى أكمل الصلوات عند الله في حالاتها، من أقوال وأفعال، وإن لم يكن بطريق الوجوب. ولكن أولياء الله أولى بصورة الكمال في العبادات، لأنهم يناجون من له الكمال الحقيقي، بما يجب له. فإن ذلك واجب عليهم؛ أوجبه معرفتهم وشهودهم.

ابتداء التوجيه:

فيقول العبد: "وتحت وجمي" فأضاف العبد الوجه إلى نفسه، عن شرع ربه له فيه أدبا مع الله بحضوره مع الحق، في أنه لسانه الذي يتكلم به. ودعاه إلى هذه الإضافة قوله تعالى: "يني وبين عبي" فأثبتته. وإنما هو بالحقيقة مضاف إلى سيده، فإن العبد الأديب العارف هو وجه سيده؛ إذ لا ينبغي أن يضاف إلى العبد شيء، فهو المضاف ولا يضاف إليه. فإذا أضاف السيد نفسه إليه، فهو على جهة التشريف والتعريف، مثل قوله: ﴿وَالَهُكُمْ³﴾ ومثل ذلك. وأضاف فعل التوجيه إلى نفسه، لعل له أن الله قد أضاف العمل إلى العبد، فقال: "يقول العبد: الحمد لله" والقول عمل من الأعمال.

فالعالم لا يزال، أبدا، يجري مع الحق على مقاصده، كما قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁴ فعرفه

1 [المتحنة : 1]

2 [فصلت : 28]

3 ص 72

44 ق: "عبده" وعليها إشارة المسح، وصححت لوقها مباشرة بقلم الأصل: "خسه".

5 [البقرة : 163]

6 [الرحمن : 3، 4]

بالمواطن، وكيف يكون¹ فيها؟ ولو تركه مع نفسه لعاد إلى العدم الذي خرج منه، فأعطاه الوجود ولوازمه، وظهر فيه سبحانه- بنفسه بما أظهر من الأفعال به، وجعل للعبد أولًا معلوما وجوديًا، وآخرًا معلوما في الوجود، معقولا في التقدير. وظاهرا ما ظهر منه له، وباطنا بما خفي عنه منه.

فلَمَّا حَدَّ بِهَذِهِ الْحُدُودِ؛ عَرَّاهُ عَنْهَا، وَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ هُوَ، بَلْ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾². فَأَبْقَى الْعَبْدَ فِي حَالِ وَجُودِهِ عَلَى إِمْكَانِهِ مَا بَرِحَ مِنْهُ، وَلَا يَصْخُحُ أَنْ يَبْرَحَ. وَأَضَافَ الْأَفْعَالُ إِلَيْهِ لِحَصُولِ الطَّمَأْنِينَةِ، بِأَنَّ الدَّعْوَى لَا تَصَحُّ فِيهَا. فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَالَّذِي يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلَّهُ﴾³ وَقَالَ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁴. فَلِهَذَا أَضَافَ الْعَالِمُ التَّوْجِيهَ إِلَى نَفْسِهِ، وَوَجْهَ الشَّيْءِ ذَاتَهُ وَحَقِيقَتَهُ. أَيِ نَصَبْتُ ذَاتِي قَائِمَةً كَمَا أَمَرْتَنِي.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁵ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَنَنْتَقِهَا﴾⁶ أَيِ الَّذِي مَيَّزَ ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي، وَغَيَّبِي مِنْ شَهَادَتِي. وَفَضَلَ بَيْنَ الْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ فِي ذَاتِي، كَمَا فَضَلَ السَّمَاوَاتِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ بِمَا جَعَلَ فِي كُلِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى سَمَاوَاتِي. وَقَوْلُهُ: "وَالْأَرْضُ" فَفَصَلَ بَيْنَ جَوَارِحِي: لَجْعَلِ الْعَيْنَ حَكِيمًا، وَلِلْأُذُنِ حَكِيمًا، وَلِسَانِ الْجَوَارِحِ حَكِيمًا⁷ حَكِيمًا. وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾⁸ وَهُوَ مَا يَتَفَذَّى بِهِ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي⁹ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَعْطِيهِ الْحَوَاسِ، بِمَا يَرْكَبُهُ الْفِكْرُ مِنْ ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْمَعْرِفَةِ بِهِ.

فَهَذَا، وَمَا يَنَاسِبُهُ، يَنْظُرُ الْعَالِمُ فِي اللَّهِ بِالتَّوْجِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹⁰. وَهُوَ بَحْرٌ وَاسِعٌ، لَوْ شَرَعْنَا فِيهَا بِحَصَلَ لِلْعَارِفِ فِي نَفْسِهِ، الَّذِي يُوجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: ﴿فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَا وَسَعَهُ كِتَابٌ، وَلَكَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ تَعْبِيرِ سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿خَنِيفًا﴾ أَيِ مَائِلًا. وَالْخَنِيفُ الْمَائِلُ. يَقُولُ: مَائِلًا إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ مِنْ إِمْكَانِي، إِلَى وَجُوبِ

1 ص 72 ب

2 [الحديد : 3]

3 [هود : 123]

4 [النحل : 17]

5 [الأنعام : 79]

6 [الأنبياء : 30]

7 ص 73

8 [فصلت : 10]

9 ق: "الإنساني" وعليها إشارة "صح" وفي الهامش: "العقل الإنساني" مع إشارة التصويب كذلك، ونظم من ذلك صواب التعبيرين معا.

10 [الأنعام : 79]

وجودي برئي. فيصح لي التنزه عن العدم، فأبقى في الخير المحض. فهذا معنى قوله: ﴿خَيْفًا﴾.

ثم قال: ﴿وَمَا أَنَا﴾ في هذا الميل ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ما بليتُ بأمرِي، كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾¹ وإِنَّا الحقَّ عَلَّمَنِي كيف أتوجه إليه، وماذا أتوجه إليه، وعلى أئمة حالة أكون في التوجه إليه. هذا كله، لابد أن يعرفه العلماء بالله في التوجيه. وإن لم يكونوا بهذه المثابة، فما هم أهل تَوْجِيهِه، وإن² أتوا بهذا اللفظ.

فنفي (المصلِّي) عن نفسه الشرك. والعبدُ وإن أضاف الفعلَ إلى نفسه، فما هو شريك في الفعل، وإنما هو منفرد بما يصحَّ أن يكون له منفرداً من ذلك الفعل. ويكون الحقُّ منفرداً بما يصحَّ أن يكون به منفرداً من ذلك الفعل. والعبد لا يشاركه سيِّده في عبوديته: فإنَّ السيِّد لا يكون عبداً. والعبد لا يكون سيِّداً لمن هو له عبد، من حيث ما هو عبدٌ له.

ثم قال: ﴿إِنِّي صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَخْيَاتِي وَمَعَاتِي﴾³ فأضاف الكلَّ إلى نفسه. فبأنه ما ظهرت هذه الأفعال ولا يصحَّ أن تظهر - إلا بوجود العبد، إذ يستحيل على الحقِّ إضافة هذه الأشياء إليه، بغير حكم الإيجاد. فتضاف إلى الحقِّ من حيث إيجاد أعيانها، كما تضاف إلى العبد من كونه محلاً لظهور أعيانها فيه. فهو المصلِّي. كما أنَّ الحرك هو المتحرك، ما هو المحرك. فهو المتحرك حقيقة. ولا يصحَّ أن يكون الحقُّ هو المتحرك. كما لا يصحَّ أن يكون المتحرك هو المحرك لنفسه، لكونه نراه ساكناً.

فاعلم ذلك، حتى تعرف ما تضيفه إلى نفسك، بما لا يصحَّ أن تضيفه إلى ربك عقلاً. وتضيف إلى ربك، ما لا يصحَّ أن تضيفه إلى نفسك شرعاً. ﴿وَنُسُكِي﴾ هنا، معناه عبادتي. أي إنَّ صَلَاتِي وعبادتي - يقول ذلَّتي - ﴿وَمَخْيَاتِي وَمَعَاتِي﴾ أي وحالة حياتي وحالة موتي.

ثم قال: ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي الله، أي إيجاد ذلك كله لله لا لي. أي ظهور ذلك في من أجل الله، لا من أجل ما يعود عليَّ في ذلك من الخير، فإنَّ الله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾⁴ فجعل العلةَ ترجع إلى جنبه لا إليَّ. فلم يكن القصد الأول الخير لنا، وإِنَّمَا كان الإيثار في ذلك لجنب الحقِّ.

1 [الكهف : 82]

2 ص 73 ب

3 [الأنعام : 162]

4 ص 74

5 [النارعات : 56]

الذي ينبغي له الإيثار. فكان تعلما لنا من الحق وتنبها، وهو قول رابعة: "أليس هو أهلا للعبادة".

فالعالم من عبد الله الله. وغير العالم يعبد لما يرجوه من الله، من حظوظ نفسه في تلك العبادة. فلهذا شرع لنا أن نقول: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي سيد العالمين ومالكهم ومُصلِحهم، لما شرع لهم وبين، حتى لا يتركهم في حيرة، كما قال تعالى- في معرض الامتحان على عبده: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾¹ أي حائرا، فبين لك طريق الهدى من طريق الضلالة. فطريق الهدى، هنا، هو معرفة ما خلقك من أجله، حتى تكون عبادتك على ذلك، فتكون على بينة من ربك.

ثم قال: "لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ"² أي لا إله في هذا الموضع³، مقصود بهذه العبادة، إلا الله، الذي خلقني من أجلها. أي لا أشرك فيها نفسي، بما يخطر له من الثواب، الذي وعده الله لمن هذه صفته. وقد ذهب بعضهم إلى الحضور مع الثواب في حال هذه العبادة، وكفر من لم يقل به، وهذا ليس بشيء، وهو من أكابر المتكلمين. غير أنه لم يكن من العلماء بالله من طريق الأنواق، بل كان من أهل النظر الأكبر منهم. وردّ على العدوية⁴، فيما قالته.

ولا يعتبر، عندنا، ما يخالفنا فيه علماء الرسوم، إلا في نقل الأحكام المشروعة: فإن فيها يتساوى الجميع، ويُعتبر فيها الخالف بالقدح في الطريق الموصل، أو في المفهوم باللسان العربي. وأما في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس. وهذا سار في كل صنف من العلماء، بعلم خاص.

وقوله: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ يعود على الجملة كلها، وعلى كل جزء جزء منها، بحسب ما يليق بذلك الجزء. فلا نحتاج إلى ذكره مفضلا، إذ قد حصل التنبيه على ما فيه ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾⁵ ثم قال: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي من المنقادين لأوامره في قوله: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾.

ثم قال: «اللهم أنت الملك». وذلك أن الله تعالى- لما دعاه إلى القيام بين⁶ يديه. وذلك أنه لا ينبغي أن

[1] الضحى: 7]

2 كتبت في البداية باعتبارها آية "لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" [الأنعام: 163]، ثم شطب لفظ: "أول" وكتب بدلا منه بلم الأصل: "من" باعتبار أن الحلي يلفظ كذلك وفقا للتوجيه النبوي. ومثبت لفظ "أول" بعد ذلك بلم آخر فوق كلمة: "من" وبجانبه إشارة التصويب.

3 ص 74 ب

4 العدوية: الصوفية الشهيرة رابعة العدوية

5 [لق: 37]

6 ص 75

يدعو إلى هذه الصفة إلا الملوك، فخص هذا الاسم في التوجيه دون غيره. ولهذا شرع التكيف في الصلاة، في حال الوقوف، لأنه موطن وقوف العبد بين يدي الملك.

ثم يقول بالوصف الأخص: «لا إله إلا أنت» ولم يقل: لا ملك إلا أنت، أدبا مع الله. فإن الله قد أثبت الملوك في الأرض في قوله: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾¹ ونفى أن يكون في العالم إله سواه؛ لا بالحقيقة ولا بحكم الجعل. فقال العبد في التوجيه: «لا إله إلا أنت» ولو قال: لا ملك إلا أنت، لكان نافيا لما أثبتته الحق. وما أثبتته الحق لا يلحقه الانتفاء. كما أنه إذا نفى شيئا، لا يمكن إثباته أصلا. فإن كان لفظ هذا التوجيه نقلا عن الحق - وهو من كلام الله - فهو تصديق لما أثبتته ونفاه. وإن كان من لفظ النبي ﷺ فهو من مقام الأدب مع الله، حيث لم يتف ما أثبتته الله. وإن كان «لا ملك إلا الله»، ولكن الله قد أثبت الملوك.

فهذا معنى «لا إله إلا أنت» عقيب قوله: «أنت الملك» فإنه يظهر فيه عدم المناسبة. فلما كانت الألوهية تتضمن الملك، ولا يتضمن الملك الألوهية، أتى بلفظ يدل معناه على وجود الملك الذي سماه، وإن لم يظهر له لفظ. فالإله ملك وليس كل ملك إله².

ثم يقول: «أنت ربّي وأنا عبدك» فقدم ربه وأخر نفسه، وأضافها إلى ربه، بحرف الخطاب: لأنه بين يديه. وانظر ما في هذا الكلام من الأدب، يقول له: «أنت ربّي وأنا عبدك» الذي قسمت الصلاة بينك وبينه. فمن حيث هذه العبودية الخاصة، وقف بين يديك، وهي حالة مناجاة لا حالة أخرى. فإن أحوال العبد تتنوع بتنوع ما يدعوه السيد إليه، وإن كان عبدا في كل حالة.

ثم يقول: «ظلمت نفسي، واعترف بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» يقول في هذا الكلام لَمَّا قال، قبل التوجيه، ذلك الدعاء الذي قدمناه بعد التكبير: من سؤاله البعد بينه وبين خطايا. يقول: ظلمت نفسي بما اكتسبت من الخطايا، واعترف بين يديك بها قبل مناجاتك، فاغفر لي ذنوبي، أي فاستر ذنوبي من أجلي؛ إنه لا يقدر على سترها إلا أنت. فلا ترائي (ذنوبي) فتأعيني فاكون بها مذنباً، ولا أراها فتحلو لي قاتمها، فاكون بها مذنباً. وهو قوله: «باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب».

يقول: إذا سترتها عني بهذا البُعد، لم نشهدها حتى أكون متفرّغا لقبول¹ ما دعوتني إليه. فإنّك إن أشهدتني ذنوبي، ولم تسترها عني، منعني الحياء والدهش عند رؤيتها، أن أعقل ما تريده منّي، مما دعوتني إليه. فلم يذكر -أيضا- "إسقاطها عني"، حتى لا يكون يسعى في حظّ نفسه، وأنّ المطلوب سترها في تلك الحال. ولهذا؛ العالمُ بالله مع توبته، لا يزال متى ذكر ذنبه، أثرت في نفسه وحشة الخالفة، وإن لم يؤاخذ به، فإنّ الحال يعطي ذلك.

ثمّ يقول: «واهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلّا أنت» هو بمنزلة قوله في الدعاء: «اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد» أي وفّقني لاستعمال مكارم الأخلاق في هذا الوطن، بما تستحقّ أن أعاملك بها، من الأدب في مناجاتك، والأخذ عنك، والفهم لما تورده عليّ في كلامك، وفهم ما أناجيك به أنا من كلامك. هذا كلّ من أحسن الأخلاق -وفي أفعالي بهيئات وقوفي بين يديك ظاهرا وباطنا، كما شرعت لي؛ «فلا يهدي لأحسن الأخلاق إلّا أنت».

أي أنت الموفّق لهذه، لا قوّة لي على إثبات ذلك، ولا تعيينها إلّا بقوتك وتعريفك. إذ هذا مما لا يدرك بالاجتهاد، بل بما تشرّعه وتبيّنه، لَمّا كان قدرك مجهولا، وما ينبغي للجلالك غير معلوم، ولا² تقيس معاملتنا معك بمعاملة العبيد مع الملوك، فإنّك قلت ليس كمثلك شيء. فالأدب الذي يخصّنا في معاملتك، ما نعلمه إلّا منك.

ثمّ قال: «واصرف عني سيّئها لا يصرف عني سيّئها إلّا أنت» ابتداء بالتعليم: فتعرّفني ما لا ينبغي أن يعامل به جلالك³، وثانية أيضا، بالاستعمال في ترك ما لا يحسن بقدرك. إذ بيدك الأمر كلّ، فقد تُعلم العبد ولا تستعمله فيما علّمته، فاصرف عني سيّئ الأخلاق بالعلم والاستعمال.

ثمّ يقول: «لبيك وسعديك» أي إجابة لك، ومساعدة لما دعوتني إليه، بقولك على لسان حاجب الباب: "حتي على الصلاة" ها أنا قد جئتُ مجيبا دعاءك "لبيك"، ومساعدة لما تريده منّي على نفسي- بالقبول.

ثمّ يقول: «والخير كلّ يديك»؛ لَمّا كان هو الخير المحض، فإنّه الوجود الخالص المحض، الذي لم يكن

1 ص 76

2 ص 76 ب

3 ق: خلالك

عن عدم¹، ولا إمكان عدم، ولا شبهة عدم، كان الخير كله بيديه.

ثم يقول: «والشر² ليس إليك» يقول: ولا يضاف الشر إليك. والشر المحض هو العدم. أي لا يضاف إليك عدم الخير، ولا ينبغي لجلالك. وأتى بالالف واللام لشمول أنواع الشر، أي الشر المطلق، والشر المقتد بالصور الخاصة. هذا كله ليس إليك، أي ما سميته شراً أو هو شر، لا ينبغي أن يضاف إليك أدبا وحقيقة. وأقوى ما يحتج به الخالف في هذه المسألة، قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾³ وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾⁴.

فاعلم أن مطلق الضلالة: الحيرة والجهل بالأمر، وبطريق الحق المستقيم. فتقوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي من عرّفه بطريق الضلالة، فإنه يضل فيها. ومن عرّفه بطريق الهداية، فإنه يهدي فيها. مثل قوله في الهداية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁵، و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁶، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾⁷، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁸.

فالعقل السليم يهدي به عندما يسمع مثل هذا من الحق، وإذا قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾⁹ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾¹⁰، وقوله: «ومن أتاني يسئ أتيته هرولة» وأمثال هذه؛ فإن العقل السليم يحار في مثل هذه الأخبار ويقيه. فهذا معنى «يُضِلُّ» أي يحير العقول، بمثل هذه الخطابات¹¹ الصادرة من الله، على السنة الرسل الصادقة، الجهولة الكيفية. ولا يمكن للعقل أن يهدي إلى ما قصده الحق بذلك، مما لا يليق بالمفهوم.

ثم يرى العقل أنه سبحانه - ما خاطبنا إلا لثقتهم عنه. والمفهوم من هذه الأمور يستحيل عليه - سبحانه - من كل وجه يفهمه العبد بضرب من التشبيه المحدث؛ إما من طريق المعنى المحدث، أو من

1 "الذي لم يكن عن عدم" ثابتة في الهامش بقلم مستطيل مخالف للأصل بخط الشيخ.

2 ص 77

3 [المذثر : 31]

4 [الرعد : 33]

5 [الشورى : 11]

6 [الصافات : 180]

7 [الأنعام : 91]

8 [الإخلاص : 4]

9 [الرواقعة : 85]

10 [أن : 16]

11 ص 77 ب

طريق الحس. ولا يتمكن للعقل أن لا يقبل هذا الخطاب: فيحار. فتم حيرة يخرج عنها العبد، ويتمكن له الخروج منها بالعناية الإلهية. وتم حيرة لا يتمكن له الخروج عنها، بمجرد ما أعطى الله للعقل من أقسام القوة، التي أيده الله بها. فيحار الدال في المدلول، لعزة الدليل.

ثم يحىء الشرع بعد هذا في أمور قد حكم العقل بدليله على إحالتها، فيثبت الشرع ألفاظاً تدلُّ على وجوب ما أحاله. فيقبل ذلك إيماناً ولا يدري ما هو؟. فهذا هو الحائر المسمى ضالاً. وقد روي أنه قال: «زدني فيك تحيراً» أي أنزل إليّ نزولاً، يحيله العقل من جميع وجوهه، ليعرف عجزه عن إدراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت.

وأما الشقاء والسعادة، المعبر بهما عن الأمور التي تتألم بها النفوس وتتنعم، فذلك مطلب عام¹ للنفوس، من حيث الحس والمحسوس. وهذا الذي نحن بصدده، أمر آخر، يرجع إلى معرفة الحقائق.

ثم يقول: «أنا بك وإليك»، أي بك ابتداء لا بنفسي. وهو قولنا: إن الإنسان موجود بغيره. وقوله: «وإليك» أي وإليك يرجع عين وجودي. فما أنا هو: أنت هو. فإنه ما استفدت منك إلا الوجود، وأنت عين الوجود. وأنا على أصل ذاتي من العدم، ما تغير علي حكم ولا حال في إمكاني لا أبرح.

ثم يقول: «تباركت» أي البركة والزيادة لك لا لي. يقول: «أنت الوجود لك، ثم كَسَوْتَنِيهِ، ولم أكن. فكانت البركة والزيادة في الوجود؛ حيث ظهر بنسبتين: فظهر بي وهو وجودك - ونُسِبَ إليك وهو عينك». ثم يقول: «وتعاليت» أي فإنك تتعالى أن تظهر بغيرك، فلا يكون الوجود المنسوب إليك، غير هويتك. هذا معنى قوله: «تباركت وتعاليت».

ثم يقول: «أستفرك وأتوب إليك» يقول: أطلبُ التسرُّ منك في اتصافي بالوجود²، لئلا أغيب عن حقيقتي، فأدعي الوجود. وهو ليس أنا، بل هو أنت. وما أنا أنت، فأنا أنا على ما أنا عليه لذاتي، وأنت أنت على ما أنت عليه لذاتك. ومتي، فلك الظهور في بما وصفتني به من الوجود. وما لي ظهور فيك، بما أنا عليه في حقيقتي من الإمكان.

ثم يقول: «وأتوب إليك» أي وأرجع إليك من حيث ما وُصِفْتُ به من الوجود: إذ كنت أنت هو عين

1 ص 78

2 ص 78 ب

الوجود، والموصوف به أنا. فرجوعه إليك، هو قولِي: «وأَتُوبُ إِلَيْكَ». وفرغ ما يقوله العبد من الدعاء والتوجه بين التكبير والقراءة. فلنشرع إن شاء الله تعالى، في قراءة فاتحة بلسان العلماء بالله، في حال الصلاة لا في حال غيره.

وَضَلَّ

في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة

اعلم أَنَّ العالم بالله إذا فرغ من النبي ذكرناه، شرع في القراءة على حد ما أمره الله به عند قراءة القرآن من التَعَوُّذ، لكونه¹ قارئاً لا لكونه مصلياً. ولَمَّا أعلمتك أَنَّ الله يقول عند قراءة العبد القرآن: «كُنَّا» جواباً على حكم الآية التي يقرأها، فينبغي للإنسان إذا قرأ الآية أن يستحضر في نفسه ما تعطيه تلك الآية على قدر فهمه، فَإِنَّ الجواب يكون مطابقاً لما استحضرتُه من معاني تلك الآية. ولهذا ورد في الجواب أدنى مراتب العامة مجملًا؛ إذ العاني والعجبي الذي لا علم له بمعنى ما يقرأ، يكون قول الله له، ما ورد في الخبر. فَإِنْ فَضَّلْتَ في الاستحضار، فَضَّلَ الله لك الجواب. فلا يفوتك هذا القدر في القراءة، فَإِنَّ به تمييز مراتب العلماء بالله والناس في صلاتهم.

فإذا فرغ الإنسان من التوجه، فليقل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». هذا نص القرآن. وقد ورد في السنة الصحيحة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾². فالعارف إذا تعوَّذ، ينظر في الحال الذي أوجب له التَعَوُّذ، وينظر في حقيقة ما يتعوَّذ به، وينظر في ما ينبغي أن يعاذَ به. فيتعوَّذ³ بحسب ذلك.

فمن غلب عليه في حاله، أَنْ كُلَّ شيء يُستعاذ منه (هو) بيد سيده، وَأَنْ كُلَّ ما يستعاذ به (هو) بيد سيده، وآتاه في نفسه عبْدٌ، محل التصريف والتقليب: فعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك». وهذه استعاذة التوحيد؛ فيستعيذ به من الاتحاد⁴، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافِرُ﴾⁵.

1 ص 79

2 [النحل : 98]

3 ص 79 ب

4 هناك إضافة في الهامش بخط آخر: «والاشتراك في الصفات».

5 [الدخان : 49]

وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾¹ وقال: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منها قصمته».

ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة، استعاذ بما لا يلائم بما يلائم، فعلا كان أو صفة. هذه قضية كلية. والحال يعين القضايا، والحكم يكون بحسبها. ورد في الخبر: «أعوذ برضاك من سخطك» أي بما يرضيك مما يسخطك. فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه، بإقامة حرمة محبوبه. فهذا الله. ثم الذي لنفسه من هذا الباب، قوله: «ومعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظ نفسه؛ وأي المرتبتين أعلى؟ في ذلك نظر.

فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله، من أنه لا يلفه (ه) يمكن، أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال² الله من التعظيم، وأن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه: فإن ذلك عائد عليه. ومن نظر في قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْبُدَنَّكَ﴾³ قال: ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي. فأنا لا أعمل إلا في حق ربي، لا في حق نفسي. فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين. ومن رأى أن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له، من حيث هو، وجود- قال: «أعوذ بك منك» وهي المرتبة الثالثة، وثبت في هذه المرتبة عين العبد.

فالقارئ للقرآن، إذا تعوذ عند قراءة القرآن، علمه المكلف -وهو الله تعالى- كيف يستعيز؟ ومن يستعيز؟ فقال له: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾⁴ فأعطاه الاسم الجامع. وذكر له القرآن، وما خص آية من آية. لذلك لم يخص اسما من اسم، بل أتى بالاسم الله. فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ، وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية، فيذكره في استعاذته. وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله، أي اسم كان، فيعيّنه بالذكر في استعاذته.

ولما كان قارئ القرآن جليس الله، من كون القرآن ذكرا. والناكر⁵ جليس الله، ثم زاد إته في الصلاة حال مناجاة الله، فهو أيضا، في حال قرب على قرب، كور على نور، كان الأولى أن يستعيز هنا بالله، وتكون استعاذته من الشيطان، لأنه البعيد. يقال: بئر شطون؛ إذا كانت بعيدة القعر. والبعد يقابل

1 [غافر : 35]

2 ص 80

3 [الناريا ت : 56]

4 "ومن يستعيز" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

5 [الحل : 98]

6 ص 80 ب

القرب- فتكون استعاذته في حال قره بما يعمده عن تلك الحالة، فلم يكن أولى من اسم الشيطان.

ثم نعت بالرجيم، وهو فعيل: فأما معنى المفعول، فيكون معناه من الشيطان المرجوم، يعني بالشهب؛ وهي الأنوار المحرقة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني الكواكب ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾¹. والصلاة نور، وزجته الله بالأنوار، فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان من العبد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾² بسبب ما وُصِفَتْ به من الإحرام.

وإن كان بمعنى الفاعل، فهو لما يَرجم به قلب العبد من الخواطر المذمومة، واللقات السيئة والوسوسة. ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل، وكبر تكبيرة الإحرام قال: «الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نغسه ونقسه وهمزؤه» قال ابن عباس: همزة: ما يوسوسه في الصلاة، ونقسه: الشعر، ونغسه: الذي يلقيه من الشبه في الصلاة. يعني السهو. ولهذا قال النبي ﷺ: «إِنَّ سَجُودَ السُّهُوِ تَرْغِمُ لِلشَّيْطَانِ» فوجب على المصلي أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، بخالص من قلبه، يطلب بذلك عصمة ربه.

ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة، لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به. فجاء بالاسم "الله" الجامع لمعاني الأسماء، إذ كان في قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع، في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يُدفع. فهكذا ينبغي للمصلي أن يكون حاله في استعاذته، إن وقفه الله.

ثم يقول بعد الاستعاذة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾³ فإذا⁴ قالها يقول الله: «يذكرني عبيدي». فينبني على هذا أن يكون العامل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ «أذكر». فتتعلق الباء بهذا الفعل، إن صح هذا الخبر. وإن لم يصح، فيكون الفعل: «اقرأ بسم الله» فإنه ظاهر في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾⁵.

هذا تتكلفه، لقولهم: إن المصادر لا تعمل عمل الأفعال إلا إذا تقدمت. وأما إذا تأخرت فتضعف عن

1 [الملك : 5]

2 [التكوير : 45]

3 ص 81

4 [الفاتحة : 1]

5 ص 81 هـ

6 [العلق : 1]

العمل. وهذا عندنا غير مَرَضِيٍّ في التعليل، لأنّه تحكُّمٌ من النحويّ. فإنّ العرب لا تعقل ولا تعلّل. فيكون تعلّق البسملة عندي بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾¹ بأسمائه، فإنّ الله لا يُحمد إلّا بأسمائه، غير ذلك لا يكون. ولا ينبغي أن تنكّلف في القرآن محذوفاً إلّا لضرورة، وما هنا ضرورة.

فإن صحّ قول رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في مناجاته في الصلاة، يقول الله: يذكركني عبدي» فلا نزاع. هكذا روى هذا الخبر عبد الله بن زياد بن سميان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يقرأ فيها بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ -ثَلَاث- غَيْرُ تَامٍ» ف قيل لأبي هريرة: "إِنَّا نَكُونُ وراءَ الْإِمَامِ. فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ²: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ عَبْدِي إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَيَذْكُرُنِي عَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ: حَمْدِي عَبْدِي» وسيأتي الحديث مفصلاً في كلّ كلمة -إن شاء الله تعالى-. كما ذكرت ألفاظ التوجيه إلى آخر الفاتحة.

وذكر مسلم هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ولم يذكر البسملة فيه.

فإذا قال العالم بالله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علّق الباء بما في الحمد، من معنى الفعل، كما قلنا. يقول: لا يُثنَى على الله إلّا بأسمائه الحسنَى. فذكر من ذلك ثلاثة أسماء: الاسم الله، لكونه جامعاً غير مشتقّ، فَيُنْعَت ولا يُنْعَت به، فإنّه للأسماء كالذات للصفات. فذكره أولاً من حيث أنّه دليل على الذات، كالأسماء الأعلام كلّها في اللسان، وإن لم يثو قوة الأعلام، لأنّه وصّف للمرتبة كاسم السلطان. فلما لم يدلّ إلّا على الذات المجردة على الإطلاق، من حيث ما هي لنفسها من غير نسب، لم يُتَوَقَّم في هذا الاسم اشتقاق. ولهذا سُمِّيَت بالبسملة، وهو الاسم مع الله. أي قولك: باسم الله خاصة. مثل القَبْدَلَة، وهو قولك: عبد الله. وكذلك الحَوْقَلَة³، وهو الحول والقوة مع الله.

ثمّ قال: إِنَّ الْعَبْدَ قَالَ، بعد "بسم الله": "الرحمن الرحيم" من حيث ما هو -أعني "الرحمن الرحيم"

[1] الفاتحة : 2]

2 ص 82

3 ص 82 هـ

من الأسماء المركبة، كمثل: بعل بك، ورام هرمز. فسماه به من حيث ما هو اسم له، لا من حيث المرحومين، ولا من حيث تعلّق الرحمة¹ بهم، بل من حيث ما هي صفة له **عَلَّاهُ** فإنه ليس لغير الله، ذكّر في البسطة أصلاً.

ومما ورد اسم إلهي² لا يتقدّمه كون يطلب الاسم، ولا يتأخّر كون يطلبه الاسم في الآية، فإن ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالة على الذات المسماة به، لا من حيث الصفة المعقولة منه، ولا من حيث الاشتقاق الذي يطلبه الكون. بخلاف الاسم الإلهي إذا ورد في أثر كون، أو في أثره كون، أو بين كونين. فإنه إذا ورد الكون في أثره: فذلك الكون نتيجة، وبه يتعلّق، وإياه يطلب. فإنه صادر عنه، إذا تدبّره وجدته، مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾³.

وإذا تقدّم الكون وجاء الاسم الإلهي في أثره، فإنه الأول والآخر - كان على العكس من الأول. مثل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وقوله: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾⁴ فأظهر (ت) التقوى ما نتج منه، وهو الاسم الله. وفي الأول، أظهر الاسم الإلهي عين الإنسان. وكذلك ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ أظهر التعليم الاسم الإلهي وهو الله.

فإذا وقع الكون بين اسمين إلهيين، كان الكون للأول بحكم النتيجة، وللآخر بحكم المقدمة. مثل وقوع العالمين بين الاسم "الرب" و"الرحمن"، في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁵ ومثل قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾⁶ فوقع ﴿وَيَعْلَمُكُمْ﴾ بين اسمين: تقدّمه الاسم "الله" وتأخّر عنه الاسم "الله" بمعنىين مختلفين، فأثر فيه الاسم الأول طلب التعليم، وقبّل التعليم بالاسم الثاني.

وكذلك إذا وقع الاسم الإلهي، بين اسم إلهي يتقدّمه، وبين كون يتأخّر عنه، مثل الاسم الرب بين الله والعالمين، في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في آخر "الزمر". أو بين كون يتقدّمه، واسم إلهي يتأخّر عنه، مثل قوله: ﴿الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَلِكٌ﴾ فـ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ تقدّمه كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ وتأخّر عنه ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فأظهر عين العالمين الرحمن الرحيم، لافتقارهم إلى الرحمتين: الرحمة العامة والخاصة، والواجبة والامتنائية.

1 ق: "أصافه بالرحمة" وكتب فوقها بخط الأصل: "تعلق" من غير إشارة المسح، لنعم منه صواب التصيين.

2 [الرحمن : 1 - 3]

3 [البقرة : 282]

4 ص 83

5 [الفاتحة : 2، 3]

6 [البقرة : 282]

وطلب ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ليظهر من كونه ملكاً، سلطان ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، فإنَّ الرحمة من جانب الملك هي رحمة عِزَّة وامتنانٍ مع استغناء. بخلاف رحمة غير الملك، كرحمة الأم بولدها للشفقة الطبيعية، فيدفع¹ الأم بالرحمة على ولدها ما تجده من الألم بسببه في نفسها، فنفسها رَجَمَتْ ولنفسها سَعَتْ، واحتجبت عن علم ذلك بولدها. فالمنة لولدها عليها بالسببية، لا لها. ووقعت الرحمة بالولد تبعاً، بخلاف رحمة الملك، فإنها عن عزٍّ وغنى عن هذا المرحوم الخاص من رعاياه.

وكذلك إذا وقع الاسم الإلهي بين اسمين إلهيين، مثل قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾² فوقع الاسم "الخالق" بين الاسم "الله" والاسم "البارئ" وكذلك الاسم "البارئ" بين "الخالق" و"المصور" وهذا كثير. فـ"الخالق" صفة لله وموصوف "للبارئ".

فعلى هذا الأسلوب تجري تلاوة العارفين في الكتابين: في القرآن، وكتاب العالم بأسره؛ فإنه كتاب مسطور، ورزقه المنشور، الذي هو فيه (هو) الوجود. وكذلك تجري أذكارهم.

وهكذا في الأكوان، إذا وقع كونٌ بين كونين، يكون للأول إننا وللثاني بعده أباً في الذي يُفهم من ذلك، كان ما كان. فلهاذا قال الله في قول العبد: ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: «ذكرني عبدي» وما قيد هذا الذكر بشيء، لاختلاف أحوال الناكرين. أعني البواعث لِذِكْرِهِمْ. فذاكِرٌ تبعته الرغبة، وذاكرٌ تبعته الرهبة، وذاكرٌ يبعته التعظيم والإجلال. فأجاب الحق على أدنى³ مراتب العالم، وهو الذي يتلو بلسانه ولا يفهم بقلبه. لأنه لم يتدبر ما قاله -إذا كان التالي عالماً باللسان- ولا ما ذكره. فإن تدبر تلاوته أو ذكَّره، كانت إجابة الحق له، بحسب ما حصل في نفسه من العلم بما تلاه. فتدبر ما نصصناه لك.

ثم قال: قال الله تعالى: «فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين في الصلاة، يقول الله: حمدني عبدي». فيقول العارف: "الحمد لله"، أي عواقب الثناء ترجع إلى الله، ومعنى عواقب الثناء أي كل ثناء يثنى به على كون من الأكوان دون الله، فعاقبته ترجع إلى الله، بطريقتين: الطريق الواحدة الثناء على الكون، إنما هو بما يكون عليه ذلك الكون من الصفات الحمودة، التي توجب الثناء عليه. أو بما يكون منه من الآثار الحمودة، التي هي نتائج عن الصفات الحمودة، القائمة به. وعلى أي وجه كان، فإن ذلك الثناء

1 ص 83 ب

2 [الحشر: 24]

3 ص 84

راجع إلى الله إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفات والآثار - لا لتلك الكون. فرجعت عاقبة الشاء إلى الله.

والطريق الأخرى أن ينظر العارف، فيرى أن وجود المعكنات المستفاد، إنما هو عين ظهور الحق فيها، فهو متعلق الشاء لا الأكوان. ثم إنه ينظر في موضع "اللام" من قوله: ﴿الله﴾ فيرى أن الحامد عين الحمود لا غيره. فهو الحامد الحمود. وينفي الحمد عن الكون من كونه حامدا، وفي كون الكون محمدا. فالكون من وجه، محمود لا حامد. ومن وجه، لا حامد ولا محمود. فأما كونه غير حامد، فقد يتناه. فإن الحمد فعل، والأفعال لله. وأما كونه غير محمود، فإنما يحمده الحمود بما هو له لا لغيره. والكون لا شيء له لما هو محمود أصلا. كما ورد في مثل هذا التشبيع بما لا يملك، كلابس ثوبي زور.

فيحضر العارف في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جميع ما ذكرناه، وما يعطيه الاسم "الرب" من الثبات والإصلاح والتربية والملك والسيادة. هذه الخمسة يطلبها الاسم "الرب". ويحضر. ما يعطيه العالم من الدلالة عليه تعالى - فلا يكون جواب الله في قوله: «حمدني عبدي» إلا أن حمده بأدنى المراتب، لأنه لكرمه يعتبر الأضعف الذي لم يجعل الله له حظا في العلم به تعالى - رحمة به، لعلمه أن العالم يعلم من سؤاله أو قراءته ما حضر معه في تلك القراءة من المعاني، فيجيبه الله على ما وقع له، ويدخل في إجمال ما خاطب به عبده العاني، القليل العلم أو الأعجمي الذي لا يعلم له مدلول ما يقرأه. فافهم والله الملهم.

ثم قال عن الله: «يقول العبد: ﴿الزَّحْنِ الرَّجِيمِ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي» يعني بصفة الرحمة لاشتقاق هذين الاسمين منها، ولم يقل فيماذا؟ لعموم رحمته. ولأن العاني ما يعرف من رحمة الله به إلا إذا أعطاه ما يلائمه في غرضه، وإن ضره أو ما يلائم طبعه، ولو كان فيه شقاؤه. والعارف ليس كذلك، فإن الرحمة الإلهية، قد تأتي إلى العبد في الصورة المكروهة، كشرب النواء الكره الطعم، والرائحة للمريض، والشفاء فيه مبطلون.

فإذا قال العارف: ﴿الزَّحْنِ الرَّجِيمِ﴾ أحضر - في نفسه مدلول هذا القول، من حيث ما هو الحق موصوفا به، ومن حيث ما يطلبه المرحوم؛ لعلمه بذلك كله. ويحضر في قلبه أيضا عموم رحمته الواحدة³.

1 ص 84

2 ص 85، وفي الهامش بخط الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهور العين محمود عليّ. وكتب ابن العربي".

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

المقسمة على خلقه في النار الدنيا؛ إنيهم وجنهم، ومطيعهم وعاصيهم، وكافرهم ومؤمنهم، وقد شملت الجميع. ورأى أن هذه الرحمة الواحدة، لو لم تعط حقيقتها من الله أن يرزق بها عباده من جهاد ونبات وحيوان وإنس وجان ولم يحجبها عن كافر ومؤمن ومطيع وعاص؛ عرف أن ذاتها من كونها رحمة تقتضي ذلك.

ثم جاء الوحي من أثر هذه الرحمة الواحدة¹ بأن هذه الرحمة الواحدة السارية في العالم التي اقتضت حقيقتها أن تجعل الأم تعطف على ولدها في جميع الحيوان، وهي واحدة من مائة رحمة. وقد أذكر - سبحانه - لعباده في النار الآخرة تسعا وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة ونفذ في العالم حكمه وقضاؤه وقدره، بهذه الرحمة الواحدة، وفرغ الحساب، ونزل الناس منازلهم من الدارين؛ أضاف سبحانه - هذه الرحمة إلى التسع والتسعين رحمة، فكانت مائة، فأرسلها على عباده مطلقة في الدارين. فسرت الرحمة فوسعت كل شيء؛ فمنهم من وسعته بحكم الوجوب، ومنهم من وسعته بحكم الامتنان.

فوسعت كل شيء في موطنه، وفي عين² شيبته. فتغنم الحرور بالزمهرير، والمقرور بالسعير. ولو جاء لكل واحد من هذين حال الاعتدال لتعذب. فإذا أطلع أهل الجنان على أهل النار، زادهم نعيما إلى نعمهم، فوزهم. ولو أطلع أهل النار على أهل الجنان، لتعذبوا بالاعتدال لما هم فيه من الانحراف، ولهذا قابلهم بالنيق من عموم المائة رحمة. وقد كان الحكم في الدنيا بالرحمة الدنيا، ما قد علمتم. وهي الآن أعني في الآخرة من جملة المائة، فما ظنك وكفى.

فيمثل هذا النظر، يقول العارف في الصلاة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ومن هنا تعرف ما يجيب الحق به من هذا نظره.

ثم قال الله: «يقول العبد: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول الله: تجدي عبي» وفي رواية «فؤض إلي عبي» هذا جواب عام، ورد عام كما قررنا: ما المراد به؟ فإذا قال العارف: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ لم يقتصر على النار الآخرة بيوم الدين، ورأى أن "الرحمن الرحيم" لا يفارقان ملك يوم الدين، فإنه صفة لها. فيكون الجزء دنیا وآخره. وكذلك ظهر بما شرع من إقامة الحدود، وظهور الفساد في البر والبحر، بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون. وهذا هو عين الجزء. فيوم الدنيا أيضا (هو) يوم

1 ص 85 ب

2 ثابتة في الهامش بلام الأصل مع إشارة التصويب

3 ص 86

الجزاء، والله ملك يوم الدين.

فيرى العارف أنَّ الكفَّارات سارية في الدنيا، وأنَّ الإنسان في الدار الدنيا لا يسلم من أمر يضيق به صدره، ويؤلمه جسًا وعقلًا، حتى قرصة البرغوث والفترة. فالآلام محدودة مؤقتة، ورحمة الله تعالى - غير مؤقتة. فإنَّها وسعت كلَّ شيء، فمنها ما تُنال ونُحَمَّ من طريق الامتنان، وهو أصل الأخذ لها الامتنان. ومنها ما تؤخذ من طريق الوجوب الإلهي، في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾¹ وقوله: ﴿لَسْنَا كُنْهًا﴾² فالناس يأخذونها جزاء³، وبعض المخلوقات من المكلفين تنالهم امتنانا حيث كانوا، فانهم.

فكلَّ ألم في الدنيا والآخرة، فإنَّه مكفَّرٌ لأمر قد وقع - محدودة مؤقتة. وهو جزاء لمن يتألم به من صغير وكبير، بشرط تعقُّل التألم، لا بطريق الإحساس بالتألم دون تعقُّله. وهذا المدرك لا يدركه إلا من كشف له: فالرضيع لا يتعقَّل التألم، مع الإحساس به، إلا أنَّ أباه وأمه وأمثالهما، من محبِّيه وغير محبِّيه، يتألم ويتعقَّل التألم، لما يرى في الرضيع من الأمراض النازلة به. فيكون ذلك كفَّارة لتعقُّل الألم. فإن زاد ذلك العاقل الترحُّم به، كان مع التكفير عنه مأجورا. إذ «في كلِّ كبد رطبة أجر» وكلُّ كبد فإنَّها رطبة، لأنَّها بيت الدم، والدم حارٌّ رطب، طبع الحياة.

وأما الصغير إذا تعقَّل التألم وطلب النور عن الأسباب الموجبة للألم واجتنبها، فإنَّ له كفَّارة فيها لما صدر منه، بما ألم به غيره من حيوان أو شخص آخر من جنسه، أو إياية عما تدعوه إليه أمه أو أبوه أو سائل يسأله أمرا ما، فأبى عليه، فتألَّم السائل حيث لم يقض حاجته هذا الصغير. فإذا تألَّم الصغير كان ذلك الألم القائم به، جزاء مكفَّرًا لما ألم به ذلك السائل بإيائته، عما التمس منه في سؤاله. أو كان قد أنى حيوانا: من ضرب كلب بحجر، أو قتل برغوث ولة، أو وطن نملة برجله فقتلها، أو كلَّ ما جرى منه بقصد وبغير قصد. وبسرُّ هذا الأمر عجيب سار في الموجودات، حتى الإنسان يتألم بوجود الغيم، ويضيق صدره به، فإنَّه كفَّارة لأمر أتاها قد نسيها أو علمها.

فهذا كلُّه يراه أهلُ الكشف محققا في قوله: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فيقول الله: «لوَّضْ لِي عَبْدِي» أو «تَجِدْنِي عَبْدِي» أو كلاهما. إلا أنَّ المعجيد راجع إلى جناب الحق من حيث ما قضيه ذاته، ومن حيث ما

1 [الأصنام : 54]

2 [الأعراف : 156]

3 ص 86 هـ

4 ص 87

تقتضي نسبة العالم إليه، والتفويض من حيث ما تقتضي نسبة العالم إليه لا غير. فإنه وكيل لهم بالوكالة المفوضة. ففي حق قوم يقول: «مجدني عبدي» وفي المقصد، وفي حق قوم يقول: «فوض إلي عبدي»، وفي المقصد أيضا. فإن العبد قد يجمع بين المقصدين، فيجمع الله له في الرد بين التمجيد والتفويض. فهذا النصف كله مخلص لجناب الله، ليس للعبد فيه اشتراك.

ثم قال الله: «يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سألت. فهذه الآية تتضمن سائلا¹ ومستولا مخاطبا، وهو الكاف من «إِيَّاكَ» فيها و«نعبد» و«نستعين» هما للعبد، فإنه العابد والمستعين. فإذا قال العبد: «إِيَّاكَ». وَحَدَّ الْحَقُّ بحرف الخطاب، فجعله مواجعا لا على جهة التحديد، ولكن امتثالا لقول الشارع لمثل ذلك السائل في معرض التعليم، حين سألته عن الإحسان، فقال له ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه» فلا بد أن تواجهه بحرف الخطاب، وهو الكاف، أو حرف التاء المنصوبة في المذكور؛ المحفوضة في المؤنث. فإني قد أوثقت الخطاب من حيث الذات.

وهذا مشهد خيالي فهو برزخي. وجاءت هذه الآية برزخية، وقع فيها الاشتراك بين الحق وبين عبده. وما مضى من الفاتحة مخلص لله، وما بقي منها مخلص للعبد. وهذه (الآية) التي نحن فيها مشتركة. وإثما وحده ولم يجمعه، لأن المعبود واحد. وجمع (العبد) نفسه بنون الجمع في العبادة والعون المطلوب. لأن العابدين من العُبد كثيرين، وكل واحد من العابدين يطلب العون. والمقصود بالعبادات واحد. فعلى العين عبادة، وعلى السمع والبصر- واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب. فلهذا قال: «نعبد» و«نستعين»، بالنون.

وإن العالم نظر إلى تفاصيل عاليه²، وإن الصلاة قد عمّ حكمها جميع حالاته ظاهرا وباطنا، لم ينفرد بذلك جزء عن آخر فإنه يقف بكله، ويركع بكله ويجلس بكله. فجميع عاليه قد اجتمع على عبادة ربه، وطلب المعونة منه على عبادته. فجاء بنون الجماعة في «نعبد» و«نستعين»، فترجم اللسان عن الجماعة، كما يتكلم الواحد عن الوفد، بحضورهم بين يدي الملك. فقلّم العبد من الحق لما أنزل عليه هذه الآية بإفراده نفسه، أن لا يُعبد إلا إياه.

ولما قيد العبد بالنون: (فهذا يعني) أنه يريد منه أن يعبد بكله ظاهرا وباطنا، من قوى وجوارح،

ويستعين على ذلك الحدّ. ومتى لم يكن المصلّي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربّه، كان كاذبا في قراءته إذا قال: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنّ الله ينظر إليه، فيراه ملتصقا في صلاته أو مشغولا بخاطره، في دكانه أو تجارته، وهو مع هذا يقول: "تعبد" ويكذب، فيقول الله له: كذبت في كتابتك بجميعتك على عبادتي. ألم تلتفت بصرك إلى غير قبلك؟ ألم تُصغِ بسمعك إلى حديث الحاضرين؟ ألم تعقل بقلبك ما تحدّثوا به؟ فأين صدقك في قولك: "تعبد" بنون الجمع؟

فيحضر العارف هذا كلّه في خاطره، فيستحي¹ أن يقول في مناجاته في صلاته: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ لئلا يقال له: كذبت. فلا بدّ أن يجمع من هذه حالته على عبادة ربّه، حتى يقول له الحقّ: صدقت. إذا تلا- في جميعتك عليّ في عبادتك إياي، وطلب معوتي.

. . .

روينا في هذا الباب على ما حدّثنا به شيخنا المقرّي أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي، عن بعض المعلمين من الصالحين، أنّ شخصا صبيّا صغيرا، كان يقرأ عليه القرآن، فرآه مصفّر اللون. فسأله عن حاله. فقيل له: إنّه يقوم الليل بالقرآن كلّه. فقال له: يا ولدي؛ أخبرت أنّك تقوم الليل بالقرآن كلّه. فقال: هو ما قيل لك. فقال: يا ولدي؛ إذا كان في هذه الليلة، فأحضرنى في قبلك، واقرا عليّ القرآن في صلاتك، ولا تغفل عنيّ. فقال الشاب: نعم.

فلما أصبح قال له: هل فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم يا أستاذ. قال: وهل خمنت القرآن البارحة؟ قال: لا؛ ما قدرت على أكثر من نصف القرآن. قال: يا ولدي؛ هذا حسن، إذا كان في هذه الليلة فاجعل من شئت من أصحاب رسول الله ﷺ أمامك، الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ واقرا² عليه واحذر، فإنّهم سمعوه من رسول الله ﷺ فلا تزلّ في تلاوتك. فقال: أين شاء الله- يا أستاذ؛ كذلك أفعل.

فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته، فقال: يا أستاذ؛ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن. فقال: يا ولدي؛ أتل هذه الليلة على رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، واعرف بين يديّ من تلاوه. فقال: نعم. فلما أصبح قال: يا أستاذ؛ ما قدرت طول ليلتي على أكثر من جزء من القرآن، أو ما يقاربه. فقال: يا ولدي؛ إذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يديّ جبريل، الذي نزل به على قلب محمد ﷺ واحذر

1 ص 88

2 ص 89

واعرف قدر مَنْ تقرأ عليه.

فلما أصبح قال: يا أستاذ؛ ما قدرت على أكثر من كذا، وذكر آيات قليلة من القرآن. قال: يا ولي؛ إذا كان هذه الليلة؛ تب إلى الله وتأهب، واعلم أن المصلّي يناجي ربه، وأنت واقف بين يديه، تلو عليه كلامه فانظر حظك من القرآن وحظه، وتدبر ما تقرأه، فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها، ولا حكاية الأقوال، وإنما المراد بالقراءة التدبير لمعاني ما تلوها فلا تكن جاهلا.

فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب، فلم يجيء إليه. فبعث من يسأل عن شأنه، فقبل له: إنه أصبح مريضا يعاد. فجاء إليه الأستاذ. فلما أبصره الشاب بكى، وقال: يا أستاذ؛ جزاك الله عني خيرا، ما عرفت أنني كاذب إلا البارحة، لما كنت في مصلاي وأحضرت الحق تعالى- وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه، فلما استفتحت الفاتحة، ووصلت إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نظرت إلى نفسي، فلم أرها تصدق في قولها، فاستحييت أن أقول بين يديه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو يعلم أنني أكذب في مقالتي، فإني رأيت نفسي- لاهية بخواطرها عن عبادته.

فبقيت أردد القراءة من أول الفاتحة إلى قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ولا أقدر أن أقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إنه ما خلصت لي. فبقيت أستحي أن أكذب بين يديه تعالى- فمقتني، فما ركعت حتى طلع الفجر، وقد رُضْتُ كبدي. وما أنا إلا راحل إليه على حالة لا أرضاها من نفسي. فما انقضت الثالثة حتى مات الشاب. فلما دُفِن أتى الأستاذ إلى قبره، فسأله عن حاله. فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول له: يا أستاذ:

أَنَا حَيٌّ عِنْدَ حَيٍّ لَمْ يَحْسِبْنِي بِشَيْءٍ

قال: فرجع الأستاذ إلى بيته، ولزم فراشه مريضا، بما أثر فيه حال الفتى، فلحق به. فمن قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قراءة الشاب فقد قرأ.

ثم قال الله: «يقول العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾¹. فيقول الله: هؤلاء لعبي ولعبي ما سألت». فإذا قال العارف: ﴿اهْدِنَا﴾ احضر الاسم الإلهي الهادي وسأله أن يهديه الصراط المستقيم أن يبينه له ويوفقه إلى المشي- عليه، وهو صراط

1 ص 89 ب

2 ص 90

3 [الفاتحة : 6، 7]

التوحيدَين: توحيد الذات وتوحيد المرتبة، وهي الألوهية بلوازمها من الأحكام المشروعة، التي هي حق الإسلام في قوله ﷺ: «إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ» فيحضر في نفسه ﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ الذي هو عليه الربُّ من حيث ما يقود الماشي عليه إلى سعادته.

أخبر الله تعالى - عن هود أنه قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فإنَّ العارف إذا مشى - على ذلك الصراط، الذي عليه الربُّ تعالى - على شهود منه، كان الحقُّ أمامه، وكان العبدُ تابعاً للحقِّ، على ذلك الصراط مجبوراً. وكيف لا يكون تابعاً مجبوراً، وناصيته بيد ربه، يجزئه إليه. فإنَّ الله يقول: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾¹ فدخل في حكم هذه الآية جميع ما دبَّ علواً وسفلاً، دخول ذلَّة وعبودية. والناس في ذلك بين مكاشف يرى اليد في الناصية، أو مؤمن. فكلُّ دابةٍ دخلت عموماً ما عدا الإنس والجنَّ. فإنه ما دخل من الثقلين إلَّا الصالحون منهم خاصة.

ولو دخل جميع الثقلين، لكان جميعهم على طريق مستقيم، صراط الله من كونه رباً. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْسُجٌ بِحَنْدِيهِ﴾² وقال في حقِّ الثقلين خاصة على طريق الوعيد والتخويف، حيث لم يعملوا نواصيهم بيده، وهو أن يتركوا إرادتهم لإرادته فيما أمر به ونهى: ﴿سَنَنْفِخُ لَكُمْ آيَةَ الْقَلْبَانِ﴾³ ولهذا قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يريد الذين وفقهم الله، وهم العالمون كلَّهم أجمعهم، والصالحون من الإنس، مثل الرسل والأنبياء والأولياء وصالحى المؤمنين، ومن الجانِّ كذلك. فلم يجعل الصراط المستقيم إلَّا لمن أنعم الله عليه من نبيٍّ وصديق وشهيد وصالح، وكلِّ دابةٍ هو آخذ بناصيتها.

فإذا حضر العارف في هذه القراءة، جعل ناصيته بيد ربه في غيب هويته. ومن شذَّ شذَّ إلى النار، وهم الذين استثنى الله تعالى - بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي إلَّا من غضب الله عليهم، لتأدبهم بقوله: "حتى على الصلاة" فلم يجيبوا ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فاستثنى بالعطف من حار، وهم أحسن حالا من "المغضوب عليهم". فمن لم يعرف ربه أنه ربه، وأشرك معه في ألوهيته من لا يستحق أن يكون إلهاً، كان من المغضوب عليهم.

1 [هود : 56]

2 ص 90

3 [الإسراء : 44]

4 [الرحمن : 31]

فإذا¹ أحضر العبد مثل هذا وأشباهه في نفسه عند تلاوته، قالت الملائكة: "آمين". وقال باطن الإنسان الذي هو روحه المشارك للملائكة في نشاطهم وطهارتهم: "آمين". أي أُمنا بالخير لَمَّا كان التالي والباقي (هو) اللسان، ثم يصني إلى قلبه فيسمع تلاوة روحه فاتحة الكتاب مطابقة لتلاوة لسانه، فيقول اللسان مؤمنا على دعائه، أي دعاء روحه، بالتلاوة من قوله: "اهدنا".

فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة في الصفة، موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة، أجابه الحق عقيب قوله: "آمين"، باللسانين. فإِنْ ارتقى يكون الحق لسانه إلى تلاوة الحق كلامه. فإذا قال: "آمين". قالت الأسماء الإلهية: "آمين". و(قالت) الأسماء التي ظهرت مِنْ تَخَلَّقَ هذا العبد بها: "آمين". فَمَنْ وافق تأمين أسائه (تأمين) أساء خالقه؛ كان حقاً كله.

فهذا قد أبنتُ لك أسلوب القراءة في الصلاة، فاجر عليها على قدر اتساع باعك، وسرعة حركتك وأنت أبصر. فما مَنَّا إِلَّا مَنْ له مقام معلوم، ومَنَّا الصَّافُونَ والمُسَبِّحُونَ.

* * *

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

في قراءة القرآن في الركوع

وأما² قراءة القرآن في الركوع: فَمِنْ قائل: بالمنع، ومن قائل: بالجواز. والذي اتفقوا عليه التسييح في الركوع، واختلفوا؛ هل فيه قول محدود أم لا؟ فَمِنْ قائل: لا حَدَّ في ذلك، ومن قائل: بالحدِّ في ذلك، وهو أن يقول في ركوعه: "سبحان ربِّي العظيم" ثلاثاً. وفي السجود: "سبحان ربِّي الأعلى" ثلاثاً. والقائل بهذا؛ منهم من يرى وجوبه، وإن الصلاة تبطل بتركه - وأدناه ثلاث مرَّات - ومنهم من لا يقول بوجوبه، وهم عامَّة العلماء. ومن قائل: ينبغي للإمام أن يقولها خمساً حتى يدرك من وراءه أن يقولها ثلاثاً.

فأقول في باب الأسرار: لَمَّا كان المصلِّي في وقوفه بين يدي ربِّه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع وكنكس السجود - لم ينبغ أن تكون هذه الصفة لله، فشرع النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله لَمَّا نزل عليه: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾³ قال رسول الله ﷺ:

1 ص 91

2 ص 91 ب

3 [الرواية: 74]

«اجعلوها في ركوعكم» ثم نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾¹ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»، فاقترن بهما أمر الله بقوله: ﴿سَبِّحْ﴾ فأمَرَ-، وأمر رسول الله ﷺ لنا بمكانها من الصلاة.

يقول²: نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع؛ فإن الخضوع إنما هو لله لا بالله، فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع، وأضافه إلى الاسم الرب؛ لأنه يستدعي المربوب، وهو من الأسماء الثلاث، وهو اسم كثير النور والظهور في القرآن، أكثر من باقي الأسماء؛ فإن أسماء القرآن ثلاثة: الله والرحمن والرب.

ثم إن هذا الاسم لما تعلّق التسييح به لم يتعلّق به مطلقاً من حيث ما يستحقّه لنفسه، وإنما تعلّق به مضافاً إلى نفس المسيح، فقال: "سبحان ربي العظيم" وإنما تعلّق به مضافاً في حقّ كلّ مسيح، لأن العلم به من كلّ عالم يتفاضل؛ فيعتقد فيه شخص³ خلاف ما يعتقد فيه غيره؛ فكلّ شخص يسبح ربه الذي اعتقده رباً. وكلّ شخص ما يعتقد في الرب ما يعتقد فيه غيره، ويرى أنّ ذلك المعتقد الآخر فيما نسبته إلى ربه مما يستحيل عند هذا أن تكون له تلك الصفة، ويكفره من أجلها. فلو سبّحه مطلقاً باعتقاد كلّ معتقد لسبّح هذا الشخص من لا يعتقد أنّه يزه؛ فلهذا أضافه كلّ مسيح لما يقتضيه اعتقاده.

وحظّ العارف أن يسبّحه بلسان كلّ مسيح، وينظر في عظمة الله وتزبيها عن قيام الخضوع بها وعلوّه عن السجود؛ فإنّ العبد في سجوده يطلب أصل نشأته هيكله وهو الماء والتراب، ويطلب بقيامه أصل روحه، فإنّ الله يقول فيهم: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾⁴ وصارت حالة الركوع برزخاً متوسطاً بين القيام والسجود بمنزلة الوجود المستفاد للممكن: برزخاً بين الواجب الوجود لنفسه، وبين الممكن لنفسه. فالممكن عدم لنفسه؛ فإنّ عدم لا يستفاد، فإنه ما ثمّ من يفيد. والواجب الوجود وجوده لنفسه. وظهرت حالة برزخية، وهي وجود العبد بمنزلة الركوع. فلا يقال في هذا الوجود المستفاد: "هو عين الممكن، ولا هو غير الممكن"، ولا يقال فيه: "هو عين الحق، ولا هو غير الحق"؛ فله نسبتان هرفها العارف.

فيخطر للعارف في حال الركوع، الحال البرزخية الفاصل بين الأمين؛ وهو المعنى المعقول الذي به يميّز الربّ من العبد، وهو أيضاً المعنى المعقول الذي به يتّصف العبد بأوصاف الرب، ويتّصف الرب بأوصاف

[الأعلى : 1]

2 ص 92

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

4 ص 92

[آل عمران : 139]

المربوب، لا بالصفات؛ فإنه وصف لا صفة. وإنما قلنا: "وصف لا صفة"؛ فإن الصفة يُعقل منها أمر زائد، وعين زائدة على عين الموصوف. والوصف قد يكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة، فافهم.

. . .

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ فِي¹ الدَّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ

اختلفوا في الدعاء في الركوع بعد اتِّفَاقِهِمْ على جواز النِّسَاءِ على الله فيه، أو وجوبه في مذهب من يراه شرطاً في صحّة الصلاة. فمنهم من كره الدعاء في الركوع، ومنهم من أجازَه، وبه أقول. واختلفوا في الدعاء في الصلاة؛ فمنهم من قال: "لا يجوز أن يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن"، ومنهم من أجاز ذلك.

فأقول: لَمَّا كانت الصلاة معناها الدعاء، صحَّ أن يكون الدعاء جزءاً من أجزائها، ويكون من باب تسمية الكلِّ باسم الجزء. وأمّا من يكره الدعاء في الركوع، فإنَّ الحالة البرزخيّة لها وجهان: وجهٌ إلى الحقِّ ووجهٌ إلى الخلق. فمن كان مشهده من الركوع الوجه الذي يطلب الحقَّ، كره الدعاء في الركوع ولم يحزمه؛ لأنَّ صفة القيوميّة قد يتّصف بها الكون.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾². ومن رَجَّح الوجه الذي يطلب الخلق من الركوع، قال بجواز الدعاء في الركوع، وبه جاءت السّنة، وهو مذهب البخاري رحمه الله.

وكذلك مَنْ رَجَّحَ أن لا يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن، فإنه نظر إلى أنَّ الله تعالى - قد شرع الأدعية في القرآن. فالعدول³ عنها إلى ألفاظ من كلام الناس من مخالفة النفس التي جُبلت عليها، حتى لا توافق ربّها، وهو الأدب الصحيح؛ فإني كما لم أناجِه في الصلاة إلّا بكلامه، كذلك لا ندعوه إلّا بما أنزل علينا، وشرعه لنا في القرآن أو في السّنة مما شرع أن يقال في الصلاة. ومن أطلق الدعاء في الصلاة بأيّ نوع كان، غلب على قلبه أنّه ما تَمَّ إلّا الله، ولا متكلّم إلّا الله؛ إمّا بفعلٍ يفعله كما ورد «أنَّ الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» يعني في الصلاة أو أمر آخر⁴.

1 ص 93

2 [النساء : 34]

3 ص 93

4 "أو أمر آخر" مضافة بقلم دقيق بخط الأصل

فَضْلُ بَلِّ وَضَلٍ فِي التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ

اختلف العلماء في وجوب التشهد في الصلاة، واختار منه. فمن قائل بوجوبه. ومن قائل: إنه لا يجب.

فأقول: لَمَّا كَانَ التَّشَهُّدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ الْإِسْتِحْضَارُ، فَإِنَّهُ تَعْمَلُ مِنَ الشُّهُودِ، وَهُوَ الْحُضُورُ. وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِالْحُضُورِ فِي صَلَاتِهِ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّشَهُّدِ، وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَوْجَهُ. وَلَمَّا كَانَ الشَّاهِدُ¹ مَخَاطِبًا بِالْعِلْمِ بِمَا يَشْهَدُ بِهِ، بِخِلَافِ الْحَاكِمِ؛ لَمْ يَصَحَّ الْحُضُورُ وَلَا الْإِسْتِحْضَارُ مِنْ غَيْرِ² عِلْمِ الْمُتَشَهُّدِ، بِمَنْ يَرِيدُ شُهُودَهُ. فَلَا يَحْضُرُ مَعَهُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا قَدْرُ مَا يَعْلَمُهُ مِنْهُ، وَمَا خُوطِبَ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ.

واختلفت مقالات الناس في الإله، وإذا اختلفت المقالات فلا بدّ للعاقل إذا انفرد في علمه برأيه، أن يكون على مقالةٍ من هذه المقالات التي أنتجها النظر، وهي مختلفة. فالسليم العقل من يترك ما أعطاه نظره في الله ونظر غيره من أصحاب المقالات بالنظر الفكري، ويرجع إلى ما قالته الأنبياء عليهم السلام - وما نطق به القرآن؛ فيعتقده ويحضر معه في صلاته وفي حركاته وسكناته، فهو أَوْلَى بِهِ مِنْ أَنْ يَحْضُرَ مَعَ اللَّهِ - تعالى - بفكره.

وقد يطأ لبعض الناس في هذا غلطة، وذلك أنه يرى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا يَثْبُتُ عِنْدَهُ الشَّرْعُ إِلَّا حَتَّى يَثْبُتَ عِنْدَهُ بِالْعَقْلِ وَجُودُ الْإِلَهِ وَتَوْحِيدُهُ، وَإِمْكَانُ بَقَايَةِ الرِّسْلِ وَتَشْرِيعِ الشَّرَائِعِ؛ فَيَرْجِعُ بِهَذَا أَنْ يَحْضُرَ مَعَ الْحَقِّ فِي صَلَاتِهِ بِهَذَا الْعِلْمِ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ ظَنُّهُ هُوَ الصَّحِيحُ فِي إثبات وجود الحق وتوحيده، وَإِمْكَانُ³ التَّشْرِيعِ وَتَصْدِيقِ الشَّارِعِ بِالْإِدْلَالِاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا؛ فَيَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ قَدْ وَصَفَ لَنَا نَفْسَهُ بِأَمُورٍ لَوْ وَقَفْنَا مَعَ الْعَقْلِ دُونَهُ مَا قَبِلْنَاهَا.

ثُمَّ إِنَّا رَأَيْنَا أَنَّ تِلْكَ الْأَوْصَافَ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ الشَّارِعِ فِي حَقِّ اللَّهِ وَمَعْرِفَتِهِ تَطْلُبُهَا أَعْمَالُ الْعِبَادَاتِ، وَهِيَ أَقْرَبُ مَنَاسِبَةٍ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَعْطِيهَا الْأَدَلَّةُ النَّظَرِيَّةُ، الَّتِي تَسْتَقِلُّ بِهَا. فَرَأَيْنَا أَنَّ نَحْضُرَ مَعَ الْحَقِّ فِي تَشَهُّدِنَا وَصَلَاتِنَا بِالْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي اسْتَفَدْنَاهَا مِنَ الشَّارِعِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الْمُتَوَاتِرَةِ، أَوَّلَى مِنْ الْحُضُورِ مَعَهُ بِمَقَالَاتِ الْعُقُولِ. ثُمَّ نَنْظُرُ فِيمَا وَرَدَ مِنَ التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَجْرِيَ عَلَى ذَلِكَ الْأَسْلُوبِ، كَمَا فَعَلْنَا فِي التَّوَجُّهِ وَالْقِرَاءَةِ وَمَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

1 ص 94

2 ثابتة في الهامش ظم الأصل مع إشارة الصحيح

3 ص 403

انتهى الجزء الثامن والثلاثون، يتلوه في الجزء التاسع والثلاثين¹.

1 أسفل المتن: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي، بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي وإلى البلاغ في الجزء الذي يليه بخط القارئ: ابنا المصنف أبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد، وأبو بكر بن سليمان الحنوري، وابناه عبد الواحد، وأحمد، وحفيده محمد بن عبد الواحد، وإسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخته يوسف بن درباس بن يوسف الحميدي، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، ونصر الله بن أبي العز بن الصفار، ومحمد بن يرقش المظفر، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ويعقوب بن معاذ الوربي، ويونس بن عثمان البمشقي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المظفر، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، وبركة بن حسن بن مالك، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وأحمد بن أبي الهيثم البمشقيان، وعمران بن حبيش بن علي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنطليسي، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وعيسى بن إسماعيل المظفر، وعيسى بن إسماعيل الهنثاني، وحسين بن محمد الموصلي، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، ومحمد بن سالم بن عياش، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وإبراهيم بن محمود(?) الموصلي، وكتب السماع إبراهيم بن عبد العزيز القرشي، وسمع (...) يليه أوراق من أوله عبد المنعم بن مظفر المصري، وذلك في مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثلثين وستة بمصر المصنف بدمشق". يليه بخط الشيخ ابن العربي: "وكتلك عم عبد المنعم بن المظفر بن أبي الحسن المصري مع المذكورين. وكتب المسجع محمد بن العربي منشئ هذا الكتاب في التاريخ".

الجزء التاسع والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

(التشهدات):

فنتقول: من ذلك تشهد عمر رضي الله عنه وهو: "التحيات لله الزايات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله" أخذت به طائفة.

وأما تشهد عبد الله بن مسعود، وهو: "التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" أخذ به الأكثر من الناس لثبوت نقله.

وأما تشهد ابن عباس، وهو: "التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" أخذت به طائفة. وكلها³ أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ.

فالعارف إذا تشهد بهذا التشهد؛ فإما أن يكون في حال قبض وهيبة وجلال عن اسم إلهي، وإما أن يكون في حال أنس وجمال ونسب عن اسم إلهي، وإما أن يكون في حال مراقبة وحضور لموازنة ذاته بما كلفته من العبادات في الصلاة؛ فيعمر كل قوة من قوى نفسه في صلاته، وكل جارة من جوارح جسمه في صلاته بما يليق بها، مما طلبه الحق منه من الهيئات (التي يجب) أن يكون عليها في صلاته بالنظر إلى كل جارة وقوة، فيعمرها سواء كان في حال هيبة أو أنس، وهو أكمل الأحوال. فانحصر الأمر في ثلاثة مقامات: مقام جلال، ومقام جمال، ومقام كمال.

فيتشهد بلسان الكمال، وهو الأول للسالك فيقول: "التحيات لله" أي تحيات كل محي ومحيا بها في جميع العالم، والنسب الإلهية كلها، لله. أي من أجل الله، الاسم الجامع الذي يجمع حقائقها. وذلك لأن كل تحية في العالم إنما هي مرتبطة بحقيقة إلهية، كانت ما كانت. فتنى ما لم يجمع الإنسان بينته وقلبه، كما جمع

1 العنوان ص 95 ب، وأما ص 95 فيضاء

2 البسطة ص 96

3 ص 96 ب

بلفظة التحيات بقوته من الحقائق الإلهية كلها¹، إلا الحقيقة الواحدة المشروعة له في تحيته، من حيث ما هو مقيد بها من جهة شرعه خاصة، لم يستبر لنفسه في كمال صلاته². وقوله: "الزكيات لله" يقول: التحيات المطهرات الناميات؛ أي التي ينمي خيرها على قائلها من الحقائق الإلهية التي أوجدت تلك التحيات بحسب ما تعطيه أسباؤها.

ثم يقول: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" بالألف واللام التي للجنس لا التي للمهد، فيكون سلامه على النبي ﷺ مثل تحياته للشمول والعموم، أي بكل سلام. وهذا يؤذن بأن العبد قد انتقل من مشاهدة ربه، من حيث الإطلاق أو أمر ما من الأمور التي كان فيها في سجوده، إلى مشاهدة الحق في النبي ﷺ. فلما قدم عليه بالحضور سلم عليه مخاطبا مواجعة بالنبوة، لم يسلم عليه بالرسالة؛ فإن النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف؛ فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه، وما أمر بتبليغه لأئمة الذي هو منه رسول، فعم. وعرف ما ينبغي أن يخاطب به رسول الله ﷺ في ذلك الحضور. وأية به من غير حرف يذاع يؤذن بعيد لما هو عليه من حال قربه، ولهذا جاء بحرف³ الخطاب.

ثم عطف بعد السلام عليه بالرحمة الإلهية لشمولها الامتنان والوجوب؛ فأضافها إلى الله لما رزقه ﷺ من السلامة من كل ما يشنؤه في مقامه ذلك، وعطف بالبركات المضافة إلى الهوية، والبركات هي الزيادة. وقد أمر أن يقول: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁴ فكان هذا المصلي في هذه التحيات يقول له: سلام عليك ورحمته تقتضي- الزيادات عندك من العلم بالله الذي هو أشرف الحالات عند الله، كما جاء بـ "الزكيات" في التحيات فناسب بين الزكاة والبركة؛ ولهذا جعل الله تعالى- البركة في الزكاة، التي هي الصدقات، لارتباطها بها؛ لأن الصدقة إخراج ما كان في اليد، وهي الزكاة. ولا يبقى في الوجود خلأ، فيعوضه الله، وعلأ يديه من الخير العلمي، وغيره من الثواب المحسوس في دار الكرامة ما لا يقدر قدره في مقابلة ما أخرجه.

ثم يقول: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" فسلم على نفسه بشمول السلام وأجناسه، كما سلم على النبي ﷺ. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾⁵ والدخول في كل حال من

1 ص 97

2 "لم يستبر... صلاته" مضافة في الهامش بخط آخر مع إشارة الصحيح

3 ص 97

4 طه : 114

5 [النور : 61]

أحوال الصلاة، كـ(الدخول على) البيوت في النار الجامعة ﴿نَجِيَّةٌ مِنْ¹ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾. لجمعك رسولا من عنده إلى نفسك بهذه التحية المباركة، لما فيها من زوائد الخير الطيبة؛ فإنها حصلت له نوقا فاستطابها. كما أنها طيبة الأعراف بسيرانها من نفس الرحمن.

وجاء بنون الجمع في قوله: "السلام علينا" يؤذن أنه مبلغ سلامة لكل جزء فيه مما هو مخاطب بعبادة خاصة. وإنما سلم عليهم لكونه جاء قادما من عند ربه، لفيقته عن نفسه، حين دعاه الحق إلى مناجاته. فكبر تكبيرة الإحرام؛ فتمتعته هذه الحالة أن ينظر إلى غير من دعاه إليه، فلهاذا سلم على نفسه بنون الجماعة. وذلك لما كان هذا العبد قد دخل إلى بيت قلبه، ونزه الحق أن يكون حالاً فيه، وإن وسعته كما قال الله، لما يقتضيه جلال الله من عدم المناسبة بين ذاته تعالى وبين خلقه، ورأى بيت قلبه خالياً من كل ما سوى الله. والحق لا يسلم عليه فإنه هو السلام، وقد نهوا عن ذلك لأنهم كانوا يقولون "السلام على الله" في التشهد. فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله فإن الله هو السلام». فلت دخل (هذا العبد) بيته ولم ير فيه أحداً، ونزه الحق أن يحوي عليه بيت قلبه، لما بقي له أن يشهد بسوى عالمه المكلف، وليس بسوى نفسه. وقد أمره الله إذا دخل بيتاً خالياً من كل أحد أن يسلم على نفسه في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾. فيكون العبد هنا مترجماً عن الحق في سلامه لأنه قال: ﴿نَجِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ﴾ كما جاء في "سمع الله لمن حمده" فكذاك يقولها في الصلاة نيابة عن الحق ﷻ وتقدسست أساؤه. لأنه ما تم من حدث له حال دخول أو خروج، فيكون السلام منه أو عليه. فدل على أنه تجلٍ خاص ولا بد، فانهم إن أردت أن تكون من أهل هذا المقام في الصلاة.

ثم عطف من غير إظهار لفظ السلام "على عباد الله الصالحين". فشمل بالآلف واللام، ليصيب سلامه كل عبد صالح لله في السماوات والأرض. ولا ينوي من الصالحين ما هو الممهود في القرف. فإنه ما تم إلا صالح، فإن الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فكل شيء يتره ربه فهو إذن صالح. هذا من علوم الإيمان والكشف. فانو بالصالحين: الذين استغفلوا فيما ضلحوا له، وليس بسوى التسبيح. فلن الله أخبر عنهم؛ أنهم بهذه الصفة، فلم يبق كافر ولا مؤمن إلا وقد شملت غاصيله هذه الآية ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ

1 ص 98

2 ص 98 ب

3 مضافة في الهامش، مع كلمة: "اظنه"

4 [الإسراء: 44]

النَّاسِ لَا يَفْلَهُونَ¹ لِأَنَّهُمْ² لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَشْهَدُونَ؛ ولهذا لم يذكر لفظة السلام في هذا العطف، واكتفى بالواو تنبيها؛ فإنه يدخل فيه من يستحق السلام عليه بطريق الوجوب، ومن لا يستحق ذلك بطريق الوجوب. فستر حتى لا يميّز المستحق من غير المستحق رحمة منه بعباده ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾³.

ولم يعطف السلام الذي سلّم به على نفسه على السلام الذي سلّم به على النبي ﷺ، بل جعله مبتدأ. فَإِنَّ النُّبُوَّةَ، أعني نبوة التشريع، طور آخر متميّز عن طور الاتّباع. فإنه لو عطف عليه لفظ السلام على نفسه لسلّم على نفسه أيضا من جهة النبوة، للواو الذي يعطي الاشتراك، وباب النبوة قد سُدَّ كما سُدَّ باب الرسالة، وأعني نبوة التشريع. وما بقي بأيدينا إلّا الوراثة إلى يوم القيامة. يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيٍّ» فعين بهذا أنّه لا مناسبة بيننا وبين الرسل في هذا المقام. فحصل له الأوليّة ﷺ على التعيين، وحصل له الآخريّة ﷺ لا على التعيين. فدخل بالسلام الثاني بحرف العطف في عباد الله الصالحين، فإنه من الصالحين بلا شك من كلّ وجه. فهو في الرتبة التي لا تنبغي لنا. فابتدأنا بالسلام علينا في⁴ طورنا من غير عطف.

واعلم أنّه لم تقف على رواية عن رسول الله ﷺ في تشهده الذي كان ﷺ يتشهد به بلسانه في تشهده في الصلاة، في قولنا: "السلام عليك أيّها النبيّ" هل كان يقوله بهذا اللفظ، أو يقوله بغير هذا اللفظ. مثل عيسى عليه السلام إذ قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁵ أو لا يقول شيئا من ذلك، ويكتفي بقوله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين".

فإن كان قال مثل ما علّمنا أن نقول من ذلك، فله وجهان: أحدهما أن يكون المسلّم عليه هو الحقّ، وهو نائب مترجم عنه تعالى- في ذلك. كما جاء في "سمع الله لمن حمده". والوجه الآخر أن يقوم في دعائه في تلك الحالة في مقام غير مقام النبوة، ثم يخاطب بنفسه، من حيث المقام الذي أقيم فيه، نفسه أيضا من كونه ﷺ نبيا. ويخضّره من أجل كاف الخطاب فيقول ﷺ بلسانه للمقام الذي أحضره فيه، أي أخضّر نفسه فيه: السلام عليك أيّها النبيّ، فغلّ الأجنبيّ.

1 [الأعراف : 187]

2 ص 99

3 [يوسف : 98]

4 ص 99

5 [مريم : 33]

ثم يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله". فأما معنى الشهادة فقد تقدم في أول التشهد. وهذا التوحيد هنا إنما هو توحيد ما يقتضيه عمل الصلاة عموماً، وما يقتضيه حال كل مصلٍّ في صلاته خصوصاً؛ فإنَّ أحوال المصلِّين تختلف في الصلاة، بلا شك، من كلِّ وجه: من وجوه الأحكام، ومن وجوه المقامات، ومن وجوه الأنواق:

فمن وجوه الأحكام: فإنَّ صلاة الحنفي تختلف صلاة المالكي والشافعي في بعض الأحكام.

ومن وجوه المقامات: فإنَّ صلاة المتوكل تختلف صلاة الزاهد.

ومن وجوه الأنواق: فإنَّ صلاة الراضي تختلف صلاة الشكور، وصلاة الصاحي تختلف صلاة السكران في الطريق النوقي. فإنَّ الصحو والسكر هو من علوم الأنواق.

ثم عطف الشهادة بالعبودية لله والرسالة، على شهادة التوحيد؛ ليعلم أنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإنه ﴿مَنْ يَتَّبِعْ عَنِ الْهَوَىٰ﴾² وما عليه إلا البلاغ، والإبلاغ لا يكون إلا حال مبلغ من مبلغ عنه إلى مبلغ إليه، وهذا العطف بواو الاشتراك يؤذن بالقرب الإلهي من³ السيد: بما فيه من العبودية لله، وبالقرب من المرسل: بما فيه من ذكر الرسالة المضافة إلى الهوية، التي هي غيب لمن أرسلوا إليهم، و(غيب) للرسول من حيث أن الروح الأمين جاء بها إليه من عند ربه. فهو أقرب سندا منا إلى المرسل، تلقاها رسول الله ﷺ من الروح، بره لا بنفسه، كما يتلقى العارفون ما يأتيهم من ربهم على السنة العالم وحركاتهم، برهم لا بأنفسهم. فإنه من يرى ربه في نفسه يراه في غيره بلا شك، كما يقول أهل الله في حال المتوكل: "من صحَّ توكله في نفسه صحَّ توكله في غيره".

وإنما قلنا: تلقاها بره لا بنفسه، إذ لو تلقى المتلقي أمر ربه ووجيهه، بنفسه دون ربه، لاحترق في موضعه من سطوات أنوار الروح الأمين. ألا تراه مع القوة الإلهية التي أيده الله بها، كيف جاء إلى بيت خديجة ترجف بواجره يقول: «زملوني زملوني، دشروني» لاضطراب مفاصله، وتخلل النور الروحاني مسالك ذاته، فكان يُسمع لها قضيض.

فبدأ (المصلي) في الشهادة، حين عطفها باسمه "محمداً" لما جمع فيه من الحامد، أي بما استحق العطف

1 ص 100

2 [النجم : 3]

3 ص 100 ب

بحرف التشريك، ثم قال: "عبد الله" فذكره بعبودية الاختصاص؛ لِيُعْلَمَ بِحُرِّيَّتِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وخصوص عبوديته لله ليس¹ فيه شِقْصٌ² لكونه من الأكوان. ثم عطف بالرسالة على العبودية، وعلى الله بالهوية؛ فزاده في العبودية اختصاصين: وهما النبوة والرسالة، وذكر الرسالة دون النبوة لتضمنها إياها. فلو ذكر النبوة وحدها، كان يبقى علينا ذِكْرُ اختصاصه بالرسالة، فيحتاج إلى ذكرها حتى نُعْلَمَ بخصوص أوصافه، وَتَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَنْزِلَةُ الرِّسَالَةِ، من عباد الله المنبئِينَ. فهذا تَشْهَدُ لسان الكمال.

التشهد بلسان الجمال:

وأما تشهد لسان الجمال فهو تشهد عبد الله بن مسعود الذي ذكرناه، وهو على هذا الحد إلا ما اختص به فأذكره. وهو أن يقول صاحب هذا المقام بلسانه: "والصلوات والطيبات" فأتى بالصلوات لعموم ما تدلّ عليه في الرحمة والثناء، وأنواعه من الأحوال وكلها صلاة (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ³) وعطف عليها "الطيبات" من باب عطف النعوت؛ فهي نعت معطوف للصلوات وعليها، ليطيب بها نفساً.

واختص (النبي) أيضاً في هذا التشهد بإضافة العبودية، إلى الهوية لا إلى الله، وهو مقام شريف في حق رسول الله ﷺ. حيث أخبر أنه ﷺ في حال نظره في ربه، من حيث ما تستحقّه ذاته التي لا يحاط بها علماً، بل لا تُعرف أصلاً بالصفة الثبوتية، وليست بسوى واحدة، لا يصح أن تكون اثنتين. لأن الفصل الْمُقَوَّم في حق ذاته يستحيل، فلا مناسبة بين الله وبين خلقه، فإنه من (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) كيف يصح أن يشبه شيئاً أو يشبهه شيء، وهذا بخلاف اللسان الأول (تشهد الكمال)؛ فإن الإضافة بالعبودية كانت إلى الله لا إلى الهوية، وهو أن يُنظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن، ويليق (به). وهو دون ما تشهد به ابن مسعود.

التشهد بلسان الجلال:

أما التشهد بلسان الجلال فزاد على ما احتوى عليه التشهدان، أن نَعَتْ "التحيات" بـ"المباركات" أي التحيات التي تكون معها البركات. وأسقط الزايات، وكذلك أسقطها ابن مسعود: فإنها راعا الاشتراك في الزيادة، وراعى عَمَر ما في الزكاة من التقديس مع وجود الزيادة التي تشترك فيها مع البركة، فاكتفى

1 ص 101

2 شقص: حصة أو نصيب.

3 [الأحزاب : 43]

4 ص 101 ب

5 [الشورى : 11]

بالزكيات لذلك. وأنكر الزكيات في التشهد جماعة من علماء الرسوم، ممن¹ لا علم له بعلوم الأذواق ومواقع اختلاف خطاب رسول الله ﷺ.

ولم يأت في هذا اللسان في نعت "التحيات" بحرف عطف، وقال فيه: "سلام" بالتنكير. وهو تشهد ابن عباس. وذلك أنه راعى خصوص حال كل مصل؛ فإن أسماء الله مثل الممكنات، لا نهاية لها. وكلّ ممكن له خصوص وصف؛ فله من الله اسم خاص به، من ذلك الاسم خُص بالوصف الذي يميز به عن كلّ ممكن. وهذا من أشرف علوم أهل الله. وهو مذكور في قوله في دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميّت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك». وأما أسماء الإحصاء فتسعة وتسعون، مائة إلا واحد. ولم يصح في تعيينها على الجملة نص، ولا روي عن النبي ﷺ أنه قال: "هي هذه".

فما جاء ابن عباس بتنكير السلام إلا ليأخذ كل مصل من الاسم الذي يلقي إليه ويناجي الحق فيه، وهو المسلم على نبي الله منّا ﷺ وعلينا وعلى عباد الله الصالحين. وكذلك اختص بعدم تكرار لفظ الشهادة، فتركها؛ فلم يشهد له بعبودية ولا رسالة، بشهادة مستأنفة؛ بل شهادته بالتوحيد أغث. واكتفى² بالواو لما فيها من قوة الاشتراك، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْعَلَّامُ الْغُيُوبُ﴾³ ولم يعطف بذكر الشهادة تشريفاً لهم، وإن كان قد فصلهم عن شهادته لنفسه بذكره "لا إله إلا هو" وأسقط هنا لفظ العبودية لتضمن الرسالة إيّاها.⁴

فصل ثلث وثل

في الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد في الصلاة

اختلفوا في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد فمن قائل: إنها فرض وبه أقول. ومن قائل: إنها ليست بفرض. وكذلك اختلفوا في التعمّد من الأربع المأمور بها في التشهد، وهو أن يتعوّد: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنّم، ومن فتنة المسيح الدجال، ومن فتنة الحيا والمبات. فمن قائل بوجوبها، ومن قائل بمنع وجوبها، وبوجوبها أقول. ولو لم يأمر⁵ بالتعمّد منها لكان الاحتذاء برسول الله ﷺ أولى؛ إذ كان التعمّد منها

1 ص 102

2 ص 102 ب

3 [آل عمران: 18]

4 في الهامش: "بلغت قراءة عليه، أحسن الله إليه. كبه على النبي".

5 ص 103

من فعله، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾¹ وقوله ﷺ: «صَلُّوا كما رأيتموني أصلي» فكيف وقد انضاف إلى فعله أَمْرُهُ أُمَّتُهُ بذلك.

فالصلاة على النبي في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لحمد ﷺ بظهور الغيب، وقد ورد في الصحيح عنه ﷺ: «أَنَّهُ مَنْ دَعَا بظهور الغيب لأخيه قال له الملك: ولك بمثله» وفي رواية: «ولك بمثليه» فشرع ذلك رسول الله ﷺ وأمر بها الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾² ليعود هذا الخير من الملك على المصلي عليه من أَمْتِهِ ﷺ وأمر بالسلام عليه بقوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

فأكده بالمصدر. فقد يحتمل أن يريد بذلك: السلام المذكور في التشهد. ويحتمل أن يريد به: السلام من الصلاة. أي إذا فرغتم من الصلاة على النبي ﷺ فسلّموا من صلاتكم تسليماً. وبهذا الاحتمال تعلق مَنْ رأى وجوبها في الصلاة.

وأما الاستعاذة من عذاب القبر؛ فإنَّ القبر أَوَّلُ منزل من منازل الآخرة. فيَسْأَلُ (المصلي في تشهده) الله³ أن لا يتلقاه، في أَوَّلِ قدم يضعه في الآخرة في قبره، عذاب ربه.

وأما الاستعاذة من عذاب جهنم؛ فإنَّها الاستعاذة من البُعْد؛ فإنَّ جهنم معناه: البعيدة القعر. والمصلي في حال القرية، وهو قريب من الانفصال من هذه الحالة المقرية. فاستعاذ بالله أن لا يكون انفصاله إلى حال تبعده من الله، بل إلى قرب من حالة دنيئة أخرى.

وأما الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال فلما يُظْهِرُ في دعواه الألوهية، وما يختله من الأمور الخارقة للعادة: من إحياء الموتي وغير ذلك مما ثبتت الروايات بنقله، وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه؛ وهي مسألة في غاية الإشكال لأنها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات. فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرره، وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد. فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود، ويجمع لنا بين الطرفين: المعقول والمشهود.

وأما فتنة الهيا والميات فـ"فتنة الهيا" فتنة الدجال، وكل ما يفتن الإنسان عن دينه الذي فيه سعاده. وأما "فتنة الميات" فمنها ما يكون في حال التزع والسياق من رؤية الشياطين الذين يتصورون له على

1 | الأحزاب : 21

2 | الأحزاب : 56

3 ص 103 ب

صور ما سلف من آباءه وأقاربه وإخوانه، فيقولون له: "مُثْ نصرانيًا¹ أو يهوديًا أو مجوسيًا أو مَظَلًا" ليحولوا بينه وبين الإسلام. ومنها ما يكون في حال سؤاله في القبر، وهي حين يقول الملك له: «ما تقول في هذا الرجل؟» ويشير إلى النبي ﷺ.

فإذا لم ير الميثَ تعظيمَ الملك للرسول ﷺ، لأنَّ المراد الفتنة، ليمتَز الصادقُ الإيمانُ من الكافر والمرتاب. فأما المؤمن يقول: "هو محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأَمنَّا وصدَّقنا". وأما المنافق أو المرتاب، وهو الذي يشكُّ في نبوة النبي ﷺ أنها من عند الله، ويجعل ذلك من القوى الروحية وغيرها، ثم يرى عدمَ تعظيم الملك للرسول ﷺ بهذا السؤال، وهو قولهم: «ما تقول في هذا الرجل؟» ولم يقولوا: "ما تقول في رسول الله ﷺ". فيقول المرتاب: "لو كان لهذا، القدر الذي كان يدَّعيه في رسالته، لم يكن هذا الملك يكتفي عنه بمثل هذه الكناية"؛ فيقول عند ذلك: «لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا، فقلت مثل ما قالوه». فيشقى بذلك شقاء عظيمًا لم يكن يتخيَّله. فهذا من فتنة الممات والقبر. فاعلم ذلك. وقد فرغ التشهُد على التقريب والاختصار.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في التسليم من الصلاة

اختلفوا في التسليم من الصلاة. فمنهم من قال بوجوبه، وبه أقول. ومنهم من قال: ليس بواجب التسليم من الصلاة. واختلف القائلون بوجوبه؛ فمن قائل: الواجب من ذلك على المنفرد والإمام³ تسليمة واحدة. ومنهم من قال: اثنتين. ومن قائل: إنَّ الإمام يسلم واحدة، والمأموم يسلم اثنتين. وقد قيل عن صاحب هذا القول: إنَّ المأموم يسلم ثلاثًا: الواحدة للتحليل، والثانية للإمام، والثالثة لمن هو عن يمينه.

والذي يقتضيه النظر، إذا لم يكن هناك نصٌّ يوقِفُ عنده، لا في التوقيت ولا في التحجير، أن يزداد على الثالثة تسليمة رابعة للمأموم إن كان على يساره أحد، وللإمام تسليمتين، أو ثلاثة، من أجل التحليل إن كان الناس عن يمينه ويساره، فإن لم يكن عن يساره أحد فليسلم اثنتين: واحدة للتحليل والثانية لمن

1 ص 104

2 ص 104 ب

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

هو عن يمينه. والثابت عن رسول الله ﷺ أنه كان يسلم تسليمين، وما في الحديث ما يقتضي أن¹ الخروج من الصلاة يكون بعد التسليم.

واعلم أن السلام لا يصح من المصلي إلا أن يكون المصلي في حال صلاته مناجيا ربه، غائبا عن كل ما سوى الله من الأكوان والحاضرين معه. فإذا أراد الخروج من الصلاة، والانتقال من تلك الحالة إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة، سلم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلاته عند ربه. فإن كان المصلي لم يزل مع الأكوان والجماعة إن كان في جماعة- فكيف يسلم عليهم من هذه حالته؟ فإنه ما برح عندهم. فهلا استحيى هذا المصلي حيث يُري بسلامه من صلاته أنه كان عند الله في تلك الحالة؟.

فسلام العارف من الصلاة، لانتقاله من حال إلى حال؛ فيسلم تسليمين: تسليمة على من ينتقل عنه، وتسليمة على من قديم عليه. إلا أن يكون عند الله في صلاته، فلا يسلم على من انتقل عنه؛ لأن الله هو السلام فلا يسلم عليه².

فَضْلٌ بَلْ وَضِلْ

فما يقول الذي يرفع رأسه من³ الركوع، وفي الركوع

يقول العارف، الجامع لأكل الصلوات، إذا رفع رأسه من الركوع: "سمع الله لمن حمده" نيابة عن ربه - سبحانه - ومترجما عنه؛ فإنه من كلام ربه تبارك وتعالى- ثم يسكت. ثم يقول؛ يردّ على نفسه بلسانه: "اللهم ربنا ولك الحمد". وذلك أنه ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده. فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، فإن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» فلهذا يُستحب للمنفرد أن يسكت سكتة يفصل بها بين قوله: "سمع الله لمن حمده" وبين قوله: "اللهم ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد: لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد".

كما أنه يقول في حال ركوعه بعد قوله فيه: "سبحان ربّي العظيم وبحمده" ثلاث مرّات، إن كان منفردا أو مأموما. وإن كان إماما فإنه يقولها خمس مرّات، ليدرك المأموم أن يقولها ثلاثا. ثم يقول بعد هذا

1 ص 105

2 في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغت قراءة لظهير الدين محمود علي، وكتب ابن العربي".

3 ص 105 ب

التسبيح: "اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع¹ لك سمعي وبصري وعقلي وغضبي". اعلم أن العبد إذا ركع، فقد أعلمتك أنه في حال برزخ بين القيام والسجود، فنبول العارف بعد تسبيحه ربه بالتعظيم كما أوردناه، يقول: "اللهم لك ركعت". أي من أجل عزك، وعظمتك في كبرياتك خضعت تعظيماً لك، يقول: لقيومتك التي لا تنبغي إلا لك.

فإنني لما قمت بين يديك لم أقم إلا امتثالاً لأمرك، حيث قلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ² خِشَعاً﴾، وأنا أخضع في ركوعي من خاطرٍ ربما خطر لي في حال قباي أنني قمت لنفسي، فأعترف بين يديك بركوعي، أنني لك ركعت، "وبك آمنت" يقول: بسبيك أي بتأييدك صدقت، لا بجولي ولا بقوتي، أي لا حول لي ولا قوة إلا بك؛ إذ كانت القلوب بيدك التي هي محل الإيمان، "ولك أسلمت" أي من أجلك كان انقيادي، ولولاك ما تغيرت أحوالي معك في عباداتي؛ فإنك الذي شرعت لي ذلك على لسان رسولك، فعلاً وقولاً ﴿فَصَلِّ وَذَكَرْ﴾، ثم أمرنا فقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُوهُنَّ أَصْلَى» وأنت القائل: ﴿وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ³﴾ فعلمنا أنه مأمور بأن يأمرنا، فذلك أمرٌ لا أمره، فإنك القائل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ⁴﴾.

ثم يقول: "خشع لك سمعي" فيما كلمتني⁵ به في حال مناجاتي إليك بكلامك، ثم يقول: "وبصري" بـ"واو التشريك" وما تمَّ إلا الخشوع، فكأنه يقول: وخشع لك بصري حياء منك، لعلمي بأنك تراني في حال ركوعي بين يديك؛ فإنك "في قبلي"، كما أخبرني رسولك ﷺ، فأمرني أن أجعلك مشهوداً في صلاتي "كأنِّي أراك"، بل يا ربِّي؛ وإن مثلتُ في نفسي أنني أراك، فما أقدر أن أنكر علي أنك تراني، وما سبب الحياء مني إلا علمي بأنك تراني لا بأنِّي أراك، فإنه لا يمزب عنك مثل ذرة في السهوات ولا في الأرض، يا من يدرك الأبصار ولا تتركه الأبصار.

ويقول: "وعقلي وعظمي وعصي" فإنك جعلت في كل ما ذكرت، قوة يكون بها قوام نشأتي وثبات هيكلِي، لِتُخَصِّلَ نفسي بهذه القوى، لبقاء هذه الصورة المكلفة ما أمرتها به أن تُخَصِّلَ من المعرفة بك، فرمما خطر في وعظمي وعصي الموصوفين بالخشوع لك، لما كانت أسباباً لما ذكرناه، فيدركها لذلك عجب وزهو؛ فوجب على كل واحد من هؤلاء أن يخشع لك، بتبره من الحول والقوة في السببية؛ بأنك أنت

1 ص 106

2 [البقرة : 238]

3 [الحجم : 3]

4 [النساء : 80]

5 ص 106 ب

الذي تحفظ عليّ قوام نشأني لِتُحَصِّلَ معارفِي.

فإذا رفع العارف رأسه من الركوع، يقول نيابة عن ربّه، يُسمع نفسه خطاب ربّه: "سمع¹ الله لمن حمده" في قوله، في حال ركوعه: "سبحان ربّي العظيم وبحمده". وكلّ حمد وثناء حمده به وأثنى عليه به من أوّل شروعه في صلاته. ثمّ يَرُدُّ برّبّه على ربّه، بحضور نفسه من كونها برّبّه، بتأييده إياها في حَوْلها وقوّتها، فيقول: "اللهم ربّنا" فيحذف حرف النداء، لأنّ المصلّي في حال قُرب، والنداء يؤذن بالبعد، وأبقى المنادي وهو لبقاء نفسه في جواب ربّه- فيقول: "لك الحمد"، أي الثناء التامّ بما هو لك ومنك؛ فلا حامد ولا محمود إلّا أنت، فلّك عواقب كلّ مُنّي في العالم وكلّ مُشئى عليه، وهو قوله: "ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد".

يقول: كلّ جزء من العالم العلويّ والسفليّ وما بينهما، وما في الإمكان من الممكنات بما توجده ويبقى في العدم عينا ثابتة؛ كلّ جزء منه معلوم بحكم الوجود والتقدير، له ثناء خاصّ عليك، من حيث عينه وإفراده وجميعه وبغيره، في قليل الجمع وكثيره؛ أحمدك بلسانه ولسان كلّ حامد، من حمّدك لنفسك وحمّد ما سواك لك. فيكون لهذا الحامد بهذه الألسنة جميع ما يستدعيه من التجلّي الإلهي، ومن الأجور المحسوسة لأحل طبيعته وتركيبه؛ فإنّه حمده لسانا وقلبا، ظاهرا وباطنا.

وقوله: "أحقّ ما قال العبد" أي أوجب ما² يقوله عبدٌ مثلي، ولي أمثالٌ لمسيّد مثلك، ولا منك. "وكلّنا لك عبد" يقول: أنوب عن أمثالي وهم جميع الممكنات موجودها ومعدومها، ممن يقول بك في شمه عن حضور، وممن يقول بنفسه عن غيبة؛ فأنوب عنهم في حمّدك لمعرفتي بك التي منحتني، وجهلهم بما ينبغي لجلالك "لا مانع لما أعطيت" من الاستعداد لقبول تجلّ مخصوص وعلوم مخصوصة. "ولا معطي لما منعت": وإذا لم تعطِ استعدادا عامّا، فما ثمّ سيّد غيرك يعطي ما لم تعطِ أنت. "ولا ينفع ذا الجُدّ منك الجُدّ": أي من كان له حظّ في الدنيا؛ من سلطان وجاه ومال، وتحكّم وبغيرك، في علمه لا في نفس الأمر، لم ينفعه ذلك عندك في الآخرة عند كشف الغطاء.

. . .

فَضْلُ نَلِّ وَضَل

في السجود في الصلاة

فإذا سجد وسبَّح بربه الأعلى وبحمده، كما تقدَّم، يقول في سجوده بعد تسبيحه: "اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وشقَّ سمعه وبصره، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾¹ اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، واجعل لي نورا، واجعلني نورا".

يقول الغارف: "سجد وجهي" أي حقيقتي؛ فَإِنَّ وَجْهَ الشَّيْءِ حَقِيقَتُهُ لِلَّذِي خَلَقَهُ، أي قدره من اسمه "المبدِّع"، وأوجده من اسمه "القادر البارئ المصور"، وشقَّ سمعه بما أسمعه في "كن" وأخذ الميثاق ثمَّ التكليف، وبصره بما أدركه ليعتبر في المبصرات، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي حَقِّ هَذِهِ النَّشْأَةِ وَأَمْثَالِهَا. كما فطر السموات والأرض وفتَّقَهَا بعد رَتْبِهَا لِيَتِمَّزَا؛ فيظهر المؤثر والمؤثر فيه لوجود التكوين ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ إثباتا للأعيان ليصحَّ قوله: ﴿لَقَدْ نَزَّلْنَا نُورًا﴾³.

ثمَّ دعا بالنور في كلِّ عضو ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴ الذي مثله "بالمصباح في الزجاجة" مقام الصفاء في المشكاة، مقام الستر من الأهواء، فلم تصبه مقالات القائلين فيه بأفكارهم "الموقد بالزيت" المضىء بالمقاربة وهو حكم الإمداد من الشجرة، وهي الممدَّة؛ ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ في مقام الاعتدال: لا تميل عن غرض إلى شرق فيحاط بها علما، ولا إلى غرب فلا تُعلم رتبها ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ وجود على وجود: وجود جود عيني على وجود مفتقر. ثمَّ دعا بجعل النور في كلِّ عضو، والنفور هو النور. وكلَّ عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوة التي ركبها فيه وفطره عليها. ولما علم ذلك رسول الله ﷺ دعا أن يجعل الله فيه علما وهدى منفرا ظلَّمة دعوى كلِّ مدَّع من عالمه. هذا زبط هذا الدعاء.

وآخر ما قال: "اجعلني نورا" يقول: اجعلني أنت، فإنه ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فهناك قال الحق تعالى: «كُتِبَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَرِجْلُهُ وَيَدُهُ وَلِسَانُهُ» عندما يسمع ويصر. ويتكلَّم ويبطش ويسمى يقول: اجعلني نورا يهتدي بي كلُّ من رآني في ظلمات برِّ ظاهره، وبجر نفسه وباطنه. فأعطاه القرآن، وأعطانا

1 [المؤمنون : 14]

2 ص 108

3 [يونس : 24]

4 [النور : 35]

5 ص 108 ب

الفهم فيه. فإنّ هذه المنحة من أعلى المنح في رتبة هي أسنى المراتب. ومعناه غيبي عني، ولكن أنت بوجودي؛ فيرى بصري كلّ شيء بك، ويسمع سمعي كلّ مسموع بك. فإنّ نور كلّ عضو إدراكه. وهكذا جميع ما فصله، ولكن بنور يقع به التمييز بين الأنوار، ولذلك نكره في كلّ عضو وفي نفسه وذاته. فيتميّز نور الشمال من نور اليمين، ونور الفوق من نور التحت. وكذلك أنوار القوى والجوارح. ثمّ أقفني بعد هذا في عين الجمع والوجود؛ فتتحد الأنوار بأحدية العين. فإن لم أكن هناك، فيجفلك إياي¹ نورا. وإن كنت هناك فيجفلك لي نورا أهتدي به في ظلمات كوني².

* * *

فصلٌ بَلّ وَضَل

فما يقول المصلّي بين السجدين في الصلاة من الدعاء

يقول المصلّي إذا جلس بين السجدين في الصلاة: اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني واجبرني واهدني وعافني واعف عني. يقول العارف: استرني واستر من أجلي: استرني من الخالفات حتى لا تعرف مكاني فتقصدي³، (واستر من أجلي) نفسك عني إذ قد قلت: إنّ سُبْحَاتِكَ مُخْرِقَةٌ أَعْيَانِ كُلِّ موصوف بالوجود، وإن كان وجودك. ولكن كما أثر في الممكن صفة الوجود ولم يكن بالوجود موصوفا، كذلك أثر نسبته إلى الممكن، أن قيل فيه: "موجود" وإن كان مقيّدا بالحدوث.

ولكنّ الحضرة الإلهيّة موصوفة بالغيرة على وجودها من أجل دعوى هذا المدعي. فلو لم تصدر منه الدعوى لما تسلّط عليه. ولا بدّ (أنّه) إذا ارتفعت الحجب أن تحرق السباحات⁴ ما أدركه البصر. من الخلق، يعني (الخلق) الطبيعي. فإنّ عالم الأمر أنوار فلا يحترق، بل يندرج في النور الأعظم. فإنّ عالم الأمر ما عنده دعوى. فيحترق عالم الخلق فيصير رمادا. فما ألحقه بالعدم فبقي رمادا لا دعوى له. فإذا ما أغدِث سيوى الدعوى: بإحالة العين التي أعطى استعدادها الدعوى، إلى عين ما لها دعوى.

وقوله: "وارحمني" برحمة الوجوب التي لا تحصل إلّا بعد رحمة الامتنان، بما أعطيتني من التوفيق لتحصيل رحمة الوجوب، حتى أكون كلّ شيء وسيعته رحمتك. فيطلب العارف رحمة الامتنان في عين

1 ص 109

2 في الهامش: "بلغ".

3 "استرني من الخالفات... فتقصدي" مضافة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب

4 ص 109 ب

(رحمة) الوجوب: بالتوفيق للعمل الصالح الموجب لرحمة الاختصاص. فيريد أخذها من عين المنة التي يطلبها إبليس وأشياعه من الجحيم والإنس مع وصف هذا العارف بالمصمة والحفظ عن الخالفة والخذلان الموجب للحرمان.

ثم يقول: "وارزقني" يعني من غذاء المعارف¹ الذي يحيا به قلبي، كما رزقني من غذاء الجسوم ما أقيمت به جسدي الطبيعي وهيكلتي. ثم يقول: "واجبرني"، الجبر لا يكون إلا بعد كسر.. وهو المهيض في اللسان. والمهيض² هو المكسور بعد جبر، وهو كسر العارفين. فإن العبد مكسور في الأصل بإمكانه. لجبره إنما هو بأن ألحقه (الله) بالوجوب ولكن بغيره. فلما أوجده (الله) بهذا الجبر كسرت معرفته بنفسه وبربه؛ فردته إلى إمكانه. فهذا كسر بعد جبر. والجبر لا يكون إلا عن كسر. فلهاذا قلنا: هو المهيض في اللسان. كما أيضا يقول: "واجبرني" يعني: أوقفني على جبري في اختياري. فإن العبد مجبور في اختياره. ولما نشأهون إلا أن يشاء الله رب العالمين³. يقول الله: «أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلي».

ثم يقول: "واهديني" بين لي ما شقي، ووقفني للبيان في الترجمة عنك لعبادك بما عياني من جوامع الكلم، ليصح وزني من رسولك ﷺ، فإنه قال ﷺ: «أعطيت بيتا لم يظلهن نبي قبلي» وذكر منها فقال: «وأوتيت جوامع الكلم».

ثم يقول: وعافني من أمراض القلوب التي هي أغراضها، لا من أمراض الجسوم؛ فإنك في غاية القرب عند من أمرضت جسمه. فإنك قلت لي⁴ في الخبر الصحيح، الذي بلغه إلي رسولك ﷺ عنك أنك قلت: «مرضت فلم تغذي. فأقول لك: وكيف تمرض وأنت رب العالمين؟! فقال لي ﷺ: إنك تقول مجيئا لي: إن عبيد فلانا مرض فلم تعده، أما أنك لو عدته لوجدتني عنده». ومن أنت عنده سبحانه. فما شقي، وما أمرضت عبذك إلا لتعوده، وتكون عنده. فمن أراد أن يجذك فليمد المرضي. سبحانه تسبيحا لا ينهي إلا لك.

ثم يقول: "واعف عني" يقول كثر خيرك لي، وقُل بلاءك عني، أي قل ما ينهي أن يتحلل، وكثر ما

1 يمكن قراءتها أيضا في ق: العارف.

2 ص 110

3 [انسكور: 29]

4 "يقول الله: أنا" ثابتة في الهامش

5 ص 110 ب

ينبغي أن يُكثَّر. وليس إلا عفوك عن خطيئتي التي طلبتُ منك أن تسترني عنها، حتى لا تصيبني فأَتَصَفَّ بها. والعفو من الأضداد: يُطْلَقُ بإزاء الكثرة والقلة. فَنُسِبَ عَنِّي يَا رَبِّ- فَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ التَّحَرُّكَ إِلَى مَا أَمَرْتَنِي بِعَمَلِهِ، لِإِمْرَاتِي مَعَ إِرَادَتِي التَّحَرُّكَ.

* * *

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في القنوت في الصلاة

اختلفوا¹ في القنوت، فمن قائل: إنَّه مستحبٌّ في صلاة الصبح، ومن قائل: إنَّه سنَّة. ومن قائل: إنَّه لا يجوز القنوت في صلاة الصبح، وإنما موضعه الوتر. ومن قائل: يقنُ في كلِّ صلاة. ومن قائل: لا قنوت إلا في رمضان. ومن قائل: لا قنوت إلا في النصف الآخر من رمضان. ومن قائل: في النصف الأول من رمضان. وهو دعاء يدعو به المصلِّي. ومنهم من يراه قبل الركوع، ومنهم من يراه بعد الركوع. ومن الناس من لا يرى القنوت إلا في حال الشدَّة، وبه أقول. وهو مستحبٌّ عندي.

وقد روي في صفة قنوت الوتر دعاء خاص. وقد روي في قنوت الصبح دعاء خاص لم يثبت. فليدع من يرى القنوت بأيِّ شيء شاء بحسب حاله. غير أنَّه يجتنِبُ السَّبَّ واللعنة في القنوت. وليدع بخير الدنيا والآخرة. وما يُزَلَّفُ عند الله مثل ما ثبت في قنوت الوتر من قوله ﷺ: «اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ»²، وتولَّني فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وباركْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي- وَلَا يَقْضِي³ عليك، وإنَّه لَا يَذَلُّ مِنَ الْوَيْلِ، وَلَا يَضِلُّ مِنْ هَدَيْتَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ» فهذا⁴ تعليم من النبي ﷺ كيف ندعو الله في قنوتنا، وفي كلِّ دعاء.

فالعارف ينظر فيما علم أن ندعو به أو بما يشبهه. فهو يطلب من الله أن يهديه فِيمَنْ هَدَاهُ. فإن وقف مع صفة اللفظ، فهو يطلب في المستقبل أن يكون في الماضين. والمستقبل لا يكون في الماضي إلا إن جمعهما وجهًا. فينظر العارف فيجد أنَّ الجامع بين الماضي والمستقبل إنما هو العدم، إذ كان الوجود لا يصحُّ إلا للحال. والوجود لا يكون إلا لله. فإنَّ وجود الحال وجودٌ ذاتي لا يصحُّ فيه العدم، وله اللوام. وبهذا

1 ص 111

2 "وعافني فِيمَنْ عَافَيْتَ" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

3 ق: قضى

4 ص 111 ب

وَصَفَهُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَالُوا فِي تَقْسِيمِ الْأَفْعَالِ: إِنَّ فِعْلَ الْحَالِ يَسْمَى الدَّائِمَ. وَهُوَ مُوجِدٌ بَيْنَ طَرَفَيْ عَدَمٍ لَا يُمْكِنُ فِيهِمَا وَجُودُ أَصْلًا، وَهُوَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ. وَهُوَ عَيْنُ الْعَبْدِ. فَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْعَدَمِ. فَتَقِيْدُهُ بِالْمَاضِي - وَهُوَ الْعَدَمُ - وَبِالْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ عَدَمٌ. فَ"أَهْدِنِي" لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَ"هَدَيْتُ" لِلْمَاضِي. وَالْعَدَمُ لَا يَقَعُ فِيهِ تَمْيِيزٌ. فَلِهَذَا شَرَعَ لَهُ أَنْ يَقُولَ: "أَهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتُ" وَأَمْثَالَهُ.

فَإِذَا حَصَلَتِ الْهِدَايَةُ، وَهُوَ عَيْنُ وَجُودِ الْحَالِ، وَالْحَالُ ¹ ظَرْفٌ مُحَقَّقٌ، وَلِهَذَا جَاءَ بِـ"فِي" فَقَالَ: "فِيمَنْ". وَالْعَدَمُ لَا يَكُونُ ظَرْفًا؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا شَيْءَ، وَالْعَدَمُ عِبَارَةٌ عَنْ لَا شَيْءَ، وَلَا شَيْءَ لَا يَكُونُ ظَرْفًا لِغَيْرِ شَيْءٍ. فَالْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ: "أَهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتُ" وَأَمْثَالُهُ بِقُوَّةِ مَا تَطْبِيعُ "فِي"، أَيْ: إِذَا كُوتِي وَجُودَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوَلَّى، وَمَا وَقَعَ السُّؤَالُ فِيهِ؛ فَيَكُنْ فِي الْحَالِ الَّذِي لَهُ الدَّوَامُ: فَلَا يُوَصَفُ بِالْمَاضِي فَيُلْحَقُ بِالْعَدَمِ، وَلَا بِالْمُسْتَقْبَلِ وَلَا يَكُونُ لَهُ وَجُودٌ. وَالْحَقُّ مَنْزَعٌ عَنِ التَّقْيِيدِ فِي أَفْعَالِهِ بِالزَّمَانِ.

وَالْعَبْدُ الَّذِي هُوَ الْخَلْقُ: فِي الْمَاضِي مَوْصُوفٌ بِـ"لَيْسَ"، وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ مَوْصُوفٌ بِـ"لَيْسَ"، وَفِي حَالِ اتِّصَافِهِ بِالْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ مَوْصُوفٌ بِـ"أَيْسَ". فَكَمَا أَنَّ "لَيْسَ" لَهُ حَقِيقَةٌ لَا يَنْفَكُ عَنْهَا، بَلْ هِيَ عَيْنُهُ، كَذَلِكَ "أَيْسَ" الَّذِي هُوَ الْوُجُودُ، هُوَ لِلْحَقِّ سَبْحَانَهُ - حَقِيقَةٌ، لَا يُوَصَفُ بِنَقِيضِهِ، بَلْ الْوُجُودُ عَيْنُهُ. وَإِنْ سَلَبَ عَنْ نَفْسِهِ الْفِعْلَ، وَأَضَافَهُ إِلَى السَّبَبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُؤَثِّرٍ فِي وَجُودِهِ لِلْحَقِّ: لِأَنَّا نَحْقُقُنَا مِنْ أَنَّ الْعَبْدَ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَفِي ذَلِكَ قَلْنَا:

تَقُولُ ² يَهُمُ وَتَقْتَبِهِمْ وَمَاذَا	بِتَخْقِيقِي؟ فَقُلْ لِي ³ مَا أَقُولُ؟
أَقُولُ يَهُمُ وَهَلْ عَلِمُوا بِأَنِّي	أَقُولُ يَهُمُ؟ فَقُلْ لِي مَا تَقُولُ
إِذَا عَبْدٌ تَحَقَّقَ إِذْ يَقُولُ	بِأَنِّي قَائِلٌ وَهُوَ الْمَقُولُ ⁴
أَأَغْتَبُ مِثْلَهُ وَالْقَلْلُ تَقْتِي	فَقُلْ لِي مَا تَقُولُ وَمَا تَقُولُ

يَقُولُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ فِرْعَوْنَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁵ وَهُوَ سَبْحَانَهُ - الْأَعْلَى حَقِيقَةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّنَا

1 ص 112

2 ص 112 ب

3 وكتب فوقها مباشرة بقلم الأصل ومن دون شطب: "فِي" مما فهم منه صحة اللفظين، وفي س: فِي

4 بجانب هذا الشطر من البيت عبارة بقلم الأصل من غير إشارة للصواب: "فَلْيَقُلْ عِنْدَ مَطْعَةِ الْقَوْلِ" مما فهم منه صحة المعبرين.

5 [النازعات: 24]

الأعلى. ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى¹ العبرة في ذلك للعالم؛ فإن الله وصف العلماء بالخشية فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² فيعتبر العالم كما أخبر الله من أين أخذ فرعون؟ وهذه صفة الحق ظهرت بلسان فرعون. فَعَلِمَ أَنَّهُ مَا قَالَهَا نِيَابَةٌ عَنِ الْحَقِّ كَمَا يَقُولُ الْمَصْلِيُّ: "سمع الله من حده". فلما غاب عن النيابة في ذلك القول، طلبت الصفة موصوفها، فرجعت³ إلى الحق عَجَلًا وبقي فرعون مُفَرَّيًّا عنها، على أنه ما لبسها قط عند نفسه، فإن الله قد طبع على كل قلب متكبر جبار أن تدخله كبرياء. إذ لا ينبغي ذلك الوصف إلا لمن لا يتقيد. فهو الأعلى عن التقييد.

فكان الجزاء لفرعون لعيبته عن هذا المقام، أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى، أي أوقفه على تقييده أنه ليس له هذا الوصف. ﴿فَالْأُولَى﴾ للماضي وهي كلمة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁴ و﴿الْآخِرَةُ﴾ للمستقبل، وهي كلمة: ﴿إِنَّا نَحْكُمُ الْأَعْلَى﴾⁵ وهما عندنا أن الله أخذه ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ في الأولى. فاطلع بما أعلمه الله في أخذه ذلك، عن الإطلاق الذي ادّعاء بالتقييد الذي هو النكال. فإن النكال في اللسان هو القيد، ولما رأينا الله قد عبّر بالنكال، عرفنا أن النقيض هو الذي سلبه: وهو الإطلاق.

ففي موطن يقول سبحانه: ﴿ادْعُونِي﴾⁶، وفي موطن يُعَرِّفُنَا بِأَنَّهُ قد قضى - القضية؛ وما يبدل القول لديه؛ وما سبق العلم به فهو كائن، ولا ينبغي حذر من قدر، وفي ذلك قلت بيتين فيها رمز حسن، وهما:

إِذَا قُلْتُ: يَا اللَّهُ؛ قَالَ: لِمَا تَدْعُو وَإِنْ أَنَا لَمْ أَدْعُو يَقُولُ: أَلَا تَدْعُو؟

فَقَدْ قَارَ بِاللِّغَاتِ مَنْ كَانَ أَخْرَسًا وَخُصَّصَ بِالرَّاحَاتِ مَنْ لَا لَهُ سَمْعٌ

فينبغي للعبد إذا قرأ القرآن، أو تكلم بما تكلم به، أو كلمه غيره، أو سمع من سمع بأي لسان كان يتكلم، فإنه ليس في العالم صمت أصلا، فإن الصمت عدم، والكلام على الدوام؛ إذ فائدة الكلام الإفهام بالمقاصد للسامعين؛ والأحوال مُفَهِّمَةٌ، وهي الكلام، ولا يخلو موجود أن يكون على حال ما، فحالُه هو عين كلامه، لأنه المُفَهِّمُ الذي ينظر إليه ما هو عليه في وقته. فلا لسان أفصح من لسان الأحوال، وقرائن الأحوال تفيد العلوم التي تجيء بطريق العبارات، والعبارات من جملة الأحوال عندنا. فاضطلع في

1 [النازعات : 25، 26]

2 [فاطر : 28]

3 ص 113

4 [التقصص : 38]

5 [النازعات : 24]

6 [غافر : 60]

7 ص 113 ب

الاصطلاح اسم الكلام على العبارات؛ والعارفون بالله عندهم الوجود كله كلمات الله (التي) لا تنفد أبدا.

فافهم ما ينبغي للعبد أن يعرف من ذلك إذا سمع كلاما أو تكلم هو، أن يفرق ما بين ما هو العبد فيه نائب عن الله، وما هو الله¹ فيه مترجم عن العبد. ويميز ذلك بالصفة: فإن الصفة تطلب موصوفها، فإنه لا يقبلها إلا من هي له. فإذا تضمنت الكلام صفة لا تنبغي إلا للعبد: فالعبد صاحبها وإن وصف الحق بها نفسه. وإذا تضمنت الكلام صفة لا تنبغي إلا لله: فالله صاحبها وإن وصف العبد بها نفسه. فهكذا نعتبر الكلام كله بمن وقع؛ سواء كان بالعبارات أو بالأحوال.

فهذا معنى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾² وهو العالم. وقوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا نَعْمَدُ فِي الْقِصَّةِ. وَالَّذِي تَقْدَمُ فِي الْقِصَّةِ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ وَأَخَذَ اللَّهُ لَهُ ﴿نَكَالَ الْأَخْزَةِ وَالْأُولَىٰ﴾. أَيْ هَذِهِ الدَّعْوَى أَوْجِبَتْ هَذَا الْأَخْذَ، وَأَنَّ الصِّفَةَ طَلِبَتْ مَوْصُوفَهَا وَهُوَ اللَّهُ - وَبَقِيَ فِرْعَوْنُ غَرِيْبًا عَنْهَا. فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ يَحْمِيهِ عَنِ الْأَخْذِ. يَقُولُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ: «جَعَلْتُ فَلَمْ تَعْلَمْنِي» نِيَابَةً عَنْ عَبْدٍ جَاعَ فَلَمْ تَطْعَمِهِ. فَطَلِبْتَ الصِّفَةَ مَوْصُوفَهَا وَهُوَ الْعَبْدُ (هنا)، فَهَكَذَا فَهَمُ الْعَارِفُونَ الْحَقَائِقَ.

فصول بل وصول

في³ أفعال الصلاة

فصل بل وصل

في رفع الأيدي في الصلاة

اختلف العلماء في رفع الأيدي في الصلاة، أعني في حكمها، وفي المواضع التي يرفعها فيها، وفي حدّ الرفع فيها إلى أين ينتهي بها؟. فأما الحكم فمن قائل: إن رفع اليدين ستة في الصلاة. ومن قائل: إنه فرض. وهؤلاء انقسموا أقساما: فمنهم من أوجب ذلك في تكبيرة الإحرام فقط، ومنهم من أوجب ذلك في الاستفتاح، وعند الانحطاط إلى الركوع، وعند الرفع من الركوع، ومنهم من أوجب ذلك في هذين الموضعين، وعند السجود.

1 ص 114

2 [النازعات : 26]

3 ص 114 ب

وأما المواضع التي ترفع فيها الأيدي في الصلاة. فمن قائل: عند تكبيرة الإحرام فقط. ومن قائل: عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع. ومن قائل: يرفعها عند السجود وعند الرفع من السجود، وهو حديث وائل بن حجر. ومن¹ قائل: إذا قام من الركعتين، وهو رواية مالك بن الحويرث عن النبي ﷺ. وأما أنا فرأيت رسول الله ﷺ في رؤيا مبشرة، فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع.

وأما الحد الذي تُرفع إليه اليدين. فمن قائل: إلى المنكبين. ومن قائل: إلى الأذنين. ومن قائل: إلى الصدر. ولكل قائل حديثٌ مرويٌّ أثبتنا إلى المنكبين؛ وحديث الأذنين أثبت من حديث الصدر. والذي أذهب إليه في هذه المسألة أن الأحاديث المروية في ذلك إنما هي في حكاية فعله ﷺ ما روي أنه أمر بذلك. وقد قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي» ومعلوم أن الصلاة تحوي على فرائض وسنن. فلا يفهم من هذا الحديث أن أفعال الصلاة فرضٌ جميعها، لمعارضة الإجماع لهذا المفهوم. فلنصلها، ونرفع أيدينا في علم الشارع من غير تعيين فرض أو سنة، كما أحرم علي بن أبي طالب بإحرام النبي ﷺ حين لم يعلم بما أحرم، وأقره على ذلك رسول الله ﷺ وما أنكر عليه. فنرفع أيدينا في الصلاة على² حكم الشرع فيها، فنقبلها على ذلك الحكم.

وأما الحد؛ فلهذه فيه أنه بفعله يقتضي التخيير. فإن الأحاديث وردت بحدود مختلفة فعلية. فأية حالة فعل المصلّي أجزأته، فرضا كان أو سنة؛ والأولى الرفع إلى الأذنين. ولكن ينبغي أن يكون رفعهما على الصدر إلى حنو المنكبين إلى الأذنين، فيجمع بين الثلاثة الأحوال. وكذلك المواضع تَعْمُها كلها عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع، وعند السجود، وعند الرفع من السجود، وعند القيام من الركعتين؛ فإن ذلك لا يضره؛ فإنه قد ورد، وما ورد أن ذلك يطل الصلاة، فما ورد ما يعارض ذلك.

وغاية المفهوم من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب أنه «كان ﷺ يرفع يديه عند الإحرام مرة واحدة لا يزيد عليهما»، (أي) أنه رفع مرة واحدة، لم يصنع ذلك مرتين عند الإحرام. ويحتمل أن يريد بقولها: "لا يزيد عليهما" أي لا يرفعها مرة أخرى في باقي الصلاة. فما هو نص. وقد ثبتت الزيادة برفعه عند الركوع، وعند الرفع منه، وغير ذلك. والزيادة من المثل الثقة مقبولة. فالأولى رفعهما في جميع المواطن التي جاءت

الرواية بالرفع فيها.

وأما اعتبارُ العارف في ذلك؛ فَإِنَّ رَفْعَ الأَيْدِي يُؤْذَنُ بِأَنَّ الَّذِي حَصَلَ فِيهَا قَدْ سَقَطَ عِنْدَ رَفْعِهَا، فَكَانَ الْحَقُّ يَقُولُ لَهُ مَعْلَمًا: إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ فَقِفْ فَقِيرًا مَحْتَاجًا لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، وَكُلَّ شَيْءٍ مَلَكَتْكَ إِيَّاهُ فَارْمِ بِهِ، وَقِفْ صَفَرَ الْيَدَيْنِ وَاجْعَلْهُ خَلْفَ ظَهْرِكَ، فَإِنِّي فِي قِبَلَتِكَ. وَلِهَذَا يَسْتَقْبَلُ بِكَفِّهِ قِبَلَتَهُ قَائِمَةً لِيَنْفَعَهُ أَنَّهُ صَفَرُ الْيَدَيْنِ مِمَّا كَانَ فِيهَا. ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا حَطَّهَا، رَجَعَتْ بَطُونُ الْأَكْفِ تَنْظُرُ إِلَى خَلْفٍ، وَهُوَ مَوْضِعُ مَا زَمَنَتْهُ مِنْ يَدِهَا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ -أَحْوَالِ الصَّلَاةِ- مَا يَنْتَضِيهِ جِزَاءُ ذَلِكَ الْفِعْلِ. فَإِذَا مَلَكَهُ تَرْكُهُ، وَأَعْلَمَ الْحَقُّ، بِرَفْعِ يَدَيْهِ، أَنَّهُ قَدْ تَرَكَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَرَكَهُ. وَقَدْ تَوَجَّهَ طَالِبًا فَقِيرًا صَفَرَ الْيَدَيْنِ إِلَى الْوَهْبِ الْإِلَهِيِّ. فَيُعْطِيهِ أَيْضًا. فَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَهِيَ خَالِيَةٌ. هَكَذَا فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْفَعُ فِيهَا يَدَيْهِ.

وقد يرفعها من باب الحول والقوة، إِذْ كَانَتْ مَحَلُّ الْقُدْرَةِ الْإِيمَانِيَّةِ؛ فَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ مُعْتَرِفًا أَنَّ الْإِقْتِدَارَ لَكَ لَا لِي، وَأَنَّ يَدِي خَالِيَةٌ مِنَ الْإِقْتِدَارِ. فَمَنْ رَفَعَهَا إِلَى الصَّدْرِ اعْتَبَرَ كَوْنُ الْحَقِّ فِي قِبَلَتِهِ، وَمَنْ رَفَعَهَا إِلَى الْأُذُنَيْنِ اعْتَبَرَ كَوْنُ الْحَقِّ فَوْقَهُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾²، فِي كُلِّ خَفَضٍ وَرَفَعٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ، يَقُولُ بِذَلِكَ الرَّفْعِ مِنْ يَدَيْهِ: "أَنَّ لَا حَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ فِي كُلِّ خَفَضٍ وَرَفَعٍ، وَأَنَّ الْقُوَّةَ لَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ".

انتهى الجزء التاسع والثلاثون، يتلوه في الجزء الأربعين⁴.

1 ص 116

2 (الأنعام : 18)

3 ص 116 ب

4 الجملة تاجية في الهامش بقلم الأصل

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الركوع وفي الاعتدال من الركوع

اختلف العلماء في الركوع وفي الاعتدال من الركوع. فمن قائل: إنه غير واجب ومن قائل بوجوبه.

الاعتبار في ذلك:

الخضوع واجب في كل حال إلى الله تعالى- باطنا وظاهرا. فإذا اتفق أن يقام العبد في موطن يكون الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبروته وعظمته لِعِزِّ المؤمن وعظمته وجبروته، فيظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع. ففي ذلك الموطن لا يكون الخضوع واجبا، بل ربما الأولى إظهار صفة ما يقتضيه ذلك الموطن. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾¹. هذا موطن يجب أن تكون المعاملة فيه كما ذكر.

وقال في الموطن الآخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾² فهو من باب إظهار عزة الإيمان بعز المؤمن. ويثبت أن رسول الله ﷺ قال في غزوة وقد تراءى الجمعان: «من يأخذ هذا السيف بحقه، فأخذه أبو دجانه، فمشى به بين الصَّيْنِ خِيَلًا مُظْهِرًا الإعجاب والتبخر. فقال رسول الله ﷺ: هذه مشية يبغيها الله ورسوله إلا في هذا الموطن». فإذا علمت أن للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها، تكن حكما. ثبت أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي علمه فروض الصلاة: «اركع حتى تطمئن راکعا، وارفع حتى تطمئن واقفا» فالواجب اعتقاد كونه فرضا.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في هيئة الجلوس

فمن قائل: يفضي بآليته إلى الأرض، وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى، والرجل والمرأة في ذلك على السواء. وقال آخرون: ينصب الرجل اليمنى ويقعد على اليسرى. وفرق آخرون بين الجلسة الوسطى والآخرة، فقال: في الوسطى ينصب اليمنى ويقعد على اليسرى، وقال: في الجلسة الآخرة يفضي بآليته إلى

1 [آل عمران : 159]

2 [التوبة : 73]

3 ص 117

الأرض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى. وكلّ قائل له¹ مستند إلى حديث، فما فعل من ذلك أجزاءه.
الاعتبار في ذلك:

الجلوس في الصلاة جلوس العبد بين يدي السيّد، وليس له أن يجلس إلا أن يأمره سيّدُهُ. وقد أمر المصلّي بالجلوس في الصلاة. قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا عبدٌ، اجلس كما يجلس العبد» فأحسن الحالات في الجلوس في الصلاة هو الجلوس الذي يكون فيه أقرب إلى الوقوف بين يدي سيّده، هنا إذا كان حال العارف حال ما ينبغي أن يكون عليه العبد من حيث ما هو عبدٌ.

وإن كان العارف في محلّ النظر في أصل معرفته بنفسه ليعرف ربّه، فالأوّل في جلوسه أن ينفضي بأليته إلى الأرض في آخر جلوسه ولا بدّ. فإنّه أقرب إلى النظر في ذاته، بخلاف الجلسة الوسطى فإنّ جلوسه فيها عارضٌ عرض له من الحقّ أجلسه أي ردّه في النظر إلى نفسه لمعرفة يرمد تحصيلها؛ فيكون كالمستوفز لأنّه مدعوٌّ إلى الوقوف، وهي الركعة الثالثة، والطمأنينة في الركوع والسجود.

وأحوال الانتقالات كلّها في أحوال الصلاة² المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلّى له فيها، لأنّه إذا أسرع بأدنى ما ينطلق عليه اسم رايح، يفوته علم كبير لا يناله إلا من ثبت. فلنأمر بالطمأنينة في هذه المواطن؛ فإنّ العجلة من الشيطان، إلا في خمس، وهي مذكورة في بابها. فالمسارعة إلى الحركات مشروع بعد الثبات والاطمئنان - في الخير الذي أنت فيه؛ فلا مناقضة بين الطمأنينة والمسارعة.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الجلسة الوسطى والأخيرة

اختلف العلماء في الجلسة الوسطى والأخيرة. فقال في الوسطى: إنّها سنة وليست بفرض. وشذّ قوم فقالوا: إنّها فرض. والأصل الذي أعتمد عليه في أفعال الصلاة كلّها أن لا تُحمّل أفعاله ﷺ على الوجوب حتى يدلّ اللبيل على ذلك. وأمّا الجلسة الأخيرة فبعكس الوسطى، والأكثرون أنّها فرض. وشذّ قوم فقالوا: إنّها ليست بفرض. ومن قائل: إنّ الجلستين سنة وهو أضعف الأقوال. وهي³ الجلوس في وُثْر من الصلاة يُذكر بعد هذا لمن شاء الله - في فصله.

1 ص 117 ب

2 ص 118

3 ص 118 ب

أما الجلسة الوسطى فإنها كما قلنا: عارض عرض لأجل القيام بعدها إلى الركعة الثالثة. والعارض لا يتنزل منزلة الفرض، ولهذا سجد من سها عنه، وفُرق بينه وبين الركن إذا فاتته. ولم يقترن بالجلسة الوسطى أمرٌ فيُحمل على الوجوب. وإنما هو أمر عارض عرض للمصلي في مناجاته من التجليات البرزخيات دعاه أن يُسلم عليه لما شرع فيه من التحيات. فلما رأى أن ذلك المقام يدعوه إلى التحية تعين عليه أن يجلس له، كما تقرر عليه في الجلسة الآخرة التي هي فرض.

والحكمة في ذلك، المشهودة، أن أصل الصلاة يقتضي الشفعية، للقسم المذكورة فيها بين الله وبين العبد. فأقلها ركعتان، إلا الوتر فإن له خصوص وصف أذكره في الوتر إذا جاء إن شاء الله. ولما ثبت عين الشفع بوجود الركعتين، فتميز الرب من العبد فقد حصل المقصود. فلا بد من الجلوس كما يكون في صلاة الصبح، وفي الصلاة الليلية مثنى مثنى، وفي صلاة السفر. وقول الراوي في أول فرض الصلاة: إنها¹ فرضت ركعتين ثم زُيد في صلاة الحضر، وأقرت في السفر على الأصل. فلما عرض لهذا الشفع في الصلاة الثلاثية والرابعة أن الشيعين إذا تألفا صحَّ على كل واحد منهما اسم الشيعين.

ومن الناس من قال: كنا شيئا واحدا، وقد تألف بوجود الركعتين الأوليتين نسبة شيعية الصلاة للعبد، وبقي نسبة شيعية الصلاة للرب، فإنه قال عن نفسه: إنه يصلي علينا. فكانت الركعتان في الرابعة لهذا. ولما أراد أن يفصل بين الشيعيتين الأوليين الآخرين ليمتزا، فصل بينهما بالجلسة. وهذا هو العارض الذي عرض له حتى جلس، فإن فاتته سجد له، ولم يأت به كما يأتي بالركن إذا فاتته.

وأما وقوع الجلوس بعد الثنتين في المغرب فلأمر آخر خلاف هذا. وما هي بجلسة وسطى لأنه ليس بعدها ركعتان؛ فهي في الثلاثين، وفي الرابعة في النصف. وذلك أن ينبّه بأن الشيعين إذا تألفا كانا شيئا واحدا. فذلك الواحد هو عين الركعة الثالثة من المغرب. يشير بأن هاتين الركعتين المقسمتين بين عبد ورب، هي في المعنى واحدة. لأن المعنى الواحد يتضمن الثاني من جميع وجوهه. وليس الآخر كذلك: لأن الآخر يتضمنه من وجه ولا يتضمنه من وجه. فمن الوجه الذي² يتضمنه ظهرت للرابعة ركعتان بعد الجلسة الوسطى: الركعة الواحدة للواحد، لتضمنه معنى الآخر. والآخرى للآخر، لتضمنه معنى³ الأول.

1 ص 119

2 ص 119 ب

3 ق: مع

ويبقى الوجه الواحد الذي لا أخ له بمنزلة الوتر الذي زادنا الله إلى صلاتنا، وهو ركعة واحدة لا ثاني لها، وهو الوجه الذي يتفرد به الحق عتاً من حيث ذاته.

وصورة ذلك في المعارف: أنَّ العبد يطلب الواجب الوجود لنفسه، لأنه ممكن، فلا بدَّ له من مرجع. فالعبد يتضمَّن الربَّ بوجوده بلا شكَّ. فركعة المغرب أَكْثَفُ بها لأنها تتضمَّن الثانية. ووجود الواجب لنفسه له وجهٌ لِتَضَمُّنِ الممكن: وهو وجهُ كونه إلها قادراً مريداً. فقد تكون ركعة المغرب إلهية من هذا الوجه. وله سبحانه- وجهٌ أيضاً إلى نفسه، لا يتضمَّن وجود الممكن جملة واحدة. وهو الغنى الذي له على الإطلاق. فهو بالنظر إليه سبحانه- لا يلزم من النظر فيه من حكم ذاته وجود العالم ولا بدَّ. إلا أن يُنظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن، فتظهر النسب عند ذلك. وكونه قادراً فيطلب المقذور، ومريداً فيطلب المراد. فالوتر المفروض المراد له هو الوجه الذي للحق من حيث ما لا يطلب الأكوان¹ ولا تحمله الأكوان إذا لم يُنظر في نواتها.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾² والعالمون هنا هم الدلالات على الله. فهو يقول في هذه الآية إنَّه غنيٌّ عن الدلالات عليه. فرفع أن يكون بينه وبين العالم نسبةً ووجهٌ يربطه بالعالم من حيث ذلك الوجه الذي هو منه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وهو الذي يستيه أهل النظر وجه البلبل. يقول الحق: ما تم دليل عليّ، فيكون له وجه يربطني به، فأكون مقبداً به. وأنا الغني العزيز الذي لا تقتديني الوجوه، ولا تدلُّ عليّ أدلةُ الحداثات.

فدليلُ الحقِّ على الحقِّ (هو) وجودُ الحقِّ في عين وجود الممكن للممكن، من حيث ما هو وجوؤه وجودُ عين الحقِّ، لا من حيث إنَّه موجود عن الحقِّ، أو مفتقر إلى الحقِّ. فإنَّ الممكن لا يفتقر إلا لأمر ممكن، يعني أنَّه يمكن أن يحصل له ويمكن أن لا يحصل، والافتقار إلى الممكن من الممكن محال، والافتقار إلى الواجب بنفسه من الممكن في غير ممكن محال. فلا افتقار لممكن ولا لواجب أصلاً.

فالواجب الوجود غنيٌّ على الإطلاق. والممكن ليس بفقير لممكن على الإطلاق، ولا لغير ممكن. فإنَّ تحصيل ما ليس بممكن لممكن محال. فالحقُّ لا يحصل منه في العبد شيء³، ولا للعبد منه شيء. فالظاهر من الممكنات وأعيانها (هو) وجودُ الحقِّ، والممكنات باقية على أصلها من الإمكان، لا تبرح أبداً. فعنى

1 ص 120

2 [آل عمران : 97]

3 ص 120 ب

الاستفادة هي دلالة الحق بوجوده عليها لا دلالتها عليه: فإنها لا تدلّ عليه أبدا.

فالنظر في هذه المسألة يتوهم أنّ الكون دليل على الله، لكونه ينظر في نفسه فيستدلّ. وما علم أنّ كونه ينظر راجع إلى حكم كونه متصفاً بالوجود. فالوجود هو الناظر، وهو الحق. فلو لم تتصف ذاته بالوجود فبماذا كان ينظر؟ فما نظر إلّا الحق في الحق، فأنتج له الحق نفسه؛ فقال: عرف الله الله. وهو مذهب الجماعة. إذا ضربت الواحد في الواحد كان الخارج واحدا فانهم.

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

في التكليف في الصلاة

اختلف العلماء في وضع إحدى اليدين على الأخرى في الصلاة. فكرهها قوم في الفرض وأجازها في النفل. ورأى قوم أنّها من سنن الصلاة. وهذا الفعل مروي عن رسول الله ﷺ. كما روي في صفة صلاته أيضا أنّه لم¹ يفعل ذلك. وقد ثبت أيضا أنّ الناس كانوا يؤمرون بذلك.

اعتبار ذلك عند أهل الله:

تختلف أحوال المصلي بين يدي ربه ﷻ في قيامه بحسب اختلاف ما يناجيه به. فإن اقتضى ما يناجيه به التكليف تكثف، وإن اقتضى السندل² رهو إرسال اليدين - أرسلها. كما أنّه إذا اقتضت الآية الاستغفار استغفر، وإذا اقتضت الدعاء سأل، وإذا اقتضت تعظيم الجناح العالي عظم، وإذا اقتضت السرور سر، وإذا اقتضت الخشوع خضع. فهو بحسب ما يناجيه به. فلذلك ما ينبغي أن يقيّد المصلي في مناجاته بصفة خاصّة. ولهذا قال بالتخير في هذه المسألة، من قال. وكلّ هذه الهيئات جائزة وحسنة.

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

في الانتهاض من وثر صلاته

ذهبت طائفة (إلى) أنّ المصلي إذا كان في وثر من صلاته أن لا ينهض حتى يستوي قاعدا. واختار آخرون أن لا يقعد وإن² انتهض من سُجُودِهِ نَفْسِهِ.

اعتبار أهل الله في ذلك:

المصلّي بحسب ما يدعوه الحقُّ إليه؛ فإن دعاه وهو في حال سجوده إلى القعود فقد ثمَّ ينهض، وإن دعاه إلى النهوض نهض؛ فهو بحسب ما يُلقى إليه في نفسه. وقد تقدّم الكلام في الجلوس في الصلاة قبل هذا، فلتَجَرَّ على ذلك الاعتبار.

وأما الجلوس بين السجدين؛ فهو ليجمع في سجوده بين السجود عن قيام، والسجود عن قعود. فمن السجود عن الجلوس، يقف منه على أسرار نزول الحقِّ من العرش الذي استوى عليه سبحانه. بالاسم الرحمن إلى السماء الدنيا. فيكون العبد في حال جلوسه بين السجدين يناجي "الرحمن" من حيث أنّه استوى على العرش. وفي سجوده من جلوسه يناجي الحقَّ بالاسم "الربّ" من حيث نزوله إلى عباده في الثلث الباقي من الليل. فيتجلّى له من هذه الأحوال ما يكون له به مزيد علوم مما تعطيه ما تضمنته هذه الأحوال من الذِّكْر والدعاء والهيئات، كلٌّ على حسب شُربه.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

فيما يضع في الأرض إذا هوى إلى السجود

اختلف الناس فيما يضع المصلّي في الأرض إذا هوى إلى السجود؛ هل يضع يديه قبل ركبتيه أم لا؟ فذهبت طائفة إلى وضع اليدين قبل الركبتين. وذهب قوم إلى وضع الركبتين قبل اليدين.

اعتبار أهل الله في ذلك:

اليدان محلُّ الاحتدار، والركبتان محلُّ الاعتدال. فمن اعتمد على ربه مع الاحتدار الذي يجده من نفسه، كالجلوس مع القدرة، قال بوضع الركبتين قبل اليدين. ومن رأى أنّ اليدين محلُّ العطاء والكرم، ورأى قوله تعالى: ﴿فَقْنَمُوا يَتَى يَدَيَّ نَحْوَآكُمْ صَدَقَةٌ﴾¹ قدّم اليدين على الركبتين.

ثمَّ إنّ المصلي لا² يخلو من إحدى حالتين: إمّا أن يعطي وهو صحيح صحيح يخشى الفقر ويأمل الحياة، وإمّا أن يعطي وهو من الثقة بالله والاعتدال على الله بحيث أن لا يخطر له الفقر والحاجة ببال؛ لعلّ به أن

1 ص 122

2 [المجادلة: 12]

3 ص 122 ب

الله أعلم بمصالحه. فمن كانت هذه حالته قَدَم ركبته على يديه. وَمَنْ كانت حركاته الشَّخَّ يجاهد نفسه خشي-
الفقر وبذل المجهود من نفسه في العطاء؛ قَدَم يديه على ركبته.

والساجدُ أيُّ حال قَدَم من هاتين الحالتين فَإِنَّ الأخرى تحصل له في سجوده ولا بدَّ. فمن اعتمد وتوكل؛
حصل له صفة الجود والإيثار، وجميع مراتب الكرم والعطاء. ومن أعطى الله عن جبن وفزع؛ أثمر له ذلك
العطاء بهذه الحال؛ التوكل والاعتماد على الله. والذي رَجَّح الشارحُ تقديمَ اليدين.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في السجود على سبعة أعْظَم

اتَّفَقَ العلماءُ رحمهم الله على أَنَّهُ من سجد على الوجه واليدين¹ والركبتين وأطراف القدمين فقد تَمَّ سجوده.
واختلفوا إذا سجد على وجهه وَنَقَضَ عضو من تلك الأعضاء؛ هل تبطل صلاته أم لا؟ فمن قائل: تبطل.
ومن قائل: لا تبطل. ولم يختلفوا أَنَّ مَنْ سجد على جبهته وأنفه فقد سجد على وجهه، واختلفوا فِيمَنْ سجد
على جبهته دون أنفه، أو على أنفه دون جبهته. فمن قائل: إِنَّ من سجد على جبهته دون أنفه جاز، وإن
سجد على أنفه دون جبهته لم يجز. ومن قائل: إِنَّه يجوز أن يسجد على أنفه دون جبهته، وعلى جبهته دون
أنفه. ومن قائل: إِنَّه لا يجوز إِلَّا أن يسجد عليها معا.

والاعتبار في ذلك:

السبع الصفات ترجع إليها جميع الأسماء الإلهية وتتضمنها، وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة،
والكلام، والسمع، والبصر. فلو نقص منها صفة أو نسبة على الاختلاف الذي بيننا في كونها نسباً أو
صفات- فقد بطل الجميع. أي لم يصحَّ كون الحقِّ إلهاً؛ وهو² اعتبار الذي لا يجيز الصلاة إِلَّا بالسجود على
السبعة الأعضاء. فإنها للحضرة الإلهية بمنزلة الأعضاء لهذا الساجد.

والذي يقول: إِنَّ الوجه لا بدَّ منه بالاتفاق، كالحياة من هذه الصفات، التي هي شرط في وجود ما بقي
من الصفات السبع أو النسب على الاختلاف الذي بيننا. فمن عالم يقول: إِنَّ السمع والبصر- راجعان إلى
العلم، وإنَّ العلم يعني عنهما، وإِنَّهما للعلم مرتتان عَيْنُهما المسموعُ والمبصرُ، فهما من العلم تعلقٌ خاص، قال

1 ص 123
2 ص 123ب

بجواز الصلاة إذا نقص عضو من هذه الأعضاء مع سجود الوجه كالحياة.

ولمّا كانت الحياة تقتضي الشرف والعزة لنفسها على سائر الصفات والأسماء لكون هذه الصفات في وجودها مشروطة بوجود الحياة، وكانت العزة والحياة مرتبطتين كالشيء الواحد، مثل ارتباط الجبهة والأنف في كونها عظاما واحدا، وإن كانت الصورة مختلفة. فمن قال: إنّ المتصوّذ الوجه وأدنى ما ينطلق عليه اسم الوجه يقع به الاجتزاء؛ أجاز السجود على الأنف دون الجبهة، وعلى الجبهة دون الأنف. كالنبي¹ يرى أنّ الذات هي المطلوبة الجامعة.

ومن نظر إلى صورة الأنف وصورة الجبهة، ونظر إلى الأولى باسم الوجه فغلب الجبهة، وأنّ الأنف، وإن كان مع الجبهة عظاما واحدا، لم يُجزّ السجود على الأنف دون الجبهة لأنّه ليس بمعظم خالص، بل هو للعضوية أقرب منه إلى العظميّة، فتميّز عن الجبهة. فكانت الجبهة المعتبرة في السجود؛ كذلك الحياة هي المعتبرة في الصفات. وأنّ العزة وإن كانت لها بالإحاطة فإنّ العلم له الإحاطة أيضا فاشتركا. فلم ير للعزة أثرا في هذا الأمر.

ومن قال: لا بدّ أن يكون وجه الحقّ منيع الحمى عزيزا لا يُغالب، قال بالسجود على الجبهة والأنف معا. ولمّا كان الأنف محلّ التنفّس، والتنفّس هو الحياة الحيوانيّة، كانت نسبته إلى الحياة أقرب النّسب.

وبوجود هذه "السبعة" تمّ نظام العالم، وكان (أي العالم) مألوها مربوبا. ولم يبق في الإمكان حقيقة إمكانيّة تطلب أمرا زائدا على هذه السبعة. فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم². لأنّه ليس في الوجود أكمل من الحقّ، وكماله في ألوهته بهذه الصفات المنسوبة إليه سبحانه. فلو³ انضمت صفة واحدة من هذه الصفة أو نسبة، لم تصحّ المرتبة التي أوجدت العالم، ولم يكن للعالم وجود، وقد وجّه، فالمرتبة موجودة.

فالكمال حاصل والارتباط معقول، ولو ارتفع السبب لارتفع السبب، ولو زال السبب من العقل لم يجد السبب من يظهر فيه أثره، فيزول كونه سببا. وكونه سببا إنّما هو لذاته؛ فينعدم السبب لانعدام

1 ص 124

2 في الهامش بخط آخر مع إشارة الصحيح والإدخال هنا: "ولما ارتبط العالم بهذه السبعة، فكانت هذه السبعة لو انضمت هيء منها لانعدم الجميع، لذلك لو انضمت ذرة من العالم من حيث عدم هيولها انعدم العالم كله، وإنه أيضا موقوف على هذه، فلو زال السبب زال السبب". وأضيف إليها حرف: خ

3 ص 124 ب

المسبَّب من كونه سببا لا غير، لا من حيث العين المنسوب إليها السببية: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾¹ من ذاته. وكلامنا إنما هو من كونه إلها. فكلامنا في المرتبة لا في العين. كما نتكلم في السلطان من كونه سلطانا، لا من كونه إنسانا. ولا فائدة في الكلام إلا في حقائق المراتب، لأنَّ بها تعقل التفاضل بين الأعبان.

يقول أبو طالب المكي رحمه الله: "إِنَّ الْأَفلاك تدور بأنفاس العالم". وإذا أعطى الأمر ما في قوته، بحيث لا يبقى عنده شيء يعطيه، هلك من كونه معطيا. والمعتبر في بقاء العالم إنما هو عين جوهره، الذي أظهرت كونه صورة ما. فالصور لا يلزم من انعدام شيء منها، انعدام العالم من حيث جوهريته، إلا أن لا تكون الصورة أصلا، فيعدم العالم من حيث جوهره لانعدام جميع الصور. ويتعلَّق² بهذا الباب مسائل من الإلهيات كثيرة.

فَصْلٌ بَلَّ وَضَل

في الإقعاء

أريد أن أعطي أصلا في هذه المسألة يسري في جميع مسائل الشرع، فنقول: إنَّ الشارع إذا أتى بلفظٍ ما فإنه يحمل ذلك اللفظ على ما هو المفهوم منه بالمصطلح عليه في لغة العرب، إلى أن يُخصَّص الشارع ذلك اللفظ بوصف خاص، يخرج به بذلك الوصف عن مفهوم اللسان المصطلح عليه. فإذا عيَّن الشارع ما أَراده بذلك اللفظ؛ صار ذلك الوصف بذلك اللفظ أصلا. فمتى ورد اللفظ به من الشارع فإنه يُحمَل على المفهوم منه في الشرع، حتى يَدُلَّ دليل آخر من الشرع، أو من قرائن الأحوال، أنه يرهَّد بذلك اللفظ المفهوم منه في اللغة، أو أمرا³ آخر يُعَيِّنُهُ أيضا. هذا مطَّرد في جميع ما يتلفَّظ به الشارع، ومثاله: لفظة الوضوء، والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وأمثال هذا.

ثم نرجع إلى ما نحن بسبيله، فأقول: إنَّ الإقعاء المفهوم منه في اللغة؛ إقعاء الكلب والقرد. وصِفَتَه أن⁴ يجلس الرجل على أَلْيَتَيْهِ، يفضي- بهما إلى الأرض، في الصلاة، ناصبا فخذه. فهذه صفة الإقعاء، إقعاء الكلب والسُّبُع. ولا خلاف أذكر بين العلماء أنَّ هذه الهيئة ليست من صفات الصلاة. وقد ورد النهي عن الإقعاء في الصلاة. فنحن نحمله على الإقعاء المعروف في اللسان؛ فإنَّ خصَّصه الشرع بهيئة مخصوصة

1 [آل عمران : 97]

2 ص 125

3 ق: "أو أمر"

4 ص 125 ب

تخرجه عن المفهوم منه في اللسان منطوق بها، وقفنا عندها، ونعلم أنّ تلك الهيئة هي التي نهي عنها.

فقلت طائفة: إنّ الإقعاء المنهي عنه؛ هو أن يجعل أليته على عقيه بين السجدين، وأن يجلس على صدور قدميه. وروي عن ابن عمر أنّه كان يفعل ذلك، لأنّه كان يشتكي قدميه. والثابت عن ابن عمر أنّ قعود الرجل على صدور قدميه ليس من سنّة الصلاة. وكان ابن عباس يقول: الإقعاء على القدمين في السجود على هذه الصفة هي سنّة نبيكم ﷺ.

الاعتبار في ذلك:

هيئة الإقعاء (هي) هيئة المستوفز المحتفز. وهكذا ينبغي¹ أن يكون العبد مع الله في أحواله. ولهذا قال ابن عباس: "الإقعاء سنّة نبيكم ﷺ". فإنّ العبد ينبغي أن يكون على هيئة الاحتزاز، من أجل ورود أوامر سيّده عليه؛ لا يفعل مراقبا لها، حتى إذا وردت عليه؛ وجدته متبينا لقبول ما جاءته به، فسارع إلى امتثالها. ولهذا الحالة أثنى على من هذه صفة بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾² وفيهم قال: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾³ وكلّ من يطلب المسارعة في الأمور يكون حاله اليقظة والحضور والانتباه والاستيفاز والاحتزاز، فاعلم ذلك.

فيخرج النهي عن الإقعاء في الصلاة؛ أن لا يقفّل (المصلّي) من حيث التشبّه بالكلاب والسباع في ذلك، وليفعل ذلك من حيث أنّه مشروع على الهيئة المعقولة المنقولة في الموطن المنقول إلينا. فإنّه من صفة الإقعاء اللغوي أن تكون يدها في الأرض كما يعض الكلب، وليس هنا في الهيئة المشروعة في الإقعاء.

فهذا قد ذكرنا من أفعال الصلاة وأقوالها ما يجري مجرى الأصول لما يترق منها.

فصل⁴ بل وصل

في ذكر الأحوال في الصلاة

وبعد أن ذكرنا أكثر الأقوال والأفعال في الصلاة، فلنتقل إلى الأحوال؛ مثل صلاة الجماعة، وحكمها، وشروط الإمامة، ومن أؤتى بالتقديم، وأحكام الإمام الخاصة به، ومقام الإمام من المأموم، وأحكامهم

1 ص 126

2 [المؤمنون : 61]

3 [فاطر : 32]

4 ص 126 ب

الخاصة بهم، وما يتبع المأموم فيه الإمام مما ليس يتبعه فيه، وصفة الاتباع، وما يحمله الإمام عن المأموم، والأشياء التي بها إذا فسدت صلاة الإمام تعدت إلى المأموم على حسب ما فصلته الأئمة من علماء الشريعة، واختلاف العلماء في ذلك، ونذكر اعتبارات ذلك كله عند العلماء بالله بحسب ما يقتضيه الطريق إلى الله في أعمال القلوب والأسرار؛ فإن هذا الطريق عند أصحاب النوق ما هو طريق قل.

فلنذكر أولاً، قبل ذكر هذه الأحوال، حديثين مما يتعلق بأقوال الصلاة وأفعالها التي في الفصل قبل هذا؛ فيها كالحاتمة له، وإنما جعلتها في "فصل الأحوال" حاجة ¹ في نفس يفتقوب قضاها وإنه لنو علم لما غلغناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ². الحديث الواحد في تعليم النبي ﷺ الصلاة للرجل الذي سألته أن يعلمه كيف يصلي، والحديث الثاني في صفة صلاة رسول الله ﷺ تسليماً.

أما الحديث الأول فهو حديث البخاري عن أبي هريرة، وذكر حديث الرجل الذي دخل المسجد وصلى، فقال له رسول الله ﷺ: «إرجع فصل فإنتك لم تصل» فقال الرجل: «علمني يا رسول الله» فقال له رسول الله ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکها، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا، ثم اعمل ذلك في صلاتك كلها» وله في طريق أخرى: «ثم ارفع حتى تستوي قائماً» يعني من السجدة الثانية ³.

وقال علي بن عبد العزيز، عن رفاعه بن رافع، في هذا الحديث: إن الرجل قال للنبي ﷺ: «لا أدري ما عبث علي» فقال النبي ﷺ: «إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، ويفسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله ويحمده ويمجده، ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه ويسر، ثم يكبر ويركع؛ فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يقول: سمع الله لمن حمده، ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه، ويقم صلبه، ثم يكبر فيسجد، ويمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعداً على مقدمته، ويقم صلبه» فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ، ثم قال: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك» خرجه النسائي وهذا أثبت.

وقال النسائي في طريق آخر عن رفاعه أيضا: «إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُكَ، وَإِنْ انْتَقَصَتْ مِنْهَا شَيْئًا؛ انْتَقَصَ مِنْ صَلَاتِكَ وَلَمْ تَذْهَبْ كُلُّهَا» وقال في أوله: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَتَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تَشَهَّدْ، فَأَقِمْ ثُمَّ كَبِّرْ» قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث ثابت.

الحديث الثاني: وأما الحديث الثاني فهو الذي خرَّجه أبو داود في صفة صلاة رسول الله ﷺ عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال: سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو قتادة قال أبو حميد: أَنَا أَغْلَمُكُمْ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قالوا: فليُفِ؟ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ بِأَكْرَبَ لَهُ تَبَعًا، وَلَا أَقْدَمًا لَهُ صَحْبَةً. قال: بلى. قالوا: فاعرض، قال:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَجَازِيَ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يَكْبِرُ حَتَّى يَمُرَّ كُلُّ عَظْمٍ فِي مَوْضِعِهِ مَعْتَدِلًا، ثُمَّ يَقْرَأُ، ثُمَّ يَكْبِرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَجَازِيَ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَعْتَدِلُ فَلَا يَنْصَبُ رَأْسَهُ وَلَا يَتَنَبَّهْ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَجَازِيَ مَنْكِبَيْهِ مَعْتَدِلًا، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ فَيَجَازِي يَدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيُثْبِتِي رِجْلَهُ الْيُسْرَى فَيَقْعُدُ عَلَيْهَا، وَيَفْتَحُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ إِذَا سَجَدَ، وَيَسْجُدُ.

ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَرْفَعُ وَيُثْبِتِي رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَقْعُدُ عَلَيْهَا حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَضْوٍ إِلَى مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يَصْنَعُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِذَا قَامَ مِنَ الرُّكْعَتَيْنِ كَبَّرَ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَجَازِيَ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، كَمَا كَبَّرَ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ. ثُمَّ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ صَلَاتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ السَّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا التَّسْلِيمُ: أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَقَعَدَ مَتَوَرِّكًا عَلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ» قالوا: صدقت، هكذا كان يصلي ﷺ.

وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اعْتَدَلَ قَائِمًا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَجَازِيَ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، وَقَالَ فِي الرَّفْعِ مِنَ الرُّكْعَةِ: "اعْتَدَلَ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى مَوْضِعِهِ مَعْتَدِلًا". وكذلك بين السجدين، وزاد في آخره ثم سلم. وقال هذا حديث حسن صحيح.

وهذا ابتداء فصول الأحوال لمن شاء الله - نذكرها فصلا فصلا.

. . .

فصول الأحوال

فَصْلٌ بَلْ وَضَل

في¹ ذِكْر ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة

واختلفوا في صلاة الجماعة: هل هي واجبة على مَنْ سمع النداء أم ليست بواجبة. فمن قائل: إنها سنة. ومن قائل: إنها فرض على الكفاية. ومن قائل: إنها فرض متعين على كل مكلف.

الاعتبار في ذلك:

لما شرع الله للمصلي أن يقول: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ جنون الجمع- دلّ على أنّه مطلوب بكلّ جزء منه بالصلاة معاً في حال واحد. ولهذا سُمّيت التكبير الأولى بتكبير الإجماع. أي يحرم على العبد في صلاته أن يتصرّف بعض من أعضائه فيما ليس من الصلاة، وكلّ ما أبيع له من الفعل فيها فهو من الصلاة. ولكن لا من صلاة كلّ مصلٍّ إلاّ يُنْضَلْ عَرْضُ له في صلاته من ذلك شيء ففعله. وهي أمور منصوطة عليها. وكلّ فعل يجوز أن يُفعل في الصلاة فهو صلاة لأنّ الشارع عيّنها، فلا تبطل الصلاة بفعل شيء منها.

فحضور جماعة العبد مع الله تعالى- في² الصلاة واجب بلا شك. فعلى كلّ عضو من أعضائه في الصلاة صلاة. وأقلّ ما ينطلق عليه اسم الجماعة اثنان. يقول الله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين». ووصف نفسه بأنّه يصلي علينا. وقد أدخل نفسه مع العبد في الصلاة. وكلّ يصلي مع ربّه بلا شك؛ فهو في جماعة بلا شك، ويكون الحقّ إماماً والعبد مأموماً؛ لأنّه هو الذي يقمّه ويقمده، ويكون العبد إماماً في المناجاة؛ فإنّ الله جعل ابتداء القول إليه. فما ثمّ مصلٌّ فذا.

فإن غاب عن الحضور مع الله في هذه الصلاة، فقد انفرّد في هذه العبادة بنفسه دون ربّه، وهذا هو الفذّ في الاعتبار. وهو على هذا، وإن كان في جماعة من عالمه فهو في حكم الفذّ. والفذّ الآخر أن يفرد الصلاة للرّبّ لقلبة مشاهدته إيّاه وفنائه عن نفسه، فلا يشهد نفسه مصلياً، مع شهود وقوع الصلاة منه برّه؛ فهذا أيضاً يلحق بصلاة الفذّ.

فإذا كوشف العبد على كلّ جزء منه في صلاته أنّه مسبّح بحمد ربّه في صلاته- وكلّ جزء فإنّ عن نفسه بشهوده- فهو، من حيث ما هو بمجموع، في جماعة؛ فله أجر الجماعة، وله أجر الفذّ بكلّ جزء منه،

بالغا ما بلغت أجزاؤه¹. فإن شئت قلت: إنه صلى فناء، وإن شئت قلت: إنه صلى في جماعة، والحق (هو) الإمام.

ثم إن من العارفين من يقيمه الحق في مقام الإمامة، ويكون الحق مأموماً، وذلك مثل قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلُ حَتَّى تَمْلُوا» فهو يجري معك ما دمت تجري معه، وهو قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾² وقوله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ» فهذا معنى³ الإمام والمأموم. فهو سبحانه - قدّمك في هذا الموضع وأمّاله. ومثل: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾⁴. ومثل إمامته بك: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ في دعائه إياهم، ثم يدعونه اقتداء بدعائه؛ فيجيبهم بإجابته إياه. فانظر ما أكرم هذا الرب، مع الغنى المطلق الذي وصف به نفسه؛ كيف ربط نفسه بعبده في جميع ما أمره به من العبادة، ذلك هو الفضل المبين.

فصل بَلِّ وَضَل

فمن صلى وحده ثم أدرك الجماعة، أو صلى في جماعة ثم إنه أدرك جماعة أخرى اعلم أنه من صلى ثم أتى المسجد فلا يخلو من أحد وجمين: إما أن صلى منفرداً أو في جماعة، فإِنْ كَانَ صَلَّى منفرداً، فمن قائل: يعيد معهم كل الصلوات إلا المغرب فقط، وقالت طائفة: يعيد إلا المغرب والعصر. وقالت طائفة: إلا المغرب والصبح، ومن قائل: إلا الصبح والعصر. وقالت طائفة: يعيد الصلوات كلها.

وأما إذا صلى في جماعة؛ فهل يعيد في جماعة أخرى؟ فمن قائل: يعيد. ومن قائل: لا يعيد.

وأما مذهبنا في مثل هذه المسألة: إن الجماعة فرض إذا قدر عليها، فإن لم يقدر عليها فيصلّى منفرداً، فإن أدرك الجماعة ولو كان صلى في جماعة - فإنه يصلّي مع الجماعة إذا أدركها؛ إجابة لندائه في الإذاعة: "حيّ على الصلاة"، وهي له نافلة في الحالتين، وله أجر الجماعة إذا لم يقدر عليها.

وصل في اعتبار ذلك في النفس:

1 ص 130

2 [البقرة : 152]

3 ربما كانت في ق: "يعني" نظراً لتقارب شكل الياء والميم في الكتابة عند الشيعة وعدم كتابة النقاط.

4 [البقرة : 186]

5 ص 130 ب

لَمَّا عَنِ الشَّارِعِ الْمُنَاجَاةَ لِلصَّلَاةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ¹ الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: «وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» إِعْلَامًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ مَشَاهِدَةِ الْحَقِّ فِيهَا عَلَى وَجْهِ أَتَمٍّ مِنْ مَشَاهِدَةِ الْأَشْجَاعِ فِي قَوْلِهِ فِي الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وَمَا خَصَّ عِبَادَةً مِنْ عِبَادَةٍ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾² وَهُمْ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ- فِي كُلِّ حَالٍ يَرْضِيهِ، وَلَا حَالٍ أَشْرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ لَجْمَعِهَا بَيْنَ الشُّهُودِ وَالْمُنَاجَاةِ؛ وَقَالَ: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وَالطَّهَارَةُ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ.

وَالْحُبُّ يَتِمُّ وَيُسْتَهْمِي أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي مَشَاهِدَةِ مَحْبُوبِهِ عَلَى الْيَوْمِ وَمُنَاجَاتِهِ، فَكَيْفَ إِذَا دَعَاهُ الْحَبِيبُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ" فَبِالضَّرُورَةِ يَبَادِرُ وَيَسَاقِي إِلَى مَا دَعَاهُ لِيَلْتَمِذَ بِشُهُودِهِ وَمُنَاجَاتِهِ.

فَيَرَى مَنْ هَذَا حَالُهُ إِعَادَةَ الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ مَتَى أَقْبَمَتْ وَدَعِيَ إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ صَلَّى مُنْفَرِدًا أَوْ فِي جَمَاعَةٍ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْفَذِّ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا.

وَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَعِيدُ الصَّلَاةَ، فَهَمُّ الْعَارِفُونَ. كَمَا أَنَّ الَّذِينَ يَرُونَ الْإِعَادَةَ، هُمُ الْهَاجُونَ. وَذَلِكَ أَنَّ الْعَارِفِينَ عَلِمُوا أَنَّ الْإِعَادَةَ مُحَالٌ؛ وَأَنَّ التَّجَلِّيَ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي صَلَاتِهِ غَيْرُ التَّجَلِّيِ الَّذِي يَكُونُ لَهُ فِي الصَّلَاةِ الْأُخْرَى، إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى. فَلَمَّا اسْتَحَالَ عِنْدَهُ التَّكْرَارُ وَالْإِعَادَةُ لِلاتِّسَاعِ³ الْإِلَهِيِّ، لَمْ تَصَحَّ عِنْدَهُ الْإِعَادَةُ.

فَالْحُبُّ يَصَلِّي مُعِيدًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ. وَالْعَارِفُ يَصَلِّي لَا عَلَى حِجَّةِ الْإِعَادَةِ، وَهُوَ يَعْرِفُ. فَالْعِلْمُ أَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ. وَالْحُبُّ أَشْرَفُ الْأَحْوَالِ. وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ الْمَحَبَّةُ وَالْمَعْرِفَةُ- يَقُولُ بِالْإِعَادَةِ لِلتَّجَلِّيِ، وَبِعَدَمِ الْإِعَادَةِ بِالْمُتَجَلِّيِ لَهُ. فَلَهُ الْأَوَّلِيَّةُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، فَرَضًا كَانَتْ أَوْ قَلًّا.

وَأَمَّا مَنْ لَا يَرَى إِعَادَةَ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّ الْمَغْرِبَ وَثَرْتُهُ الْعَبْدُ، وَالْوَتْرَ اللَّيْلِيَّ وَثَرْتُهُ الْحَقُّ. فَإِنَّ وَتَرَ اللَّيْلِ رُكْعَةً وَاحِدَةً. وَالْأُحْدِثُ لَهُ تَعَالَى وَجَلَّ-. وَوَتْرُهُ الْمَغْرِبُ ثَلَاثَ رُكْعَاتٍ. فَجَمْعُ (الْمَغْرِبِ) بَيْنَ الشُّغْعِ وَالْوَتْرِ. وَهُوَ أَوَّلُ الْأَفْرَادِ. وَ﴿إِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ﴾ فَلَا يَرَى الْعَبْدُ رُتْبَةً مِنْ حَيْثُ شَفَعِيَّتِهِ، وَإِنَّمَا يَرَاهُ مِنْ حَيْثُ وَثَرِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ.

1 ص 131
2 [البقرة : 222]
3 ص 131 ب

والله وترية الفردية في كونه إلهًا، ووترية الأحدية من كونه ذاتًا. وإذا رأى العبد ربه من حيث وتريته الإلهية الفردية، من تلك الوترية الإلهية الفردية، يرى وترية الذات الأحدية لا من جهة وترية العبد الفردية؛ فلم ير الله إلا بالله، فلو أعاد المغرب، لصارت وترية العبد شفعا، فلم يكن يرى ربه وترا أبدا. فقال: بترك الإعادة للمغرب دون غيرها من الصلوات.

ومن قال بإعادة المغرب، قال: يعيدها بوترية الفردانية الإلهية لا بوتريته. فتبقى وتريته على فرديتها لا¹ تصير شفعا بإعادة صلاة المغرب؛ فإن الحق مميّز عن الخلق بلا شك من كل وجه.

وأما من لم ير إعادة الصبح؛ فإن الصبح الأول عين الفرض، وكذلك العصر- والصبح الثاني والعصر- الثاني هما نافلة. والإنسان في أداء الفرض عبد محض، عبودية اضطرار. وهو في النفل عبد اختيار. وعبودية الاضطرار أشرف في حقه من عبودية الاختيار؛ لأن له في عبودية الاختيار الامتنان بالاسترقاق، قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُوتُ عَلَيْكُمْ إِنْ هَذَاكَ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾².

ولما شبه الحق رؤية العباد إياه برويتهم الشمس، صار للشمس عندهم منزلة رتبة، ولا سميّا للمحبين، لكون الحبيب ضرب برويتها المثل في رويته في التشبيه. فهم إذا رأوها كأنهم يرون الله، لأن رؤيتهم إياه تذكّرهم ما وعدم الله به من رويته، فيريدون أن لا تطلع الشمس عليهم إلا وهم موصوفون بعبودية الاضطرار، ولا تقرب عنهم الشمس إلا وهم أيضا في عبودية الاضطرار، كما يريدون رؤية الله في حال الاضطرار والعبودية المحضة، فإنّ لنتها أتم وأحلى، كما أنّ رؤيتها أتم وأجلى.

ولتكون الشمس في غروبها وطلوعها تقول لربّها: "تركاهم غيبه اضطرار، وأتيناهم وهم غيبه اضطرار"، كما تقول الملائكة الذين³ يرجون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيسألهم الحق غلظ وهو أعلم بهم: «كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركاهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلّون». فلا تصرف عنهم الملائكة الذين كانوا معهم، ولا تأتهم الملائكة الآخر إلا عند شروعهم في الصلاة؛ سواء قاموا إليها في أول الوقت أو في آخره؛ كل إنسان لا تصرف عنه ملائكته إلا كما قلنا.

1 ص 132

2 (الحجرات : 17)

3 ص 132 ب

ولهذا عند أهل الإيمان وأهل الكشف؛ أنَّ المصلِّي إذا أراد أن يكبر تكبيرة الإحرام في ص - لصبح
والعصر، يقول: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" لأنَّهم، في ذلك الوقت، تصرف عنهم الملائكة الذين
كانوا فيهم، وتردُّ عليهم الملائكة الذين يأتون إليهم، وهم عند إتيانهم يسلمون على العبد، وعند انصرافهم
يسلمون أيضا. والله قد أمرنا بقوله: ﴿وَإِذَا خِيتُمْ بِخِيتَةٍ فَخُيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾¹. فوجب على كلِّ
مؤمن عنده حقُّ إيمانه وحقيقته أن يردَّ في ذلك الوقت السلام عليهم، وإلا فهو طُفَرٌ في إيمانه إن حضر-
مع هذا الخبر، وتذكَّره في ذلك الوقت. وأمَّا صاحب الكشف فهو على علم عَيْن، والمؤمن على بصيرة.

ومن استثنى العصر- دون الصبح، رأى أنَّه لا يستقبل الغيب إلا بعبودية الاضطرار، لأنَّ الغيب
(هو) الأصل، وهو هويَّة الحقِّ، ولا يفارق الغيبُ الهويَّة، قال: والصبح خروجٌ من الغيب² إلى الشهادة،
فلا أبالي بالشهادة على أيَّة حالة كُت من العبودية: من اضطرار أو اختيار؛ لأنَّ الفرض الوقوف في
العبودية، وأنَّ الشهادة محلَّ الدَّعوى؛ لأنَّه محلَّ الحركة والمعاش وروية الأغيار وحجائيات الأفعال.

ومن استثنى الصبح دون العصر، قال: أريد أن استقبل الاسم الظاهر بعبودية الاضطرار، ولا أبالي
باستقبال الليل بأيَّ عبودية استقبلته: بعبودية الاضطرار ولا بعبودية الاختيار. ولهذا تنقل بعد العصر-
رسولُ الله ﷺ وما تنقل بعد الصبح فقط. وذلك أنَّ هذا الذي مذهبه النفل بعد العصر- لمن شاء- يقول:
الليل له الغيب، ولهُ الاسم الباطن، وله من القوَّة بحيث أنَّه يجعلني مضطرا، شئتُ أم أبيتُ، وليس النهار
كذلك. فإن استقبلته بعبودية الاختيار فهو يحكم عليَّ سلطانه، ويردني مضطرا. فكلُّ طائفة راعث أمر ما
في الاعتبار في الصلوات التي لا ترى إعادتها إذا صلَّتها، وقد تقدَّم معرفة المنفرد والجماعة.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

فَمِنْ (هُوَ) أَوَّلَى بِالْإِمَامَةِ

قال³ رسول الله ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ». فقالت طائفة: «أَفْقَهُهُمْ لَا أَقْرَأُهُمْ». فهذه مسألة
خلاف بين أصحاب هذا القول وبين رسول الله ﷺ. فإني سألت القائلين بهذا المذهب: هل بلغكم هذا
الحديث؟ فاعترفوا، فقالوا: رويناه وعلمناه. ويقول رسول الله ﷺ أقول، ولا حجة للقائلين بخلاف ما قاله.

1 [النساء : 86]

2 ص 133

3 ص 133ب

ولا سيما ورسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث:

«فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة» ففرق بين الفقيه والقارئ، وأعطى الإمامة للقارئ ما لم يتساويا في القراءة، فإن تساويا لم يكن أحدهما أولى بالإمامة من الآخر، فوجب تقديم العالم الأعم بالسنة، وهو الأفقه.

ثم قال رحمه الله: «فإن كانوا في العلم بالسنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاما. ولا يؤمُّ الرجلُ في سلطانه، ولا يُتقدُّ في بيته على تَكْرَمِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» وهو حديث متفق على صحته، وبه قال أبو حنيفة، وهو الصحيح الذي يعول عليه.

وأما تأويل المخالف للنص بأن "الأقرا" كان في ذلك الرمان "الأفقه"، فقد ردَّ هذا التأويل قوله ﷺ: «فأعلمهم بالسنة».

واعلم أن كلام الله لا ينبغي أن يُقدَّم عليه شيء أصلا، بوجه من الوجوه. فإن الخاص إن تهمته من هو دونه فليس بخاص. و«أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» وهم الذين يرمون حروفه من عجم وعرب. وقد صحت لهم الأهلية الإلهية والخصوصية. فإذا انضاف إلى ذلك المعرفة بمعانيه؛ فهو فضل في الأهلية والخصوصية، لا من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه. فإن انضاف إلى ذمك إلى حفظه والعلم بمعانيه - العمل به؛ فنور على نور على نور.

فالقارئ مالك البستان. والعالم كالعارف بأنواع فواكه البستان وتعلمه ومنافع فواكه. والعاقل كالأكل من البستان. فمن حفظ القرآن وتعلمه وعمل به كان كصاحب البستان: علم ما في بستانه، وما يخلصه وما يفسده، وأكل منه. ومثل العالم العاقل الذي لا يحفظ القرآن: كمثل العالم بأنواع الفواكه وتعلمها وغراستها، والأكل الفاكه من بستان غيره. ومثل العامل: كمثل الأكل من بستان غيره. فصاحب البستان أفضل الجماعة، الذين لا بستان لهم؛ فإن الباقي يفتقرون إليه.

وصل: في اعتبار ذلك:

الأحق بالإمامة من كان الحق سمغه وصره ويزه ولسانه وسائر قواه. فإن كانوا في هذه الحالة سواء.

فأعلمهم بما تستحقّه الربوبية. فإن كانوا في العلم بذلك سواء فأعرفهم بالعبودية ولوازمها. وليس وراء معرفة العبودية حال يُرضى، يقوم مقامه، أو يكون فوقه: لأنهم لذلك خلقوا. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾².

والإمامة على الحقيقة إنما هي لله الحق تعالى جلّ جلاله. وأصحاب هذه الأحوال إنما هم توابه وخلفاؤه. ولهذا وصفهم بصفاته. بل جعل عينه عين صفاتهم. فهو الإمام لا هم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾³ وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁴ وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁵ أي أصحاب الأمر. وأصحاب الأمر، على الحقيقة، هم الذين لا يقف لأمرهم شيء: لأنهم بالله يأمرون، كما به يسمعون، كما به يصرون. فإذا قالوا لشيء: "كن" فإنه يكون، لأنهم به يتكلمون. فهذا معنى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ في الاعتبار. ولهذا كانت طاعة السلطان واجبة، فإن السلطان بمنزلة أمر الله المشروع: من أطاعه نجا، ومن عصاه هلك.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارئا

اختلفوا في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارئا. فأجاز ذلك قومٌ مطلقا، ومنع من ذلك قومٌ مطلقا، وأجازه قومٌ في النفل دون الفريضة.

اعتبار الأمر في ذلك:

يقال: "صبا فلان إلى كذا" إذا مال إليه - ولما كان الصبي يميل إلى حكم الطبيعة ونيل أغراضه؛ سمي صبيّا؛ أي مائلا إلى شهواته. وهو غير البالغ حدّ العقل، الذي يوجب التكليف. وكانت الطبيعة في الرتبة دون العقل فلم يصح لها التقدّم، ولا لمن مال إليها، وإن كان مائلا إليها بحق، فإن لها مقام التأخّر. فلا بد أن يتأخّر، والتأخّر لا يكون إماما مقدّما، فإنه تقيض حكم ما هو فيه. فمن راعى هذا الاعتبار لم يجز

1 ص 134 ب

2 [الناريايات : 56]

3 [النصح : 10]

4 [النساء : 80]

5 [النساء : 59]

6 ص 135

إمامة الصبي، وإن كان قارئا.

ومن راعى كونه حاملا للقرآن، جعل الإمامة للقرآن لا للصبي، وكانت إمامة الصبي في حكم التبعية لأجل القرآن، فأجاز إمامة الصبي. قال تعالى: ﴿وَأَقْبَتَهُ الْهُكْمُ صَبِيًّا﴾¹ يعني حكم الإمامة، وقالوا: ﴿كَيْفَ تَكْلَمُ مَنْ كَانَ فِي الْهَيْدِ صَبِيًّا﴾. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا² وهو مقام الإمامة مع تسميته صبيّا.

ومن جعل عبودية الصبي عبودية اختيار لسقوط التكليف عنه - ورأى³ أن النافذة عبادة اختيار، أجاز صلاة الصبي إماما في النفل دون الفرض للمناسبة في الاختيار.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ

في إمامة الفاسق

فردّها قومٌ بإطلاق، وأجازها قومٌ بإطلاق، وفرّق قومٌ بين الفاسق المقطوع بفسقه وبين المظنون بفسقه: فلم يجوزوا الإمامة للمقطوع بفسقه، وأنّ المصلّي وراه يعيد. واستحبوا الإعادة لمن صلى خلف المظنون ففسقه في الوقت، وفرّقوا أيضا بين من يكون فسقه بتأويل وبين من يكون بغير تأويل: فأجازوا الصلاة خلف المتأول، ولم يجوزوها لغير المتأول. وبالإجازة على الإطلاق أقول. فإنّ المؤمن ليس بفاسق أصلا، إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محلّ العاصي.

الاعتبار في ذلك:

الفاسق من خرج عن أصله الحقيقي، وهو كونه عبدا، لأنّه لهذا خلق. فإنه لا بدّ أن يكون عبدا لله أو عبدا ليهواه. فما برح من الرق. فلم يبق خروجه إلّا عن الإضافة التي أمر أن يضاف إليها؛ فتجاوز إمامته. لأنّ الموقّ من عباد الله يأنّم بها الفاسق؛ فإنه يراه قائما بعبوديته في حقّ هواه، الذي فيه شفاؤه، فيعلم منه استيفاء حقّ العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبدا له؛ فيقول: أنا أولى بهذه الصفة في حقّ الله، من هذا العبد في حقّ هواه.

1 [مرم: 12]

2 [مرم: 29، 30]

3 ص 135 ب

4 ص 136

فلما رأينا أولياء الله يأتون به، وينفعهم ذلك عند الله، ويكون هذا الاقتداء سببا في نجاتهم، صحت إمامته. وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج، وكان من الفساق بلا خلاف المتأولين بخلاف. فكل من آمن بالله، وقال بتوحيد الله في ألوهته؛ فالله أجل أن يستوي هذا فاسقا حقيقة مطلقا، وإن سمي لغة؛ لخروجه عن أمر معين، وإن قل. والمعاصي لا تؤثر في الإمامة ما دام لا يستوي كافرا. وأما الفسق المظنون؛ فبعيد من المؤمن إساءة الظن، بحيث أن يعتقد فسوق زيد بالظن، لا يقع في ذلك مؤمن مَرْضِي الإيمان عند الله.

وهذا كله في الأحوال الظاهرة. وأما الباطنة فنلك إلى الله، أو من أعلمه الله. ثم يرهى العارف بالنظر في الفسوق مما يذمه الشرع إلى ما تعطيه اللغة. ولكن في¹ الاعتبار لا في الحكم الظاهر؛ وهو إذا خرج الإنسان عن إنسانيته بخروجه عن حكم طبيعته عليه، إلى عالم تهديسه من الأرواح العللى، فهل تصح له إمامة هنالك أم لا؟ فن أصحابنا من قال: تصح إمامته بالعالم الأعلى على الإطلاق، وهو مذهبنا. ومن أصحابنا من قال: لا يؤم إذا خرج عن حكم طبيعته إلا بالأرواح المفارقة للأجسام الطبيعية من الجن والإنس.

وسبب اختلافهم أن كل صاحب كشف أخبر عما رأى في كشفه في ذلك الوقت، والمكاشف قد يطلع وقتا على الأمر من جميع جهاته، وقد يطلع على بعض وجوهه، ويستتر الله عنه ما شاء من وجوه ذلك الأمر؛ فيحكم المكاشف على الكل، فيكون صحيح الكشف، مخطئا في تعميم الحكم. ثم يرى أنه من حيث روحه من جملة الأرواح الملكية، فيقول: (لاني) وإن خرجت عن طبيعتي؛ فلم أخرج عن ملكيتي لما في من عالم الأمر. فيطلب النفوذ والخروج أيضا عن روحه كما خرج عن طبيعته. فيخرج بيسره الرباني؛ فتقوم له الأسماء الإلهية، فيؤم بها نحو خالقه، وهو يهذمها؛ فكل اسم له حقيقة، وهذا العبد مجموع تلك الحقائق كلها، فتصح له² الإمامة في ذلك الموطن، مع خروجه عن طبيعته وروحه.

وما من موطن يخرج عنه إلا ويلحقه فيه ذم من طاقته، لأن تلك الطاقته ترى في هذا العبد أنه متعبد بمجموعه - وهو الصحيح - فنسميه فاسقا، ولكن يُفتر. فإن السلوك يعطي التحليل، حتى ينتهي. فإذا انتهى يتركب طوراً بعد طور، كما يتحلل - حتى يكل: فيزول عنه اسم الفسوق في كل عالم. فهذا اعتبار إمامة الفاسق.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في إمامة المرأة

فمن الناس من أجاز إمامة المرأة على الإطلاق بالرجال والنساء؛ وبه أقول. ومنهم من منع إمامتها على الإطلاق، ومنهم من أجاز إمامتها بالنساء دون الرجال.

الاعتبار في ذلك:

شهد رسولُ الله ﷺ لبعض النساء بالكمال، كما شهد لبعض الرجال وإن كانوا أكثر من النساء. في الكمال، وهو النبوة. والنبوة إمامة. فصَحَّحْتُ إمامة المرأة¹. والأصل إجازة إمامتها. فمن ادَّعى منع ذلك من غير دليل فلا يُسْمَعُ له. ولا نَصٌّ للمانع في ذلك. وحجته في منع ذلك يُدْخَلُ معه فيها ويُشْرَكُ فتسقطُ الحجّة. فيبقى الأصل بإجازة إمامتها.

اعلم أن الإنسان عالمٌ في نفسه، كثيرٌ من جهة المعنى، وإن كان صغير الحجم، ولهذا يقول: ﴿إِنَّا كُنَّا نَقْبُدُكُمْ﴾ بنون الجمع، وجعل جوارحه وقواه الظاهرة والباطنة متقادة لما يحكم فيها المقننون عليها، وهو: العقلُ والنفسُ والهوى، وكلُّ واحد منهم قد يؤمُّ بالجماعة في وقت ما؛ فالطاعات كلها المقررة: للعقل، والمباحات: للنفس، والمخالقات: للهوى.

وقد قيل للعقل: إذا سَيِّمَتِ النفسُ من اتِّبَاعِكَ في الأمور المقررة، واقتدائها بك في وقت إمامتك، وتقدّمَتْ هي في المباحات وأُمّتْ بك؛ فاتَّبِعْها وَضَلْ خَلْفَهَا حَافِظًا لَهَا؛ لئلا يَخْدَعَهَا الهوى؛ فَإِنَّ الهوى يَتَّبِعُهَا في ذلك الحال عسى (أن) يوقع بها في محذور. ففي مثل هذا الموطن تجوز إمامة النفس، وهي إمامة المرأة. وإمامة العقل بمنزلة إمامة الرجل المسلم، البالغ، العالم، الولد الحلال. وإمامة الهوى بمنزلة إمامة المنافق والكافر والفاسق. وإمامة النفس بمنزلة إمامة المرأة.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في إمامة ولد الزنا

اختلفوا في إمامة ولد الزنا. فمن مُجِيزٍ إمامته، ومن مانع من ذلك.

1 ص 137 ب
2 ص 138، وفي الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة الولي ظهير الدين محمود، غفرَ، وكتب ابن العربي".

الاعتبار في ذلك:

وَلَدَ الزنا هو العلم الصحيح عن قصدٍ فاسدٍ غير مَرْضِيٍّ عند الله، فهو نتيجةٌ صادقةٌ عن مقدِّمةٍ فاسدةٍ. فالإنسانُ وإن طلب العلم لغير الله، فخصوله أَوْلَى من الجهل. فإنه إذا حصل قد يَزُرُق صاحبه التوفيق، فيعلم كيف يعبد ربَّه. فتجوز إمامة ولد الزنا، وهو الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسמعة ليقال: فأُضِلَّ طَلَبُهُ غير مشروع، وحصولُ عينيه في وجود هذا الشخص فضيلةٌ.

* * *

فَضْلٌ بَلْ وَضِلْ

في إمامة الأعرابيِّ

اختلفوا في إمامة الأعرابي؛ فمن مُجِيزٍ إمامته، ومن مانعٍ من ذلك.

الاعتبار في ذلك:

الجاهل¹ بما ينبغي للإمام أن يَعْلَمَهُ لا يصلح للإمامة، لأنَّ الإمام يُقْتَدَى به. وهو لا يَعْلَم ولا يَقْعَلُ، فلا تجوز إمامة من هذه صفته، لأنَّه لا يَعْلَم ما يجب عليه بما لا يجب. فالمقتدى به ضالٌّ.

وليس هو بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل، فإنَّ الإمام إذا تنفَّل وخالف المأموم في نيَّته فما خالفه فيما هو فرضٌ في الصلاة؛ نافلة كانت أو فريضة، لأنَّها تشتمل على فروض وسنن؛ فأركانها فروضٌ كلّها، وسُنَّتها كذلك في النافلة والفريضة. فما فعل المتنفل، الذي هو الإمام، في صلاته إلَّا ما تفرَّض عليه أن يفعله من أركان صلاته: من ركوع وسجود وغير ذلك، وكذلك سُنَّتها. والمفترض مُقْتَدٍ به في هذه الأفعال التي هي فرضٌ عليها ففعلها. فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل إلَّا بما هو فرض على المتنفل فاعلم ذلك.

* * *

فَضْلٌ بَلْ وَضِلْ

في إمامة الأعمى

فمن يحجز إمامة الأعمى، ومن مانع إمامته، والله أعلم.

اعتبار¹ ذلك:

الأعمى هو الحائر الذي هو في محلّ النظر، لم يترجّح عنده شيء. وليس بواقف فيكون شاكًا. والأصلُ حكم الفطرة التي وُلد عليها. فهو مؤمن في حال نظره وخيرته، ما لم يقف أو يرجّح. فتجوز إمامته بأصل الفطرة: لاستنابة رسول الله ﷺ ابن أمّ مكتوم على المدينة يصليّ بالناس وهو أعمى.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في إمامة المفضول

اختلف العلماء في إمامة المفضول. فمنهم من أجازها. ومنهم من منع من ذلك. «صلى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف بلا خلاف، وقضى ما فاته. وقال: أحسنهم».

اعتبار ذلك:

الفاضل يصليّ خلف المفضول ليرقيّ همته، ويرغبه في طلب الأنفس² والأعلى؛ سياسة وحسن تربية، فإنه داع إلى الله تعالى - على بصيرة؛ أن الله يفتح للكبير بصدق توجه الصغير. فالصغير مفيد الكبير - وإمامه - من حيث لا يشعر.

وكم من مرید صادق وقعت له واقعةٌ - هو معتنى به - فعرضها على الشيخ، وقد كان الشيخ ما عنده معنى تلك الواقعة، وقد استفرغت همه المريد وقطعت أن واقعة لا يعرف حلّ إشكالها إلا هذا الشيخ، ففتح الله على ذلك الشيخ فيها بهمة ذلك المريد وصدقته فيه، عناية من الله بالمريد، ويتنفع الشيخ تبعًا، وإن كان الشيخ أعلى منه في المقام.

ولكن ليس من شرط كلّ مقام، إذا دخله الإنسان ذوقًا، أن يحيط بجميع ما يتضمّنه من حجة التفصيل؛ فإنّا نعلم قطعًا أنّا نجمع مع الأنبياء عليهم السلام - في مقامات، وبيننا وبينهم في العلم بأسرارها بون بعيد، يكون عندهم ما ليس عندنا، وإن شملهم المقام. فهذه إمامة المفضول، فافهم ولا تقالط نفسك، فنقول: أنا شيخٌ هنا، فأنا أعلم منه. نعم؛ أعلم منه بما تطلبه التربية، وقد لا تكون أعلم منه بما تنتجه. وقد

1 ص 139

2 ص 139 ب

رأينا ذلك معانيه في حق أشخاص، والحمد لله.

انتهى¹ الجزء الأربعون، يتلوه في الجزء الحادي والأربعين.

1 ص 140، وهنا ص 140 ب بضاء

بسم الله الرحمن الرحيم¹

فَضَّلَ بَلَّ وَضَلَّ

في حكم الإمام إذا فَرَّغَ من قراءة الفاتحة؛ هل يقول: آمين، أم لا يقولها؟
اختلف العلماء في ذلك فمن قائل: يؤمّن، ومن قائل: لا يؤمّن.

وصل في الاعتبار في ذلك:

إن جمل الإنسان نفسه أجنبيّة عنه، فإنه يخاطبها مخاطبة الأجنبي. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾² وهذا يجده كل إنسان نوحاً تقتضيه نشأته. ورسول الله ﷺ يقول
للإنسان المكلف: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» فأضاف النفس إليه، والشيء لا يضاف إلى ذاته، فجعل
النفس غير الإنسان، وأوجب لها عليه حقاً تطلبه منه.

فإن كان (الإنسان) هو التالي³، فلا بدّ (أن يقول) لنفسه عند فراغ الفاتحة: "آمين". وإن كانت
النفس (هي) التالية، فلا بدّ أن يقول هو: "آمين". والإنسان واحد العين، كثير بالقوى. ويؤيده قوله:
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾⁴ و«بادرني عبدي بنفسه» في القاتل نفسه.

فمن كان هذا مشهده، قال: "يؤمّن الإمام والمنفرد". ومن رأى أنّ الإمام عين واحدة، أو يرى أنّه تالي
بريه في قوله: «بي يسمع وبني يصرون» وقد كان الشيخ أبو مدين يبجاية يقول: "ما رأيت شيئاً
إلا رأيت الباء عليه مكتوبة" يشير إلى هذا المقام؛ وهي تسقى: "باء ياء" الإضافة، مثل قوله أيضاً. فمن
كان مشهده هذا يقول: لا يؤمّن الإمام.

والتأمين أولى بكل وجه، فإنّ المكلف مأمور إذا دعا أن يبدأ بنفسه. وقوله: "آمين" دعاء. يقول:
"اللهم أمتنا بالخير، وما قصدناك فيه" والإنسان بحكم حاله ومشهده. وفي الحديث الثابت: «إذا أمّن الإمام
فأمتنوا» والحديث الآخر: «إذا قال الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين».

1 البسلة ص 141

2 [ق: 16]

3 التالي هنا بمعنى: القارئ

4 ص 141 ب

5 [فاطر: 32]

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ مَتَى يَكْبَرُ الْإِمَامُ؟

فمن قائل: بعد تمام الإقامة واستواء الصفوف. ومن قائل: قبل أن تَتِمَّ الإقامة. ومن قائل: بعد قول المؤذّن: "قد قامت الصلاة". وبالتخيير أقول في ذلك.

الاعتبار:

الإقامة¹ للقيام بين يدي الله تعالى، فإنه يقول: "حيّ على الصلاة". واستواء الصفوف (في الصلاة) مثل صفوف الملائكة عند الله تعالى - الذين أقسم بهم في قوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾²، وهي (أي الإقامة) إشارة إلى إقامة العدل. فإنّ الإنسان بروحه ملك مدبر لما ولّاه الله عليه من هذه النشأة الذي أشار إليه بالبلد الأمين، لكونه أمّا جامعة. مثل مكة التي هي أمّ القرى، والفاطحة أمّ الكتاب. فلا بدّ من فروض الأحكام لإقامة العدل في العبادات التي خوطب بها جماعة الجوارح، فاجتماعهم على ذلك واجبّ ظاهرا وباطنا.

فمن رأى مثل هذا يكبر بعد الإقامة واستواء الصفوف. كأنّه يقول: "الله أكبر من أن يتقيّد تكبيره بمثل هذه الصفة لإحاطته إطلاقا بكلّ حال ووجه، فإنه ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾³ فإنه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁴. فلما كلّف عباده بالمشي على صراط خاض عيّنه لهم؛ كان من عدل إليه سعة، ومن عدل عنه شقي.

ومن راعى المسارعة إلى الخيرات والسباق إلى المناجاة؛ كبر عند سماعه "حيّ على الصلاة" في الإقامة إلا أن يكون هو المقيم فلا يتمكن له حتى يفرغ من "لا إله إلا الله" وحينئذ يكبر. وإنما قلنا: يسادر بالتكبير الإقامة، وهو قول المؤذّن⁵: "قد قامت الصلاة" ليصدق المؤذّن في قوله: "قد قامت الصلاة" لأنّه جاء بلفظ الفعل الماضي، فيسنى صلاته على قاعدة صدق؛ فيفوز في الثواب بـ﴿مُتَّقِدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾⁶ (في جنّاتٍ ونهرٍ)¹ أي في ستور من علوم جارية واسعة: كلّما قلّت هذا جاء غيره؛ لأنّ النهر

1 ص 142

2 [الصافات : 1]

3 [طه : 50]

4 [هود : 56]

5 ص 142 ب

6 [النسر : 55]

جار على الدوام بالأمثال.

واعلم أنّ أوّل إقامة الصلاة تكبيرة الإحرام: كعجب النَّبِ من إقامة النشأة (الإنسانية). فإذا قال المؤذن: "قد قامت الصلاة" قبل تكبير الإمام لم يصدق، وتجوّز في الكلام. وعلم الأذواق والأسرار لا يحمل التجوّز في الكلام، فإنّه على الحقيقة والكشف يعمل، وروح الإنسان ما هو بيده. فلو قبض الإمام وقد قال المؤذن: "قد قامت الصلاة" ولم يكبر الإمام- لعلمنا أنّه قبض مكذباً، ولا ينفعه هنا قوله ﷺ: «إنّ الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة» ونحن في هذا الوطن بحكم الصلاة المنتظرة بالألف واللام.

ولا نشك أنّ العارفين في حركاتهم وسكناتهم في صلاة ومناجاة. ولكن المطلوب منه في هذه الحالة الصلاة المشروع لنا إقامة نشأتها: من تكبيرة الإحرام إلى التسليم؛ وما بينها (هو) ترتب أعضاء نشأتها، حتى تقوم (الصلاة) خلقاً سوياً يشهدها بيصره من أنشأها²، ولا سيما من أنشأها برته، فإنها تخرج من أكل النشآت، ليس للنفس فيها حظ. فهذه صلاة إلهية لا كوثية.

ومن جعل الإقامة من المؤذن أو من نفسه من نفس إقامة نشأة الصلاة، كبر بعد الإقامة، وتكون الصلاة مشتركة في نشأتها، إلّا في حق المقيم بنفسه لا بالمؤذن؛ فإنّه لا فرق. فأول إنشاء صورة الصلاة عنده، من الإقامة. إلّا أن يكون المقيم الذي هو المؤذن، والإمام يتصرفان برّهما على قدم فئاتهما عن أنفسهما. فقد تكون نشأة الصلاة نشأة إلهية، ولكن لا تهوى في الصورة قوة الواحد (منها) لأن مزاج كلّ واحد من الشخصين يفارق الآخر، والحق ما يتجلى إلّا بحسب القابل.

اعلم أنّ العبد يقيم سرّه بين يدي ربه في كلّ حال، فهو مُضَلٌّ في كلّ حال. ففي أيّ وقت كبر من هذه الأوقات التي وقع فيها الخلاف بين علماء الرسوم فقد أصاب؛ فإنّ الصلاة قد قامت. فإنّ الله قزذ حكم المجتهد شرعاً منه، كلّفنا به. ويخرج قوله: "حيّ على الصلاة" في الإقامة خطاباً للجوارح؛ لتصرّفها في غير تلك الأفعال الخاصة بهذه الحالة، وخطاباً للروح، بل للكل، بالخروج من حال هو فيه إلى حال أخرى، أي أقبل عليها وإن كثرت في صلاة، فتكون من ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾³ و﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾⁵.

1 [القمر : 54]

2 ص 143

3 [المارج : 23]

4 ص 143 ب

5 [المؤمنون : 9]

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ

في الفتح¹ على الإمام

اختلف العلماء في الفتح على الإمام. فمن قائل بالفتح عليه. ومن قائل: لا يفتح عليه ويركع حيث أرتج عليه. ومن قائل: لا يفتح عليه إلا إذا استطعم. ومن قائل: لا يفتح عليه إلا في الفاتحة. وصاحب هذا القول يقول: من فتح عليه في السورة فقد بطلت صلاة الفاتحة.

وصل الاعتبار:

من قال بالخاطر الأول قال: لا يفتح على الإمام. وكذلك من قال بالوقت، ومن قال بمراعاة الأنفاس. وأما من قال بما سبقت به السابقة في أول الشروع وراعى ذلك الخاطر وجعل الحكم له، فإنه نوى عندما شرع قراءة سورة أو آيات معلومات ثم أرتج عليه، فله أن يتم ما نوى، فيستطعم المأموم فيطعم المأموم ويفتح عليه إذا أرتج عليه.

وقد سأل النبي ﷺ عن أبي حين أرتج عليه، يقول له: «لَمْ لَمْ تَفْتَحْ عَلَيَّ» لَأَنَّهُ أَيْتَا كَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ، فَرَأَى (النَّبِيَّ) الْقَصْدَ الْأَوَّلَ بِالْقِرَاءَةِ فَأَرَادَ تَمَامَهُ.

الارتجاج على العبد في الصلاة من أدل دليل على وجود عين العبد، وأعني بوجود عينه³ ثبوته، لأن ذلك ليس من صفات الحق. فإن صلى بربه فينبغي للمصلي أن يكون مع الحق بحسب الوقت، فلا ينظر إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل، فلا يستفتح ولا يفتح عليه، ولكن يركع حيث انتهى به ربه من كلامه. فذلك الذي تيسر له من القرآن، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾⁴ وقد فعل. فلا ينبغي أن يكون لخلق في الصلاة أثر ينسب إليه. وهو مذهب علي بن أبي طالب، والجواز مذهب ابن عمر.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَلَّ

في موضع الإمام

اختلف العلماء في موضع الإمام. فمن قائل: بأنه يجوز أن يكون أرفع من موضع المأمومين. ومن قائل:

1 الفتح على الإمام: صحيح قراءته أثناء الصلاة.

2 ثابتة في الهامش مع إشارة الصحيح

3 ص 144

4 [المزمل : 20]

بالمنع من ذلك. وقوم استحبوا من ذلك اليسير. ومذهبنا أي شيء كان من ذلك جاز، وارتضاع موضع الإمام أولى، لأجل الاقتداء به على التعيين.

وصل: الاعتبار في ذلك:

المناسبات في الأمور أولى من عدم المناسبات. ومرتبة الإمامة أعلى من مرتبة المأموم. فينبغي أن يكون، في تلك المرتبة، الأفضل والأعلى. وينبغي أن يكون في موضعه أرفع: لأنه في مقام الاقتداء به. فلا بد أن يكون له الشرف على المأموم: فإنه موضع للمأموم، ولهذا سمي إماما.

فله حالتان وحالتان. فالحالتان الأوليان أن يكون إماما مأموما معا، في حال واحدة، فيقتدي بأضعف المأمومين في صلاته: فهو مأموم. ويقتدي به المأموم في ركوعه وسجوده، وجميع أفعاله: فهو إمام. والحالتان الأخريان: حالة يستوى بها مصليا: فهو مع ربه في هذه الحالة، وهو إمام لغيره. فله حالة أخرى.

فمن راعى كونه مصليا منع أن يكون له شغوف على المصلين وإن كثروا: فإنهم أئمة بعضهم لبعض، من الإمام إلى آخر الصفوف. ومن راعى كونه إماما، كان أولى أن يكون موضعه أرفع من المأموم فهو بحسب مشهده.

. . .

فَصَلِّ بَلِّ وَضَلِّ

في تَبَيُّنِ الإمام الإمامة

اختلف العلماء: هل يجب للإمام أن ينوي الإمامة أم لا؟ فمن قائل: بوجوبها. ومن قائل: بأنها لا تجب. وبه أقول. وإن نوى فهو أولى.

وصل: الاعتبار:

ينبغي للمصلي أن يكون له شغل برّيه، لا بغير ربه، فإن الصلاة قسمها الله بينه وبين المصلي. فليس له أن ينوي الإمامة. ومن² رأى أن قوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» من غير نظر إلى التفصيل الوارد بعد هذا القول في قراءة "أم القرآن"، أدخل حكم رعاية المأموم في هذا القول، أي

1 ص 144 ب

2 ص 145

المصلّي، إذا كان إماماً أو مأموماً. فإنّ الصلاة مقسومة بيني وبين عبدي نصفين. فينوي (الإمام) التوجّه إليّ، وينوي التوجّه إلى القبلة، وينوي القرية بهذه العبادة إليّ، وينوي الإمامة بالمؤمنين. وينوي المأموم بهذه العبادة القرية إليّ، وينوي الاهتمام بالإمام. وكلّ مصلّ بحسب ما يقع له ويشهده الحقّ في مناجاته.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في مقام المأموم من الإمام

لا يخلو المأموم، إمّا أن يكون واحداً، أو اثنين، أو أكثر من اثنين، ولا يخلو إمّا أن يكون رجلاً، أو رجلين، أو امرأة، أو صبيّاً. فأما المأموم إذا كان رجلاً بالغاً واحداً، فإنّه يقمّه عن يمينه. فإن كان صبيّاً أقامه عن يمينه مثل الرجل؛ وقيل: عن يساره، ليمتاز حكم الصبيّ من حكم الرجل. فإن كان رجلين، أقام أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن شاء أقامهما خلفه.

وإن كان رجلاً وصبيّاً، فحكمهما¹ مثل حكم الرجلين. فإن كان امرأة كانت خلف الإمام إذا انفردت. فإن كان معها رجل واحد، فالرجل عن يمين الإمام والمرأة خلفه. وإن كان أكثر من واحد مع وجود المرأة، أقام الرجال خلفه والمرأة أو النساء خلف الرجال.

وصل الاعتبار:

ورد في الأخبار الندب إلى التخلّق بأخلاق الله. قال عليه السلام: «ما كان الله لينهاكم عن الربا وبأخذه منكم» وما من وَضِفٍ وَضَفَ الحقُّ به نفسه إلّا وقد ندبنا إلى الاتّصاف به. وهذا معنى التخلّق والاعتداء والاهتمام. وهذه الإمامة عينها. فالإمام على الحقيقة هو الله تعالى. والمأموم (هم) المخلوقون. فلا يخلو الإمام أن ينظر نفسه واحداً من حيث أحديّته - وهو ما يختصّ به ويميّز عن كلّ مَنْ سِوَاهُ مع الحقّ؛ أو ينظر نفسه مع الحقّ من حيث شفيعته؛ أو ينظر (نفسه) مع الحقّ من حيث فرديّته - وهو الثلاثة، أعني ثالث اثنين؛ أو ينظر نفسه من حيث أنّه لم يكمل كما كلّ غيره، أو ينظر نفسه مع الحقّ من كونه ماثلاً إلى طبيعته، وهو الصبيّ: من صبا إذا مال، أو ينظر نفسه مع الحقّ، من كونه ماثلاً إلى طبيعته لا من حيث عقله، فيكون بمنزلة المرأة، فلا يخلو من² أن يستحضر عقله مع طبيعته.

1 ص 145 ب

2 ص 146، والكلمة في: إمام

والحقّ تعالى- في هذه الأحوال كلّها إمام. فاليمين للقوّة. «وكلتا يديه يمين» للقرينة، وإسقاط الحول والقوّة. والخلف للاقتداء والاتباع.

فانظر أيّها المصلّي- بأيّ حال حضرت في صلاتك بما ذكرناه، فقم به في المقام الذي يتّاه من الإمام، تكن قد أثبتت بالصلاة المشروعة. وليكن مشهودك الحقّ وإمامك من حيث ما وصّفه الشارع، لا من حيث ما دلّ عليه دليل العقل، حتى تكون ذا دين في عقلك، وعقدك، وعلمك¹، وعملك. وإن لم تفعل انتقص من عبادتك على قدر ما أدخلت فيها من عقلك، من حيث فكرك وظرك.

فصلٌ بَلّ وَضَل

في الصفوف²

أجمع العلماء على أنّ الصفّ الأوّل مُرَغَّبٌ فيه، وكذلك التراصّ، وتسوية الصفّ إلّا مَنْ شَذَّ في ذلك. فقال: مَنْ قدر على الصفّ الأوّل ولم يُضَلَّ فيه بطلت صلاته. وكذلك التراصّ وتسوية الصفوف إذا لم توجد بطلت الصلاة. ولَمَّا ثبت الأمر بذلك، حمله بعض الناس على الندب، وحمله بعضهم على الوجوب. وهو الذي ذكرناه: من أنّه تبطل الصلاة بعدم هذه الصفة. والذي³ أقول به: إنّ الصلاة صحيحة، وهم عصاة.

أما الصفّ الأوّل فورد الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ في المسابقة إليه؛ ثمّ إنّ قال فيه: «ثمّ لم يجدوا إلّا أن يَسْتَهْمُوا عليه لاستهْمُوا عليه» يريد الاقتراع. وأما التسوية فإنّهم دُعُوا إلى حال واحدة مع الحقّ، وهي الصلاة، فساوى في هذه الدعوة بين عباده. فلتكن صفّتهم فيها، إذا أقبلوا إلى ما دعاهم إليه تسوية الصفوف. لأنّ الداعي ما دعا الجماعة إلّا ليتأخّروا من حيث إنّهم جماعة على السواء، لا يختصّ واحد دون آخر. فيجب أن يكونوا على السواء، والاعتدال في الصفّ، لا يتأخّر واحد من الصفّ، ولا يتقدّم بشيء منه يؤدّي إلى اعوجاجه، فإنّهم يناجون من هذه الحيثيّة.

وينبغي أن تكون الصور الباطنة والمهم من المصلّين متساوية في نسبة التوجّه إلى الله تعالى، والإخلاص له في تلك العبادة التي دعاهم إليها، من حيث ما هم مصلّون. وإنّ الله لَمَّا اصطفى منهم واحداً،

1 ق: وعملك.

2 بعداً مباشرة كتب هذا العنوان: "وصل فمن صلى خلف الصفّ وحده" وتكرر كذلك في موضعه بعد نهاية هذا الفصل.

3 ص 146 ب

سمّاه إماماً، ليناجيه عن الجماعة بما يحبّ أن يهبه للجماعة. وجعله كالترجمان بين يديه وبين أيديهم، مقبلاً على ربهم. فيجب على الجماعة السكوت والإنصات، والانتظار لما يردّ عليهم من سيّدهم، بوساطة¹ ذلك الإمام. ولهذا جاء في حديث جابر: «إنّ قراءة الإمام كافية عن الجماعة» فإنّه الذي قدّمه الحقّ للمناجاة. فلما كان الإمام هو المقصود في النياحة عن الجماعة وأمر الشرع أن يأتوا به في كلّ ما يفعله مما شرع له فعله - وجب عليهم الإنصات والاعتناء بكلّ ما يفعله الإمام في صلاته.

وأما التراض في الصّف فهو أن لا يكون بين الإنسان وبين الذي يليه خلل، من أوّل الصّف إلى آخره. وسبب ذلك أنّ الشياطين تشدّ ذلك الخلل بأنفسها. وهم (أي المصلّون) في محلّ القرية من الله تعالى. فينبغي أن يكونوا في القرب بعضهم من بعض، بحيث أن لا يبقى بينهم خلل يؤدّي إلى بُعد كلّ واحد من صاحبه. فتكون المعاملة فيما بينهم، من أجل الخلل، تقيض ما دُعوا إليه من صفة القرية. فيتخلّل تلك الخلل والفُرَج البعداء من الله، لمناسبة البعد الذي بين الرجلين، في الصّف في الصلاة. فينقصهم من رحمة القرب، التي للمصلّي في الصّف بقدر الخلل وبمرتبة ذلك الشيطان من البعد عن الله. فإذا لَزَقَتِ المناكب بعضها ببعض، انسَدَّ الخلل، ولم تجد صفة البعد عن الله محلاً تقوم به، لأنّ الشيطان، الذي هو محلّ البعد عن الله، ليس هناك.

وإنما تفرح الشياطين بخلل الصّف، وتدخل فيه لما ترى من شمول² الرحمة التي يعطي الله المصلّين. فتزاحمهم في تلك الفُرَج، لينالهم من تلك الرحمة شيء بحكم المجاورة، من عين المنة، لمعرفتهم بأنهم البعداء عند الله. وما هم هؤلاء الشياطين الذين يوسوسون في الصلاة، فإنّ أولئك محلّم القلوب. فهم على أبواب القلوب مع الملائكة: تلقى إلى النفس وتكت في القلب ما يشغله عما دعي إليه. ومن جملة ما تلقى إليه أن لا يسدّ الخلل الذي بينه وبين صاحبه لوجهين:

الوجه الواحد ليُصَفّ بالخالفّة فتؤدّيه إلى البعد عن الله. فإنّ الشيطان إنما كان بُعده عن الله الخالفّة لأمر الله. والوجه الثاني، في حقّ أصحابهم من الشياطين: ليتخلّلوا ذلك الخلل، فتصيبهم رحمة المصلّين. فيناجي الإمام ربّه ويناجيه. ولهذا شرع كناية الجمع في مناجاة الصلاة، وأن لا يخصّ الإمام نفسه في الدعاء دونهم فبأنّه لسان الجماعة.

فالمكاشف يشهد هذا كله. ويأخذ عن الله بما يعطيه، بوساطة هذا الإمام ما يأتي به الله. وسواء كان ذلك الإمام قد وفى حق ما دعي إليه من الحضور مع الله أم لا. فيتلقاه كل من هذه صفته من الله. فيسعد الإمام بمثل هذا المأموم. وأما غير المكاشف وغير الحاضر في الصلاة بقلبه، إذا اجتمع هو والإمام¹ في عدم الحضور، كان الإمام من الأئمة المضلين. فإن حضر (ت) الجماعة مع الله ما عدا الإمام كان الإمام ضالاً وحده، وإن سجد فبمن خلفه. وإن حضر الإمام وحده ولم تحضر قلوب الجماعة في تلك الصلاة، شفع الإمام في الجماعة كلها: فإنه العين المقصودة من الجماعة، فقد حصل المقصود.

ولهذا ينبغي أن يختار للإمامة أهل الدين والخير والمشتغلين بالله، وإن كانوا قليلين من العلم. فهم أولى بالإمامة من العلماء الغافلين. لأن المراد من المصلي الحضور مع الله. فلا يحتاج من العلم المصلي، من حيث ما هو مُصلٍّ، إلا أن يعرف أنه بين يدي ربه، يتاجيه بما يسر الله له من تلاوة كتابه. لا غير ذلك. فلا ينالي بما يقصه من العلم في حال صلاته. حتى أن المصلي لو أحضر، في مناجاته، مبايعة ومسائل طلاق ونكاح لم يكن بينه وبين الغافل عن صلاته فرق. وإنما يكون مع الله من حيث ما هو بين يديه في عبادة خاصة دعه إليها، يحرم عليه فيها في باطنه ما حرم عليه في ظاهره.

فكما لا ينبغي أن يلتفت بوجه التفات يخرج عن القبلة، كذلك لا ينظر بقلبه إلى غير من يتاجيه، وهو الله. وكما لا يشتغل بلسانه بسوى كلام ربه، أو ذكره الذي شرع له، لا يصح فيها شيء من كلام الناس؛ كذلك² يحرم عليه في باطنه كلامه النفسي مع من يُشَارِه أو يبايعه أو يتحدث معه في باطنه، في نفس صلاته: من أهل وولد وإخوان وسلطان سواء.

فلهذا لا يُشترط في الإمام كثرة العلم، وإنما الفرض ما يليق بهذه الحالة. فإن اتفق أن يكون من هذه حالته، من الدين والمراقبة والحياء من الله، كثير العلم، راسخاً، سيّداً، كان الأولى بالتقدم: فإنه الأفضل من ليس له ذلك.

فالصفوف إنما شرعت في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله يوم القيامة في ذلك الموطن المهول. والشفعاء من الأنبياء والمؤمنين والملائكة بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف. فكم (من) شخص يكون هنا مأموماً من أهل الصفوف، يكون غداً إماماً أمام الصفوف، ويكون إمامه الذي كان في الدنيا يصلي به، مأموماً غداً. فيا لها من حسرة.

وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا صَفًّا﴾¹ وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾² وهو الإمام النائب عن الجماعة.

وأمرنا الحق أن نُصَفَّ في الصلاة كما تُصَفُّ الملائكة، يترأصون في الصف. وإن كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفها لو اتفق أن يدخلها خلل، أعني ملائكة السماء- دخول الشياطين. لأن السماء ليست محلًّا للشياطين، ولا بمكان. وإنما يترأصون لتناسب الأنوار، حتى يتصل³ بعضها ببعض. فتزل متصلة إلى صفوف المصلين، فتتمهم تلك الأنوار. فإن كان في صف المصلين خلل دخلت فيه الشياطين، أحرقتهم تلك الأنوار، وكذلك يكونون في الكتيب في الزور العام: يُصَفُّون كما يُصَفُّون في الصلاة.

فمن دخله خلل في صفه هنا، وكان قادرا على سدِّه بنفسه فلم يفعل، حُرِمَ هنالك، في ذلك الموطن، بَرَكَتُهُ. وإن لم يقدر على سدِّه؛ عَمَّتْهُ البركة هناك. وكلّ مصلٍّ بين رجلين فإنه ينضمُّ إلى أحدهما، ثم يجذب الآخر إليه. فإن انجذب إليه كان (بها)، وإلا كان الإثم على ذلك (الآخر). ويكون الواحد الذي ينضمُّ إليه هو الذي يلي جانب الإمام ولا بدّ. فإن كان في الصف الأوّل نقص وهو يراه- وهو قادر على الوصول إليه ولا يمشي إلى الصف الأوّل حتى يتمّه- أعني يسدّ الخلل الذي فيه- لم ينفعه تراصه في الصف الذي هو فيه، جملة واحدة. فإنه ما تعيّن عليه إلا الأوّل فاعلم.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في المصلي خلف الصف وحده

اختلف الناس فيه. فمن قائل بصحة صلاته. ومن قائل بأنها لا تصح. والذي أذهب إليه في حكم من هذه حالته: فإنه لا يخلو إما أن يجد سبيلا إلى الدخول في الصف، أو لا يجد. فإن لم يجد، فليُشِرْ- إلى رجل من أهل الصف أن يختلج إليه. فإن لم يختلج إليه لجهله بما له في ذلك عند الله من الأجر، فإن صلاة هذا الرجل صحيحة. فإنه قد انتهى الله ما استطاع. ولا يستطيع في هذه الحالة أكثر من هذا. فإن قدر على شيء مما ذكرناه ولم يفعل، فصلاته فاسدة. فإن النبي ﷺ: «أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد» وهو حديث واضحة بن معبد.

[1] الفجر : 22

[2] الباء : 38

[3] ص 149

[4] ص 149 ب

اعتبار ذلك في النفس:

القربات إلى الله لا تُعلم إلا من عند الله، ليس للعقل فيها حكم بوجه من الوجوه. فإذا شرع الشارع القربات، فهي على حدّ ما شرع. وما منع من ذلك أن يكون قربة فليس للعقل أن يجعلها قربة. ثم نرجع إلى مسألتنا: فلا يخلو هذا المصلّي وحده خلف الصفّ، مع القدرة على ما قلناه، إمّا أن يكون من أهل الاجتهاد ويكون حكمه بإجازة ذلك الفعل وصحّة صلاته عن اجتهاد، أو لا يكون عن اجتهاد. فإن كان عن اجتهاد فالصلاة صحيحة، وإن لم يكن عن اجتهاد وكان مقلّنا لجهتد في ذلك بعد سؤاله إياه، فصلاته صحيحة. وإن فعل ذلك لا عن اجتهاد ولا عن سؤال فصلاته فاسدة. وهكذا في جميع القربات المشروعة.

كما صحّت صلاة الإمام بين يدي الجماعة في غير صفّ، صحّت صلاة من هو خلف الصفّ وحده. فإن¹ لطيفة الإنسان واحدة العين، ولا تُصَفُّ صفوف الجوارح عند الصلاة، ولا ينبغي أن تكون أمامها: فإنّها لا تقبل الجهة، لما صلّت إلّا وحدها. وظاهر الإنسان جماعة. فهو في نفسه صفّ وحده، فإنّ كلّ جزء منه مكلف بالعبادة والصلاة، ولا ينفصل بعضه عن بعضه. فهو صفّ وحده. فإن اشتغل ببعض جوارحه فيما ليس من الصلاة، كان له ذلك الاشتغال في صفّ ذاته، كالخلل الداخل في الصفّ.

فبطريق الاعتبار: ما صلى الإنسان من حيث جملة إلّا في صفّ، ومن حيث لطيفته (ما صلى إلّا) وحده؛ فإنّها لا تقبل الصفوف لعدّم التحيّر. وهذا على مذهب من يقول إنّها غير متحيّزة. وأمّا من قال بتحيزها التحقّت بجملة ذات المصلّي. فما صلى من هو في صفّ، ومن هو في غير صفّ إلّا في صفّ من ذاته. وهذا أجاز من أجاز الصلاة خلف الصفّ وحده. وقد بينّا مذهبنا في ذلك بطريقة تعضدها أصول الشرع.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الرجل أو المكلف يهد الصلاة فيسمع الإقامة:

هل يسرع في المشي إلى المسجد مخافة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا؟

فمن² قائل: لا يجوز الإسراع؛ بل يأتي وعليه السكينة والوقار. وبه أقول. ومن قائل: يجوز الإسراع حرصاً على الخير وأكره له ذلك.

1 ص 150

2 ص 150 ب

وصل اعتبار ذلك:

المسارعة إلى الخيرات مشروعة. والسكينة مشروعة والوقار. والجمع بينهما أن تكون المسارعة بالتأهب المعتاد، قبل دخول وقتها، فيأتيها بسكينة ووقار: فيجمع بين المسارعة والسكينة.

وإنما أمر العبد بالمسارعة إلى الخيرات ليتصرفه في المباحات لا غير. فمن كانت حالته أن لا يتصرف في مباح، فهو في خير على كل حال. ولذلك ورد ما يدل على الحالين معاً، فقيل: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾¹ وهي العباداة هنا، من سارع إليها فقد سارع إلى المغفرة. وقال في الحالة الأخرى: ﴿وَأُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾² فجعل المسارعة "فيها"، وفي الأولى "إليها" فإنها ما هي نائية عنه.

وهنا وجه أيضاً، وذلك أن المغفرة لا تصح إلا بعد حصول فعل الخير الموجب لها. فنحن نسارع في الخيرات إلى المغفرة؛ فكان "المسارع فيه" غير "المسارع³ إليه".

فالعبد إذا كان تصرفه في غير المباح فلا بد أن يكون في مندوب أو واجب. فإن كان في مندوب، واستشعر بحصول وقت واجب، سارع إليه في مندوبه؛ بإقامة أسبابه التي لا يصح ذلك الواجب إلا بها. ومعنى⁴ المسارعة هنا: المبادرة إلى الأفعال التي هي شرط في صحة ذلك الواجب.

فمن رأى الجماعة واجبة، ومن قال بإتمام الصف ووجوبه، وهو في خير، فإنه آت إلى الصلاة مثلاً، فسمع الإقامة، فأمره الشارع أن يأتي إليه وعليه وقار وسكينة. وسبب ذلك أن الحق لا يتقيد بالأحوال، وأن الآتي إلى الصلاة في صلاة ما دام يأتي إليها أو ينتظرها، فنفس الإسراع المشروع قد حصل.

وأما الإسراع بالحركة، فإنه يقتضي سوء الأدب وتقيد الحق. ولهذا قال رسول الله ﷺ للنبي دَبَّ وهو راكع حتى دخل الصف، وهو أبو بكر: «زادك الله حرصاً ولا تَقْدُ» يعني إلى إسراع الحركة. وما قال له: زادك الله إسراعاً. فإن الحرص أوجب له الإسراع. فنبه رسول الله ﷺ على أن الحرص على الخير هو المطلوب. وهو الإسراع المطلوب لله من العبد لا حركة الأقدام. فإن ذلك يؤذن بتحديد الله، والله مع العبد حيث كان. وقد وقع لك التفريط أولاً بتأخرك، فهناك كان ينبغي لك الإسراع بالتأهب. كما حكي

1 [آل عمران : 133]

2 [المؤمنون : 61]

3 رسمها في ق قهزب من: "التسارع" من غير قطع حرف التاء.

4 ص 151

عن بعضهم أنه ما دخل عليه منذ أربعين سنة وقت صلاة إلا وهو في المسجد. وحكي عن آخر أنه بقي
كذا سنة ما فاتته تكبيرة الإحرام¹ مع الإمام.

وقوله: "بوقار" يشير أن العبد ينبغي له أن يعامل الله في نفسه بما يستحقه من الجلال والهيبة
والحياء. فإن هذه الأحوال تؤثر أثرا في الجوارح، وتثبتا لموازنة حركته مع الله؛ أن يقع منه كما أمره الله
بخضوع وخشوع. وهو السكينة المطلوبة. كما قال: «لو خشع قلبه لحشعت جوارحه» يعني لَسَرى ذلك في
جوارحه. فإن السرعة بالأقدام لا تكون إلا بمن همته متعلقة بالجهة التي يسارع إليها، من أجل الله لا بالله.

وينبغي للعبد أن تكون همته متعلقة بالله، فيكون المشهود له الحق تعالى. ومن كان بهذه المثابة، كانت
حالته الهيبة والسكون ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾. قال تعالى: ﴿وَوَخَشَفْتَ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا﴾² هذا مع الاسم الرحمن. فكيف بمن لا يعرف أي اسم إلهي يمشي إليه، أو يمشي به؟.

فمن كان حاله في الوقت ما يمشي إليه ويقصده؛ أجاز الإسراع. ومن كان حاله مشاهدة من يقصد به؛
قال: "لا يجوز" فإنه تضيق للوقت. والشارع إنما يراعي وارد الوقت. ووقت الآتي إلى الصلاة (هو)
مشاهدة المقصود بها. فشرع له السكينة والوقار في الإتيان دون سرعة الأقدام إعظاما لحرمه الوقت
واستيفاء لحقه.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

متى ينبغي للمأموم أن يقوم إلى الصلاة إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة
فمن قائل: في أول الإقامة. ومن قائل عند قوله: "حي على الصلاة". ومن قائل عند قوله: "حي على
الفلاح". ومن قائل: "حتى يرى الإمام" وهو الأولى عندي. ومن قائل: لا توقيت في ذلك. وقد ورد عن
رسول الله ﷺ: «لا تقوموا حتى تروني» فإن صح هذا الحديث، وجب العمل به ولا يُغفل عنه.

وأما مذهبنا في ذلك، إن لم يصح هذا الحديث، المسارعة في أول الإقامة. ثم إن عندنا، ولو صح
الحديث، فإن هذا الحديث عندي إذا صح، فحكم النبي ﷺ في هذه المسألة في الانتظار إليه، ولا تقوم

1 ص 151 ب
2 [طه: 108]
3 ص 152

حتى نراه¹ كما أمر، ما هو كحالنا اليوم. فإن زمان وجود النبي كان الأمر جائزاً أن يُنسخ، وأن يتجدد حكم آخر. فكان ينبغي أن لا يقوموا لقول المؤذن حتى يروا النبي ﷺ خرج إلى الصلاة. فيعلمون عند ذلك أنه ما حدث أمر يرفع حكم ما دُعوا إليه، بخلاف اليوم. فإن حكم القيام إلى الصلاة باق. فيقوم إذا سمع المؤذن يقيم مسارعاً. وإن اتفق أن يغلط المؤذن بأن يسمع جساً فينتخيل أنه الإمام فيقيم. والإمام ما خرج. فما على من قام بأش في ذلك؛ بل له أجر الإسراع إلى الخير، ويرجع إلى مكانه إلى أن يخرج الإمام، فإنه على يقين من بقاء حكم الصلاة.

الاعتبار²:

المقيم للصلاة هو حاجب الحق الذي يدعو الخلق إلى الدخول على الله بهذه الحالة. والصفة التي دعاهم وشرع لهم أن يدخلوا عليه فيها، فيسارعون في القيام، بأدب وسكون كما ذكرنا، وحضور لما يستقبلونه، واستحضار لما ينادونه به: من قراءة وذكور وتكبير وتسبيح، ودعاء معين عينه لهم، لا يتعنونه في تلك الحالة. فإذا فرغوا منها بالسلام دعوا بما شاعوا ولكن مما يرضي الله: لا يدعون على مسلم ولا بقطيعة رحم.

* * *

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

فمن أحرم خلف الصف خوفاً أن يفوته الركوع مع الإمام، ثم دب وهو رافع حتى دخل في الصف فمن الناس من كرهه، ومنهم من أجاز له. ومنهم من فرق بين المنفرد والجماعة في ذلك: فكرهه للمنفرد وأجاز له للجماعة.

وصل الاعتبار:

الركوع هو الخضوع لله تعالى، والمبادرة إليه أُولَى. غير أن مشيئة رافعه حتى يدخل في الصف هو الذي ينبغي أن يكون متعلق الكراهة أو الجواز. فمن رأى سدَّ الحلال واجباً أو الصلاة خلف الصف لا تجزي، مشى على حاله حتى يدخل في الصف. فإن الشارع ما أطل صلاة أبي بكر بذلك. ودعا له. ونهاه أن لا يعود. فعلم أنه نهى كراهة.

1 رَحِمَهَا فِي ق: نَزَّوْهُ
2 ص 152 ب

فإن¹ قالوا: "قضية في عين"، قلنا: ونبيه "أن لا يعود" قضية في عين، لأنه المخاطب: "أن لا يعود". ولم ينه غيره عن ذلك. ولكن بقرينة الحال علمنا أن المراد بذلك المصلي، كان من كان، أن يكون في حال صلاته على حد ما أمر به. فكل ما هو من تمام الصلاة جاز التعمل إلى تحصيله في الصلاة. ويتعلق بهذا مسائل على هذه القاعدة.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

فَمَا يَتَّبِعُ فِيهِ الْمَأْمُومُ الْإِمَامَ

لا خلاف بين العلماء في وجوب اتباعه فيما نصّ الشارع عليه من أقوال وأفعال. واختلفوا في قوله: "سمع الله لمن حمده" فمن الناس من قال: بأنه لا يجب عليه أن يقولها مع الإمام. ومنهم من أجاز له أن يقولها. والأوّل أولى عندي للحديث الوارد.

وصل؛ الاعتبار:

لَمَّا أُنْزِلَ الْإِمَامُ نَائِبًا عَنِ الْحَقِّ فِي حَقِّ مَنْ يَتَّقِدِي بِهِ، صَحَّ لَهُ أَنْ يَقُولَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ" فَهُوَ تَرْجَاءٌ عَنِ الْحَقِّ لِلْمَأْمُومِينَ. يُعَرِّفُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ذَلِكَ، حِينَ حَمْدِهِ فِي تِلَاوَتِهِمْ، وَتَسْبِيحِهِمْ فِي رُكُوعِهِمْ. فَهُوَ مَخْبَرٌ عَمَّنْ اسْتَخْلَفَهُ. وَلَوْ أَقَامَ اللَّهُ الْإِمَامَ مَقَامَهُ فِي الْحَالِ لَقَالَ: "سَمِعْتُ لِمَنْ حَمَدَنِي". فَأُثِّبَتْ بِقَوْلِهِ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ" عَيْنَ الْعَبْدِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا عَبَدَهُ إِلَّا مَنْ كَوَّنَهُ إِلَهًا، لَا مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ. خِلَافًا لِقَوْلِ رَابِعَةِ الْعَنُوتِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَصْنَعُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجَاهَا﴾² وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ³؟ وَلَمْ يَقُلْ: "سَمِعْتُ" -يُرِيدُ مَا ذَكَرْنَا- وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ قَوْلَهُ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ" مِثْلُ هَذَا؟ وَلَا سَيِّمَا وَالنَّبِيُّ يَقُولُ⁴: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ».

قلنا: أمّا الآية فقد تكون تعريفا من جبريل -الروح الأمين- بأمر الله أن يقول له مثل هذا. أي قل له

1 ص 153

2 [المجادلة : 1]

3 ص 153 ب

4 تاجة في الهامش بقلم الأصل

يا جبريل:- قد سمع الله، كما قيل لحمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ¹﴾ وهو بشر، فإنَّ الحقَّ لا يكون بشرا. وهكذا جميع ما في كلام الله من مثل هذا. فإنَّ أصفته، ولا بدَّ، إلى الحقِّ، فليكن الكلام لله من مرتبة خاصة، إخبارا عن مرتبة أخرى خاصة، إن شئت عبَّرت عنها بالذات، وإن شئت عبَّرت عنها باسم إلهي.

فيقول الحقُّ من كونه متكلمًا: يا محمد؛ قد سمع الله. فيريد بالله هنا الاسم "السميع" أو "العليم" على مذهب من يرى أنَّ سمعَهُ عِلْمُهُ، والأوَّل على من يرى أنَّ سمعَهُ حقيقةً أخرى، لا يقال: هي هو، ولا هي غيره. وعلى الذي قيل الأوَّل من يرى أنَّ سمعه ذاته. وهكذا سائر ما ينسب إليه من الصفات.

فللْمُؤْمِنِ أن يقول: "سمع الله لمن حمده" على هذا التفسير كلَّه. وإن ورد ذلك في حقِّ الإمام، فما ورد المنع منه في حقِّ المأموم، ولا في حقِّ المنفرد. ولا سيَّما والإنسان إمامٌ جماعةٍ ذاته، وما من جزء فيه إلَّا وهو حامد لله. فيعرِّف لسانه سائر ذاته: بأنَّ الله قد سمع لمن حمده. ولا سيَّما من كُشف له عن تسبيح كلِّ شيء بحمد ربه.

. . .

الفصل² الآخر

في الاهتمام

الاهتمام لا يصحُّ إلَّا مع العلم من المأموم فيما يؤتمُّ به، من أفعال³ الإمام ظاهرا وباطنا. والعامة، بل أكثر الناس، لا يعلمون من الإمام إلَّا الحركات الظاهرة: من قيام، وركوع، ورفع، وسجود، وجلوس، وتكبير، وتسليم. والنية غيبٌ من عمل القلب، لا يطلع عليها المأموم. فما كلفه الله أن يؤتمُّ به فيما لا يعلمه منه.

ولهذا قال عليه السلام: «إنما جعل الإمام ليؤتمُّ به، فإذا كَبَّرَ فكَبَّرُوا ولا تَكَبَّرُوا حتى يَكَبِّرَ. وإذا رَكَعَ فاركَعُوا ولا تَرَكَعُوا حتى يَرَكَعَ. وإذا قال: "سمع الله لمن حمده" فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد. وإذا سجد فاسجدوا، ولا تسجدوا حتى يسجد». وما تعرَّض للنية، ولا لما غاب عن علم المأموم. فذكر الأفعال الظاهرة الذي يتعلَّق بِدِرَاجَتِهَا الحُسْنُ. ولا سيَّما وقد ثبت أنَّ الصلاة الواحدة لا تقام في اليوم مرتين، وأنَّ أحد الصلاتين من المصلِّي وحده ثُمَّ يدرك الجماعة فيصلي معها، أنها له نافلة. فقد خالف الإمام في النية بالنص.

[الكيف : 110]

2 ص 154

3 ثابتة في الأصل مع إشارة التصويب

ثم إنَّ للمأموم، بهذا الحديث، أن يقول: "سمع الله لمن حمده"، ثم يقول: "ربنا ولك الحمد" للانتماء بإمامه. فبِئْسَ ما قد ثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في صلاته وهو إمام: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد».

الفصل الآخر

في الاحتياط بصلاة القاعد

اتفق العلماء من أصحاب المذاهب وغيرهم، أنه ليس للصحيح أن يصلي قاعدا فرضا، إذا كان منفردا أو إماما. واختلفوا في المأموم إذا كان صحيحا، فصلَّى خلف إمام مريض، يصلي ذلك الإمام المريض قاعدا، على ثلاثة أقوال؛ فمن قائل: إنه يصلي خلفه قاعدا، وبه أقول. ومن قائل: إنهم يصلون خلفه قياما. ومن قائل: لا تجوز إمامته إذا صلى قاعدا، وأما إن صلَّوا خلفه قياما أو قعودا بطلت صلاتهم.

وقد ذكر بعض رواة مالك عن مالك، قال: لا يؤمُّ الناس أحدًا قاعدا، فإن أمهم قاعدا بطلت صلاتهم وصلاته، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا يؤمُّن أحدٌ بعدي قاعدا». وهذا الحديث ضعيف جدًا، لأنَّ في طريقه جابر بن يزيد الجعفي، وليس بحجة، ومع ضعفه فالحديث مرسل، والصحيح الثابت إمامة القاعد.

وصل: الاعتبار في ذلك:

الإمام على الحقيقة؛ مَنْ نواصي الخلق بيده. فلا يخلو المصلي المأموم أن يرى الإمام نائبًا عن الحق كما جعله ﷺ² أو يراه مأموما مثله. فإن رآه إماما فله الاحتتام به على أي حال كان. وإن رآه مأموما مثله؛ جعل الحق إمامه، وصلى قاعدا لأمره ﷺ بذلك: فإنَّ هذا هو إمامه شرعا. ومن جعل الحق في قبلته وواجهه؛ غاب عنه إمامه بلا شك.

وقد اختلفت حالة الإمام بالمرض من حال المأموم. والمأموم إذا كان مريضا صلى خلف القائم للمنز - وقد مضى اعتبار النية في الإمام والمأموم - وقد أمر الإمام أن يقتدي بصلاة المريض في التخفيف به ولا يشق عليه. وكل واحد منهما قد أمر بالافتداء بالآخر. وعين الشارع فيماذا؟ فلا ينبغي العدول عما عيّنه الشارع من ذلك، لمن أراد اتباع السنة والوقوف عند حكم الله ورسوله.

1 ص 154 ب
2 ص 155

وإذا كان الإمام على الحقيقة هو الله، وهو سبحانه - لا يفصل عن حالات عبده في حركاته وسكناته، ولا يشغله عن مراقبته شيء، فإنه قال عن نفسه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾¹ فينبغي للمأموم - الذي هو العبد - أن يقتدي به في المراقبة والحضور. فلا يفصل عن سيده في صلاته، ولا يشغله شيء عن مراقبته في صلاته، حتى يصح له أن يكون مؤتمًا به في مثل هذا الوصف، من المراقبة وعدم الغفلة. فاعلم ذلك.

* * *

فصل² بَلَى وَضِل

في وقت تكبيرة الإحرام للمأموم

فمن قائل: يكبر بعد فراغ الإمام من تكبيرة الإحرام استحساناً، وإن كبر معه أجزاءه. ومن قائل: لا يجزيه أن يكبر معه. وبالأول أقول: أن يكبر بعد الفراغ، لا يجزيه غير ذلك. ومن قائل: لا يجزيه أن يكبر قبل الإمام، ومن قائل: إن كبر قبل الإمام³ أجزاءه. ومن قائل: إن كبر مع تكبير الإمام، وفرغ بفراغ الإمام أجزاءه. وإن فرغ المأموم تكبيره قبل فراغ الإمام لم يجزه.

الإحرام للمأموم إما أن يُعتبر فيه كونه مصلياً فقط: فيجزي قبل الإمام ومعه وبعد. وإن اعتبر كونه مصلياً ومأموماً لم يجزه أن يكبر قبل الإمام، فإن النبي ﷺ يقول: «ولا تكبروا حتى يكبر» فنهى. فإن علم أنه نهى كراهة أجزاءه قبل الإمام ومعه، وإن علم أنه نهى تحريم لم يجزه.

وصل: الاعتبار في ذلك:

ورد في الخبر: «إنَّ العبد يقول في حال من الأحوال: الله أكبر. فيقول الله: أنا أكبر. يقول العبد: لا إله إلا أنت. يقول (الله): لا إله إلا أنا. يقول العبد: لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد. يقول⁴ الله: لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد - يُصدق عبده». ومن هنا كان اسمه "المؤمن" وأمثاله.

فإذا كان الحق لا يقول شيئاً من ذلك حتى يقول العبد، فالعبد أولى بالاتباع. فليس للمأموم أن

1 [الأحزاب: 52]

2 ص 155 ب

3 هناك إشارات فوق "قبل الإمام" ربما أراد بها شطها.

4 ق: إله.

5 ص 156

يسبق إمامه بشيء؛ من أفعال الصلاة ولا من أقوالها. حتى في قراءة الفاتحة؛ ليس له أن يشرع فيها إذا جهر (الإمام) بها حتى يفرغ منها، أو يتبع سكنات الإمام فيها؛ فيقرأ ما فرغ الإمام منها في سكنة الإمام. وفي صلاة السرّ يقرأها بحسب ما يغلب على ظنه؛ إلّا في الصلاة بعد الجلسة الوسطى فإنه يقرأها ابتداء.

فصلٌ بَلْ وَضَل

فمَن رفع رأسه قبل الإمام

فمن قائل: إنّه أساء ويرجع وصحّت صلاته. ومن قائل: تبطل صلاته.

وصل؛ الاعتبار:

الإمام (هو) الحقّ. والقيوميّة صفته. فلا يجوز للمأموم أن يرفع قبل إمامه، وأنّ صلاته تبطل، فإنّه في حالٍ لا يصحّ فيها أن يكون مأموماً لمثله ولا للحقّ. فإنّ قِيوميّة الحقّ به في رفعه من الركوع تسبق قِيوميّته. إذ كلّ ما يقيم فيه العبد إنّما هو عن صفة إلهيّة، ظلّها هو الذي يظهر في العبد. والظلّ تبع بلا شكّ. والعبد ظلّ، يقول (ص): «السلطان ظلّ الله في الأرض».

وإنما ورد هذا في الرفع؛ لأنّ طلب العلوّ، بل¹ العلوّ له سبحانه - بالاستحقاق. وإنما الذي ينبغي للمأموم الاقتداء بالإمام في كلّ خفض ورفع؛ فأما الخفض فرمّا تطلب النفس فيه للتخيّل الفاسد الذي يطرد من الجاهل.

فاعلم أنّ الحقّ وصّف نفسه بالنزول. فيسبق المأموم، بخفضه، نزول الحقّ إليه قبل نزوله وهويّه إلى السجود، فلا ينحطّ إلى السجود حتى يسبقه إمامه. فإنّه إن لم يكن يجد الحقّ في سجوده، فلمن ينزل هذا العبد المصلّي وينحطّ بفعله ذلك؟ فلا ينحطّ إلّا للإله الذي وصف نفسه بالنزول من علوّه إلى عبده.

فيقول العبد: يا ربّ؛ هذه صفتي فأنا أحقّ بها. وإنما ضرورة الدّعوى رفعتني عن مقام الانحطاط. لكنك أخبرت أنّك خلقتني على الصورة، فشمخْتُ نفسي على مَنْ نزل عن هذه الدرجة التي خصصتني بها. ثمّ مننت عليّ بأن نزلت إليّ. فمن كان هذا مشهده ومشره اقتدى بالإمام في جميع الأحوال والأحكام.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

فَمَا يَحْمِلُهُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ

اتَّفَقَ عُلَمَاؤُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ شَيْئًا مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ مَا عدا الْقِرَاءَةَ. فَإِنْتَهُم اِخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ. فَمَنْ قَاتَلَ: إِنَّ الْمَأْمُومَ يَقْرَأُ مَعَ الْإِمَامِ فِيمَا أَسْرَّ بِهِ، وَلَا يَقْرَأُ مَعَهُ فِيمَا جَهَرَ¹ بِهِ. وَمَنْ قَاتَلَ: لَا يَقْرَأُ مَعَهُ أَصْلًا. وَمَنْ قَاتَلَ: يَقْرَأُ مَعَهُ فِيمَا أَسْرَّ: "أُمُّ الْكِتَابِ" وَغَيْرَهَا، وَفِيمَا جَهَرَ: "أُمُّ الْكِتَابِ" فَقَطُّ وَبِهِ أَقُولُ.

وَبَعْضُهُمْ فَرَّقَ فِي الْجَهْرِ بَيْنَ مَنْ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَسْمَعُ. فَأَوْجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ الْقِرَاءَةَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ، وَنَهَاهُ عَنْهَا إِذَا سَمِعَ.

وَالَّذِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ وَجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ عَلَى كُلِّ مَصْلٍ؛ مِنْ إِمَامٍ وَغَيْرِ إِمَامٍ، أَنَّهُ إِنْ قَرَأَ فِي نَفْسِهِ كَانَ أَفْضَلَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ يَسْمَعُ الْإِمَامَ، فَالْإِنْصَاتُ وَالِاسْتِمَاعُ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ وَاجِبٌ لِأَمْرِ اللَّهِ الْوَارد فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾² وَمَا خَصَّ حَالَ صَلَاةٍ مِنْ غَيْرِهَا.

وَالْقُرْآنُ مُقْطُوعٌ بِهِ عِنْدَ الْجَمْعِ. وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ إِنْ لَمْ يَقْرَأِ الْمَأْمُومُ -أَعْنِي غَيْرَ الْفَاتِحَةِ- أَجْزَأُهُ صَلَاتُهُ، إِلَّا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ كَمَا قُلْنَا؛ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهَا لِكُلِّ مَصْلٍ. فَإِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الصَّلَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَمَا ذَكَرَ إِلَّا الْفَاتِحَةَ لَا غَيْرَ. فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْهَا ثَمَّ صَلَّى الصَّلَاةَ الْمَشْرُوعَةَ الَّتِي قَسَمَهَا اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ. وَلَكِنْ يَتَّبِعُ الْمَأْمُومُ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ سَكَتَاتِ الْإِمَامِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْخَبَرِ. وَإِنْ لَمْ يَسْكُتِ الْإِمَامُ، وَيَكْرَهُ لَهُ ذَلِكَ، فَلْيَقْرَأْهَا الْمَأْمُومُ فِي نَفْسِهِ بِحَيْثُ أَنْ لَا يَسْمَعَهُ الْإِمَامُ آيَةَ آيَةٍ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا، وَلَا يَجْهَرُ عَلَى الْإِمَامِ بِقِرَاءَتِهِ.

وَصَلِّ³: الْإِعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ:

لَمَّا احْتَوَتْ الصَّلَاةُ عَلَى أَرْكَانٍ، وَهِيَ الْفُرُوضُ الْمُعَيَّنَةُ فِيهَا، لَمْ تُجْزِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا. وَكُلٌّ مَا لَيْسَ بِفَرْضٍ وَبِجِبْرِهِ سَجُودُ السُّهُوِّ، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَحْمِلُهُ عَنِ الْمَأْمُومِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمَأْمُومَ إِذَا نَقَصَهُ (شَيْءٌ) أَوْ زَادَ لَمْ يَسْجُدْ لِسُهُوِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْفُرُوضَ حَقُوقُ اللَّهِ. «وَحَقُّ اللَّهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ». وَمَا عدا الْفُرُوضَ، وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ مَشْرُوعَةٌ، وَهِيَ عَلَى قَسَمَيْنِ: مِنْهَا مَا جُعِلَ لَهَا بَدَلٌ، وَهُوَ سَجُودُ السُّهُوِّ. وَهِيَ الْأَفْعَالُ الَّتِي لِلشَّرْعِ بِهَا اعْتِنَاءٌ، مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنَ الْإِنْعَامِ الَّذِي يَقْرُبُ مِنَ إِنْعَامِ الْفَرَائِضِ بِالشُّبْهِ، وَلِهَذَا جُعِلَ لَهَا بَدَلٌ. وَمِنْهَا مَا هِيَ حَقُوقٌ لِلْعَبْدِ بِمَا رُغِبَ فِيهَا: فَإِنْ شَاءَ عَمَلَ بِهَا، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وَمَا جُعِلَ لَهَا

1 ع 157
2 [الأعراف: 204]
3 ص 157 ب

بَدَلٌ. فَإِنْ عَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ ثَوَابٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَرَجٌ، وَلَمْ يَحْصِلْ لَهُ ذَلِكَ الثَّوَابُ الَّذِي يَحْصِلُ مِنْ يَفْعَلْهَا: كَرَفْعِ الْأَيْدِي فِي كُلِّ خَفِضٍ وَرَفْعٍ عَمْدًا. فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ الرُّفْعُ، أَوْ مِنْ مَذْهَبِهِ لَمَّا اقْتَضَاهُ دَلِيلُهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ نَسِيَانًا وَسَهْوًا؛ فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لِسَهْوِهِ، لَا لِرَفْعِ الْيَدَيْنِ. فَإِنَّ السَّجُودَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ إِلَّا لِلْسَّهْوِ، لَا لِلْمَسْهَوِّ عَنْهُ: بِدَلِيلٍ¹ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَهُ عَمْدًا أَوْ عَنْ اجْتِهَادٍ؛ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ.

بِخِلَافِ مَا جُعِلَ لَهُ بَدَلٌ وَلَيْسَ بِفَرْضٍ: فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَبْطُلُ بِتَرْكِهِ عَمْدًا، أَوْ بِفَعْلٍ مَا لَمْ يُشْرَعْ لَهُ يَفْعَلُهُ عَمْدًا.

وَفَرَّقَ بَيْنَ الْجُلُوسَةِ الْوَسْطَى، وَبَيْنَ جُلُوسَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ، وَالْجُلُوسَةِ الَّتِي بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَالْجُلُوسَةِ الْآخِرَةِ. وَحَكَّمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُخْتَلَفٌ. وَاعْتَبَرَهُ: فِي الْعَمَاءِ، وَفِي الْعَرْشِ، وَفِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَفِي الْأَرْضِ عِنْدَ جُلُوسِ الْعَبْدِ فِي مَجْلِسِهِ. فَالْعَمَاءُ: لِلْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ. وَالْعَرْشُ: لِلْجُلُوسَةِ الْآخِرَةِ. وَالسَّمَاءُ: لِلْجُلُوسَةِ الْوَسْطَى. وَمَعَ جُلُوسِي فِي الْأَرْضِ حَيْثُ كُنْتُ مِنْ مَجَالِسِي: لِلْجُلُوسِ الْإِسْتِرَاحَةِ.

وَأَمَّا مَنْ جَلَسَ فِي وَتَرٍ مِنْ صَلَاتِهِ فَمَا حَكَمَهُ حُكْمُ الْجُلُوسَةِ الْوَسْطَى؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُشْرَعْ لَهُ تَرْكُهَا. وَجُلُوسَةُ الْإِسْتِرَاحَةِ شُرِّعَ لَهُ يَفْعَلُهَا. فَلَوْ تَعَمَّدَ جُلُوسَ الْإِسْتِرَاحَةِ، فَقَدْ تَعَمَّدَ مَا شُرِّعَ لَهُ، وَلَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ. وَإِنْ جَلَسَ فِي وَتَرٍ مِنْ صَلَاتِهِ نَاسِيًّا وَهُوَ يَرِيدُ الْقِيَامَ؛ سَجَدَ لِسَهْوِهِ لَا لِلْجُلُوسَةِ، وَلَهُ أَجْرُ الْجُلُوسِ وَأَجْرُ مَا سَهَا عَنْهُ لِسُجُودِ السَّهْوِ، الَّذِي هُوَ تَرْغِيمُ لِلشَّيْطَانِ. وَلَهُ أَجْرٌ مَنْ أَنْكَرَ فِي عَدْوِ اللَّهِ وَعَدْوِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَطْعُونُ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَقَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾². وَالشَّيْطَانُ مِنَ الْكُفَّارِ لِقَوْلِ³ اللَّهِ فِيهِ: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁴. وَسَيَأْتِي مَا يُلِيقُ بِهَذَا كُلِّهِ فِي السَّهْوِ مِنْ هَذَا الْبَابِ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلٍ

فِي ارْتِبَاطِ صَلَاةِ الْمَأْمُومِ بِصَلَاةِ الْإِمَامِ فِي الصَّخَّةِ وَالْبَطْلَانِ
اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي: هَلْ صَخَّةٌ انْعِقَادَ صَلَاةِ الْمَأْمُومِ مُرْتَبِطَةٌ⁵ بِصَخَّةِ صَلَاةِ الْإِمَامِ، أَمْ لَا؟ لِمَنِ النَّاسُ مِنْ

1 ع 158

2 [النوبة : 120]

3 ع 158 ب

4 [البقرة : 34]

5 ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

رأى أنها مرتبطة. ومنهم من لم ير أنها مرتبطة، وبه أقول. وإن اقتدى به فيما أمر أن يقتدي به فيه. ولهذا اختلفوا في الإمام إذا صلى وهو جُنُب، وعلموا بذلك بعد الصلاة؛ فمن رأى الارتباط، قال: "صلاتهم فاسدة". ومن لم ير الارتباط، قال: "صلاتهم صحيحة". وهو الذي أذهب إليه.

وفرق قوم بين أن يكون الإمام عالماً بجنابته أو ناسياً. فقالوا: إن كان عالماً فسدت صلاتهم. وإن كان ناسياً لم تفسد صلاتهم.

وصل الاعتبار في ذلك:

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾¹ وما في وسع الإنسان أن يعلم ما في نفس غيره. ولا يحيط علماً بأحوال غيره. فكل مصل² إنما هو على حسب حاله مع الله. ولهذا ما أمره الشرع في الانتماء بإمامه، إلا فيما يشاهده من الإمام: من رفع وخفض.

فإن كشف بحال الإمام، كان حكمه بحسب كشفه. فإذا علم أن الإمام على غير طهارة؛ فليس له أن يقتدي به من وقت علمه، وصح له ما مضى من صلاته معه قبل علمه. ولا اعتبار في ذلك للنسيان الإمام أو غيبه: فإن الإمام، عنده من وقت علمه، في غير صلاة شرعاً، وما أمره الله أن يرتبط - أعني أن يقتدي - إلا بالمصلي. - فإن كان الإمام ناسياً لجنابته أو حديثه، فهو مصل³ شرعاً. وصلاة المأموم صحيحة شرعاً، وانتماءه به هو مصل⁴ شرعاً.

وإن علم المأموم أن الإمام على غير طهارة، فإن تمكن للمأموم أن يعلمه بحديثه في نفس صلاته، أعلمه، بحيث أن لا تبطل صلاة المأموم بذلك الإعلام. فإن الله يقول: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾³. وإن لم يتمكن، صلى لنفسه، فإذا فرغ من صلاته أعلمه بحديثه، سواء فرغ الإمام أو لم يفرغ. فإن تذكر الإمام أو قلله تظهر. وإن لم يتذكر ولم يقله، فهو بحسب ما يقتضيه علمه ومذهبه في ذلك، وصلاة المأموم صحيحة.

انتهى⁴ الجزء الحادي والأربعون بانهاء السفر السادس من هذه النسخة والحمد لله. يتلوه في الجزء

1 [البقرة : 286]

2 ص 159

3 [محمد : 33]

4 ص 159 ب

1 أسفل المتن: "قرأت من موضع البلاغ بخطي إلى هنا على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي، أتابه الله الجنة، فسمعه: إتياء أبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد، وإسماعيل بن سودكين بن عبد الله التوري، ومحمد بن علي بن الحسين الأغلطي، وأبو بكر بن سليمان الحوي الواعظ، وابناء عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإريلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وموسى بن زيد الحوراني، وأبو بكر بن محمد البلخي، ومحمد بن برهش المعظمي، وإبراهيم بن أبي بكر بن الحلال، ويعقوب بن معاذ الوري، ويونس بن عثمان، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وابن أخيه عبد السلام بن أبي الفضل، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعمران بن محمد، ومحمد بن علي المطرزي، وبركة بن حسن بن مالك، وعيسى بن إسحق الهنباني، وعبد المنعم بن مظفر المصري، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنطليسي، ويعمى بن إسماعيل الملقط، وإبراهيم بن محمد بن محمد، وعلي بن أحمد القرطبياني، وأحمد بن عبد الرحمن بن بيان، وحسين بن علي الموصلي، وإبراهيم بن أبي بكر كرجي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وعلي بن أبي الفاتم بن الفسال، ومحمد بن عبد القادر بن الصاق المعروف بابن نجم، وكتب علي بن المظفر بن القاسم النشبي، وصح ذلك (...) في يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى من سنة ثلاث وثلاثين وسفانة بمنزل المصنف بدمشق، والحمد لله، وصلواته على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيراً".

يليه: "وقرات من موضع البلاغ بخطي لآخر هذه الجلطة على الشيخ المؤلف المذكور، فسمعه القاضي الأجل الإمام معين الدين أبو إسحق إبراهيم بن القاضي مجد الدين أبي المكن عمر بن القاضي الأجل عز الدين عبد العزيز بن الحسن القرشي، وصح له جميع ما فاته، وذلك في ثالث عشر من شوال من سنة ثلاث وثلاثين وسفانة، وسمع معه الشيخ عيسى بن إسحق بن يوسف الهنباني. كتبه علي بن المظفر بن القاسم النشبي الشافعي عفا الله عنه حامداً ومصلياً وصلياً".

يليه خلف الصفحة بخط الشيخ ابن العربي: "قرأت عليّ البنت الموهبة السعيدة أم دلال بنت شيخنا ولي الدين أحمد بن مسعود بن شداد المقرئ الموصلي وفقها الله هذه الغلطة من أولها إلى آخرها، وأذنت لها أن تحدث بما عني وبسائر الكتاب وهو هذا العمل مسبعة وتلاثون مجلداً، والله ولي التوفيق. وكتب منشية محمد بن علي بن محمد بن العربي بخطه في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسفانة، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى".

يليه: "قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا الجلد، وهو الجلد السادس من الفتوحات المكية على جامعته الشيخ العلامة سيد الطوائف، خلف المشايخ، محيي الدين شيخ الإسلام محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائبي -مد الله في عمره- في مجالس آخرها يوم الأحد سادس عشرين محرم الميمون سنة سبع وثلاثين وسفانة في منزله بدمشق، وصل الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين". يليه بخط الشيخ الأكبر: "صح ما ذكره من القراءة عليّ، وكتب محمد بن علي بن العربي الطائبي بخطه في التاريخ".

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
62	1	1	الفاتحة	130	186	2	البقرة
81	1	1	الفاتحة	131	222	2	البقرة
62	2	1	الفاتحة	106	238	2	البقرة
63ب	2	1	الفاتحة	14	269	2	البقرة
66ب	2	1	الفاتحة	82ب	282	2	البقرة
67	2	1	الفاتحة	83	282	2	البقرة
81ب	2	1	الفاتحة	158ب	286	2	البقرة
70ب	5	1	الفاتحة	102ب	18	3	آل عمران
65ب	6	1	الفاتحة	120	97	3	آل عمران
83	2، 3	1	الفاتحة	124ب	97	3	آل عمران
90	6، 7	1	الفاتحة	13	133	3	آل عمران
31ب	21	2	البقرة	150ب	133	3	آل عمران
31ب	22	2	البقرة	92ب	139	3	آل عمران
64ب	25	2	البقرة	116ب	159	3	آل عمران
28ب	29	2	البقرة	93	34	4	النساء
158ب	34	2	البقرة	52ب	40	4	النساء
67ب	40	2	البقرة	40ب	59	4	النساء
3ب	43	2	البقرة	134ب	59	4	النساء
43	115	2	البقرة	40ب	80	4	النساء
45	115	2	البقرة	100	80	4	النساء
46	115	2	البقرة	106	80	4	النساء
46ب	149	2	البقرة	134ب	80	4	النساء
46ب	150	2	البقرة	132	86	4	النساء
130	152	2	البقرة	10	103	4	النساء
72	163	2	البقرة	66	150	4	النساء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
66	151	4	النساء	65ب	124	9	التوبة
75	20	5	المائدة	108	24	10	يونس
53ب	48	5	المائدة	90	56	11	هود
116	18	6	الأنعام	142	56	11	هود
86	54	6	الأنعام	65ب	112	11	هود
41	72	6	الأنعام	45ب	123	11	هود
60ب	79	6	الأنعام	68ب	123	11	هود
72ب	79	6	الأنعام	72ب	123	11	هود
73	79	6	الأنعام	127	68	12	يوسف
77	91	6	الأنعام	99	98	12	يوسف
63	118	6	الأنعام	39ب	108	12	يوسف
63	121	6	الأنعام	18ب	17	13	الرعد
42ب	149	6	الأنعام	77	33	13	الرعد
73ب	162	6	الأنعام	31ب	17	16	النحل
60ب	163 ، 162	6	الأنعام	33ب	17	16	النحل
49ب	22	7	الأعراف	72ب	17	16	النحل
22ب	54	7	الأعراف	27ب	60	16	النحل
3	151	7	الأعراف	18ب	74	16	النحل
86	156	7	الأعراف	62ب	98	16	النحل
43ب	176	7	الأعراف	79	98	16	النحل
36	187	7	الأعراف	80	98	16	النحل
98ب	187	7	الأعراف	7	12	17	الإسراء
157	204	7	الأعراف	45	23	17	الإسراء
21ب	6	9	التوبة	3ب	44	17	الإسراء
49	6	9	التوبة	30	44	17	الإسراء
116ب	73	9	التوبة	90ب	44	17	الإسراء
158	120	9	التوبة	98ب	44	17	الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
150ب	61	23	المؤمنون
44ب	117	23	المؤمنون
18	35	24	النور
18ب	35	24	النور
18ب	35	24	النور
108	35	24	النور
3ب	41	24	النور
97ب	61	24	النور
17	80	26	الشعراء
17	82	26	الشعراء
17	82	26	الشعراء
31ب	38	28	القصص
113	38	28	القصص
43ب	68	28	القصص
49	43	29	العنكبوت
80ب	45	29	العنكبوت
66ب	4	30	الروم
24ب	4	33	الأحزاب
47ب	4	33	الأحزاب
49	4	33	الأحزاب
48	13	33	الأحزاب
4	21	33	الأحزاب
103	21	33	الأحزاب
67ب	24	33	الأحزاب
3	43	33	الأحزاب
3	43	33	الأحزاب
101	43	33	الأحزاب

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
26ب	62	18	الكهف
17ب	63	18	الكهف
17ب	64	18	الكهف
17ب	81	18	الكهف
18	82	18	الكهف
73	82	18	الكهف
153ب	110	18	الكهف
135	12	19	مريم
99ب	33	19	مريم
135	29، 30	19	مريم
57	46	20	طه
142	50	20	طه
151ب	108	20	طه
60	114	20	طه
97ب	114	20	طه
43ب	23	21	الأنبياء
70ب	30	21	الأنبياء
72ب	30	21	الأنبياء
3ب	18	22	الحج
30ب	30	22	الحج
30	32	22	الحج
15	78	22	الحج
43	78	22	الحج
143ب	9	23	المؤمنون
107ب	14	23	المؤمنون
13	61	23	المؤمنون
126	61	23	المؤمنون

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
155	52	33	الأحزاب	70	31	47	محمد
103	56	33	الأحزاب	159	33	47	محمد
38	47	34	سبأ	134ب	10	48	الفتح
112ب	28	35	فاطر	132	17	49	الحجرات
126	32	35	فاطر	48	16	50	ق
141ب	32	35	فاطر	77	16	50	ق
142	1	37	الصفافات	141	16	50	ق
77	180	37	الصفافات	43ب	29	50	ق
36	29	38	ص	74ب	37	50	ق
45	3	39	الزمر	19ب	49	51	الناريات
22ب	5	39	الزمر	19ب	49	51	الناريات
3	7	40	غافر	36	55	51	الناريات
3	7	40	غافر	74	56	51	الناريات
3	9	40	غافر	80	56	51	الناريات
79ب	35	40	غافر	134ب	56	51	الناريات
113	60	40	غافر	100	3	53	النجم
73	10	41	فصلت	106	3	53	النجم
71ب	28	41	فصلت	69	3، 4	53	النجم
44	11	42	الشورى	142ب	54	54	القمر
77	11	42	الشورى	142ب	55	54	القمر
101ب	11	42	الشورى	41	9	55	الرحمن
41	13	42	الشورى	90ب	31	55	الرحمن
38	23	42	الشورى	82ب	1 - 3	55	الرحمن
56	51	42	الشورى	32	3، 4	55	الرحمن
31ب	54	43	الزخرف	72	3، 4	55	الرحمن
79ب	49	44	الدخان	32	1، 2	55	الرحمن
66	23	45	الجاثية	69	74	56	الواقعة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
31ب	24	79	النازعات
112ب	24	79	النازعات
113	24	79	النازعات
114	26	79	النازعات
112ب	25، 26	79	النازعات
21	18	81	التكوير
57	26	81	التكوير
110	29	81	التكوير
29	6	83	المطففين
6	1	85	البروج
69	1	87	الأعلى
91ب	1	87	الأعلى
30ب	17	88	الغاشية
148ب	22	89	الفجر
5	9	91	الشمس
74	7	93	الضحى
81ب	1	96	العلق
28ب	14	96	العلق
66ب	3	112	الإخلاص
77	4	112	الإخلاص

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
91ب	74	56	الواقعة
77	85	56	الواقعة
27	3	57	الحديد
72ب	3	57	الحديد
45	4	57	الحديد
53	4	57	الحديد
13	21	57	الحديد
153	1	58	الجادلة
48	7	58	الجادلة
122	12	58	الجادلة
15	7	59	الحشر
83ب	24	59	الحشر
71ب	1	60	المتحنة
80ب	5	67	الملك
53	23	70	المعارج
143	23	70	المعارج
144	20	73	المزمل
68	4	74	المدثر
77	31	74	المدثر
148ب	38	78	النبأ

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	تخرج الحديث	صفحة المخطوط
أثنى عليّ عبيد	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 597	68
اجعلوها في ركوعكم	سنن أبي داود 736، سنن ابن ماجه 877	69، 91
اجعلوها في سجودكم	سنن أبي داود 736، سنن ابن ماجه 878	69، 91
آخر وقت الظهر ما لم يدخل وقت العصر		14ب
إذا استظلم الإمام من خلفه فليطعمه		63
إذا أمن الإمام فأمنوا	صحيح البخاري 738، صحيح مسلم 618	141ب
إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده. فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، فبأن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	105ب
إذا قال الإمام: ﴿ولا الضالّين﴾ فقولوا: آمين	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 755، شعب الإيمان للبيهقي 2271	141ب
إذا كنّا في سفر فأذنّا وأقمّا	سنن الترمذي 189، السنن الكبرى للنسائي 1598	34ب
إذا وَزَّيْتُ فَأَرْجُحْ	سنن ابن ماجه 2213، مستخرج أبي عوانة 3949	41ب
ارجع فصل فإنك لم تصلّ» فقال الرجل: «علمني يا رسول الله» فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئنّ راکعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئنّ ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئنّ جالسا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلّها	صحيح البخاري 715، صحيح مسلم 602	127

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
اركع حتى تطمئن راکما، وارفع حتى تطمئن واقفا	صحیح البخاری 715، صحیح مسلم 602	117
اضربوا لي فيها بسهم	سنن البارقطني 3080، مسند أحمد 10972	38ب
اعبد الله كأنك تراه	صحیح البخاری 48، صحیح مسلم 9	61ب
أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	صحیح البخاری 48، صحیح مسلم 9	27ب
أعطيت ستا لم يُعطهن نبي قبلي... وأوتيت جوامع الكلم	صحیح مسلم 812، مسند أحمد 8969	110
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم	سنن أبي داود 658، سنن الترمذي 225	79
أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك.. أعوذ بك منك	صحیح مسلم 751، سنن النسائي 169	79ب
ألا إن العبد نام	سنن البارقطني 966، معرفة السنن والآثار للبيهقي 15	36ب
إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله	صحیح البخاری 24، سنن البارقطني 910	90
أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد	سنن أبي داود 584، سنن الترمذي 213	129ب
إن أحق ما أخذتم عليه كتاب الله	صحیح البخاری 5296، سنن البارقطني 3083	38
إن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة	مسند أحمد 10413، سنن الترمذي 302	42، 142ب
إن الرسالة والنبوة قد انتظمت فلا رسول بعدي ولا نبي	سنن الترمذي 2198، مسند أحمد 13322	99
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله	صحیح البخاری 2958	5ب

وصحيح مسلم 3177

إِنَّ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ
التَّسْبِيحُ

صحيح مسلم 328، سنن 43ب
الترمذي 3439

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فِي مَنَاجَاتِهِ 81ب
فِي الصَّلَاةِ، يَقُولُ اللَّهُ: يَذْكُرُنِي عَبْدِي

إِنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ: اللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَقُولُ اللَّهُ: سَنَنْ التَّرمِذِي 3352، سنن 155ب
أَنَا أَكْبَرُ. يَقُولُ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. يَقُولُ (اللَّهُ): لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا. يَقُولُ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. يَقُولُ
اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ - يُصَدِّقُ عَبْدَهُ

صفة الصفوة لابن الجوزي - 16ب
(1 / 35)، أدب الإملاء
والاستملاء للسمعاني - (1 / 5)

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبَهُمْ
الزهدي لأحمد بن حنبل 397، 54ب
فيض القدير - (2 / 88)

إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ فِي الصَّلَاةِ: سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ
عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

صحيح مسلم 612، مسند 49
أحمد 18834
صحيح مسلم 612، مسند 21ب،
أحمد 18834، 68

93ب،

153ب

مصنف عبد الرزاق 4582، 19ب،
مسند أحمد 6406، 20

صحيح البخاري 1083، 130
صحيح مسلم 1302

إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَادَكُمْ صَلَاةً إِلَى صَلَاتِكُمْ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمْلُوا

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ .. وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ	صحيح مسلم 4650، سنن ابن ماجه 4133	23ب
إِنَّ اللَّهَ وَتَرِ يَحِبُّ الْوَتَرَ	صحيح مسلم 4835، سنن أبي داود 1207	19ب، 131ب
إِنَّ بِلَالًا يَنَادِي بِلِيلٍ	صحيح البخاري 582، صحيح مسلم 1827	36
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	87ب، 131
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَانَ إِذَا غَزَا قَوْمًا صَبَّحَهُمْ؛ فَإِنْ سَمِعَ نَدَاءً لَمْ يُغْزِ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ نَدَاءً أَغَارَ إِنَّ سَجُودَ السُّهُورِ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ	صحيح ابن حبان 2724، مصنف ابن أبي شيبة - (1 / 477)	81
إِنَّ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ كَافِيَةٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ	معرفة السنن والآثار للبيهقي 951	147
إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	سنن أبي داود 1162، مسند أحمد 25104	141
أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي	شعب الإيمان للبيهقي 699	48ب
أَنَا مَعَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِي	الزهد لأحمد بن حنبل 397، فيض القدير - (2 / 88)	110
إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ	شعب الإيمان للبيهقي 5717، مصنف عبد الرزاق 19543	117ب
إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَلَا تَكْبُرُوا حَتَّى يَكْبُرَ. وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ. وَإِذَا قَالَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمْدَهُ" فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَلَا تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ	صحيح البخاري 365، صحيح مسلم 622	154

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
إنما يرحم الله من عباده الرحاء	صحيح البخاري 1204،	3
	صحيح مسلم 1531	
إنه أصدق بيت قالته العرب	شعب الإيمان للبيهقي 6543	47
أنه صلى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الأول		14ب
أنه صلى المغرب في اليومين، في وقت واحد في أول فرض الصلوات		19
إنه كان صلى الله عليه وسلم - يذكر الله على كل أحيانه	صحيح مسلم 558، مسند أحمد 25172	53
إنه من دعا بظهر الغيب لأخيه قال له الملك: ولك بمثله	صحيح مسلم 4913، سنن أبي داود 1311	103
إنه يراك	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 8	28ب
أهل القرآن هم أهل الله وخاصته	مسند أحمد 11831، المستدرک على الصحيحين للحاكم 2003	134
بادرني عبدي بنفسه	صحيح البخاري 3204، مستخرج أبي عوانة 105	141ب
بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج	صحيح البخاري 7، صحيح مسلم 19	4ب
بي يسمع وبني يصرون ويتكلم	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7739	141ب
ترون ربكم كما ترون الشمس	صحيح البخاري 764، صحيح مسلم 267	11
ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال في صلاته وهو إمام: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد	صحيح البخاري 365، صحيح مسلم 623	154

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
ثم لم يجدوا إلا أن يستهوا عليه لاستهوا عليه	صحيح البخاري 580، صحيح مسلم 661	126ب
جعت فلم تطعمني، مرضت فلم تعدني، ظمئت فلم تسقي... أما إن فلانا مرض، فلو عدته وجدتي عنده حيثما أدركتك الصلاة فصل	صحيح مسلم 4661، شعب الإيمان للبيهقي 8879، صحيح البخاري 3172، صحيح مسلم 809	48، 114ب، 47
خير موضوع	مسند أحمد 20566، المستدرک على الصحيحين للحاكم 4131	34
زادك الله حرصا ولا تَد	صحيح البخاري 741، سنن أبي داود 585	151
زدني فيك تحيّرًا	تفسير حتي - (1 / 352)	77ب
زملوني زملوني، دثروني	صحيح البخاري 3، صحيح مسلم 231	100ب
سأل النبي صلى الله عليه وسلم - عن أبيّ حين أرتج عليه، يقول له: «لِمَ لَمْ تفتح علي السلطان ظلّ الله في الأرض	شعب الإيمان للبيهقي 7117، مسند الشهاب القضاعي 294	143ب، 156
سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406	34
الصلاة قد قسمها الله بنصفين بينه وبين عبده	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	49
صلّوا كما رأيتموني أصلي	صحيح البخاري 595، سنن الدارمي 1300	60، 103، 106، 115

الحدیث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - خلف عبد الرحمن بن عوف بلا خلاف، وقضى ما فاته. وقال: أحسنتم	موطأ مالك 64، مسند أحمد 17458	139
فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك، وإن انتقصت منها شيئاً؛ انتقص من صلاتك ولم تذهب كلها» وقال في أوله: «إذا قلت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله، ثم تشهد، فأقم ثم كبر	سنن الترمذي 278، صحيح ابن خزيمة 526	127ب
فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين في الصلاة، يقول الله: حمدني عبدي. يقول العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله: أتى عليّ عبدي يقول العبد: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول الله: مجدني عبدي يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل أهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المنقضوب عليهم ولا الضالين. فيقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	84
فلئن الراح حول الحمى يوشك أن يقع فيه	المعجم الأوسط للطبراني 11057، مستخرج أبي عوانة 4449	49ب
فإنه يؤذن بليل؛ فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم	صحيح البخاري 582، صحيح مسلم 1827	35
فأوتروا يا أهل القرآن	سنن أبي داود 1207، سنن الترمذي 415	19ب
في كل كبد رطبة أجر	صحيح البخاري 2190، صحيح مسلم 4162	86ب
فيقول الله: حمدني عبدي	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	62، 63ب، 66ب
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	موطأ مالك 174، صحيح	8ب،

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
مسلم 598	54،	
	61ب،	
	63ب،	
	66، 82،	
	129ب،	
	145	
نسبت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل. موطأ مالك 174، صحيح	81ب	
يقول عبدي إذا افتتح الصلاة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مسلم 598		
فيذكرني عبدي. يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾		
قال الله: حمدني عبدي		
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة	سنن أبي داود 627	128
يرفع يديه حتى يحاذي بها منكبيه، ثم يكبر حتى يقرأ كل		
عظم في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى		
يحاذي بها منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم		
يعتدل فلا ينقص رأسه ولا يثني، ثم يرفع رأسه ويقول:		
سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه		
معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوي إلى الأرض فيجافي		
يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقع		
عليها، ويفتح أصابع رجله إذا سجد، ويسجد...		
كان عليه السلام - يرفع يديه عند الإحرام مرة واحدة لا		115ب
يزيد عليها		
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منها	سنن أبي داود 3567، سنن	79ب
قصته	ابن ماجه 4164	
كنت سمعه وصره ولسانه	صحيح البخاري 6021،	48،
	المعجم الكبير للطبراني 7738	108ب
كيف تركم عبادي؟ فيقولون: تركاهم وهم يصلون، وأتيناهم	صحيح البخاري 522، صحيح	132ب
وهم يصلون	مسلم 1001	

الحدیث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
لا تقولوا: السلام على الله فإن الله هو السلام	صحيح البخاري 791، سنن أبي داود 825	98
لا تقوموا حتى تروني	صحيح البخاري 601، صحيح مسلم 949	152
لا يؤمن أحدٌ بعدي قاعدا	مصنف عبد الرزاق 4088،	154ب
لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الأخرى		11ب، 14ب
لا يمنعكم أذان بلال عن الأكل والشرب	مسند أحمد 11978، المعجم الكبير للطبراني 6840	35
الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والله أكبر كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نُفِخَ ونُفِخَ وهزّه	سنن أبي داود 651، مسند أحمد 16139	80ب
اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إله لا يفر النّوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ليتك وسعديك والخير كله يديك والشرّ ليس إليك	صحيح مسلم 1290، سنن الترمذي 3343	74ب
اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك	مسند أحمد 3528، المستدرک علی الصحیحین للحاكم 1830	102
اللهم اهديني فبين هديت، وعافني فبين عافيت، وتولّني فبين تولّيت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، إنّك تنضي ولا يقضى عليك، وإنّه لا يذلّ من واليت، ولا يضلّ من هديت، تباركت وتعاليت	سنن أبي داود 1214، سنن الترمذي 426	111

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد لو خشع قلبه لخشعت جوارحه	صحيح البخاري 702، صحيح مسلم 940	60ب
ما تقول في هذا الرجل؟ "؛ فيقول عند ذلك: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا، فقلت مثل ما قالوه ما كان الله لينهاكم عن الربا وبأخذه منكم	مسند أحمد 10577، مصنف عبد الرزاق 6703	151ب
مرضتُ فلم تَـدَـنِي. فأقول لك: وكيف تمرض وأنت رب العالمين؟ فقال لي صلى الله عليه وسلم- إنك تقول مجيئا لي: إن عبيدي فلانا مرض فلم تعده، أما أنك لو عدته لوجدتني عنده	صحيح مسلم 4661، شعب الإيمان للبيهقي 8879	145ب
المغرب وتر صلاة النهار	مسند أحمد 5290، مصنف عبد الرزاق 4675	19
مَن ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَمَن ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ	صحيح البخاري 6856، صحيح مسلم 4851	130
مَن سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً	سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406	33ب
مَن صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثَ- غَيْرُ قَامٍ	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	81ب
مَن غَزَفَ نَفْسَهُ غَزَفَ رُبَّهُ	أدب الدنيا والدين للماوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 354)	30ب
مَن يَأْخُذْ هَذَا السِّيفَ بِحَقِّهِ، فَأَخَذَهُ أَبُو دَجَانَةَ، فَهَشَى- بِهِ بَيْنَ الصَّفِينِ خَيْلَاءَ مُظْهِرًا الْإِعْجَابَ وَالتَّبَخُّرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَذِهِ مَشْيَةٌ يَغْفُضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 5008، المعجم الكبير للطبراني 15357	116ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
نَصَرَ الله امرأ سمع مني كلمة فوعاها، فأذاها كما سمعها، قُرْبُ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ	المعجم الأوسط للطبراني 6972، دلائل النبوة للبيهقي 2919	39ب
هو لها صدقة ولنا هدية	صحيح البخاري 1398، صحيح مسلم 1786	38ب
وأعوذ بك منك	صحيح مسلم 751، سنن أبي داود 745	79ب
وجُعِلَتْ قَرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ	سنن النسائي 3879، مسند أحمد 13526	130ب
وَحَقَّقَ اللَّهُ أَحَقَّ بِالْقَضَاءِ	صحيح البخاري 6205، صحيح مسلم 1936	157ب
وسعني قلب عبدي	الزهد لأحمد بن حنبل 429	23ب، 68ب
وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يجاذي بهما منكبيه، وقال في الرفع من الركوع: "اعْتَدَلْ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ فِي مَوْضِعٍ مَعْتَدَلًا". وكذلك بين السجنتين، وزاد في آخره ثُمَّ سَلَّمَ	سنن الترمذي 237	128ب
وقال علي بن عبد العزيز عن رفاعه بن رافع في هذا الحديث: إِنَّ الرَّجُلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَدْرِي مَا عِثْتُ عَلَيَّ» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُمْ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحَ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ يَكْبِرُ اللَّهَ وَيُحَمِّدُهُ وَيُجَدِّدُهُ، وَيَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا أَدْنَى اللَّهُ لَهُ فِيهِ وَتَبَسَّرَ، ثُمَّ يَكْبِرُ وَيَرْكَعُ؛ فَيَضَعُ كَفْيَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرِخِيَ، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، وَيَسْتَوِي قَائِمًا حَتَّى يَأْخُذَ كُلَّ عَظْمٍ مَأْخُذَهُ،	المستدرک علی الصحیحین للحاكم 847، المعجم الكبير للطبراني 4398	127ب

ويقوم صلبه، ثم يكبر فيسجد، ويمكن وجهه من الأرض حتى تلمن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعدا على مقعده، ويقوم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ، ثم قال: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك

الوقت ما بين هذين

سنن أبي داود 332، 20

المستدرک علی الصحیحین

للحاكم 653

صحيح مسلم 3406، ومسند 146

أحمد 6204

وكلتا يديه يمين

سنن أبي داود 511، مسند 155ب

أحمد 8146

ولا تكبروا حتى يكبر

صحيح البخاري 6856، 77

صحيح مسلم 4832

ومن أتاني يسع أتيته هرولة

مصنف ابن أبي شيبة 116 133ب

يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمَهُمُ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ إِسْلَامًا. وَلَا يُؤْمُّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُقْعَدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرُمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ

صحيح البخاري 1338، 50

صحيح مسلم 1715

اليد العليا خير من اليد السفلى

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
2	وكم من مُضَلٍّ ما لَه من صلايه	والعنا ا	17	الطويل
113ب	إذا قلت: يا الله؛ قال: ليا تدعو	تدعو ع	2	الطويل
112ب	تقولُ بهم وتعتيهم وماذا	أقول ل	4	الوافر
27	أخبروني أخبروني إني	أصنمه ه	1	مخلع البسيط
مجموع الأبيات 24				

استشهاد

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر
68ب	تصيرك الثوب حقاً	وأنتى ق	1	البحر	علي بن أبي طالب
47	ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ	زائل ل	1	البسيط	ليبد
68ب	فسلّي ثيابي من ثيابك تسلي	تسل ل	1	الطويل	امرؤ القيس
46	والله لولا الله ما اهتدينا	صلينا ن	1		
89ب	أنا حيٌّ عند حي	بشي ي	1	مجزوء المديد	
71	وعطل فلوصي في الركاب فإنها	بواكيا ي	1	الطويل	
مجموع الأبيات 6					

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إبراهيم	17	أم الكتاب	142، 157
إبليس	109ب	الإمامة - الإمام	130، 137، 145ب
الاتحاد	79ب	أسماء الأسماء	92
الأحدية - أحدية	19ب، 108ب،	الإلهية	
الأحد - أحدية الكثرة	131ب	الإنسان / العالم	137ب
الاختيار	132	الأصفر	
آدم	49ب	أول - آخر	66ب
الاستقامة	65ب	الإيثار	74، 122ب
الاستواء الإلهي	22	الباء - نقطة الباء	82، 141ب
الاستواء الرحماني		باطل / عدم	47
الاستواء / السواء	10ب، 22	بجر	108ب
الاسم	27	البعد	147ب
الاسم الإلهي	11ب، 35ب، 36،	البلد الأمين	142
	37ب، 83، 83ب	البيت	98
الاسم الجامع	80، 96ب	بيتة الله	74
اسم ذات - اسم	82، 90	التثليث	32ب
مرتبة		ترجمان الحق	146ب، 153
أسماء الإحصاء	102	التسبيح / ذكر	3ب
الأفراد	131ب	التسليك - السلوك	137
الألوهية أو الألوهة /	75، 90	التصريف	50ب، 79ب
الضياء			
الأم	64، 85ب		
أم القرآن	62ب، 63، 64،		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
التوحيد	5، 8، 32، 32ب،	الخير	46ب، 47، 76ب
	33، 33ب، 65ب،	الرحمة الامتنانية	83
	79ب، 90، 100،	الرحمة الخاصة	83
	102		
التوكل	122ب	الرحمة الطبيعية-	83، 83ب
الثبوت	101ب	الرحمة الموضوعة	
جبريل	14ب، 19، 20، 89،	الرحمة الواجبة	83
	100ب، 153ب	الروح/العقل	21ب
جهم	103ب	الزمان/السلطان	8، 7
حاجب الحق	152ب	السالك	15ب، 96ب
الحال	26ب، 27، 111ب،	سالك	15ب، 96ب
	112	الستر	108، 66، 27
الحجاب	10ب	سر القدر	43ب
الحرية	51ب، 65	السراج	18
الحضرة الإلهية	109	الشجرة/الإنسان	108
المحضور	9، 56ب، 93ب،	الكامل	
	97، 94	الشر/العدم	47، 47ب، 77
الحق المشهود	47ب	الشروق- المشرق	69ب
حكيم الوقت	9، 9ب	شعائر الله/مناسك	29ب، 30
حواء	49ب	شهادة/نهار/ظهور	21ب، 22، 22ب
الحضر	18	صاحب الوقت	9، 35ب، 46
الخلق مع الأفاض	34ب	الصحو/رجوع	100
خلوة	13ب	صراط الرب	90

المصطلح	صفحة المخطوط
الحق / الميل	
عدم العلم	64ب
العذاب / الجهل /	33ب، 32ب
حجاب حسي	
العرش العظيم	135ب
العصمة	52، 109ب
العله	74
العماء	158
الغنية	44
الغيرة	27
الفردية	131ب
الفطرة	139
الفناء	27ب، 59
فوق	108، 108ب، 116
القبض	96ب
قدم - على قدم	11، 143
القرآن الكبير /	78ب، 83ب
الوجود	108ب، 113ب
القطب	2ب
القلب	68، 68ب
القول الإلهي	43ب
الكتاب المسطور	83ب

المصطلح	صفحة المخطوط
الصراط المستقيم	90، 90ب
الصفة	18، 67ب، 75، 82ب، 91، 92ب، 101ب، 112ب، 114، 124ب
الصلاة	43ب، 80ب
الصمت	113ب
الصورة / الأمر	124ب
ضلال الهدى	74
الظاهر والباطن	27، 29ب، 51، 58ب، 72ب
الظل	156
ظل الله	156
العارف	92، 92ب، 90، 84، 84ب، 82ب، 83
عالم الأمر	136ب، 109ب
عالم البرزخ	22ب
عالم الملكوت	29ب
عبد اضطرار - عبد	132
اختيار	
العبد المحض	132
عبد رب	66
العدل / الميزان	142
الحكمي المعنوي /	

المصطلح	صفحة المخطوط
شريعة	
نهر	6، 6ب، 142ب
النيابة	112ب
اله المعقنات	92
الهوة	97ب، 100ب، 101، 101ب، 132ب
الوارء	61
وارد	62ب، 151ب
وجه الحق- وجه	124
الحق في الأشياء	
وجه الشيء	46ب، 50، 72ب، 108
الوحي	85
الوقت/ الوقت	5ب
المعلوم	
ولي- الولاية	71ب
الوهم	7ب، 47، 67ب
البقطة	126
يقين	13، 44ب، 61

المصطلح	صفحة المخطوط
كتاب الوجود/القران	83ب
كرامة	46
كفر	66
الكلام الإلهي	64
كلمة التوحيد	33ب
الكمال	72، 96ب، 101، 101ب، 124ب، 137
الكون	120ب
ليل	133
الجمل	64
مجموع الحقائق	136ب، 137
مرء- مراد	119ب
المسافر	26ب
المشاهدة	27ب
مبثاق- مبثاق النرية	108
الميزان	41، 41ب
نبوة الاخبار- نبوة	99
التشريع	
نبي اتباع- نبي	99

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	17	أبو عمر بن عبد البر	127ب
إبليس	109ب	أبو قتادة	128
ابن أم مكتوم	35، 36، 36ب،	أبو مدين	141ب
ابن حزم الأندلسي	139	أبو هريرة	81ب، 82، 127
ابن كنانة	35	آدم	49ب
أبو العباس أحمد بن	41	أم الحويرث	46
علي بن ميمون التوزري	14	الأوزاعي	55ب
القسطلاني		البخاري	93، 127
أبو العباس الحريري	54ب، 55	البراء بن عازب	115ب
أبو بكر الصديق	67	بريرة	38ب
أبو بكر محمد بن خلف	88ب	بلال الحبشي	35، 35ب، 36ب،
بن صاف اللخمي			49ب
أبو بكرة	151، 152ب	الترمذي (أبو عيسى)	128ب
أبو حميد الساعدي	128	جابر الجعفي = جابر بن	154ب
أبو حنيفة	133ب	يزيد الجعفي	
أبو داود (صاحب	128	جابر بن عبد الله	147
السنن)		جبريل	14ب، 19، 20،
أبو دجانة	29ب، 117		89، 100ب،
أبو طالب المكي	29ب، 124ب	الجنيد (أبو القاسم)	41ب
أبو عبد الله القرباقي	55	الحجاج = الحجاج بن	136
أبو عبد الله بن العاص	34ب	يوسف الثقفي	

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
الحسن البصري	37ب	علي بن أبي طالب	68ب، 115، 144
حواء	49ب	علي بن عبد العزيز	127ب
خديجة بنت خويلد	100ب	عمر بن الخطاب	33ب، 56ب، 96، 101ب
الخضر	18	عيسى (النبي)	99ب
الدجال	102ب، 103ب	فتى موسى عليه السلام	17ب
رابعة العدوية	74، 74ب، 153	فرعون	112ب، 113، 114
رفاعة بن رافع	127ب	ليبيد	47
روح القدس	3	مالك بن الحويرث	34ب، 115
سفيان بن عيينة	82	مالك بن أنس	34، 58ب، 100، 154ب
سليمان (النبي)	62ب	محمد بن عمرو بن عطاء	128
الشافعي (الإمام)	15، 100	مسلم (الإمام)	82
عائشة (أم المؤمنين)	53	المسيح الدجال	102ب، 103ب
عبد الرحمن بن عوف	139	موسى (النبي)	17ب، 56ب
عبد الله بن زياد بن سميان	81ب	النسائي	127ب
عبد الله بن عباس	24، 81، 96، 102، 125ب، 126	النفري (محمد بن عبد الجبار)	16
عبد الله بن عمر	3ب، 36ب	هود (النبي)	90
عبد الله بن مسعود	125ب، 136، 144، 96، 101، 101ب	وابصة بن معبد	149ب
العلاء	115ب، 81ب، 82	يوشع	17ب

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط
أشيليلة	34ب
بجاية	141ب
بعلبك	82ب
بيت الله الحرام	43، 44، 45، 45ب، 46، 53ب
الحجاز	32ب
راممزمز	82ب
سوقة وردان	54ب
الكعبة	42ب، 43، 45ب، 46، 47، 53
الكوفة	29
المدينة المنورة	29، 139
المسجد الحرام	46ب، 53ب
المشرق	60ب، 69، 69ب، 75ب
مصر	34ب، 54ب
المغرب	69، 69ب، 75ب
مكة المكرمة	142، 14، 29
المنارة	39

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
سنن أبي داود	أبو داود	128
الجامع الصحيح	الترمذي	128ب
المواقف	محمد عبد الجبار النفري	16

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
مشتو العلل والأسباب	31ب

المحتويات

413.....	رموز مستخدمة في التحقيق
417.....	الباب التاسع والستون في معرفة أسرار الصلاة وعمومها
421.....	فصل: في الأوقات
424.....	فصل: في أوقات الصلوات
426.....	فصل: في وقت صلاة الظهر
431.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في وقت صلاة العصر
436.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في وقت صلاة المغرب الشاهد
437.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في وقت صلاة الجشاء الأخيرة
441.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في وقت صلاة الصبح
443.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في أوقات الضرورة والعذر
443.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في أوقات الضرورة عند مثبتها
444.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها
445.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات المنهي عن الصلاة فيها
446.....	فصول بل وصول الأذان والإقامة
446.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في صفات الأذان
452.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في حكم الأذان
453.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في وقت الأذان
455.....	فصول في الشروط في هذه العبادة
458.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ فيمن يقول مثل ما يقول مَنْ يسمع الأذان
460.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في الإقامة
462.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في التَّهْلِيلَة
465.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في الصلاة في داخل البيت
468.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في ستر العورة
469.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في ستر العورة في الصلاة
470.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في حدِّ العورة
470.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في حدِّ العورة من المرأة
471.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في اللباس في الصلاة
471.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ في الرجل يصلي مكشوف الظهر والبطن
472.....	فصل: بَلَّ وَصَلَّ فيما يجزي المرأة من اللباس في الصلاة

473.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في لبس المحرَّم في الصلاة.....
473.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الطهارة من النجاسة في الصلاة.....
474.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في المواضع التي يُصَلِّي فيها.....
475.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في البُيُوع والكفائس.....
475.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الصلاة على الطنابيس وغير ذلك مما يُقعد عليه.....
477.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في اشتغال الصلاة على لقوال وأفعال.....
478.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في النِّيَّة في الصلاة.....
479.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في نِّيَّة الإمام والمأموم.....
480.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في حكم الأحوال في الصلاة.....
480.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التكبير في الصلاة.....
481.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في لفظ التكبير في الصلاة.....
482.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التوجيه في الصلاة.....
483.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في مكثات المصلي في الصلاة.....
484.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في البسملة في افتتاح القراءة في الصلاة.....
485.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ القراءة في الصلاة، وما يقرأ به من القرآن فيها.....
488.....	وَصَلٌ في وصف هذه الحال.....
493.....	وَصَلٌ فيه ومنه.....
493.....	وَصَلٌ لبقية الدعاء.....
495.....	وَصَلٌ منقَمٌ لأكمل صلاةٍ في التوجيه.....
503.....	وَصَلٌ في اعتبار قراءة لفحة الكتاب في الصلاة.....
516.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في قراءة القرآن في الركوع.....
518.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الدعاء في الركوع.....
519.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التشهد في الصلاة.....
521.....	(التشهدات):.....
526.....	التشهد بلسان الجمال:.....
526.....	التشهد بلسان الجلال:.....
527.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد في الصلاة.....
529.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التسليم من الصلاة.....
530.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يقول الذي يرفع رأسه من الركوع، وفي الركوع.....
533.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في السجود في الصلاة.....

534.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يقول المصلي بين السجنتين في الصلاة من الدعاء
536.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في القنوت في الصلاة
539.....	فصول بَلَّ وصول في أفعال الصلاة
539.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في رفع الأيدي في الصلاة
542.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الركوع وفي الاعتدال من الركوع
542.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في هيئة الجلوس
543.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الجلسة الوسطى والأخيرة
546.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التكتيف في الصلاة
546.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الانتهاض من وثر صلاته
547.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يضع في الأرض إذا هوى إلى السجود
548.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في السجود على سبعة أعظم
550.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الإلقاء
551.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في ذكر الأحوال في الصلاة
554.....	فصول الأحوال
554.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في ذكر ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة
555.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن صلى وحده ثم أدرك الجماعة، أو صلى في جماعة ثم إنه أدرك جماعة أخرى
558.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن (هو) أولى بالإمامة
560.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قلنا
561.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الفاسق
563.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة المرأة
564.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة ولد الزنا
564.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الأعرابي
565.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الأعمى
565.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة المفضول
567.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في حكم الإمام إذا فرغ من قراءة الفاتحة؛ هل يقول: آمين، أم لا يقولها؟
568.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ متى يكبر الإمام؟
570.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الفتح على الإمام
570.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في موضع الإمام
571.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في لَبَّ الإمام الإمامة
572.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في مقام المأموم من الإمام

573.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الصفوف
576.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في المصلي خلف الصفِّ وحده
577.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الرجل أو المكلف يريد الصلاة فيسمع الإقامة: هل يسرع في المشي إلى المسجد مخالفة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا ؟
579.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ متى ينبغي للمأموم أن يقوم إلى الصلاة إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة
580.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن أحرم خلف الصفِّ خوفاً أن يفوته الركوع مع الإمام، ثم نَبَّ وهو راكع حتى دخل في الصفِّ
581.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يتبع فيه المأموم الإمام
582.....	الفصل الآخر في الاتِّمَام
583.....	الفصل الآخر في الاتِّمَام بصلاة القاعد
584.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في وقت تكبيرة الإحرام للمأموم
585.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن رفع رأسه قبل الإمام
586.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يحمله الإمام عن المأموم
587.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في ارتباط صلاة المأموم بصلاة الإمام في الصحة والبطان
	الفهارس

593.....	فهرس الآيات وفقاً لتسلسل السور والآيات
598.....	فهرس الأحاديث النبوية
610.....	فهرس الشعر
610.....	استشهاد
611.....	مصطلحات صوفية
615.....	فهرس الأعلام
617.....	فهرس الأماكن
618.....	فهرس الكتب
618.....	فهرس الفرق

